EYÜP HUSREV PAŞA KÜTÜPHANESİ
Kısım: Mihri Şah
Yeni Kayıt No.:
Eski Kayıt No.: 25
Tasnif No.:

سطر ٣٦

٢٥

قد وقف هذا الكتاب المستطاب راحة القلوب والارواح صاحبة الخيرات والحسنات رابعة الدوران
والمبرات صفية الذات علية الصفات حضرت مهرشاه سلطان دامت حياتها والدة
امير المؤمنين وخليفة رب العالمين السلطان ابن السلطان السلطان سليم خان ابن السلطان
مصطفى خان ابن السلطان احمد خان ايده الله ونصره الى انتهاء
الدوران حرره العبد المحتاج الى رحمة ربه المنان
محمد المفتش بالمامور صدر الدين زاده
اوقاف الحرمين الشريفين المفتش
عفي عنهما

Süleymaniye Ü. Kütüphanesi
Kısmı: Mihri Şah
Yeni Kayıt No.:
Eski Kayıt No.: 25

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون اية عند الكوفيين وست بصري وسبع حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين اختلف اهل التفسير قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم معنى قوله يسألونك عن الانفال عن الغنائم قل الغنائم لله والرسول والاضافة في الاية لله عز وجل على جهة التشريف للغنائم والاضافة الى رسول الله لانه كان بيان حكمها وتعبيرها اليه لا ان الغنائم كلها كانت له كما قال صلى الله عليه وسلم في وبرة اخذها من سنام بعير من الفيء والله لا يحل لي من فيئكم مثل هذه الا الخمس والخمس مردود فيكم وقيل انما سألوا عن الغنائم على هذه الرواية لانها كانت حراما على من قبلهم كما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتاكلها وانما سميت الغنائم انفالا لان الانفال جمع النفل والنفل الزيادة والانفال مما زاده الله عز وجل هذه الامة من الحلال والنافلة من الصلوة الزيادة على الفرض ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم انزل الله عز وجل قوله سبحانه واعلموا انما غنمتم من شيء الى اخر الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى وهو قول عطا رضي الله عنه ان الانفال ما شذ من اموال المشركين نحو دابة او عبد جعل الله تعالى ذلك لرسوله يصنعه حيث يشاء وعن مجاهد رضي الله عنه في رواية اخرى ان الانفال الاخماس التي جعلها الله تعالى للفقراء والمساكين وقال الحسن رضي الله عنه الانفال ما ينفله الامام للسرية تقدم الجيش او القوم يدلون المسلمين على حصن المشركين او لرجل خاص وهذا عندنا انما يكون قبل احراز الغنيمة فاما بعده فلا يجوز الا من الخمس وذلك كان يقوله للسرية على وجه التحريض على القتال والتضرية على العدو ولكم الربع بعد الخمس او الربع من الجميع من قبل الخمس او يقول من اصاب شيئا فهو له او من قتل قتيلا فله سلبه واما بعد احراز الغنيمة فغير جائز ان ينفل من الاربعة الاخماس التي هي للغانمين ويجوز ان ينفل من الخمس وقد روي عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم رغب اصحابه يوم بدر فقال من قتل قتيلا فله كذا ومن جاء باسير فله كذا فلما هزم الله المشركين ذهب سرعان الناس في اثرهم واقبلوا بالاسارى وثبت وجوه الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم مخافة ان يغتاله احد من المشركين فوقع الاختلاف بينهم في استحقاق الغنيمة فقال الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامنا افضل من ذهابهم فلو اعطيتهم ما وعدتهم لم يبق لنا ولا لعامة اصحابك شيء وقال الاخرون نحن قتلنا واسرنا فكان في ذلك مراجعة بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يقول شيئا فانزل الله عز وجل هذه الاية يسألونك عن الانفال التي هي ويجوز ان تكون عن صلة في الكلام المعنى يسألونك عن الانفال التي وعدتهم بها يوم بدر قبل القتال قل الانفال لله والرسول ليس لكم منها شيء قال عبادة ابن الصامت لما اختلفنا في غنائم بدر وساءت اخلاقنا نزعها الله عز وجل من ايدينا وجعلها الى رسوله فقسم بيننا على سواء وهذه الرواية تقتضي ان هذه الاية لا بد ان تكون منسوخة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج الخمس من غنائم بدر على هذه الرواية وسوى في القسمة بين الفارس والراجل كما قال عبادة فقسم بيننا على سواء يدل عليه ما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم من غنائم بدر لمن لم يحضر لعلل كانت لهم منهم عثمان وطلحة وتسعة من المهاجرين وخمسة من الانصار وقيل ان التنفيل المذكور في هذه الاية قبل القتال غلط وقع من الراوي لانه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم خلف الوعد ولا استرجاع ما جعله لانسان واخذه منه واعطاه غيره والصحيح انهم اختلفوا في الغنائم من غير تنفيل كان من رسول الله

صلى الله عليه وسلم قبل الاخذ والقتال يدل على ذلك ما روي عن مصعب ابن سعد عن ابيه انه قال جئت يوم بدر الى النبي صلى الله عليه وسلم بسيف فقلت يا رسول الله ان الله عز وجل قد شفى صدري اليوم من العدو فهب لي هذا السيف فقال ان هذا السيف ليس لي ولا لك فذهبت وانا اقول يعطاه اليوم من لم يبل بلائي فبينا انا جالس اذ جاءني الرسول فظننت انه نزل في شيء من كلامي فجئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك سألتني هذا السيف فقلت ليس هو لي ولا لك ثم انزل الله عز وجل جعله لي فهو لك ثم قرأ يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وقوله فاتقوا الله معناه فاتقوا معاصيه واحذروا المخالفة امر الله عز وجل ورسوله عليه السلام وقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم اي كونوا مجتمعين على ما يامركم به الله ويامركم به رسولكم ومعنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين يذكر بمعنى الوصلة قال الله تعالى لقد تقطع بينكم اي وصلكم ويقال اصلحوا الحال التي تجتمع عليها المسلمون او الخصومة التي بينكم في امر الغنيمة ومن هذا يقال اللهم اصلح ذات البين وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اي اقبلوا ما امرتم به في الغنائم وغيرها ان كنتم مصدقين بالله ورسوله كما تزعمون قوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون فيه بيان صفة المؤمنين ومعناه ان صفتهم انهم اذا ذكر الله فزعت قلوبهم عند الموعظة والوجل في اللغة هو الخوف مع شدة الحزن كما قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول وقوله عز وجل واذا تليت عليهم اياته معناه اذا قرئت عليهم اياته بالامر والنهي زادتهم يقينا وبصيرة ويقال زادتهم تصديقا بالفرائض مع تصديقهم بالله عز وجل وقوله وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون امورهم الى الله عز وجل لا يثقون بغيره لانه تعالى يحسن الى عباده ثم زاد جل ذكره في نعت المؤمنين فقال الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون معناه الذين يقيمون الصلوة بوضوئها وركوعها وسجودها في مواقيتها ومما اعطيناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله عز وجل وانما خص الله عز وجل الصلوة والزكوة بالذكر في هذا الموضع لعظم شانهما وتاكيد امرهما واظهار المدح على فعلهما حتى لا يتهاونا بهما قوله عز وجل اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم معناه اهل هذه الصفة الذين تقدم ذكرهم الذين استحقوا هذه الصفة صدقا لهم فضائل ومنازل في الرفعة في الاخرة على قدر اعمالهم ومغفرة لذنوبهم وثواب حسن في الجنة ويقال منافع خالصة عن الهموم كما يقال فلان كريم اذا كانت اخلاقه حميدة وقيل انما اثنى الله عز وجل على اهل بدر بهذا الثناء لانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الصادق في ايمانه لم يكن معهم يومئذ منافق فان قيل كيف الجمع بين قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبين قوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب وكيف يطمئن القلب تجمع الوجل مع طمانينة القلب قيل انما ورد في حالين فالمراد بقول الله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب اذ اذكر احسان الله عز وجل الى عباده ورحمته وانعامه عليهم وثوابه لهم على الطاعات وغفران الذنوب اطمان قلبه والمراد بقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ان يذكر العبد امر الله عز وجل وعظمته ويتذكر ذنوب نفسه واقدامه على المعاصي مع ان الله عز وجل تواعد على المعاصي بالعقاب وهو يعلم اقداره على ذلك وجل قلبه على ذلك كما قال عز من قائل في اية اخرى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون

إلى الموت وهم ينظرون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان عير قريش خرجت من الشام
وفيها ابو سفين بن حرب ومخرمة بن نوفل واربعين رجلا من تجار قريش او اكثر فقال عليه السلام
لاصحابه هذه عير قريش قد اقبلت فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فتتقووا بها على الجهاد فعدوا
على نواضحهم من المدينة ليس لهم ظهر غيرها ومعهم فارسان احدهما الزبير والاخر المقداد فخرجوا بغير قوة
ولا سلاح وهم ثلثمايه وثلثة عشر رجلا لا يرون انه يكون قتال فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغ ذلك ابا سفين فارسل من الطريق ضمضم بن عمرو الغفاري يخبر اهل مكة ان محمدا قد اعترض لعيركم
فادركوها فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بنفر المشركين يريدون
عيرهم وقال يا محمد ان الله يعدك احدى الطايفتين اما العير واما العسكر فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسلمين حين عرف انهم لا يخافون القوة فقالت الانصار والله لو امرتنا ان نخوض البحر
لخضناه اما انا لا نقول كما قالت بنوا اسرايل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ثم اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في المشركين كثرة فشق على بعضهم فقالوا الا كنت
اخبرتنا انه يكون قتال فنخرج معنا سلاحنا وقوتنا انما خرجنا في ثيابنا نريد العير فانزل الله عز وجل
هذه الاية وهم بالروحا ومعنى الاية امض على وجهك من الروحا كما اخرجك ربك من بيتك اي
من المدينة بالحق بالامر الواجب يقال فلان يخرج من بيته اذا خرج من بلده ۝ وقوله تعالى وان فريقا
من المومنين لكارهون اراد بذلك كراهية الطبع بالمشقة التي لحقتهم لا كراهية الحق فانهم كانوا
لا يعلمون عند الخروج ان خروجهم للقتال ۝ وقيل ان التشبيه في قوله عز وجل كما اخرجك ربك راجع
الى ما تقدم ذكره وهو قوله قل الانفال لله اي انتزع الله الانفال من ايديكم وجعلها الى رسوله
صلى الله عليه وسلم حتى ينفلها من شا على ما علم من المصلحة في ذلك وان كنتم كارهين كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق على ما علم من المصلحة وقيل ان قوله عز وجل يجادلونك في الحق اي يجادلونك في الحق متكرهين
له كما اخرجك ربك مع تكرههم له ومعنى يجادلونك في الحق يخاصمونك بقولهم هلا اعلمتنا انه القتال
حتى كنا نستعد للقتال ۝ وقوله عز وجل بعد ما تبين اي بعد ما ظهر لهم انك ما تصنع الا ما
امرك ربك ۝ وقوله عز وجل كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي هم مما عليهم من
شدة المشقة لقلة عددهم وعدتهم وكثرة عدوهم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون الى اسباب
الموت ۝ قوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل
ولو كره المجرمون معناه اذكروا اذ يعدكم الله احدى الطايفتين اما العير واما العسكر وتودون ان
تكون لكم العير دون العسكر ذات شوكة وهي السلاح من قولهم فلان شاك وشايك في السلاح
وقوله عز وجل ويريد الله ان يحق الحق بكلماته معناه ويريد الله ان يظهر الاسلام بوعده الذي
انزل في القران ويقال بامره لكم في القتال ۝ وقوله عز وجل ليحق الحق ليظهر الدين باظهار اهله
والا فالحق في نفسه حق ۝ وقوله عز وجل ويبطل الباطل اي يهلك الباطل باهلاك اهله ولو كره
المشركون اهل مكة ۝ قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملايكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمين به قلوبكم وما النصر الا من عند
الله ان الله عزيز حكيم معناه اذ تستغيثون ايها المسلمون ربكم حين رايتم قلة عددكم
وكثرة عدوكم ولم يكن لكم مفزع الا الدعا الله عز وجل وطلب المعونة منه فاستجاب لكم اي اجابكم
والاجابة العطية على موافقة المسلة وقوله عز وجل اني ممدكم من المدد وقوله بالف من الملايكة
مردفين قال ابن عباس كان مع كل رجل ملك فكانت جملتهم الفين وهذا كما يقال ردف الرجل اذا ركب

خلفه

خلفه واردفته اذا اركبته خلفك وقال عكرمة وقتادة والضحاك معناه بالف من الملايكة
متتابعين يتبع بعضهم بعضا ونحو ذلك ان يقال اردفت الرجل اذا جيت بعده وكذلك ردفته
فيكون معنى مردفين رادفين للمومنين واما قراة نافع مردفين بنصب الدال فمعناه اردفهم
الله بالمومنين ۝ وقوله وما جعله الله الا بشرى معناه ما جعل الله عز وجل امداد الملايكة الا بشارة
بالنصر للمومنين ويقال معناه ما جعل الله اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بامداد الملايكة الا بشرى
بالنصر ۝ وقوله عز وجل ولتطمين به قلوبكم وما النصر الا من عند الله معناه ليس النصر بقلة
العدد ولا بكثرته ولا من قبل الملايكة ولكن النصر من عند الله ان الله عزيز بالنقمة ممن عصاه
حكيم في افعاله يجريها على ما تقتضي الحكمة ۝ وقد اختلفوا في ان الملايكة هل قاتلوا مع بدر ام لا
قال بعضهم انهم لم يقاتلوا ولكن الله عز وجل ايد بهم المومنين ليشجع بهم قلوب المومنين ويلقي بهم
الرعب في قلوب الكافرين فيحصل للمومنين ثواب القتال على الكمال ولو بعث الله عز وجل الملك بكل
المحاربة لكان يكفي ان يبعث ملكا واحدا فان جبريل عليه السلام اهلك بريشة واحدة سبعا من
قريات قوم لوط واهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود وهذا القول اقرب الى ظاهر هذه الاية
وقال بعضهم ان الملايكة قاتلت في ذلك اليوم لانه روي ان ابا جهل قال لعبد الله ابن مسعود من
اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا فقال ابن مسعود من الملايكة فقال ابو جهل
هم غلبونا لا انتم ۝ قوله عز وجل اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السما ما
ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى
الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب تروي جماعة من اهل التفسير انهم قالوا وذلك لما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمسير
الى الكفار سار عليه السلام بمن معه حتى اذا كان قريبا من بدر لقي رجلين في الطريق فسالهم هل مرت
بكم العير [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
المسلمين [illegible] فاخذوا رجلين احدهما غلام للعباس بن عبد المطلب يقال له ابو رافع والاخر غلام لعقبة بن
ابي معيط [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] فقال عليه السلام [illegible] من خرج من اهل مكة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم على اصحابه [illegible]
عنه يضربه بالعصا ويقول كذبت [illegible]
فعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف امرهم فساروا حتى نزلوا بالجانب الوادي الادنى على غير ما
ونزل المشركون على جانبه الاقصى على الماء والوادي بينهما [illegible]
القى الله عز وجل النوم على المسلمين [illegible] فوسوس اليهم
[illegible] تزعمون انكم على الحق وانتم [illegible] المشركون على الماء [illegible]
الوادي وكان دار رملا تغيب فيه الاقدام [illegible]
[illegible]
راجع الى قوله ولتطمين به قلوبكم [illegible]

وقوله عز وجل أمنة منه معناه أمانا من الله عز وجل أن أمنهم الله بوعد النصر أمنا حتى غشيهم النعاس في حالة
الاستعداد للقتال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النعاس عند القتال أمن من الله وفي الصلوة من
الشيطان وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء يعني المطر ليطهركم بالمطر من الجنابة والحدث ويذهب
عنكم وسوسة الشيطان التي كان وسوس إليكم بأن عدوكم قد غلب على الماء وأنكم في مكان تسوخ
أقدامكم في الرمل ويقال أراد بالرجز الجنابة التي أصابتهم بالاحتلام فإن الاحتلام إنما يكون من وسوسة الشيطان
وقوله عز وجل وليربط على قلوبكم بالصبر ويشجعكم على القتال وهذا كما تقول لغيرك ربط الله على
قلبك بالصبر وقوله عز وجل ويثبت به الأقدام ويثبت بالمطر الأقدام على ما تقدم أن المطر لبد الرمل وشدده
حتى اشتدوا عليه ويقال معناه ويثبت بالربط على القلوب الأقدام فإن الأقدام إنما تثبت في الحرب بقوة القلب
وقوله عز وجل إذ يوحي ربك إلى الملائكة أي يلهم ربك الملائكة النازلين من السماء أني معكم بالنصر على
فثبتوا الذين آمنوا بالتنبيه والإخطار بالبال ويقال بشروهم بالنصر ويقال أروهم أنفسكم مددا لهم فإذا عاينوكم
ثبتوا والوحي إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفي ويقال فلان مع فلان في نجي هذا الأمر يراد بذلك أن كل منهما فيه و
فإن كل واحد منهما معين لصاحبه ولا يراد بذلك اجتماعهما في مكان واحد وقد روي عن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما أنه قال سوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهم وقدموا راياتهم فوضعوها مواضعها
ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعيره يدعو الله ويستغيث به فهبط جبريل عليه السلام في خمسمائة
من الملائكة على ميمنتهم وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على ميسرتهم فكان الملك يأتي الرجل من المسلمين
على صورة من يعرف هو صورته ولا يعرف اسمه ويقول له دنوت من عسكر المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن
حملوا علينا لا نثبت لهم أبدا ويقول إنهم ليسوا بشيء فابشروا بالنصر من الله عز وجل فإنا نعبده وهم لا يعبدونه ونحن
كثير وعدوكم قليل فيقول الذي يسمع حدثني جليسي بكذا إني سمعت المشركين يقولون كذا فيزداد أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك جرأة عليهم وألقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب بعد تمام الصف فقال عتبة بن ربيعة
يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام إليهم بنو عفراء من الأنصار وهم عوف ومعوذ ومعاذ أمهم
عفراء وأبوهم الحرث فنسبوا إليهم فقالوا ارجعوا وأرسلوا إلينا أكفاءنا من بني هاشم فخرج إليهم علي وحمزة وعبيدة
بن الحرث قال علي فمشيت إلى الوليد بن عتبة ومشى إلي فضربته بالسيف أطرت يده ثم بركت عليه فقتلته
فقام شيبة بن ربيعة إلى عبيدة بن الحرث فاختلفا ضربتين فخرت كل واحد منهما صاحبه فضرب عبيدة أخرى فقطع
ساقه ثم قام حمزة إلى عتبة فقال أنا أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة أنا أسد الحلفاء فضربه حمزة فقتله ثم أن أبا جهل قال
لأصحابه يحرضهم ويقول لا يهولنكم ما لقي هؤلاء فإنهم عجلوا واستخف الرجل هو بنفسه فقتل ثم حمل المسلمون فكلم
فهزموهم وأما قوله عز وجل سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب معناه سأقذف في قلوب الذين كفروا المخافة
منكم ثم علم الله المسلمين كيف يضربون فقال فاضربوا فوق الأعناق معناه على الأعناق وإنما قال ذلك والله أعلم لأن
أعلا جلدة العنق هو المقتل وقيل لأن الضربة تأتي فوق العنق فتصيب فتقطع وقوله عز وجل واضربوا منهم كل بنان
أي اضربوا كل عضو منهم أمكنكم ضربه وليس عليكم توقي عضو دون عضو والبنان في اللغة هو الأصابع وغيرها
من الأعضاء التي يكون بها قوام الإنسان وحياته مأخوذة من قولهم أبن الرجل بالمكان إذا أقام به وقيل
أبلا الله عز وجل أن لا يطلع سيوف المسلمين بفرث الكفار فأمرهم أن يضربوا فوق الأعناق ويضربوا منهم كل بنان
وأما قوله عز وجل ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله معناه ذلك الضرب والقتل بأنهم شاقوا الله ورسوله وقوله
أن الذين تحادون الله أي تحادون أولياء الله والمشاقة أن يصير أحد العدوين في شق والآخر في شق آخر كما أن
المحادة أن يصير أحدهما في حد غير حد الآخر وقوله عز وجل ومن يشاقق الله أي من يخالف أولياء الله
ورسوله فإن الله شديد العقاب له وأما إظهار التضعيف في موضع الجزم في قوله يشاقق فهو لغة أهل الحجاز
وغيرهم يدغم أحد الحرفين في الآخر لاجتماعهما من جنس واحد كما قال عز وجل في سورة الحشر ومن يشاق الله

بعقاب

بعقاب وآجلة وأما قوله عز وجل ذلكم فذوقوه معناه أن الذي ذكرت لكم أي الكفار من العذاب العاجل
في الدنيا فذوقوه بين حال ذكر أن القتل في الدنيا لا يصير كفارة لهم وأن الله عز وجل مستعد لهم في الآخرة بقوله
وأن للكافرين عذاب النار وإنما قال عز وجل في عذاب الدنيا فذوقوه لأن الذوق يتناول اليسير من الشيء
وكأنما يلقى الكافر من ضرب أو قتل في الدنيا هو قليل من العذاب فعجل لهم ومعظم عذابهم مؤخر إلى يوم القيمة
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن
يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير خطاب
من الله عز وجل للمسلمين حين التقوا بالعدو يوم بدر ومعناه يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله إذا
لقيتم الذين كفروا مزاحفة مستعدين لحربكم فلا تنهزموا حتى تدنوا والزحف في اللغة هو الدنو قليلا قليلا
والزحف التداني يقال تزاحفت القوم إذا ثبت لهم فتكادنوا فالكل ذكره إذا لقيتموهم للقتال فاثبتوا لهم
ولا تجعلوا أدباركم إليهم ووجوهكم إلى جهة أخرى كما يفعله المنهزم والتولية جعل الشيء يلي غيره وهو متعد
إلى مفعولين وولى دبره إذا جعله يليه ومنه ولاية البلد إذا جعله يليه وقوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره
معناه ومن يجعل ظهره إليهم وقت القتال إلا أن يتحرف فيقاتل في موضع يراه أصلح في باب المحاربة أو لتطلب
غرة يطمع فيها من العدو وقوله عز وجل أو متحيزا إلى فئة معناه إلا أن يقصد الانضمام إلى جماعة يمنعونه من
العدو وقوله يعني إذا كثر العدو والمؤمنين فئة يلتحق إليها فيطاردون العدو بعد ذلك معهم كان لهم
ترك القتال عند ذلك ومن ولاهم الدبر على سبيل الانهزام من غير هذين الوجهين فقد احتمل غضبا من الله عز وجل
وما واه في الآخرة جهنم وبئس المصير صار إليه والمتحرف في اللغة هو الزائل عن جهة الاستواء إلى الانحراف والمتحيز
طالب حيز يتمكن فيه وأصله في متحيز متحوز أدغمت الواو في الياء واختلف أهل العلم في أن الوعيد
المذكور في الآية مقصور على حرب بدر أم هو عام في جميع الأوقات قال بعضهم إنه خاص في حرب بدر لأنه لم يكن
يومئذ للمسلمين فئة سواهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا في ذلك الحرب وكان المنهزم عنه والله تعالى
ومع حضوره كان لا يعد غيره فئة لأنه لم يكن يومئذ للمسلمين فئة سواهم وكان المنهزم عن القتال يومئذ غير
متحيز إلى فئة فأما اليوم فالمنهزم عن الحرب يكون متحيزا إلى فئة أعظم من المحاربين من المسلمين وقال بعضهم إنه
عام في جميع الأوقات ولا يجوز الانهزام عن قتال المشركين مع قوة القتال ألا ترى أنه قد كان بالمدينة خلق
كثير من الأنصار لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج ولم يكونوا يرون أنه يكون قتال وإنما ظنوا أنها العير
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خرج معه ولم يكن لأحد من أصحابه الذين كانوا معه يومئذ أن يرجع
عن ذلك الحرب فثبت أن الوعيد عام في جميع الأوقات وإلى هذا ذهب ابن عباس حتى قال في سائر قوله عز وجل فإن
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلثة لم يفر وذكر محمد بن
الحسن في السير الكبير أن الجيش إذا بلغوا اثنا عشر ألفا فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر العدو واحتج
بما يروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش
أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة قوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم معناه والله أعلم لم
تقتلوهم يوم بدر بأنفسكم ولكن الله قتلهم بالملائكة فأضاف الله عز وجل قتلهم إلى نفسه لأن السبب في قتلهم
كان الكرم من الله عز وجل فإنه هو الذي أيد المؤمنين بالملائكة حتى شجع به قلوبهم وأنزل المطر حتى ثبت به
أقدامهم وألقى في قلوب المشركين الرعب حتى انهزموا وانتقضت عزائمهم ولعله كان المسلمون يقولون
قتلنا فلانا وفلانا فأراد الله أن لا يعجبوا بأنفسهم وقوله عز وجل وما رميت إذ رميت ولكن الله
رمى معناه ما روي في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو
واقف على بعيره ناولني كفا من تراب الوادي فناوله قبضة فاستقبل بها وجوه المشركين فرماهم بها

وقال شاهت الوجوه فملأ الله عز وجل اعينهم بها ولم يبق احد منهم الا وقد شغل بعينه فحمل المسلمون عليهم فهزموهم فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم الله عز وجل ان كفا من التراب لا يملأ عيون تلك الجيش برمية بشر وانه عز وجل تولى ايصال ذلك الى اعينهم ابصارهم من الموضع الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين اصاب عين كل واحد منهم قسط من ذلك التراب ومن المعلوم ان مثل هذا لا يكون في وسع احد من المخلوقين ❁ ومن هنا قيل ان في هذه الايات ضروبا من دلايل النبوة منها اخبار الله عز وجل اياهم ان احدى الطايفتين لهم اما العير واما الجيش ثم ايثاره موعدة لهم في قطع دابر الكفرين وقتلهم ومنها طمانينة قلوب المومنين بعد كراهتهم لقاء الجيش حتى القى الله عز وجل على المومنين النعاس في الوقت الذي يطير فيه النعاس باطلال العدو وعلمهم بالعدة والسلاح وهم اضعافهم ومنها نزول المطر حتى بل الرمل واستمسكت اقدامهم عليه ومنها رمي النبي صلى الله عليه وسلم الى الكفار وهزيمة الكفار بذلك ومعلوم ان مثل هذه الاشيا لا تجوز ان تتفق عرضا وحينا فثبت ان ذلك كله من دلايل النبوة وامّا

قوله عز وجل وليبلي المومنين منه بلاء حسنا فمعناه ولينعم على المومنين بالنصر والغنيمة والاسارى نعمة حسنة ❁ وقوله عز وجل ان الله سميع عليم معناه سميع لدعايكم عليم بافعالكم وضمايركم

قوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكفرين في الاية بشارة للمومنين وتقوية لقلوبهم في الاقدام على الجهاد في المستقبل اذا صبروا واتقوا وموضع ذلكم رفع على الاضمار المعنى ذلكم الفضل والهزيمة للكفار واعلموا ان الله مضعف كيد الكفرين والتوهين ابلغ الوهن في المعنى ومن قرا موهن على التخفيف فهو من اوهن يوهن ومن قرا كيد بالخفض فهو على الاضافة ❁

قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيا ولو كثرت وان الله مع المومنين قال بعضهم هذا خطاب للكفار وذلك ان ابا جهل بن هشام قال يوم بدر قبل القتال اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفيتين وخير الدينين اللهم ايّنا اقطع الرحم وافسد للجماعة فاحنه اليوم فاستجاب الله عز وجل دعاه على نفسه وقيل انهم حين ارادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم اي الفيتين احب اليك فانصرهم اللهم اقض بيننا وبينهم فذلك قوله عز وجل ان تستفتحوا اي ان تستحكموا فقد جاءكم الحكم وقيل معناه ان تستنصروا فقد جاءكم النصر فنصر محمد صلى الله عليه وسلم وان تنتهوا عن الشرك والمعاصي فهو خير لكم وان تعودوا الى القتال نعد بان نامر المسلمين بجهادكم ونصرهم عليكم وقال بعضهم هذه الاية خطاب للمومنين ❁ ومعنى قوله عز وجل ان تنتهوا عن فعلكم في الاسارى والفدا يوم بدر فهو خير لكم وان تعودوا الى فعلكم في الاسارى نعد الى الانكار عليكم ❁ وقوله عز وجل ولن تغني عنكم فئتكم شيا معناه نسلب النصر عنكم حتى لا تغني عنكم جماعتكم شيا ولو كثرت في العدد ❁ وقوله عز وجل وان الله مع المومنين معناه وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة ومن قرا وانّ الله بالنصب فعلى معنى واعلموا فيكون راجعا الى الاول وقرا الاكثرون بالكسر على الابتداء ❁

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون معناه اطيعوا الله في امر الغنيمة وغيرها ولا تتولوا عن امر الله وانتم تسمعون ما انزل الله عز وجل وقال الحسن وانتم تسمعون الحجة في وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واما تخصيص المومنين بالامر لهم بالطاعة ان كانت هذه الطاعة واجبة على غير المومنين كوجوبها على المومنين فلاحد معنيين اما اجلالا لهم ورفعا لقدرهم فيدخل غيرهم في الخطاب على جهة التبع لهم واما لانه لم يعتد بغير المومنين لاعراضهم عما وجب عليهم ❁

قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون معناه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا على جهة الهزو وهم لا يسمعون به للقبول وانما سمعوا به للرد والاعراض عنه ويقال معناه ولا تكونوا كالذين قالوا اقبلنا

وهم

5

وهم لا يقبلون ❁ ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي تقبل الله حمد من حمده ❁ واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الاية قال ابن جريج نزلت في المنافقين وقال الحسن في اهل الكتاب ❁ ويقال في مشركي العرب ❁

قوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون معناه ان شر الخليقة على وجه الارض هم الكفار الذين لا يسمعون الهدى ولا يتكلمون بخير ولا يتدبرون القران وسماهم صما بكما لانهم لم ينتفعوا بما سمعوا من دلايل الله عز وجل ❁

قوله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون معناه ولو علم الله فيهم انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه واياته لاسمعهم اياها وقيل معناه لاسمعهم جواب كل ما يسالون عنه ولبين لهم كل ما يختلج في نفوسهم لتولوا عن الهدى وهم معرضون لمعاندتهم ❁ وقيل معناه ولو اسمعهم قول قصي بن كلاب يسمعنا انك صادق وقوله عز وجل ولو اسمعهم فيه بيان ان الله عز وجل انما لم يسمعهم لان الحجة كانت قد قامت عليهم بسماع ما سمعوا ولم يكن لهم مصلحة في سماع قول قصي ولو اسمعهم لاعرضوا عن قبول الحق ❁

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون معناه اجيبوا الله وللرسول كما قال الشاعر ❁ وداع دعا يا من يجيب الى الندا ❁ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ❁ اي لم يجبه ❁ ويقال معنى الاستجابة طلب الموافقة للداعي على وجه الطاعة وقيل في الجمع بين الاستجابة لله وللرسول استجيبوا لله بسرايركم وللرسول بظواهركم ❁ وقوله عز وجل اذا دعاكم لما يحييكم من امر الدين ❁ والثاني اذا دعاكم الى الجهاد الذي يحيي امركم ❁ والثالث اذا دعاكم الى ما يكون سببا للحيوة الدايمة في نعيم الاخرة لانه اذا حصل الامتثال اتى ذلك الى العقاب الذي يتمنى معه الموت ❁ وقوله عز وجل واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيه ثلثة اقوال احدها ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه بالموت او غيره من الافات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف فان الاجل يحول دون الامل قال الشاعر ❁ يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما يريد ❁ قال مجاهد يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يفهم ولا يعقل ❁ والقول الثاني واعلموا ان الله عز وجل اقرب الى القلب من قلبه فانه الذي يحول بين الشي وغيره اقرب الى ذلك الشي من غيره كما قال عز وجل في اية اخرى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد [illegible] ❁ والقول الثالث ان معناه [illegible] وقوله عز وجل وانه اليه تحشرون عطف على قوله [illegible] الى الله سبحانه [illegible] ان الذي يحول بين المرء وقلبه قادر على ان يبدل خوفكم امنا [illegible] فيجعل القوي ضعيفا والضعيف قويا [illegible] في الجهاد ولا تخافوا ضعفكم [illegible] ❁

قوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب قال [illegible] ابن عباس نزلت الاية في رجلين من قريش [illegible] تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة ولكنها عامة [illegible] كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن [illegible] وذلك قوله [illegible] واما قوله لا تصيبن فهو جواب الامر بلفظ النهي [illegible] ومثله قوله عز وجل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده والفتنة المذكورة في الاية [illegible] من الناس [illegible]

عباس رضي الله عنهما امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله عز وجل بالعذاب
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم اكثر ممن
يعمل فيهم ثم لم ينكروا الا عمهم الله عز وجل بعقاب • وعنه صلى الله عليه وسلم انه قيل انهلك
وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث • وذهب الزجاج في معنى هذه الاية الى ان قوله عز وجل واتقوا
فتنة معناه اتقوا ان يبتلي الصالحون بفتنة من الله عز وجل والفتنة العذاب • قال والمراد بهذا مرادة
المنافقين الذين كانوا يصدون عن الايمان بالله • قال وقوله لا تصيبن نهي بعد امر كانه قال اتقوا
فتنة ثم نهي بعد ذلك فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب
وهذا كما يقول الرجل لا ارينك هاهنا بلفظ النهي لنفسه • ومعناه لا تكونن هاهنا فاني اراك على هذا قوله
عز وجل لا يحطمنكم سليمن وجنوده • واما قوله عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب فهو تحذير
شدة العقوبة لمن اهاج الفتن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة راتعة في بلاد الله عز وجل واضعة
خطامها فالويل لمن اهاجها وفي بعض الاخبار الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها • قوله عز وجل
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم
من الطيبات لعلكم تشكرون قال عبد الله بن عباس نزلت في المهاجرين خاصة اي احفظوا معشر
المهاجرين اذ انتم قليل في العدد مقهورون في ارض مكة وتخافون ان تختلسكم وتذهب بكم الهلكة
فآواكم الى المدينة واعانكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم الحلال من الغنائم لكي تشكروا الله وتعرفوا
ذلك منه متطوعة • وقال قتادة كان هذا الحي من العرب من اذل الناس ذلا واشقاهم عيشا واجوعهم
بطونا واعراهم جلودا ما في بلادهم مما يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم اردي في النار
يوكلون ولا ياكلون وكانوا بين اسدين قيصر وكسرى يخافون ان يتخطفهم اهل فارس والروم والعرب
من حول اهل مكة حتى جاء الله بالاسلام فمكنهم به من البلاد ووسع عليهم في الرزق وجعلهم بذلك ملوكا
على رقاب الناس لكي يشكروا الله عز وجل على نعمه • قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا
تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في امر
ابي لبابة بن عبد المنذر فان بني قريظة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث الينا طليقا من حلفائك
ننزل على حكمه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا
يقولون انزل الينا ابا لبابة وكان عياله وولده واهله عندهم فبعثه صلى الله عليه وسلم اليهم فاتاهم فقالوا
يا ابا لبابة انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه اي انه الذبح فلا تفعلوا ولم
يتكلم بلسانه فانزل الله عز وجل هذه الاية قال ابو لبابة ما زالت قدماي من مكانهما حتى علمت
اني خنت الله ورسوله وذلك قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول كما فعل ابو لبابة
قال الحسن من ترك شيئا من الدين فضيعه فقد خان لان الدين امانة كلفها الله عز وجل العباد فيما بينهم وبينه
وكل رجل مؤتمن على ما افترض الله عليه من امر الله عز وجل فان شاء هو ادى الامانة وان شاء خانها لا يطلع عليها الا
الله تعالى ويقال يراد بقوله لا تخونوا الله وجه الخيانة فيها خيانة الرسول ايضا الخيانة من الغنائم التي هي
عطية الله عز وجل لانه هو القيم بقسمتها وقوله عز وجل وتخونوا اماناتكم قال ابن عباس معناه لا تخونوا
اماناتكم • وقال الزجاج نصب على الظرف اي انكم ان فعلتم ذلك فانما خنتم اماناتكم ثم هذا اللفظ يحتمل
الخيانة في الغنائم على معنى انهم كلهم مشتركين فيها فمن استبد بشيء منها فقد خان ويحتمل الخيانة في ابانة بعض
الناس بعضا من حقوق انفسهم • وقوله عز وجل وانتم تعلمون انها خيانة • قوله عز وجل واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم معناه واعلموا انما اموالكم واولادكم محنة وان
الله عنده اجر عظيم احد ما شدد الله عز وجل به التكليف عليكم فان الانسان ربما يترك الجهاد ويخون

في الامانات للولد وحرصا على المال • وقد روينا ان ابا لبابة انما حمله على ما فعل ماله واهله وولده الذين
كانوا فيها كانت بين ظهراني بني قريظة لانه امنا صحيح لا يجلهم وخان المسلمين بتنبيههم • وقوله عز وجل
وان الله عنده اجر عظيم معناه ان الله عنده ثواب جسيم في الاخرة لمن لا يترك النصيحة للامة ولم يعص الله عز و
جل لاجل المال والذرية • قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم معناه ان تتقوا الله في الامانات فتمتنعوا عن
معاصيه باداء فرائضه يجعل لكم نورا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل ويقال معناه يجعل لكم
فتحا ونصرا كما قال عز وجل يوم الفرقان يوم التقى الجمعان اراد به يوم عز المؤمنين وخذلان
الكافرين ويقال معناه يجعل لكم مخرجا ونجاة في الدنيا والاخرة قوله ويكفر عنكم سيئاتكم معناه يمحو عنكم
ذنوبكم التي عملتموها ويستر عليكم خطاياكم ولا يؤاخذكم بها • وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم معناه
انه جل ذكره عظيم الفضل على عباده ابتدأكم بالنعم فلا يمنع فضله عنكم عند الاستحقاق وانما جاز الشرط في
خبر الله تعالى في قوله ان تتقوا الله لانه يعامل العباد في الجزاء معاملة المبتلي لان الجزاء واقع على ما يظهر من العبد
دون ما لا يكون والفرق بين المتقوي والمتقي ولا يتقي ان الدين المتقوي خاصة والاتقاء مستعمل فيه وفي
غيره • قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين ذكر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بعقب ما انعم الله عليه من النصر
والظفر يوم بدر ما كان من مكر المشركين في امره بمكة فقال عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك اي اذكر تلك الحالة روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان رؤسا قريش اجتمعوا في دار
الندوة يمكرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويختالون فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم ابليس عدو الله
في صورة شيخ كبير عليه ثياب اطمار حتى جلس بينهم فقالوا ما ادخلك ايها الشيخ في خلوتنا بغير اذننا فقال
انا رجل من اهل نجد قدمت مكة فرايتكم حسنة وجوهكم طيبة رايحتكم فاحببت ان اسمع حديثكم واقتبس
منكم خيرا فدخلت وان كرهتم مجلسي خرجت فقالوا هذا رجل من اهل نجد وليس من اهل تهامة لا باس
عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ عمرو بن هشام فقال اما انا فاري ان تاخذوا محمدا فتجعلوه في بيت تسدون
عليه بابه وتجعلون له كوة تدخلون عليه منها طعامه وشرابه فيكون محبوسا عندكم الى ان يموت فقال ابليس
لعنه الله بئس الراي ما رايت تعمدون الى رجل غيركم هو اهل بيته وقد سمع به من حولكم فتحبسونه وتطعمونه يوشك
ان يقاتلكم اهل بيته ويفسدوا عليكم جماعتكم فقالوا صدق والله الشيخ • ثم تكلم ابو البختري بن هشام
فقال الراي ان تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه ثم تخرجوه من ارضكم حتى يموت او يذهب حيث شاء قال
ابليس لعنه الله بئس الراي ما رايت تعمدون الى رجل افسد جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجوه الى غيركم
فياتيهم فيفسد ايضا منهم جماعة ويقبل اليكم فيكون فيه هلاككم قالوا صدق والله الشيخ فتكلم ابو جهل
فقال الراي ان نجمع من كل بطن منكم رجلا فتعطونهم السيوف فيضربونه جميعا ولا يدري قومه من ياخذون
وتودي قريش ديته فقال ابليس لعنه الله صدق والله الشاب وتفرقوا على ذلك واخبر الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم بمكرهم وامره بالهجرة الى المدينة فكان من امر الغار ما كان فذلك قوله عز وجل واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك اي ليحبسوك وهو ما قال عمرو بن هشام ويقال معنى ليثبتوك ليقيدوك
ليخرجوك كما يقال اثبته في الحبال اذا اوثقه • وقوله او يقتلوك ظاهر المراد وهو ما قال ابو جهل
وقوله او يخرجوك اي يخرجوك من بين اظهرهم الى غيرهم وهو ما قال ابو البختري بن هشام ويقال اراد
الاخراج الذي يفعل بمن استحق النفي عن بلده • وقوله عز وجل ويمكرون اي يريدون بك الشر والهلاك
ويمكر الله اي يريد قتلهم يوم بدر مجازاة لهم على فعلهم وسوء صنيعهم وقيل ان المكر هو تدبير المالك الاضرار
بالممكور به من حيث لا يشعر • قوله عز وجل والله خير الماكرين اي افضل الصانعين واقوى المدبرين

لانه لا يمكر الا بحق وصواب ومكرهم باطل وظلم واذا بلغ مكر بعض العباد بالحق فلن يبلغ مكره في النفع للمومنين
مبلغ مكره يقال فذلك قوله عز وجل والله خير الماكرين ه وهذه الرواية التي رويت عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما في هذه الاية ه قيل انها موافقة للقران الا ما فيها من حديث تصوير ابليس نفسه بصورة
شيخ كبير لان ابن عباس مع تقدمه في العلم لا يجوز ان يعتقد في ابليس انه كان يتمكن ان يجعل نفسه بصورة
شيخ ولا يجوز ان يعتقد ان الله عز وجل يجعله كذلك ليعين الكفار في المكر على الرسول واهلاكه فلعل
الذي دخل على الكفار في خلوتهم كان شيخا من شياطين الانس وجملة الكفار فظنوه ابليس ه ومن الناس
من قال تاويل هذه الرواية ان المعجزات تجوز ظهورها في زمان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين لنجاة النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك من جد فيعلم القوم صحة خبره فيومنوا به ه قوله عز وجل واذا
تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين روي عن
ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية في النضر بن الحرث بن علقمة كان بعض الصحابة ذات يوم جلوسا
وفيهم النضر بن الحرث بن علقمة فتهزا باية من كتاب الله عز وجل فانكر عليه عثمن بن مظعون وقال له ان
محمدا صلى الله عليه وسلم لا يقول الا حقا فاتق الله يا نضر فقال النضر وانا اقول حقا اقول لا اله الا الله الا
ان الملئكة بنات الله فنزل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فقال لهم النضر الا
ترون ان الله قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك بل كذبك فقطن له النضر فغضب وقال
اللهم ان كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فانزل الله عز وجل
سال سائل بعذاب واقع فقتل النضر يوم بدر صبرا لم يقتل من الاسارى يومئذ غيره وغير عقبة بن ابي معيط
قوله عز وجل قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا فانما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان
بمثل سورة منه بعد التحدي اما لشدة العداوة فان ذلك قد يحمل الانسان على ان يقول بخلاف ما يعلم او لانهم لم ينقطع
طمعهم عن القدرة على ذلك في المستقبل وان عجزوا عنه في الحال فان القران كان مركبا من كلمات جارية في
كلامهم وعلى السنتهم فطمعوا ان يتاتى لهم قول مثله وان عجزوا عنه في الحال ه وهذا يقال في صفة
القران انه سهل ممتنع وليس كصورة الفصاحة لان كل احد يعلم انه لا يقدر على فصاحته مع انه لما توهم قوم
قوم فرعون ان السحر يمكنهم ان ياتوا بمثل ذلك ولا يبعد عن جاهل ان يعتقد انه يمكنه الاتيان بمثل القران
مع عجزه عنه ه واما قوله عز وجل ان هذا الا اساطير الاولين فهذا قول النضر بن الحرث اراد
به ان الذي يخبركم محمد ما هو الا مثل ما احدثكم من احاديث الاولين وكان النضر كثير الحديث عن
الامم الخالية كان يحدث عن رستم واسفنديار وغيرهما والاساطير جمع الاسطور والاسطارة وسميت
اساطير لانها كتب سطرا بعد سطر وقيل اصلها اساطير فزيدت الياء كما يقال دراهيم ه قوله
عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او
ائتنا بعذاب اليم معناه واذكر يا محمد اذ قالوا اللهم وانت بين اظهرهم بمكة فلم يعذبهم الله حينئذ ثم
عذبهم الله من بعده ه وروي ان المقداد بن الاسود رضي الله عنه كان هو الذي اخذ النضر اسيرا فلما
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النضر فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقال عليه السلام انه كان يقول
في الله وفي رسوله ما يقول قال اسيري يا رسول الله فقال اللهم اغن المقداد من فضلك فقال هذا الذي اردت
قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه
الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون قال عبد الله بن عباس قال الحرث بن عامر بن نوفل يا محمد والله انك
فينا الصادق ولا نتهمك ولكنا متى نومن بك تغزونا العرب فنزل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي مقيما
بين اظهرهم ولم تعذب امة قط ونبيها بين اظهرها حتى يخرج منها وما كان الله معذبهم بان يسلط عليهم عدوهم

وهم

وهم يصلون ه قال مجاهد وقتاده والسدي لو استغفروا لم يعذبوا ويقال معنى وهم يستغفرون
اي يقولون غفرانك ربنا ه واما قوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم الله المراد به على ما روي عن ابن عباس
عذاب الاخرة دون عذاب الاولى الذي اريد به في قوله وما كان الله معذبهم من عذاب الاستيصال في
الدنيا ه وعن عبد الرحمن بن ابزى انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فنزل وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فنزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
الله عز وجل يوم بدر واذن النبي صلى الله عليه وكان من المسلمين بقية بمكة لم يهاجروا وكانوا يستغفرون
الله عز وجل ويصلون له فلما خرج الكفار من مكة الى حرب بدر نزل قوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم
الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي يمنعون المومنين عنه فعذبهم الله عز وجل يوم بدر واذن للنبي صلى الله
عليه وسلم في فتح مكة وقيل اراد بقوله وهم يستغفرون اي منهم من يوول امره الى الاسلام وفي اصلابهم
من يسلم واما قوله عز وجل وما كانوا اولياءه فمعناه وما كان الكفار اولياء المسجد الحرام قال الحسن
وذلك انهم كانوا يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله ذلك عليهم ه ونظيره قوله عز وجل
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ه وقيل معنى قوله وما كانوا اولياءه ما كانوا اولياء الله ه
وقوله عز وجل ان اولياؤه الا المتقون من الشرك ولكن اكثر الكفار لا يعلمون ذلك ه قوله عز و
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الاية مقت
للكفرين وبيان ان تقربهم الى الله عز وجل كان بالصفير والتصفيق كانوا يقولون ذلك عند البيت مكان
الدعاء والتسبيح ويقال كانوا ياتون بافعال الصلاة الا انهم مع ذلك يصفرون فيها ويصفقون والمكا طاير
ابيض يكون في الحجاز يصفر فسمي تصفيرهم باسمه يقال مكا يمكو اذا صفر وصدى يصدي تصدية اذا اصفق
بيده وقال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في المسجد قام رجلان من بني عبد الدار
عن يمينه ورجلان عن يساره فيصفرون كما يصفر المكا ويصفقون بايديهم ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم
صلاته وقراءته وكانوا يفعلون بصلاة من امن به فقتلهم الله ببدر ه وذلك قوله عز وجل فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ه وقال ارادوا بهذا انهم يقال لهم يوم القيمة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ه قوله
عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة ثم يغلبون قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في المطعمين منهم يوم بدر وكانوا اثنا
عشر رجلا لكل واحد منهم نوبة في الاطعام وهم ابو جهل ابن هشام واخوه الحرث بن هشام وعتبة وشيبة
ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف
الجمحي وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش ومعنى الاية
ان الذين جحدوا بالله وبرسوله ينفقون اموالهم قصدا على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس
عن دين الله فسيقع هذا الانفاق منهم ثم يكون انفاقهم ندامة عليهم يوم القيمة ثم يهزمون ويقتلون ببدر ولا تنفعهم
نفقتهم والحسرة ماخوذة من الكشف يقال حسر راسه اذا كشفه والحاسر كاشف الراس فيكون المعنى ثم
يكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم وفي الاية دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عز وجل اخبر
ان انفاقهم يكون بهم حسرة وانهم سيغلبون بعد تمامهم ووجد مخبر ذلك على ما اخبر في كفار قريش ه
قوله عز وجل والذين كفروا الى جهنم يحشرون فيه بيان ان ذلك القتل والهزيمة لا يكفر ان ه
وانهم يحشرون في الاخرة الى جهنم الجزاء ه قوله عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون معناه ليميز الله نفقة
المومنين من نفقة الكفرين والعمل الشيء من العمل الصالح ومن غل اليمين بنصب الياء مع التخفيف فهو من ماز
يميز ميزا اذا ميز وقوله عز وجل ويجعل الخبيث بعضه على بعض اي يجعل ما انفقه المشركون في معصية الله

عز وجل بعضه فوق بعض فيجعله ركاما فيكوى بذلك جباههم وجنوبهم في جهنم كما قال عز وجل في اية اخرى يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية ويقال المراد بقوله فيركمه طرح بعضه على بعض كما يفعل بالمتاع الخسيس تحقيرا له والقاء له في ذلك لان الكفار اذا ذكروا بمشاهدة اموالهم ما فرطوا فيه من حق الله عز وجل كان حسرتهم اعظم ويحتمل ان المراد بالخبيث الكفار والمراد بالطيب المومنون لان المقصود من الاية تمييز اهل الثواب والعقاب ، وقوله عز وجل اولئك هم الخاسرون اي هم الذين خسروا انفسهم في الدنيا والاخرة ، **قوله عز وجل** قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين ، معناه قل لهم ان ينتهوا عن الشرك وقتال المومنين يغفر لهم ما قد مضى من كفرهم وقتالهم وان يعودوا الى قتال محمد صلى الله عليه وسلم فقد مضت سنة الله بان ينصر انبياءه على الكفار بعذاب الكفار النار في الاخرة والسنة اسم لما يفعل ابدا على حد واحد ، **قوله عز وجل** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير معناه وقاتلوا كفار مكة حتى لا يكون شرك وقيل حتى لا يكون كافر بغير عهد لان الفتنة انما تكون بان يترك الكافر بلا عهد فان الكافر بغير عهد يكون عزيزا في نفسه يدعو الناس الى دينه والكافر بعهد لا يمكنه دعاء الناس الى دينه **وعن هذا قال محمد بن اسحق رحمه الله** في هذه الاية حتى لا يفتن مومن عن دينه ويجوز ان يكون المراد بالفتنة كل ما يؤدي الى الفساد لان الكفر انما سمي فتنة لما فيه من الفساد ، وقوله عز وجل ويكون الدين كله لله معناه ويكون الطاعة كلها لله فيجتمع الناس على دين الاسلام ، وقوله عز وجل فان انتهوا معناه ان انتهوا من الكفر فان الله عز وجل يجازيهم على الخير والشر باعمالهم ، وقوله عز وجل وان تولوا معناه ان يعرضوا عن طاعة الله سبحانه فاعلموا ان الله ناصركم نعم المولى الحافظ والمولى ونعم النصير ينصركم عليهم وهذا ترغيب في طلب النصرة من قبل الله عز وجل فانه هو المولى الحق وهو النصير لمن استنصره ، **قوله عز وجل** واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ، روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان خمس الغنيمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم الله ورسوله واحد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي منه المحتاج والضعيف ويجعل في عدة المسلمين من السلاح ونحوه وسهم لذوي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ليتامى المسلمين عامة وسهم لمساكين المسلمين وسهم لابن السبيل ، قال ثم قسمه ابو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك فعله عمر رضي الله عنه من بعده ثم عثمن ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين ، وبهذا اخذ علماؤنا رحمهم الله ، قالوا ان قوله لله خمسه لافتتاح الكلام باسم الله عز وجل على طريق التبرك به لا ان لله عز وجل نصيبا واحدا من الخمس فان الدنيا والاخرة كلها لله سبحانه ، قالوا وفي خبر ابن عباس رضي الله عنهما بيان ان سهم النبي صلى الله عليه وسلم كان له في حياته فسقط بوفاته لان الانبياء صلوات الله عليهم لا يورثون ، وسهم ذوي القربى كان الله جعل اليه صلى الله عليه وسلم ليعطي منه من شاء منهم الا ترى انه اعطى بني هاشم وبني المطلب وحرم بني نوفل وبني عبد شمس مع مساواتهم بني المطلب في القرابة ، والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في حديث عثمن بن عفان وجبير بن مطعم [illegible] لا ننكر فضل بني هاشم لمكانك فيهم ولكنا وبني المطلب كهاتين واشار باصبعين فلم اعطيتهم وحرمتنا فقال انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام ، واذا بطل هذان السهمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم رجعنا الى السهام الثلثة ذكرت معهما في القسمة فيقسم الخمس على ثلثة اسهم يدخل في استحقاقه فقراء بني هاشم دون اغنيائهم بدلا عما حرموا من الصدقات ، ومن اصحابنا من قال يقسم الان الخمس كما كان الخمس على اربعة اسهم فيفرد سهم

من الخمس لفقراء قرابة النبي صلى الله عليه وسلم **كما روي عن** عبد الله بن عباس انه كتب الى نجدة الحروري في سهم ذوي القربى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يزوج منه ايمنا ويقضي دين مغرمنا فابينا الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا ، واما اليتامى فهو جمع اليتيم وهو الصغير الذي لا اب له واليتيم من كل جنس من الحيوان الذي ماتت امه الا من بني ادم فانه الذي لا اب له ، والمسكين الذي اسكنه الضعف عن النهوض لحاجته ، وابن السبيل المحتاج المنقطع عن ماله واضيف الى السبيل لانقطاعه الى السبيل كانقطاع الانسان الى ابيه ، واربعة اخماس الغنيمة للغانمين بظاهر قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى لمن الاربعة الاخماس فقال هو لكم واشار الى الغانمين ، وفي رواية علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ان الخمس يقسم على اربعة اسهم سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى كان واحدا ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياخذ من الخمس شيئا ، **وذهب** بعض الناس الى ان الخمس كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ستة اسهم سهم الله عز وجل كان يصرف في وجوه القرب كلها وسهم الرسول كان يصرفه فيمن شاء ولكل فريق من الفرق الاربعة سهم ، وكان ابو العالية يقول يصرف سهم الى الكعبة وهذا لا يصح لانه لو كان كذلك لثبت به النقل مستفيضا ولكانت الخلفاء الاربعة اولى ان يصرف سهما منها الى الكعبة او الى وجوه القرب فلما لم يفعلوا ثبت ان معنى قوله عز وجل لله خمسه ان الخمس كله مصروف في وجوه القرب الى الله عز وجل ثم بين تلك الوجوه فقال وللرسول ولذي القربى الى اخر ما ذكره ، **واما دخول الواو** في قوله وللرسول فقد يدخل الواو في الكلام ويراد به الغاء كما قال عز وجل ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين معناه اتيناهما الفرقان ضياء ، قال الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام ، وليث الكتيبة في المزدحم

وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الخمس يقسم الان على خمسة اسهم سهم منها وهو سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف فيما [illegible] الاهم فالاهم من مصالح المسلمين ، **ومن اصحابه** من يقول يصرف ذلك الى الخليفة وسهم اخر لذوي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لاغنيائهم وفقرائهم وثلثة اسهم الفقراء والمساكين وابن السبيل ، وذهب بعض الناس الى ان سهم ذوي القربى يصرف الى قرابة الخليفة وهو قول بعيد ، وقال مالك رحمه الله يجوز صرف الخمس عن هولاء المذكورين في الاية الى غيرهم وانما ذكرهم الله عز وجل لبيان انهم اولى من غيرهم اذا احتاجوا اليه ، **وهذا** كقوله جل ذكره يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ، واما قوله عز وجل ان كنتم امنتم بالله فمعناه واعلموا واقبلوا ما امرتم به في الغنيمة ان كنتم صدقتم بتوحيد الله عز وجل وصدقتم بما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى الوعيد على العدول عن هذه القسمة التي في الاية لئلا يقول احد من الغانمين اذا انصرف من حملها على خفي ، وهذا كما قال عز وجل في اول هذه السورة فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين ، وقوله عز وجل يوم الفرقان فهو يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المومنين وكبت الكافرين مع ضعف المسلمين وقلتهم ، وقوله عز وجل يوم التقى الجمعان معناه يوم التقى جمع المومنين والكافرين ، وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير معناه ان الله قادر على كل شيء من نصر المومنين وغيره وضع كل شيء موضعه ، **قوله عز وجل** اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه واذ كنتم يا اصحاب محمد اذ انتم بالعدوة الدنيا منكم اي بشفير الوادي الذي يلي المدينة يقال لشفير الوادي عدوة وعدوة ، وهم بالعدوة القصوى يعني المشركين بالجانب الاخر من الوادي على شفير الابعد من المدينة وهو الجانب الذي يلي مكة ، وقوله عز وجل والركب اسفل منكم معناه والعير قافلة من الشام التي كان ابو سفيان فيها كانت اسفل منكم بثلثة اميال كانوا نازلين اسفل الوادي على شط البحر ، وقوله تعالى

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه الله عز وجل جمعكم مع المشركين فقاتلوكم والذين هم اصحاب
العير في ليلة واحدة بمنزل واحد ولو تواعدتم للاجتماع هناك لاختلفتم في الميعاد بالعوائق التي تعوق
عن ذلك وبانكم لو علمتم كنتم تعلمون كثرة عدد المشركين وقلة عددكم لم تحضروا في ذلك
المكان للقتال ه وقوله عز وجل ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه ولكن قدر الله اجتماعكم
في ذلك المكان للقتال ه وقوله عز وجل ولكن ليقضي الله امرا كائنا لا محالة من اعزاز الاسلام واعلائه
على سائر الاديان يقال للامر الكائن لا محالة هذا امر مفعول وهذا امر مفروغ منه ه ه قوله
عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم معناه ليموت
من مات منهم بعد قيام الحجة عليهم ويعيش من عاش بعد قيام الحجة عليهم وقوله تعالى وان الله لسميع
عليم معناه سميع لما قالتكم عليم بضمائركم فيجازيكم على قدر اعمالكم قوله عز وجل
اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه
عليم بذات الصدور قال عبد الله بن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى العدو في
المنام قليلا فقص رؤياه على اصحابه فلما التقا ايد قللهم الله عز وجل للمشركين في اعين المؤمنين تصديقا
لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى التقليل في الرؤيا ان تخطر ببال النائم ما يدعوا الى الطرف الاقتصاد
الذي تحدث له فيصير ذلك داعيه الى الخير والطاعة والرؤيا في المنام تصور تتوهم معه الرؤية في اليقظة ه
والرؤيا على اربعة اوجه رؤيا من الله عز وجل على وجه الالهام ولها تاويل ه ورؤيا من وسواس الشيطان
ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام الا الرؤيا التي من قبل الله وعن
الحسن ان معنى قوله عز وجل في منامك قليلا في عينك التي تنام بها ه وقيل ان تقديرها على هذا التاويل
اذ يريكهم الله في موضع منامك اي في عينك فحذف الموضع واقام المنام مقامه وقوله عز وجل ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي جبنتم وتاخرتم من الضعف ولاختلفتم في امر الحرب ه والفشل هو الضعف مع الوجل ه والتنازع
ان يريد كل واحد من الاثنين ان ينزع صاحبه عما هو عليه وقوله عز وجل ولكن الله سلم معناه ولكن
الله سلمكم من ذلك انه عليم بذات الصدور اي عالم بما في قلوبكم علم انكم لو علمتم كثرة عدد المشركين
لرغبتم عن القتال ه قوله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم
في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور وذلك ان الله عز وجل قلل المشركين
في اعين المسلمين ليجترئ المسلمون على قتالهم وقلل المسلمين في اعين المشركين كي لا يستعد المشركون لحربهم
كل الاستعداد ولا تتوفر دواعيهم الى ذلك وانما فعل ذلك ببعض الاسباب المانعة عن الرؤية فمنعهم
عن رؤية بعضهم اما بغبار او نحوه حتى روي عن ابن مسعود انه قال قلت لرجل بجنبي
اتراهم سبعين رجلا فقال اراهم قريبا من مائة فلما اسرنا رجلا منهم سالناه عن عددهم فقال كنا الفا
او تسعمائة وخمسين وقوله عز وجل ليقضي الله امرا كان مفعولا قد سبق تفسيره ه والفائدة في
اعادته ان المراد بالاول اعلاء الاسلام على سائر الاديان ه والمراد بالثاني قتل المشركين واسرهم يوم
بدر وكلاهما كائنا في علم الله عز وجل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون هذا تحريض من الله عز وجل للمؤمنين على قتال الكفار معناه اذا لقيتم
جماعة من الكفار فاثبتوا لقتالهم واذكروا الله كثيرا في الحرب بالدعاء والاستغفار لكي تفلحوا
بالظفر على الاعداء قوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين معناه واطيعوا الله والرسول في الثبات على القتال ولا
تختلفوا فيما بينكم من لقاء العدو والتقدم الى قتالهم فتجبنوا عن عدوكم وتذهب ريحكم ه قال قتادة
هي ريح النصر التي يبعثها الله عز وجل مع من ينصره على من يخذله كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ه ويقال ومعنى وتذهب اي دولتكم وقوتكم
تقول العرب ذهب ريح بني فلان وفلان كما تجري امره في السعادة على الريح سكنت ريحه وقوله
عز وجل واصبروا معناه اصبروا على قتال المشركين ولا تولوهم الادبار ان الله معين الصابرين ه
معناه واطيعوا الله والرسول في الثبات على القتال ولا تختلفوا فيما بينكم في لقاء العدو والتقدم الى
قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون
عن سبيل الله والله بما يعملون محيط معناه قاتلوا لوجه الله عز وجل ولا تكونوا في خروجكم
الى قتال المشركين كالمشركين الذين خرجوا من ديارهم الى قتال المسلمين بطرا وهو الطغيان في النعمة
ورئاء الناس يقول سمعة للناس والرئاء اظهار الجميل مع ابطان القبيح ه وقوله عز وجل ويصدون عن سبيل
الله اي هم مع بطرهم ورئائهم يمنعون الناس عن دين الله قال عبد الله بن عباس وذلك ان بعض
المشركين قالوا لابي جهل بن هشام واصحابه فيلتين ولهم بدنا انصرفوا الى مكة فقد نجت العير
فقالوا لا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتغني القينات حتى تسمع العرب بمسيرنا فنزلوا ببدر ومعهم
القينات يضربن بالدفوف ويتغنين بهجاء المسلمين واما قوله عز وجل والله بما يعملون محيط معناه
الاحاطة بالعلم والاقتدار وبالله التوفيق ه قوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب معناه واذكروا
اذ زين لهم الشيطان اعمالهم يوم بدر وقال لا غالب لكم اليوم من احد من الناس لمنعتكم وكثرتكم
واني دافع عنكم السوء وهذا كقوله عز وجل وهو يجير ولا يجار عليه اي هو الذي يعقد على
غيره عقد دفع السوء ولا يعقد احد على احد دفع ما يريد الله عز وجل من انزال السوء به عنه وقوله
عز وجل فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لما توافقتا حتى رات كل واحدة منهما الاخرى رجع الشيطان
القهقرى على عقبيه هاربا خوفا مما راى وقال للمشركين اني بريء منكم اني ارى الملائكة تنزل من السماء
وانتم لا ترونه وكان يعرف الملائكة وكانوا يعرفونه وقوله عز وجل اني اخاف معناه قال اني اخاف
من الله عز وجل ان يصيبني معكم بعذابه والله شديد العقاب لمن استحق العقاب ه قال مقاتل
كذب عدو الله والله ما كان به من خوف من الله عز وجل كان الله عز وجل قد انظره الى يوم الوقت
المعلوم ولكنه خذلهم عند الشدة ويقال ظن ابليس ان الوقت الذي انظره الله عز وجل قد حضر
فان الله عز وجل انما انظره الى يوم الوقت المعلوم من دون ان يبين له ذلك الوقت وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال لم يخف الخبيث على نفسه القتل والضرب ولكنه خاف ان ياخذ جبريل
عليه السلام اسيرا فيعرفه الناس ولا يطيعونه فان قيل على اي وجه قال لهم ابليس ذلك قيل ذكر
الحسن رضي الله عنه ان ابليس لم يتصور في صورة الانسان وانما القى لهم ذلك على جهة الوسوسة
والاشهر في هذه القصة ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة لما وجدوا من
العير وارادوا الرجوع الى مكة فتمثل لهم ابليس في صورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن جعشم
من كنانة فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل ولا غالب لكم اليوم من
الناس واني معين لكم من بني كنانة لا تمرون باحد من بني كنانة الا سار معكم فانهم لا يخالفوني
فساروا وسار ابليس معهم ولم يخرج احد من بني كنانة فجعلوا يقولون يا سراقة اين ما ضمنت لنا
فيقول غدوني حتى قدموا بدرا فلما كان عند القتال وصافوا المسلمين ابصر جبريل عليه السلام فنكص على
عقبيه راجعا فقال الحرث بن هشام يا سراقة اين تذهب فقال اني ارى ما لا ترون فقال الحرث اوما
ترى الا جعاشيش اهل يثرب والجعشوش الرجل القصير الحقير فلما رأى الحرث ابليس ينطلق اهوى بيده

لما خنه فدفعه ابليس فرمي به ثم نكص على عقبيه وهو يقول اني اخاف الله والله شديد العقاب قال فلما
انهزم المشركون جعلوا يقولون هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة من قولهم فقدم عليهم فقال
بلغني انكم تقولون اني انهزمت بالناس والذي تحلف به ما بلغني ولا سمعت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم
فجعلوا يقولون له اما اتيتنا يوم كذا وكذا وهو يقول لا والذي تحلف به ما كان من ذا قليل ولا كثير فلما
اسلموا عرفوا انه انما كان الشيطان ه فان قيل كيف يجوز ان يتمكن ابليس من ان يخلع صورة
نفسه ويلبس صورة سراقة ولو كان قادرا على ان يجعل نفسه في مثل صورة انسان لكان قادرا على ان
يجعل انسانا قيل اذا صحت هذه الرواية فالجواب ان الله عز وجل خلق ابليس في صورة سراقة والله
عز وجل قادر على خلق انسان في مثل صورة سراقة ابتداء فكان قادرا على ان يصير ابليس في مثل صورة
سراقة فان قيل لماذا جعل الله عز وجل في صورة سراقة وابليس جر المشركين على قتال المسلمين
يومئذ قيل فيه قولان احدهما ان الله تعالى جعله صورة في مثل صورة سراقة لكي اذا جاء ابليس ودعا
المشركين الى قتال النبي صلى الله عليه وسلم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان ذلك ابليس وانه سيخذلهم
ويرجع عنهم عند نزول الملائكة ه ولو اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك من دون ان كانوا يرون
ابليس لم يكونوا يعلمون ذلك من طريق المشاهدة وانما كانوا يعلمونه غيبا ه فصور الله عز وجل ابليس
صورة سراقة حتى كان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ووقوع مخبره على ما اخبر احدى معجزات النبي صلى
الله عليه وسلم واما ادعا ابليس لهم الى قتال المسلمين فقد كان يفعل ذلك على عادته ه والقول
الثاني انه يحتمل انه كان في ذلك مصلحة للمسلمين من حيث ان الكفار اطمانوا بقول ابليس اني جار لكم
لا غالب لكم فدعاهم ذلك الى الخروج الى حرب المسلمين والى ان يكونوا اول مستعد لقتالهم حتى غلبهم المسلمون
وقتلوهم وكان ذلك تنبيها للكفار انه لا يغتروا بعد ذلك بمن يظهر من القول ما يكون ترغيبا في الحرب
وايهاما للغلبة وصار ذلك سببا لبعضهم للاسلام بعضهم حين علموا ان سراقة لم يكن حاضرا في ذلك الحرب
قوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن
يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم تقدير الآية واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون
ولذلك لم ينقل واذ تقول المنافقون واما قوله عز وجل والذين في قلوبهم مرض قال الحسن هم
المشركون ويقال اناس كانوا تكلموا بكلمة الايمان حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة من
دون علم منهم بامر النبي صلى الله عليه وسلم فيكون معنى قوله عز وجل والذين في قلوبهم مرض
شك في ذلك وهم الذين لا عزيمة لهم في الكفر ولا في الاسلام ولم يكونوا اعداء النبي صلى الله عليه وسلم
والمنافقون وهم الذين ابطنوا الكفر واظهروا الاسلام واما قوله عز وجل غر هؤلاء دينهم قال ابن
عباس لما نفر المشركون من مكة الى بدر ولم يتخلف احد بمكة قد احتلم الا اخرجوه واخرجوا معه ناسا كانوا
تكلموا بالاسلام بمكة فلما التقوا ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفرين ارتابوا ونافقوا وقالوا لاهل
مكة غر هؤلاء دينهم حين خرجوا مع قلتهم الى قتال المشركين مع كثرتهم فقتل هؤلاء مع المشركين يومئذ
وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم كما ذكر الله عز وجل في بعد هذه الآية ه واما قوله عز وجل
ومن يتوكل على الله معناه من يثق بالله تعالى في جميع امره فان الله عزيز حكيم ينصره على عدوه
وان كثر عدوه حكيم يضع الامور مواضعها ه قوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق معناه ولو ترى يا محمد حين
تقبض الملائكة ارواح الكفار ببدر يضربون على وجوههم بالاعمدة وعلى ادبارهم ويقولون لهم ذوقوا
بعد السيف في الدنيا عذاب الحريق في الآخرة والحريق تفريق الاجسام الكثيفة في النار العظيمة وجواب
لو محذوف في هذه الآية لان في الآية دليلا عليه وهذه الآية تدل على ان الملائكة قاتلت يوم بدر وفي

الخبر ما يدل على ذلك وهو ما روي عن مجاهد ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اردت ان
اقتل رجلا يوم بدر فاسقط راسه بين يدي فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك اليه الملك ه قوله
عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد معناه ذلك العذاب الذي
عاينتموه بكفركم وخيانتكم والخيانة اذا اضيفت الى الانسان اكدت بذكر اليد في العادة كما
يقال هذا بما جنت يداك وان كان انما فعل المعصية تلك بالفرج او باللسان وقوله عز وجل وان
الله ليس بظلام للعبيد معناه واعلموا ان الله عز وجل لا يعذب احدا بغير جرم احد منهم وكان الحسن
رضي الله عنه اذا قرا هذه السورة قال طوبى لجيش قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبارزهم اسد
الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله تعالى قوله عز وجل
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي
شديد العقاب معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بالآيات
التي اتتهم بها الرسل فعاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوي في اخذ الاعداء شديد العقاب لمن عصاه والداب
في اللغة العادة يقال فلان يداب في كذا وكذا اي يداوم عليه ويتعب نفسه فيه والآل الرجل الذين
يرجعون اليه باوكد الاسباب ولهذا يقال لقرابة الرجل آل الرجل ولا يقال لاصحابه آله ه قوله
عز وجل ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وان الله سميع عليم معناه ذلك العقاب بهم بان الله عز وجل لم يك مزيلا نعمة عن قوم بنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم في الدين والنعم التي لا يحتاجون ان يتبعوا اليها كما فعل اهل مكة بعد ان
اطعمهم الله من جوع وامنهم من خوف وبعث اليهم رسولا منهم وانزل عليهم كتابا بلسانهم ثم انهم غيروا
هذه النعمة ولم يشكروها ولا عرفوا ما من الله عز وجل عليهم فعجل الله عليهم عز وجل ما بهم واهلكهم
او عاقبهم ببدر وبخلهم النار في الآخرة وقد يسلب الله عز وجل النعمة على جهة المصلحة ولكن لا يسلبها
بفعل النقمة الا عمن يستحق العقاب وقوله عز وجل وان الله سميع عليم معناه سميع لجميع المسموعات
عليم بمصالحكم قوله عز وجل كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين معناه
ان الكفر بايات الله عز وجل كعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الامم الماضية كذبوا بايات
الله التي جاءت بها رسلهم فعاقبناهم بذنوبهم واهلكنا آل فرعون بالغرق خاصة وكلهم كانوا
ظالمين لانفسهم مستحقين للعقوبة بسوء فعلهم فان قيل ما الحكمة في تكرار كداب آل فرعون
فالجواب عنه انه يحتمل ان المراد بالاول ما حل بهؤلاء من الله عز وجل الاسر والقتل كما
جوزي اولئك بالغرق والاهلاك والمراد بالثاني ان صنع هؤلاء في النعم التي انعم الله عز وجل عليهم كصنع
آل فرعون فيما اعطاهم الله عز وجل من الملك والعز في الدنيا فلما غيروا كفروا نعم الله
عز وجل عليهم غير الله سبحانه ما بهم وكانت آل فرعون على احوال مختلفة في المعصية [illegible]
عز وجل [illegible] كداب آل فرعون [illegible] في الاحوال [illegible] قوله
عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون معناه اي شر ما دب على الارض
في علم الله وحكمه الذين جحدوا توحيد الله عز وجل ونبوة رسله عليهم السلام مصرين على الكفر
لا تصديق لهم قوله عز وجل الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
وهم لا يتقون قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في بني قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ان لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوا فنقضوا العهد واعانوا اهل مكة بالسلاح على قتال
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم مرة اخرى فركب كعب بن الاشرف الى اهل مكة

يعقب بعضهم بعضا [illegible]

الدواب

[illegible]

وانقضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي قوله عز وجل ثم ينقضون عهدهم بيان ان ذلك عادتهم ومعنى لا يتقون لا يخافون عقاب الله عز وجل في نقض العهد • قوله عز وجل فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون معناه واما تصادفنهم في الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والعقوبة والتنكيل تفرق بهم من خلفهم وراءهم من اعدائك • والتشريد التبديد والتفريق ويقال معنى شرد بهم اسمع بهم بلغة قريش • وقوله عز وجل لعلهم يذكرون • معناه لكي يتذكروا ولا ينقضوا العهد الذي بينك وبينهم مخافة ان يحل بهم ما حل ببني قريظة • قوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين معناه اذا خفت من قوم بينك وبينهم عهد خيانة في ذلك العهد من غدر وايقاع بالمسلمين في الخفية من غير ان يظهروا نقض العهد فانبذ اليهم العهد على سواء بينك وبينهم في العلم ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم اعلاما بينا بانك نقضت العهد ويقال معنى على سواء على عدل بان ترد المال عليهم ان كان في العهد ما يقتضيه ثم تنقض العهد • وقوله عز وجل ان الله لا يحب الخائنين اي لا يرضى عمل الذين يخونون بالبداية بالقتال من غير اعلام بنقض العهد • وقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة بعد الهدنة من غير ان ينبذ اليهم لانهم كانوا اعانوا بني كنانة على خزاعة وكانت خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك جاء ابو سفيان الى المدينة يسال النبي صلى الله عليه وسلم تجديد العهد بينه وبين قريش فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك ولهذا لم يحتج الى نبذ العهد • قوله عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون معناه ولا تظنن يا محمد ان من افلت من الكفار من هذه الحرب قد سبق الى الحيوة • ويقال لا تحسبن يا محمد ان اعداءك من المشركين ربما يفوتونك بان لا يظفرك الله عليهم بل الله عز وجل يظفرك عليهم • ومن قرا لا يحسبن بالياء فمعناه لا يظنن هو ان مات منهم فقد فات من الله سبحانه وان الله عز وجل لا يبعثه يوم القيمة ولا يعاقبه • وفي حرف ابن مسعود انهم سبقوا ويجوز حذف ان في هذه المواضع يقال حسبت ان اقوم وحسبت اقوم بمعنى واحد • واما قوله عز وجل انهم لا يعجزون من قرا انهم بالكسر فمعناه انهم لا يعجزون الله عز وجل من عقوبتهم ويقال لا يعجزونك اي لا يجدونك عاجزا • ومن قرا انهم بالنصب فعلى معنى لانهم ويجوز ان تكون لا لغوا المعنى لا تحسبن انهم يعجزون ويجوز لا يعجزون بكسر النون على معنى يعجزونني فحذف النون الاولى لاجتماع النونين • قوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون معناه واعدوا للكفار ما استطعتم من الات الحرب • روي عن ابن عباس وعقبة بن عامر انهما قالا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر واعدوا لهم الاية ثم قال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي لهو المؤمن في الخلاء رفوته عند الله ومات عقبة فاوصى بتسعين قوسا مع كل قوس قرنها وسهامها في سبيل الله • قال عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يدخل الثلثة الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعته الخير والمهدي له والرامي به • قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وكل شيء يلهو به الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه او تاديبه فرسه وملاعبته اهله فانهن من الحق • واما قوله عز وجل ومن رباط الخيل فمعناه وارتبطوا الخيل لهم ولقتالهم • وقوله عز وجل ترهبون به معناه واعدوا لهم ذلك لكي تخيفوا عدو الله وعدوكم والرهبة الخوف • وقوله عز وجل واخرين من دونهم معناه وترهبون به اخرين من دون كفار العرب واهل الكتاب لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم واعدوا لهم القوة من

الخيل

الخيل والسلاح وقد اختلفوا في هولاء قال ابن عباس المراد بقوله عز وجل واخرين من دونهم كفار الجن اعداء المؤمنين قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرب صاحب فرس جني ابدا ويقال ان الجن لا تدخل بيتا فيه قوس ولا سلاح وقال السدي اراد بقوله واخرين اهل فارس وقال الحسن والفقهاء هم الشياطين ولا يمتنع ان يكون الكل مرادا بالاية • واما قوله عز وجل وما تنفقوا من شيء في سبيل الله فمعناه وما تنفقوا من شيء من الجهاد يوف اليكم ثوابه ولا ينقص شيء من حقكم • قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم راجع الى قوله عز وجل واما تثقفنهم في الحرب ومعناه ان مالت يهود بني قريظة الى الصلح فمل اليه والسلم والسلم بالخفض والنصب وانما قال فاجنح لها لان السلم والمسالمة بمعنى واحد فرد الكناية الى المعنى • وقوله عز وجل وتوكل على الله معناه ثق بالله عز وجل ان ينقضوا العهد انه هو السميع لمقالتكم العليم بما تفعلون • وقيل ان هذا كان في ابتداء الاسلام كان تجوز المهادنة من غير جزية تؤخذ من الكفار حين لم يكن بالمسلمين قوة للقتال ولم يكن لهم فئة ينصرونهم فاما الان فلا يجوز الصلح على ترك القتال والاظهر انه انما اختلفت الايات لاختلاف الحالتين واذا كان في الثغور من المسلمين قوم لا يمكنهم مقاومة الكفار ولم يكونوا على ثقة ان يلحقهم مدد من المسلمين جاز لهم ان يصالحوا الكفار على ترك القتال الى ان يتقوى المسلمون او تقووا او راوا المصلحة في القتال نبذوا اليهم الصلح وقاتلوهم • ومتى كان والعياذ بالله في اهل الثغور من الضعف ما لا يمكنهم دفع العدو عن انفسهم الا بمال يبذلونه لهم كان لهم ان يفعلوا ذلك • كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صالح عيينة بن حصن وغيره من الكفار عن نصف ثمار المدينة في حرب الانصار فاستشار رسول الله الانصار فقالوا يا رسول الله هذا امر امرك به الله ام الراي والمكيدة قال بل راي فاني رايت العرب كلهم رمتكم عن قوس واحدة فدفعتهم عنكم الى يوم ما فقال السعدان سعد بن عبادة وسعد بن معاذ والله يا رسول الله انهم كانوا لا يطمعون فينا الا قرا او شرا ونحن كفار فكيف وقد اعزنا الله بالاسلام لا نعطيهم الا السيف فهذا الخبر يبين ان الصلح يختلف باختلاف احوال المسلمين فاذا لم يكن في الثغور قوم من المسلمين يقاومون الكفار كان فرضا على كل واحد من المسلمين ان يخرج الى الجهاد فاذا خرج جماعة يمكنهم مقاومة العدو سقط فرض الجهاد عن الباقين • قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم معناه ان يريد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك باظهار الصلح لتكف عنهم الى ان يتقووا بغيرهم فان الله عز وجل كافيك في حربهم وقتالهم هو الذي ايدك اي قواك يوم بدر بنصره وقواك بالمؤمنين وهم الاوس والخزرج • وقوله عز وجل والف بين قلوبهم معناه جمعهم على المودة والايمان بما لطف لهم بعد العداوة التي كانت بين القبيلتين في الجاهلية كان اذا لطم الرجل من القبيلة لطمة قاتل اهل قبيلته عنه حتى يدركوا ثاره • وقوله عز وجل لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم معناه لو انفقت جميع ما في الارض ما قدرت على جمع قلوبهم على الالفة ولكن الله عز وجل لطف بهم حتى ائتلف قلوبهم انه عزيز حكيم في ملكه وسلطانه لا يقدر احد ان يغلبه او يمنعه عن مراده حكيم يضع الامور مواضعها • قوله عز وجل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روي ان هذه الاية نزلت في البيداء في غزاة بدر قبل القتال ومعناها يا ايها النبي كافيك الله بالقوة والنصر ويكفيك من اتبعك من المؤمنين فيجوز ان يكون في موضع من اتبعك نصبا على موضع الكاف على معنى ان قوله عز وجل من اتبعك عطف على الكاف في قوله عز وجل حسبك الله كانه قال يكفيك الله فهو يكفي من اتبعك من المؤمنين

قوله عز وجل يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون **معناه**
يا ايها النبي رغب المومنين في القتال والتحريض الترغيب في الشي بما يدعو اليه نحو وعده الثواب على القتال والشفقة عليه ٥ وذهب الزجاج الى ان التحريض في اللغة ان تحث الانسان على الشي حتى يعلم انه متى حاض فيه والحارض الذي قارب الهلاك ٥ وقوله عز وجل حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين معناه حتى يذهب عنك فتقارب الهلاك **واما قوله** عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون فهو وعد من الله عز وجل ان تقوى واحد من المسلمين المستبصرين في الدين على عشرة من الكفار وتقوي مائة صابرة محتسبة على الف من الكفار ٥ **وقوله عز وجل** ذلك بانهم قوم لا يفقهون معناه ٥ ذلك النصر من الله عز وجل لكم على الكفار ٥ وخذلان الكفار بانكم تفقهون امر الله سبحانه وتصدقونه فيما وعد من الثواب والكفار لا يفقهون ذلك ولا يصدقون ٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث المومنين على ان يقاتل الرجل منهم العشرة من الكفار والمائة منهم الالف من الكفار كما امرهم الله عز وجل فبعث عليه السلام حمزة بن عبد المطلب في ثلثين راكبا الى قوم يقاتلونهم وذلك قبل بدر فلقيهم ابو جهل بن هشام في ثلثمائة راكب فارادوا قتالهم فمنعهم جهينة لانهم كانوا احلافا لا نصار وانصرف ابو جهل واصحابه ولم يكن بينهم قتال فلما امر الله عز وجل المسلمين بقتال الكفار ببدر وكان فرض القتال على المسلمين كما ذكره الله عز وجل في هذه الاية شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة فانزل الله عز وجل **قوله** الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين **معناه** الان هون الله عليكم القتال الذي افترضه عليكم والان عبارة عن الوقت والتوقيت انما يرجع الى التخفيف في التكليف في امر الجهاد دون العلم فان علم الله عز وجل لا يختص بوقت دون وقت ٥ فصار تقدير الاية الان خفف الله عنكم من امر الجهاد وعلم في الازل ان فيكم ضعفا في النصرة في امر الدين ولو لم يخفف عنكم ما افترضه عليكم لا طقتم واطعتم ولكن سهل الامر عليكم لتعرفوا فتشكروا والضعف والضعف لغتان كالمكث والمكث ولا يجوز ان يكون المراد بالضعف ضعف البدن فان الذين اسلموا في الابتدا لم يكونوا كلهم اقويا في البدن بل كان فيهم القوي والضعيف مثل سلمان وبلال وغيرهما ولكن كانوا اقويا في البصيرة ثم اسلم بعد ذلك كثير ممن كان ضعيفا في البصيرة وكانوا مختلطين بالاولين ومن قرا ان فيكم ضعفا فمعناه عجزا عن ما فرض الله عليكم من السموح والضعاف ٥ **وقوله عز وجل** فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين امر الله عز وجل بان الواحد يثبت للاثنين وضمن منه النصرة له عليهما وانما لم يامر من كان قويا في البصيرة ان يثبت لعشرة ومن كان ضعيفا في البصيرة ان يثبت لاثنين لوجهين احدهما انهم كانوا يشهدون القتال مختلطين وكان لا يمكن التمييز بينهم في ذلك ٥ والثاني ان التمييز في هذا لا يمكن الا بالنص على من يكون قويا في البصيرة فيومر بالثبات لعشرة وعلى من يكون ضعيفا بالبصيرة فيومر بالثبات لاثنين وهكذا اذا لعله كان فيه ايحاش من يكون ضعيف البصيرة **وقوله عز وجل** باذن الله معناه بامره واطلاقه **وقوله عز وجل** والله مع الصابرين معناه والله اعلم معين الصابرين ٥ وحقيقة المعية معونة الله مع الصابرين لانه عبر عن ذلك بحرف مع تفخيما لامر المعونة وهاتان الايتان وان كانتا مقترنتين في المصحف فانهما وردتا في وقتين مختلفين على ما تقدم ذكره لان الناسخ لا يرد مقرونا بالمنسوخ وانما يرد بعده في الاية دليل ان النسخ قد يكون بامر اخف من الاول خلاف ما يقوله بعضهم ان النسخ لا يكون بامر اخف من الاول ٥ **وعن عطا** عن عبد الله بن عباس انه قال من فر من رجلين فقد فر ومن فر من ثلثة لم يفر وبالنقص بالبصر ما نقص من العدة والادب بالفرار المذكور انما اذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة

مثل لكل واحد من الرجلين الكافرين كان فارا فاذا لم يكن له ان يثبت حكم الفرار والله اعلم ٥
قوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال وذلك انه لما كان يوم بدر تعجل ناس من المسلمين واصابوا من الغنايم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يحل الغنايم لقوم سود الروس قبلكم كان النبي واصحابه اذا غنموا جمعوا غنايمهم فتنزل نار من السما فتاكلها وكانوا لا ياخذون الاموال فتاتي عليهم النار من ذهب او فضة او متاع او حديد او صفر او حلوه في النار حتى يزول عنه خبثه ثم اخذوا بعد ذلك ما يخرج من النار فاحل الله الغنايم كلها لهذه الامة **كما روي عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطها احد قبلي بعثت الى الاحمر والاسود وانما كان النبي عليه السلام يبعث الى قومه خاصة ونصرت بالرعب حتى ان عدوي ليخافني على مسيرة شهر واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلوة تيممت وصليت وما من نبي الا وقد تعجل دعوته وادخرت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة ٥ **ومعنى** الاية والله اعلم ما كان لنبي ان يكون له اسرى من المشركين فيفديهم او يمن عليهم ولكن السيف حتى يتمكن في الارض بالقتل فيقتل منهم قتلا ذريعا ليرتدع من وراهم والاثخان في كل شي قوة الشي وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه ٥ وكذلك اثخنه الجراح **وقوله عز وجل** تريدون عرض الدنيا خطاب للذين اسرعوا الى اخذ الغنايم وشغلوا انفسهم بذلك عن القتال معناه تريدون بالقتال المال وسماه عرضا لقلة لبثه **وقوله عز وجل** والله يريد الاخرة معناه والله يريد منكم العمل بما تستحقون به ثواب الاخرة والله تعالى عزيز منيع في سلطانه حكيم في امره وقضايه فاعلموا انما امركم به ٥ **قوله عز وجل** لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم **معناه** لولا حكم من الله سبق باباحة الغنايم لمسكم فيما استبحتم قبل الاثخان عذاب عظيم ويقال معناه لولا كتاب من الله سبق في اهل بدر ان يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تاخر ويقال معناه لولا حكم الله عز وجل في اللوح المحفوظ وفي القران انه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون لاصابتكم عقوبة عظيمة **وعن** عبد الله بن عباس انه قال في هذه الاية وذلك انه لما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين من المشركين واسروا سبعين فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في امر الاسارى فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هم قومك فان تقتلهم يدخلوا النار ولكن فادهم فيكون الذي تاخذ منهم قوة للمسلمين ولعل الله عز وجل يقلب قلوبهم وقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما اعلم قوما كانوا اشر لنبيهم منهم فاقتلهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم براي ابي بكر ثم ضرب لهم مثلا فقال مثل ابي بكر مثل ابرهيم عليه السلام حيث قال رب فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عمر مثل نوح عليه السلام حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفدا على الاسرى فلما كان من الغد انزل الله عز وجل قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى اخر الايتين قال عمر رضي الله عنه فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر رضي الله عنه وهما يبكيان فقلت ما يبكيكما حتى ان وجدت بكا بكيت معكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ابكي على الذي عرض على اصحابك من اخذ الفدا ثم قرا عليه السلام ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض ٥ **وفي بعض الروايات** لو نزل العذاب ما نجا احد غير عمر **واما قوله عز وجل** لولا كتاب من الله سبق فمعناه على هذا التاويل لولا حكم الله عز وجل انه تحل لهم الفدية التي اخذوها من الاسارى ويقال معناه لولا ما سبق لهذه الامة من الرحمة اذا عملوا

الخطا ثم عرفوا انهم ما عملوا فتابوا ورجعوا ه فان قيل هل كان من النبي صلى الله عليه وسلم معصية في هذه
القضية ام لم تكن ه قيل كانت المعصية منهم جميعا لمقتضى الاية الا ان معصية النبي صلى الله عليه
وسلم كانت غير معصية القوم فان معصيته كانت معصية صغيرة كانت تترك الاسارى لما حملوا اليه
وكان الصواب للنبي صلى الله عليه وسلم ان يامر بقتلهم حتى يكون الله عز وجل الذي يكفه عن ذلك بامر ينزله
عليه وهذا معروف في التعامل ان السيد يكره على غلامه من تلقا نفسه ه ويقول كان الواجب ان تنتظر
امري ه وقوله عز وجل تريدون عرض الدنيا مخاطبة لهم لا للرسول صلى الله عليه وسلم وجلة الصحابة فان ابا
بكر رضي الله عنه كان من مراده اعزاز الدين وهداية الاسرى وهذا هو تا ويل هذه الاية على القول الثاني
والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل قال لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ولم يقل فيما اخذتم
واسرتم ومن المعلوم ان الفدا لم يوخذ من الاسارى ساعة تيسيروا بما اخذ من بعد فيستحيل ان ينزل الوعيد
في قول قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان لا ينطق عن الهوى ه **قوله عز وجل** فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم الفا في اول هذه الاية للجزا المعنى احللت لكم
الغنايم ولقال الفدا فكلوا والطيب المستلذ ويوصف الحلال بذلك على التشبيه فان المستلذ ما لا يكون
فيه كراهة في الطبع وكذلك الحلال ما لا يكون فيه كراهة في الدين ه وقوله عز وجل واتقوا الله معناه
اخشوه ولا تفعلوا شيا لم تومروا به ولم يرخص لكم فيه ان الله غفور لما فرط منكم رحيم بكم اذ لم يعذبكم بما
فعلتم قبل الرخصة وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم قال عبد الله
ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وضع الفدا على كل واحد من الاسارى اربعين اوقيه
من ذهب وجعل على عمه العباس ابن عبد المطلب مائة وقيه وافتدى ابن اخيه عقيل ابن ابي طالب بعشرين
وقيه قال العباس اتجعل على مائة اوقيه وعلى عمك عدوك سهيل ابن عمرو اربعين اوقيه قال نعم لقطعك الرحم
ولظلمك قال تركتني والله اسال قريشا ما بقيت بيدي فدعني وهذه العشرين الاوقية استعين بها في ذلك
وكان العباس خرج بهذه العشرين اوقيه ليطعم بها الناس وكان هو احد الثلثة عشر الذين ضمنوا
طعام اهل بدر ولم يكن بلغته النوبة حتى اسر واخذ ما معه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما شي
خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك ه قال العباس تترك عمك يسال بكفه فقال صلى الله عليه وسلم
فاين الذهب الذي اعطيت لام الفضل عند مخرجك فقلت ان حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله
ولقثم والفضل قال وما يدريك قال اخبرني الله عز وجل بذلك قال اشهد انك لصادق واني لم اعلم انك رسول
الله قط قبل اليوم واني دفعت اليها الذهب ولم يطلع عليه احد الا الله عز وجل وانا اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله فاسلم وامر ابن اخيه ان يسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يا ايها
النبي قل للعباس وعقيل ونوفل ابن الحرث وغيرهم من الاسارى ان يعلم الله عز وجل في قلوبكم رغبة في الاسلام
والاخلاص في النية يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدية ويجوز ان يكون المعنى يخلف عليكم في الدنيا
ويجوز ان يكون يجازيكم في الاخرة ه وقوله عز وجل ويغفر لكم اي يتجاوز عنكم ما كان من كفركم
وقتالكم والله غفور للذنب رحيم بالعباد اذا تابوا قال وكان العباس يقول لما نزلت هذه الاية صدق الله
ورسوله قد اعطاني الله عز وجل خيرا مما اخذ مني ابدلني مكان العشرين الاوقيه التي اخذت مني
عشرين مملوكا كل مملوك يضرب بعشرين الفا من التجارة واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انجز لي احد الوعدين وانا ارجو ان ينجز لي الوعد الثاني اعني المغفرة من ربي ه وعن العلا بن الحضرمي
انه بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين الفا ما اتاه ما اتاه اكثر منه لا قبل ولا بعد فقال
العباس رضي الله عنه اعطيت فداي وفدا عقيل يوم بدر ولم يكن لي مال فاعطني من هذا المال فاعطاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطاق حمله فجعل العباس يقول وهو منطلق اما احدى اللتين وعدنا الله
فقد انجزها ولا ادري ما يصنع بالاخرى يعني قوله عز وجل يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم **قوله
عز وجل** وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم
معناه وان يريد الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بان يعودوا حربا لك او ينصروا عدوك عليك فقد
خانوا الله من قبل المخالفة ما اخذ عليهم من العهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عاهد الذين
اطلقهم على ان لا يعينوا عليه فخانوا وخالفوا ه وقوله فامكن منهم معناه فامكنك منهم يوم بدر
وان خانوك فسيمكنك منهم ثانيا والله عليم بكل شي حكيم في كل ما يفعله ه **قوله عز
وجل** ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير **معناه** ان
الذين صدقوا بتوحيد الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا
العدو باموالهم وانفسهم في طاعة الله ه ثم ذكر الانصار فقال عز وجل والذين اووا ونصروا ه
والذين اووا النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه اعطوهم المأوى وانزلوهم ديارهم ونصروا اي
اعانوهم بالسيف على الكفار اولئك بعضهم اولياء بعض اي انصار في الدين وفي المواريث وقوله عز وجل
والذين امنوا ولم يهاجروا معناه والذين صدقوا من اهل مكة في ديارهم ولم يهاجروا الى المدينة ما لكم
من ولايتهم من شي اي ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا واو اطلاق لفظ الموالاة يقتضي التوارث
في الجملة وان كان بعض اسباب الموالاة اوكد من بعض ه **وروي عن** عبد الله بن عباس انه قال
لما نزلت هذه الاية قام الزبير ابن العوام واناس معه من المسلمين فقالوا يا رسول الله كيف لا يرثنا
اخواننا وهم على ديننا من اجل انهم لم يهاجروا فهل نعينهم على امر ان استعانونا عليه فانزل الله عز
وجل في ذلك وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه ان قاتلهم
الكفار ليردوهم عن الاسلام فانصروهم الا ان تقاتلوا قوما بينكم وبينهم عهد فاستنصروكم عليهم فلا
تقاتلوهم معهم بل عليهم ان يكفوا في طلب النصر منكم لهم عليهم لان امان واحد من المسلمين يلزم كافتهم
فيجب الاصلاح بينهم على غير وجه القتال وقوله عز وجل والله بما تعملون بصير معناه والله تعالى بصير
باعمالكم يجازيكم عليها قال ابن عباس فمكثوا على هذا ما شاء الله ان يمكثوا ه ثم انزل الله عز وجل
قوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير
معناه والذين كفروا بعضهم انصار بعض في الدين وبعضهم اولياء بعض في الميراث يعني ان الكافر
لا يرث المومن الذي لم يهاجر بل الكافر يرث من الكافر والمومن يرث من المومن **كما ورد في
الحديث عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا توارث بين اهل ملتين لا يرث المسلم
الكافر ولا الكافر المسلم فصارت هذه الاية ناسخة التي قبلها ه وقوله عز وجل الا تفعلوه تكن فتنة
في الارض وفساد كبير معناه الا تفعلوا ما امرتكم به ولم تورثوا الاعرابي الذي لم يهاجر من المهاجر ولم
تجعلوا ولاية الكافر للكافر وولاية المومن للمومن تكن فتنة اي محنة بالميل الى الضلالة وفساد في الدين
فان الكفار بعضهم انصار بعض ه وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله عز وجل ما لكم من
ولايتهم من شي قال ومعنى الموالاة عند النصر في الموافقة في الديانة ه قال واما قوله عز وجل
وان استنصروكم في الدين معناه ليس عليكم نصرهم في غير الدين ه **قوله عز وجل**
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا
لهم مغفرة ورزق كريم **ومعنى قوله** هم المومنون حقا اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة

واقامة الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وقيل معناه اولئك الذين حققوا إيمانهم بان اثنى عليهم ومدحهم
كتابه ، وقوله عز وجل لهم مغفرة معناه لهم مغفرة لذنوبهم ، وقوله عز وجل ورزق كريم في الجنة
بان يطعمهم طعاما يصير كالمسك رشحا ولا يستحيل الى اجوافهم نجوا ، وفي الابواب ابطال قول الروافض ان
اكثر المهاجرين قد استحالوا عن الدين ، **قوله عز وجل** والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء
عليم ، **معناه** والذين امنوا من بعد المهاجرين السابقين وهاجروا الى المدينة وجاهدوا معكم
الكفار فاولئك منكم في الدين والنصرة ، وقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض معناه
ان الاقارب بعضهم اولى ببعض في الميراث من غيرهم هاجروا ام لم يهاجروا اذا كانوا مسلمين ، وقوله
في كتاب الله يجوز ان يكون المراد بالكتاب القران ، ويجوز ان يكون معناه في اللوح المحفوظ
ويجوز ان يراد بالكتاب الحكم كما قال الله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي حكم الله تعالى ،
وقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم ، معناه انه بكل شيء مما فرض من المواريث وغير ذلك عالم
قال قتادة رضي الله عنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اخا بين المهاجرين وكانوا يتوارثون
بالاسلام والهجرة فكان الرجل يسلم ولا يهاجر فكان لا يرث اخاه فنسخ الله عز وجل ذلك بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وصارت المواريث بالقرابة كما ذكره الله في سورة النساء ، **وقد روي**
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وعن الحسن رضي الله
عنه انه قال بقيت هجرة الاعراب الى الامصار قائمة الى يوم القيمة كانه ذهب الى ان الهجرة انما سقطت عن
من كان مسلما بمكة عام الفتح لانها لما فتحت صارت دار الاسلام خصوصا اذا كان في وقت من الاوقات
في عدد المسلمين في ديارا نفسهم قلة وفي الذين اسلموا في دار الحرب من الكثرة ما لو انتقلوا الى دار
الاسلام لازدادت شوكة المسلمين كان عليهم ان يهاجروا كما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وقد روي عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
الانفال والتوبة فانا له شفيع وشهيد يوم القيمة انه بريء من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق
ومنافقة ورفع له عشر درجات وبالله التوفيق ، سورة التوبة مدنية ، وهي مائة وتسع وعشرون
اية عند الكوفيين ومائة وثلثون عند الباقين ، **قوله عز وجل** براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض واعلموا انكم غير معجزي الله وان
الله مخزي الكافرين ، **معنى** هذه الاية قوله تعالى براءة رفعا بالابتدا من الله فيكون قوله براءة
رفعا بالابتدا ويجوز ان يكون قوله تعالى براءة رفعا بالابتدا وخبره الى الذين عاهدتم والبراءة هي رفع
العصمة يقال برئ فلان من فلان وبرئ الله من المشركين ، وانما ذكر الله سبحانه هذه البراءة
من العهد لان المشركين كانوا ينقضون العهد قبل الاجل ويضمرون الغدر فامر الله عز وجل بنبذ العهد
اليهم اما لخيانة مستورة ظهرت اماراتها ، واما ان يكون بشرط النبي صلى الله عليه وسلم لبعضهم في العهد
بقدر ما اقرهم الله تعالى كما قال لاهل خيبر اقركم على ما اقركم الله فلما امر الله تعالى بقطع العهد قطعه
بذلك الشرط ، واما ترك التسمية في اول هذه السورة فقد اختلفوا في ذلك ، روي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه انه سئل لم لم تفتتح براءة ببسم الله الرحمن الرحيم فقال لانها نزلت في اخر ما نزل من القران
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في اول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في سورة
براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها يعني ان امر العهود مذكور في الانفال وفي هذه السورة
نزلت بنقض العهود ، وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وسئل علي رضي الله عنه عن هذا فقال
لان هذه السورة نزلت في السيف وليس للسيف امان وبسم الله الرحمن الرحيم من الامان وهذا هو

ان يكون حذف التسمية عن اول السورة وحيا من الله عز وجل لان القران كله مرتب من الله عز وجل ،
ووجه المصلحة في حذف هذه التسمية ان خاتم سورة الانفال لبيان ان الموالاة لا تجوز الا ان تكون
على الايمان والهجرة واول سورة براءة اشارة الى ما يجب من قطع الموالاة بين المومنين والكافرين
لاظهار المباينة وتحقيق الجهاد ، **واما** قوله عز وجل فسيحوا في الارض اربعة اشهر السيح السير في الارض
على المهل اي اقبلوا وادبروا في الارض امنين الى ان تمضي اربعة اشهر فان عهد الكفار باق الى اخر هذه
المدة قال الحسن رضي الله عنه امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينظر في عهود الكفار فيقر
من كان عهده اربعة اشهر على عهده الى ان يمضي ويحط من كان له عهد اكثر من اربعة اشهر الى
اربعة اشهر ويرفع عهد من كان له عهد اقل من اربعة اشهر فيجعله اربعة اشهر ، وقد اختلفوا
في اول هذه الاربعة الاشهر قال بعضهم هو من عشرين من ذي القعدة الى عاشر ربيع الاول ، قال
ويروى في الخبر ان مكة افتتحت في سنة ثمان من الهجرة وولي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة
عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم واجتمع في تلك السنة في الموقف المسلمون والمشركون فلما
كان سنة تسع ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه وبعث معه عشر ايات من اول
براءة او تسع ايات وامره ان يقراها على اهل مكة وينبذ الى كل ذي عهد عهده كما وصف الله سبحانه
له فلما خرج ابو بكر رضي الله عنه نحو مكة منطلقا نزل جبريل عليه السلام فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
انه لا يبلغ عنك الا رجل من اهل بيتك فدعى عليه السلام عليا رضي الله عنه فبعثه الى مكة وقال له كن انت
الذي تقرا هذه الايات على اهل مكة فانه لا يودي عني ذمتي الا رجل من اهل بيتي وامض بابي بكر فليصل
بالناس فسار حتى لحق ابا بكر رضي الله عنه في الطريق فاخبره بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمضيا فكان ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ، فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي كرم الله وجهه
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقرا عليهم سورة براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين الى اخر الايات التي انزلت وكان الحج في السنة التي قرا علي كرم الله
وجهه فيها هذه السورة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العاشر من ذي القعدة ثم صار الحج في السنة
الثانية في ذي الحجة وكان السبب في تقديم الحج في سنة العهد ما كان يفعله بنو كنانة في النسيء وهو
التاخير ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض ، **وذهب بعض المفسرين** الى ان الاربعة الاشهر المذكورة في
هذه الاية هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، **واما** قوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزي
الله معناه واعلموا انكم غير فائتين عن الله عز وجل بعد الاربعة الاشهر فانكم ان اجلتم هذه
الاربعة الاشهر فلن يفوتوا الله ، وقوله تعالى وان الله مخزي الكافرين معناه اي واعلموا ان الله
عز وجل معذب الكافرين في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار والاخزاء هو الاذلال على وجه الاهانة ،
قوله عز وجل واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من
المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم ، **معناه** واعلام من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يقال
اذنني فاذنت اي اعلمني فعلمت ، وقوله عز وجل يوم الحج الاكبر اختلفت الرواية فيه ، روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه يوم النحر وهو رواية عن ابن عباس وسمي يوم النحر يوم الحج الاكبر لانه انقضت
فيه الاعياد على قول الله ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يوم الحج يوم عرفة وهو رواية اخرى عن
ابن عباس قال عطا رضي الله عنه الحج الاكبر هو الحج الذي فيه الوقوف بعرفة والحج الاصغر الذي ليس فيه
وقوف بعرفة وهو العمرة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العمرة هي الحجة الصغرى ،

وقوله عز وجل ان الله بريء من المشركين ورسوله معناه ان الله عز وجل ورسوله عليه السلام بريء من
المشركين تقديره ان الله بريء ورسوله ايضا بريء ومن قرا ورسوله بالنصب فعلى معنى ولان رسوله
بريء وقوله عز وجل فان تبتم فهو خير لكم معناه ان تبتم من الشرك فهو خير لكم من الاقامة عليه وقوله
عز وجل وان توليتم معناه وان اعرضتم فاعلموا انكم غير فائتين عن الله عز وجل وقوله عز وجل
وبشر الذين كفروا بعذاب اليم تكرار للوعيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كنت مع علي كرم
الله وجهه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ببراءة فقيل لابي هريرة بما كنتم تنادون قال
كنا ننادي انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ولا يحج هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل عهد فان اجله الى اربعة اشهر فاذا مضت اربعة اشهر فان الله عز وجل
بريء من المشركين ورسوله صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب
المتقين استثنا من قوله عز وجل براءة من الله ورسوله واراد بقوله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم بني ضمرة وهم حي من بني كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عند
البيت وكان بقي لهم من عهدهم تسعة اشهر بعد يوم النحر من السنة التي حج فيها ابو بكر رضي الله عنه وكانوا
لم ينقصوا شيئا من عهودهم ولم يمالوا اعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يفي لهم بعهدهم الى اخر مدتهم وقوله عز وجل ان الله يحب المتقين معناه ان الله عز وجل يرضى عمل
الذين يتقون نقض العهد **قوله عز وجل** فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
ان الله غفور رحيم معناه فاذا مضت الاشهر التي حرم الله القتال بالعهد فيها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وخذوهم ويقال اراد بها الاربعة الاشهر الحرم المعروفة وهي رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وقوله تعالى واحصروهم اي احبسوهم ويقال اراد بذلك ان تحالوا بينهم وبين البيت والحصر
في اللغة المنع وقوله عز وجل واقعدوا لهم كل مرصد معناه واقعدوا لقتالهم على كل طريق ياخذون فيه
الى البيت والى التجارة وهذا امر بتضييق السبل عليهم وقوله عز وجل فان تابوا معناه تابوا عن الشرك وقبلوا
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فاطلقوهم فان الله غفور لما سلف من شركهم رحيم بهم حين قبل توبتهم وانما
حمل قوله واقاموا الصلوة على قبول اقامة الصلوة لان احدا لا يشترط في رفع القتل عن الكفار اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة **قوله عز وجل** وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام
الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون معناه وان احد من المشركين استاذنك ليسمع دعوتك
واحتجاجك بالقران فأذنه حتى يسمع كلام القران وان ابى ان يسلم فاردده الى موضع امنه ذلك الامان لهم بانهم
قوم لا يعلمون امر الله تعالى والاجارة هي عقد الحق او الله نسان ليامن به وفي الاية دلالة جواز امان الحربي
وما ان الغرض بقائهم الاستدعا الى الدين وان علينا تعليمهم الا بصحة الدين اذا التمسوا معرفته وان على
الامام حفظ الحربي المستأمن الى ان يرده الى دار الحرب فانه لا يجوز للامام اقرار الحربي في دار الاسلام مدة طويلة
وهذا قيل ان المستأمن اذا اقام سنة بعد تقدم الامام اليه بعد مضي السنة بالخروج من دار الاسلام الى
الحرب صار ذميا يوضع عليه الخراج **قوله عز وجل** كيف يكون للمشركين عهد عند
الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
المتقين معناه كيف يكون للمشركين الذين يضمرون الغدر في عهدكم عهد عند الله وعند رسوله اي
ان يكون لهم عهد يجب الوفاء به الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم بنو ضمرة فما استقاموا لكم في وفاء العهد
ولم ينقضوه كما نقض غيرهم فاستقيموا لهم على القيام بوفاء اجلهم ان الله يحب المتقين لنقض العهد

الايه

الاية دليل ان المذكورين في اول السورة انما لم يكن لهم عهد لغيرهم وانهم لم يستقيموا **قوله
عز وجل** كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى
قلوبهم واكثرهم فاسقون معناه كيف يكون لهم العهد وان يكون لهم الغلبة لا يحفظوا فيكم
قرابة ولا عهدا وانهم لو ظهروا عليكم لم ينفعكم قرابتكم منهم ويقال الال هو الله عز وجل ومنه جبرئيل
وميكائيل فان معناهما عبد الله وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه لما سمع كلام مسيلمة قال هذا كلام
ليس هو من إلّ اي لم يتكلم به الله عز وجل ويقال الال والالية اليمين ويقال الال العهد والذمة كل ما
به من عهد او غيره وحقيقة الال على ما توجبه اللغة تحديد الشيء من ذلك الالة الحديدة لانها محددة وتاويل الال
العهد تجديد اخذ العهود وتاويله في القرابة تحديد القرابة والذمة الذي [illegible] وقوله عز وجل
يرضونكم بافواههم اي يتكلمون بالعهد بافواههم وتابى قلوبهم الا نقض العهد ويقال يتكلمون بكلام الموالين
لكم وتنكر قلوبهم موالاتكم واكثرهم متمردون في الكفر **قوله عز وجل** اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون معناه اختاروا على القران عرضا يسيرا من الدنيا
وصرفوا الناس عن طاعة الله فبئس العمل عملهم **قوله عز وجل** لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان قيل لم اعاد قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قيل
ليس هذا اعادة لان الاول ورد في جميع الكفار الذين نقضوا العهد والثاني انما ورد في طايفة من اليهود الذين
كانوا ينقضون العهد فان هذه الطايفة منهم الذين اشتروا بايات الله ثمنا قليلا انهم كانوا يكتمون صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من المأكلة كانوا ياخذونها من سفلتهم وكانوا ياخذون الرشا على
الحكم بالباطل ويغيرون احكام الله عز وجل التي انزلها على انبيائهم ويقال ان قوله اشتروا بايات الله
ورد في قوم العرب كان ابو سفيان يطعم الناقة والطعام ليستميلهم على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
فكان شراهم بايات الله ثمنا قليلا رضاهم بذلك الطعام بدلا عن الايمان **قوله عز وجل** فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون معناه فان تابوا عن
الكفر وقبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فهم اخوانكم في دين الاسلام ونبين الايات اية بعد اية
لقوم يعلمون امر الله عز وجل واحكامه **قوله عز وجل** وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون معناه وان نقضوا
الايمان والحلف من بعد العهود التي عاهدتهم ان لا يقاتلوك ولا يعينوا عليك ولا على حلفائك وطعنوا
في دين الاسلام فقاتلوا رؤسا الكفر انهم لا ايمان لهم من قرا الايمان بالنصب معناه انهم لا يحفظون اليمين
والعهد كما يقال فلان لا عهد له على هذا المعنى ومن قرا الايمان بالخفض فمعناه قاتلوهم فانهم قوم
كفار ويجوز ان يكون الايمان مصدر امنته ايمانا اي انهم لا امان لهم حتى يمتنعوا عن قتالهم وقوله
عز وجل لعلهم ينتهون معناه ليرجى منهم الانتهاء عن الكفر ونقض العهد وعن ائمة بهمزتين فان الاصل
في جمع الامام أئمة على وزن مثال وامثلة ولكن ادغمت احدى الميمين في الاخرى لاجتماعهما والقيت
حركتها الى الهمزة فصارت ائمة الا ان اكثر القراء والنحويين جعلوا احدى الهمزتين ياء خالصة لانهما لا
تجتمعان في كلمة واحدة وفي الاية بيان ان اهل العهد متى خالفوا شيئا مما عاهدوا فقد نقضوا العهد
وذلك لان نكث الايمان يكون بمخالفة بعض المحلوف عليه فقد نقضوا العهد وذلك لان نكث الايمان يكون
بمخالفة بعض المحلوف عليه اذا كانت اليمين على وجه النفي كمن يحلف ويقول والله لا كلمت زيدا ولا عمرا
ولا دخلت هذه الدار ولا هذه الدار فانه يحنث باي ذلك فعل وهذا مما لا شبهة فيه فاما اذا طعن واحد من اهل
العهد في دين الاسلام فان كان شرط في عهودهم ان لا يذكروا كتاب الله عز وجل ولا يذكروا محمدا صلى
الله عليه وسلم بما لا ينبغي ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يقطعوا عليه طريقا ولا يعينوا اهل الحرب بدلالة لنقضا

المسلمين لِمَ تنهاهم اذا فعلوا ذلك فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم فيفعلوا اشيا
هذه الاشيا جاز قتلهم وان كان لم يشترط ذلك في عهودهم وطعنوا في القرآن او شتموا النبي صلى الله عليه
وسلم ففي هذا خلاف بين الفقها قال اصحابنا رحمهم الله يعزرون ولا يقتلون واستدلوا بما روي عن انس
بن مالك رضي الله عنه ان امراة يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأُتي بها فقيل الا
نقتلها قال لا وبحديث عايشة رضي الله عنها ان قوما من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
السام عليك قالت ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة
فان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم
قد قلت وعليكم ولم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذهب مالك الى ان من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قتل الا ان يسلم **قوله عز وجل** الا تقاتلون قوما نكثوا
ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
في الاية تحريض المؤمنين على القتال **روي عن** عبد الله بن عباس وغيره ان قريشا اعانوا الديل
بن بكر وكانوا حلفاهم على خزاعة وخزاعة حلفا النبي صلى الله عليه وسلم فهزموا خزاعة فجا وفدهم
خزاعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بالقصة وناشده حلفه وهو يقول
لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ووالدا كنت وكنا ولدا ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا ايدا وادع عباد الله ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وبيتونا بالوتير هجدا تتلوا القرآن ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم فقال له ابو بكر يا رسول الله انصرهم على قومنا فقال لانصرن
ان لم انصرهم ثم امر الناس ان يتجهزوا الى فتح مكة ففتحها الله عز وجل على يديه فاحل رسول الله صلى الله
يومئذ القتال لخزاعة ولم تحله لاحد غيرهم فذلك قوله عز وجل الا تقاتلون قوما يعني قريشا نقضوا عهودهم
وهموا باخراج الرسول من مكة حين اجتمعوا على قتله بدار الندوة وقوله وهم بدءوكم اول مرة
معناه وهم الذين بدءوا بنقض العهد حيث قاتلوا حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
اتخشونهم معناه اتخشون ان ينالكم من قتالهم مكروه فمكروه عذاب الله عز وجل احق ان تخشى
ان كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه **قوله عز وجل** قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم معناه قاتلوا اهل مكة يعذبهم الله بايديكم بالسيف ويذلهم وينصركم عليهم
ويشف صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر ويذهب حنق قلوب بني خزاعة فشفا الله عز وجل
صدورهم يوم فتح مكة **وفي** هذا دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ويتوب
الله على من يشا معناه ويتوب الله على من يشا من اهل مكة فيهديه للاسلام والله عليم بجميع الاشيا حكيم
في جميع الامور ذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم نزلت في يهود
المدينة لانهم كانوا انقضوا عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا هموا باخراج الرسول صلى الله عليه
وسلم من المدينة كما اخرجه المشركون من مكة الا ان القول الاول اشهر واقرب الى ظاهر الاية
وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون معناه اظننتم
ايها المؤمنين ان تتركوا على الاقرار والتصديق فلا تؤمروا بالجهاد وقوله عز وجل ولما يعلم الله
معناه ولم ير الله جهادكم حين تجاهدون ولم ير الله الذين اتخذوا منكم من الكافرين بطانة
يفشون اليهم سرهم وامرهم وكان الله عز وجل قد علم قبل امرهم بالقتال من يقاتل ومن لا يقاتل ولكنه

يعلم

يعلم غيبا واراد العلم الذي يجازي عليه وهو علم المشاهدة لانه يجازيهم على عملهم لا على علمه منهم وقد يجوز
ان ينفى المعلوم بنفي العلم على جهة التاكيد وهذا كما يقول الرجل اذا ادعي عليه امر هذا امر ما يعلمه
الله عز وجل مني او هذا ما علمه الله تعالى مني وكما قال الله عز وجل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض اي بما ليس فيهما والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع عليه والوليجة الدخيل في القوم من
غيرهم من ولج الشي يلج ولوجا اذا دخل وقوله عز وجل والله خبير اي عالم باعمالكم وفي هذا
تهديد للمنافقين وموعظة للمخلصين **قوله عز وجل** ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون وذلك
انه لما اسر بعض المشركين يوم بدر اقبل رجل عليه من الانصار واناس معه من المهاجرين يعيرونه
بالكفر بالله عز وجل وقطيعة الرحم وعونه المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يا
فلان ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقالوا وهل لكم من محاسن قال نعم ان كنتم
تجاهدون الاعدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت و
نفادي الاسير ونسقي الحاج فنحن افضل منكم اجرا فانزل الله عز وجل هذه الايات ردا عليهم ومعناها
ما كان للمشركين ان يقوموا بعمارة المساجد وان المساجد تعمر على وجهين تذكر ويراد بها
البنا وتجديد ما انهدم منها وتذكر ويراد بها الزيارة ومن ذلك العمرة معناها زيارة البيت يقال
فلان من عمار المساجد ويحضر فلان عامر بفلان فانتظمت الاية نهي المشركين عن بنا المساجد
وعن عمارتها بالطاعة فانهم انما يعمرونها بعبادة الاوثان ومعصية الله عز وجل ومن قرا مسجد الله
على التوحيد اراد به المسجد الحرام خاصة وقوله عز وجل شاهدين على انفسهم نصب على الحال على
معنى ما كانت لهم عمارة المسجد في حال اقرارهم بالكفر وهم كانوا لا يقولون نحن كفار ولكن كان
كلامهم يدل على كفرهم وهذا كما يقول الرجل لاخر كلامك يشهد بانك ظالم وهو قول الحسن
رحمه الله وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر ان اليهودي لو قيل له ما انت قال يهودي ويقال
ويقول النصراني هو نصراني ويقول المجوسي هو مجوسي وقوله عز وجل اولئك حبطت اعمالهم
معناه ان الكفر اذهب ثواب اعمالهم التي هي من جنس طاعة المؤمنين وقوله عز وجل وفي النار
هم خالدون ظاهر المراد ثم بين الله عز وجل من يكون اولى بعمارة المسجد الحرام فقال عز
من قائل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم
يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين معناه انما يعمر مساجد الله من امن بطاعة
الله ومن كان بهذه الصفة وقوله واقام الصلوة اراد به اقامة الصلوة المفروضة وايتا الزكوة
الواجبة في ماله وقوله عز وجل ولم يخش الا الله اي لم يخف من غيره ولم يرج الا ثوابه وكلمة
عسى من الله واجبة والفايدة في ذكرها في هذه الاية ليكون الانسان على حذر من فعل ما
يحبط ثواب عمله **قوله عز وجل** اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن
بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين في الاية
حذف وتقديرها اجعلتم صاحب سقاية الحاج كمن امن ويقال اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن بالله
وقوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يستوون عنده في الثواب والفضل وقوله عز وجل والله لا يهدي
القوم الظالمين لا يرشدهم الى الجنة ما داموا مصرين على كفرهم ويقال لا يرشدهم الى الجنة والثواب
قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة
عند الله واولئك هم الفايزون معناه الذين صدقوا بتوحيد الله وهاجروا من اوطانهم الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وجاهدوا العدو في طاعة الله عز وجل اعظم درجة من غيرهم ويقال معناه اعظم درجة

من هؤلاء الذين افتخروا بعمارة البيت وسقاية الحاج وانما قال اعظم وان لم يكن للكفار درجة عند الله لانهم
كانوا يعتقدون ان لهم درجة عند الله ٥ وهذا كما قال الله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا ٥ وقوله عز وجل واولئك هم الفائزون معناه ان المهاجرين هم الظافرون بما تمنيهم من الخير ٥
قوله عز وجل يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين
فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم معناه يبشرهم ربهم في الدنيا على السنة الرسل من العذاب
الاخر ورضوان من الله عز وجل عنهم ويبشرهم بجنات لهم فيها نعيم دايم لا يزول عنهم ٥ وقوله
عز وجل خالدين فيها معناه دايمين فيها ابدا مع كون النعيم مقيما لهم ٥ وقوله عز وجل ان الله عنده
اجر عظيم اي ثواب كبير في الجنة والاجر هو الجزا على العمل والرضوان ارادة الخير ٥ قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم
منكم فاولئك هم الظالمون نزلت في المهاجرين معناه لا تتخذوا اباءكم واخوانكم الذين بمكة اولياء
تنتصرون بهم وتنصرونهم ان اختاروا الكفر على الايمان ٥ وقوله عز وجل ومن يتولهم منكم فاولئك
فاولئك هم الظالمون انما جعلهم ظالمين لموالاة الكفرين لان الراضي بالكفر يكون كافرا ثم انزل الله عز وجل
في اهوم الذين كانوا اسلموا بمكة وكانوا يريدون الهجرة الى المدينة فتعلق بكل رجل قومه وزوجته
فقالوا ننشدك الله ان تدعنا الى غير شي فنضيع فرق لهم وجلس معهم وترك الهجرة فانزل الله عز
وجل قوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين معناه قل للذين تركوا الهجرة
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم ونساؤكم وقرابتكم واموال اكتسبتموها بمكة وتجارة تخافون
كسادها اي اذا اشتغلتم بطاعة الله عز وجل ومنازل يعجبكم الاقامة بها بمكة احب اليكم من طاعة
الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة واحب اليكم من الجهاد في طاعة الله
فانتظروا حتى ياتي الله بفتح مكة ويقال حتى ياتي بعذاب عاجل او اجل ٥ وقوله عز وجل والله لا يهدي
القوم الفاسقين معناه انه لا يهديهم الى جنته وثوابه ونيل كرامته ٥ وعن انس بن مالك رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اوثق عرى الاسلام الحب في الله والبغض في الله ٥ قوله
عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم
عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من
بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم قال عبد الله بن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج من مكة بعد ان افتتحها وكان افتتحها في بقية ايام من رمضان فمكث بها حتى دخل شوال
فخرج متوجها الى حنين وبعث رجلا من بني سليم عينا له يقال له عبد الله بن ابي حدرد فاتى حنينا فكان
بينهم يسمع اخبارهم فسمع مالك بن عوف يقول لاصحابه انتم اليوم اربعة الاف رجل فاذا لقيتم العدو
فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فوالله لا تضربون باربعة الاف سيف شيئا الا افرج لكم وكان مالك بن عوف
على هوازن وكنانة بن عبد بن ياليل على ثقيف فاقبل ابن ابي حدرد حتى اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بمقالتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها اليهم في عشرة الاف رجل اكثر ما كانوا فقال
رجل من المسلمين والله يا رسول الله لا نغلب اليوم من قلة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله كلمته
وابتلى الله المسلمين بكلمته بذلك فلما التقوا حمل عليهم العدو حملة رجل واحد فلم يقوموا لهم حلبة شاة ان انكشفوا
وتبعهم القوم في ادبارهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وابو سفيان بن الحرث يقود به

والعباس

والعباس بن عبد المطلب اخذ بالثفر وحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نحو من ثمانية رجال من
المسلمين وانهزم سائر الناس عنه فجعل عليه السلام يناديهم يا معشر المهاجرين الي ويا معشر الانصار الي
ابن اصحاب الصفة وابن اصحاب سورة البقرة وكان العباس ينادي يا معشر المهاجرين ابن الذين بايعوا
تحت الشجرة ويا معشر الذين آووا ونصروا هلموا فان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صيتا
فرفع صوته فاسمع الفريقين المسلمين والمشركين فاقبل المسلمون لنصر الله واقبل المشركون ليطفئوا نور
الله فانزل الله من السما جنودا لم يروها وعذب الذين كفروا واظهر المسلمين عليهم وهرب امير المشركين
مالك بن عوف النصري حتى اتوا اوطاسا وبها عيالهم واموالهم وقد جمعوا بها فبعث اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الناس فسار اليهم حتى اتاهم اوطاسا فقتلوا بها
ثم هزمهم الله وسبى المسلمون عيال المشركين فهرب مالك بن عوف فاتى الطايف فتحصن بها واخذ اهله
وماله فيمن اخذ وقتل ابو عامر ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطايف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما
دخل ذو القعدة وهو الشهر الحرام انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى الجعرانة واحرم منها بالعمرة وقسم
السبي ولما لم ان مالك بن عوف قال لاصحابه هل لكم ان تصيبوا من محمد مالا قالوا نعم فارسل الى النبي صلى
عليه وسلم اني ان اسلمت فما تعطيني قال عليه السلام اعطيك مائة من الابل ورعاتها فجا واسلم واقام
يوما او يومين فلما راى المسلمين ورثتهم وزهدهم واجتهادهم رق لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابن عوف الا نفي لك ما وعدناك قال يا رسول الله امثلي ياخذ على الاسلام شيئا ثم اسلم اهل الطايف وكان
مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة الشام ٥ ومعنى هذه الايات لقد اعانكم الله على اعدائكم في مواضع
كثيرة من قتالكم وحرب قريظة والنضير وخيبر وفتح مكة ٥ وقوله عز وجل ويوم حنين معناه
واعانكم يوم حنين وحنين اسم واد بين مكة والطايف واضيف اليوم الى حنين لوقوع الحرب
بهاه وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم معناه سرتكم كثرتكم والاعجاب هو السرور بالعجب ٥ وقوله فلم تغن عنكم
شيئا معناه فلم تدفع عنكم كثرتكم سوءا ولا اغنتكم عن الحاجة الى معونة الله عز وجل وقوله عز وجل وضاقت
عليكم الارض بما رحبت معناه لم تجدوا موضعا للفرار اليه فضاقت عليكم الارض مع سعتها من خوف العدو
وقوله عز وجل ثم وليتم مدبرين معناه فاعرضتم منهزمين لا تلوون على احد ولا دبارا للذهاب الى الخلف ٥
وقوله عز وجل ثم انزل الله سكينته على رسوله معناه انزل الله رحمته وامنته على رسوله وعلى المؤمنين حين
عادوا وظفروا والسكينة في اللغة اسم لما تسكن اليه وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالسكينة الوقار
وقوله تعالى وانزل جنودا لم تروها انزل من السما لنصركم جنودا من الملائكة لم تروها باعينكم ولكنهم كانوا
يحرضون المؤمنين على القتال بالالهام والخاطر وفي بعض الروايات ان الملائكة قاتلت يومئذ حتى ان رجلا
من بني نصر بن معوية قال للمؤمنين وهو في ايديهم اين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض ما كنا
نراهم فيكم الا هيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل وذلك جزاء الكافرين معناه ذلك العقاب جزاء الكافرين في الدنيا والجزاء هو المستحق بالعمل ٥ وقوله
عز وجل ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء معناه ثم يتوب الله من بعد الهزيمة على من يشاء منهم من كان اهلا
لذلك ويقال معناه ثم يتوب الله على من يعلم ان له لطفا في مقدمة التوبة بان يلطف له دون من لا يكون له لطف
التوبة وقوله عز وجل والله غفور رحيم معناه غفور لما كان منهم في الشرك اذا تابوا رحيم بهم في الاسلام
وانما حسن عطف لفظ الاستقبال بقوله ثم يتوب على لفظ الماضي لان ما قبله يذكر بالنعمة ٥ وقوله
عز وجل يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم معناه يا ايها الذين صدقوا
بتوحيد الله عز وجل انما المشركون نجس وقذر والنجس مصدر اقيم مقام الاسم كما يقال رجل عدل ورجال

عدل لا يثنى المصدر ولا يجمع ولم يقل انما المشركون انجاس فسمى المشرك نجسا لان شركه تجري مجرى القذر
في انه يجب تجنبه فسماه باسمه بايجاب التبري من المشركين وقطع المودة عنهم والنجاسة على ضربين
نجاسة الاعيان ونجاسة الذنوب ، وكان الحسن رضي الله عنه يقول لا تصافحوا المشركين فمن
صافحهم فليتوضأ ، وقوله عز وجل فلا يقربوا المسجد الحرام معناه لا ينبغي لهم ان يقربوه للحج والطواف
بعد هذا العام وهو العام الذي حج فيه ابو بكر رضي الله عنه ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام
الثاني حجة الوداع ، وفي قوله عز وجل فلا يقربوا المسجد الحرام كما روينا عن علي كرم الله وجهه
انه كان ينادي فيهم في ذلك العام الا لا يطوفن بهذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان قال عبد
الله بن عباس رضي الله عنه فقال الناس من تجار بني بكر بن وائل وغيرهم من اهل اليمن [illegible] على كرم
الله وجهه هذه الاية عليهم ستعلمون يا اهل مكة اذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة [illegible]
اما والله لنقطعن سبلكم ولا نجلب اليكم شيئا فوقع ذلك في انفس اهل مكة وشق عليهم ، فانزل الله عز وجل
قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء اي فقرا من ابعاد المشركين فسوف
يغنيكم الله من فضله بغيرهم فاخصبت تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام والادام فاغنى الله عز وجل
اهل مكة من تجار بني بكر ، وروي ان اهل جدة وصنعاء من اهل اليمن اسلموا وحملوا الى مكة الطعام
في البحر والبر ، واما قوله عز وجل ان شاء استثنا فيما علم الله عز وجل فيما يشكون لئلا تترك العباد الاستثنا
في امورهم ولتنقطع الامال الى الله عز وجل في طلب الغنى منه ، وقوله عز وجل ان الله عليم حكيم معناه عليم ب
خلقه وما يصلحهم حكيم فيما حكم من امره ، **قوله عز وجل** قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون معناه قاتلوا اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بآيات
الله التي انزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم ومن كفر بآيات الله عز وجل فقد كفر به ويقال معنى لا
يؤمنون بالله انهم كانوا يصفون الله عز وجل بصفة لا تليق به سبحانه لان اليهود مشبهة والنصارى
مثلثة فلم يكن قول اليهود ولا قول النصارى ايمانا بالله عز وجل على الحقيقة ، وقوله عز وجل ولا باليوم
الاخر معناه انهم يصفون اليوم خلاف صفته ولا يقرون بثواب المؤمنين في الجنة من الاكل والشراب
والتمتع واللباس ولا فرق بين تغيير الصفة وبين الجحد بالموصوف ، وبيان ذلك ان زيدا لو كان له
والد ابيض لا فرق بين ان ينفي والده اصلا وبين ان يقول والدي اسود ، وقوله عز وجل ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون الخمر والخنزير ونحو ذلك كما لم يقروا بتحريمه ، وقوله عز وجل
ولا يدينون دين الحق معناه لا يعتقدون دين الاسلام ولا يطيعون الله عز وجل ما التوحيد ويقال معنى
دين الحق دين الله عز وجل لان الله هو الحق ، وقوله عز وجل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
معناه حتى تؤخذ الجزية من ايديهم وهم قيام والآخذ جالس ويقال اراد باليد القهر كانه قال
عن قهر من المسلمين واعتراف منهم للمسلمين بان ايدي المسلمين فوق ايديهم كما يقال اليد في هذا
الامر لفلان ويراد به نفاذ امره ويحتمل ان تكون معنى اليد انعام المسلمين بقبول الجزية منهم ويقال
اراد باليد القوة على انه معنى ليس على الفقير لانه لا يكون متحملا جزية ، واما طعن الملحدة
بقولهم كيف يجوز اقرار الكفار على كفرهم باداء الجزية بدلا عن الاسلام فالجواب عنه لا يجوز
ان يكون اخذ الجزية منهم رضى بكفرهم وانما الجزية عقوبة لهم لاقامتهم على الكفر واذا جاز امهالهم بغير جزية
للاستدعاء الى الايمان كان امهالهم بالجزية اولى ، **قوله عز وجل** وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون معناه قالت اليهود حين قرا عليهم عزير التورية

عن ظهر قلبه ان الله عز وجل لم يجعل التورية في قلب احد الا وهو ابنه ، وعن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما ان جماعة من اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا
ولا تزعم ان عزيرا ابن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانزل الله عز وجل هذه الاية ، فان قال
قائل كيف يصح تاويل هذه الاية واليهود في زماننا ينكرون هذا القول قيل قد بينا سبب نزول هذه
الاية فيكون المراد بهذه الاية طايفة من اليهود ويحتمل ان يكون هذا القول من اوايلهم فاطلع الله عز وجل
وذلك كالغيب الذي خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك ان اليهود في وقت نزول القران
به سمعته فلم تنكره مع شدة حرصهم على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ، واما قوله عز وجل وقالت
النصارى المسيح ابن الله فهو قول نصارى نجران والسبب في ذلك ما روي في القصة ان رجلا منهم يقال له
بولس غيرهم ولبس عليهم فقال لبعضهم هو الله وقال لبعضهم هو ابن الله وقال للفرقة الثالثة ثالث ثلاثة
ثم خرج من بين اظهرهم وافترقوا واقتتلوا فبقوا فرقا الى ان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم على منهاج
من مضى منهم ، وقوله عز وجل ذلك قولهم بافواههم لا يكون القول الا بالفم الا ان معنى الاية انه لا حجة
في هذا القول عن العبارة الى المعنى اذ لا برهان لهم لانهم لا يعرفون ان الله عز وجل لم يتخذ صاحبة فكيف
يزعمون ان له ولدا ، واما قوله عز وجل يضاهئون قول الذين كفروا من قبل فمعناه يشابهون في قولهم
ذلك قول اهل مكة حين قالوا اللات والعزى ومناة ويقال اراد به يشابهون قول الكفار الذين يقولون
الملايكة بنات الله عز وجل ويقال انهم يتبعون اسلافهم ويقلدون قومهم من دون ان يرجعوا في ذلك
الدليل ويقرا يضاهيون بالهمز وهما لغتان يقال ضاهيت وضاهأت وامراة ضهيا اذا اشبهت الرجال في
انها لا ثدي لها ولا تحيض ، وفي قوله عزير ابن الله قراءتان بغير تنوين عزير ابن الله بالتنوين وهو الاجود لان
ابن خبر وانما يحذف التنوين في الصفة نحو قولك جاءني زيد بن عمرو ويحذف التنوين لالتقاء الساكنين
كما في قوله عز وجل احد الله الصمد ، واما قوله عز وجل قاتلهم الله فمعناه لعنهم الله هكذا روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ويقال معناه قتلهم الله كما يقال عافاك الله بمعنى اعفاه الله من الشر
وقوله عز وجل انى يؤفكون معناه انى يصرفون عن الحق [illegible] ، **قوله**
عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون معناه اتخذ اليهود والنصارى
علماءهم وعبادهم اربابا [illegible] اطاعوهم في معاصي الله عز وجل [illegible]
وتركوا اوامر الله تعالى ونواهيه في كتبه ، وعن عدي بن حاتم انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا هذه الاية فقال يا رسول الله ما عبدناهم [illegible] ما احل الله ويحلون ما حرم الله
[illegible] واما تسمية العالم حبرا [illegible]
بالبيان الحسن ، واما الراهب فهو الخاشع لله عز وجل ، وقوله عز وجل والمسيح ابن مريم معناه
واتخذوا المسيح الها وقوله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي لم يؤمروا في جميع الكتب
وعلى السنة الرسل الا بعبادة اله واحد وقوله عز وجل سبحانه عما يشركون تنزيها له تعالى عن الشرك وما لا
يليق به ، **قوله عز وجل** يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون معناه يريدون ان يردوا دلائل الاسلام بالسنتهم التكذيب والباطل
[illegible]
[illegible]
قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون معناه هو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران ودين الاسلام ليظهره على كل

بالحجة والغلبة اما بالحجة فظاهر لان احدا من اهل سائر الاديان

سائر الاديان لانه لا تقدر ان تغلب المسلمين بالحجة والمسلمين يغلبونه بها واما ظهور الاسلام بالغلبة فهو ان
لا يكون طائفة من المسلمين غلبوا على ناحية من نواحي الكفرة وعن ابن عباس ان ذلك
يكون بعد نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى حينئذ احد الا دخل في دين الاسلام وفي الاية دلالة
صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لوقوع مخبره على ما اخبر به **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
معناه يا ايها الذين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ان كثيرا من الاحبار وهم علماء
اليهود والرهبان وهم [illegible] وقوله تعالى والرهبان اهل الصوامع وهم دون الاحبار في العلم وقوله عز وجل ليأكلون
اموال الناس اي يأخذون الرشا على الحكم وما كان لهم من الهدايا من سفلتهم على كتمان نعت
النبي صلى الله عليه وسلم وصفته [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما وقال السدي
الله الاحبار علماء اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى وانما خص الاكل بالذكر لانه
معظم المقصود من الملك فوضع الاكل موضع التملك وقوله عز وجل والذين يكنزون
الذهب والفضة معناه يجمعونها بعضها فوق بعض ولا ينفقون الكنوز في طاعة الله عز وجل
وقيل معناه ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب لان في بيان احدهما بيان حكم الاخر كما قال الله عز وجل
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها [illegible] والكناية الى الفضة
جميعا لو رجعت الى احدهما لبقي الاخر عاريا عن الجواب فيصير كلاما منقطعا لا معنى له
وتقدير الاية ولا ينفقون منها التي لا يودون زكاتها ولا يخرجون حق الله منها [illegible]
والمراد [illegible] بدليل انه قال [illegible] في اية اخرى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
بالنقل المستفيض التابع ان النبي صلى الله عليه وسلم اوجب في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين
مثقالا من الذهب نصف مثقال فلو كان الواجب انفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه وقوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم معناه ضع الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالنعيم لغيرهم وعن عبد
الله بن عمر رضي الله عنه انه قال كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم
تؤد زكوته فهو كنز وان كان ظاهرا وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية نزلت في من
كان يجب التصدق بالنفقة عن نفقة الاهل كما قال عز وجل ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو
قوله عز وجل يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون اي تقال لهم هذا ما جمعتم في دار الدنيا فذوقوا عقوبة ما
كنتم تجمعون وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الاية
قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واي المال نتخذ فقال عمر رضي الله عنه انا اسأل لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثوبان فسألته وانا اسمع فقال عليه السلام لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة
صالحة تعينك على ايمانك وقد استدل بعض الناس على وجوب انفاق جميع المال بما روي
عن ابي امامة الباهلي انه قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه
وسلم كية ومات اخر فوجد في مئزره ديناران فقال عليه السلام كيتان وهذا الخبر محمول على ان
المتوفى كان اصاب ذلك من الغلول او كان ذلك في وقت كان تجب انفاق الفضل من النفقة او
كان على الرجل حق واجب فمنعه يدلك على هذا التاويل ان هذا القول لم ينقل عن احد من السلف الا
عن ابي ذر فثبت ان المراد به ما ذكرناه **قوله عز وجل** ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا

ذلك الدين القيم

فيهن

فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين معناه
ان عدة الشهور التي تتعلق بها الاحكام من الحج والصوم والزكوة والاعياد وغيرها اثنا عشر شهرا
على منازل القمر تارة يكون الحج والصوم في الشتاء وتارة في الصيف على اعتبار الاهلة واتفاقا لا اثنا عشر لان
ب الشهور لا تزيد على اثنا عشر شهرا لانها انما تكثر بالتكرار وقوله عز وجل في كتاب الله اراد به الكتاب
الذي كتبه وهو اللوح المحفوظ وقوله عز وجل يوم خلق السموات والارض وانما قال ذلك لان الله عز وجل
اجرى الشمس والقمر في السموات والارض يوم خلق السموات ومسير الشمس والقمر يكون بالشهور وذلك
ان الله جل ذكره قسم الزمان اثنا عشر قسما على مسير الشمس فجعل نزول الشمس في كل برج من البروج
الاثني عشر قسما منها فيكون قطعها الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم وقسم الزمان على
مسير القمر اثنا عشر شهرا فجعل الفلك يقطع القمر في كل تسعة وعشرين يوما ونصف وجعل السنة
القمرية ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وربع يوم كان قطع الشمس للقمر مقارنا لقطع القمر الفلك كله
وهذا معنى قول الله عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا
اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكانت
شهور القمر ثلثين تارة وتسعة وعشرين اخرى فيما يتعلق بها من احكام الشرع ولم يكن للنصف الذي هو
زيادة على تسعة وعشرين يوما حكم وكان ذلك كله موافقا للقسمة التي قسم الله تعالى عليها السنة في ابتداء وضع
الخلق ثم غيرت الامم العادلة شرائع الانبياء عليهم السلام هذا الترتيب فكانت شهور الروم بعضها ثمانية
وعشرون يوما وبعضها ثمانية وعشرون يوما ونصف وربع يوم وبعضها واحد وثلثون وذلك على خلاف
ما امر الله عز وجل به من اعتبار الشهور في الاحكام وكانت شهور الفرس ثلثين ثلثين الا شهرا واحدا
وهو ابان ماه فانه خمسة وثلثين فبين الله سبحانه وتعالى في القران ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا لا زيادة فيها ولا نقصان وهي الشهور القمرية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته
وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلثين يوما وفي الخبر ان صوم النصارى كان على
شهور القمر فلما راوه يقع في بعض السنين في الصيف اجتمعوا على ان ينقلوه الى زمان الربيع وزادوا في العدد
وتركوا ما تعبدوا به من اعتبار شهور القمر على الاطلاق فضلوا واضلوا وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل
وضع هذه الشهور وسماها باسمائها على ما رتبها عليه يوم خلق السموات والارض وحكمها باق الان على ما
كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمائها وتقديم المؤخر وتاخير المقدم كما قال عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما وذلك انهم كانوا يحلون صفرها عاما ويحرمونه عاما ويحلون المحرم عاما ويحرمونه عاما
وكان هذا من النسيء من الشيطان وقوله عز وجل منها اربعة حرم معناه من هذه الاثني عشر
اربعة حرم واحد منها فرد وهو رجب وثلثة سرد اي متتابعة وهو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وسماها
حرما لعظم انتهاك المحارم فيها كما خص الحرم بمثل ذلك فقال عز من قائل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم ومعلوم ان الظلم حرام في الحرم وفي غير الحرم كذلك قوله عز وجل فلا تظلموا فيهن انفسكم على
قول من رجع هذه الكناية الى الاشهر دون الشهور كلها لان جمع الكثرة انما يعبر عنها بالهاء وجمع القلة
يعبر عنها بالهاء والنون واما من قال فلا تظلموا فيهن معناه لا تظلموا في الاثني عشر شهرا انفسكم فانما
قال ذلك لان الانسان لا يخلو من ان يكون في احدها وقوله عز وجل ذلك الدين القيم معناه الحساب
المستقيم وقوله عز وجل وقاتلوا المشركين كافة يجوز ان يكون الكافة راجعة الى المسلمين اي قاتلوا جميعا
المشركين ويجوز ان يكون راجعا الى المشركين اي قاتلوا المشركين جميعا وقوله عز وجل كما يقاتلونكم كافة
معناه كما يقاتلونكم جميعا وقوله عز وجل واعلموا ان الله مع المتقين معناه واعلموا ان الله عز وجل معهم بالنصرة
قوله عز وجل انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما

ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم
الكفرين معناه انما تاخير الشهر الحرام من المحرم الى صفر واستحلة المحرم زيادة في الكفر غلط وخطا
بالنسا ساير الكفار ومن قرا يضل بنصب اليا وكسر الضاد فمعنه هم يضلون انفسهم يحلون المحرم عاما
فيقاتلون فيه ويحلون صفر مكان المحرم فلا ويحرمون المحرم عاما فلا يقاتلون فيه ثم يقاتلون في صفر ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا في العدد اربعة اشهر وكانوا يقولون هذه اربعة بمنزلة اربعة والمواطاة
الموافقة واصل النسي التاخير ومنه بيع النسية ومنه قولهم انسا الله في اجل فلان ومنه المنساة في
العصى يزجر بها ويوخره ه وقوله عز وجل فيحلوا ما حرم الله اي يحلوا ما حرمه الله عز وجل من القتل
والغارة في الشهر الحرام وانما كان يفعل هذا بنوا كنانة فانهم كانوا على دين ابرهيم عليه السلام
في تعظيم الاشهر الحرم كانوا لا يبيحون فيها احدا ولا يقتلون فيها احدا ولا ياخذون مال احد الا انهم ربما
كانوا يوخرون رجبا ويبدلون بدله صفر لتكون الشهور متواليه وربما كانوا يوخرون المحرم
ويجعلون بدله صفر ليفرقوا بين الشهور الثلثة لانهم كان عيشهم من الغارات وكان يشق عليهم ترك
الغارة في الاشهر المتواليه او في شهر واحد من الاشهر الحرم ه وقوله عز وجل زين لهم سوء
اعمالهم اي حسن في قلوبهم قبح اعمالهم في تحريم ما احل الله عز وجل وتحليل ما حرم الله تعالى ه قال الحسن
رضي الله عنه زينها لهم انفسهم والشيطان ه وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الكفرين قيل
لا يوفقهم مجازاة لكفرهم وقيل لا يهديهم الى الجنة والثواب ه وذهب بعض المفسرين في معنى
النسي الى انهم كانوا يوخرون الحج عن ذي الحجة الى المحرم ثم الى صفر حتى تدور السنة الا ان الاقرب الى
ظاهر هذه الايه ما تقدم ذكره قال ابن عباس كان الناسي رجل من بني كنانة يقال له نعيم
بن ثعلبة بن عوف وكان يكون على الناس بالموسم فاذا هم الناس بالصدر وفرغوا من حجهم قام فخطب
الناس ويقول الا ان الهتكم حرمت عليكم صفر العام فيحرمون فيه الدما والهواد ويستحلون في المحرم فاذا
كان من قابل نادى الا ان الهتكم حرمت عليكم المحرم العام فيحرمون فيه الدما والاموال ويستحلون
صفر لتغير والبه ه وفي بعض الروايات كان يقول قبل هذا النداء الذي ذكرناه يا ايها الناس انا
الذي لا اعاب ولا اجاب ولا مرد لما قضيت فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسيهم
شهرا الا ان صفر العام حلال يريد به المحرم وربما يقول حرام فيحرمونه فيسمون المحرم صفرا وكانوا اذا
قال الناسي في المحرم حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة فحجوا وغاروا على الناس فاذا قال حرام حلوا
الاوتار ونزعوا الازجة واغمدوا السيوف ثم استمر امر الموسم على سنة نعيم من بعده والذي
ادركه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الموسم من الكفار جنادة بن عوف ابن امية قال محمد
ابن مروان قلت للكلبي اذا كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما كيف الناس لا يخبرون من قابل
قال انما كانوا يفعلون ذلك التحليل في المحرم في سنة هم احترما كانوا ه وقد اختلف اهل العلم في حرمة
القتال في اشهر الحرم قال بعضهم انما سماها تعالى الحرم لما فيها من حرمة القتال وكان اهل الجاهليه
يعتقدون ذلك وكان في قوله منها اربعة حرم دليل حرمة القتل والغارة فيها وفي قوله عز وجل وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة دليل جواز القتال فيها على وجه الدفع ه وذهب فقهاونا الى ان علماونا
المراد بقوله عز وجل منها اربعة حرم تعظيم انتهاك حرمتها بالظلم والفساد فيها وتعظيم ثواب الطاعة التي
يفعل فيها وقوله عز وجل وقاتلوا المشركين يدل على ان الله تعالى اخرج هذه الاشهر الحرم من
ان تكون حرما في باب الجهاد دليلا لا نعدو احدا ان الجهاد داخل تحت قوله عز وجل فلا تظلموا فيهن انفسكم
وكان الله عز وجل ميز الجهاد من الظلم الذي هو اقدام على النفوس والاموال ه قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم

بالحيوة

بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقام بالمدينه مرجعه من الطايف ثم امره الله عز وجل بالجهاد لغزوة الروم وامرهم بالخروج الى غزوة
تبوك وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت ثمار اهل المدينه فامرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وكانوا يتثاقلون عن الخروج ويحبون الظلال والثمار فانزل الله
عز وجل ومعناها اي شي لكم اذا قيل لكم اخرجوا الى ثمار المشركين تثاقلتم الى الارض وتكاسلتم
فاطمانتم الى اوطانكم والنفر الخروج الى الشي لامر هيج عليه ويقال هو الخروج الى موضع الفزع ويقال
نفر من كذا اذا فزع منه ه وقوله عز وجل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة استفهام بمعنى الانكار
معناه اخترتم عمل الدنيا على عمل الاخرة والحيوة في الدنيا على الحيوة الدائمة في الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا
اي ما منفعة الدنيا في الاخرة فيما ينتفع به اولياء الله في الجنة الا يسير لان الدنيا تضمحل وتفنى اهلها والاخرة
هي دار القرار ثم خوفهم الله عز وجل بقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم
ولا تضروه شيا والله على كل شي قدير معناه الا تخرجوا مع نبيكم في الجهاد يعذبكم عذاب الاستيصال
ويستبدل قوما غيركم يستبدل بكم خيرا واطوع لله عز وجل منكم ولا تنقصوا من ملكه شيا بقعودكم
عن الجهاد والله على كل شي قدير من العذاب والبدل وغيره لانه قادر والاصل في قوله عز وجل الا تنفروا
ان لا تنفروا وادغمت النون في اللام قوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز
حكيم وذلك ان كفار مكه لما ارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل عليه
السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام لعلي كرم الله وجهه نم مكاني على الفراش وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ليلته تلك الى ابي بكر رضي الله عنه فخرجا الى غار جبل ثور وهو جبل باسفل مكة
ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على اطراف اصابعه حتى حفيت قدماه فلما راه ابو بكر رضي
الله عنه حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار وكان الغار معروفا بالهوام فسبق ابو بكر
رضي الله عنه الى الغار وجعل يسد الجحر بثيابه خشية ان يخرج منها شي فيوذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبقي جحر فوضع عقبه عليها وكانا في الغار ليلتهما ودخل الكفار على علي عليه السلام ليلا
لا يشكون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظروا اليه اذا هو علي كرم الله وجهه فقالوا
يا علي اين محمد فقال لا ادري اين ذهب وطلبوه من الغد واستاجروا رجلا يقال له كرز بن علقمة الخزاعي
فقفا لهم الاثر حتى اتى بهم الى ثور وقال انتهيا الى هاهنا وهذا اثره فما ادري اين اخذ يمينا او صعد الجبل
فصعدوا الجبل يطلبونه فيه واعمى الله عز وجل عليهم مكانه فلم يحسوا فيه اثرا فقام رجل منهم يبول
مستقبلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر بعورته فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما اراه
الا قد ابصرنا فقال عليه السلام لو ابصرنا ما استقبلنا واقبل فتيان قريش من كل بطن معهم عصيهم وقسيهم
حتى اتوا باب الغار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ثمامة وهي شجرة صغيرة ضعيفة يكون على
راسها مثل القطن فامر ابا بكر رضي الله عنه ان ياخذها معه فلما صار الى باب الغار امره ان يجعلها على باب الغار
والهم الله عز وجل العنكبوت فنسجت حتى سترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وبعث الله حمامتين
وحشيتين فاقبلتا حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة فلما راوا الشجرة والحمامة ونسج العنكبوت
علموا ان ليس في الغار احد وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول يا رسول الله قد اتينا وما انا الا رجل واحد
فان قتلت انت تهلك هذه الامة فلا يعبد الله عز وجل بعد هذا اليوم فقال لا تحزن يا ابا بكر ان الله معنا ثم نزل
المشركون من الجبل ولم يقدروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالغار ثلثة ايام ولياليهن وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ياتيهما باخبار اهل مكة فلما امنا الطلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالهجرة الى المدينة استاجر رجلا يقال له عبد الله بن اريقط يهديه الى الطريق الى المدينة فخرج بهم الى المدينة فسمع سراقة بن مالك بن جعشم الكناني بخروجه الى المدينة فلبس لامته وركب فرسه يتبع اثارهم حتى ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسخت قوائم فرسه فقال يا محمد ادع الله ان يطلق علي فرسي وارد عنك من ارى من الناس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان صادقا فاطلق فرسه فاطلق الله عز وجل فرسه فرجع سراقة وقدم ابو بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا المدينة هكذا روي وفي هذا قصة طويلة رويت من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة ومعنى هذه الاية الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم في الخروج معه الى تبوك فالله عز وجل ينصره كما نصره اذ اخرجه الكفار من مكة وهو ثاني اثنين اي احد اثنين لم يكن معهما غيرهما تقول العرب خامس خمسة تريد بذلك احدهم ○ وقوله عز وجل اذ هما في الغار اراد به غار ثور حين خرجا اليه والغار النقب الذي يكون في الجبل ○ وقوله عز وجل اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا معناه اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر رضي الله عنه لا تحزن على قتلي وذهاب الاسلام ان الله عز وجل يحفظنا ويدفع شر المشركين عنا ○ وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي انزل طمانينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سكن واطمان ويقال انزل الله سكينته على صاحبه ابي بكر رضي الله عنه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان ساكنا ○ وقوله عز وجل وايده بجنود لم تروها معناه واعان محمدا صلى الله عليه وسلم وقواه يوم بدر والاحزاب وحنين بجنود لم تروها وهم الملائكة ○ وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اي جعل كلمة الشرك مغلوبة مذمومة وجعل اهلها اذلة اسفلين ○ وقوله عز وجل وكلمة الله هي العليا اي وجعل كلمة التوحيد هي الكلمة العالية الممدوحة اعز الله عز وجل بها الاسلام والله عزيز حكيم اي منيع بالنقمة من عصاة حكيم فيما حكم به من امره ○

قوله عز وجل **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** معناه انفروا الى الجهاد في سبيل الله شبانا وشيوخا وقيل موسرين وقيل معسرين ○ وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل نشاطا وغير نشاط ان خفت عليكم الحركة او ثقلت وجاهدوا العدو باموالكم وانفسكم في طاعة الله ذلكم اي الجهاد بالمال والنفس خير لكم من القعود عن الجهاد ان كنتم تعلمون ○ ان الله صادق بوعده ووعيده وقيل انكم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير فارغبوا فيه وفي الاية دلالة على ان الجهاد بالمال والنفس جميعا واجب لمن استطاع بهما ومن استطاع الجهاد باحدهما فعليه ان يجاهد بما استطاع ويقال ان هذا كان في غزوة تبوك وكان النفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبا على من استنفر وليس كذلك حكم النفر مع غيره قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم نسخها بقوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة ويقال لا نسخ في هذه الاية فان المراد بهذه الاية ان اهل الثغور اذا لم يقدروا على مقاومة العدو واستنفروا صار النفر فرضا على جماعة المسلمين ○ والمراد بقوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة ان الذين في وجه العدو اذا قدروا على مقاومتهم سقط فرض الجهاد عن الناس لان الجهاد فرض على الكفاية وقد روي انه لما نزلت هذه الاية سارعوا الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم فخرج بهم الى تبوك فلما رجع بهم انزل الله عز وجل فيمن تخلف بغير عذر ○

قوله عز وجل **لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون** معناه لو كان المدعو اليه غنيمة قريبة وسفرا سهلا لاتبعوك اي لو علموا انهم يصيبون مغنما لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم المسافة الى

الشام وسيحلفون بالله في اعتذارهم اليكم لو كان لنا سعة في المال والزاد لخرجنا معكم في غزاتكم يهلكون انفسهم باليمين الكاذبة والقعود عن الجهاد والله يعلم ان لهم سعة في المال والزاد وانهم لكاذبون في هذا الاعتذار والعرض كل ما يعرض لك من متاع الدنيا والشقة القطعة من الارض يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان تكون من الشق ويحتمل ان تكون من المشقة وفي الاية دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم سيحلفون فحلفوا ووقع مخبر خبره على ما اخبر به ○

قوله عز وجل **عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** معناه تجاوز الله عنك يا محمد لم اذنت في القعود عن الجهاد حتى يظهر لك الذين صدقوا في ادعاء الاعذار وتعلم الكاذبين في عذرهم وفي الاية بيان انما فعله صلى الله عليه وسلم كان ذنبا منه لان الصفح لا يكون الا بعد الذنب الا ان ذنوب الانبيا لا تكون الا صغائر وقيل لو ان الله عز وجل اخبره بالذنب قبل ان اخبره بالعفو لكان يخاف على النبي صلى الله عليه وسلم من هيبته قوله عز وجل لم اذنت لهم الا ان الله عز وجل اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه ثم قال عز وجل لم اذنت لهم ○

قوله عز وجل **لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين** معناه لا يستاذنك المومنون في القعود عن الجهاد وقوله عز وجل ان يجاهدوا معناه ان لا يجاهدوا باموالهم وانفسهم ويقال كراهة ان يجاهدوا ويقال معناه ان المخلصين لا يستاذنوك بعد اذا امرتهم بالشيء بل يسعون الى ما امرتهم به وقوله عز وجل والله عليم بالمتقين اي هو عالم بالمخلصين المطيعين يميزهم عن المنافقين ○

قوله عز وجل **انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** معناه انما يستاذنك في القعود عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله وبيوم البعث وشكت واضطربت قلوبهم في شكهم يتحيرون فالريب شك مع اضطراب القلب ○

قوله عز وجل **ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** معناه ولو ارادوا الخروج معك الى العدو لاتخذوا له اهبة لكن من اراد شيئا لطف به لايقاع ذلك الشيء ○ وقوله ولكن كره الله انبعاثهم معناه ولكن لم يرد الله خروجهم معك لانهم لو خرجوا لكان يقع على وجه التخريب فيما بين المسلمين واساءة الامور لكفرهم ومعصيتهم ○ وقوله تعالى وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه قيل لهم اقعدوا مع النسا والصبيان يجوز ان يكون القائل لهم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بامر الله عز وجل ويجوز ان يكون قد قال بعضهم لبعض ○ وقيل قال لهم الشيطان ووسوس لهم ترغيبا لهم في القعود ثم اخبر الله عز وجل المسلمين انه لا منفعة لهم في خروجهم بل عليهم مضرة منهم ○

فقال عز من قائل **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين** معناه لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة ولكن زادوكم شرا وفسادا ○ وقوله عز وجل ولاوضعوا خلالكم معناه ولاسرعوا فيما بينكم يطلبون لكم فساد الراي وتضعيفهم وعيوب المسلمين ○ ويقال لسعوا فيما بينكم بالنميمة والايضاع هو الاسراع يقال اوضع البعير ايضاعا ○ وقوله وفيكم سماعون لهم معناه فيكم قابلون منهم ما يسمعون منهم ويقال في عسكركم عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم ○ وقوله عز وجل والله عليم بالظالمين اي عالم بهم يجازيهم على سوء افعالهم ○

قوله عز وجل **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون** معناه ان هولاء المنافقين طلبوا اختلاف ارائكم وتشتيت كلمتكم من قبل غزوة تبوك فقلبوا لك الامور ظهرا لبطن فيما ذا يفعلون بك وباصحابك من الشر وكيف يحتالون في هلاكك وهلاك اصحابك وقلبوا مرة اعلى ومرة اسفله ○ وقوله عز وجل حتى جاء الحق

جاء الحق

معناه حتى جاء الاسلام واظهره الله عز وجل على ساير الاديان وهم كارهون لذلك ه قوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكفرين نزلت في جد بن قيس من المنافقين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج الى العدو وحرضه على الجهاد وقال يا جد هل لك العام في جلاد بني الاصفر فقال يا رسول الله ايذن لي ان اقيم ولا تفتني ببنات الاصفر فقد عرف قومي عجبي بالنسا واني ارى المراة تعجبني فما املك نفسي حتى اضع يدي على المحرم وكان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فتزوج رومية فولد له منها بنات لعس اجتمع فيهن سواد الحبشة وبياض الروم لم ير مثلهن فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول جد بن قيس اعرض عنه وقال اذنت وقوله عز وجل الا في الفتنة سقطوا معناه الا في الكفر والاثم وقعوا لمخالفتهم امرك في الجهاد وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكفرين معناه انهم يدخلون جهنم لا محالة لان الشي اذا كان محيطا بالانسان وانه لا يفوته ه قوله عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون معناه ان تصبك يا محمد حسنة من فتح وغنيمة تسوهم تلك الحسنة وان تصبك شدة ونكبة يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا اي حذرنا بالتخلف عنهم من قبل هذه المصيبة ويتولوا عنك وهم معجبون بما اصابكم من الشدة ه ه قوله عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون معناه قل يا محمد للمنافقين لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ علينا قال الحسن رضي الله عنه معناه انا لسنا مهملين بل جميع ما يصيبنا من خير او شر فهو مكتوب في اللوح المحفوظ ويقال معناه قل لن يصيبنا في عاقبة الامر الا ما كتب الله لنا من الفتح والنصر على الكفار فان اصابتنا الهزيمة في الحال فان امور العباد لا تجري الا على تدبير قد احكم وابرم وقوله عز وجل هو مولانا اي ولينا يحفظنا وينصرنا ه وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المومنون معنى التوكل على الله تفويض الامر اليه مع الثقة ه قوله عز وجل قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون معناه هل تنتظرون بنا الا النصرة على الكفار والظفر بهم او القتل على وجه الشهادة مع الفتح في الدنيا مع ثواب الاخرة ونحن ننتظر بكم احدى الشرين اما ان يصيبكم الله عز وجل بعذاب الاستيصال من عنده او ان ينصرنا عليكم فيقتلكم باسيافنا فانتظروا انا معكم منتظرون عذاب الاستيصال والنصرة عليكم ه قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ه معناه ان انفقتم في الجهاد طايعين من قبل انفسكم او مكرهين مخافة القتل لن يتقبل منكم لما انتم عليه من الكفر والنفاق وقد يذكر لفظ الامر ويراد به الشرط والجزا كما قال الشاعر

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت ه

معناه ان احسنت بنا واسأت فانت لا ملومة ويقال ايضا ان قوله انفقوا لفظه لفظ الامر لبيان التوسعة في التمكين من الخير كان تقتضي التمكين من الخير والشر فان المكلف لو لم يتمكن من فعل المأمور لم يستحق المدح والثواب على فعله ولو لم يتمكن من ترك المنهي عنه لم يستحق المدح والثواب فصار التقدير كانه قال انكم متمكنون من الانفاق فانفقوا طوعا او كرها فانه لن يتقبل منكم اي لن يوجب لكم الثواب عليها وهو مثبت لقوله التي يقتضي المكافاة عليها وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لنفي تقبل النفقة لان النفاق يحبط الطاعة ويمنع استحقاق الثواب ه قوله عز وجل وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون

الا وهم كارهون فيه بيان المعنى الذي لاجله لم تقبل نفقاتهم كانه قال ما منعهم من ايجاب الثواب لهم على نفقاتهم الا كفرهم بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى فيه بيان انهم انما يصلون مراءاة للناس وكذلك ينفقون في الزكاة وغيرها لاجل التستر بالاسلام لا لابتغا ثواب الله عز وجل والكسالى جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران ه قوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية تقديم وتاخير المعنى لا تعجبك يا محمد كثرة اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله عز وجل ليعذبهم بها في الاخرة وقال الحسن رضي الله عنه معناه لا تسرك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله عز وجل ان يعذبهم بها بالتشديد عليهم في التكليف بان يامرهم بالانفاق في الزكوات والغزو وما شاكل ذلك من المكاره التي تشق عليهم لانهم لا يرجون بذلك ثوابا في الاخرة ويكونون معذبين بالانفاق اذ كانوا ينفقونها على كره منهم ويقال اراد بقوله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي ما ينالهم من المصايب في اموالهم لا تكون كفارة لذنوبهم وقوله عز وجل وتزهق انفسهم معناه وتخرج ارواحهم في حال كونهم كافرين والزهوق خروج الشي بالصعوبة واصله الهلاك ومنه قوله عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل ه قوله عز وجل ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون معناه ان هولا المنافقين يحلفون انهم على دينكم يقول الله عز وجل وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون من المسلمين فاظهروا الاسلام واسروا النفاق ه قوله عز وجل لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون معناه لو يجدون حرزا يلجئون اليه ويتحصنون فيه او غيرانا في الجبال او سربا في الارض او قوما يمكنهم الدخول فيما بينهم يحفظونهم عنكم لصبوا اليهم وهم يستبقون ويسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شي والمغارة هي الموضع الذي من دخله استتر عن غيره ومن قرا مغارا بضم الميم فهو من قولهم اغرت وغرت اذا دخلت الغور والمدخل اصله مدتخل مفتعل من الدخول ابدلت التا بالدال لان التا مهموسة والدال مجهورة وهما من مكان واحد فاجتمع حرفان من جنس واحد فادغم احدهما في الاخر ومن قرا مدخلا فهو من ادخل يدخل والجمح مشي بين مشيين وهو من لغات اهل اليمن يقال فرس جموح للذي اذا ذهب في عدوه لم يرده اللجام ه قوله عز وجل ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون نزلت في ابي الجواظ وغيره من اللمازين من المنافقين كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم الصدقات فقال ابو الجواظ ما ترون صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابا لك اما كان موسى عليه السلام راعيا اما كان داود عليه السلام راعيا فذهب ابو الجواظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانزل الله عز وجل هذه الاية ه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله قال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل قال عمر رضي الله عنه ايذن لي ان اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلاته مع صلوتهم وصومه مع صومهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ه ومعنى الاية ومن المنافقين من يعيبك في الصدقات فان اعطوا منها من الصدقة مقدار مرادهم رضوا بالقسمة وان لم يعطوا من الصدقة قصدا لا يرضون بالقسمة واما قوله عز وجل يلمزك بضم الميم وكسرها فهما لغتان بمعنى واحد ه قوله عز وجل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون معناه لو انهم رضوا ما رزقهم الله وما يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من

العطية والصدقة وقالوا كافينا الله سيعطينا الله من فضله ورزقه سيعطينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ما يكون عنده من السعة والفضل وقالوا انا الى الله راغبون فيما عنده من الثواب لكان
خيرا لهم واعود عليهم الا انه حذف الجواب لان حذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ من الاثبات لانك
اذا احذفت الجواب ذهبت النفس فيه كل مذهب وبالله التوفيق ٥ **قوله عز وجل** انما
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم في الاية بيان موضع الصدقات
وقد اختلفوا في الفقرا والمساكين قال عبد الله بن عباس والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد
رضي الله عنهم اجمعين انهم قالوا الفقير المتعفف الذي لا يسال الناس والمسكين وهكذا روي شاهويه
عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رحمهم الله اجمعين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الفقرا هم اصحاب
الصفة صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم منازل بالمدينة
ولا عشاير فاووا الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسون الرزق بالنهار وياوون اليه بالليل
فمن كان عنده فضل من المسلمين اتاهم به اذا امسوا قال والمساكين هم الطوافون الذين يسالون
الناس ٥ وفيما رويناه عن ابي حنيفة رحمه الله ان المسكين افقر من الفقير ومن الدليل على ذلك ان الله
عز وجل قال للفقرا الذين احصروا في سبيل الله الاية ومعلوم ان الجاهل بحال الفقير لا يحسبه غنيا الا وله
ثروة حسنة وقال عز وجل يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله فسماهم فقرا وان كان لهم ملك وقال
عز وجل او مسكينا ذا متربة قيل في التفسير انه الذي قد لصق بالتراب وهو جايع عار ليس بينه وبين
التراب شي يقيه وقال ابو العباس ثعلب حكي عن اهل اللغة انه قال قلت لاعرابي افقير انت قال
لا بل مسكين ٥ وانشد عن ابن الاعرابي ٥ اما الفقير الذي كانت حلوبته ٥
وفق العيال فلم يترك له سبد ٥ فسماه فقيرا مع وجود الحلوبة وقيل ان الفقير من افتقر الى
الغير والمسكين مفعيل من السكون وهو الذي سكنت نفسه الى الفقر والحاجة ويقال هو
من اسكنه الفقر اي قلل حركته ٥ وعن فنا ده رحمة الله عليه انه قال الفقير ذو الزمانة من اهل
الحاجة والمسكين الصحيح منهم كانه ذهب الى ان الفقير مشتق من كسر فقار الظهر من الجوع ٥ واحتج
من قال ان الفقير افقر بقوله عز وجل اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ٥ وهذا مما
لا دلالة فيه لانه روي انهم كانوا اجرا في تلك السفينة فاضاف السفينة اليهم لانهم فيها كما يقال
منزل فلان ومسجد فلان قالوا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني مسكينا في زمرة المساكين واستعاذ من الفقر فدل ان الفقر اشد قلنا
انما استعاذ من الفقر لانه هو الافتقار الى الغير ولا تعلق لذلك بشدة الحاجة ٥ واما ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة
واللقمتان والاكلة والاكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ٥
فقد استدل بعضهم بهذا الخبر على ان الفقير هو الذي يسال الناس والمسكين الذي لا يسال الا ان في
هذا الخبر ان المسكين اضعف حالا من الفقير وهو الذي ذكرناه لا تبين معناه الا في الوصايا
كما قال ابو يوسف عن ابي حنيفة رحمهما الله فيمن اوصى بثلث ماله لفلان وللفقرا والمساكين ان
لفلان الثلث وللفقرا والمساكين الثلثين وعن ابي يوسف نفسه انه قال لفلان النصف وللفقرا و
المساكين النصف لان الجهة في الفقرا والمساكين جهة واحدة وهي جهة القربة الى الله عز وجل فتبين
ان هذا الخلاف يظهر في الوصية واما في الزكوة فالمقصود هو سد الخلة وللمتصدق ان يتصدق
بتقصر على صنف واحد من الاصناف المذكورين في الاية هكذا روى عن عمر وعلي وابن عباس وجماعة من

الذي يسال ... جميعا

الصحابه

الصحابه رحمهم الله ولم يرو عن احد منهم خلاف ذلك والغرض في ذكر الاصناف في هذه الاية بيان ان لا
يجوز اخراج الصدقة منهم الى غيرهم لان الحاجة في جميع الاصناف المذكورين في هذه الاية موجودة ولان
من عليه الزكوة اذا حمل الزكوة بنفسه الى الامام لم يكن لاحد من العمال في ذلك نصيب وقال
الشافعي رضي الله عنه تقسم الصدقة على الاصناف الثمانية كما هو مذهب مذكور في هذه الاية
الا ان يفقد صنف فيقسم على الباقين ٥ وقيل يقسم على اصله على سبعة اصناف لان المولفة قلوبهم قد
سقطوا وفي سقوط سهم المولفة قلوبهم خلاف بين اهل العلم قال ويعطى كل سهم من السهام الثمانية
ثلثة من اهل كل صنف وان اعطى اثنين ضمن ثلث سهم وقد ذهب بعض اهل العلم ان الفقير هو المسكين
الا ان الله عز وجل ذكره بالصفتين لتاكيد امره ٥ وعلى قول من يقسم على الاصناف كلها انما
ذكر بالصفتين بيان ان للفقرا سهمين من الصدقات ٥ وقد اختلف اهل العلم في المقدار الذي اذا
ملكه الرجل دخل في حد الغنا وخرج عن حد الفقر قال بعضهم اذا كان عند اهله قوت يومهم ٥
واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سال الناس عن ظهر غنى فانما يستكثر من
جمر جهنم قيل يا رسول الله وما ظهر غنى قال ان يعلم عند اهله ما يغديهم وما يعشيهم ٥ وقال بعضهم
اذا املك اربعين درهما او عدلها من الذهب ٥ واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من سال منكم وعنده اوقية او عدلها فقد سال الحافا وكانت الاوقية يومئذ اربعين درهما وقال
بعضهم اذا املك خمسين درهما او عدلها من الذهب ٥ لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسال عبد مسالة وله ما يغنيه الا جا يوم القيمة وفي وجهه كدوح
او خدوش قيل يا رسول الله وما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب وقال فقهاونا رحمهم
الله اذا املك مايتي درهم او عدلها من عرض او غنيمة فاضلا عما يحتاج اليه من مسكن وخادم واثاث
وفرس لم تحل له الصدقة ٥ لان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم
واردها في فقرايكم فجعل الناس فريقين ولا خلاف ان الذي يملك وزن مايتي درهم يكون غنيا
فوجب ان لا يكون داخلا في الفقرا ولو كان الاعتبار بالضرورة لكان الذي له غدا دون العشا او
عشا دون الغدا لا تحل له الصدقة مع ان الاخبار التي رووها واردة في كراهية المسالة لا في تحريم
الصدقة ٥ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للسايل حق وان جا على فرس والفرس في
اكثر الاحوال يساوي اكثر من اربعين درهما ٥ واما قوله عز وجل والعاملين عليها فهم السعاة
لجباية الصدقة ٥ وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انهم يعطون بقدر عمالتهم وعلى قول
الشافعي يعطون ثمن الصدقات ٥ وقوله عز وجل والمولفة قلوبهم قوم كان يعطيهم النبي صلى
الله عليه وسلم يتالفهم على الاسلام وكانوا رؤسا في كل قبيلة منهم ابو سفين بن حرب من بني امية
والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري وغيرهما من بني عامر بن لوي والحرث بن هشام المخزومي
وسهيل بن عمرو العامري من بني عامر بن لوي من اسد وكان يشق على النبي صلى الله عليه وسلم هذه
تلك العطايا وكان يقول اعطي رجلا وادع رجلا الذي ادع احب الي من الذي اعطي ولكني
ولكنني اتالف هولا بالعطية واوكل هذا المومن على ايمانه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جا
المولفة قلوبهم الى ابي بكر رضي الله عنه فطلبوا منه سهمهم فامرهم ان يكتبوا كتابا فجاوا بالكتاب الى
عمر رضي الله عنه ليشهده فقال ايش هذا فقالوا سهمنا فاخذ عمر رضي الله عنه الكتاب ومزقه وقال
انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتالفكم على الاسلام فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فان ثبتم على
الاسلام والا بيننا وبينكم السيف فرجعوا الى ابي بكر رضي الله عنه وقالوا انت الخليفه ام هو فقال ان شا
فبطل سهمهم فان قيل كيف كان يجوز اعطا الكافر من الزكوة قيل لان الزكوة معدة لسد الخلة

رسول الله

ح

بني

ومعونة المسلمين وسد الخلة ما نصرف الى الفقراء والمساكين ومعونة ما كان يدفع الى المولفة قلوبهم لدفع
مضرتهم وكف ايديهم عن المسلمين للاستعانة بهم على غيرهم من المشركين وقيل كانت الفايدة في قلوبهم
ذلك استمالة قلوبهم وقلوب غيرهم من الكفار ليرغبوا في الاسلام ولئلا يقع المنع منهم لمن اسلم من قومهم
على الثبات على الاسلام ومن اصحابنا رحمهم الله من قال ان المولفة قلوبهم والعاملين عليها لا ياخذون
صدقة فلا تحصل الصدقة في يد الامام للفقراء يعطي الامام المولفة منها لدفع اذيتهم عن الفقراء وسائر المومنين
ويعطي العاملين عليها عوضا عن اعمالهم لا على انها صدقة وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالمولفة
قلوبهم قوم من المسلمين حديثي عهد بالكفر يعطون لئلا يرجعوا الى الكفر وعن الزهري انه قال
المولفة قلوبهم هو من اسلم من يهودي او نصراني فقيل له وان كان غنيا فقال وان كان غنيا وأما
قوله عز وجل وفي الرقاب فمعناه عند اكثر الناس في فكاك الرقاب وهم المكاتبون وذهب
مالك رحمه الله في قوله عز وجل وفي الرقاب الى انهم رقاب يبتاعون من الزكوة ويعتقون فيكون
ولاوهم لجميع المسلمين دون المعتقين قال ولا يعطى المكاتب من الزكوة ولا من الكفارات شيا ولا
يعتق من الزكوة الا رقبة مومنة والحجة عليه ان الاية تقتضي صرف الصدقات في الرقاب ولا تخلوا
اما ان تكون الصدقة مصروفة الى العبد او الى بايع العبد لا يملك رق نفسه وانما يتلف على ملك المولى
ولا يجوز الثاني لان بايع العبد ياخذ ثمن عبده وقد روي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال علمني عملا يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم فك الرقبة واعتق النسمة فقال الرجل اوليسا
سوا فقال عليه السلام لا فك الرقبة ان تعين في عتقها لا مقتضى قوله وفي الرقاب المعونة في العتق
وقوله عز وجل والغارمين اراد به المديونين الذين لا يكون لهم فضل نصاب على الدين
لان المال وان كان في ايديهم فهو مستحق بدينهم وقال مجاهد والزهري رحمهما الله انما تحل
الصدقة للمديون الذي لم يلحقه دين باسراف او في معصية وقوله عز وجل وفي سبيل الله اراد
به المجاهدين في نفقتهم في غزوهم اذا انقطعوا عن بلادهم ورواحلهم وقال ابو يوسف رحمه الله هم
الفقرا الغزاة وذكر محمد رحمه الله في السير الكبير في رجل اوصى بثلث ماله في سبيل الله
انه يجوز ان يجعل في الحاج المنقطع وقال الشافعي رحمه الله يجوز دفع الزكوة الى الغازي الغني
واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحل الصدقة لغني الا لثلثة وذكر الغازي
وابن السبيل ورجلا له جار مسكين فتصدق على جاره فاهدى اليه جاره والجواب ان
الرجل قد يكون غنيا في بلده ويكون له فضل نصاب على ما يحتاج اليه فاذا عزم على الخروج الى العدو
احتاج الى السلاح والعدة والات السفر فانفق فضل النصاب في ذلك الوجه فتحل له الصدقة وأما
قوله عز وجل وابن السبيل فهو المسافر المنقطع عن ماله وسمي ابن السبيل لملازمته السبيل كما
يقال ابن الغنا وابن الفقر ولم يشترط سبحانه وتعالى في ابن السبيل الفقر لان ذلك معلوم بالعادة
كما لم يشترط في اليتامى والقرابة في الخمس الفقر وقوله عز وجل فريضة من الله تاكيدا لامر
الصدقات اي وضع الله تعالى هذه الصدقات في هذه المواضع فريضة من الله تعالى وقوله تعالى
والله عليم حكيم معناه عليم بمصالح عباده حكيم في افعاله قوله عز وجل ومنهم
الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين
ورحمة للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وذلك ان جماعة من المنافقين منهم الجلاس ابن سويد ومخشي بن خويلد وابو
ياسر بن قيس كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل منهم لا تفعلوا وانما نخاف
ان يبلغه الخبر فقال الجلاس بل نقول ما شينا فانما محمد صلى الله عليه وسلم اذن سامعة ثم ناتيه فيصدقنا

فالامام

المعروف بمخشي بن حمير

فانزل الله عز وجل ومنهم هذه الاية ومعناها ومن هولا المنافقين من يوذي رسول الله النبي صلى الله عليه
وسلم ويقولون هو اذن يصغي الى كل احد ويقبل كل ما قيل له ويقال الاصل في قوله عز وجل هو اذن
من اذن ياذن اذا استمع وقال الشاعر في سماع ياذن الشيخ له وحديث مثل ماذي
وقال اخر ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن وأما قوله عز وجل قل اذن
خير لكم فمعناه قل هو مستمع خير لا مستمع شر ويقال معناه هو يستمع الى ما هو خير لكم وهو
الوحي وفي قراة الحسن رضي الله عنه قل اذن خير لكم كلاهما بالتنوين والضم معناه ان كان محمد صلى
الله عليه وسلم كما قلتم اذن فهو خير لكم يقبل عذركم وقرا نافع بالتنوين قل اذن خير لكم بجزم
الدال وهو لغة في اذن وقوله عز وجل يومن بالله اي يصدق بما انزل الله عز وجل ولا يمانه يحجزه
ولا يعمل الا بالحق وقوله عز وجل ويومن للمومنين معناه ويصدق المومنين فيما يخبرونه واختلفوا
في اللام التي في المومنين قال بعضهم هي زايدة كما في قوله عسى ان يكون ردف لكم معناه ردفكم
وقال بعضهم انما ذكر اللام في للفرق بين التصديق وايمان الامان فانه اذا قيل ويومن للمومنين لم يعقل
منه غير التصديق كما في قوله عز وجل وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا وقوله عز وجل قل لا تعتذروا
لن نومن لكم اي لن نصدقكم وقوله عز وجل ورحمة للذين امنوا منكم معناه ورحمة للمومنين
وسماه الله عز وجل رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان بدعايه وهدايته ومن قرا ورحمة بالخفض فهو عطف
على خير كانه قال اذن خير لكم واذن رحمة للمومنين ثم اوعد الله عز وجل المنافقين على مقالتهم تلك
فقال عز من قايل والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
لما نزلت هذه الاية جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم لم يقولوا فانزل الله هذه الاية قوله
عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين
ولم يقل يرضوهما لانه يكره الجمع بين ذكر الله عز وجل وذكر اسم رسوله في كناية واحدة كما روي
ان رجلا قام خطيبا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام بئس الخطيب انت هلا قلت ومن يعص الله ورسوله وقال صلى الله عليه
وسلم لا تقولوا ما شا الله وشا فلان ولكن قولوا ما شا الله ثم شا فلان فلما كره الجمع بين الله وبين
غيره في الذكر تعظيما لله سبحانه رد الضمير في قوله عز وجل يرضوه الى الواحد اي رضي الله عز وجل ثم
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يحذف الكناية في هذا الموضع استخفافا اذا كان في الكلام دليل عليه كما
قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف معناه نحن بما عندنا
راضون وقوله عز وجل ان كانوا مومنين معناه ان كانوا مصدقين بقلوبهم غير منافقين كما
تدعون فطلبهم رضا الله عز وجل اولى من طلبهم رضاكم قوله عز وجل يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم قل الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم معناه الم نخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم انه من يخالف
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في الدين فيجعل نفسه في حد والله عز وجل ورسوله عليه السلام في
حد فان له نار جهنم معناه فله نار جهنم ودخلت ان موكدة وهي عادة ان الاولى لانه لما طال الكلام كان
اعادتها اوكد ومن قرا فان بالكسر فهو على الاستيناف وقوله عز وجل ذلك الخزي العظيم معناه ذلك
الهوان الشديد الدايم قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم
بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون اكثر المفسرين على ان هذا اخبار عن المنافقين
انهم يحذرون ان ينزل الله عز وجل سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك فان بعض المنافقين
كانوا يعلمون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا يكفرون عند اهل الشرك عنادا وحسدا وبعضهم

روا

كانوا عند انفسهم شاكين غير مستبصرين وكانوا يخافون اذا اذنبوا ذنبا ان ينزل علي النبي صلى الله عليه
من القران ما يكشف امرهم عن نفاقهم وفي اخر الايه ما يدل على هذا وهو قوله عز وجل ان الله مخرج ما
تحذرون اي منزل الله عز وجل سورة من امر النفاق ومن هذا سميت هذه السورة سورة الفاضحة لانها
فضحت المنافقين وتسمى ايضا الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين لما اراد الله عز وجل تبيين
المنافق من غير المنافق وقوله عز وجل قل استهزءوا تهديد وان كان لفظه بلفظ الامر لبيان التوعد
في التمكين في التكليف كما في قوله عز وجل اعملوا ما شئتم وذهب الزجاج رحمه الله الى ان قوله
عز وجل يحذر المنافقون لفظه لفظ الاخبار ومعناه الامر كانه قال ليحذر وهذا كما قال الله
عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن وقال عز من قايل والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن **قوله عز وجل** ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض و
نلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو في مسيره اذ رجع من غزوة تبوك
وثلثه نفر يسيرون بين يديه فجعل رجلان يستهزيان برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان ان
محمدا قال نزل في اخواننا الذين تخلفوا كذا وكذا والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشي
فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما يقولون فدعا عليه السلام عمار وقال
انهم يتحدثون كذا وكذا ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب انطلق اليهم واسالهم عما
يتحدثون وقل لهم احترقتم احرقكم الله ورسوله ففعل ذلك عمار رضي الله عنه فجاءوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم يعتذرون ويقولون كنا نخوض ونلعب فيما يخوض فيه الركب اذا ساروا فانزل الله
عز وجل هاتين الآيتين وعن الحسن وقتاده رضي الله عنهما انهم قالوا في طريق غزوة تبوك ايطمع
هذا الرجل ان يفتح له قصور الشام هيهات ما ابعد ذلك فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك وقوله عز
وجل قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون هذه الف استفهام معناه التنبيه لهم على ما
كانوا يفعلونه والاستهزاء طلب الهزء بالشي والهزء اظهار امر وابطان خلافه للتلهي به وقوله
عز وجل لا تعتذروا واصله معناه لا تعتذروا واعن مقالتكم وقوله تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم
معناه قد اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان وانهم قط لم يكونوا مومنين ولكنهم كانوا منافقين
وقيل معناه قد كفرتم بهذا القول بعد ما اقسم على الحقيقة على زعمكم وفي هذا بيان ان الجاد
والهازل في اظهار كلمة الكفر على غير وجه الاكراه سواء وان الاستهزاء بايات الله عز وجل وبشي
من شرايع دينه كفر من فاعله وفي قوله عز وجل ان نعف عن طايفه منكم نعذب
طايفة قراتان احداهما هنه بالضم على فعل ما لم يسم فاعله والثاني ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة
بالنصب قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان نعف عن الرجل منكم لم يتكلم بشي ولكنه كان
يضحك وهو جهير بن حمير نعذب الرجلين اللذين كانا يتكلمان وهما وديعة بن حذام وجد بن قيس
بانهم كانوا مجرمين اي كافرين في السر وكل معصية جرم الا انه اراد ههنا بالجرم الكفر وتبرو
من النبي صلى الله وسلم لما اتى الهود كل الثلثه ما كان منهم من القول في ذلك الطريق قال جهير والله
يا رسول الله ما تكلمت بشي ولا قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يكن تكلمت فقد
ضحكت من مقالتهما بعد ما قال كان ذلك يا رسول الله وانما ذكر الطايفة بمعنى الواحد فقد يذكر
الواحد بلفظ الجماعة كما في قوله عز وجل يا ايها الرسل وهو خطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم والطا
في اللغة اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وعن الحسن رضي الله عنه انه قال في قوله عز وجل ان يعف عن

طايفة منكم معناه اي ان يعف عن طايفة منهم بالتوبة تعذب طايفه بالاصرار على الكفر **قوله
عز وجل** المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون معناه المنافقون
من الرجال والمنافقات من النسا بعضهم مضاف الى بعض لاجتماعهم على الشرك والاستهزا بالمسلمين وهذا
كما يقال انا من فلان وفلان مني اي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقوله عز وجل يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف اي يامرون بالكفر والمعاصي وينهون عن الايمان والطاعات
وقوله عز وجل ويقبضون ايديهم قال الحسن ومجاهد رضي الله عنهما معناه يمسكونها عن النفقة
في الجهاد ويقال عن الزكوات المفروضة وقال قتادة رحمة الله عليه عن الخيرات كلها وقوله
عز وجل نسوا الله تركوا امر الله عز وجل واعرضوا عنه حتى صار كالمنسي عندهم باعراضهم عنه
فتركهم الله عز وجل من رحمته حتى صاروا كالمنسيين عنده وان كان النسيان مما لا يجوز على الله
عز وجل الا انه قال تعالى فنسيهم لمزاوجة الكلام كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وقوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها والنسيان في اللغة ضد الذكر والحفظ وهو في المعنى
ترك الذكر على الحقيقة وقوله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون اي هم المتمردون في الكفر والفسق
في كل شي هو التمرد فيه وان كان النفاق اعظم من الفسق **قوله عز وجل** وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب
مقيم في الايه جمع بين المنافقين والكفار في التسمية وان كان المنافقون هم الكفار لتكون
الاية دالة على ان المنافقين يلحقهم الوعيد من جهتين من جهة الكفر والنفاق وجهنم من اسما النار
تقول العرب للبير البعيدة القعر جهنام فيجوز ان يكون جهنم ماخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها
وقوله تعالى هي حسبهم معناه هي كفايتهم على ذنوبهم لان فيها جزاء عملهم كما يقال حسب فلان ما نزل به
اي ذلك على قدر فعله وقوله عز وجل ولهم عذاب مقيم ولعنهم الله معناه ابعدهم الله من الثنا والمدح
في الدنيا وعن الثواب والرحمة في الاخرة ولهم عذاب مقيم اي عذاب دايم **قوله عز وجل**
كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون معناه وعد الله اهل زمانكم
على الكفر والنفاق نار جهنم كما وعد الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة في البدن واكثر اموالا
واولادا فانتفعوا بنصيبهم وحظهم من الدنيا ولم ينفعهم ذلك حين نزل بهم عذاب الله عز وجل
وكذلك انتم والخلاق هو النصيب من الخير وقوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم معناه فاستمتعتم
انتم بنصيبكم من الدنيا وخضتم فيها كما استمتع الذين من قبلكم وقوله عز وجل وخضتم
كالذي خاضوا معناه وخضتم في الكفر والاستهزا بالمومنين كما خاض الاولون وقوله عز وجل
اوليك حبطت معناه اهل هذه الصفة حبطت اعمالهم على جهة البر مثل الانفاق في وجوه الخير ومثل صلة
الرحم في الدنيا حتى لا يستحقوا بها الاكرام والتعظيم في الدنيا وحبطت في الاخرة حتى لا يستحق اهلها
الثواب في الاخرة وقوله عز وجل اوليك هم الخاسرون اي هم الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم
القيمة والخسران هو ذهاب راس المال من دون ان يربح عليه **قوله عز وجل** ألم ياتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والموتفكات
اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون معناه الم ياتيك المنافقين
خبر من قبلهم كيف اهلكهم الله عز وجل حين تمردوا في الكفر فاستهزءوا بالمسلمين وهم قوم نوح

اهلكهم الله بالغرق وعاد قوم هود اهلكهم الله بالريح وثمود قوم صالح اهلكهم الله بالرجفة وقوم ابرهيم اهلكهم الله عز وجل نمرود منهم بالبعوض وساير قومه بالهدم واصحاب مدين قوم شعيب اهلكهم الله بالصيحة وعذاب الظلة ومدين هو مدين ابرهيم نسبت القرية اليه وقوله عز وجل والموتفكات معناه والمنقلبات وهي قريات قوم لوط اهلكهم الله عز وجل بالخسف وقلب مدائنهم ويقال اراد بالموتفكات كل من انقلبت امرهم عليهم من الخير الى الشر يقال للهالك انقلبت عليه الدنيا وقوله عز وجل اتتهم رسلهم بالبينات اي بالبراهين والحجج وقوله عز وجل فما كان الله ليظلمهم ولكن انفسهم يظلمون معناه وكذبوا الرسل وكفروا بالايات فاهلكهم الله ولم يكن ذلك ظلما من الله عز وجل عليهم لانهم استحقوا ذلك بعلمهم فكانوا هم الظالمين لانفسهم قوله عز وجل والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم معناه والمومنون من الرجال والمومنات من النسا بعضهم انصار بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك اي بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وشرايعه وينهون عما لا يعرف عنه شريعة ولا سنة ويقيمون الصلوات الخمس بشرايطها ويوتون الزكوة الواجبة في مالهم ويطيعون الله عز وجل في الفرايض ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنن اولئك سيرحمهم الله عز وجل عليهم في الاخرة والرحمة هي الانعام على المومنين وعن بعض اهل الاشارة سيرحمهم الله عز وجل في خمس مواضع عند الموت في سكراته وفي القبر وظلماته وعند قراة الكتاب وحسراته وعند الميزان وندامته وعند الوقوف بين يدي الله عز وجل وسوالاته ٥ وقوله عز وجل ان الله عزيز حكيم معناه غالب في ملكه وسلطانه تجري افعاله على ما توجبه الحكمة ثم ذكر جل ذكره منازل المومنين في الجنة فقال عز من قايل وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم وعد الله المصدقين من الرجال والمصدقات من النسا جنات تجري من تحت شجرها وغرفها انهار الما والعسل واللبن والخمر خالدين اي مقيمين دايمين فيها ٥ وقوله عز وجل ومساكن طيبة معناه منازل طاهرة عامرة تطيب بها النفس قال الحسن رضي الله عنه هي مساكن بناها الله عز وجل من اللالي واليواقيت الاحمر والزبرجد الاخضر وفي الجدران تتعاطيه تهب من تحت العرش فتدخل عليهم من كثبان المسك الابيض ٥ وقوله عز وجل في جنات عدن اي في بساتين اقامة قال عبد الله بن عباس جنات العدن في بطنان الجنان اي في وسطها والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة منذ خلقها الله عز وجل حتى ينزلها النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وعن مجاهد رضي الله عنه انه قال قال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر هل تدرون ما جنات عدن قصور في الجنة من ذهب لكل قصر خمسة الاف باب على كل باب خمسة وعشرون الفا من الحور العين لا يدخلها الا نبي وهنيا لصاحب هذا القبر واشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم او صديق وهنيا لابي بكر او شهيد واني لعمر بالشهاده وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر معناه رضى الرب عنهم اكبر واعظم من هذا النعيم كله لانهم انما نالوا ذلك كله برضوان الله عز وجل عليهم ومعنى الرضوان ارادة الخير والثواب وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم معناه ذلك الذي ذكرت هو الحيوة الوافرة نجوا من النار وظفروا بالجنة ٥ وعن الحسن رضي الله عنه انه قال في قوله عز وجل ورضوان من الله اكبر اي سرورهم في الاخرة برضى الله عز وجل معناه

غنم

عنهم يكون اكبر من سرورهم بهذا النعيم كله وهذا موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انزل الله اهل الجنة منازلهم قال الا اعطيكم اكبر من هذا فيقولون بلى يا رب وما اكبر من ذلك فيقول الله تعالى احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ٥ قوله عز وجل يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واشدد على الفريقين جميعا ومصيرهم في الاخرة جهنم وبئس الموضع الذي يصيرون اليه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جاهد باليد فان لم تستطع فباللسان فان لم تستطع فاكفهر في وجوههم اي قطب وجهك في وجوههم وقال الحسن رضي الله عنه معناه جاهد الكفار بالقتل والمنافقين بالحدود فانهم كثيروا التعاطي في الاسباب الموجبة للحدود ٥ قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي والجلاس بن سويد وعامر بن النعمن وغيرهم كانوا خمسة عشر رجلا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بتبوك وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان ما يقول محمد على اخواننا صدقا فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل والله ان محمدا الصادق ولانتم شر من الحمير فلما انصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر ابن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا على المنبر فحلفا جميعا فرفع عامر ابن قيس يده الى السما فقال اللهم انزل على نبيك وبين الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون آمين فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يحلف المنافقون بالله عز وجل ما تكلموا بكلمة الكفر ولقد تكلموا بها فاظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام ويقال كفروا بقولهم ذلك بعدما كانوا اسلموا على زعمهم وقوله عز وجل وهموا بما لم ينالوا اي قصدوا اما لم يصلوا اليه والهم بالشي في اللغة هو مقاربته دون الوقوع فيه قيل انهم كانوا هموا بقتل الذي انكر عليهم قولهم ويقال ان هذا انزل في اثنا عشر رجلا من المنافقين عزموا على ان يقفوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعقبة على طريقه ويغتالوه فاعلمه الله عز وجل فلما بلغ اليهم امر من نحاهم عن طريقه بعد ان سماهم رجلا رجلا والقول الثالث ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى غزوة بني المصطلق وهي حي من خزاعة وقد جمعوا له ليقاتلوه واتفقوا على ما لم اقبلوا فهزمهم الله عز وجل ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناهم واموالهم ونساهم فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل منزلا فاصطحب رجل من اصحاب عبد الله بن ابي مع رجل من المخلصين غفاري يقال له جهجاه فلطم الغفاري حليف عبد الله ابن ابي فغضب عبد الله وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم ثم نظر الى اصحابه وقال والله لقد امرتكم ان تكفوا طعامكم عن هذا الرجل ومن معه حتى يتفرقوا فلم تفعلوا والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فقال له زيد ابن ارقم رضي الله عنه وكان غلاما حدث السن يا عدو الله وعدو رسوله صلى الله عليه وسلم تقول هذا قال والله لابلغن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه وعنده عمر رضي الله عنه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه فبلغ عبد الله بن ابي ما قال زيد بن ارقم فشيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف الانصار يصدقونه ويكذبون زيدا ويقولون نخشى زيدا ان يكون قد وهم في حديثه وكان ابن ابي يحلف بالله عز وجل ما قال ما ابلغه زيد فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم وسار فقال اسيد بن حضير يا رسول الله ارفق بعبد الله والله لقد جا الله تعالى بك وان قومه ليتوجوه
فهو يرى انك سلبته ملكا عظيما فسار النبي صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح
ويومهم ذلك حتى اذتهم الشمس واشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس ثم نزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قول ابن ابي وهموا بما لم ينالوا ولله العزة ولرسوله وللمومنين فاما
قوله عز وجل وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فمعناه وما طعنوا على النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضي الله عنهم اجمعين الا ان اغناهم الله عز وجل من فضله واغناهم رسول الله صلى
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها في شدة من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استغنوا وقوله عز وجل وان يتوبوا
يك خيرا لهم معناه ان يتوبوا من النفاق يكن خيرا لهم في الدنيا والاخرة وان يعرضوا عن التوبة
يعذبهم الله عز وجل في الدنيا بالقتل ويقال باظهار حالهم وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من حافظ
يحفظهم ولا دافع يدفع عذاب الله تعالى قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت هذه الاية
قام الجلاس ابن سويد وقال يا رسول الله اسمع الله عز وجل قد عرض علي التوبة صدق عامر ابن قيس
فيما قال لك لقد قلته وانا استغفر الله عز وجل واتوب اليه فقبل صلى الله عليه وسلم منه ثم تاب وحسنت
توبته **قوله عز وجل** ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما ومعناه من المنافقين من عاهد الله تعالى وهو ثعلبة بن حاطب كان له مال بالشام فابطا عليه
فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله عز وجل لئن اتانا من فضله يعني المال الذي له بالشام لنصدقن منه
ولنصلن به الرحم ولنودين منه حق الله تعالى ولنكونن من المقيمين لفرايض الله عز وجل فاتاه الله المال
الذي كان له بالشام فبخل بما وعد ولم يفعل ما عاهد الله عليه وعن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه
ان ثعلبة بن حاطب الانصاري جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله عز وجل ان
يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ادع الله تبارك وتعالى ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة اما ترضى لك ان تكون مثل رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو سالت الله عز وجل ان يسيل علي الجبال ذهبا او فضة لسالت ثم رجع فقال يا
رسول الله ادع الله تعالى ان يرزقني مالا فوالله لئن اتاني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلث مرات فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت بها ازقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد
الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج اليها ثم نمت حتى تعذرت عليها مراعي المدينة فتنحى
بها وكان يشهد الجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج اليها ثم نمت فترك الجمع والجماعات فلما
انزل الله عز وجل قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلين
على الصدقات رجلا من الانصار ورجلا من بني سليم وكتب لهما الصدقة واسنانها وامرهما ان يصدقا
الناس فاتيا ثعلبة فقالا صدقة الناس فاذا فرغتما فمرا بي ففعلا فقال ما هذه الا اخت الجزية فانطلقا حتى
لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل على رسوله هذه الايات فركب ابن عم له راحلته ومضى
الى ثعلبة حتى اتى عليه فقال ويحك يا ثعلبة هلكت يا ثعلبة قد انزل الله عز وجل فيك من القران كذا وكذا
فاقبل ثعلبة يبكي ويحثو التراب على راسه ويقول يا رسول الله هذه صدقتي فلم يقبل عليه السلام منه صدقته
حتى قبض صلى الله عليه وسلم ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه فلم يقبل صدقته ثم اتى عمر فلم يقبل صدقته ثم مات في
خلافة عثمن فاما قوله عز وجل فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فمعناه اعقبهم بخلهم نفاقا في قلوبهم الى يوم

يلقون جزا البخل فذكر البخل واراد جزاه وهذا كقوله مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح واراد بذلك جزا اعمالهم وقوله عز وجل بما اخلفوا الله عز وجل ما وعدوه معناه هذا انما اصابهم
بعملهم وهو اخلافهم لما وعدوا من التصدق وكذبهم بما قالوا والاعقاب في اللغة المصير الى حال مخصوصة
في العاقبة يقال اعقبه كذا واورثه كذا واداه اليه كذا ذلك من النظاير وفي الاية بيان ان المنافق المخلف
الوعد يموت على نفاقه باخلافه الوعد وقال الحسن وقتاده رضي الله عنهما معنى قوله تعالى فاعقبهم نفاقا
قال عاقبهم الله عز وجل النفاق في قلوبهم بان حرمهم التوبة كما حرم ابليس فقالوا انما اراد بهذا ان الله عز وجل
دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال ابليس انه لا يتوب لان الله عز وجل سلب عنه قدرة التوبة وقوله
عز وجل الى يوم يلقونه معناه على قول الحسن رضي الله عنه وقتاده رحمه الله تعالى الى يوم يلقون الله تعالى
اي يلقون اليوم الذي لا يملك فيه الحكم والنفع والضر الا الله تعالى وفي هذه الايات دلالة ان من نذر نذرا فيه
قربة نحو ان يقول ان رزقني الله عز وجل الف درهم فعلي ان اتصدق بخمسماية لزمه الوفا به وفيها دلالة جواز تعليق
النذر بالشرط نحو ان يقول ان قدم فلان فلله علي صيام او صدقة وان ملكت عبدا او هذا العبد فعلي ان اعتقه
قوله عز وجل الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب معناه الم يعلم المنافقون
ان الله يعلم ما يسرون من الكفر وما يتناجون به فيما بينهم وان الله عز وجل عالم بكل شي يخفى على
العباد وهذا استفهام بمعنى التوبيخ **قوله عز وجل** الذين يلمزون المطوعين من المومنين في
الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم قال عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم حين اراد الخروج الى غزوة
تبوك فحث الناس على الصدقة وقال اجمعوا صدقاتكم فجا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه باربعة
الاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اكثرت هل تركت لاهلك شيا فقال يا رسول الله
كان لي ثمانية الاف درهم فاما اربعة الاف فامسكتها لنفسي وعيالي واما اربعة الاف فاقرضتها ربي فها هي
فاقبضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله تعالى لك فيما امسكت وفيما ابقيت فبارك الله
عز وجل في مال عبد الرحمن بلغ ماله حتى مات وطلق احدى نسايه في مرضه وصالحوها من ربع ثمنها على ثمانين الفا
ونيف وجا عمر رضي الله عنه بنحو من ذلك وتصدق بها وجا عثمن رضي الله عنه بصدقة عظيمة وجا عاصم
بن عدي الانصاري رضي الله عنه بسبعين وسقا من تمر فتصدق بها وجا ابو عقيل بصاع من تمر وقال
يا رسول الله بت ليلتي كلها اجر بالجرير حتى نلت صاعين اما احدهما فامسكته لعيالي واما الاخر فاقرضته
ربي فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقة فطعن فيهم المنافقون وقالوا والله ما
جا هولا بصدقاتهم الا ريا وسمعة وقالوا في ابي عقيل فاما ابو عقيل فانه جا ليذكر بنفسه وليعطى من الصدقة
اكثر مما جا به فان الله عز وجل لغني عن صاع ابي عقيل فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها الذين
يعيبون المطوعين من المومنين في الصدقات وهم المنافقون عابوا عمر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف
رضي الله عنهم اجمعين وقوله عز وجل والذين لا يجدون الا جهدهم معناه ويعيبون على الذين لا يجدون
الا جهدهم اي طاقتهم من الصدقة عابوا المكثر بالريا والمقل بالاقلال والجهد بالضم والنصب لغتان بمعنى
واحد ويقال الجهد بالنصب المشقة والجهد بالرفع الطاقة وقيل الجهد في العمل والجهد في القوة وقوله عز
وجل فيسخرون منهم يستهزون سخر الله منهم اي جازاهم جزا سخريتهم ولهم عذاب وجيع **قوله عز
وجل** استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين وذلك انه لما نزلت هذه الاية بلا هيه
اتى المنافقون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله استغفر لنا وكان صلى الله
عليه وسلم يستغفر لقوم منهم على ظاهر اسلامهم من غير علم منه بنفاقهم وكانوا اذا مات الميت منهم يسالون

رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء والاستغفار لميتهم وكان يستغفر لهم على انهم مسلمون فاعلم
الله عز وجل انهم منافقون واخبر ان استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفعهم فذلك قوله عز وجل استغفر
لهم او لا تستغفر لهم وهذا لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر اي ان شئت استغفرت لهم وان شئت لا
تستغفر لهم فانك ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقوله عز وجل ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله فيه بيان العلة التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وقوله عز وجل والله لا يهدي
القوم الفاسقين اي لا يلطف بهم ولا يوفقهم ويقال لا يرشدهم الى جنته وثوابه وتخصيصه كرامته
واما تخصيص سبعين مرة في الآية فهو لتاكيد نفي المغفرة لهم بها لان الشي اذا بولغ في وصفه اكد
بالسبع والسبعين لان الاشيا تعدل بنصف العقد وهو الخمس والخمسون ثم تزاد عليه واحد للتاكيد
بادنى العدد ويزاد عليه اثنان التاكيد بما هو اعلا من ذلك وهذا كما يقول القايل لمن يساله الحاجة
لو سالتني سبعين مرة لم اقضها لك لا تريد به اذا زاد على السبعين قضى حاجته وعن هذا قيل ان السبع
انما سمي سبعا للمبالغة في وصفه بالقوة كانه ضوعف في قوته سبع مرات وذهب بعض المفسرين الى
ان المراد بالآية التخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لهم واستدلوا بما روي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لما نزلت هذه الآية لازيدن على سبعين مرة وقيل هذا خطأ من راويه والمستدل لان الله عز
وجل قد اخبر انهم كفروا بالله عز وجل وبرسوله ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليسال المغفرة للكفار
مع علمه بانه لا يغفر لهم فان هذه السورة اخر ما نزل من القرآن وانما الرواية الصحيحة في هذا الباب ما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال لو علمت اني لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت عليها **قوله عز
وجل** فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون معناه فرح المخلفون
بقعودهم عن الجهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال بقعودهم لمخالفة امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمخلف ما تركه الانسان بعده والمتخلف الذي تاخر بنفسه والخلاف قد يكون بمعنى المخالفة
وقد يكون بمعنى خلف كما في قوله عز وجل واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يقرا خلافك على المعنيين
وقوله عز وجل وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله معناه وكرهوا ان يقاتلوا المشركين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باموالهم وانفسهم والكراهة ضد الارادة فانها معنى تصرف عن الفعل
كما ان الارادة معنى يدعو الى الفعل وقوله عز وجل وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض لا تخرجوا
فان الحر شديد والسفر بعيد وكانوا يدعون الى غزوة تبوك في وقت نضج الرطب وهو اشد ما يكون من
الحر وقوله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا معناه قل لهم نار جهنم التي استحققتم بترك الخروج الى الجهاد اشد حرا
من هذا الحر وقوله عز وجل لو كانوا يفقهون معناه لو كانوا يفقهون اوامر الله عز وجل ووعده
ووعيده **قوله عز وجل** فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
معناه فليضحكوا قليلا في الدنيا لان ذلك لا يبقى وليبكوا كثيرا في الاخرة في النار وهذا لفظه امر
ومعناه الخبر وقوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون معناه ان هذا جزاؤهم على استهزائهم بالمسلمين وقعودهم
عن الجهاد معهم وعن ابي رزين انه قال في هذه الآية يقول الله عز وجل الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا
واذا صاروا الى النار بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يرسل الله عز وجل البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم
حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود **قوله عز وجل** فان رجعك الله الى طايفة منهم
فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول
مرة فاقعدوا مع الخالفين معناه ان رجعك الله عز وجل من تبوك الى الطايفة من المنافقين بالمدينة

فاستاذنوك

فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا الى الجهاد ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم
بالقعود عن الجهاد في غزوة تبوك فاقعدوا مع النسا والصبيان هذا قول الحسن رضي الله عنه والخالف
الذي يتخلف بعد الشاخص وقيل الذي يتخلف لنقص يكون به وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان معنى
الخالفين المتخلفين لغير عذر وقيل ان هذا ماخوذ من قولهم خلف اللبن اذا فسد والخالف الفاسد
قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون معناه ولا تصل على احد من المنافقين مات ابدا ولا تقم على قبر احد
منهم انهم كفروا اي جحدوا بالله ورسوله بقلوبهم وماتوا على الكفر والنفاق وروي عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما انه قال لما اشتكى عبد الله بن ابي بن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطلب ابنه اليه عبد الله ان يصلي عليه اذا مات وان يقوم على قبره وان يكفنه في قميصه الذي يلي جسده
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فجيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد
ان يصلي عليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي وهو صاحب كذا وكذا فعددت مقالاته فقال دعني يا
عمر فعددت مقالاته الثالثة فقال اني قد خيرت في ذلك ولو اني اعلم اذا استغفرت له اكثر من سبعين مرة غفر
له لفعلت قال فانزل الله عز وجل قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا يعني ما صليت على عبد الله بن ابي
والوجه في هذه الرواية ان صحت انه يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرجو ان يكون لهم لطف
يصلحون به فلهذا عزم على انه يستغفر لهم ويصلي عليهم ثم لما بين الله عز وجل بعد ذلك انه ليس لهم لطف
كما قال جل ذكره في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم كف النبي
صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار لهم والذي يبين صحة هذا التاويل ما روي ان عبد الله بن ابي لما حضره
الوفاة بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله احد ثوبيه ليكفن فيه فبعث اليه باحدهما فارسل المنافق
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اريد الذي كان يلي جلدك من ثيابك فوجه اليه به لك فقيل له
في ذلك فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيا وعسى ان يسلم بسبب هذا القميص خلق كثير فاسلم
الف من الخزرج لما راوه يطلب الاستشفا بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الله اعلم اي صلوة كانت وما خادع رسول الله صلى الله عليه وسلم انسانا قط وقيل
يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اجاز الصلوة عليه لان حكم المنافق في الدنيا حكم المسلمين في
عصمة المال والدم ونحو ذلك وذكر مقاتل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يصلي
على عبد الله بن ابي حين جا ابنه اليه فقال انشدك الله ان تشمت بي الاعدا وكان ابنه مومنا حقا
فانزل الله هذه الآية فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه وعن انس بن مالك رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يصلي عليه فاخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على
احد منهم مات ابدا **قوله عز وجل** ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون معناه ولا تعجبك كثرة اموالهم واولادهم في الدنيا
انما يريد الله ان يعذبهم وتخرج ارواحهم بصعوبة وهم كافرون وهذا على التقديم والتاخير في الآية
على ما تقدم ذكره فاما الذي يلي ظاهر الآية معناه انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم
في التكليف بالانفاق والامر بالجهاد فان قيل لماذا اعاد قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم قيل فيه
قولان احدهما لشدة التحذير عن الاغترار بالاموال والاولاد والثاني انه اراد بالاول قوما من المنافقين
واراد بالثاني قوما اخرين منهم كما يقال لا تعجبك اموال زيد واولاده ولا تعجبك اموال عمرو واولاده و
الاعجاب في اللغة هو السرور بما يتعجب منه وبالله التوفيق **قوله عز وجل** واذا انزلت سورة
ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين

معناه اذا انزل الله من القران اية مشتملة على ايات احاطت بها ان امنوا اي صدقوا وداوموا على الايمان
وجاهدوا الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنك في القعود عن الجهاد ذوو الغنى والسعة
منهم وقالوا ذرنا وائذن لنا نقعد مع القاعدين عن الجهاد والطول في الحقيقة هو الفضل الذي يتمكن
به من مطاولة الاعداء ه **قوله عز وجل** رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على
قلوبهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون معناه ارضى المنافقون بان يكونوا في تخلفهم عن
الجهاد مع النسا المتخلفات في الحي بعد غزوة ازواجهن ويجوز ان يقال في الرجال خالفة يقال
فلان خالفة اهله اذا كان دونهم والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يات فاعل صفة
مجموعا على فواعل الا حرفان فارس وفوارس وهالك وهوالك ه وقوله عز وجل وطبع على قلوبهم
معنى الطبع في اللغة جعل الشي كالطابع نحو طبع الدنانير والدراهم ويجوز ان يكون الطبع على القلب
علامة تقفل الله عز وجل قلب الكافر المعاند ليعلم من يطلع عليها من الملايكة انه لا يجتهد في طلب الحق ه
ويجوز ان يكون هذا تشبيها لقلوبهم بقلب من هو مطبوع على قلبه من حيث انهم لا يومنون ه وقوله
عز وجل فهم لا يفقهون معناه لا يفقهون اوامر الله عز وجل ونواهيه ثم نعت الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم
والمخلصين من المومنين ه **فقال عز من قائل** لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون معناه
لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين امنوا معه وهم اهل اليقين من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم جاهدوا باموالهم وانفسهم على ضد ما فعله المنافقون ه وقوله عز وجل واولئك لهم الخيرات
يجوز ان يكون معنى الخيرات الحسنات المقبولات فان الخيرات منافع تسكن النفس اليها ويجوز
ان يكون معناها الزوجات الحسان في الجنة كما قال الله عز وجل فيهن خيرات حسان ه وقوله
عز وجل واولئك هم المفلحون معناه هم الظافرون بالمراد والبغية وبالله التوفيق ه **قوله
عز وجل** اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
معناه اعد الله لهم في الجنة بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار مقيمين دايمين
فيها لا يموتون ولا يخرجون منها وانما قال اعد لان الشي اذا كان معدا للانسان كانت رغبته
وطلبه اشد وحرصه عليه اكثر ه وقوله عز وجل ذلك الفوز العظيم اي ذلك هو النجاة الوافرة
فان وال الجنة ونعيمها نجاة من النار وجحيمها ووصف الفوز بالعظيم لان صاحبه يكون على ثقة من
دوام النعيم ه **قوله عز وجل** وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم قرا عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وجاء المعذرون بالتخفيف وهم الذين اعذروا اي جاءوا بالعذر واستاذنهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذرهم وهم من المخلصين وكان يقول لعن الله المعذرين بالتشديد
يعني الذين يعتلون في التخلف بلا علة يوهمون ان لهم عذرا ولا عذر لهم والتعذير التقصير في الشي مع طلب
العذر ومما يؤكد قراءة التخفيف ان قوله عز وجل سيصيب الذين كفروا منهم يقتضي الجمع في الاية
بين المعذور وغير المعذور واما القراءة المشهورة وجاء المعتذرون بتشديد الذال فمعناها ما تقدم
فان الله عز وجل ذكر المعذورين في الاية التي بعد هذه الاية بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على
المرضى الاية واما قوله عز وجل سيصيب الذين كفروا منهم يجوز ان تكون الفايدة في دخول من
ان منهم من يسلم ومن يموت على كفره ونفاقه وقيل ان المعذر هو المعتذر ادغمت التاء في الذال لقرب
مخرجهما وقد يكون الاعتذار حقا وقد يكون باطلا وقوله عز وجل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
معناه وقعدت طايفة من الكفار والمنافقين من دون اعتذار ه وقوله عز وجل سيصيب

كفروا

كفروا منهم عذاب اليم جمع بين الفريقين في الوعيد لاستوائهم في الكفر ه **قوله عز وجل**
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم معناه ليس على الزمنا والكبار الشيوخ ولا على
الذين لا يقدرون على الخروج الى الجهاد لمرض ولا على الذين لا يكون عندهم نفقة ينفقونها في الجهاد ما
ثم في القعود عن ذلك اذا كان قعودهم على وجه النصح لله عز وجل ورسوله وهو ان يسعوا في اصلاح
ذات البين وما يرجع الى الحث على الجهاد ولا يكون قعودهم للتضريب بين المسلمين وافساد شي من امرهم
والنصح اخلاص الشي عن الفساد ه وقوله عز وجل ما على المحسنين من سبيل معناه ما على المطيعين المؤدين
من سبيل في العقاب والله غفور اي متجاوز لذنوبهم ولا يعاقب على غير ذنب رحيم اذ رخص لهم في القعود
بالعذر ه **قوله عز وجل** ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه
تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم
اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون معناه وليس على الذين ما
اتوك لتحملهم الى الجهاد بالنفقة قلت لا اجد ما احملكم عليه حرج في القعود عن الجهاد وقال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انزل هذا في سالم بن عمير وعبد الرحمن بن كعب وعمرو بن الحضرمي ونفر من بني مزينة من اهل
الحاجة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحملوه ليجاهدوا فلم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يحملهم فتولوا وهم يبكون حرصا على الجهاد لا يجدون ما يتحملون به وقال الحسن رضي الله عنه نزلت في ابي
موسى الاشعري وجماعة من الاشعريين ه وقوله عز وجل انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء
معناه انما السبيل في العقاب على الذين يستاذنونك في القعود عنك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع النساء
وطبع الله على قلوبهم مجازاة لهم على فعلهم فهم لا يعلمون اوامر الله تعالى ه **قوله عز وجل**
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد
نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون معناه يعتذر المنافقون اليكم اذا انصرفتم اليهم من هذا الحرب في قعودهم
عن الجهاد قل لا تعتذروا الى بتصيير لكم وهو الله لن نصدقكم ان لكم عذرا وقد اخبرنا الله تعالى من
اسراركم انه ليس لكم عذر وسيظهر الله عملكم ورسوله ثم تردون في الاخرة الى عالم ما غاب عن العباد
وما علمه من العباد فيخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر وفي الاية بيان ان الله عز وجل لا يجازي
اعمالهم الا انه لم يكن عالما بما يقع منهم ولكن اخر جزاهم لانه لا يجازي العباد على ما يعلم منهم وانما
يجازيهم على ما يظهر من عملهم ه **قوله عز وجل** سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون معناه سيحلف
المنافقون بالله فيما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم لتعرضوا عنهم ولا تعاقبوهم فاعرضوا عنهم
اي اصفحوا على جهة الهوان لهم انهم رجس اي هم كالنتن الذي يجب الاجتناب منه فاجتنبوهم ومصيرهم
الى جهنم جزاء لهم على فعلهم ه **قوله عز وجل** يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين معناه يحلفون لكم في الاعتذار لترضوا عنهم انهم
من دون ان يطلبوا بذلك رضى الله عز وجل فان انت رضيت يا محمد والمومنون بحلفهم الكاذب
فان الله لا يرضى عن القوم الخارجين عن طاعة الله عز وجل انهم اشق في كفرهم ونفاقهم الحلف على
الاعتذار بين كان منهما لا يوجب قبول عذره ولا الرضا عنه ه **قوله عز وجل** الاعراب
اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم قال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اراد بالاعراب اسدا وغطفان بين الله عز وجل انهم في كفرهم ونفاقهم

من منافقي اهل المدينة واخبر عنهم انهم اجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله انهم ابعد من سماع
التنزيل وانذار الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قيل ان من بعض الامصار وبان حضر العلماء كان
اصلح لاحكام والسنن ممن جالسهم وسمع منهم وبهذا كره امامة الاعراب في الصلوة ٥ قوله
عز وجل ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة
السوء والله سميع عليم معناه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما في الجهاد يحسبه غرما ولا
يحتسب فيه الاجر ولا يرجو به الثواب وينتظر بكم الموت والهلاك ومعنى التربص هو التمسك بالشيء
وانتظار العاقبة والدوائر دوائر الزمان وهي صروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر ٥ وقوله عز وجل
عليهم دائرة السوء اي عاقبة السوء والهلاك فانما ينتظرون بكم تنزل بهم والسوء بالفتح المصدر وبالضم الاسم
يقال رجل سوء اذا كان خبيثا وقوله عز وجل والله سميع عليم ظاهر المراد ٥ قوله عز
وجل ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات
الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم معناه ومن الاعراب
من تصدق بالله عز وجل واليوم الاخر في السر والعلانية قيل ان المراد بهذه الاية اسلم وغفار وقوله
تعالى ويتخذ ما ينفق اي يتخذ نفقته في الجهاد تقربا الى الله سبحانه في طلب المنزلة عنده بالثواب وقوله
عز وجل وصلوات الرسول اي يطلب بذلك دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وصلاح الدنيا
والاخرة كما يطلب المنزلة عند الله سبحانه والصلوة في اللغة عبارة عن الدعاء قال الاعشى ٥

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ٭ يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا ٥
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ٭ نوما فان لجنب المرء مضطجعا ٥

معناه عليك مثل الذي دعوت والله يفعل ما يشاء واما قوله تعالى الا انها قربة لهم فهي كلمة تنبيه
ينبههم الله سبحانه بهذا الانفاق اذا فعلوه ٥ وقوله عز وجل سيدخلهم الله في رحمته اي في جنته وثوابه
ان الله غفور لذنوب العباد رحيم لمن تاب واطاع ٥ قوله عز وجل والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما
اراد بالسابقين الذين سبقوا الى الايمان وهم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وقال الشعبي
رضي الله عنهم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية وقيل هم الذين انفقوا قبل الفتح كما قال تعالى
من قاتل لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وانما مدح السابقين لان السابق امام التالي
وكمثل اجره كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها
الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شيء وكذلك السابق الى الشر قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة
الى اخر الخبر ٥ واما قوله عز وجل والانصار فمعناه ومن الانصار سبقا على المهاجرين وقرا بعضهم بالرفع
نسقا على السابقين ٥ وعن عمر رضي الله عنه انه كان يقرأ والانصار الذين اتبعوهم بغير الواو
وسمع رجلا يقرأ والذين اتبعوهم بالواو فقال من اقرأك هذه الاية فقال ابي بن كعب قال لا تفارقني حتى
اذهب بك اليه فلما اتاه قال يا ابي اقرأته هذه الاية قال نعم قال عمر رضي الله عنه كنت اظن بانا رفعنا
رفعة لا يبلغها احد بعدنا فقال ابي تصديق هذه الاية اول سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم واوسط
سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر سورة الانفال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم ومعنى والذين اتبعوهم باحسان من تابع السابقين الى يوم القيمة والاحسان
هو الفعل الحسن ٥ وقوله عز وجل رضي الله عنهم اي رضي الله عنهم ما حسناتهم ورضوا عنه بالثواب والكرامة
وقوله عز وجل واعد لهم اي هيأ لهم بساتين تجري من تحت اشجارها الانهار والقراء كلهم يقرؤون تجري

وهذا

وهذا الموضع بغير من الا ابن كثير فانه كان يقرأ في هذه الاية من تحتها الانهار وهكذا كتب في مصحف
اهل مكة وقوله عز وجل خالدين فيها اي في الجنات ابدا ذلك الفوز العظيم اي الثواب الوافر قوله
عز وجل وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا
تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم معناه وممن حول مدينتكم منافقون
يبلغهم مرتبة وخمسة ٥ وقوله عز وجل ومن اهل المدينة اي ومن اهل مدينتكم منافقون مردوا
اي عتوا وثبتوا على النفاق لا تعلمهم انت يا محمد باعيانهم نحن نعلمهم ونعلم نفاقهم ونعرفكم عقيدتهم
ونعذبهم مرتين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اراد بالعذاب الاول الفضيحة بالاخراج من
المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر ٥ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال
يا فلان اخرج فانك منافق فاخرجهم باسمائهم ٥ وكان عمر رضي الله عنه لم يشهد الجمعة لحاجة كانت له
فلقيهم وهم يخرجون من المسجد فاختبا منهم استحياء انه لم يشهد الجمعة وظن ان الناس قد انصرفوا واختبوا
هم من عمر رضي الله عنه وظنوا انه قد علم بامرهم فدخل عمر رضي الله عنه المسجد فاذا الناس لم يصلوا بعد
فقال له رجل من المسلمين يا عمر ابشر فقد فضح الله المنافقين وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالعذاب
الاول السبي والقتل والثاني عذاب القبر وقيل اراد بالاول الانفاق على كره منهم وبالثاني عند قبض
ارواحهم ٥ وقوله عز وجل ثم يردون الى عذاب عظيم اراد به عذاب جهنم ٥ قوله عز وجل
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم معناه ومن اهل المدينة قوم اخرون اقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا بعد شيء اي تخلفوا
عن الغزو ثم تابوا وقال خرجوا الى الجهاد مرة وتخلفوا مرة فجمعوا بين العمل الصالح والسيء كما يقال
خلط الدنانير والدراهم اي جمعها وخلط الماء واللبن اي خلط احدهما بالاخر والاعتراف الاقرار بالشيء
عن معرفة لان الاقرار من قر الشيء اذا ثبت والاعتراف من المعرفة وانما ذكر الاعتراف هنا بالخطيئة
لان تذكر قبح الذنب يدعو الى اخلاص التوبة والندم حال من لا يعرف موقع الذنب من الضرر ٥
وقوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم اي عسى الله ان يتجاوز عنهم ان الله غفور لما سلف من ذنوبهم
رحيم بهم اذ قبل توبتهم وانما ذكر لفظ عسى ليكون الانسان بين الطمع والاشفاق فيكون ابعد
من الاتكال والاهمال ٥ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في ابي لبابة بن المنذر
واوس بن ثعلبة ووديعة بن حذام وغيرهم وكانوا عشرة انفس تخلفوا عن غزوة تبوك فلما بلغهم
ما انزل الله [illegible] في المتخلفين ندموا واوثق سبعة منهم انفسهم على سواري المسجد الحرام
واقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم وكانوا [illegible]
[illegible] حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبر بامرهم فقال صلى الله عليه وسلم
وانا اقسم لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت هذه الاية فعرف صلى الله عليه وسلم ان عسى من الله واجب فامر
[illegible] فاطلقهم [illegible] فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا [illegible] فتصدق بها عنا فقال صلى الله عليه وسلم
ما امرت [illegible] فانزل الله تعالى قوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ظاهر الاية [illegible]
الكتابة في قوله عز وجل خذ من اموالهم راجع الى المذكورين قبلهم وهم الذين اعترفوا [illegible] الاية
ان [illegible] الحكم لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم في [illegible] ذلك الحكم لازم في سائر
الاشخاص [illegible] من اموالهم صدقة ابتداء ذكر كلام
[illegible] جميع المسلمين لان [illegible] ذلك وان لم يتقدم [illegible] الاية ذكر جميع المسلمين وهذا كما في
قوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر يعني القران وقوله عز وجل ما ترك على ظهرها من دابة يعني على

الارض وقوله عز وجل حتى توارت بالحجاب يعني الشمس ومعنى الاية خذ من اموالهم صدقة مطهرة لهم من الذنوب
وتزكيهم بها اي تصلح اعمالهم بها ويقال معناه تطهرهم انت بها من دنس الذنوب وقوله عز وجل وصل عليهم
اي استغفر لهم وادع لهم ان صلواتك اي دعاءك واستغفارك طمانينة لهم ان الله عز وجل قبل توبتهم والله
سميع لمقالتهم عليم بنياتهم وثوابهم وهذه الاية مجملة مفتقرة الى البيان في مقدار الصدقات التي توخذ والنصاب
التي يوخذ منه ووقت وجوب ذلك فيجب الرجوع في معرفتها وفي اجناس الاموال التي تجب الزكوة فيها
الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي ان رجلا قال لعمران بن الحصين رضي الله عنه انكم لتحدثونا
باحاديث لا نجد لها اصلا في القران فغضب عمران فقال للرجل اوجدتم في القران في كل اربعين درهما درهم
وفي كل كذا وكذا شاة كذا الى كذا شاة وفي كذا وكذا بعيرا كذا وكذا قال لا قال فعن من اخذتم هذا قال
اخذتموه عنا واخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الاية دليل ان السنة في المصدق اذا اخذ الصدقة
ان يدعو لصاحبها كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما اتي بصدقات ابن ابي اوفى قال اللهم صل على
آل ابي اوفى وبالله التوفيق قوله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم معناه والله اعلم ما يمنعهم من التوبة والصدقة
وكيف لا يتوبون ولا يتصدقون الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وهذا استفهام بمعنى التنبيه
وقبول التوبة ايجاب الثواب عليها وهو مشبه بقبول الهدية التي يوجب على المهدى اليه الثواب عليه
وقوله عز وجل ويأخذ الصدقات اراد به اخذ النبي صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده لان اخذهم لا يكون
الا بامر الله عز وجل وكان الله عز وجل هو الآخذ وقوله عز وجل وان الله هو التواب الرحيم
اي المتجاوز عمن تاب الرحيم بمن مات على التوبة وفي هذه الآيات بيان ان العبد اذا عظمت ذنوبه لم يجز
ان يقع له الياس من الله عز وجل عن قبول توبته الا ان يعرض عن اوامر الله عز وجل اعراضا كما روي
عن الحسن رضي الله عنه انه قال لحبيب بن مسلمة الفهري وكان من اصحاب معوية رب مسير لك
في طاعة الله عز وجل فقال اما مسيري الى ابيك فلا فقال الحسن رضي الله عنه بلى ولكنك اتبعت معوية
على عرض من الدنيا يسير والله لئن قام بك معوية في دنياك لقد قعد بك في دينك ولو كنت اذ عملت سوءا
قلت خيرا كنت ممن قال الله عز وجل خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ولكنك ممن قال
الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قوله عز وجل وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
معناه اعملوا عمل من يعلم ان الله عز وجل يرى عمله ويجازيه عليه وقوله عز وجل وستردون الى عالم
الغيب والشهادة اي ستخبرون على اعمالكم وتحاسبون عليها في الموقف حين تجازى كل عامل بما عمل
قوله عز وجل وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم
حكيم معناه ومن اهل المدينة قوم آخرون مرجون لامر الله اي مؤخرون عز وجل ويقرا
مرجئون بالهمز يقال ارجات الامر وارجيته اذا اخرته وقوله عز وجل اما يعذبهم معناه اما يعذبهم بتخلفهم
عن الجهاد واما يتجاوز عنهم بتوبتهم عن الذنوب والله عليم بهم حكيم يحكم في امرهم ما يشاء واما في الكلام
لوقوع احد الشيئين والله عز وجل اعلم بما يصير اليه امرهم الا انه هو للعباد خوطبوا بما يتفاهمون فيما بينهم
المعنى ليكون امرهم عندكم على هذا اي على الخوف قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الاية في الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وهم من الانصار تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال هلال انا اكثر اهل المدينة جملا فتى شئت لحقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام حتى مضى ثلثة ايام ثم ايس ان يلحقهم وندم على صنيعه واقام اصحابه
معه وندما ولكن لم يفعلوا ما فعله ابو لبابه واوس ووديعة ففقدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد

نزول هذه الاية ونهى الناس ان يجالسوهم او يواكلوهم او يشاربوهم وارسل اليهم ان اعتزلوا نساءكم
وارسلوهن الى اهاليهن فجاءت امراة هلال فقالت ان هلالا شيخ كبير وان لم آته بطعام هلك فقال
صلى الله عليه وسلم ايتيه واياك ان يقربك قال كعب فمررت على ابي قتادة فسلمت فلم يرد علي السلام وكلمته
فابى ان يكلمني فاستعبرت فقلت اما والله لتعلم اني احب الله ورسوله فقال الله ورسوله اعلم فمضى على
هذا خمسون يوما فلما ضاقت عليهم الارض بما رحبت انزل الله عز وجل توبتهم بقوله عز وجل لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم قوله عز وجل والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من
قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون قال عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما وذلك ان سبعة عشر رجلا من المنافقين من بني عمرو بن عوف قالوا فيما بينهم تعالوا نبني
مسجدا يكون متحدثنا ومجمع رأينا فانطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنوه ان يبنوا
مسجدا لذوي العلة والليلة المطيرة فاذن لهم فبنوا مسجدا وكان يؤمهم في ذلك المسجد مجمع بن جارية
وكان قارئا للقرآن فانزل الله تعالى هذه الاية والذين اتخذوا مسجدا للضرار والكفر والتفريق بين المؤ
وقوله عز وجل وارصادا لمن حارب الله ورسوله معناه وانتظارا لمن حارب الله سبحانه وهو ابو عامر
الراهب كان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مضى بناء هذا المسجد ومضى الى هرقل ملك
الروم يستعين به على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا
وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموه الراهب ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات كافرا بقنسرين
موضع بالشام وقد كان امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثه اياه ثم رجع عن الاسلام فقال وكان
المنافقون يقولون نبني هذا المسجد وننتظر ابا عامر حتى يرجع الى الاسلام فيصلي فيه وهو كان يكتب
الى المنافقين في السر اني آت بجند من قبل ملك الروم فاخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة واما
قوله عز وجل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فمعناه وليحلف المنافقون انا لم نرد ببناء هذا المسجد الا الخير
وقدوم ابي عامر يقول الله عز وجل والله يشهد انهم لكاذبون فيما بنوا الخيرة قوله عز وجل
لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وذلك ان هؤلاء المنافقين كانوا طلبوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يصلي في مسجدهم يتبركوا به فانزل الله سبحانه لا تقم فيه ابدا اي لا تصل فيه ابدا وقوله
عز وجل لمسجد اسس على التقوى معناه لمسجد اصل وبني لوجه الله عز وجل على طاعة الله عز وجل من اول
يوم بني وهو مسجد قبا ويقال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم احق ان تصلي فيه اي لو كان القيام
في هذا المسجد الذي بناه اهل النفاق من الحق الذي يجوز لكان هذا المسجد الذي ليس على التقوى كلا المسجد
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا وهذا كما يقال الرجل الصالح احق ان تخشى الله لا يراد به الرجل الاول
وفي الاية دليل ان بعض البقاع اولى بفعل الصلوة فيه من بعض فان الصلوة تكون منهية اصلا في كل بقعة
كانت لغير الله عز وجل على وجه الريا والسمعة واما قوله عز وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقال
الحسن رضي الله عنه معناه يتطهرون من الذنوب بالتوبة والمشهور ان معنى المراد بالتطهر في هذه الاية
الاستنجاء بالماء كما روي انه لما نزلت هذه الاية وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب مسجد قبا
وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد احسن الثناء عليكم في طهوركم فبم تتطهرون فقالوا نتبع الاحجار
الماء ليستنجي بالحجر ثم نستنجي بالماء فقرا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية وسن صلى الله عليه وسلم الاستنجاء
بالماء وقوله عز وجل والله يحب المطهرين اي يثني على المطهرين من الذنوب والمتطهرين بالماء من الادناس
وفي الاية دلالة ان فضيلة اهل المسجد فضيلة للمسجد والصلوة فيه قوله عز وجل افمن اسس

بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم
والله لا يهدي القوم الظالمين الألف في أول الآية ألف استفهام دخلت في الكلام للإنكار والمعنى أفمن أسس
بناءه على إرادة الخير ورضى الرب خير أم من أسس بناءه على طرف هوة وقوله عز وجل هار أي ساقط وأصله
هاير إلا أنه حذف الياء كما يقال شاك السلاح فهو شاكي ولاث الشيء به إذا دار فهو لاث والجرف ما تجرفه
السيول من الأودية فيصير جانبه خبيثا لو وقف عليه الإنسان سقط وشفا الشيء حرفه وهو مقصور يكتب
بالألف وتثنيته شفوان وقوله عز وجل فانهار معناه انهار الجرف بالبناء أي على بانيه ويقال البناء بالباني
وهذا على التثنية أي كما أن من بنى على جانب نهر صفته ما ذكرنا انهار بناؤه في الماء كذلك بناء
أهل النفاق مسجد الشقاق كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها وقرأ بعضهم أفمن أسس على
فعل ما لم يسم فاعله وبنيانه بالضم وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يلطف بهم ولا يوفقهم
ولا يهديهم إلى الجنة وثوابه ○ قوله عز وجل لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في
قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم معناه أن لا يزال بنيانهم مسجد الضرار حجة مرددة
في قلوبهم ويقال شكا واضطرابا يعني أن شكهم لا يزول وإن أزيل ذلك البناء بإبعاده لك في قلوبهم
حين خاب أملهم واشتد أسفهم بأن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه بعد رجوعهم
من غزوة تبوك أحدهما عامر بن قيس ووحشي مولى مطعم بن عدي فحرقاه وهدماه ثم أمر الأنصار بإلقاء
الجيف والقذرات والكناسات فيه إذ لم يتب الله عز وجل فيبقى ذلك حسرة وندامة في قلوب المنافقين
حتى تقطع قلوبهم أي حتى يموتوا على ذلك ويقال معناه لا يزالوا شاكين حتى يموتوا فإذا ماتوا صاروا
على اليقين حتى لا ينفعهم اليقين ويقال معنى إلا أن تقطع إلى أن يتوبوا توبة تنقطع قلوبهم بها ندما
على تفريطهم ومن قرأ إلا أن تقطع بالنصب فعلى معنى تتفرق ○ وقوله عز وجل والله عليم حكيم
أي عليم بأعمالكم حكيم فيما حكم من هدم مسجدهم وإظهار نفاقهم ○ قوله عز وجل
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ○ معناه أن الله طلب من المؤمنين أن يبذلوا
أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم ويخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ليثيبهم الجنة على ذلك فإن قال قائل كيف
يصح هذا الشرى والجنة على ذلك مملوكة لله عز وجل وكيف يشتري أحد ملكه بملكه والجواب عنه
أن الله عز وجل إنما ذكر هذا على جهة التلطف للمؤمنين في تأكيد الجزاء كما قال عز وجل من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فذكر الصدقة بذكر لفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه إذ القرض
يوجب رد المثل لا محالة وكان الله عز وجل عامل عباده معاملة من هو غير مالك وجاء في
التفسير أن الله عز وجل تاجرهم فأغلى الثمن لله تعالى إذ جعل ثمنهم الجنة وعن جعفر بن محمد
الصادق رضي الله عنه أنه كان يقول اعرف قدر نفسك فإن الله عز وجل عرّفك قدرك لم يرض أن يكون
لك ثمن غير الجنة وقوله عز وجل يقاتلون في سبيل الله فيه بيان العرض الذي لأجله اشتراهم وهو
أن يقاتلوا العدو في طاعة الله عز وجل وقوله عز وجل فيقتلون ويقتلون أي يقتلون المشركين ويقتلهم
المشركون وعلى هذا أكثر القراء وقرأ حمزة والكسائي يقتلون بالرفع ويقتلون بالنصب واختار
الحسن القراءة الأولى لأنه إذا قرأ هكذا كان تسليم النفس إلى الشرى أقرب وإنما يستحق البائع أخذ الثمن بتسليم
المبيع وقوله عز وجل وعدا عليه حقا في التوراة نصب على المصدر أي أوجب الله عز وجل لهم الجنة
وأوعدهم وعد حق منه لهم وإنما قال حقا ليفصل بين الوعد الذي يتخلف على وجه الجزاء على العدو بين
الوعد الذي ينجز لتصديق قوله على جهة التفضل لا الجزاء على العمل وقوله عز وجل في التوراة والإنجيل والقرآن

فيه دليل أن هذا الوعد كان ضمن الله بأن لهم من الله عز وجل للمؤمنين في جميع كتبه التي أنزلها
الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام وفي قوله عز وجل ومن أوفى بعهده من الله معناه من الذي هو
أوفى بعهده من الله سبحانه أي ليس أحد أوفى من الله عز وجل في عهده وشرطه ووعده ووعيده لا
يخلف موعده وقوله عز وجل فاستبشروا ببيعكم أي ببيعكم أنفسكم من الله عز وجل لأنه لا مشتري
أرفع من الله سبحانه ولا ثمن أعلى من الجنة وهذا بيان منزلة المؤمنين المجاهدين في الدين والإسلام
ومحلهم عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة وقيل أن هذا نزل في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة ثم صار عاما في كل من عمل مثل عملهم وقوله عز وجل وذلك هو
الفوز العظيم معناه ذلك هو النجاة العظيمة والثواب الوافر لأنه نيل الجنة الباقية بالنفس الفانية ○
قوله عز وجل التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين
في الآية قولان أحدهما أن قوله عز وجل التائبون رفع بالابتداء كأنه قال التائبون العابدون
إلى آخر الآية لهم الجنة أيضا أي من قعد عن الجهاد غير معاند ولا قاصد بتركه وهو على هذه الصفات
التي في هذه الآية فله الجنة لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد ○ ولهذا قيل أن الله عز وجل
اشترى من عشرة نفر أنفسهم بالجنة أولهم الغزاة ثم التائبون ثم العابدون إلى آخر الآية والقول الثاني
أن قوله التائبون العابدون بدل عن المقاتلين كأنه قال المقاتلون التائبون العابدون
ويجوز أن يكون قوله سبحانه التائبون رفعا على المدح كأنه قال هم التائبون عن الشرك والذنوب
المطيعون لله سبحانه بالعبادة الحامدون الذين يحمدون الله عز وجل على كل حال السائحون الصائمون
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الصوم وإنما شبه الصوم بالسياحة
في الأرض لأن السائح ممنوع عن الشهوات وقيل أصل ذلك من سيح الماء وهو استمراره ومنه
السياح وهو المستمر على الجولان في البلد فسمي المستمر على ترك الشهوات بالصوم سائحا قال الحسن
رضي الله عنه أراد بالسائحين صائمي شهر رمضان وقوله عز وجل الراكعون الساجدون
الذين يؤدون ما افترض الله عز وجل عليهم من الركوع والسجود في الصلوات المفروضة وقوله
عز وجل الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وإنما ذكر والناهون بالواو بخلاف ما سبق
من قوله التائبون العابدون الحامدون لأن النهي عن المنكر لا يكاد يذكر إلا وهو مقرون بالمعروف
فأدخل الواو على الناهي عن المنكر ليدل على المقارنة وأما قوله عز وجل والحافظون لحدود الله
فهو عطف على ما تقدم بالواو لأنه أقرب إلى المعطوف عليه وقيل أن المراد بالحافظين جميع المذكورين
من أول الآية إلى هذا الموضع وهذه الصفة من أتم ما يكون من المبالغة في وصف العباد بطاعة الله
عز وجل والقيام بأوامره والانتهاء عن زواجره لأن الله عز وجل بين في الأمر والنهي وفيما ندب إليه
ورغب فيه أو خير فيه أو بين ما هو الأولى في تحري موافقة طاعة الله سبحانه فإذا قام العبد
بفرائض الله عز وجل فانتهى إلى ما أراده الله عز وجل منه كان من الحافظين لحدود الله تعالى
كما روي عن خلف بن أيوب أنه أمر امرأته أن تمسك عن إرضاع ولده في بعض الليل وقد
تم له سنتان فقيل له لو تركتها ترضعه هذه الليلة قال رحمه الله فأين قول الله عز وجل والحافظون
لحدود الله وقوله عز وجل وبشر المؤمنين معناه بشر الموحدين المصدقين بالجنة فإن قيل كيف
مدح الله عز وجل الحامدين بمطلق هذه الصفة والإنسان قد يحمد غير الله سبحانه فلا يستحق المدح
قيل إنما مدحهم بهذه الصفة لأنه لا أحد غير الله تعالى يستحق الحمد والله أولى باستحقاق ذلك الحمد وذلك
لأن الله عز وجل هو الذي تسبب في حمد كل من يحمد حين علم معه ما استحق الحمد ولولا تمكينه الله عز وجل

من العمل الذي يستحق به الحمد لم يمكنه ان يعمله وكان المحمود في الحقيقة هو الله تعالى على كل حال وبالتوفيق **قوله عز وجل** ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عن ابويه ايهما احدث عهدا به فقيل امك فقال هل تعلمون موضع قبرها لعلي آتيه فاستغفر لها فان ابرهيم عليه السلام استغفر لابويه وهما مشركان فقال المسلمون ونحن ايضا نستغفر لابائنا واهلينا فانطلق صلى الله عليه وسلم حتى اتى القبر فاذا هو بجبريل عليه السلام عند القبر فوضع يده على صدر النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه هذه الاية قال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم استاذنت ربي ان استغفر لوالدتي فلم ياذن لي فاذنت ان ازور قبرها فاذن لي ومعنى الاية ما جاز وما ينبغي للنبي والذين آمنوا ان يطلبوا المغفرة للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة الى الاستغفار لهم من بعد ما ظهر لهم انهم اهل النار بانهم ماتوا على الكفر ثم اخبر سبحانه عن سبب استغفار ابرهيم عليه السلام لابيه فقال عز من قائل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لأواه حليم معناه وما كان دعا ابرهيم لابيه بطلب المغفرة الا عن موعد وعدها اياه له ان يسلم فلما تبين لابرهيم عليه السلام ان اباه عدو لله بان لم يومن حتى مات على الكفر تبرأ من ابيه ومن دينه ويقال ان هذه الموعدة انما كانت من ابرهيم عليه السلام لابيه فانه قال سأستغفر لك ما دمت حيا ولم يكن الله تعالى اعلم ابرهيم عليه السلام بعد انه لا يغفر للمشركين ٥ وقوله عز وجل ان ابرهيم لأواه حليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الأواه التواب وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو الدعا وقال الحسن وقتادة رحمة الله عليهما هو الرحيم الرفيق ويقال هو المومن بلغة الحبشة انه من قال انه لا يجوز ان يكون في القران شيء غير عربي وهذا هو موافق بلغة الحبشة ويقال الأواه الفقيه وقال كعب هو الذي اذا ذكر عنده النار قال آه وقال ابو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة ٥ وانشد

اذا ما قمت أرحلها بليل ٭ تأوه آهة الرجل الحزين

وأما الحليم الذي لا يعجل بعقوبة الجاهل وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عمه ابا طالب الى الاسلام وقال له لاستغفرن لك ما لم أنه عنه وكان يذكر حقوقه عليه بنصره له فانزل الله عز وجل هاتين الايتين وفيهما ما يدل على ان طلب المغفرة للمشركين كان لا يحرم من جهة العقل لان قوله عز وجل ما كان للنبي يقتضي انه لا ينبغي ان يختار ذلك لان الحكمة تمنع من فعله الا ان الله عز وجل لما انزل في كتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به نهى النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عمه عن الاستغفار للمشركين وقد اختلف اهل العلم في انه هل يحرم طلب ما اخبر الله عز وجل انه لا يفعله قال بعضهم يحرم لانه يجري مجرى الخروج من الرضا بما قضاه وقال بعضهم لا يحرم ان يسال المومن ربه لو فعله لكان حسنا في الفعل وان اخبر انه لا يفعله اذا كان للطالب في ذلك غرض على هذا الوجه عرض وعلى هذا الوجه يسال اهل النار الخروج منها بقولهم ربنا اخرجنا منها ٥ **قوله عز وجل** وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك ان الله عز وجل لما انزل الفرايض فعمل بها الناس ثم نزل بعد ذلك ما نسخها وقد مات ناس وهم يعملون بالامر الاول مثل الصلوة الى بيت المقدس وشرب الخمر ونحو ذلك وعاب بعض المومنين ربهم على القبلة الاولى فذكر الموقنون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ومعناها وما كان الله تعالى ليضل على قوم ويخذل قوما منزلة الضلال بعد اذ هداهم للايمان حتى يبين لهم ما يتقون من المعاصي ويقال حتى يتبين المنسوخ من الناسخ ان الله تعالى بكل شيء من الناسخ و

المنسوخ

والمنسوخ وكلاهما فيه مصلحة الخلق عليم ويقال معنى الاية ما كان الله سبحانه ليهلك قوما بالعقاب والنار بعد ان كلفهم ونصب لهم الادلة على ما فيه نجاتهم حتى بين لهم مع ذلك ما يتقون من الشرك والمعاصي واذا لم يتقوها وآثروا اللذة العاجلة واتبعوا الهوى في الاستغفار من المشركين نابع لهم اذا شاؤوا الا انفسهم ويقال ان الغرض بهذه الاية بيان ان الانبيا صلوات الله عليهم لم يستحقوا باستغفارهم للمشركين خطيئة الضلالة لانه لم يكن قدم لهم وجوب الامتناع على الاستغفار للمشركين ٥ **قوله عز وجل** إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وذلك ان الله عز وجل لما امر المسلمين بقتال المشركين كافة وكان في المشركين ملوك لا يطمع المسلمون بهم لشوكتهم وعزتهم اخبر جل ذكره انه مالك السموات والارض يحيي من يشا ويميت من يشا وقوله عز وجل وما لكم من دون الله اي ليس لكم من دونه ولي يتولى حفظكم ولا نصير ينصركم وفيه بيان انه من تعرض لسخط الله عز وجل لم يجد من يمنعه من عذابه ٥ **قوله عز وجل** لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم معناه لقد تجاوز الله عن زلة النبي صلى الله عليه وسلم اذنه للمنافقين بالتخلف كما قال عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم ويقال معنى تاب الله على النبي صلى الله عليه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما ذكره الله عز وجل في سورة الفتح وقوله عز وجل والمهاجرين والانصار اي تجاوز عن ذنوبهم ويقال اراد بذلك اراد الله بذلك قوما تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا فادركوا في الطريق ٥ وقوله عز وجل الذين اتبعوه في ساعة العسرة صفة مدح لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباعهم اياه في وقت الشدة في غزوة تبوك وكانت بهم العسرة في اربعة في النفقة والركوب والحر والخوف وكانت الدابة الواحدة بين الجماعة يعتقبون عليها وكانت التمرة تشق بالنصف فياكلها اثنان كل واحد نصفها وربما كانت جماعة يمصون تمرة واحدة يشربون عليها الماء وربما كانوا ينحرون الابل فيشربون من ما في كروشها في الحر وقوله عز وجل من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اي من بعد ما كاد تميل قلوب طائفة منهم على الخروج الى الجهاد ويقال من بعد من كادوا يرجعون عن غزوتهم من المشقة وقوله تعالى ثم تاب عليهم ثم خفف عنهم ما اغفلهم عن الحرب حتى كادوا يغفلون عن انفسهم وهذا كقوله عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى ان قال علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي خفف عنكم وكقوله عز وجل علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم اي خفف عنكم وقوله عز وجل انه بهم رءوف رحيم عبارة عن سعة رحمته بالمومنين ٥ **قوله عز وجل** وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم معناه وتاب على الثلثه وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية الذين خلفوا عن قبول توبتهم حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها بامتناع الناس من مكالمتهم ومخالطتهم وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم حين كتب قيصر الى كعب ابن مالك بلغني ان صاحبك قد جفاك فالحق بنا فان لك عندي منزلة وكرامة فقال كعب من خطيئتي ان طمع في رجل من اهل الكفر وقوله عز وجل وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا وايقنوا انه لا مفر من عذاب الله عز وجل الا اليه بالتوبة ويقال معنى ثم تاب عليهم ثم قبل توبتهم وقوله عز وجل ليتوبوا اي ليرجعوا عن مثل صنيعهم ويقال ليتوب الناس من بعدهم ان الله هو التواب المتجاوز عن ذنوب المومنين الرحيم بعباده التائبين

وذهب قتادة رحمه الله الى ان هولاء الثلثة كان اسلامهم صحيحا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من
الغزو لم يعتذروا كما اعتذر المنافقون ولكن قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا تخلفنا من غير عذر
فقال لهم النبي حين اظهروا التوبه والندم انكم صدقتم عن انفسكم فامضوا حتى انظر ماذا ينزل الله
عز وجل فيكم فانزل الله عز وجل في امرهم التشديد عليهم وقيل ان نهي النبي صلى الله عليه وسلم
عن مكالمتهم لم يكن على معنى ترك توبتهم لانهم كانوا مامورين بالتوبه ولا يجوز ان يكون في الحكمة اذا
فعل العبد ما هو المامور به لم يقبل منه ذلك ولكنه اراد تشديد المحنة عليهم واستصلاح غيرهم من
المسلمين كي لا يعودوا الى مثل فعلهم وهذا كما يقول في اقامة الحد على المسلم بعد ما تاب كان ذلك
محنة وتعبدا واما المنافقون فلم يكن فيهم موضع استصلاح فلذلك امر الله عز وجل بالاعراض عنهم و
قوله عز وجل وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه تعالى ان العبد اذا انقطع الى الله سبحنه وقطع العلايق دونه
وعلم انه لا كاشف لهم غيره لابد ان الله عز وجل سيجعل له مخرجا من ذلك ولا يخليه من احدى الحسنيين
من فرج عاجل او سكون قلب الى فضل الله عز وجل وثوابا لدي هو خير له من الدنيا وما فيها
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين معناه يا ايها
الذين امنوا اخشوا الله ولا تعصوه وكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الذين صدقت نياتهم
واستقامت قلوبهم واعمالهم في الشدة والرخا قوله عز وجل ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك
بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار و
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
معناه ما جاز لاهل المدينه ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاد
وهذا نفي ورد بلفظ النفي لتقبيح ذلك الفعل كقوله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين وقوله عز وجل ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا ينبغي ان يكونوا بانفسهم
ابر واشفق من نفس محمد صلى الله عليه وسلم بل يجب عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبي صلى الله عليه
وسلم لما وجب له عليهم من الحقوق بدعايه لهم الى الحق حتى اهتدوا به ونجوا عن النار والرغبة في الشي
طلب المنفعه بعمله والرغبة عن الشي طلب المنفعه بتركه وقوله عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظما
ولا نصب ولا مخمصة اي ذلك الزجر لهم عن التخلف عن الجهاد بانهم لا يصيبهم ظما اي شدة عطش ولا
تعب في ابدانهم ولا شدة مجاعة في طاعة الله تعالى ولا يجاوزون مكانا تظهرون عليه من سهل
او جبل تغيظ الكفار مجاوزتهم ذلك المكان فان ذلك الانسان يغيظه ان يطا ارض غيره
ولا ينالون من عدو نيلا اي لا يصيبون منهم من قتل او هزيمة الا كتب لهم بكل واحد من هذه الاشيا
ثواب عمل صالح يستحقونه في الاخرة ان الله لا يبطل ثواب من احسن عمله من جهاد او غيره ولا ينفقون
في الجهاد نفقة صغرت او كبرت ولا يقطعون واديا من الاودية في طلب الكفار ومعونة الاسلام الا
كتب لهم وكذلك ليجزيهم الله عز وجل باحسن من اعمالهم التي كانوا يعملون في الدنيا ويقال انما قال
احسن ما كانوا لان في اعمالهم المباحات التي لا يجزا فيها فبين الله عز وجل انه انما يجزيهم بما يكون
عبادة وطاعة وفي الاية دلالة ان وطي ارض الكفار بمنزلة النيل منهم بقتلهم واخذ اموالهم واخراجهم من
ديارهم لما في ذلك كله من الغلبة لهم واغاظة المذلة بهم ولذلك قال امير المومنين علي كرم الله
وجهه ما غزي قوم في عقر ديارهم الا ذلوا قوله عز وجل وما كان المومنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا

رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الايات المتقدمة
وما فيها من عيوب المنافقين وبيان نفاقهم قال المومنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالسرايا الى العدو نفر
المسلمون جميعا وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانزل الله عز وجل في ذلك هذه الاية ومعناها
انه ليس للمومنين ان ينفروا كافة ويتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس عنده احد من
المسلمين يتعلم منه الحلال والحرام والشرايع والاحكام فلولا نفر من كل فرقة اي فهلا خرج من كل
جماعة طايفة الى الجهاد وتبقى طايفة منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع الذين تخلفوا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي واذا رجعت السرايا علموهم ما علموا فيستووا في العلم ومعرفة الناسخ والمنسوخ
وقوله عز وجل ولينذروا قومهم اي لينذر الذين تخلفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قومهم
الذين نفروا اذا رجعوا اليهم من غزاتهم ويخبرونهم بما نزل بعدهم من القران لكي يحذروا كلهم ولا يعملون
سيا بخلاف ما انزل الله عز وجل وفي الاية دلالة وجوب طلب العلم وانه مع ذلك فرض على الكفاية وذلك
انه كما يجب حراسة الدين بالجهاد ليقوي الاسلام ويضعف الشرك وكذلك انه يجب حراسة الدين
بالتفقه كما تكون الطايفة المجاهدة نايبة عن المقيمين والطايفة المقيمة في التفقه تكون نايبة عن
المجاهدين واذا رجع المجاهدون عرفوا من جهة المتفقهة ما علموه فيكون الاحتياط في الدين مشتركا
واما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
فهو على احد معنيين يجوز ان يكون المراد به طلب العلم فيما يبتلي به الانسان من امر دينه في نفسه مثل حد
الصلوة وفروضها ووجوب الصوم وتعلم ما يجب فيه الزكوة والحج فان ذلك يجب على كل مسلم
في نفسه في كل ما يكون من فروض الاعيان ويجوز ان يكون معنى الخبر ان طلب العلم فيما يبتلي هو به
وفيما يبتلي به غيره فرض على كل مسلم الا انه على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين وذهب
الحسن رحمه الله في معنى هذه الاية ان المراد من قوله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتفقه الطايفة النافرة ثم تنذر اذا رجعت الى قومها الطايفة
المتخلفة وقيل ان هذا اقرب الى ظاهر الاية لان ظاهرها يقتضي ان يكون تفقه الطايفة من كل ناحية
الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه ويتعلموا منه ثم رجعوا الى قومهم فيعلموهم وقد روي
في بعض الروايات ان حيا من بني اسد اصابتهم سنة واصابتهم شدة فاقبلوا بالذراري والصبية حتى
اتوا المدينة فافسدوا طرقها بالعذرات واغلوا اسعارها فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
واعلموا ان الله مع المتقين يا ايها الذين امنوا قاتلوا الادنى فالادنى اليكم من عدوكم مثل قريظة
والنضير وفدك وخيبر اي ابدأوا بمن حولكم ثم قاتلوا سائر الكفار لان الاشتغال بقتال من بعد
من المشركين مع ترك قتال من قرب لا يومن معه هجوم من قرب على ذراري المسلمين ونسائهم وبلادهم
اذا خلت من المجاهدين قوله عز وجل وليجدوا فيكم غلظة اي ليكن منكم قول غليظ وشدة عليهم في الوعيد
كيلا يطمع فيكم احد من اهل الكفر وقوله عز وجل واعلموا ان الله مع المتقين معناه ان الله عز وجل
يعين المتقين في النصر لهم على عدوهم قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من
يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون معناه واذا
ما انزلت سورة من القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المنافقين من يقول ايكم زادته هذه
السورة ايمانا كان بعضهم يقول لبعض على جهة الهزء ويقال كانوا يقولون للمستضعفين من المسلمين ايكم زادته

السوره يقينا وبصيرة يقول الله عز وجل يايها الذين امنوا وهم المخلصون من اصحاب رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فزادتهم تصديقا مع تصديقهم وهم يستبشرون اي يفرحون بكل ما ينزل من القران والاستبشار طلب السرور بما يرجى من المنفعة ٭ وقوله واما الذين في قلوبهم مرض معناه فاما الذين في قلوبهم شك ونفاق فزادتهم السوره شكا الى شكهم وكفرا الى كفرهم لانهم كلما كفروا بسورة ازدادوا كفرا والمومنون كلما صدقوا بسورة ازدادوا تصديقا وقوله عز وجل وماتوا وهم كافرون اي اقاموا على شكهم فيما انزل الله عز وجل من السور الى ان ماتوا على الكفر وانما سمى الله عز وجل النفاق مرضا لان الحيرة في القلب مرض القلب كما ان الوجع في البدن مرض البدن الا ان مرض القلب اصعب وعلاجه اعسر ودواوه اعز واطباوه اقل وانما اضاف الكفر الى السورة في قوله سبحانه فزادتهم رجسا الى رجسهم والمعنى في ذلك انهم ازدادوا عند نزول السورة الكفر بالسورة لان السوره زادتهم الكفر وهو كما قال الله عز وجل مخبرا عن نوح عليه السلم فلم يزدهم دعاي الا فرارا ودعاوه لم يزدهم فرارا ولكن ازدادوا الفرار عنده كما قال الشاعر

ارى بصري قد رابني بعد صحة ٭ وحسبك داء ان تصح وتسلما ٭

قوله عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون معناه اولا يرى المنافقون انهم يختبرون بالدعا الى الجهاد في كل عام مرة او مرتين وقيل يهلكون بهتك استارهم بما يظهر الله عز وجل من سوء نياتهم وخبث سرايرهم ويقال كانوا ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين فيعاقبون ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا يتذكرون بما صنع الله عز وجل بهم بنقضهم العهد ويقال كان تصيبهم الامراض والاسقام وكانوا يعاهدون الله عز وجل لو ازلتنا لفعلنا كذا وكذا ثم كانوا لا يفون بعهدهم والهاهم المعاصي ولا يذكرون نعمة الله عز وجل عليهم ومن قرا اولا ترون بالتا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين ٭ قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون معناه واذا ما انزلت سوره فيها عيب المنافقين فخاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرض لهم في خطبته نظر بعض المنافقين الى بعض هل يريكم من احد من المخلصين اذا هو قام فخرج من المسجد فان كان لا يراه احد اذا خرج من المسجد خرج وانصرف وان علموا ان احدا يراهم قاموا وثبتوا مكانهم حتى يفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ٭ وقوله عز وجل ثم انصرفوا اي انصرفوا عن الايمان والعمل بشي مما يسمعون ويقال انصرفوا عن المكان الذي يسمعون فيه وقوله عز وجل صرف الله قلوبهم اي صرف قلوبهم عن اللطف الذي يجريه للمومنين ٭ وقوله عز وجل بانهم قوم لا يفقهون اي ذلك الصرف بانهم قوم لا يفقهون ما يريد الله عز وجل بخطابه والفقه هو معرفة المعاني المضمنة في الكلام ومنه سمى الله عز وجل العلما فقها لانهم استنبطوا المعاني المضمنة بكلام الله عز وجل بالبناء عليها ٭ قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قيل ان هذا خطاب لاهل مكة المعنى لقد جاءكم رسول من انفسكم من اهل نسبكم ولسانكم تعلمكم واياه انه قريب شريف النسب تعرفونه وتفهمون كلامه وانما قال ذلك والله اعلم لانه اقرب الى الالفة وقيل ان هذا خطاب لجميع الناس معناه ٭ جاءكم ادمي مثلكم وهذا اوكد للحجة عليكم لانكم تفهمون عن من هو من جنسكم وقرى في الشواذ من انفسكم بنصب الفا اي من اشرافكم واعزكم ٭ وقوله عز وجل عزيز عليه ما عنتم معناه شديد عليه اثمكم وعنتكم والعزة امتناع الشي مما يتعذر معه ما يحاول منه والعنت الضيق والمشقة وقوله عز وجل حريص عليكم معناه حريص على ايمانكم ان توصلوا فتنجوا من العذاب ٭ وتفوزوا

بالخير والثواب والحرص شدة الطلب للشي مع الاجتهاد فيه وقوله عز وجل رؤوف رحيم كلام مستانف وهو شديد الرحمة بجميع المومنين رفيق بمن اتبعه على دينه ٭ قوله عز وجل فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم معناه فان اعرضوا عنك عن الايمان بك فقل الله تعالى حسبي وهذا من الحساب لانه عز وجل يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره فيزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حد ونهاية وان نعمه دايمه وصفته متظاهرة وقوله عز وجل لا اله الا هو اي لا ناصر ولا معين غيره به وثقت واليه فوضت امري وهو رب العرش العظيم اي خالق السرير العظيم الذي هو اعظم من السموات والارض وانما خص العرش بذلك لانه اذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل انما خص العرش تشريفا للعرش وتعظيما لشانه وقيل انما خصه ليدل على انه ملك الملوك لانه رب السرير العظيم ومن قرا العظيمُ بالرفع فهو نعت الرب سبحانه وبالله التوفيق

سوره يونس عليه السلام مكية الا اية واحدة على راس الاربعين

وهي قوله عز وجل ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به فانها مدنية وهذه السورة مايه وعشر ايات عند الشاميين وتسع عند غيرهم بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب الحكيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه انا الله ارى وعنه الر وحم ونون من حروف الرحمن وقوله عز وجل تلك ايات الكتاب الحكيم اي هذه ايات الكتاب وانما اضاف السورة الى القران لانها بعض الكتاب كما تضاف السورة لانها بعضه ويجوز ان تكون الر اسم من اسما السوره كانه قال تعالى هذه السوره هي الكتاب الذي احتج بها النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام في تفسير الحروف المقطعة وما في ذلك من جميع اقاويل المفسرين واما وصف القران بانه حكيم فلان القران كالناطق كالحكم لما فيه من التمييز بين الحق والباطل ويقال معنى الحكيم المحكم بالحلال والحرام والامر والنهي يقال احكمت الشي فهو محكم وحكيم كما يقال اكرمت الرجل فهو مكرم وكريم ٭ قوله عز وجل اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين معناه اعجبت قريش ان اوحينا الى ادمي مثلهم من اهل نسبهم ان خوف الناس بالعذاب وبشر الذين امنوا وذلك ان الكفار كانوا يقولون لم يجد الله رسولا يبعثه الا يتيم ابي طالب ويقال كانوا يتعجبون من البعث بعد الموت كما قال الله عز وجل قال الكافرون هذا شي عجيب اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فبين الله عز وجل انهم يبعثون ويجازون بالحسنة والسيئة والانذار هو الاعلام بموضع المخافة ليحذر والبشارة هي تعريف موضع الخير والنعمة ليطلب ويرغب فيه وقوله عز وجل ان لهم قدم صدق اي اعمالهم الصالحة التي قدموها لانفسهم سلف خير عند ربهم يستوجبون بها المنزلة الرفيعة في اخرتهم عند ربهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قدم الصدق شفاعة نبيهم لهم هو امامهم الى الجنة وهم بالاثر وقوله عز وجل وقال الكافرون ان هذا لسحر مبين اي قال كفار مكة ان هذا القران لسحر مبين ومن قرا لساحر مبين وذكر انهم عنوا به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان الكفار لما عجزوا عن رد دلايل التوحيد ودلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعجزوا ان ياتوا بسوره مثل القران في كونهم من اهل البيان لم يبق لهم من الاحتجاج الا ان نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحر وفي الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى الكفار وفيها تنبيه لمن بعده ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمتنع من ذلك بما يسمع من المكروه ٭ قوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون في الاية بيان ان الذي خلق السموات والارض وقدر هذه القدرة قادر

على بعضهم بعد موتهم وقوله تعالى في ستة ايام ثم استوى على العرش قيل في ستة ايام من ايام الاخرة وقيل من ايام الدنيا ولو شا لخلقها في اقل من لحظة ولكن خلقها على الترتيب ليكون حدوث شي بعد شي ابلغ للملايكة في التفكر فيها من حدوثها كلها في حالة واحدة ويقال ليكون خلق الاشيا على الترتيب ابعد من توهم وقوعها على الاتفاق وقوله عز وجل ثم استوى على العرش وان تدبير الامور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الايدي في دعا الحوايج نحو العرش وقد تقدم تفسير الاستوا من قبل ان الدلالة لما دلت على انه لا يجوز عليه الاستوا الذي هو بمعنى الجلوس والانتصاب لان ذلك يكون معنى الاستوا الاستيلا ولم يزل الله مستوليا على الاشيا كلها الا ان تخصيص العرش لتعظيم شانه ٥ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله عز وجل يدبر الامر يقضي القضا الى الملايكة من رسله ولا يشركه في تدبيره احد من خلقه جبريل دون اسرافيل ما الذي يجي ترعد فرايصه ينتظر الامر كلما اراد الله عز وجل امرا ضرب الروح جبهة اسرافيل وضرب الوحي قلبه ثم يامر جبريل عليه السلام بذلك الوحي وعن عمرو بن قرة عن ابن سابط انه قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكايل وملك الموت واسرافيل اما جبريل عليه السلام فعلى الرياح والجنود واما ميكايل فعلى القطر والنبات واما ملك الموت فعلى الانفس واما اسرافيل فينزل عليهم بما يومرون به والتدبير في اللغة تنزيل الامور في مراتبها على عواقبها وقوله عز وجل ما من شفيع الا من بعد اذنه جواب قول الكفار ان الاصنام شفعاونا عند الله عز وجل فبين الله عز وجل انه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لاحد الا من بعد ان ياذن الله عز وجل لمن يشا ويرضى فكيف تشفع الاصنام التي ليس لها عقل وتمييز وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم الذي يفعل ما هو المذكور في الاية من خلق السموات والارض وتدبير الخلق هو الله خالقكم ورازقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام فانها لا تستحق العبادة وقوله عز وجل افلا تذكرون اي هلا تتعظون بالقران **قوله عز وجل** إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ معناه الى الله سبحانه رجوعكم جميعا ويقال اليه موضع رجوعكم اي الموضع جزايه والى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا الله تعالى بعد ان كان ملك الحكم الناس في كثير من الاشيا وقوله تعالى وعد الله حقا نصب على المصدر على معنى وعد الله البعث بعد الموت وعدا حقا كانه قال لا شك فيه وقوله تعالى انه يبدا الخلق ثم يعيده اي يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم يخرجكم ويلبسكم التمام ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يبعثكم بعد الموت وفي هذا بيان ان الخلق الذي على الترتيب حالا بعد حال اهون عليه من الاعادة من خلقه جملة واحدة في ساعة واحدة وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات فيه ان البعث للجزا الجزيهم بالعدل فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزيد على عقاب مسي بل يجازي كلا على قدر عمله كما قال عز وجل جزا وفاقا وقوله عز وجل والذين كفروا اي جحدوا بتوحيد الله عز وجل ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لهم شراب من حميم ما جا قد انتهى حره وعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم بكفرهم بالكتب والرسل الذي لهم في الدنيا وذكرهم زيادة نعمة ليستغنوا منه ولا يبعدوا عنه **فقال عز من قايل** وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ معناه هو الذي جعل الشمس ضيا للعالم بالنهار والقمر نورا بالليل وروي في الخبر ان وجوههما الى العرش وقفاهما الى الارض تضي وجوههما لاهل السموات السبع وظهورهما لاهل الارضين السبع كما قال الله عز وجل وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقوله عز وجل وقدره منازل اي سير القمر منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا في كل شهر ويجوز ان يكون المعنى وقدرهما الا انه حذف التثنية للايجاز كما في قوله عز وجل والله

ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب معناه لتعلموا بالشمس والقمر حساب السنين وحساب الشهور والليالي والايام على ما تقدم ان القمر يقطع في الشهر ما تقطعه الشمس في السنة وقوله عز وجل ما خلق الله ذلك الا بالحق معناه ما خلق الله الذي ذكر من الشمس والقمر الا ليعلموا الحساب ويعتبروا بهما ويستدلوا بطلوعهما وغروبهما على صانعهما نفصل الايات اي نبين علامات وحدانية الله تعالى اية بعد اية لقوم يعلمون تفصيل الايات ٥ **قوله عز وجل** إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ معناه ان في اختلاف الوان الليل والنهار وتقلبهما بذهاب الليل ومجي النهار وذهاب النهار ومجي الليل وما ياخذ الليل من النهار وما ياخذ النهار من الليل وفيما خلق الله عز وجل في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وفي الارض من الجبال والبحار والاشجار والانهار والدواب والنبات لايات اي علامات لقوم يتقون الله سبحانه ويخشون عقوبته فلم يومنوا بهذه الايات ولم يصدقوا فانزل الله عز وجل **قوله** إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ معناه ان الذين لا يخشون عقاب الله وقنعوا بالحيوة الدنيا ولا يعملون الا لها ولا يرجون ما ورآها واطمانوا بها اي سكنوا اليها واثروها على عمل الاخرة والذين هم عن دلايل توحيدنا غافلون اي تاركون لها مكذبون بها اوليك اي اهل هذه الصفة مصيرهم الى النار بما كانوا يعملون في الدنيا وتسمية الرجا بمعنى الخوف كما قال الله عز وجل ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة ويجوز ان يكون المعنى لا يرجون لقانا لا يرجون جزانا فجعل الجزا بمنزلة لقايه كما جعل في قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة اتيان دلايل اياته بمنزلة اتيانه تعظيما لها واما الغفلة في اللغة وهي ذهاب شي عن النفس بحضور ما يضاده وهو نقيض الغفلة ثم انزل الله سبحانه ما اعد للمومنين في الاخرة **فقال عز من قايل** إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ معناه ان الذين صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم يرشدهم ربهم على الصراط الى الجنة بنور ايمانهم ويقال يرشدهم الى منازلهم التي اعدها الله تعالى لهم ويقال يثبتهم على الايمان وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار اي تجري الانهار بين ايديهم في الغرف متطلعون عليها كما قال الله عز وجل حكاية عن فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ويجوز ان يكون تجري من تحتهم من تحت شجرهم وبساتينهم في جنات يتنعمون فيها وقوله تعالى دعواهم فيها اي قولهم ودعاوهم في الجنة سبحانك اللهم فاذا سمعوا الخدام ذلك من قولهم تكبيرا لله تعالى وتعظيما اتوهم بما يشتهون قال ابن جريج رحمه الله يمر الطير على رجل من اهل الجنة يشتهيه فيسبح الله عز وجل فيقع الطير بين يديه فياكل منه ما شا فاذا فرغ منه قال الحمد لله ويقال معنى قوله عز وجل دعواهم فيها اي مفتتح كلامهم التسبيح ومختتم كلامهم التحميد وهو اخر كلامهم لا ان يكون التحميد اخر كلامهم حتى لا يتكلمون بعده بشي وقوله عز وجل وتحيتهم فيها سلام اي تحيي بعضهم بعضا بالسلام وتحييهم الملايكة بالسلام وتاتيهم الملايكة من عند الله بالسلام كما في قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام **قوله عز وجل** وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ قيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما ثم صارت عامة في كل من يستعجل العقاب يقول ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي ومعناه ولو يعجل الله للناس الشر كما يعجل الخير اذا دعوا بالرحمة والرزق والعافية

لما توا وهلكوا او بقوا الفقر اليهم اجلهم ط لنصب لا على ما لم يسم فاعله واما قوله استعجالهم بالخير فهو نصب
على معنى مثل استعجالهم على نعت مصدر محذوف كانه قال تعجيلا مثل استعجالهم بالخير ويكون نصبه على
معنى مثل استعجالهم وقيل ان المراد بهذه الاية دعا الانسان على نفسه وعلى قومه مثل قول الرجل فرقني
الله تعالى من بينكم وقوله لولده لعنه الله واخزاه واماته الله تعالى لو استجاب الله تعالى لهذه
الادعية لهلكوا ولكن الله تعالى لا يعجل الموت والهلاك بل امهلهم حتى يتوبوا وقوله عز وجل فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي نترك الذين لا يخافون في ضلالتهم وكفرهم يتحيرون
ويترددون قوله عز وجل وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما
فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
نزلت هذه الاية في هشام بن المغيرة المخزومي ومعناها اذا اصاب الانسان الشدة والمرض دعانا
لكشفه وهو مضطجع لما به من المرض او قاعدا اذا كانت العلة اهون او قائما اذا ابقى فيه اثر العلة
او كان في شدة معيشة او غيرها فلما رفعنا ما كان به من الشدة استمر على الاعراض عن شكر
ما انعمنا عليه في كشف الضر عنه وقوله عز وجل كذلك زين للمسرفين اي هكذا زين للمسرفين ما كانوا
يعملون في الشرك والدعا في الشدة وتركوا الدعا في الرخا فاغتروا بما زين لهم قوله عز وجل
ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا
كذلك نجزي القوم المجرمين معناه ولقد اهلكنا الامم الماضية من قبلكم حين كفروا وجاءتهم
رسلهم بالدلالات الواضحات وما كانوا ليومنوا فيه بيان ان الله تعالى انما اهلكهم لانه كان المعلوم
من حالهم انه لو بقاهم ابد الابدين لم يومنوا ولو كان في بقايهم صلاح لهم ولغيرهم لبقاهم وقوله
كذلك نجزي القوم المجرمين اي هكذا نجزي القوم المشركين نهلكهم كما اهلكنا الاولين قوله
عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون من الخير
والشر ونشاهد هل تعتبرون بما صنع الاولون ام لا وهذا على التهديد اي ان عاملكم مثل معاملتهم
اهلككم كما اهلكتهم وانما قال لننظر لانه تعالى يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء حتى يكون
مظاهرة في الفعل فانه انما يجاري العباد على علمه لا على علمه فيهم قوله عز وجل وإذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون
لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن
عصيت ربي عذاب يوم عظيم معناه واذا تقرأ على اهل مكة آياتنا المنزلة في القرآن قال الذين
لا يخشون عذابنا ولا يطمعون في ثوابنا لانهم لا يقرون بالبعث ائت يا محمد بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا
ولا ذكر البعث والنشور وقوله عز وجل او بدله اي قالوا الكل هذا بغيره قل يا محمد ما يكون
لي اما يجوز ولا ينبغي ان اغيره من تلقاء نفسي ما اقول ولا اعمل الا بما يوحى الي من القرآن اني اعلم انني ان اي
عصيته في تبديل القرآن انه يكون علي عذاب عظيم ويقال انما قالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله لانهم
ظنوا انه لا يلزمهم الايمان الا ان اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكل الايات التي يقترحونها عليه ولم
يكن الامر على ما توهموه لانه لو اتى بقرآن غير هذا لاقترحوا آخر فكان لا يتناهى ذلك ويقولون في
الثاني والثالث تعنتا ما قالوا في الاول وجه يلزم الله عز وجل ليست تابعة للمقاصد السفها وانما يأتي الله عز وجل
من الايات ما يختاره بقدر ما تقوم به الحجة على الخلق قوله عز وجل قل لو شاء الله ما
تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون قل يا محمد لو شاء الله
ما قرأت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي وقوله تعالى ولا ادراكم به معناه ولا اعلمكم الله تعالى
به اي لو شاء الله عز وجل ان لا يسمعكم ولا يشعركم وفي قراءة الحسن ولا ادراتكم به اي لا اعلمكم وقوله عز

وجل فقد مكثت فيكم عمرا اي مكثت فيكم دهرا قبل انزال القرآن ولم اقل من هذا شيئا فليس لكم ذهن
الانسانية انه ليس من تلقاء نفسي قوله عز وجل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون معناه لا احد اظلم ممن اختلق على الله كذبا ان جعل له
شريكا او ولدا او ادعى النبوة بغير حق وقال امرنا الله تعالى بعبادة الاصنام فنتقرب بعبادتها اليه وقوله
عز وجل وكذب بآياته معناه وكذب بانبيائه ورسله وكتبه وقوله تعالى انه لا يفلح المجرمون
اي لا يوصل المجرمون الى مرادهم قال الحسن رضي الله عنه هم الذين يطلبون حد الطبع قوله عز
وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون معناه ان
اهل مكة يعبدون من دون الله تعالى الاصنام التي لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا يشفعون لنا عند الله تعالى لانه تعالى الذي اذن لنا في عبادتها وانه يشفعها
فينا وارادوا بذلك شفاعة الاصنام في مصالح دنياهم فانهم كانوا لا يقرون بالبعث وقوله تعالى قل
اتنبئون الله بما لا يعلم استفهام بمعنى الانكار ان الله عز وجل خلق السماوات والارض وهو عالم بما
فيهما يعلم ان ليس فيهما الله ينفع ويضر غيره اتخبرونه انتم بشيء لا يعلم فيعلم باخباركم وهذا نفي العلم
والمراد نفي ما قالوه في ان شفاعة الاوثان لا تكون ابدا وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون
اي تنزيها لله عز وجل عن كل سوء لا يليق بذاته فارتفع وتبرأ عما يشركون من الاصنام والاوثان
قوله عز وجل وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون اختلف الناس في المراد بهذه الاية قال بعضهم اراد بذلك
الناس كانوا امة واحدة من وقت ادم عليه السلام ثم اختلفوا بان كفر بعضهم بعضا واول من
اختلف قابيل وهابيل وقال اراد به ان الناس كلهم ولدوا على الفطرة ثم اختلفوا بان غير بعضهم
الفطرة ولم يغير بعضهم بل ثبت عليها وقال بعضهم اراد بذلك انهم كانوا امة واحدة على عهد ابراهيم
عليه السلام او على عهد نوح عليهما السلام كانوا كلهم كفرين فتفرقوا فرقتين مومن وكافر وقال
اراد بالناس ههنا العرب كانوا على الشرك قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا بعد مبعثه
فامن بعضهم وكفر بعضهم والقول الاول اقرب الى الظاهر لانه لان قوله عز وجل في الاية التي قبل
تلك هذه ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقتضي ان اتفاق الناس كان على عبادة الله عز وجل
وجل وقوله عز وجل في آخر الاية لقضي بينهم فيما فيه يختلفون يقتضي النهي عن الاختلاف ولو حمل قوله عز
وما كان الناس الا امة واحدة على اتفاقهم على الكفر لجعل الاختلاف بايمان البعض فيكون
المخالف ممدوحا على الخلاف لا مذموما عليه ومما يؤيد هذا القول انه لا يجوز ان يطبق اهل الارض
كلهم على الكفر حتى لا يبقى فيهم احد ممن يكون شاهدا عليهم باعمالهم كما قال عز وجل فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واراد بكل امة اهل كل قرن وعصر وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى نظر الى اهل الارض فمقتهم
عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب واراد به بقايا اهل الكتاب الذين بقوا على الحق الى ان
ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك معناه لولا
حكم من الله سبق بتبقية التكليف على الناس الى وقت معلوم سوا اطاعوا ام عصوا لما علم من المصلحة لهم
ن ولغيرهم في ذلك لعجل لهم العذاب عند العصيان واضطرهم الى معرفة الحق فيما اختلفوا فيه ولا يجوز ان يكون
معنى قوله فيما اختلفوا فيه ولولا كلمة سبقت من ربك انه لولا ان الله عز وجل جعل لهم اجلا للفصل
بينهم لفصل بينهم في وقت اختلافهم باهلاك اهل العصيان ولولا الكلمة السابقة لكان الاهلاك

كان اهل الطائف يعبدون اللات وقريش تعبد العزى ومناة [illegible] وكانوا يقولون [illegible] شفعاؤنا [illegible] اللات والعزى
وعن كل صنم

هو الصواب لان هذا انما يجوز على من تجوز ان يبدو اله بدوات وان يعلم في حال الشي ما لم يكن عالما
به من قبل وهذا لا يجوز على الله عز وجل **قوله عز وجل** ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين معناه ويقول كفار مكة
هلا انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه يعنون الاية التي كانوا يقترحونها عليه سوى
الايات التي انزلها الله عز وجل فقل انما الغيب لله تعالى اي قل لهم يا محمد ان غيب نزول الايات
لله سبحانه لو علم الصلاح في زيادة الايات لانزله وقوله عز وجل فانتظروا عقاب الله عز وجل بالقتل
في الدنيا والنار في الاخرة اني معكم من المنتظرين لهلاككم بما وعد الله عز وجل من النصر عليكم
ويقال معناه فانتظروا هلاكي اوانتظروا نزول هذه الاية اني معكم من المنتظرين لهلاككم **قوله عز وجل** واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرا مستهم اذا لهم مكر في اياتنا
قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون معناه اذا اعطينا الناس اي الكفار
ما يسرون به من العافية والنعمة والرحمة والمطر من بعد فقر وبلاء ومرض وقحط وشدة اصابتهم
اذا لهم مكر في اياتنا بالاحتيال في دفعها والتكذيب بها كانوا يقولون اذا مطروا سقينا بنو كذا
وكذا ولا يقولون هو رزق الله عز وجل ورحمته واذا تنوب عن جواب الشرط كما ينوب
الفعل كانه قال اذا هم مكروا وهذا كما قالوا في قوله عز وجل وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون ۞ واما قوله عز وجل اذقنا الناس يعني اعطا النعمة لان النعمة مما تختبر بها كما تختبر
الذائق بما يذوق وقوله عز وجل قل الله اسرع مكرا اي اسرع جزاء على المكر واقدر على ذلك
فسمي الجزا باسم المجزي عليه وقوله عز وجل ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اي الكرام الكاتبون
يكتبون ما تمكرون انتم وفي الاية بيان ان الله عز وجل لو انزل عليهم الاية التي اقترحوها لم يومنوا بها
كما لم يعرفوا الرحمة التي قد يذيقهم الله عز وجل من بعد الشدة التي تصيبهم ۞ **قوله عز وجل**
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها
جاتها ريح عاصف وجاهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له
الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين معناه هو الذي يسهل لكم السير ويحفظكم
اذا سافرتم في البر على الدواب وفي البحر على السفن والسير في البحر مضاف الى الله عز وجل على
الحقيقة لان سير السفينة لا يكون الا بجري الما وبالريح الطيبة التي يستطيبونها واما السير في
البر فيجوز ان يكون اضافته الى الله عز وجل على تسخير المركوب وسيره باساكه بقدرته وقرا
بعضهم هو الذي ينشركم بالياء والنون والشين المعجمة من فوقها معناه يبثكم في البر والبحر
وقوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك اي في السفن ويكون الفلك واحدا وقد يكون جمعا فمن جعله
واحدا فجمعه افلاك ومن جعله جمعا فوحدانه فلك كما تقال اسد واسد وقوله تعالى وجرين بهم
بريح طيبة اي السفن جرين باهلها بريح لينة ساكنة وفرحوا بسكون ريحها واعجبوا بها قال
الزجاج ابتدا الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن معاينة لان مخاطبة الله عز وجل لعباده لا يكون
الا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمنزلة الاخبار عن الغايب وكلما قام الغايب مقام
من تخاطبه جاز له ان يرده الى الغايب كما قال الشاعر ۞ اسيئي بنا او احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت ۞ وقوله جاتها ريح عاصف اي جات السفن ريح عاصفة شديدة
الهبوب الذي يكون اهله افرح ما يكون اهله فيه وقوله وجاهم الموج من كل مكان اي ركبها
الموج من كل جانب وقوله عز وجل وظنوا اي ايقنوا انا قدرنا اهلاكهم تقول العرب لكل من وقع
في الهلاك او في بلية عظيمة احيط بفلان اي احاط به الهلاك وقوله عز وجل دعوا الله مخلصين له

الدين اي دعوا الله تعالى ليكشف ذلك عنهم مخلصين له الاعتقاد اي مفردين له بالدعا لا يدعون عند
الشدة غير الله عز وجل قال الحسن رضي الله عنه ليس هو اخلاص الايمان ولكنه العلم بانه لا ينجيهم
من ذلك الشدة الا الله عز وجل وقوله عز وجل لين انجيتنا من هذه الريح اي يقولون لين انجيتنا
من هذه الريح والشدة والغرق لنكونن من الشاكرين لك على ذلك ۞ **قوله عز وجل**
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة
الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبيكم بما كنتم تعملون فلما انجاهم من البحر اذا هم يبغون على انبيا
الله عز وجل صلوات الله عليهم اجمعين واوليايه رضي الله عنهم اجمعين ويعملون بالمعاصي والفساد
والدعا الى غير عبادة الله عز وجل والبغي في اللغة هو الترامي الى الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا
ترامى الى الفساد وبغت المراة اذا فجرت ۞ وقوله عز وجل يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي ظلمكم
وتطاولكم فيما بينكم يعود ضرره عليكم ويرجع وباله اليكم كما يقال في المثل المسيي استقبلته
مساويه وقوله متاع الحيوة الدنيا اي تمتع قليل في الدنيا ومتاع الدنيا تذهب وتفنى ويجوز ان يكون
قوله عز وجل متاع الحيوة خبرا لقوله انما بغيكم على انفسكم اي لا تبتغيا لكم الان في تعجيل على بعض
مدة يسيرة مع سرعة انقضايها ثم الينا مرجعكم بعد الموت وقوله عز وجل فننبيكم بما كنتم تعملون
وعيد بالعذاب كما يقول الرجل لاخر سأخبرك بما عملت ويريد به ان يجزيه على سوء عمله بابلغ المجازاة
ثم ضرب الله عز وجل للحيوة الدنيا مثلا فقال عز من قايل انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه
من السما فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون معناه انما صفة حيوة الناس
في الدنيا وهي الحيوة الاولى صفة ما انزله الله عز وجل ينبت به انواع النبات فاختلط بعضه ببعض لكن
لان المطر يختلط بالنبات ويدخل في خلاله وقوله تعالى مما ياكل الناس والانعام اي مما
يصير بعضه للناس من الحبوب والثمار وبعضه علفا للدواب من العشب والكلا وقوله عز وجل
حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها من النبات والزخرف حسن الشي وقوله تعالى
وازينت اي تزينت بنباتها من الاحمر والاصفر والاخضر وساير الالوان التي لا نهاية لها في الحسن
بعدها وقوله عز وجل وظن اهلها انهم معناه وحسب اهلها ادراك الانتفاع بها وقوله عز
وجل اتاها امرنا اي عقابنا في ليل او نهار اما ببرد او بصواعق محرقة او بغيرها وسمي العقاب امرا
لان اهله عز وجل انما الله عز وجل تضاف اليه بلفظ الامر لان ذلك ادل على سرعة الكون من غير استبطا
ولا تعب وقوله سبحانه فجعلناها حصيدا اي كالنبات المحصود الذي لا ينتفع به وقوله عز وجل
كان لم تغن بالامس اي كان لم يكن بذلك المكان شي من الخضرة والحسن والنبات والمغنى هو
الموضع الذي يقام فيه ويعمر والمغاني المنازل التي نعمها الناس بالنزول بها يقال غنينا بمكان كذا اذا نزلنا
به ووجه تشبيه الحيوة الدنيا بالمطر الذي ينزل فينبت به النبات ثم ينتقض وينقطع انه كما لا يبقى شي من
ذلك النبات كذلك المتمسك بالدنيا الذي ما ينتهي اليه امر دنياه ياتيه بالموت وهو قوله عز وجل حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون اي خاسرون الدنيا وقد انفقوا اعمارهم فيها وخاسرون
الاخرة وقد انصرفوا عنها وقل تفكرهم وعملهم لها وهو معنى قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هبا منثورا ۞ واما قوله عز وجل كذلك نفصل الايات فمعناه كما فصلنا لكم الايات فكذلك نبين الايات
في القران لقوم يتفكرون في امر الدنيا والاخرة وانما خص به المومن يتفكر لان الغافل عن ذلك والمتغافل
لا يكاد ينتفع بهذه الامور لانه كالانعام واضل ۞ **قوله عز وجل** والله يدعو الى دار

السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وذلك ان الله سبحانه لما بين المثل الذي يزهد في الدنيا
اتبعه بذكر ما ينبغي للعبد ان يعمله قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه والله اعلم والله
يدعو الى عمل الجنة وقال الله السلام وداره الجنة وقوله عز وجل والله يهدي من يشا اي يكرم من يشا
بالهداية الى دين قام برهان الله عز وجل وهو الاسلام وفي هذا بيان ان من تمسك بما امره الله عز وجل
به من عمل الاخرة هداه الله عز وجل الى طريق الاخرة وقال معنى دار السلام الدار التي سلم اهلها من
الافات والامراض والهرم والموت والسلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة واللذاذ
واللذاذ واللذاذة وعن ابي قلابة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نامت
عيني وعقل قلبي وسمع اذني ثم قيل له سيد بنى دارا وصنع مادبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي
ودخل الدار اكل من المادبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي ولم يدخل الدار ولم ياكل من
المادبة ولم يرض عنه السيد فالله تعالى السيد والدار الاسلام والمادبة الجنة والداعي محمد صلى الله
عليه وسلم ه وانما خصص الهداية بالمشية في اخر الاية قال بعض المفسرين ان الدعوة عامة لانها
دعا جميع الخلق والهداية خاصة لان معناها التوفيق وهذا فضل من الله عز وجل وفضل الله عز وجل
يوتيه من يشا وقال بعضهم اراد بلفظ الهداية الهداية في الاخرة الى طريق الجنة الذي يسلكه
المومنون ويعدل عنه الكفرون الى النار وقال انما اضاف الهدى الى نفسه لان افعال الله تعالى
تضاف اليه بالمشية ليكون اعظم وادل على الاقتدار وبالله التوفيق قوله عز وجل للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اوليك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون وذلك ان الله عز وجل لما بين من قبل انه يدعو الى دار السلام من بعد ما حصل للمطيع
فقال عز من قايل للذين احسنوا الحسنى فيما دعاهم اليه بالتمسك بالعمل الصالح واجتناب الكباير
لهم الحسنى وهي الجنة ولذاتها وقوله الحسنى مونث الحسن كما يقال الاكبر وكبرى واصغر وصغرى
وقيل ان الحسنى هي الحالة الجامعة للذات والنعم على اكمل ما يكون وقوله عز وجل وزيادة روي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال حين تلى هذه الاية اوكنت عنده اتدرون ما الزيادة
قالوا ما هي يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل
واراد بهذا النظر الى الله سبحانه كانت احسن في اطلاق النظر الى وجه الله عز وجل يوهم ان المراد
به النظر الى العضو الذي هو الوجه من الله عز وجل تعالى الله عن ذلك ه وعن عبد الله ابن عباس
رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله وجماعة من المفسرين رحمهم الله ان المراد بالزيادة تضعيف الاجر
كما قال الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقيل اراد بالزيادة رضى الرب كما روي
في بعض الروايات ان اهل الجنة يوتون بالتحف والكرامات ويقول رب العزة رضيت عنكم فهل
رضيتم عني وقوله عز وجل ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اي لا يلحق وجوههم سواد وهو كسوف الوجه ولا
ذلة اي ولا هوان ولا حزن لا يكون نعيم الجنة كنعيم الدنيا لا يشوبها التنغيص والتكدير والرهق في
اللغة هو اللحوق ومنه قولهم للصبي اذا قارب البلوغ انه مراهق اي قارب الاحتلام والقتر غبرة
فيها سواد وقوله عز وجل اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر المراد وبالله التوفيق ه قوله
عز وجل والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
معناه والذين ابوا طاعة الله عز وجل فيما امرهم به ونهاهم عنه يجازيهم الله عز وجل على المعصية
بما يستحقونه من العقوبة ولا يجازيهم باكثر من الاستحقاق بخلاف الطاعة فانه عز وجل قد يتفضل
على المطيع بزيادة الاجر لانه كان يجوز ان يتفضل ابتدا بتلك الزيادة وكان لا يجوز ان يعاقب ابتدا ولا

يجوز

يجوز ان يزيد على قدر المستحق من العقاب بالمعصية وقوله عز وجل وترهقهم ذلة اي تعلوهم كآبة وكسوف
وهوان لان العقاب لا يكون عقابا بمجرد الالم وانما يكون عقابا بما يقارنه من الاهانة والاذلال والاهانة
وقوله عز وجل ما لهم من الله من عاصم معناه ما لهم من حافظ يدفع عقاب الله عنهم ه وقوله عز وجل
كانما اغشيت وجوههم معناه كانما البست وجوههم قطعا من الليل مظلما من قرا قطعا بتسكين
الطا فمظلما نعتا لقطع ومن قرا قطعا من الليل مظلما نصب الطا فان القطع جمع قطعة ومظلما حال من الليل
المعنى قطعا من الليل في حال ظلمته وقوله عز وجل اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون وقد تقدم تفسيره
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اهل الشرك وقوله عز وجل جزاء سيئة بمثلها اي
قصاص الشرك بالله تعالى النار ليس في النار زيادة على جزاء المثل اذ لا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اشد من
النار كما قال الله عز وجل جزاء وفاقا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوقد على النار الف
سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت الحديث ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء
كالليل المظلم الى يوم القيمة وان لونها الاسود سوادا من القير في عينين خضر الجن واهلها سود كذلك
طبقاتها وشرابها والذي نفس محمد بيده لو اطلع رجل من اهلها على الارض لاسودت له الارض من شدة
سواده قوله عز وجل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون معناه يوم نحشرهم جميعا
من قبورهم الى المحشر للمصدقين والحشر في اللغة جمع الحيوان من كل مكان نحو قوله عز وجل ثم
نقول للذين اشركوا معناه ثم نقول للذين اشركوا في عبادتهم مع الله غيرهم واشركوا في اموالهم
كما قال الله عز وجل عنهم بقوله عز وجل هذا لله وهذا لشركائنا وقوله عز وجل مكانكم انتم
وشركاؤكم اي يقال لهم قفوا انتم والهتكم وهذه كلمة تهديد كما تقول خذ بالعتبة مكانك اي الزم
مكانك حتى تنظر ما نالك لسوء صنعك وحتى يفصل بينك وبين خصمك وقوله عز وجل فزيلنا بينهم
معناه ففرقنا بين الكفار وبين الهتهم في القول بالاختلاف الذي يكون بينهم وليس هذا من الازالة
ولكنه من قولك زلت الشي عن مكانه ازيله زيلا وانما التزييل للكثرة من هذا الباب والمزايلة هي المفارقة
وقوله عز وجل وقال شركاؤهم معناه ان الله عز وجل سال الاصنام التي عبدوها هل امرتم هولا
بعبادتكم فيقولون للذين كانوا يعبدونها في الدنيا ردا عليهم ما كنتم ايانا تعبدون بامرنا ولم نعلم
بعبادتكم ولم يكن فينا روح فنعقل بعبادتكم فيقول من عبدها بلى قد عبدناكم وامرتمونا فاطعناكم فيقول
الاصنام كما قال الله عز وجل فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين معناه
كفى بالله فاصلا للحكم بيننا وبينكم ما كنا عن عبادتكم الا غافلين لم نعلم شيا من ذلك وفي هذا بيان
ان الاصنام لا تجد اصلا عبادة الكفار لها وانما يرجع عليهم الامر بعبادتهم والفائدة في عبادة الاصنام ان
يظهر الله عز وجل للمشركين ضعف معبودهم فيزيدهم ذلك حسرة على عبادتهم قوله عز
وجل هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا
يفترون من قرا تبلوا بالبا فالمعنى عند ذلك تختبر كل نفس جزاء ما اكتسبت قدمت من خير او شر ومن
قرا تتلو بتائين فالمعنى تقرا كل نفس كتاب عملها ويجوز ان يكون معناه تتبع كل نفس جزاء عملها وهنا
من حروف الظرف اصله هناك واللام زائدة والكاف للمخاطبة كسرت اللام لسكونها وسكون الالف
وقوله عز وجل وردوا الى الله معناه ردوا الى جزاء الله والى الموضع الذي لا يملك الحكم احد الا الله عز وجل
والحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصلا له على الحقيقة الله عز وجل حق لان معنى الالهية حاصل له على الحقيقة
لاقتداره على جميع الاشيا وقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه بطل عنهم ما كانوا يختلقون
من الكذب بالاصنام انها الهة تشفع عند الله عز وجل ه قوله عز وجل قل من يرزقكم من

السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون معناه قل لكفار مكة من يرزقكم من السماء المطر ومن الارض النبات والثمر أمن يقدر على أن تخلق لكم السمع والابصار ومن يخرج الحي من النطفه والنطفه من الحي والفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ والسنبلة من الحبة والحبة من السنبله ومن يدبر امر العباد على ما توجبه الحكمة وما يكون فيه قوام معاشهم فسيعترفون بان الله سبحانه فعل هذه الاشيا وان الاصنام لا تقدر على فعل شي منها وقل يا محمد فلم تخافون من عقاب الله ولماذا تعبدون الاصنام ● قوله عز وجل فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون معناه ان الذي يرزقكم من السما والارض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الامر هو ربكم الحق دون الاصنام فمن مردكم عن عبادة الله عز وجل وهو الحق الى عبادتكم الاصنام الباطله الا الضلال فمن اين تصرفون عن الايمان بالله والاخلاص الطاعة له بعد المعرفة ● قوله عز وجل كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون معناه كما وجبت كلمة العذاب ثم كذلك وجبت على كل من تمرد بالكفر وقوله عز وجل انهم لا يؤمنون تجري مجرى التعليل كانه قال باصرارهم على الكفر لان كل ما كان تمردهم اكثر كانوا في الكفر اشد ضلالة والاقدام من كثير من الكفار ويجوز ان يكون وجه التشبيه في اول هذه الايه ان الوعيد من الله عز وجل للكفار بالنار في الصحة كالقول فان ليس بعد الحق الا الضلال قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجبت كلمة العذاب عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام ● قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون معناه قل يا محمد هل من شركائكم الذين اشركتم مع الله تعالى في العبادة من ينشئ الخلق من النطفه بعد ان لم تكن ويجعل فيه الروح وقوله تعالى ثم يعيده فيه اختصار لان الاعادة رد الشي الى الحالة الاولى ولا يكون ذلك الا بعد افنا الخلق فيكون تقدير الايه من يبدا الخلق ثم يفنيه ثم يبعثه فان اجابوك والا فقل الله يبدا الخلق من النطفة ثم يفنيه ثم يعيده في الاخرة فانى تؤفكون اي فمن اين تعدلون عن الايمان بالله عز وجل والاخلاص بالطاعة له ● قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون معناه قل لهم اين الهتكم من يهدي الناس الى الرشد وما فيه صلاح لهم قل الله يهدي الى الرشاد وما فيه صلاح الانسان يقال هديت الى الحق وهديت للحق ومعناهما واحد لان هديت يتعدى الى المهديين والى الحق ومعنى يهدي للحق يهدي من يشا بالحق وقوله عز وجل أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع معناه امن يدعو الى الحق احق ان يطاع ويعمل بامره امن لا يهتدي طريقا الا ان يحمل فيذهب به حيث يراد يعني الاصنام كانه قال ان التي يعبدونها من دون الله لا تهتدي بانفسها الا ان يهديها غيرها واختلفت القراة في قوله عز وجل امن لا يهدي الا ان يهدى واجود قراءات تهدي بفتح الها ويهدي بكسر الها والاصل في ذلك يهتدي ادغمت التا في الدال وطرح فتحها على الها وكسرت الها بالتقا الساكنين ومن قرا يهدي بكسر اليا والها اتبع الكسرة الكسرة ومن قرا يهدي بجزم الها قال الكسائي قوم من العرب يقولون هديت الطريق واهديته بمعنى اهتديت وقوله عز وجل فما لكم كيف تحكمون اي شي لكم في عبادة الاوثان فكيف تقضون لانفسكم فتعبدون من لا يستحق العبادة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما انزل الله عز وجل هذه الايات ولم يومنوا وغلب عليهم الشقا انزل قوله عز وجل وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون معناه وما يعبد اكثرهم الاصنام الا تقليدا لابايهم وفيما بينهم يظن يظنونه في غير يقين يعني ان رؤساهم قالت لهم الاصنام تشفع لهم عند الله تعالى اما السفلة فلا يعلمون الا ما قالت

رؤساؤهم وقوله عز وجل ان الظن لا يغني من الحق شيئا معناه ان الظن في موضع يمكن الوقوف فيه على العلم لا يغني عن الحق شيئا لانه يكون ذلك بمنزلة من عرف شيئا باليقين ثم ترك ما عرف فصار الظن فان عمله بالظن لا يغني عن علم الحق شيئا وعبادة الصنم بالظن لا تغني من عذاب الله تعالى شيئا وقوله عز وجل ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على كفرهم ● قوله عز وجل وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين جواب عن دعواهم على النبي صلى الله عليه وسلم الافترا على الله عز وجل وعن قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله معنى الايه ان القرآن كلام الله تعالى في طبقات البلاغة لحسن النظام ليس هو مما يقدر احد ان يفتريه على الله عز وجل ولكن تصديق الكتب المتقدمة من التورية والانجيل والزبور لمجيه شاهدا لها بالصدق وبكونه مصدقا لما تضمنت تلك الكتب من الاسلام ويجوز ان يكون معنى التصديق لما بين يديه التصديق لما بين يدي القرآن من البعث والنشور والحساب وقوله عز وجل وتفصيل الكتاب معناه وتبيين المعاني المجمله من الحلال والحرام والامر والنهي لا شك فيه انه حق من رب العالمين فلما قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه ابوا وقالوا ما هو بقرآن ولا انزله الله عليك قط بل تقوله فانزل ● قوله عز وجل أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين معناه بل يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرآن من تلقا نفسه قل يا محمد ان كان هو اختلقه فاتوا بسورة مثل القرآن لانه نشا بين اظهركم وتعلم اللغة منكم فلو قدر على افتعال القرآن لقدرتم انتم على الاتيان بسورة مثله فاذا لم تاتوا مع هذا التقريع وحرصكم على تكذيبه وابطال امره دل ان مثله غير مقدور عليه لظهور عجزه للبشر ومعنى الافترا هو الاخبار على القطع بالكذب من قولهم فريت الاديم اذا قطعته وقوله عز وجل وادعوا من استطعتم من دون الله اي استعينوا على الاتيان بسورة مثل القرآن بكل من قدرتم عليه ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقا نفسه فان العادة لم تجر بان يستبد انسان بالاقتدار على كلام لا يقدر احد ان ياتي بمثله فلما قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية سكتوا فلم يجيبوا فانزل الله تعالى ● قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين معناه بل كذبوا بما لم يعلموا كيفية ترتيبه ونظمه ولم يرد انهم لا يعلمون لفظه فان الفاظ القرآن كانت معلومة لهم وكذلك معانيه وقوله عز وجل ولما يأتهم تأويله اي ولما ياتهم عاقبة ما وعدوا به من العذاب على التكذيب ومعنى التاويل ما يؤول اليه امرهم ويقال معناه ان في القرآن اشيا لم يعلموا معناها وكان لا يمكنهم معرفة معناها الا بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرجعوا فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن كذبوا ولما ياتهم تفسيره ولا نظروا فيما يؤول اليه امرهم وقوله عز وجل كذلك كذب الذين من قبلهم انبياهم صلوات الله عليهم اجمعين وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اي كما كان عاقبة هولاء الاهلاك والعقاب كذلك يكون عاقبة هولاء ● قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الايه في اليهود اي من اليهود من يؤمن بالقرآن في المستقبل ومنهم من يصر على كفره ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين من يؤمن ومن لا يؤمن وقال مقاتل رضي الله عنه نزلت الايه في اهل مكه وقيل ان في الايه اشارة الى انه لولا ان الله عز وجل كان عالما بان منهم من سيؤمن في المستقبل والا لاهلكهم جميعا في الحال وذهب الزجاج في معنى الايه ان منهم من يؤمن به في نفسه ويعلم صحة القرآن الا انه يعاند فيظهر الكفر ومنهم من يشك ولا يصدق فكانه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون ● قوله عز وجل وإن كذبوك

فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون معناه فان كذبك قومك بما أتيتهم
به فقل لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم انتم بريئون من جزاء عملي وانا بريء من جزاء عملكم فكان هذا القول
من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة حسن العشرة منهم لا لانه كان شاكا في جزاء عمله وجزاء اعمالهم
وهذا كما يقول الانسان لخصمه في المناظرة لي مذهبي ولك مذهبك لا يريد به تشككه في صحة مذهب
نفسه ولكن جهة حسن المعاشرة ◦ قوله عز وجل ومنهم من يستمعون إليك أفأنت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
معناه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت في يهود المدينة كانوا يبلغون الى مكة فيأتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشابونه ويستمعون قراته فيعجبهم ذلك ويشتهونه ثم يغلب عليهم الشقا
فلا يومنون به ومعنى الايتين والله اعلم ومنهم من يستمع اليك وهو في الظاهر كانه متفكر فيما
يقول وهو متفكك فيه ومنهم من ينظر اليك نظر من هو في الظاهر مستمع الى كلامك وطالب الانتفاع
به وليس هو في الحقيقة كذلك وتعالى معناه ومنهم من يستمع اليك وينظر استماع الطاعن طلبا
للطعن في كلامك وقوله عز وجل افانت تسمع الصم اي كما لا تقدر ان تسمع كلامك الصم فكذلك لا
يقدر على ان ينفع من يستمع الى كلامك غير طالب الانتفاع به كما انك لا تقدر ان تبصر العمي وكذلك
لا يقدر على ان ينفع بما ياتي من الادلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وفي الايتين ما يدل على
تفضيل السمع على البصر لانه عز وجل ذكر مع الصمم فقدان العقل ولم يذكر مع العمى الا فقدان
البصر ◦ قوله عز وجل إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون
معناه ان الله تعالى لا يظلمهم بان ينقص من حسناتهم ويزيد على سياتهم اذ يمنعهم عن الانتفاع بكلامه
وادلته ولكن الناس انفسهم يظلمون بانه لا يطلبوا الانتفاع به ويعرضوا عن التفكر ◦ قوله عز
وجل ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين معناه ويوم نجمعهم في الموقف كان لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة قدم
من النهار يعني هذا بيان ان المكث في الدنيا وان طال كان في جنب الاخرة بمنزلة مكث ساعة من
النهار وقوله عز وجل يتعارفون بينهم اي يعرف بعضهم بعضا ويكون في معرفة بعضهم لبعض حسرة على
من يتعذر قيام الحجة عليهم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك حين يخرجون من قبورهم ثم تنقطع
المعرفة وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله معناه غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت بذهاب
الدنيا والاخرة عنهم وما كانوا مهتدين الى الحق ◦ قوله عز وجل وإما نرينك بعض الذي
نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون في الاية وعد من الله عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم ان ينتقم له منهم اما في حياته او بعد موته وقوله عز وجل فالينا مرجعهم معناه انهم لا
يفوتونا ولا يعجزونا وقوله عز وجل ثم الله شهيد اي عالم باعمالهم يجازيهم عليها وروي عن ابن عباس
انها لما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال ان ربي امرني ان لا افارقك
اليوم حتى ترضى فهل رضيت قال نعم يا جبريل اراني بعض ما وعدهم فلله الحمد على ذلك ◦ قوله عز
وجل ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون معناه ولكل
امة من الامم رسول يدعوهم الى ما امر الله عز وجل به وينهاهم عنه ويبشرهم بالجنة وينذرهم النار ◦
وقوله عز وجل فاذا جاء رسولهم يوم القيمة شاهدا عليهم باعمالهم قضي بينهم بالعدل فتوفى كل انسان
جزاء عمله لا ينقص من ثواب محسن ولا يزاد على عقاب مسيء كما روي في الخبر ان الله جل
عز وجل يقول للامم المكذبة ان الله عز وجل يقول للامم المكذبة الم ياتكم رسولي بكتابي فيه حلالي
وحرامي فيقولون يا رب ما اتى لنا رسول ولا كتاب ثم يوتى بالرسول الذي ارسل اليهم فيقول

بلى

بلى يا رب قد بلغتهم كتابك ورسالتك فيقول من يشهد لك فيقول الملائكة نحن نشهد انه قد بلغهم
رسولك رسالتك وكتابك فيقولون يا رب هولاء يشهدون لك بما شئت فيختم الله على السنتهم ويأذن
لجوارحهم في الكلام فيشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ◦ قوله عز وجل
ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين معناه ان الكفار يقولون لك وقت لنا وقتا لمجي
هذا الوعد الذي تعدنا به من العذاب ان كنت من الصادقين ان العذاب ينزل بنا قوله عز وجل
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون معناه قل يا محمد لا اقدر على دفع ضر ولا جر نفع الا ما شاء الله عز وجل ان يقدرني
عليه وكيف اقدر لكم وقوله عز وجل لكل امة اجل اي وقت مضروب اذا جاء اجلهم لا يتأخرون
قدر ساعة بعد الاجل ولا يتقدمون ◦ قوله عز وجل قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا
ماذا يستعجل منه المجرمون معناه قل لهم اخبروني ان اتاكم الله تعالى ليلا او نهارا ما الذي يستعجل
من العذاب المشركون اي كيف ان انزل بهم العذاب ويجوز ان يكون العذاب ان تكون الهاء في منه
عائدة على ذكر الله عز وجل ويكون ماذا في موضع نصب فيكون المعنى اي شيء يستعجل المجرمون من
الله عز وجل هاربين من ما يستعجلون فقالوا نومن حينئذ قال الله عز وجل أثم إذا ما وقع
آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون الالف في اول هذه الاية استفهام ذكرت على جهة الانكار
المعنى اذا انزل عليكم العذاب امنتم به قالوا نعم قال لهم يا محمد الآن تومنون وقد كنتم به تستعجلون
وكيف يقبل منكم ايمانكم وهو ايمان الالجاء ◦ قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا
عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون معناه ثم تعذبون بعذاب الاخرة وهو العذاب
الدائم الذي لا ينقطع ويقال لهم هل تعاقبون الا بما كنتم تقولون وتعملون في الدنيا قوله عز
وجل ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين معناه ويستخبرونك
يا محمد احق ما تعدنا من العذاب والبعث بعد الموت قل نعم واحلف عليه انه لحق اي صدق كائن
وما انتم بمعجزين عن احلال هذا العذاب بكم ويحتمل ان يكون المراد بقوله حق هو دين الاسلام ◦
قوله عز وجل ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة
لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون معناه لو ان كل انسان ظالم له ما في الارض
جميعا لافتدى به من عذاب الله عز وجل لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه وقوله عز وجل واسروا الندامة
لما راوا العذاب اي اسروا القادة الندامة عن الاتباع حتى راوا العذاب وقيل معنى اسروا اخلصوا
الندامة والاسرار الاخلاص وقوله عز وجل وقضي بينهم اي بين الخلائق كلهم بالعدل وهم لا يظلمون
بان يزاد على عذاب مسيء على قدر المستحق ◦ قوله عز وجل ألا إن لله ما في السماوات والأرض
ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون معناه الا ان لله ما في السموات والارض ملكا
لا يقدر احد على منعه من احلال بملوكه الا ان وعد الله باحلال العقاب بالمجرمين حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون ◦ قوله عز وجل هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ظاهر المراد ◦ وقوله عز
وجل يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
معنى الموعظة الابانة عن ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة ومعنى الشفا ما يجده من
يستدل باعجاز القران من الروح من دا الشك والشبهة وهو شرح الصدر الذي ذكره الله عز
وجل بقوله شرح صدره للاسلام ومعنى الهدى بيان الشرائع من الحلال والحرام والفرض والندب
والاباحة واما الرحمة في الانعام على المحتاج بدليل ان ملكا لو اهدى الى ملك لم يكن ذلك رحمة
عليه وان كان ذلك نعمة تجب الشكر والمكافاة عليها واما تخصيص المومنين بالرحمة فلانهم

هم الذين ينتفعون بنعم الدين ❊ قوله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون معناه قل يا محمد لاصحابك بالقران الذي اكرمكم الله عز وجل به وبالاسلام الذي وفقكم
له فليفرحوا هو خير مما يجمع اليهود والمشركون من الاموال وقال بعضهم فليفرحوا ويجمعون كلاهما
بالتاء على المخاطبة ❊ وعن محمد بن كعب القرظي انه قال اذا عملت عملا ترجو ثواب الله عز وجل فيه فبذلك
فافرح فانه خير من ما تجمع من الدنيا ❊ قوله عز وجل قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حلالا وحراما قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ❊ قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما في معنى هذه الاية قل يا محمد لاهل مكة ارايتم ما انزل الله عز وجل في الكتاب من
من رزق وجعله لكم حلالا طيبا من الانعام والحرث فجعلتم منه حلالا وحراما اي جعلتم البحائر
والسوايب حلالا للرجال منفعتها وحراما على النساء وجعلتم لالهتكم نصيبا من الحرث فحرمتموه ❊
على النساء واحللتموه للرجال كما تقدم تفسيره في اخر سورة الانعام والله سبحانه لم يحرم شيا من ذلك
قل لهم يا محمد آلله امركم بتحريمه ام على الله تختلقون الكذب يعني سوال الحجة في ذلك والا فانهم مفترون
على ربكم ثم اوعدهم على الكذب ❊ فقال جل ذكره ❊ وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيمة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون
معناه وما ظن الذين يكذبون على الله في التحليل والتحريم ماذا يفعل بهم يوم القيمة ليظنون ان الله تعالى
لا يعاقبهم على افترايهم ❊ وقوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اي ذو من عليهم بتاخير العذاب
عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون نعم الله سبحانه وتعالى ❊ ويقال اراد بقوله عز وجل لذو فضل على
الناس انه تفضل عليهم بنعم الدين والدنيا اذ اباح لهم اكل الطيبات وبين لهم ما ياتون ولكن الكفار لا
يعرفون نعم الله عز وجل ❊ قوله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلو منه من
قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر إلا في كتاب مبين معناه وما تكون يا محمد من امر من
الامور وما تقرا من الله من قران فيوحى اليك من سوره او اية تقراها على امتك ويقال معنى وما
تتلو وما تقرا من البيان الذي انت فيه من قران ولا تعملون انتم جميعا يا بني ادم عليه السلام خاصة
ويا امة محمد صلى الله عليه وسلم من خير او شر الا كنا عليكم اي على امركم وتلاوتكم وعملكم
حفظا او يدخلون فيه الافاضة هي الدخول في العمل على جهة الانصباب فيه وهي ماخوذة من فيض الاناء
وقوله عز وجل وما يعزب عن ربك معناه ما يبعد وما يغيب عن ربك من مثقال من وزن نملة
حمرا صغير من اعمال العباد ويعزب بضم الزاي وكسرها لغتان وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا
اكبر من قرا اصغر واكبر بالفتح فموضعهما خفض على معنى ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر اي لا اخف في الوزن من الذرة ولا اثقل منه الا وهو مع علم الله تعالى انه مكتوب
في اللوح المحفوظ الا انه اصغر واكبر انما فتحا في موضع خفض لان افعل لا ينصرف ومن رفع ولا اصغر
ولا اكبر فهو على وجهين احدهما على معنى لا يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا اصغر ولا اكبر والثاني
على الابتدا وخبره الا في كتاب مبين ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب المبين ما يكتبه الحفظة كما
قال الله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون واما ذكر الذرة في الاية فقد جعلها الله تعالى مثلا في هذا
الباب اذ ليس شي يشاهده الناس اصغر منه وكذا القول فيما هو اقل منه واكثر ليلا يظن احد انه يغيب
عنه ما هو اصغر من الذرة ❊ قوله عز وجل ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
آمنوا وكانوا يتقون معناه الا ان الذين تولاهم الله تعالى بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم
القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا وقوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون تفسير لاوليا الله

تعالى اي هم الذين يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويتقون الشرك والفواحش ❊ وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اوليا الله تعالى فقال هم المتحابون في الله تعالى ❊ وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى يعني اذا رآهم العامة ذكروا
الله تعالى من اجل سيماهم في وجوههم ❊ وسئل عيسى عليه السلام عنهم فقال هم الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ونظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى
عاجلها فاحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحيوة يحبون الله ويحبون ذكره ❊ قوله
عز وجل لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز
العظيم معناه لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالكرامة بالقران وفي الاخرة الجنة ويقال اراد بالبشرى في
الدنيا بشارة الملايكة المومنين وقت نزولهم لقبض ارواحهم كما قال جل ذكره تتنزل عليهم
الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية ❊ وعن عطا بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لم يبق من النبوة بعدي الا المبشرات قيل وما المبشرات فقال عليه السلام الرويا الصالحة
يراها العبد الصالح لنفسه او ترى له وهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة واما قوله تعالى لا تبديل
لكلمات الله فمعناه لا خلف في وعد الله تعالى ❊ وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم اي ذلك الذي يعدهم
الله تعالى هو الثواب الوافر والنجاة الوافرة ❊ قوله عز وجل ولا يحزنك قولهم إن العزة لله
جميعا هو السميع العليم في الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على كفرهم وتكذيبهم اياه ونسبتهم اياه
الى الافترا على ربه ومعناه ولا يحزنك يا محمد تكذيبهم اياك وتهددهم لك بالقتل وقوله عز وجل
ان العزة لله جميعا استيناف كلام ولذلك كسرت ان والمعنى فان العزة لله جميعا يمنعهم عنك بعزته
ولا يتعزز احد الا باذنه وهو ناصرك وناصر دينه وهو السميع لمقالة الكفار العليم بضمايرهم ولا يجوز ان
يقرا ان العزة بنصب ان لا يستقيم انه النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزنه قول الكفار بان العزة لله
جميعا ❊ قوله عز وجل ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون معناه واعلموا ان لله تعالى من في
السموات ومن في الارض من الخلق جميعا عبيده وفي ملكه وتحت قهره وقدرته وانما ذكر بلفظ من تغليب
من يعقل على من لا يعقل ❊ وقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا على جهة التعجيب
لفعلهم كقولك ما عندي اي شي عندك ويجوز ان يكون وما يتبع جحدا على معنى ما يتبعون شركا في
الحقيقة والمعرفة ❊ قوله تعالى ان يتبعون الا الظن معناه ما يعبدونهم الا بالظن بتقليد ابايهم وقول بعضهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ❊ وقوله تعالى وان هم الا يخرصون معناه وما هم الا يكذبون في قولهم
انها تشفع لهم عند الله تعالى ❊ قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون معناه هو الذي خلق لكم الليل لتهدوا وتسكنوا
فيه وتستريحوا عما لحقكم من التعب بالنهار وخلق النهار مضيئا للذهاب والمجي وطلب المعيشة وسماه
مبصرا لانه يبصر فيه كما قال الشاعر رؤبة ❊ قد نام ليلي وتجلى همي ❊ وقال اخر
❊ لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ❊ ونمت وما ليل المطي بنايم ❊ اي وما ليل السير من ما ينام فيه
وقوله تعالى ان في ذلك لآيات اي في ما ذكرت لدلالات لقوم يسمعون دلايل الله تعالى ويتفكرون
فيها ❊ قوله عز وجل قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في
الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون معناه قال الكفار اتخذ الله
ولدا فان المشركين قالوا الملايكة بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح
ابن الله ❊ وقوله تعالى تنزيها له عن الولد والشريك هو الغني عن اتخاذ الولد ❊ وقوله تعالى له ما في السموات

وعن ابي ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومنين ❊

وما في الارض معناه ان من كان له ملك السموات والارض وما بينهما فما حاجته الى اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد ذو الضعف ليتقوى به ويستعين به على بعض المونة وذو الوحشة يستانس به ومن يخاف الموت على نفسه فيتخذ الولد ليخلفه في املاكه بعد موته والله تعالى لا يجوز عليه السرور ولا المنافع والمضار ولا يلحقه الموت فهو الغني عن اتخاذ الولد ثم طالب الكفار بالحجة والبرهان فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة وبرهان على هذا القول ثم عاد عليهم بتبكيتهم فقال عز من قايل اتقولون على الله ما لا تعلمون وهذا على جهة الانكار والرد عليهم اي لم تقولون على الله ما لا علم به ولا حجة لكم عليه ۝ وفي هذا بيان ان من قال شيا بغير علم ولا حجة ولا برهان كان مبطلا في قوله وكان قوله مردودا عليه ۝ قوله عز وجل قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون معناه قل يا محمد ان الذين يفترون كذبا بما يكذبون به على الله تعالى لا يفلحون في الدنيا بالحجة ولا في الاخرة بالثواب وقوله تعالى متاع في الدنيا يرتفع على معنى ذلك متاع في الدنيا يتمتعون به قليلا ثم ينقضي ثم الينا منقلبهم في الاخرة الى دار لا يكون الحكم فيها الا لله تعالى الواحد القهار وقوله تعالى ثم نذيقهم العذاب الشديد معناه ثم نذيقهم الم العذاب الشديد بكفرهم بالله تعالى وبرسله عليهم السلام ۝ قوله عز وجل واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون معناه واقرا عليهم خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان عظم عليكم وثقل طول مقامي ومكثي فيكم وعظتي بدلايل الله تعالى فعلى الله توكلت اي به وثقت واليه فوضت امري وذلك حين قالوا له لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ۝ وقوله عز وجل فاجمعوا امركم وشركاكم معناه فاعزموا على امركم مع شركايكم كما يقال لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها اي مع فصيلها ويقال معناه فاعزموا على امركم وادعوا الهتكم واستعينوا بهم في اجتمعوا على امر واحد ويقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه ۝ ومن قرا فاجمعوا بنصب الميم فهو من الجمع وقوله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ليكن امركم عليكم ظاهرا منكشفا لا يستره والغمة ماخوذة من الغمامة ويقال الغم والغمة اي لا يكن امركم غما عليكم وفرجوا عن انفسكم ثم امضوا الي بما تقصدونني من القتل ولا تمهلوني ۝ وهذا كان من معجزات نوح عليه السلام لانه كان وحيدا مع نفر يسير اذ لم يومن به الا ثمانون انسانا الذين حملهم في السفينة مع قلته وقلة عددهم بالعجز عن الوصول الى قتله فعجزوا عن ان ينالوه بسوء واخبرهم ان الله تعالى هو الذي يتوكل عليه عنهم فلم يقدروا عليه بسوء ويقال معنى الاية ان نوحا عليه السلام طالبهم بالحجة فكانه قال لهم استقبلوني مستعدين لما تريدون من الحجة حتى لا تقولوا غافصنا هذا الرجل ولم يدعنا نتشهى لخصومته ثم اذا غلبتموني بحجة لا يكون فيها شبهة فافعلوا بي ما تريدون ثم لا تنظروني ان استنظر طرفة عين ۝ قوله عز وجل فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين معناه فان اعرضتم عن الايمان بما جيتكم به لم يضر اعراضكم اياي لاني لا اطلب ما لكم اجرا ولا ادعوكم الى الايمان لطمع مني في ما لكم وثوابي فيما ادعوكم اليه الا الله تعالى وقد امرني الله تعالى ان اكون من المسلمين على دينه ۝ قوله عز وجل فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين معناه فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه من الغرق ومن كان معه من المومنين في السفينة وجعلناهم خلفا وسكانا في الارض من قوم اهلكوا بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا

بدلايلنا

بدلائلنا وحججنا فانظر يا محمد كيف صار اخر امر الذين انذرهم الرسل فلم يومنوا وهذا تحذير لقوم النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح صلى الله عليه وسلم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذاهم كما صبر نوح عليه السلام على اذى الكفار مع قلة من معه من المومنين ۝ قوله عز وجل ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين معناه ثم بعثنا من بعد نوح عليه السلام رسلا مثل هود وصالح وابرهيم ولوط وغيرهم عليهم السلام الى قومهم فجاوهم بالحجج والبراهين فما كانوا ليصدقوا بما كذبوا به في الابتدا وقوله تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين قد تقدم تفسيره ۝ قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معناه ثم بعثنا من بعد اوليك الرسل موسى وهرون عليهما وعليهم السلام الى فرعون وملايه بدلايلنا وحججنا فاستكبروا اي رفعوا انفسهم فوق اقدارهم بالتكذيب بايات الله تعالى وكانوا قوما مجرمين ۝ قوله عز وجل فلما جاهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون معناه فلما اظهر لهم الحق من عند الله تعالى على يدي موسى وهرون عليهما السلام قالوا ان هذا السحر مبين اي ليس له حقيقة وقد تقدم ان السحر ما تخيل الشي حقا ولا يكون حقا ومن قول الساحر اراد به موسى عليه السلام ۝ وقوله عليه السلام تعالى قال لهم موسى اتقولون للحق لما جاكم انه سحر ابدا فقال اسحر هذا ام معجزة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه اتقولون للحق لما جاكم انه لسحر وقوله ولا يفلح الساحرون معناه ولا يظفر الساحر بمراده اي كيف يكون هذا سحرا وقد افلح الذي اتى به والسحر ما يظهر بالاختبار انه تمويه لا حقيقة له ۝ قوله عز وجل قالوا اجيتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبريا في الارض وما نحن لكما بمومنين معناه قالوا لموسى عليه السلام اجيتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه اباءنا يقال لفته عن الامر اذا صرفه عنه ومنه قولهم التفت اليه اذا عدل وجهه وقوله تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض معناه ويكون لك ولهرون عليهما السلام السلطان والشرف والملك في ارض مصر وما نحن لكما بمصدقين وانما سمي الملك كبريا لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا والكبر باستحقاق صفة الكبريا في اعلى المدح ولهذا لا يجوز ان يوصف به احد غير الله تعالى ۝ قوله عز وجل وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم معناه ايتوني بكل ساحر حاذق بالسحر حتى نغالبوهما بسحرهم فان ما اتيا به سحر ۝ قوله عز وجل فلما جا السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون معناه فذهبوا وجاوا بالسحرة فلما جا السحرة قال لهم موسى عليه السلام القوا جميع ما تريدون القاه وذكر هذا على جهة التعجيز لهم اي انكم لا تقدرون على ابطال امري وكان هذا امر تعجيز على جهة التعجيز التحدي كقوله فاتوا بسورة من مثله ولا يجوز ان يكون هذا امرا بالسحر اذ العمل بالسحر كفر والانبيا صلوات الله عليهم لا يامرون بالكفر ۝ قوله عز وجل فلما القوا قال موسى ما جيتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون معناه فلما القت السحرة ما جاوا به قال لهم موسى عليه السلام الذي جيتم به السحر والخداع ووقف بعض القرا على ما جيتم به ثم قال السحر على معنى اي شي جيتم به اهو السحر على جهة التوبيخ لهم والخداع ۝ وقوله تعالى ان الله سيبطله اي سيبطل عمل السحرة حتى يظهر الحق من الباطل ان الله لا يصلح اي لا يرضى عمل الساحرين ۝ وقوله عز وجل ويحق الله الحق من الباطل اي ينصر دينه الحق بالوعد الذي وعده لموسى عليه السلام كما قال جل ذكره سنشد عضدك باخيك الى اخر الاية ويجوز ان يكون

معنى الكلمات ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ **قوله عز وجل** فما آمن لموسى الا ذرية
من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن
المسرفين معناه ما صدق بموسى عليه السلام وما جابه الا ذرية من قوم فرعون وهم قوم
كان اباوهم من القبط وامهاتهم من بني اسرايل فامنوا بموسى عليه السلام واتبعوا امهاتهم واخوالهم
ولم يسلم اباوهم الذي كان موسى عليه السلام مبعوثا اليهم وقال الحسن رضي الله عنه اراد بقوله
تعالى الا ذرية من قومه الا ذرية من قوم موسى عليه السلام كان فرعون اجبرهم على تعلم السحر
وجعلهم من اصحاب نفسه فلما اسلمت السحرة وامنوا بموسى عليه السلام حين ظهر انه الذي اتى به موسى
عليه السلام ليس بسحر اتبعهم هولا الذريه في الايمان بموسى عليه السلام وكان يقول لم يومن
من القبط احد الا المومن الذي يكتم ايمانه من فرعون وقومه كما ذكره الله تعالى في سورة حم
المومن وقوله تعالى على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم معناه على القول الاول امنت الذرية
على خوف من فرعون واباهم وقومهم وعلى القول الثاني على خوف من فرعون واشرافهم ورؤسايهم
ان يعلم الاشراف امرهم فيخبروا فرعون فيقتلهم او يعذبهم او يصرفهم عن دينهم وقال الزجاج رحمه
الله انما قال من فرعون وملايهم لان فرعون كان ذا اصحاب يامرون له قال ونظير هذا قوله
تعالى فان لم يستجيبوا لكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لان محمدا ايكم مع اهل دينه وذلك
يذكر مع اتباعه وقوله تعالى وان فرعون لعال في الارض معناه انه لمستكبر في ارض مصر وانه
لمن المسرفين في الكفر والمعاصي والاسراف هو التجاوز عن الحد في كل شي وعن محمد بن
المنكدر رحمه الله قال عاش فرعون ثلثمايه واثنين وعشرين سنة لم ير مكروها ودعاه موسى
عليه السلام ثلثين سنة **قوله عز وجل** وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين معناه قال موسى لبني اسرايل يا قوم ان كنتم صدقتم بالله
كما تقولون فاسندوا اموركم اليه ان كنتم مخلصين مستسلمين لاوامره وكذلك حين
قالوا لموسى عليه السلام اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا ويقال ان موسى عليه السلام
خاطب بالخطاب المذكور في هذه الايه الذرية التي امنت على خوف من فرعون وملايهم
قوله عز وجل فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين معناه فقالوا لموسى عليه السلام اسندنا امورنا الى الله عز وجل
ووثقنا به ربنا لا تجعلنا فتنة اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيكون ذلك فتنة لهم وتعذيبهم
ويقال معناه لا تمكنهم من ان ينزلوا امرا لا نطيق الصبر عليه فنصرف به عن الدين وقوله تعالى
ونجنا برحمتك معناه خلصنا بنعمتك من استعبادهم ايانا فاستجاب الله تعالى دعاهم كما ذكر الله تعالى
من بعده **قوله عز وجل** واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر
بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المومنين وذلك ان فرعون لما اتاهم
موسى عليه السلام بالرسالة امر بمساجد بني اسرايل فكسرت كلها ومنعهم عن الصلوة علانية
فانزل الله تعالى هذه الايه ومعناها فاوحينا اليهما ان اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال تبوا فلان
عند غيره بيتا وتبوا اذا اتخذ لنفسه بيتا ومن قرابا خالصة بغيرهم جعل الهمزة يا اختيار التخفيف وقوله
واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوها مصلى وصلوا فيها مستترين من فرعون وقومه وقيل معناه واجعلوا
بيوتكم مساجد قال الحسن رضي الله عنه واجعلوا بيوتكم نحو الكعبة وحيال الكعبة قال وكانت الكعبة
قبلة موسى عليه السلام ومن معه من المومنين وقيل انما لم يذكر الله الزكوة في هذه الايه لان فرعون
كان قد استعبدهم واخذ اموالهم فلم يكن لهم مال تجب الزكوة فيه وقوله تعالى وبشر المومنين

فبشرهم

فبشرهم بالثواب في الاخرة والنصرة في الدنيا اجلا وعاجلا **قوله عز وجل** وقال موسى ربنا
انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال بعضهم معنى الاية
وقال موسى عليه السلام ربنا انك اعطيت فرعون وملاه زينة اي زهرة من المراكب والحلي
والثياب واموالا كثيرة من الدراهم والدنانير والعروض يا ربنا اعطيتهم الزينة والاموال لتكون
عاقبة امرهم ان يضلوا عن سبيلك ولا يومنوا او قال هذه اللام لام العاقبة كما في قوله تعالى
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم معنى الطمس
على الاموال تغيرها عن جهتها الى جهة لا ينتفع بها وحقيقة الطمس ذهاب الشي عن صورته ومحو الاثر
قال مجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير رحمهم الله تعالى يغير الله اموال قوم فرعون حتى صارت دراهمهم
ودنانيرهم حجارة انصافا واثلاثا وارباعا وكذلك ساير اموالهم حتى السكر والفانيذ وقوله تعالى
واشدد على قلوبهم معناه واربط على قلوبهم بالصبر حتى لا يتحولوا عن بلادهم الى بلاد الخصب فيبقون
في هذه العقوبه ابدا وهذا كما قال لمن اصابته مصيبة ربط الله على قلبك اي صبرك الله تعالى وقوله
تعالى فلا يومنوا موخر عن موضعه على هذا القول متصل بقوله تعالى ليضلوا عن سبيلك وقوله تعالى
حتى يروا العذاب الاليم اراد به عذاب الاستيصال وقال بعض المفسرين رحمهم الله معنى قوله تعالى
ليضلوا عن سبيلك اعطيتهم الاموال لكيلا يضلوا عن سبيلك وهذا كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان
تضلوا معناه ان لا تضلوا وكما في قوله تعالى ان تضل احديهما معنى ان لا تضل احديهما وقوله تعالى
ان تقولوا يوم القيمه انا كنا عن هذا غافلين فكان موسى عليه السلام قال في دعايه ربنا
اعطيتهم الاموال لئلا يضلوا عن جنبيك فكفروا بنعمتك وضلوا عن الحق ربنا اطمس على اموالهم وقوله
تعالى فلا يومنوا على هذا التاويل خبر وضع في موضع جواب الامر لوقوعه موضع الجزا كما يقال انظر
الى الشمس تغرب وكان ينبغي ان يقال تغرب بالرفع الا ان هذا لما كان في موضع الجزا في صورة
اللفظ اجرا عليه اعراب الامر كذلك قوله تعالى واشدد على قلوبهم فلا يومنوا تقديره واشدد على
قلوبهم فلن يومنوا حتى يروا العذاب الموجع الاليم وذهب بعض المفسرين رحمهم الله تعالى الى ان
قوله تعالى اتيت فرعون وملاه زينة واموالا استفهام الا انه حذف عنه الف الاستفهام وهذا
كما قال الشاعر كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
واراد بقوله كذبتك عينك اكذبتك على جهة الاستفهام الا انه حذف عنه الف الاستفهام فصار
تقدير هذه الايه ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يومنوا وانما حملت هذه الايه على احدى هذه التاويلات
الثلاثة لان الانبيا عليهم السلام انما يبعثون للدعا الى الاسلام فيستحيل ان يسال احد منهم ان يشد
الله تعالى على قلوب الكفار حتى لا يومنوا **قوله عز وجل** قال قد اجيبت دعوتكما
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون معناه قال الله تعالى لموسى عليه السلام وهرون
عليه السلام قد اجيبت دعوتكما وذلك ان موسى عليه السلام كان يدعو بالدعا الذي ذكر
في الايه التي قبل هذه الايه وكان هرون عليه السلام يومن على دعايه فسماهم الله تعالى داعيين
وقوله تعالى فاستقيما معناه فاستقيما في دعا الناس الى الايمان بالله عز وجل وقوله تعالى ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون نهي لهما عن اتباع سبيلهم لان سبيلهم كان الغي والضلال ومن
قرا ولا تتبعان بجزم التا ونصب البا فهو من تبع يتبع والنون الشديده انما دخلت موكدة للنهي
وبالله التوفيق **قوله عز وجل** وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده
بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين

الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين معناه وجعلنا لبني اسرائيل البحر القلزم وهو بقرب نيل
مصر يبسا حتى جاوزوه فاتبعهم فرعون وجنوده ليبغوا عليهم ويظلموهم حتى اذا الجم فرعون الغرق آمن ايمان
الالجا فلم ينفعه ذلك الايمان فان فرعون لما جاء الى البحر راى الطريق يابسا وقد جاوزه بنوا اسرائيل ولم
يعلم ان الله تعالى انما فعل ذلك لنجاة بني اسرائيل ولم يعلم ان الله تعالى انما فعل ذلك لنجاة بني اسرائيل
واهلاكه مع جنوده فتبع البحر فادركه الغرق فقال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل
وانا من المسلمين فقال له جبريل عليه السلام الآن تومن عند الغرق وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
بالكفر والمعاصي فوقت المهلة وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه
السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني وفرعون يدعو بكلمة الاخلاص آمنت انه
لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وانا ادسه في الماء والطين لشدة غضبي عليه مخافة
ان يتوب فيتوب الله عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شدة غضبك فقال يا محمد لقوله
انا ربكم الاعلى وهي كلمته الاخرى فاما قالها حين انتهى الى البحر وكلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري
وكان بين الاولى والاخرى اربعون سنة وهذه الرواية صحيحة الا قوله مخافة ان يتوب فيتوب الله
عليه لا تخلو اما ان كان التكليف ثابتا في ذلك الوقت او غير ثابت فان كان ثابتا لم يجز على جبريل
عليه السلام ان يمنعه من التوبة ولو منعه عن التكلم باللسان لكانت ندامة فرعون بالقلب
كافية في توبته لان الاخرس اذا تاب بالندم بقلبه والعزم على ترك المعاودة الى القبيح كانت
توبته صحيحة وان لم يكن التكليف ثابتا في ذلك الوقت لم يكن للمنع عن التوبة وجه من الوجوه
وانما لا يقبل الايمان في وقت الالجاء لان الذي يومن في تلك الحالة يعلم ان لو لم يؤمن لحل به ما يحذره
حين رآه بعينه فلا يكون ايمانه الا عن معرفة الحسن والقبيح من طريق الضرورة دون
الاجتهاد قوله عز وجل فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون معناه فاليوم نلقيك على نجوة من الارض وهي
المكان المرتفع ببدنك اي بدرعك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قصيرا هامه
طوله ستة اشبار وكانت لحيته قريبا من قامته وكان له درع سلاسلها من ذهب يعرف بها جميع
بني اسرائيل فسالت موسى بنوا اسرائيل فدعا الله عز وجل فاخرجه تعالى ببدنه حتى راوه وعرفوا
الدرع فطابت انفسهم بذلك ويقال كان في بني اسرائيل من لا يصدق بهلاك فرعون ولذلك سال
موسى عليه السلام ان يلقيه الله تعالى على نجوة من الارض ببدنه اي وحده دون قومه وقيل معنى ننجيك
ببدنك نخرجك من الماء ببدنك دون روحك فاما روحك فمعذب على كل حال وقوله تعالى لتكون
لمن خلفك آية اي لتكون لمن بعدك في الكفار آية في النكال كيلا يقول احد بعدك مثل مقالتك
ويعرفوا انك لو كنت الها ما غرقت وقوله تعالى وان كثيرا من الناس معناه وان كثيرا منهم عن
التفكر في دلائلنا وعن تدبرها الغافلون قوله عز وجل ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون معناه ولقد انزلنا بني اسرائيل في موضع خصب وامن وهو ارض
مصر وما بين اردن وفلسطين ويقال الارض المقدسة التي ورثوها من ابيهم ابرهيم عليه السلام
وسماها منزل صدق لان فضلها على سائر المنازل كفضل الصدق على الكذب ورزقناهم من الطيبات
اي من النعم فما اختلفوا في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لم يزالوا مومنين بذلك تجده مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به بعضهم وكفر به بعضهم
ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة بتمييز الحق من المبطل ويجازي كلا منهم بما يستحق

قوله

قوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال وذلك ان كفار قريش قالوا ان هذا الوحي الذي يوحى الى محمد مما يلقيه الشيطان اليه فانزل
الله عز وجل هذه الآية واراد بالذين يقرءون الكتاب من قبلك مومني اهل الكتاب عبد الله
بن سلام واصحابه فانهم سيخبرونك انه مكتوب عندهم في التورية فقال صلى الله عليه وسلم لا
اسال احدا ولا اشك فيه بل اشهد انه الحق قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالله تعالى واشد
يقينا به من ان يسالهم والخطاب على هذا القول للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع من آمن به كما
في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله الى ان قال ان الله بما تعملون خبيرا وكقوله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء وقوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
وهذا لان العادة في المخاطبات ان ينادى الرئيس فيخاطب بما يراد ان يخاطب به القوم وقد يذكر
مثل هذا في الخطاب ولا يراد به الشك وهذا كما يقول الرجل لعبده ان كنت عبدي فاطعني ويقول لابنه
ان كنت ابني فتعطف علي وليس هو بشك في انه ابوه وانما يريد بهذا الكلام التقرير والتحقيق وذهب
الحسن رضي الله عنه الى ان معنى قوله تعالى فان كنت في شك ما كنت في شك ويجوز ان يكون
ان بمعنى ما في موضع ما وقوله تعالى فاسال الذين يقرءون الكتاب اي لسنا نامرك بالسوال
عنهم لانك شاك ولكن سلهم لتزداد يقينا كما قال الله تعالى لابرهيم عليه السلام اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي والقول الثالث وهو الاقرب الى ظاهر الآية ان قوله فان كنت في شك
ليس خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وانما تقديره فان كنت ايها المخاطب وايها السامع في شك
مما انزلنا اليك على لسان نبيك فان الانبياء عليهم السلام انما انزل عليهم الوحي وانزل الينا الخطاب
على السنة الرسل عليهم السلام ومن عادة العرب وطريقتهم انهم يخاطبون الرجل بشيء ولا يريدون
به الا غيره كما قال اياك اعني فاسمعي يا جارة ومما يؤيد هذا القول ان الناس كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث مراتب مومن وكافر وشاك فخاطب الله تعالى
بهذه الآية الشاك وامره بسوال الذين يقرءون الكتاب من قبله عن النبي المبشر به حتى ان
وافقت صفة النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به في الكتب المنزلة قبل القرآن صفة محمد صلى الله عليه
وسلم علم الشاك انه هو المبشر به ويجوز ان يكون هذا امرا من اهل الكتاب بالسوال عن اهل الكتاب
على ما تقدم في قوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق وعن سائر اخبار الامم الماضين التي اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بها المومنين ولم يكن في الكتاب وانما قلنا ان هذا القول اقرب الى ظاهر الآية لانه تعالى قال في
آخرها فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين في الحق وقال عز من قائل ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين معناه ولا تكونن من الذين كذبوا
بدلائل الله تعالى وتوحيده فاعرضوا عن تدبرها والتفكر فيها فتكون من المغبونين بالذنوب والعقوبة
وانما حملنا الآية على هذا القول الثالث لان عند النبي صلى الله عليه وسلم انما يعرف ما بين له تعالى على النبي
صلى الله عليه وسلم بالرجوع اليه فكيف يجوز ان يكون هو شاكا فيه وقوله عز وجل
ان الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم
معناه ان الذين اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يومنون لا يومنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الموجع فيصيرون ملجئين الى الايمان فلا يقبل منهم الايمان حينئذ قوله عز وجل فلولا
كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي ومتعناهم
الى حين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه هلا كانت قرية آمنت اي لم تكن اهل قرية

امنت عند نزول العذاب فنفعها ايمانها وقبل منها الا قوم يونس لما امنوا وعرف الله تعالى منهم الصدق صرف عنهم عذاب الهون في الحيوة الدنيا ومتعهم الى منتهى اجالهم المضروبة لهم وذلك ان يونس عليه السلام بعثه الله الى قومه ودعاهم الى عبادة الله تعالى وترك الكفر فابوا فدعا ربه فقال يا رب قد دعوتهم فابوا فاوحى الله تعالى اليه ان ادعهم فان اجابوك والا فاعلمهم ان العذاب يأتيهم الى ثلاثة ايام فدعاهم فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب وخرج من بينهم فقالوا ما جربنا عليه كذبا مذ كان معنا فاحتاطوا لانفسكم فلما كان في اليوم الثالث لاح حمرة وسواد في السماء كهيئة النار والدخان فجعلوا يطلبون يونس عليه السلام فلم يجدوه فلما كان اخرها ايسوا من يونس عليه السلام وجعل يهبط السواد والحمرة فقال ملكهم ان لم تجدون يونس عليه السلام فانكم تجدون رب يونس عليه السلام فادعوه وتضرعوا اليه فخرجوا من القرية الى الصحراء واخرجوا النساء والصبيان والبهائم ثم فرقوا بين كل انسان وولده وبين كل بهيمة وولدها وعجوا الى الله تعالى مؤمنين به وارتفعت الاصوات وقربت منهم الحمرة والسواد والدخان حتى غشي السواد سطوحهم وبيوتهم [illegible] فلما علم الله تعالى منهم صدق التوبة رفع عنهم العذاب بعدما كان غشيهم قال مقاتل رحمه الله لولا في القران على ثلثة اوجه احدها بمعنى لم كقوله تعالى فلولا كانت قرية امنت وقوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم والثاني بمعنى هلا كقوله تعالى فلولا اذ جاءهم باسنا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين والثالث بمعنى فلولا ما كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين وقال مجاهد رحمه الله معنى الاية فلا اهل قرية سوى قوم يونس عليه السلام امنوا فنفعهم ايمانهم ورفع عنهم العذاب كان قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب بهم نفعهم ايمانهم والى هذا ذهب بعض المفسرين رحمهم الله وقالوا ان قوم يونس لم يقع بهم العذاب وانما راوا الهيئة التي تدل على العذاب فلما امنوا كشف عنهم ولولا ايمانهم لهلكوا بالعذاب كما هلك ثمود ومثل ما اصاب قوم يونس عليه السلام مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت فتوبته صحيحة واما الذي يعاين فلا توبة له كما قال جل ذكره وليست التوبة للذين يعملون السيات الى اخر الاية قالوا واستعمال لا الا في موضع كثير في اللغة وقال الحسن رضي الله عنه في معنى الاية لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية باسرها حتى لا يبقى فيهم كافر الا قوم يونس عليه السلام فانهم امنوا اجمعون فهلا كانت القرى كذلك

قوله عز وجل ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين معناه ولو شاء ربك يا محمد لوفق اهل الارض كلهم للايمان فامنوا ويقال معناه ولو شاء ربك ان يجبر الناس على الايمان لامن من في الارض كلهم جميعا كما امن قوم يونس وقوله تعالى افانت تكره الناس معناه افانت تريد اكراه الناس على الايمان ان الله لم يرد اكراههم عليه وقيل في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على ان يسلم عمه ابو طالب وقومه فاعلمه الله تعالى بهذه ان اسلامهم ليس بيده

قوله عز وجل وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون معناه وما كانت نفس لتؤمن الا باذن الله اي لا بتوفيقه تعالى الا بامره وقد امر الله تعالى الكل بالايمان ويقال معناه لا يمكن الله تعالى بما جعل في عقله من نصب الادلة على ان الايمان خير من الكفر وقوله تعالى ويجعل الرجس ان يجعل جزا الكفر على الذين لا ينتفعون بعقولهم قال الحسن رضي الله عنه يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه

قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض

وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه قل لهم يا محمد تفكروا واما في السموات والارض من الايات والنذر الدالات نحو مسير الشمس والقمر والنجوم في مجاريها في اوقات معلومة على الدوام ووقوف السماء والارض بغير عمد ولا علاقة وخروج النتاج من الامهات ثم قال حين لم يتفكروا ولم يعتبروا وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه واي شيء تغني الايات والنذر ويقال معناه ولا تغني الايات والنذر

قوله عز وجل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين معناه هل يبقى من الامة الا ان يصيبهم مثل ما اصاب الامم الخالية قبلهم من العذاب يقال ايام فلان ويراد به ايام دولته وايام محنته وقوله تعالى قل فانتظروا اي انتظروا حلول العذاب الذي اوعدتكم به اني معكم من المنتظرين لذلك

قوله عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين معناه ثم ننجي رسلنا والمؤمنين من العذاب الذي يحل بالكفار وقوله تعالى كذلك حقا علينا معناه كما ننجي الرسل عن العذاب كان علينا ان ننجي المؤمنين من العذاب الذي ينزل بالكفار

قوله عز وجل قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين معناه قل لهم يا اهل مكة ان كنتم في شك من الدين الذي اتيتكم فانا مستيقن في بطلان دينكم فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله لشككم في ديني ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويعيدكم لا اعبد الذي لا يقدر على الضر والنفع والاحياء والاماتة وامرت ان اكون من المؤمنين وقوله تعالى وان اقم وجهك للدين معناه وامرت بان اخلص ديني وعملي لله تعالى اي امرت ان افعل كذا وان افعل كذا كلاهما يستعملان في الكلام والمراد باقامة الوجه الاقبال على ما امر به من امور الدين وقيل المراد بذلك اقامة الوجه في الصلوة والحنيف هو المستقيم في الدين وقيل هو العادل عن الاديان الباطلة الى دين الحق

قوله عز وجل ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين معناه ولا تدع من دون الله تعالى كما يدعون الالهة ما لا ينفعك كما ينفع الاله ولا يضر كما يضر الاله ويقال معناه ما لا يقدر لك على نفع ولا ضر وذلك على جهة التقبيح لفعل المشركين فان عبادة ما لا ينفع ولا يضر من دون الله وان كان قبيحا فعبادة ما لا ينفع ويضر اقبح في العقل وقوله تعالى فان فعلت معناه فان دعوت غير الله تعالى الها فانك اذا من الضارين لنفسك

قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم معناه ان يرد الله بك ضرا فلا يقدر احد على دفع ذلك الضر الا هو وان يردك بنعمة وامر تسر به فلا مانع لعطيته يخص بالفضل من يشاء من عباده على ما توجبه الحكمة على ما يستحقون باعمالهم وهو الغفور لذنوب العباد الرحيم بمن مات على التوبة

قوله عز وجل قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل معناه قل يا محمد للناس كلهم قد جاءكم الحق من ربكم اي الكتاب والرسول فمن اهتدى بالكتاب والرسول فانما يهتدي لنفسه اي يرجع نفع هدايته اليه ومن ضل رجع ضر ضلالته اليه وما انا عليكم بوكيل اي لست عليكم بحفيظ ارفع عنكم الضر واطلب لكم النفع شئتم او ابيتم

قوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين معناه واتبع يا محمد ما تؤمر به في القران واصبر على اذاهم حتى يقضي الله تعالى بينك وبينهم وهو اعدل القاضين لان حكمه

لا يكون الا بالصلاح والسداد وكان حكمه أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقد روي
عن ابي ابن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لمن قرا سورة يونس
عليه السلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس عليه السلام وكذب به وبعدد
من غرق مع فرعون وبالله التوفيق. **سورة هود عليه السلام مكية كلها**
الا رواية بن عباس رضي الله عنهما ان قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار الى اخر الايتين
نزلتا بالمدينة واما عدد اي هذه السورة فهو مايه واحدى وعشرون اية عند المكيين و
البصريين واثنان عند المدنيين والشاميين وثلث عند الكوفيين.
بسم الله الرحمن الرحيم. الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من
لدن حكيم خبير وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة وقوله تعالى كتاب بدل من قوله
تعالى الر انه خبره كانه قال هذه الحروف كتاب فان الكتاب مولف من جنس الحروف المقطعة
ويجوز ان يكون قوله تعالى كتاب خبر ابتدا محذوف على معنى هذا كتاب وقوله تعالى
احكمت اياته قال الحسن رضي الله عنه احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالثواب
والعقاب وقال قتادة رحمه الله احكمت عن الباطل بالحجج والدلايل ثم فصلت بان انزلت شيا
فشيا وقوله تعالى من لدن حكيم خبير اي من عند حكيم في تدبيره عالم بخلقه ويجوز ان يكون معنى
الحكيم المحكم لاياته. **قوله عز وجل** ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير و
بشير معناه احكم الله تعالى القران بالحجج لئلا تطيعوا الا الله ويقال معناه امركم ان لا تعبدوا
غيره انني لكم من الله تعالى معلم موضع المخافة لتحذروا وموضع الخير لتطلبوا وقوله تعالى
نذير يعني منذر كما في قوله تعالى اليم يعني مولم. **قوله عز وجل** وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني
اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير معناه وامركم ان اطلبوا
المغفرة من ربكم واجعلوها غرضكم وتوصلوا اليها بالتوبة وهي الندم على القبيح والعزم على ترك المعاودة
اليه ويقال معنى وان استغفروا ربكم استغفروه بالتوبة عما سلف من ذنوبكم ثم توبوا اليه
عن ما يقع منكم من الذنوب في المستقبل وقوله تعالى يمتعكم جزم على جواب الامر اي ان فعلتم ذلك
انعم الله تعالى عليكم بنعم سابغة حسانا تستحقونها الى اجالكم التي قدرها الله تعالى لكم فلم يستاصلكم
كما استاصل الامم المكذبة قبلكم قال القتيبي رحمه الله اصل الامتاع الاطالة يقال جبل ماتع وقد
متع النهار اذا طال فمعنى يمتعكم يعمركم وقوله تعالى ويوت كل ذي فضل فضله اي من كان ذا
فضل في دينه فضله الله تعالى في الاخرة بالثواب على عمله فان ما ينعم الله تعالى على الناس من النعم في
الدنيا لا يكون ثوابا لاعمالهم وما يكون منها ثوابا لاعمالهم لا تخلو من الشوايب ويجوز ان يكون
معنى قوله تعالى ويوت كل ذي فضل فضله تفضله المنزلة في الدنيا في الدنيا كما فضل الله تعالى
اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله انه قال في هذه
من عمل حسنة كتب له عشر حسنات ومن عمل سيه كتب له سية واحدة ثم قال هلك من غلب
احاده اعشاره وقوله تعالى وان تولوا عن التوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
اي عظيم الشان وهو يوم القيمة وانما ذكر الخوف في هذا الموضع لان الخطاب من الرسول
صلى الله عليه وسلم والخوف عليه جايز وقيل ان الفايدة في ذكر الخوف انه صلى الله عليه وسلم
خوفهم ان يتوبوا في المستقبل فيتخلصوا من العذاب وقوله تعالى الى الله مرجعكم اي اليه مصيركم
في الاخرة وهو على اعادتكم قديرٌ. **قوله عز وجل** الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا

منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور قال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في الاخنس بن شريق الثقفي كان يجالس النبي
صلى الله عليه وسلم ويظهر له امرا حسنا وكان حسن المنظر حسن الحديث الا انه كان يضمر
في قلبه خلاف ما يظهر فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال ان طايفة من المشركين بلغ بهم الجهل
الى ان قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد
صلى الله عليه وسلم فكيف يعلم بنا فانبا الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن ما كتموه ومعنى الاية
الا انهم يثنون صدورهم على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليكتموا امنه ما في صدورهم من
عداوته باظهار المحبة له ويقال معنى يثنون يعرضون بصدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم واصل
الثني العطف ومنه الاثنان يعطف احدهما على الاخر ومنه الثنا لعطف المناقب في المدح ويجوز ان
يكون قوله تعالى منه راجعا الى الله تعالى فانهم كانوا اذا ادبروا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قربوا الروس بعضها الى بعض ظنا منهم انهم يكتمون ذلك عن الله عز وجل وقوله تعالى
الا حين يستغشون ثيابهم معناه الا حين يتغطون بثيابهم يعلم الله ما يسرون في قلوبهم وفي ما
بينهم وما يظهرون من محبة او غيرها ولفظ حين ليست هنا لتوقيت العلم فان الوقت انما يكون لتحا
والله تعالى عالم لم يزل بجميع الاشيا ولكن الغرض من الاية بيان ان السر والعلانية عند الله تعالى سوا
في العلم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور اي عالم بالقلوب التي في الصدور لان الصدور مواضع
القلوب. **قوله عز وجل** وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها كل في كتاب مبين في الاية ان الله تعالى عالم بالغيوب كلها وذلك انه اذا كان
ضامنا لرزق كل دابة في الارض فليس يرزقها الا هو يعلم صغيرها وكبيرها من الذرة فما فوقها وما
دونها فاذا علمها فقد علم مستقرها والمستقر موضع قرارها وهو المكان الذي تاوي اليه
والمستودع هو الموضع الذي تودع فيه قيل انه في الرحم وقيل هو الموضع الذي تدفن فيه وقوله
تعالى في كتاب مبين اي رزق كل دابة واجلها واثرها مكتوب في اللوح المحفوظ لتعتبر به الملايكة
بجدوا الحوادث مطابقة للمكتوب فيكون ذلك زيادة يقين وتبصيرا لهم وقد روي عن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضا ودفتاه
من ياقوته حمرا عرضه ما بين السما والارض كتابه نور وقلمه نور ينظر الله تعالى فيه كل
يوم ثلثمايه وستين نظرة يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا قال ابو روق
رحمه الله اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك كريم يسمى ناطريف. **قوله عز و**
جل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما ليبلوكم
ايكم احسن عملا ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله السموات والارض في
ستة ايام اول يوم منها الاحد واخرها يوم الجمعة وقد تقدم ذكر ذلك من قبل وكان الله سبحانه
لو اراد خلقها في لحظة عين او اقل لفعل الا انه خلقها في هذه المدة لان خلق كل شي بعد شي
على الترتيب ادل على قادر عالم وابعد من وقوعها اتفاقا وقوله تعالى وكان عرشه
على الما فيه بيان ان السموات والارض ليست باول الخلق وانه تقدمها خلق شي اخر قبلها وفيه
بيان زيادة القدرة لان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الما ولم يكن ذلك
الما على قرار ولكن الله تعالى كان يمسك ذلك الما باختلاف سكون فيه ثم نقل الله تعالى العرش
الى فوق السموات وسيل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن هذه فقيل له على اي شي كان الما

قال كان علي متن الريح ٥ وعن الربيع بن انس رحمه الله انه قال كان عرشه على الما فلما خلق
الله تعالى السموات والارض قسم ذلك الما قسمين فجعل نصفه تحت العرش وهو البحر المسجور
وجعل النصف الاخر تحت الارض السفلى وهو مكتوب في الكتاب الاول ويسمى اليم ٥ وذهب
بعض المفسرين رحمه الله في معنى وكان عرشه على الما الى انه الله بذلك كان بنا السما
والارض على الما وهو من فوقهم عرشه اذا ابنيت وقال تعالى وما يعرشون اي يبنون فذكر
سبحانه انه بنا السموات والارض كان على الما وذلك اعجب وابدع فانه لبنا اذا اراد ان يوسس
على ارض صلبه لم يثبت وقد بنا الله تعالى البنا العظيم على رقة الما والقول الاول اقرب الى الظاهر
لان اطلاق اسم العرش بنا والاسرير العظيم الذي هو متعبد الملايكة ٥ فاما قوله تعالى ليبلوكم
ليكلفكم فيظهر ايكم احسن عملا ويسمى التكليف ابتلا على وجه التوسع لان الله تعالى يعامل العبد معامله
المختبر المختار فانه يحاسبه على ما يقع منه دون ما يعلم فيه بخلق الخلق لانفسهم ليعلم الاثم قد يعلو الخبر وذلك
افعالهم ٥ واما قوله تعالى ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت معناه ولين قلت يا محمد للكفار
انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ما هذا الا سحر مبين ليس له حقيقة وكذا قرا
ان الله تعالى خلق السموات والارض تمسكها لعابد عبد لا يعجزه شي فكيف تنكرون البعث بعد
الموت ٥ **قوله عز وجل** ولين اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما
يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون معناه ولين اخرنا عن
الكفار العذاب الى امة معدودة ليقولن اي يحبس هذا العذاب عنا ان كان ما يقول
محمد حقا يقول الله تعالى الا يوم ياتيهم معناه الا يوم ياتيهم العذاب لا يقدر احد على صرفه عنهم و
يهوى نزل بهم جزا استهزايهم انهم اتاهم انهم كانوا ما خسيه على جهة الاستهزا وهكذا قوله تعالى ولا يحيق
المكر السيي الا باهله وكل نال فلانا احاط بفلان عمله واهلكه كسبه اي عاقبة فعله وجزا فعله ٥ معنى
وذهب بعضهم ان قوله الى امة معدودة اي الى ايام يتعاقبون فيصيرون على الكفر كما يعقبا
بقوم نوح عليه السلام وقد تذكر الامة بمعنى الوقت والمدة كما في قوله تعالى وادكر بعد امة ٥
قوله عز وجل ولين اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليوس كفور
اراد بهذا الانسان الكافر فانه بعد ما ذكر الكفار فكذا قال تعالى اذا انعمنا على الكافر بنعمة
ثم سلبناها منه انه ليوس اي لا يصبر على سلب تلك النعمة عنه ويصير ايس شي واقنطه من رحمة الله
تعالى وقوله كفور اي لا يشكر نعمة الله تعالى قبل ان تسلب عنه ولا بعد ان تسلب ٥ **قوله**
عز وجل ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عني انه لفرح فخور
معناه ولين الكافر النعم الظاهرة بعد المضرة الظاهرة التي اصابته ليقولن الكافر ذهب الشدايد
والامر التي يفرح بذلك ويبطر ويفتخر بها على الناس من دون ان يشكر الله تعالى على كشف الشدايد
عنه وفي الاية بيان ان الكافر لا يعرف عند الضر الذي يمسه ان ذلك من نعم الله تعالى فاحسن
دون لفشات لان مصلحة الانسان في الضر من جهة الدين تزيد على مصلحته في النعم من جهة الدنيا والاية
ومن لا يعرف ذلك فقد جهل بذلك وجهل حكمته فيما يزيد عليه ولذلك ذم الله تعالى الكافر في هذه
الاية بما يكون من صفة البهايم فقال عز من قايل انه لفرح فخور ٥ فاما نصب اللام الثانيه من قوله
تعالى ليقولن في هذه الاية وهو ظاهر انه في موضع الوحدان وفعله ليقولون ما يجيبه بضم اللام الثانية
في موضع لفظ الجماعة واما قوله تعالى ليقولن الذين كفروا وفتح اللام الثانية فان الفعل فيه مقدم
على الاسم فذكر بلفظ الوحدان ٥ **قوله عز وجل** الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
اوليك لهم مغفرة واجر كبير استثنا ليس من الاول لان معناه لكن الذين صبروا على الشدايد

وعملوا

[illegible]

وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم لا يفعلون كفعل الكفار اوليك لهم مغفرة من ذنوبهم وثواب عظيم
على طاعتهم وصبرهم ٥ وذهب بعضهم رحمه الله الى ان لفظ الانسان فيما قبل هذه الاية في موضع الجنس
وان الاستثنا على حقيقته كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وهذا التاويل يقتضي انه لا بد من حذف في الكلام في هذه الايات ويصير التقدير انه لفرح فخور لا اجر له
ولا غفران الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ٥ **قوله عز وجل** فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله
على كل شي وكيل لا يجوز ان تكون كلمة لعل في اول هذه الاية على جهة الشك وانما الغرض تثبيت النبي صلى الله
عليه وسلم على ما امر به كي لا يلتفت على قول الكفار وكي يايس من ترك ادا الرسالة وهذا كما يقول الرجل لغيره
وقد علم من حاله انه يطيعه ولا يعصيه وان غيره يدعوه الى عصيانه لعلك تترك بعض ما امرك به لقول فلان
وانما تقول لذلك له ليويس فلانا عن معصية المامور به والسبب في نزول الاية ما روي ان المشركين
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو تركت عيبنا وسب الهتنا لجالسناك وكانوا يوذونه
بقولهم لولا انزل على محمد كنز من السما يعيش به وينفعه او جا معه ملك يشهد له ويعينه على
ادا الرسالة يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم انما انت نذير اي عليك ان تنذرهم وتخوفهم وتاتيهم
بما يوحى اليك من الايات وليس عليك ان تاتيهم بشهواتهم وما يقترحون من الايات والله على كل شي
من مقالتهم وغير ذلك حفيظ ولست انت بحفيظ ٥ واما الفرق بين ضايق وضيق والضايق يكون
بضيق عارض والضيق قصور الشي عن مقدار غيره ان يكون فيه ٥ **قوله عز وجل** ام يقولون
افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
معناه بل يقول الكفار اختلق محمد القران من تلقا نفسه قل لهم يا محمد ان كان هذا مفتري من دون
الله عز وجل فاتوا بعشر سور مثله مختلقات فان القران نزل بلغتكم ونشات بين اظهركم
فان لم تمكنكم ان تاتوا بمثل هذا القران فاعلموا انه من عند الله تعالى وقوله تعالى وادعوا من
استطعتم اي استعينوا بكل احد يقدر على معونتكم على الاتيان بعشر سور مثله مفتريات ان كنتم
صادقين في قولكم ان محمدا اختلقه ٥ وقد ذهب بعض المفسرين رحمهم الله الى ان المراد بالسور
العشر سورة البقرة الى هذه السورة العاشرة والاولى ان يقال ان المراد فاتوا بعشر سور مثل سور
القران اي سورة كانت لان سورة هود عليه السلام مكيه وسورة البقرة وما بعدها مدنيات ٥
قوله عز وجل فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معناه ان لم يجبكم هولا الكفار الى الاتيان
بمثل القران فاعلموا ان هذا القران انزل به جبريل عليه السلام بعلم الله تعالى وامره ويجوز ان يكون
بعلم الله تعالى اي بما اتى الله تعالى فيه من علم غيب ويجوز ان يكون معناه فان لم يستجيبوا لكم
اي فان لم يجبكم الذين دعوتموهم الى المعاونة في الاتيان بمثل هذا القران فقد قامت الحجة عليكم
فاعلموا انما انزل بعلم الله تعالى واعلموا انما انزله الله الا هو ولا ينزل الوحي احد غيره فهل انتم مخلصون لله
تعالى في التوحيد والعبادة ٥ **قوله عز وجل** من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون في الاية وجهان احدهما ان المراد بهذا الكافر اذا اتى بالاعمال التي
حسنها في العقل مثل صلة الرحم والتصدق واعانة المظلوم فان الله تعالى يجازيه على هذه الاعمال فهكذا الذي
بان يكثر نعمها حوله ويعطيه مما يسعى لطلبه وافرا ويفرغيه بذلك والثاني ان المراد بها المنافق
خرج الى الغزو فان امر باعطا سهمه من الغنيمة لا يبخس من شي من سهمه ٥ وذكر بعض المفسرين
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية انها نزلت في اهل القبلة اذا اراد احد منهم بعمل الذي افترض

في بعض التفاسير: مع المسلمين وهو يريد الغنيمة دون الثواب ونصرة الدين جازاه الله تعالى على خروجه الى الغزو

الله تعالى عليه الحيوة الدنيا وزينتها لا يثاب على ذلك العمل ويعطيه الله تعالى وما يطلبه بذلك في الدنيا الا
ان الله تعالى ذكر في الايه التي بعد هذه الاية ما يدل على ان المراد بها الكافر والمنافق قوله
عز وجل أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
معناه ان الذين عملوا لغير الله تعالى من الكافرين والمنافقين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما
صنعوا من الاعمال التي لولا الكفر لكانت طاعة واحباط الطاعة ابطالها بالسيئة كما ان تكفير
السيات محوها بالحسنات وقوله تعالى وباطل ما كانوا يعملون معناه ان طاعاتهم باطله الا انها تبقيت
فنفعوا ثوابها قوله عز وجل أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ
قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ
مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ في الايه اختصار
المعنى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كالذي يريد الحيوة الدنيا وزينتها
واراد بالبينة البرهان الذي هو من عند الله تعالى كان النبي صلى الله عليه وسلم على برهان وحجه
من ربه تعالى وكان يقرا عليه القران شاهد من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام ومن قبل القران
كان جبريل يقرا على موسى عليه السلام التورية اماما يقتدى به ورحمة من الله لمن امن به ويقال اراد
بقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه جميع المومنين واراد بالشاهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
اراد بقوله تعالى ويتلوه يتبعه شاهد منه لسان المومن الذي يقرا القران وذهب بعضهم رحمهم الله
تعالى الى ان المراد بقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بقوله تعالى
شاهد من اهل نسبه على رضي الله عنه وقوله تعالى اوليك يومنون به يجوز ان يكون المراد به مومني
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويجوز ان يكون
المراد بقوله اوليك جميع المومنين فانهم كلهم على برهان من ربهم وقوله تعالى ومن يكفر به من
الاحزاب معناه من يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنار موعده مصيره التي وعدها الله تعالى في الاخرة
وقوله تعالى فلا تك في مرية منه اى لا تك في شك من القران وظاهر هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم الا ان المراد به جميع الناس لانه تقدمه قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم وقوله تعالى انه
الحق من ربك اراد به القران وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بان
القران من عند الله تعالى قوله عز وجل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ
يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ معناه ليس احد اظلم لنفسه من الكاذب على ربه فان نفى عنه ما هو من عنده او اضاف
اليه ما ليس من عنده اوليك الكاذبون يساقون يوما لقيه الى ربهم ويوقفون في المقامات التي
يطالبون فيها باعمالهم ويسالون ويجازون عليها ويقول الاشهاد وهم شهدا الله تعالى على الناس من
الملايكة والانبيا صلوات الله عليهم والعلما وعامة المومنين رحمهم الله يشيرون الى الكفار ويقولون
هولا الذين كذبوا على ربهم فيفتضح الكفار على روس الاشهاد وقوله تعالى الا لعنة الله يجوز ان يكون
من قول الاشهاد ويجوز ان يكون من قول الله ومعنى اللعنة الابعاد عن الخير والاشهاد يجوز
ان يكون جمع شاهد كصاحب واصحاب ويجوز ان يكون جمع شهيد كشريف واشراف والعرض
اظهار الشي للتوقف على حاله ومنه عرضت الكتاب على فلان وعرض الخيل على السلطان وجعل الله
تعالى وقوفهم في مقامات السوال عرضا على الله تعالى كما جعل الله تعالى الذهاب الى الموضع الذي
امر الله تعالى بالذهاب اليه ذهابا الى الله تعالى نحو ما اخبر عن ابرهيم عليه السلام فقال اني ذاهب
الى ربي سيهدين قوله عز وجل الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ نعت الظالمين كانه قال الا لعنة الله على الذين ظلموا انفسهم الذين يمنعون
الصد عن دين الله تعالى وطاعته ويطلبون لملة الاسلام غيرا وعوجا وتاولون القران على خلاف
تاويله وهم بالاخرة هم كافرون اعاد كلمة هم تاكيد الشانهم في الكفر قوله عز وجل أُولَئِكَ لَمْ
يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ معناه اولئك الذين ليسوا بفايتين عن الله عز وجل
في الارض ولا مهرب لهم عن عذابه حتى يجزيهم باعمالهم الخبيثة وقوله تعالى وما كان لهم اى وما لهم
من دون الله من ناصر حتى يدفع عنهم عذاب الله تعالى وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اى لا
يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون على الكفر وعلى الصد عن سبيل الله تعالى كما قال جل ذكره
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وكما قال عز وجل
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى ان قال ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويقال معناه كلما مضى من العذاب جاءهم ضعف من العذاب قوله تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع اي كان يثقل عليهم سماع الحق من شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
كما يقول الرجل لا استطيع ان اسمع قولك ولا استطيع ان انظر الى فلان اي يثقل على ذلك وهذا لا
السماع لا يدخل تحت مقدور العباد ولكنه يحصل للانسان ان شا او ابى ويقال معنى الاية
ما كانوا ينتفعون بسمعهم وبصرهم فكانهم لم يبصروا ولم يسمعوا ثم بين الله سبحانه ان ضرر
ذلك يرجع اليهم فقال عز من قايل أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ معناه اولئك الذين اهلكوا انفسهم في الاخرة وذكر الهلاك بلفظ
الخسران لان الخسران هو ذهاب راس المال وراس مال الانسان نفسه وقوله تعالى وضل عنهم
اي ذهب عنهم الانتفاع باعمالهم التي كانوا يكذبون بها على الله تعالى كما كانوا في الدنيا ويقال
معناه وذهبت عنهم الاصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا ويفترون بقولهم انها الهة
قوله عز وجل لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ قيل معنى لا جرم لا بد ولا
محالة ويقال حقا قال سيبويه جرم بمعنى حق ومعنى لا بقي بما ظنوا انه ينفعهم كانه قال لا
ينفعهم ذلك جرم حقا انهم في الاخرة هم الاخسرون واستدل على هذا بقول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان تغضبا ويقال معنى الجرم
القطع كانه قال لا قطع لهم قاطع عن ذلك في انهم في الاخرة في النار قوله عز وجل إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
معناه ان الذين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم وتواضعوا
وخشعوا لربهم ويقال عمدوا باخباتهم الى ربهم في قيامه اوليك يكونون في الجنة بدل ما يكون الكفار
في النار قوله عز وجل مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ مثل الكفار مع المومنين مثل الاعمى والاصم والبصير والسميع كما لا ينتفع
الاعمى والاصم بالمبصرات والمسموعات وكذلك الكفار لا ينتفعون بها لانهم لا يبصرون ولا يسمعون
للاعتبار والتفكر وانما ادخل الواو في قوله تعالى والاصم ليبين ان حال الكفار كحال الاعمى على حدة
وحال الاصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا وقوله تعالى هل يستويان مثلا معناه
هل يستوي الاعمى والاصم والبصير السميع عند عاقل كما لا يستوي حال المومن والكافر في الدنيا
عند احد من العقلا فكذلك لا يستوي حال الكافر والمومن عند الله في الدنيا والاخرة وقوله تعالى
افلا تذكرون معناه افلا تتعظون باحكام القران قوله عز وجل وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ابتدا اقصص
الانبيا صلوات الله عليهم وما لقوا من تكذيب قومهم وما انزل الله تعالى بقومهم من النكال ذكر
الله سبحانه ذلك في هذا الموضع تخويفا لكفار هذه الامة فابتدا بذكر اول رسول جا بالشريعة
بعد ادم عليه السلام وهو نوح عليه السلام اول من جا بتحريم الامهات والاخوات لبث في قومه الف سنة
الا خمسين عاما يدعوهم الى عبادة الله تعالى فلم يومن به الا قليل ومعنى الاية ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه ليقول اني نذير لكم من الله تعالى اي معلم بموضع المخافة لتحذروا مبين مفقه لكم بلغة
تعرفونها ويقال اراد بقوله تعالى بقوله مبين اي مبين ما اظهر عليه من المعجزات وقوله تعالى اني
لكم قراتان من قرا اني بالخفض فعلى معنى ليقول اني ومن قرا اني بالنصب فالمعنى ارسلناه بالانذار
كانه قال ارسلت باني لكم نذير مبين وقوله الا تعبدوا الا الله معناه وليقول ان لا تعبدوا الا
الله تعالى فانه لا اله الا الله وقوله تعالى اني اخاف عليكم باني اعلم ان يكون عليكم اي ان لم تومنوا
عذاب يوم اليم لم يقل اني اخاف على جهة الشك في عذاب الكفار ولكن ذكر بلفظ الخوف لانه لم يدر
الى اي شي يوول حالهم من ايمان او كفر وهذا الوجه الطف في الاستدعا واقرب الى الاجابة في غالب
امر الناس وانما وصف اليوم بالالم لان اسباب الالم تقع فيه فينسب الالم اليه وتوقي عذاب يوم
اليم الحالان الاليم من صفة العذاب والله اعلم **قوله عز وجل** فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى
لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين معناه فقال الروسا والاشراف الذين كفروا من قوم
نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا في الصورة والخلقة فلم صرت اولى ان تكون نبيا ورسولا لله
تعالى منا وما نراك امن بك الا الذين هم اسافلنا واخساونا يجوز ان يكون انما استرذلوهم لفقرهم او
لضعة حرفتهم او لضعة انسابهم وقوله تعالى بادي الراي من قرا بادي بالهمز فمعناه انهم اتبعوك اول
الراي من دون تفكر ونظر من قولك بدات الامر اي ابتداته ويجوز ان يكون المعنى بادي الروية
اي في اول ما تقع الروية عليهم نعلم انهم اراذلنا وقد يكون الراي بمعنى الروية كما قال تعالى يرونهم
مثليهم راي العين اي روية العين ومن قرا بادي بغير الهمز فمعناه ظاهر الراي من بدا الشي اذا ظهر كانه قال
اتبعوك في ظاهر الراي وهم يعرفون الظاهر ولا تمييز لهم ويجوز ان يكون معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم
على خلاف ذلك وقوله تعالى وما نرى لكم علينا من فضل اي ما نرى لك ولقومك علينا من فضل فان الفضل
انما يكون في كثرة المال وشرف النسب والمنزلة في الدنيا وقوله تعالى بل نظنكم كاذبين معناه بل
نظنكم كاذبين فيما تقولونه على الله تعالى وفيما تدعونا اليه فكان هذا القول جهلا منهم في انكارهم
لنبوة نوح عليه السلام لانهم لو انكروا نبوته عليه السلام لكونه في مثل صورتهم لكان اذا جاهم من هو
مباين لهم في الصورة مثل الملك والجني والشيطان كان لا تثبت نبوته الا بظهور المعجز فحين ظهرت
المعجزة على من هو في مثل صورتهم وجب الاقرار عليهم اكثر لانهم كانوا يزعمون انه انما يقدر على اتيان
المعجز لانه ليس من جنسهم وان انكروا نبوة نوح عليه السلام لاجل فقره وفقر قومه كان جهلا
ايضا وذلك لان الانبيا عليهم انما جاوا بالتحذير عن الدنيا وان كان انكارهم لنبوته عليه السلام لاجل
ضعة حرف قومه او نسبهم كان خطا ايضا لانه كان مبعوثا الى اراذلهم واشرافهم جميعا وكان على
الكل ان يومنوا به الا انه امن به بعضهم ولم يومن به بعضهم وكان على من لم يومن ان يومن **قوله
عز وجل** قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم
انلزمكموها وانتم لها كارهون معناه قال لهم نوح عليه السلام اخبروني ان كنت على برهان وحجة من
ربي واتاني نعمة من عنده وهي النبوة فخفيت عليكم هذه النعمة التي ظهرت لمن اتبعني فلم تبصروها انلزمكموها

50

قابلين لها وانتم لها كارهون هذا ما لا يكون وفي قوله تعالى ان كنت على بينة من ربي بيان انه انما بان
منهم لكونه على بينة وبصيرة من ربه وان كان هو بشرا مثلهم وان في موضع البرهان والجهل والخطا وفي قوله
تعالى واتاني رحمة بيان ان هذه الرحمة عظيمة وان احوال الدنيا كلها حقيرة في جنب الاضافة الى هذه الرحمة
فان الارذلين عند اهل الدين هم الكفار لا الفساق لا كما قال القوم قال قتادة رحمه الله اما والله
لو استطاع نبي الله صلى الله عليه لالزمها قومه ولكن لم يملك ذلك ولو ملك الزامهم مع الكراهة
لم ينتفعوا بذلك فان قيل فهلا قيل فعميتم عنها وهم الذين كانوا عموا قيل قد بينا انه وضع ذلك خفيت
عليكم ثم لا فرق بين اللفظين كما لا فرق بين قولك ادخلت الخاتم في الاصبع وقولك ادخلت الاصبع في
الخاتم ومن قرا فعميت بضم العين وتشديد الميم فالمعنى البست عليكم نعمتي **قوله عز وجل**
ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم و
لكني اراكم قوما تجهلون معناه يا قوم لا اسالكم على دعائي لكم الى الله مالا فتحسبون الغرم في مالكم
بالاجابة ان اجري ما ثوابي الا على الله تعالى يعطيني في الاخرة وما انا بطارد الذين امنوا بقولكم وازدرائكم
لهم كانهم طلبوا منه ان يطردهم من عنده وقوله تعالى انهم ملاقوا ربهم اي ملاقوا ما وعدهم ربهم فيجزيهم
باعمالهم ويقال فتخاصموني عنده ان طردتهم ويقال فينكشف امرهم عنده لهم في الاخرة انهم ما فقدوا
كما انكم تزعمون انهم مخلصون وقوله تعالى ولكني اراكم قوما تجهلون اي تجهلون امر الله تعالى وما هو
حظكم وصلاحكم في اتباع الرسول والعدول عن طريقة الكفر **قوله عز وجل** ويا قوم من
ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون معناه ويا قوم من يمنعني عند الله دار المحاسبة من
العقاب النار لئن طردت من امن بي واويت من كفر افلا تتعظون بما اقول لكم وتومنون
قوله عز وجل ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين
تزدري اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين معناه ولا ارفع نفسي
فوق منزلتي وادعي ان عندي مقدورات الله تعالى فاخص بذلك من اشا وامنعه ممن اشا ويقال معناه
فكما لا اسالكم مالا كذلك لا ادعي مالا ابذل على اتباعي لما تريدون ممن اتبعني سمة الفقر وليس لي غرض في
المال دفعا ولا اخذا وانما الغرض الدعا الى طاعة الله تعالى ولا اخطر المال فيما بعثت به وقوله تعالى ولا اعلم
الغيب معناه ولا ادعي علم ما غاب عني فاني لا اعلم الا ما علمني الله تعالى وانما يعلم الغيب من لا يحتاج الى تعليم غيره
اياه وقوله تعالى ولا اقول اني ملك معناه ولا ادعي لنفسي اني ملك نزلت اليكم من السما ولا ادعي منزلة
الملك في تقدمه في الطاعة ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي ولا اقول للذين تحتقرونهم وتستخسهم اعينكم
لن يوتيهم الله صلاحا في الدنيا ولا فلاحا في الاخرة يقال زريت على الرجل اذا عبت عليه وخسست فعله وازدريت
به اذا قصرت به والاصل في تزدري تزتري الا ان التا الثانية ابدلت دالا لان التا من حروف الهمس والزا
من حروف الجهر فابدلت التا دالا لان الدال من حروف الجهر لكي لا تختفي وقوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم اي بما في
قلوبهم من التصديق وغيره وقوله تعالى اني اذا لمن الظالمين اي من الضارين لنفسي ان طردتهم **قوله
عز وجل** قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
معناه قالوا يا نوح قد خاصمتنا فيما دعوتنا اليه من دين غير ابائنا فاكثرت خصومتنا ودعانا
ولا نقبل منك وذلك ان نوحا عليه السلام حاولهم في كل شبهة تعرض لهم ليردهم عنها ويقبلوا ما لدي
جادلتنا والجدل والجدال المبالغة في الخصومة والمناظرة لاقامة الحجة ماخوذ من الجدل وهو شدة الفتل
يقال للصقر الاجدل لانه من اشد الطير فكان كل واحد من الخصمين يجتهد ان يفتل صاحبه عن قوله الى
قوله نفسه وقوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين معناه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت
من الصادقين ان الله تعالى يعذبنا على الكفر ارادوا بهذا القول ان يلبسوا على ضعفائهم بهذا القول ان

نوحا عليه السلام عاجز عن انزال العذاب بهم وانما قالوا هذا القول حين قامت حجة نوح عليه السلام فلم يقدروا ان يقابلوه الا باستعجال العذاب **قوله عز وجل** قال انما ياتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين معناه قال لهم نوح ليس العذاب بيدي ولكن الله تعالى هو يقدر عليه فينزله عليكم ان شاء وما انتم بمعجزين لله تعالى من انزال العذاب بكم ٥ وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام كان اذا جادل قومه ضربوه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم من اهل مكة ما لقي نوح عليه السلام من قومه كانوا اذا ضربوه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ٥ **قوله عز وجل** ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون معناه وقال لهم ولا ينفعكم دعاي وتحذيري اياكم ان اردت ان احذركم من عذاب الله تعالى ان كان الله ان يضلكم عن الهدى مجازاة لكفركم فان ارادة الله تعالى فوق ارادتي ويكون ما يريد لا ما اريد فان قال قايل كيف تجوز ان تكون ارادة ابليس موافقة لارادة الله تعالى وارادة نوح عليه السلام مخالفة لارادة الله تعالى ٥ الجواب ان الله تعالى شا لاوليك القوم الكفر وشا نوح عليه السلام ان يسالهم الايمان وشا لابليس ان يسالهم الكفر والكل بمشية الله تعالى ويقال معنى قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم اي ان كان الله يريد ان يهلككم ويحرمكم من رحمته بكفركم كما قال تعالى فسوف يلقون غيا اي هلاكا وعذابا والغي يكون بمعنى الخيبة ٥ كما قال الشاعر ٥ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٥ ومن يغو لا يعدم على الغي لايما ٥ اي ومن تخب ٥ قال ابن الاعرابي يقال غوى الرجل يغوي غيا اذا فسد عليه امره او فسد هو في نفسه ٥ قال ومنه قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى اي فسد عليه عيشه في الجنة وهذا ايضا يؤول الى معنى الخيبة لان الخيبة فيها فساد العيش ٥ **وذكر الحسن** رضي الله عنه في معنى الاية لا ينفعكم نصحي اليوم ان نزل بكم العذاب فاستدركوا انفسكم قبل نزول العذاب لتنتفعوا بنصحي ٥ وقوله تعالى هو ربكم معناه هو مالككم يقدر على انزال العذاب بكم وقوله واليه ترجعون اي اليه مصيركم بعد الموت فيجزيكم باعمالكم ٥ وهذه الاية مما يحتج بها ان الشرط اذا اعترض على الشرط من غير ان يتخللهما الجواب كان الشرط الثاني مقدما على الاول في المعنى حتى لو قال قايل ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فعبدي حر لا يحنث حتى يكلم ثم يدخل فيكون تقدير الاية ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم إن اردت ان انصح لكم ٥ **قوله عز وجل** أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون معناه ام يقولون ان نوحا عليه السلام قد تقول على الله الكذب فامر نوح عليه السلام ان يجيبهم القول اللين عند المبالغة في اقامة الحجة عليهم فيقول لهم ان افتريته اي ان اقول الكذب على الله تعالى فعقوبة جرمي وانا بريء من عقوبة جرمكم ويقال معنى الاية ام يقولون اهل مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد افترى قصة نوح عليه السلام قل ان افتريته فعلي اجرامي والاجرام مستعمل في كسب الاثم خاصة وهو مصدر اجرمت ويقال جرم بمعنى اجرم ومنه جارم بمعنى مجرم ٥ **قوله عز وجل** وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون معناه واوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام انه لن يصدقك من قومك سوى من قد صدقك فلا تغتم بالحزن عليهم والابتياس هو الغم على وجه الاستكانة للحزن على الشي وقيل انما دعا نوح عليه السلام حين قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بعد هذا الوحي الذي اوحي اليه ٥ **قوله عز وجل** واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون معناه واصنع السفينة بحفظنا لك حفظ الراي لغيره لرفع الضرر عنه وذكر الاعين لتاكيد الحفظ كانها في الحفظ تريك باعين على طريق المبالغة ويقال معناه واصنع الفلك باعين الملايكة الذين يعرفونك

كيف تصنع السفينة ولو كان الامر على ما يقوله المشبهة من اثبات الجوارح لله تعالى لكانت لله تعالى اعين وذلك ضد ما يقولونه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ٥ وقوله تعالى ووحينا معناه وبامرنا وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني في الكلام في نجاة الذين ظلموا انفسهم بالكفر انهم مغرقون بالطوفان ٥ **قوله عز وجل** ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم معناه ان نوحا عليه السلام اخذ في علاج السفينة ويروى انه استاجر اجراء يعملون معه ويقال امره الله تعالى ان يغرس الاشجار فغرسها حتى ادركت ثم قطعها حتى يبست ثم اتخذ منها السفينة وقوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه اي هزوا به لمعالجته السفينة لانهم كانوا يرونه يعمل السفينة في اليبس مع انه لم يكن بقربه ما وكان هذا امرا خارجا من العادة وكان من لدن ادم عليه السلام يسقون من ما المطر لا بحر ولا نهر جار لهم ٥ فكان القوم يقولون انظروا الى هذا الشيخ الضال يصنع هذه السفينة يخوفنا بالغرق ويجعل لها اكافا فاين الما وكانوا يقولون له في كلامهم فرغت من امر النبوة ورجعت في امر النجارة فقال لهم نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم عند نزول العذاب كما تسخرون انتم الساعة اي نجازيكم على سخريتكم ويقال نستجهلكم كما تستجهلونا فسوف تعلمون انا احق بالسخرية وتعلمون من الذي ياتيه عذاب يهينه في الدنيا وينزل عليه عذاب دايم في الاخرة ٥ **قوله عز وجل** حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان الله تعالى اوحى اليه ان موعدك ان تخرج الما من اخر مكان في دارك وهو تنور الخابزة تنور ادم عليه السلام ابي البشر عليه السلام كان يوم حج نوح الى البيت راى تنور ادم عليه ادم عليه السلام فحمله عليه السلام وحمله معه ووهبه الله تعالى له ثم قيل له اذا رايت الما قد فار منه فاحمل في السفينة ما امرت به من كل اجناس الحيوان زوجين اثنين واحمل اهلك الا من سبق عليه القول بالعقاب وهي امراته الكافرة وابنه كنعان استثناهما الله تعالى من جملة اهله وقوله تعالى الا ومن امن اي واحمل من امن معك في السفينة قال فلما فار الما من التنور ارسل الله تعالى السما بمطر شديد واقبلت الوحش حين اصابها ما السما الى نوح عليه السلام وسخرت فحمل في السفينة من كل طير زوجين ومن كل وحش زوجين ومن كل دابة وبهيمة زوجين ومن كل سبع زوجين وحمل من البقر والغنم خمسة ازواج لانها كانت قرابينهم التي يتقربون بها وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فقطع نقار العقرب وضرس الحية فحملها في السفينة فكانت السما تمطر وكان هو عند قومه تحذرهم حتى ابتلت اقدامهم وصار الما الى الكعبين ثم حذرهم حتى صار الما الى نصف الساق ثم حذرهم حتى صار الى الركب والى الحقوين كل ذلك يحذرهم وينذرهم وكان نوح يبكي عليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي نوحا لانه كان ينوح على الاسلام حيث لم يقربه قومه قال فلما بلغ الما الى الثندوة ناح وقال غرق قومي وقال لابنه كنعان يا بني اركب معنا فكثر الما حتى صار الما فوق الجبال خمسة عشر ذراعا وفي السهل خمسة عشر ذراعا بذراع الاول قال وكان للسفينة ثلاثة ابواب بعضها اسفل من بعض فحمل في الباب الاسفل السباع والهوام وحمل في الباب الاوسط الوحوش والبهايم وحمل في الباب الاعلى بني ادم وكانوا ثمانين انسانا اربعون رجلا واربعون امراة وكان بين الرجال والنسا جسد ادم عليه السلام وكان معه امراة سوى التي غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث ونساوهم واثنان وسبعون انسانا سواهم فيهم الخضر عليه السلام وهو ابن بنت نوح عليه السلام ٥ وعن قتاده رضي الله عنه انه قال ذكر لنا ان التنور ارفع موضع من الارض واشرفها وكان المكان المرتفع شبه العلو بالتنور وكانت العلا

لنوح عليه السلام خروج الما من اعلا الارض وفور التنور ارتفاع ما فيه كما تفور القدر بالغليان
وفي بعض الروايات ان الما فار اولا من ناحية مسجد الكوفه وعن امير المومنين
رضي الله عنه انه قال في معناه حتى اذا جا امرنا بالعذاب وطلع الفجر كانه ذهب الى انه من تنوير الصبح
ويقال معناه فار التنور اشتد غضب الله عليهم كما يقال حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب والاظهر انه تنور
الخابزه كما روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما ه وقد اختلفت الرواية في مقدار السفينة قال
الحسن رضي الله عنه كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع ه وعن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا وهو قول قتادة
قال وكان بابها في عرضها وكان الاعمش رحمه الله يقول في قوله تعالى وما امن معه الا قليل
انما امن به ثلثة بنين وثلث كناين وكانوا كلهم سبعة انفس نوح عليه السلام وبنوه الثلاثة ونساوهم ه
قوله عز وجل وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
معناه وقال لهم نوح عليه السلام اركبوا في السفينه وقوله تعالى بسم الله يجوز ان يكون
متصلا بقوله اركبوا اي اركبوا باسم الله تعالى او اركبوا وابتدأوا باسم الله تعالى ويجوز ان يكون
قوله باسم الله متصلا بقوله مجراها ومرساها اي باسم الله تعالى اجراوها وارساوها قال الضحاك
رحمه الله كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا باسم الله فجرت واذا ارادوا ان يرسوها قالوا باسم
الله فرست ويجوز ان يكون المراد بالمجرى موضع جريها كانه قال حيث تجري ويجوز ان يكون معناه
وقت جريها ومن قرا مجراها بنصب الميم فهو عبارة عن الموضع الذي تجري فيه ولم يقرا احد مرساها الا بضم
الميم ومن قرا مجريها ومرسيها بالكسر نعتا لله تعالى فالمعنى باسم الله المجري لها حيث يشا والمرسي لها
حيث يشا وقوله تعالى لغفور رحيم معناه متجاوز للذنوب عباده رحيم فان قيل اي اتصال هذا بقوله تعالى
ان ربي لغفور رحيم بقوله اركبوا فيها قيل اتصاله به ان نوحا عليه السلام ومن امن معه انما نجوا من
عذاب الله الدنيا من ايمانهم فاطلبوا النجاة عن عذاب الاخرة بالايمان فانه النجاة من عذاب الله تعالى لا بد
قوله عز وجل وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ معناه ان السفينة تجري باهلها في امواج كالامواج
العظيمة في الارتفاع والموج قطعة من الما عالية على عرة واحدها موجة وجمعه موج وجمع الجمع امواج
ولو كان المراد بالاية الموجة الواحدة لما شبهها بالجبال ه وقيل في معنى تشبيهها بالجبال ان
الله تعالى فتح ابواب السما فكان الما ينزل سيلا لا على الوجه الذي ينزل المطر وفجر عيون الارض كلها حتى
انفجت عيون السابعة والتقا الماآن ما السما وما الارض كما قال جل ذكره ففتحنا ابواب السما بما
منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر ه وعن هذا قال بعضهم رحمهم الله ان السفينة
كانت مطبقة وكان لا يدخلها الما في حال رسوبها ولا اذا طفت حتى استدل بعضهم بقوله تعالى في موج
ان الما كان يتموج في داخله وكانت السفينة تجري في خلال الموج الا ان الاكثر عند اهل العلم
التفسير رحمهم الله تعالى انها كانت على وجه الما على ما قد رويناه ان الما علا على كل شي مقدار خمسة
عشر ذراعا وقوله تعالى ونادى نوح ابنه اي دعا نوح ابنه كنعان وكان في قطعة من الارض غير
القطعة التي كان فيها نوح عليه السلام ويقال كان في معزل من دين ابيه يا بني اركب معنا اي في
السفينة بشرط الايمان ولذلك قال ولا تكن مع الكافرين اي على دينهم فتغرق معهم وقال الحسن رضي
الله عنه انما دعاه الى ركوب السفينة لان ابنه كان يظهر له الايمان نفاقا وكان يحسبه مومنا وقد
اختلفت القراة في قوله تعالى يا بني قرا بعضهم بكسر اليا على الاضافة وهو الاجود لان الاصل يا بنيي بثلث ياآت
يا التصغير ولام الفعل ويا الاضافة فحذفت الاضافة وتركت الكسرة دليلا على الاضافة وادغمت احدى اليائين

في

بلغ

في الاخرى وقرا بعضهم يا بنيّ على معنى ان اصله يا بنيا بالالف كما تقول العرب يا غلاما اقبل تريد يا غلامي
فتبدل الالف من يا الاضافة على وجه الندبة والتفجع وكان الاصل يا بنيا فحذفت الالف لسكونها
وسكون الراء من قوله اركب والقرا في الكتاب على حذفه في اللفظ **قوله عز وجل** قَالَ
سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ معناه قال ابن نوح عليه السلام ساوي اي ساذهب وارجع الى ماوى من
الجبل حريز يمنعني من افات الما فقال له نوح عليه السلام لا عاصم اليوم من امر الله اي من عذابه الا من
رحم بالنجاة وذكر هذا على جهة الاعتراف بنعمة الله تعالى عليه وتقدير الكلام لا عاصم اليوم من عذاب
الله تعالى الا الله تعالى وقال بعضهم لا عاصم اليوم من عذاب الله تعالى الا من رحم الله تعالى وهو نوح
عليه السلام فانه قد جعل اليه اركاب المومنين في السفينة ويقال معناه لا معصوم اليوم الا من
رحم الله تعالى وهذا كما قال الحطيئه ه دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
اراد بالطاعم المطعم المكتسي ويقال سر كاتم اي مكتوم ه وقوله تعالى وحال بينهما الموج اي حال
الموج بين كنعان وبين نوح عليهما السلام ويقال بين كنعان والجبل فصار من المغرقين ه **قوله عز
وجل** وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان السما امطرت اربعين
يوما الليل والنهار وخرج ما الارض اربعين يوما الليل والنهار وسارت بهم السفينة فطافت بهم
الارض كلها في خمسة اشهر لا يستقر على شي حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا ورفع
البيت الذي بناه ادم عليه السلام الى السما وهو البيت المعمور وجعل الحجر الاسود على ابي قبيس اودع
فيه ثم ذهبت السفينه في الارض حتى انتهت بهم الجودي وهو جبل بارض الموصل فاستقرت عليه
بعد خمسة اشهر ويقال ركب نوح عليه السلام السفينه لعشر مضين من رجب وخرج منها يوم عاشورا
فذلك ستة اشهر فلما استقرت السفينة على الجودي كشف نوح عليه السلام الطبق الذي فيه الطير فبعث
الغراب لياتيه بالخبر فابصر جيفة فوقع عليها فابطا على نوح عليه السلام ولم ياته فارسل الحماة على
اثره فابطات عليه فلم ياته فدعا على الغراب ان يكون طويل العمر ان يكون في مخافة وشقا ثم ارسل الحمامة بعد
الحداة بسبع فلم تجد موقعا فرجعت فبسط نوح عليه السلام كفه فوقعت عليها ثم مكث نوح ما شا
الله ثم ارسلها مرة اخرى فجات بورق الزيتون فعرف نوح عليه السلام ان الما قد نقص وظهرت الاشجار
ثم ارسلها بعد ذلك فوقعت على الارض وغابت رجلاها في الطين فعرف نوح عليه السلام ان الارض قد
ظهرت فدعا لها بالطوق الذي في عنقها والخضاب الذي في رجليها وبارك عليها بالنسل والطين والنعمة والكيسة فذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي قال الله تعالى
للارض ابلعي اي تشربي الما الذي خرج منك والبلع والابتلاع ادخال الشي في الجوف فشبه دخول الما في الارض
بالابتلاع وقوله ويا سما اقلعي كفي عن الصب يقال اقلعت السما اذا استمسك المطر حتى لم يبق له اثر
واقلعت الحمى عن فلان اذا تركته وقوله تعالى وغيض الما معناه ونشفت الارض ماها يقال غاض الما
يغيض اذا غار في الارض ويقال غاضه الله تعالى في الارض وهذا ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله لان غاض
لازم غير متعد يقال فلان يعطيني غيضا من فيض اي قليلا من كثير والغرض من الاية امر خروج الما
بعادة الما في الماوى ذكر الله تعالى قوله تعالى ابلعي واقلعي بلفظ الامر على معنى ان الله تعالى حبس ما السما
وبلعت الارض ماها الان افعال الله تعالى انما تضاف اليه بلفظ الامر لتكون ادل على الاقتدار وعلى سرعة
الكون مع زوال التعب والنصب كما قيل في قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس
رضي الله عنهما فنشفت الارض ماها الذي خرج منها وذهب ما السما الى البحور لان الله تعالى قال يا ارض ابلعي
ماك وقوله وغيض الما نصرف الى ذلك الما وقوله تعالى وقضي الامر اي وقع اهلاك الكفار على التمام هلكه

من هلك ونجا من نجاه وقوله تعالى واستوت على الجودي اي استقرت السفينة على الجودي سهل والجودي
منسوب الى الجودي الكوفي والبصري ويقال هو جبل بناحية آمد وقوله تعالى فبعداً للقوم الظالمين يجوز
ان يكون معناه قال الله تعالى بعداً اي سحقاً من رحمة الله للقوم الكافرين ويجوز ان يكون هذا هو
قول اهل السفينة حين نجوا من الغرق وخرجوا من السفينة قالوا بعداً للقوم الظالمين اي ابعدهم الله تعالى
من رحمته في الآخرة ايضاً وهذا كالرجل يدفع الى امر عظيم لا هلاك غيره فاذا اهلك ذلك الرجل الذي يراد هلاكه
ونجا الرجل الآخر قال ابعده الله واسحقه الله تعالى وهذا على الدعاء كما يقال سقياً لزيد ورعياً لعمرو ۝
اي سقاه الله ورعاه وهذه الآية مما لو قيس كلام العرب والعجم لم يوجد فيه مثلها في فخامة لفظها
وحسن نظمها وجودة معناها وذلك من اوضح دلالات الله تعالى على اعجاز القرآن وانه ليس من كلام
البشر وبالله التوفيق ۝ **قوله عز وجل** وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ معناه دعا نوح عليه السلام ربه عز وجل حين حال الموج بينه وبين
ابنه كنعان فقال يا رب ان ابني من اهلي اي من قومي وان وعدك بنجاة قومي الصدق لا شك فيه وانت احكم
الحاكمين في قولك وفعلك ۝ **قوله عز وجل** قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ معناه قال الله تعالى يا
نوح انه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم انما اهلك اهل دينك فان ابنك كافر ليس على دينك فانقطعت
العصمة بينك وبينه بكفره وايمانك وقوله تعالى انه عمل غير صالح اي يعمل عمل الكافرين ولم يعمل عمل المؤمنين
ومن قرأ انه عملٌ غيرُ صالحٍ فمعناه انه ذو عمل غير صالح كما قال الشاعر يصف ناقته ۝
۝ ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ۝ فانما هي اقبال وادبار ۝ اي ذات اقبال وادبار ويقال
معناه ان نفس سؤالك اياي نجاة ولدك الذي ليس من اهل دينك سؤال غير مرضي ۝ وعن الحسن رضي
الله عنهما في قوله تعالى انه ليس من اهلك معناه انه ولد لغير رشده فليس من اهلك الا ان اكثر
المفسرين رحمهم الله لا يرضون هذا التأويل لان الله تعالى يعصم انبياءه صلوات الله عليهم ان يقع من نسائهم
مما يلحق بهم في الدنيا عيباً وان كان قد يقع بينهن ما يكون في امر الآخرة ۝ وفي الحديث ما بغت
امرأة نبي قط وقوله تعالى فلا تسألني ما ليس لك به علم اي لا تسألني ما ليس لك به علم انه صواب واني
افعله اني اعظك ان تسألني سؤال الجاهل ولكن سلني سؤال العالم ۝ والوعظ في اللغة هو الزجر
عن القبيح فكان نداء نوح في قوله رب ان ابني من اهلي نداء تعظيم الله تعالى على ظن ان ابنه من اهل
دينه وقوله تعالى يا نوح انه ليس من اهلك تنبيه على انه ليس من اهل دينه ولا من اهل ان يلطف
به وفي قوله تعالى فلا تسألني ما ليس لك به علم بيان لان نوحاً عليه السلام كان يمكنه ان يستدرك
العلم بان ولده هذا ليس من اهل دينه الا انه ظن به الخير على ما جبل عليه الوالد من محبته لولده فاخطأ
في سؤال ربه خطأ صغيراً ولو لم يمكنه استدراك انه ليس من اهله لم يعاتب على السؤال عن ذلك
ولا صلح لا تسألني اثبات اليا الا ان قراءة الاكثرين بحذف اليا لان الكسرة تقوم مقام اليا وتدل عليها
ومن قرأ فلا تسألنّ بالتشديد بلا يا اي بعين اليا فعلى معنى النون الثقيلة للتأكيد ۝ **قوله عز وجل**
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
معناه قال نوح عليه السلام اني اعوذ اي امتنع بك ان اسألك ما ليس لي به علم انه صواب والا تغفر
والا تغفر لي خطيئتي هذه وهي السؤال وترحمني اكن من الخاسرين بالوزر والعقوبة ومعنى العياذ
بالله الاعتصام به طلباً للنجاة ۝ **قوله عز وجل** قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ
عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ معناه قال الله تعالى لنوح
عليه السلام اهبط بتحية منا من السفينة ويقال بسلامة من الآفات وبركات اي وخيرات نامية

ثابتة عليك وعلى الذين معك من المؤمنين وقوله تعالى وأمم سنمتعهم اي سنمتع عليهم بعدك ثم يمسهم الى
منا عذاب اليم بكفرهم قال عبد الله بن عباس فهبط نوح عليه السلام ومن معه من الجودي
الى موضع وسموه سوق الثمانين ولم يكن لاحد منهم نسل الا نوح عليه السلام واولاده كما قال الله
تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ۝ وعن محمد بن كعب القرظي انه قال دخل في السلام والبركة كل
مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ودخل في الامتاع والعذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيامة ۝
وفي الآية ما يدل على ما قاله رحمه الله لان لفظ الامم يدل على الجماعات الكثيرة ولم يكن مع نوح
عليه السلام في السفينة الا قليل ۝ **قوله عز وجل** تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا
كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ معناه تلك القصة التي
ذكرناها لك يا محمد من اخبار الامور الغائبة عنك نرسل بها جبريل عليه السلام اليك ما كنت تعلمها
انت يا محمد ولا قومك قريش من قبل هذا القرآن وهذا منة من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم
بما انعم عليه به من العلم وقوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين معناه فاصبر على اذى الكفار
كما صبر نوح عليه السلام على اذاهم وان العاقبة للمتقين كما كانت لنوح عليه السلام ۝ **قوله
عز وجل** وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا مُفْتَرُونَ معناه وارسلنا الى عاد اخاهم هوداً في النسب قال يا قوم اعبدوا الله وحده دون
الاصنام فانها ليست بآلهة وما انتم الا كاذبون في قولكم آلهة ۝ **قوله عز وجل** يَا قَوْمِ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ معناه يا قوم لا اسألكم على ما
اؤدي اليكم من الرسالة مالاً فتتهموني اني ابتغي بذلك اكتساب مال او تخشون اني اسألكم
غرماً في مالكم وقوله تعالى ان اجري اي ما ثوابي الا على الذي خلقني افلا تعقلون ان الامر على ما
اقوله واصل الفطر الشق ويسمى الخلق الفطر لانه يظهر به المخلوق كما يظهر الشيء بالشق يقال
فطر ناب البعير اذا ظهر بالشق ۝ **قوله عز وجل** وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ معناه ويا قوم استغفروا
ربكم من الكفر والذنوب ثم ارجعوا اليه بالعزم والندم على ترك العود في الذنوب يرسل السماء عليكم
بالمطر ذات امتواتراً ويزدكم قوة في ابدانكم واموالكم الى قوتكم التي لكم ولا تعرضوا عما ادعوكم
اليه مذنبين روي ان القوم كان اصابهم جدب وحبس عنهم المطر ثلث سنين ولم تلد امرأة
منهم في ثلث سنين ۝ وعن مقاتل رحمه الله انه قال كان انقطع عنهم النسل ثلثمائة وخمسين سنة
واما المدرار فهو مفعال من الدرور والمفعال للمبالغة وقد تذكر السماء بمعنى المطر كما يقال احدثنا
السماء واقلعت السماء ۝ **قوله عز وجل** قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ معناه قالوا لهود عليه السلام ما جئتنا بحجة وكان
جاءهم بالحجج الا انهم لم يعتقدوها حجة وهذا كاحد الخصمين يقيم على صاحبه اعظم الحجة فيجحد خصمه
ان يكون ذلك حجة عنده وقوله تعالى وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادة آلهتنا بقولك وما نحن لك
بمصدقين فيما تقول وفي هذا بيان ان القوم كانوا معاندين لان هوداً عليه السلام ما دعاهم الى التوحيد
الا وقد اقام عليهم دلالة التوحيد بما تقدم ذكره ثم انهم سموا آلهة اصنامهم ۝ **قوله
عز وجل** إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ معناه قالوا ما نقول لك الا انه اصابك
بعض آلهتنا بجنون فخبل عقلك بسبك اياها فكان القوم يعلمون وكل عاقل يعلم ان الذي يعقل ويميز
لو اراد ان يصيب غيره بجنون لم يقدر على ذلك فكيف تقدر الاصنام التي لا عقل لها ولا تمييز والمعبر

افتعال من عراه يعوره اذا مسه واصابه وقوله تعالى قال اني اشهد الله تعالى على نفسي واشهدوا انتم ايضا اني
بري مما تشركون مع الله تعالى في العباده ولم يكن اشهاده اياهم للاحتجاج بقولهم ولكن انما كان الاحتجاج
عليهم وقوله تعالى فكيدوني جميعا معناه ان قدرتم انتم والهتكم على قتلي او على انزال السوء بي فافعلوا
ولا تمهلوني مقدار طرفة عين ولم يقل هذا على جهة الامر لهم وانما قال لبيان عجزهم وهذا احد معجزات الانبيا
صلوات الله عليهم ان ياتي نبي وحده وامته كلهم متعاونون على قتله وانزال المكروه به فلا يستطيع احد
منهم ضره وهو كما ذكرنا في قصة نوح عليه السلام ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون
قوله عز وجل اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط
مستقيم معناه اني فوضت امري الى الله تعالى خالقي وخالقكم متمسكا بطاعته وتاركا لمعصيته
وهذا هو حقيقه التوكل على الله تعالى وهو قوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي ما من احد الا وهو
في قهر الله تعالى وتحت قدرته وانما جعل الاخذ بالناصية كناية عن ذلك لانك اذا اخذت بناصية غيرك
فقد قهرته واذللته والناصية مقدم شعر الراس وقوله تعالى ان ربي على صراط مستقيم اي ان ربي مع
كونه قاهرا على صراط مستقيم اي هو في تدبير عباده ولا يفعل الا الحق فانه عادل لا يجور يقال معناه ان
طريق العباد الى الله تعالى كما قال جل ذكره ان ربك لبالمرصاد قوله عز وجل فان تولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شي
حفيظ معناه فان توليتم عن الايمان فما توليكم لتقصير مني في ابلاغ الرسالة ولكن لسوء اختياركم
وقوله تعالى ويستخلف ربي قوما غيركم اي يهلككم بعذاب الاستيصال ويستخلف بعد هلاككم قوما
غيركم اطوع منكم وقوله تعالى ولا تضرونه شيئا اي لا تقدرون على ان تنقصوا شيا من ملكه وهو سبحانه
لا يجوز عليه المضار وقوله تعالى ان ربي على كل شي حفيظ اي شاهدا على اعمال العباد للمجازاة لا يخفى
عليه شي منها ويقال هو حافظ لكل احد يحفظ من شاء من شي ويهلك من شاء قوله عز
وجل ولما جا امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ معناه
ولما جا امرنا بعقاب قوم هود عليه السلام بالريح العقيم نجينا هودا عليه السلام والمومنين برحمة الله
من ذلك العقاب رحمة منا اي بما نجيناهم بما اريناهم من الهدى والبيان الذي هو رحمة ويجوز ان يكون معنى
رحمة منا ان ذلك العقاب انما لم يصب المومنين برحمة الله تعالى عليهم وقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ يحتمل ان يكون المراد به ان نجاهم من الريح العقيم الا ان الله تعالى اعاد ذكر النجاة للتاكيد وتفخيم الحال
ويحتمل ان يكون معناه كما نجا المومنين مما عذب به عاد في الدنيا وكذلك نجيناهم من عذاب الاخرة
ويسماه غليظا لعظمه قوله عز وجل وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا
امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا
لعاد قوم هود معناه ان قوم هود عليه السلام كذبوا بدلايل الله تعالى الدالة على وحدانيته
وصدق انبيايه عليهم السلام وعصوا هودا عليه السلام ومن قبله ومن بعده عليهم السلام لانه عليه السلام
ارسل بتصديق من قبله وبالبشارة لمن بعده فلما كذبوه فقد كذبوا الرسل كلهم واتبعوا امر كل جبار
عنيد اي عات طاغ معرض عن الله تعالى والجبار الذي يجبر الناس على ما يريد حتى انه يقتل على الغضب
والعنيد الذي لا يلتفت الى الحجة وقوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا اي اتبعوا في هذه الدنيا بعد الاهلاك
بالابعاد عن الرحمة فان الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المومنين بالدعا عليهم فلعنهم الناس والملئكة
ما دامت الدنيا وقوله تعالى ويوم القيمة معناه ويوم القيمة يبعدون من رحمة الله تعالى كما ابعدوا في
الدنيا وقوله تعالى الا ان عادا ابتدا كلام فيه معنى التنبيه اي انهم جحدوا ربهم فابعدهم الله تعالى من رحمته
ابعادا وذكر لفظ البعد كما قال تعالى والله انبتكم من الارض نباتا وفي هذا تهديد الكفار كانه

ربي

قال

قال عز من قايل انظروا يا اهل مكة كيف فعلت عاد وكيف فعل بهم واحذروا ان يصيبكم ما اصابهم
ويجوز ان يكون قوله تعالى ويوم القيمة ابتدا وخبره الا ان عادا معناه ينادي مناد يوم القيمة لاظهار حالهم
فيقول الا ان عادا كفروا ربهم كما ورد في الحديث يرفع لكل غادر لوا يوم القيمة فيقال هذه غدرة فلان
قال الضحاك رحمه الله يرفع لعاد راية الغدر فينادي منادي هذه غدرة قوم عاد فلعنهم الملايكه وجميع الخلق
قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب معناه
وارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا وقوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم قد سبق تفسيره
وانما ابتدات الرسل عليهم السلام بالدعا الى توحيد الله تعالى لان العلم بالنبوة والشريعة لا يصح الا بعد العلم
بالله تعالى وقوله تعالى هو انشاكم من الارض اي انشا اباكم من الارض وهم كانوا الا بيهم كما قال
عز وجل في اية اخرى وهو الذي خلقكم من تراب وقوله تعالى واستعمركم فيها اي اراد ان تكونوا عمار
الارض وسكانها مكنكم من عمارتها واحوجكم الى السكنى فيها وقال مجاهد رحمه الله معناه اعمرها
لكم اي جعلها لكم مدة اعماركم من العمرى وهي الهبة التي يهبها الرجل لغيره على ان تكون للموهوب له
مدة حياته ثم ترجع الى الواهب وقوله تعالى واستغفروه اي استغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا
على التوبة انه قريب ممن تقرب اليه مجيب لمن دعاه واطاعه واراد بالقرب الاسراع في الرحمة والاجابة
لا قرب المسافة قوله عز وجل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباونا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب معناه قد كنا يا صالح نرجوا فيك الخير
قبل هذا اليوم لما كان فيك من الاخلاق الحسنة والشمايل المرضيه والان ان دعوتنا الى غير دين ابايتا
يئسنا منك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا الالف الف الاستفهام بمعنى الانكار كانهم انكروا ان ينهى لا
عن عبادة ما عبد ابوه وقوله تعالى واننا لفي شك اي لو اجابك الى ما تدعونا اليه لا اجبناك على شك ظاهر
فانا لا نعلم صدقك فيما تقوله قوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير معناه قال يا قوم
اخبروني ان كنت على برهان وحجة من ربي واتاني منه نعمة وهي النبوة فمن يمنع عذاب الله عني ان عصيته
مع نعمته علي فما تزيدونني غير تخسير ان عصيت الله تعالى في اتباع دين ابايكم الا خسرانا في الدنيا والاخرة
ويقول ما تزيدونني الا تخسيرا بقولكم من قولهم كفرته وفسقته وظلمته اذا وصفته بذلك ونسبته اليه
ويقول ما تزيدونني فيما تعتقدون من اتباعكم دين ابايكم الا تخسيرا فكاني ما تزدادون الا خسارا فازدادوا
حينئذ بصيرة في خسارتكم قوله عز وجل ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل
في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب معناه ان صالحا عليه السلام قال لهم يا قوم
هذه ناقة الله لكم دلالة ومعجزة على صدق قولي حيث اخرجها لكم ناقة عشرا من صخرة ملسا كما سالتم
وذلك انهم سالوه ان يخرج لهم ناقة من صخرة اشاروا اليها فامر الله تعالى حتى جمعهم الى تلك الصخرة ثم دعا
الله تعالى فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الناقة ثم خرجت منها ناقة على الصفة التي ارادوا وقوله تعالى
فذروها تاكل في ارض الله معناه فاتركوها ترتع في ارض الحجر من نبات الارض ليس عليكم من مونتها
شي ولا تمسوها بضر يودي الى هلاكها فانكم ان عقرتموها اصابكم عذاب عاجل بعد ثلاثة
ايام قوله عز وجل فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
معناه فقتلوها والعقر قطع عضو له ما تتلفه في النفس وانما قتلوها لان صالحا عليه السلام كان قد قسم
الما والمرعى بينها وبينهم فجعل ذلك كله يوما لها ويوما لهم ولدوابهم واغنامهم فكانت في اليوم الذي كان يوم
نوبتها اذا رعت نفرت دوابهم عنها لعظمها فضاقت عليهم المراعي والمياه فقتلوها وقسموا لحمها على الف وخمسمائة

باذن الله تعالى

دار وقوله تعالى تمتعوا معناه قال لهم صالح عليه السلام بعد قتلها امكثوا في بلادكم ثلثة ايام ثم ياتيكم
العذاب في اليوم الرابع قالوا وما علامة العذاب قالوا ان تصبحوا في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة
وتصبحوا في اليوم الثاني ووجوهكم محمرة وتصبحوا في اليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم ياتيكم
العذاب بعد ذلك فراوا هذه العلامات في الايام الثلاثة ثم اتاهم العذاب من بعد وقوله تعالى ذلك
وعد غير مكذوب معناه انه لم يكذب في على هذا فاكذب لكم **قوله عز وجل** فلما
جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي
العزيز معناه فلما امرنا نجينا صالحا من ذلك العذاب ونجينا الذين آمنوا برحمة منا اي بنعمة منا
قوله تعالى ومن خزي يومئذ والخزي هو الذل الذي يستحيا منه وهو ما نزل بهم في كل يوم من
علامة الاشقيا كما روي انهم لما اصبحوا في اليوم الاول كان اذا راى احدهم صاحبه يقال
له قد اصفر وجهك فلما اصبحوا في اليوم الثاني قال بعضهم لبعض ما لك قد احمر وجهك وكذلك
في اليوم الثالث وقوله تعالى ان ربك هو القوي العزيز اي هو القادر على اخذ اعدائه العزيز المنتقم ممن
عصاه **قوله عز وجل** واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم
يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود معناه واخذ الذين ظلموا انفسهم بالكفر وقتل
الناقة الصيحة وروي ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة هائلة عند صباح اليوم الرابع لعقر
الناقة فتقطعت قلوبهم فهلكوا منها ويقال خلق الله صيحة في حلوق بعض الحيوانات والصيحة هي الصراخ يكون في
حلق الحيوان والا ذكر في هذه الاية واخذ الذين ظلموا الصيحة وقال في اية اخرى واخذت الذين ظلموا
الصيحة لان الصيحة والصياح واحد فردا لكناية مرة الى الصياح ومرة الى الصيحة وقوله تعالى فاصبحوا
في ديارهم اي في منازلهم ميتين قد همدوا وصاروا جثوما على الركب ويقال اصبحوا في بلادهم واقعين
على وجوههم في الطرق وسمي بلادهم ديارا لانها كانت تجمعهم كما تجمع الدار اهلها وقوله تعالى كان لم
يغنوا فيها اي كانهم لم يكونوا في الارض قط وقوله تعالى كفروا ربهم وقوله تعالى الا بعدا لثمود
معناه الا ابعدهم الله من رحمته ابعادا وقد قرئ لثمود وقد قرئ لثمود بالكسر والتنوين فمن قراها من قوله
تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم وهو مكتوب بالالف في مصحف الامام عثمان ابن عفان رضي الله عنه ومن
صرف ثمود جعله اسما للحي ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة **قوله عز وجل** ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ قال ابن عباس رضي
الله عنهما وذلك ان جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكا عليهم السلام جاؤا الى ابراهيم عليه
السلام ليبشروه باسحق من زوجته سارة فلما دخلوا عليه قالوا سلاما اي سلموا عليه سلاما ونقا
قالوا نسلم سلاما وهذا نصب على المصدر وقوله تعالى قال سلام اي اجابهم ابراهيم بان عليكم سلام
وانما لم يقل عليكم سلاما بالنصب لانه لو قال ذلك لكان يتوهم ان ابراهيم عليه السلام حكى قول الملائكة
انكم سلمتم سلاما فخالف بينهما ليكون قولهم جوابا لهم ومن قال سلم بكسر السين والسلم والسلم بمعنى
واحد كحل وحلال وحرم وحرام ويجوز ان يكون السلام من المسالمة وقوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
معناه فما امكث ابراهيم عليه السلام ان جاء بعجل حنيذ اي محنوذ اي مشوي فالحنذ ان تحذكه في الارض
فيشتوي فيه حتى يقطر عرقا يقال حنذت الفرس اذا القيت الجل وركضته ليعرق وقال مقاتل رحمه
الله انما جاءهم بالعجل لانه كان اكثر ماله البقر ولم تجد في تلك الساعة الا العجل وقال الحسن رضي الله
عنه انما جاءهم ابراهيم عليه السلام بالطعام لانهم جاؤه على صورة الادميين على هيئة الاضياف فانه لم يكن
احب اليه من الضيفان فجاؤه على احب الوجوه اليه ولو لا انهم جاؤه على صورة الملائكة ما كان يقدم اليهم
ذلك لعلمه باستغناء الملائكة عن الطعام وفي الاية بيان ان السلام تحية اهل السلام وان الملائكة تحيي بالسلام

55

قوله عز وجل فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا
ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب معناه ان ابراهيم عليه السلام لما وضع
الطعام بين ايديهم فراهم لا يمدون اليه ايديهم انكرهم واضمر في نفسه خوفا منهم وان ابراهيم عليه
السلام كان يراه على طرق من الناس وكان اهل ذلك الزمان اذا لم ياكل بعضهم طعام من غائلته فلما
علمت الملائكة خوفه منهم قالوا لا تخف منا يا ابراهيم فان تعالى ارسلنا الى قوم لوط عليه السلام لنهلكهم
وقوله تعالى وامراته قائمة معناه وامراته سارة كانت قائمة على رؤسهم بالخدمة ويقال كانت قائمة
من وراء الستر في حال محاورة ابراهيم عليه مع الملائكة وقوله فضحكت معناه قيل ضحكت من سرورها
بالسلام فزادوها بشارة باسحق عليه السلام وقال السدي رحمه الله وذلك ان ابراهيم عليه السلام
قال لهم الا تاكلون قالوا انا قوم لا ناكل الا بثمن فقال كلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال ان تذكروا
اسم الله تعالى في اوله وتحمدوه في اخره فنظر جبريل عليه السلام الى من معه من الملائكة عليهم السلام
فقال حق لهذا ان اتخذه الله خليلا فضحكت امراته وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم
وهم لا ياكلون طعامنا ومعنى قول الملائكة لا ناكل الا بثمن لو كنا ممن ناكل فانا لا ناكل بثمن الا
على هذا الحد ويقال انما ضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط عليه السلام وقد جاءتهم الملائكة بالعذاب
وفي بعض الروايات انها كانت قالت لابراهيم عليه السلام اضمم لوطا عليه السلام ابن اخيك
اليك فان القوم سينزل بهم العذاب فلما ان جاء الامر على ما توهمت ضحكت اي حاضت يقال ضحكت الارنب
اذا حاضت وضحك الطلع اذا انشق وقيل في الاية تقديم معناه فبشرناها باسحق نبيا ونبوة يعقوب
بعده من ذريته وفي ذلك بشارة لها انها تلد اسحق وتعيش الى ان ترى ولد ولدها فضحكت لذلك
والاظهر في نظم الاية انها انما ضحكت لانه كان قبل ان بشرت بالولد وفي قوله تعالى يعقوب قراءتان
من قرا بالنصب فعلى معنى ووهبنا لها اسحق ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقال الزجاج لا يجوز
ان يكون ذلك في موضع خفض على معنى فبشرناها باسحق ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقال الزجاج
لا يجوز ان يكون ذلك في واو العطف الا باعادة حرف الجر لانه لا يجوز ان يقول مررت بزيد في الدار
او البيت وعمرو حتى يقول وبعمرو يحرف واوا لعطف ومن قرا يعقوب بالعطف بالرفع فعلى معنى ويحدث
لها من وراء اسحق يعقوب وقوله تعالى قالت يا ويلتا االد وانا عجوز لا يكون على جهة الانكار فان يا
ويلتا كلمة تستعملها النساء عند وقوع امر فظيع فاستعملتها في هذا الموضع على جهة التعجب ولهذا قالت ان
هذا لشيء عجيب وانما تعجبت من طبع البشرية قبل التفكر والروية كما ولى موسى عليه السلام مدبرا
حين صارت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت
سارة بنت ثمان وتسعين سنة وكان زوجها عليه السلام ابن تسع وتسعين سنة فلما بشرت بالولد
وكان ذلك خارجا من العادة تعجبت ان يكون بين شيخين كبيرين ولد واما قوله تعالى وهذا بعلي
شيخا فمعناه هذا الذي تعرفونه بعلي ثم قالت شيخا اي انتهوا له في حال شيخوخته وعن هذا قيل ان قوله
عليه السلام تعالى شيخا نصب على الحال وقال الزجاج لا يجوز ان يقول لمن لا يعرف زيدا هذا زيد قائما اي
انتبه في حال قيامه او اشير لك الى زيد في حال قيامه لان هذا اشارة الى ما حضر وفيها اضمار الفعل وذهب
الكوفيون الى ان قوله تعالى شيخا نصب على القطع عن المعرفة الى النكرة كما يقال خرج زيد راكبا **قوله
عز وجل** قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد معناه
قالت لها الملائكة اتعجبين من قدرة الله تعالى وانت عارفة بان الله تعالى قادر على كل شيء وقال
السدي رحمه الله اخذ جبريل عليه السلام عودا يابسا فدلكه بين اصبعيه فاذا هو اخضر يهتز

تعرفت انه من الله تعالى وقوله تعالى رحمة الله وبركاته معناه نعمة الله عليكم في الدين والدنيا و
النامية عليكم يا اهل البيت بيت ابرهيم عليه السلام وتجوز انهم قالوا ذلك على جهة التحية وتجوز ان
يكون ذلك خبرا عن نعم الله تعالى عليهم وقوله تعالى انه حميد مجيد اي حامد لا عما لكم ه وقوله تعالى
مجيد اي كريم يكرمكم بالنعم والكريم الذي يبتدئ بالنعم قبل الاستحقاق وبالله التوفيق ه
قوله عز وجل فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم
لحليم اواه منيب معناه فلما ذهب عن ابرهيم الخوف والفزع وجاءته البشرى
باسحق عليه السلام جعل يجادل رسلنا في قوم لوط عليه السلام ه واختلفوا في هذه المجادلة فقال
بعضهم سالهم عن تعذيب الله تعالى لهم سوال مستقص حتى قالوا له ان الله تعالى امرنا باستيصالهم
او بتخويفهم بالعذاب وحتى قال لهم ان فيها لوطا كما ذكر الله تعالى في اية اخرى وقال بعضهم
اراد بالمجادلة الدعا والتضرع وشدة الحرص على نجاة القوم رجاء ايمانهم كما روي انه عليه السلام
قام من الليل يصلي ويقول يارب اتهلك قوم لوط قيل يا ابرهيم الا ليس فيهم مومنون قال يارب فان
كان فيهم خمسون من اهل بيت مومنون اتهلكهم قال لا قال فاربعون قال لا قيل فلم يزل يردد حتى
قيل ان كان فيهم خمسة ابيات مومنون دفعنا البلا عنهم بقول الله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وفي الخبر انهم كانوا اربعة الف الف رجل وقوله تعالى ان ابرهيم لحليم اي وقور
بطي الغضب والحليم المحتمل للاذى مع قدرته على العقوبة والمكافاة ولا واه الدعا ويقال هو
الرحيم ويقال هو المتاوه خوفا واشفاقا على الذنوب والمنيب هو الراجع الى الله تعالى ه قوله
عز وجل يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
معناه انه قيل يا ابرهيم اعرض عن جدالك انه قد جا امر ربك بهلاك قوم لوط عليه السلام وانهم ياتيهم عذاب
غير منصرف عنهم ه قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا
وقال هذا يوم عصيب معناه ولما جا جبريل عليه السلام ومن معه من الملايكة عليهم السلام
الى لوط عليه السلام ساءه مجيئهم وضاق بمجيئهم قلبه فانهم جاءوه في صورة الغلمان المرد الحسان
الوجوه وكان قد علم عادة قومه فخاف عليهم من صنيع قومه وقال في نفسه هذا يوم عصيب
شديد لا ينحسم كالمعصوب بالعصابة كانه ما لهذا يوم التف الشر فيه بالشر ويقال لهذا يوم
عصيب اي تعصب الناس فيه بالشر يوم مطير ويوم حطيب اي شديد الخطب واما ضيق الذرع
فوضع موضع ضيق الصدر يقال ضاق زيد امره ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا
قال صاحب العين الخليل ابن احمد رحمه الله ذرعه قدره الذي يبلغ اليه ويقدر عليه معناه ويقال
ضاق بهم وسعا لان الذرع والذراع يعبر بهما عن الوسع كما يعبر باليد عنه تقول العرب ليس هذا
في يدي اي في وسعي وكان لوطا عليه السلام ضاق وسعه بهم ان يحفظهم ه وفي الخبر انه جعلهم
فيما بين مواشيه فلما كان وقت غفلة الناس جعلهم الى داره فذهبت امراته الخبيثة واخبرتهم
وقالت لهم انه قد نزل عند لوط عليه السلام اضياف لم ار قط احسن وجوها منهم ولا اطيب ريحا ولا
انظف ثيابا ه قوله عز وجل وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيات قال يا قوم هولاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم
رجل رشيد وذلك ان امراة لوط عليه السلام لما اخبرتهم باضيافه جاءوا الى داره فيسرعون اليه
ويهرولون هرولة و الاهراع مشي بين مشيين ه وقوله تعالى ومن قبل اي ومن قبل ذلك كانوا
يعملون المعاصي وهي ما كانوا يعملون من الفاحشة مع الذكور وانهم كانوا يعملون ذلك من غير ان
يخفي بعض عن بعض قال لهم لوط عليه السلام يا قوم هولاء بناتي عرض عليهم نكاح بناته واظهر من نفسه

في صونهم ما لا شي ابلغ منه اظهارا للكرم في باب الاضياف فذكر بناته ليدل بذلك على التسودد في
دفعهم عما ارادوا وكان يجوز في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر كما يجوز ذلك في شريعتنا كان
في ابتدا الاسلام فان النبي عليه السلام زوج ابنته من ابي العاص ابن الربيع ويقال انما عرض عليهم
بشرط ان يومنوا ويقال اراد بقوله هولاء بناتي بنات قومه لان النبي عليه السلام يكون للقوم
بمنزلة الوالد ولا يجوز ان يذكر بنات نفسه الا ويريد ساير النسا ايضا وقوله تعالى هن اطهر لكم اي
احل لكم من الفاحشة مع الذكور وقوله تعالى فاتقوا الله اي اتقوا عقاب الله تعالى ولا تلزموني
عارا في ضيفي اليس منكم رجل رشيد في قومه فينزجر عن هذا الامر ويزجر الاخرين عنه واما ذكر
قوله يهرعون على لفظ المفعول بهم وان كانوا هم الفاعلين كما يقال اولع فلان بكذا وزهي زيد بكذا
وارعد عمرو لان المعنى في ذلك كله اشر او لعه طبعه وزهاه ما له او جهله وارعده غضبه او وجعه
فاهرعه طبعه وجبلته فجعلوا مفعولين وهم فاعلون ه قوله عز وجل قالوا لقد علمت ما
لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد معناه قال له قومه لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك
من حق اي من حاجة وانما قالوا من حق لانه لا يكون للانسان فيه حاجة يرغب عنه كما لا يرغب
على لا حق له فيه وقوله تعالى وانك لتعلم ما نريد اي تعلم ان ميلنا الى الغلمان دون النسا ويقال في
قوله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق بيان ان لوطا عليه السلام انما عرض عليهم تزويج البنات لان
الحق لا يثبت الا بالتزويج قوله عز وجل قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
معناه قال لهم لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة ارفعكم بها عن اضيافي او تمكنني ان اوي الى
قبيلة استعين بهم على رفعكم لمنعتكم اشد المنع عما تتنا ولون او نقول لا استعنت بذلك عن خطابكم
الذي لا ينجع ولا ينفع ولا يصادف منكم قبولا وقد تقدم ان حذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ
من الاثبات ه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه قال رحم الله اخي لوطا لقد اوى الى ركن
شديد اي التجا الى الله تعالى وملايكته قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما علم جبريل عليه السلام والملايكة
عليهم السلام خوف لوط عليه السلام من تمرد قومه قالوا له ما قال الله تعالى قالوا يا لوط انا
رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك
انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب معناه ان الملايكة عليهم السلام
قالت للوط عليه السلام لسنا من بني ادم ولكنا رسل ربك جينا لاهلاك قومك فدعهم يدخلوا الدار
فانهم لا يصلون اليك بمكروه فتركهم لوط عليه السلام حتى دخلوا الدار فطمس جبريل عليه السلام على
وجوههم فعموا كلهم وضرب على اعينهم فيبست ايديهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر فانصرفوا يتلمسون باب الدار وقوله تعالى فاسر باهلك فيه قولان احدهما بهمزة الالف والثاني
بتسكين الالف يقال سرى واسرى بمعنى واحد وقوله تعالى بقطع من الليل اي اسر بهم في اخر الليل
عند السحر وقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد معناه لا يتخلف منكم احد فيبقى في العذاب وقوله تعالى
الا امراتك من قرا بالنصب الا امراتك فالناصب الفعل معنى فاسر باهلك الا امراتك والعلة المنافقة ومن قرا بالرفع فعلى
معنى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وعن مجاهد رحمه الله انه قال انهم تعبدوا بان لا يلتفت
منهم احد خلفه وقوله تعالى انه مصيبها ما اصابهم ظاهر المراد وقوله تعالى ان موعدهم الصبح ان قالت
له الملايكة ان وقت اهلاكهم الصبح فقال له لوط عليه السلام الان يا جبريل عليه السلام وانما قال
ذلك لضيق صدره منهم وشدة غضبه عليهم فقال جبريل عليه السلام اليس الصبح بقريب في هذا دليل ان الله
تعالى لا يهلك احدا قبل انقضا مدته وان ضاقت صدورنا وليا به عنه وعن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما ان جبريل عليه السلام لما قال للوط عليه السلام فاسر باهلك بقطع من الليل قال له لوط يا جبريل

كيف اصنع بابواب المدينه وقد اغلقت فجمع له جبريل اهله وبقره وغنمه وماله واحتملهم على جناحه
حتى اخرجهم من المدينه فانطلق هو بهم متوجها الى صُغَر وهي على اربع فراسخ من مداين قوم لوط عليه
السلام وهي احدى القرى الخمس سدوم وداذوما وصنوايم ولم يكن اهل صغر يعملون عملهم
وكان في كل مدينة الف مقاتل وسار لوط عليه السلام ومن تبعه ادسمع الصيحه قوله عز وجل
فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما
هي من الظالمين ببعيد معناه فلما جا امرنا بالعذاب قلبنا تلك المداين كما روي ان جبريل عليه السلام
جعل جناحه في اسفلها فرفعها من الارض السابعة الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح
الدجاج ثم قلبها وجعل اسفلها عاليها واعلاها اسفلها فاقبلت تهوي من السما الى الارض وقوله تعالى
وامطرنا عليها روي وهب بن منبه رحمه الله انه قال لما رفعت الى السما امطر الله عليهم
حجارة الكبريت بالنار ثم قلبت عليهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال
امطر الله الحجارة على شذاذهم ومسافريهم ولا تنافي بين القولين لجواز ان الله تعالى امطر الحجارة على
مداينهم وعلى شذاذهم وقد اختلفوا في السجيل قال بعضهم هو فارسيه معربة معناه سنك
وكل وفيه بيان ان تلك الحجارة كانت شديده صلبة نحو ما يطبخ من الطين فيصير كالاجر
واصلب منه ومما يويد هذا القول قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وكان الله تعالى بين
ان الذي ارسل عليهم كالثلج والبرد وقال بعضهم هو السجيل الذي هو الدلو فيكون معناه حجارة
كانها تصب من الدلو ويقال السجيل سما الدنيا ويقال معناه مما كتب الله عز وجل ان يعذبهم
بها وقوله تعالى منضود اي بعضها فوق بعض وقوله تعالى مسومة اي معلمة بعلامة المعاقبين قيل
كانت مخططة بالسواد والحمرة والبياض وقيل كان مكتوبا على كل حجر اسم من هلك وقوله تعالى عند
ربك اي اعلمتها الملايكة في السما بامر الله تعالى وقيل كانت من الخزاين التي لا يقدر عليها الا
الله عز وجل وقوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد ومعناه وما تلك الحجارة من ظالمي امتك
ببعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا والله لا تذهب الايام والليالي حتى تشتغل هذه الامه
ادبار الرجال كما استحلوا النسا ولا تذهب الايام والليالي حتى تصب طوايف من هذه الامة حجارة من عند ربك
وفي الحديث ما من ظالم الا وتحتها له حجر في الهوى ينتظر متى يومر بسقوطه عليه ويقال هذا
تهديد للظالمين اي تصيبهم هذه الحجارة في الاخرة فان الله تعالى رفع عن هذه الامة الخسف والمسخ وان
يبعث عليهم عذابا من فوقهم قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط معناه وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا في النسب قال يا قوم اعبدوا الله وقد سبق تفسيره
وقوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان معناه ولا تنقصوا حقوق الناس عند الكيل والوزن عليهم بالتطفيف
وقوله تعالى اني اراكم بخير اي اراكم في الخصب والرخص ما اوفيتم للناس حقوقهم ويقال معناه اراكم
في كثرة الاموال وانتم مستغنون عن نقصان الكيل والوزن واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
اي عذابا يحيط بكم فلا يفلت منكم احد ان عصيتم الله تعالى قوله عز وجل ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه اتموا
الكيل والوزن بالعدل ولا تنقصوا حقوق الناس ولا تضطربوا في الارض بالقبيح مفسدين بالمعاصي قوله
عز وجل بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ معناه ما ابقى الله من الحلال
خير لكم مما حرم عليكم من التطفيف ان كنتم مصدقين بما اقوله لكم ويقال اراد بالبقية طاعة الله تعالى
فانما هي التي يبقى ثوابها وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ اي ما اوكل بحفظكم فاقاتلكم وامنعكم ويقال

لست

لست لحفظ لاموالكم ولكن الله تعالى هو الذي يحفظها عليكم وتحفظ العمل الصالح قوله عز
وجل قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما
نشا انك لانت الحليم الرشيد معناه قالوا له يا شعيب اكثر صلواتك التي تفعلها تامرك ان نترك عبادة
ما يعبد اباونا وقوله تعالى او ان نفعل في اموالنا ما نشا معناه وتامرك ان تامرنا ان نفعل في اموالنا
ما نشا من البخس والتطفيف ويقال ان معنى او ان نفعل تامرك ان لا نفعل وقوله تعالى انك لانت
الحليم الرشيد ارادوا بذلك انك السفيه الضال فذكروا الحليم الرشيد على جهة الاستهزا هكذا روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ويقال انهم قالوا ذلك على جهة التحقيق لانك انت الحليم الرشيد في قومك
فكيف تنهانا عن عبادة ما عبده اباونا وعن ان نفعل في اموالنا ما نشا كانهم استبعدوا ان يكونوا
اباوهم قد اخطاوا في دينهم ورايهم ويقال انهم قالوا له انك لانت السفيه الاحمق الا ان الله تعالى صان
نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضافة مثل هذا اللفظ اليه فيرا انهم لا يصح لانه لا يجوز ان يحكي الله تعالى عنهم
خلاف ما قالوه قوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي
الا بالله عليه توكلت واليه انيب معناه قال لهم شعيب اخبروني ان كنت على دلالة وحجة من
ربي ورزقني منه منفعه حسنة قيل اراد بذلك النبوه فانها من اعظم نعم الله تعالى وقيل المراد به المال
الحلال قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان شعيب عليه السلام كثير المال كثير الصلوة
واما جواب قوله تعالى ان كنت على بينه محذوف من الاية لان في الكلام دليلا عليه والمعنى ان
كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا اتبع الضلال واشوب بالحرام الحلال كما تفعلونه
وقوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي ما اريد ان تتركوا ما نهيتكم عنه لاعمل انا به
فانتفع بل ما اريد الا الاصلاح للكل في امر الدين والمعاش بقدر استطاعتي وقوله تعالى وما توفيقي الا بالله
اي ما توفيقي للاصلاح الا من الله والتوفيق من الله تعالى هو كل فعل يتفق من العبد عنده اختيار الطاعه
والصلاح فلولاه لكان مختارا خلاف ذلك وهو ماخوذ من الوفق والموافقة وذلك يستعمل في باب الخير
خاصه وقوله تعالى عليه توكلت اي فوضت امري الى الله واليه ارجع وقد تقدم ان معنى التوكل على الله
تفويض الامر مع التمسك بطاعته قوله عز وجل ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد معناه يا قوم لا
يكسبنكم عداوتي ان لا تومنوا فيصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح
العقيم او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد اي قد بلغكم ما اصابهم وهو اقرب اليكم ممن
تقدمهم لجواز ان يكون المراد بذلك قرب زمانهم منهم ويجوز ان يكون المراد قرب ديارهم منهم وكل
ذلك اقرب للاعتبار قوله عز وجل واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود
معناه واستغفروا ربكم من الشرك والذنوب ثم اقبلوا اليه بالتوبه والاخلاص اي رحيم بعباده متودد
اليهم بالنعم وقبول التوبه قوله عز وجل قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا
لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز معناه قالوا يا شعيب ما نستدرك
معنى كثير مما تقول والفقه في اللغه هو استدراك معنى الكلام وقوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اراد وانا لضعيف ضرير البصر وقال سعيد بن جبير انا لنراك
اعمى وقد روي انه كان قد ذهب بصره من كثرة بكايه من خشية الله تعالى وفي
بعض الروايات انه عمي ثلث مرات وكان الله يرد اليه بصره حتى اوحى اليه يا شعيب
ما هذا البكا قال شوقا اليك يا ربه وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن شعيب فقال ذلك خطيب الانبيا

صلوات الله عليهم اجمعين ۝ وكان الحسن رضي الله عنه يقول في معنى قوله تعالى انا لنراك فينا
ضعيفا اي مهينا ضعيف البدن ۝ وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في انه هل تجوز بعث نبي
ضرير ام لا فقال بعضهم تجوز لان العمى ليس بشيء ينفر الناس او يمنع من اداء الرسالة وقال بعضهم لا تجوز
ذلك كما لا تجوز ان يكون الاعمى شاهدا او حاكما وليس في لفظ الاية ما يقتضي ان شعيبا عليه
السلام كان اعمى والله اعلم ۝ وقوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك معناه ولولا عشيرتك لقتلناك
بالحجارة ولا ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لاجل قومك ۝ قوله عز وجل قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط معناه قال لهم يا قوم اتتركون
اذاي لاجل عشيرتي ولا تتركوه لاجل الله ارهطي اعز عليكم من الله تعالى ونبذتم امر الله تعالى ورا
ظهوركم ان ربي بما يعملون محيط معناه عالم لا يعزب عنه علم شيء منه والظهري ما ينبذه الانسان
وراء ظهره قوله عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب معناه ويا قوم اعملوا على دينكم اني عامل
على ديني وهذا على سبيل التهديد والوعيد والمكانة والمكان بمعنى واحد وقوله تعالى سوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه اي يذله ويهينه وتعلمون من هو كاذب على الله تعالى وانتظروا اني منتظر معكم
قوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود معناه ولما امرنا
بالعذاب نجينا شعيبا من ذلك العذاب ونجينا الذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين كفروا
من قوم شعيب صيحة العذاب فاصبحوا في منازلهم واقعين على ركبهم ميتين كان لم يكونوا
في الارض قط ۝ وقوله تعالى الا بعدا لمدين معناه الا سحقا وهلاكا لقوم شعيب كما هلكت ثمود
واما شبههم بثمود لان الصيحة كانت سبب الهلاك للفريقين جميعا قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وذلك ان مدين اصابهم حر شديد ولم تتحرك الريح ليلا ولا نهارا وكان يحرقهم بالليل حر القمر
وبالنهار حر الشمس فنشات لهم سحابة بهيئة الظلة فيها عذابهم فاتوها يستظلون تحتها يطلبون الروح
فسال عليهم العذاب من فوقهم ورجفت الارض من العذاب واحرقتهم السحابة قال ولم تعذب امتان
بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح واما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب
فاخذتهم الصيحة من فوقهم ۝ قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد معناه ولقد ارسلنا موسى
عليه السلام بدلائلنا والاية العلامة التي فيها العبر وقوله تعالى وسلطان مبين معناه وحجة
متسلطة على ابطال الفاسد ومن هذا سمي السلطان سلطانا لانه يتسلط بالقهر والغلبة وسلطان الحجة
انفذ من سلطان المملكة وقال ان السلطان ماخوذ من السليط وهو الزيت سمي بذلك لانه
يضيء كما يضيء الزيت وقوله تعالى الى فرعون وملائه معناه الى فرعون واشراف قومه الذين هم ملأ
بالراي والمقدرة والذين يملؤون الصدور هيبة وقوله تعالى واتبعوا امر فرعون اي اتبعوا قوله وتركوا
امر الله تعالى وما امر فرعون بصواب في الرشيد القائد الى الخير الهادي الى النفع ۝ قوله عز وجل
يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود معناه يمشي امام قومه يوم القيمة حتى
يهجم بهم النار يقال قدمت القوم اقدمهم قدما وقدوما اذا تقدمتهم فاتبعوك وقدم فلان يقدم قدوما
اذا ورد فانما يمشي فرعون امام قومه يوم القيمة لانهم اتبعوه في الدنيا حتى هداهم الى عقاب النار كذلك
يمشي من بين ايديهم في الاخرة حتى يدخل بهم النار وانما عطف الماضي هو قوله تعالى فاوردهم على لفظ الا
فهو على معنى فهو اذا اقدمهم اوردهم وانما قال يقدم قومه ولم يقل يستبق لان قوله يستبق قومه لا يدل على انه

يمشي بين ايديهم وقوله تعالى وبئس الورد المورود فالورد جمع ومصدر ووقت نحو ورد الشاريب والمورد
مفعول من المكان ومن ورده فهو الورد جمعا فمعناه فبئس القوم المورود بهم الى النار ومن جعله وقتا
فمعناه بئس الوقت المورود بهم فيه الى النار ومن جعله مصدرا فبئس الورد الذي وردهم الى النار والورد
في الحقيقة انما يستعمل في الماء كما قال عز من قايل ولما ورد ماء مدين ولكن لما كان فرعون وقومه في
الاخرة يكونون عطاشا ويردون على ما يردهم العطش استعمل فيهم هذه اللفظة قوله عز وجل
واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود معناه واتبعهم الله تعالى في الدنيا لعنة بابعادهم
عن الرحمة بالغرق ويوم القيمة لهم لعنة اخرى وهي البعد بسبب اللعنة على اثر اللعنة ترادفت عليهم اللعنتان
الغرق في الدنيا والنار في الاخرة والرفد في اللغة هو العون على الامر الا ان العطية تسمى رفدا لما فيها من
العون كانه قال بئس العطاء اعطوا وقال بعضهم هذا من المقلوب كانه قال بئس الردف المردوف
والردف لعنة الله تعالى اياهم والمردوف لعن الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين والمؤمنين رحمهم الله
قوله عز وجل ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد معناه ذلك الذي ذكرت
لك يا محمد من اخبار الامم الماضية ينزل عليك جبريل عليه السلام بقصصهم مرة بعد مرة والقصص ماخوذ
من اتباع الشيء للشيء وقوله عز وجل منها قائم وحصيد فالقائم ما هو قائم الابنية وقد باد اهلها كما قال تعالى
وبئر معطلة وقصر مشيد والحصيد ما هلك باهله فلا يبقى مكان وكان نحو مدائن قوم لوط عليه السلام
حصبت من الارض السفلى ۝ قوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت
عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب معناه وما
ظلمناهم باهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بسوء اختيارهم فما نفعهم الهتهم التي كانوا يدعونها من دون الله تعالى
لما جاء امر ربك بالعذاب وما زادوهم غير تخسير ومنه تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت يداه وخسر ۝
قوله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك
لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود معناه كما اخذ ربك فرعون
ومن تقدمه من الكفار فكذلك يكون اخذ ربك اذا اخذ اهل القرى وهي كافرة وقوله تعالى ان اخذه
اليم شديد ظاهر المراد ۝ وقوله تعالى ان في ذلك لاية اي فيما ذكرت لك لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة
ولا يقتدي بهم ۝ وقوله تعالى ذلك يوم معناه ان يوم القيمة يوم يجمع فيه الاولون والاخرون وقوله تعالى
ذلك يوم مشهود اي يشهده اهل السماء واهل الارض ۝ قوله عز وجل وما نؤخره الا لاجل معدود
يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد معناه ما نؤخر ذلك اليوم الا لاجل معلوم قد علمه الله
تعالى وعلم ان صلاح الخلق فيه في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الاجل والغاية في قوله تعالى معدود بيان
ان لها انتهاء وان العدد وان كثر لا بد ان ياتي اخره وقوله تعالى يوم ياتي من قرا باثبات الياء فعلى الاصل
ومعناه يوم ياتي ذلك اليوم لا تكلم نفس في الشفاعة الا بامر الله تعالى ويقال لا تجترئ احد ان يتكلم
بالاحتجاج واقامة العذر من هيبة الله تعالى الا باذنه ومن قرا يات بغير يا فهي لغة هذيل وهكذا هي
في مصحف الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه لانه تقول العرب لا ادر ولا اقض فتحذف الياء وتجتزي بالكسرة
ويقال اراد بقوله لا تكلم نفس الا باذنه اي لا يتكلم احد بما يكون قبيحا ولا يكون يقع من احد القبيح في
الاخرة وما يكون مأذونا فيه فهو غير قبيح وقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد معناه فمن الناس يومئذ شقي
ومنهم سعيد ۝ قوله عز وجل فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ معناه فاما الذين
كتبت عليهم الشقاوة ففي النار وقال بعضهم شقوا بفعلهم وقال بعضهم شقوا في بطون امهاتهم وما شقي

بفعله الا بعد ما شقي في بطن امه وما شقي في بطن امه الا بعد سابق علم الله تعالى فيه ٥ وانما يلحقه اللوم والشقا
المخترجة بالشقاوة المعلومة وكذلك السعادة على هذه الجملة ٥ وقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق قيل ان
الزفير شدة الانين في الصدر والشهيق الانين الشديد المرتفع نحو الزعقة التي تكون من شدة الكرب والحزن
وربما يتبعها الغشية ٥ وعن هذا قالوا ان الزفير اول صوت من نهيق الحمار والشهيق اخر صوت من نهيق
الحمار ويسمى راس الجبل شاهقا لارتفاعه وقوله تعالى خالدين فيها معناه دايمين في النار ٥ وقوله تعالى
ما دامت السموات والارض قال بعضهم اراد بذلك مقدار دوام سما الدنيا وارضها وذلك ان العرب اذا ارادت
تاكيد التاكيد قالت ما دامت السموات والارض كما يقول الرجل والله لا كلمتك ما دامت السماوات
والارض ٥ وما لاح كوكب وما اضا القمر وما اختلف الجديدان لا يريد بذلك الشرط وانما يريد به التاكيد
والتبعيد ٥ كما قال القايل ٥ اذا شاب الغراب اتيت اهلي ٥ وصار القار كاللبن الحليب ٥ اراد
بذلك انه لا ياتي اهله وذلك علقه بما يستحيل كونه ٥ وقوله تعالى الا ما شا ربك معناه على هذا القول سوى
ما شا ربك من الخلود بعد مضي مقدار بقا السما الدنيا وارضها كما تقول لك عندي الف الا الفين معناه
سوى الالفين اللذين لك عندي ٥ وقال بعضهم ما دامت السموات والارض ما دام سما النار وارضها
وما دام سما الجنة وارضها وقوله تعالى الا ما شا ربك يجوز على وجه التابيد ايضا ٥ كما يقول الرجل افعل
كذا وكذا الا ان اشا غير ذلك ثم يقيم على مقالته ولا يشا غير ذلك فيكون ما يشا اي لا اشا غيره ٥ والفايدة في
استثنايه اظهار قدرته ان لو شا لفعله ٥ ويقال معنى قوله تعالى الا ما شا ربك الا مقدار موقفهم للحساب
ويقال الا مقدار مدة موقفهم في الدنيا ويقال معنى الا ما شا ربك من انواع العذاب التي يعذبهم بها مما يريد
في الاية من الزفير والشهيق ٥ ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان هذه الاية وردت
في قوم يخرجون من النار يعني ان كانت شقاوتهم بذنوب دون الكفر فيخرجهم الله تعالى من النار
فيكون معنى الاية خالدين في النار ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك وهو اذا اخرجهم الى الجنة
فيكونون بعد ذلك خالدين في الجنة الا ما شا ربك وهو مدة مكثهم في النار ٥ وقد وضع ما موضع من في
كثير من المواضع فيكون معنى الا ما شا ربك الا من شا ربك ٥ وقد اعترضوا على هذا القول فقالوا ان هذا
القول يقتضي ان يكون الشقي هو السعيد في الاية اي الناس فريقان شقي وسعيد ٥ ومما يجاب عن
هذا الاعتراض ان يقال يحتمل ان المراد بالذين شقوا هم الذين استحقوا عذاب النار ٥ والمراد بالذين
سعدوا والحرم الذين سعدوا واخراجهم بالسعادة ٥ ان الله تبارك وتعالى ذكر في اهل الجنة بعد قوله
تعالى الا ما شا ربك ما يدل على ان نعيمهم لا ينقطع فقال عز من قايل عطا غير مجذوذ ٥ ولم يذكر في
اهل النار بعد قوله تعالى الا ما شا ربك مثل ما ذكر في اهل الجنة بل وكل امر اهل النار الى ارادته ومشيته
وعقب لفظ المشية فيهم بقوله تعالى ان ربك فعال لما يريد ٥ ومعناه انه يفعل ما يشا كما يشا ٥ ومن
قرا سعدوا بضم السين فمعناه الذين رزقوا السعادة كما يقال جن الرجل اذا ذهب عقله ٥ ولو كان
المراد بالقراة التي هي بضم السين يسعدهم سعد لقال اسعدوا كما يقال اجن الرجل اذا فعل به فعلا يصير
به كالمجنون ٥ قوله عز وجل فلا تك في مرية مما يعبد هولاء ما يعبدون الا كما يعبد
اباوهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص معناه ولا تكن ايها الشاك مما يعبدون من دون الله باطل
والمرية هي الشك مع ظهور دلايل التهمة وهي ماخوذة من مري الناقة وهو مسح ضرعها للحلب مع ظهور اللبن
وقوله تعالى ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم معناه ما يعبدون الا على جهة التقليد كما كان اباوهم يعبدون
على جهة التقليد وقوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم اي حقهم من العذاب غير منقوص من مقدار ما استحقوه
ايسهم الله تعالى بهذا القول عن العفو ويقال اراد بالنصيب في الاية الارزاق والاجال وما قدر لهم في دنياهم
قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي

بينهم وانهم لفي شك منه مريب معناه ولقد اعطينا موسى الكتاب فصدق به بعضهم وكذب به بعضهم
ولولا وعد من الله سبق بابقا التكليف على الخلق الى وقت فنا الدنيا لما علم من المصلحة في ابقا التكليف
عليهم الى ذلك الوقت لقضي بتعجيل العقاب لمن استحق العقاب في الدنيا وبتعجيل الثواب لمن استحق
الثواب في الدنيا وقوله تعالى وانهم لفي شك منه مريب معناه وانهم لفي شك من القران مريب امره ٥
قوله عز وجل وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير معناه وان كلا الفريقين
المصدق جميعا لمجمعات يوم القيمة فيوفيهم ربك جزا اعمالهم على التمام انه بما يعملون لما استحقوا من الجزا عليم
قرا ابن كثير ونافع وان كلا لما بالتخفيف وقرا ابو عمرو والكسايي وان مشددة لما خفيفة وقرا ابو بكر
عن عاصم وان مخففة لما مشددة والباقون كلاهما مشدد فمن خفف لما شدد ان ولما عماد وصلة كما في
قوله تعالى عما قليل وفبما رحمة من الله فيصير المعنى وان كل صنف من السعيد والشقي ليوفينهم ربك اعمالهم
ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي كانه قال وان كلا الذي والله ليوفينهم وان خفف ان كان معناها مع اللام
معنى ان المشددة تقول ان زيدا لقايم وان زيد لقايم تريد اثبات قيامه فان قلت ان زيد لقايم فمعناه ما
زيد قايم ٥ ونظير هذا قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ ٥ بتخفيف لما تقديره لعليها حافظ ومن شدد
لما فان حقيقته ان فيها وبلا الجحد والتحقيق لان ان المخففة اذا دخلت عليها لما بالتشديد فمعناها النفي
ونظيره ان كل نفس لما عليها حافظ بتشديد لما وكانه قال ما كلا الا ليوفينهم ونصب كلا في قوله
تعالى وان كلا على هذا التاويل بليوفينهم لا بان وانما على قول الفرا معناه وان كلا لمن ما ثم قلبت
النون ميما واجتمعت ثلث ميمات فحذفت احداهن وهي الوسطى فبقيت لما على هذه القراة بالتخفيف لكن
شددت ومعناها التخفيف كما تقول ربت وربما بالتشديد والتخفيف ٥ قال الزجاج رحمه الله ويجوز
ان كلا لما ليوفينهم وهي قراة سفين بن عيينة رحمه الله وان كلا ليوفينهم جميعا لان معنى اللم الجمع ويقول
المت الشي المه لما اذا جمعت ويقال لم الله تعالى شعثك اي جمع الله تعالى شعثك ٥ قوله عز وجل
فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير معناه فاستقم يا محمد في
التمسك بطاعة الله تعالى كما امرت وليستقم من تاب معك ولا تطغوا المجاوزة امر الله تعالى انه
بما تعملون من الخير والشر بصير ٥ قوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اوليا ثم لا تنصرون معناه ولا تميلوا الى الذين ظلموا بالانس بهم
والمحبة لهم والرضى بفعلهم فتصيبكم النار كما تصيبهم وما لكم من دون الله تعالى من اعوان يدفعون
عنكم عذاب الله تعالى ثم لا تمنعون من عذابه ويقال لا تنصرون على اعدايكم لان الله تعالى لا
ينصر الا المطيعين قوله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن
السيات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين معناه واقم الصلوة في
الغداة والعصر وفي قوله تعالى طرفي النهار دليل ان تاخير العصر افضل وقوله وزلفا من الليل اي
ساعة بعد ساعة من الليل يعني صلوة المغرب والعشا الاخرة والزلف جمع الزلفة وهي الساعة القريبة
من اول الليل ويقال ان صلوة الظهر داخلة في قوله تعالى طرفي النهار لانها لا تقام الا بعد زوال الشمس
فاذا زالت الشمس فقد دخل الطرف الاخر من النهار خصوصا اذا اعتبر اول النهار من وقت طلوع الفجر وقوله
تعالى ان الحسنات يذهبن السيات قيل معناه ان الصلوات الخمس يذهبن الصغاير ٥ كما روي
في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما
بينهن ما اجتنبت الكباير وقيل معناه ان التوبة تكفر عقاب السيات ٥ وقيل اراد بالحسنات سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ٥ وقوله تعالى ذلك ذكرى للذاكرين اي ذلك الخطاب تذكير
للذاكرين الذين يذكرون اوامر الله تعالى وياخذون بها ويذكرون نواهي الله تعالى فيجتنبون عن

عن المعاصي وقوله تعالى واصبر اي اصبر على الطاعات وعلى اذى قومك فان الله لا يبطل ثواب المحسنين في
القول والفعل وقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في رجل
يقال له عمرو بن غزية الانصاري اتته امراة تبتاع تمرا فاعجبته فقال ان في البيت تمرا اجود منه فانطلقي معي
حتى اعطيك منه فانطلقت معه فلما دخلت البيت وثب عليها فلم يترك شيئا مما يفعله الرجل بالمراة الا وقد
فعله الا انه لم يجامعها وحذف شهوته ثم ندم فاغتسل واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما ادري ما ارد عليك حتى ياتي فيك شي فبينما هم كذلك اذ حضرت العصر فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل عليه السلام بتوبته بهذه الاية فقراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقراها عليه السلام عليهم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اخاص له ام عام فقال صلى الله عليه وسلم بل عام
للناس كلهم ٥ قوله عز وجل فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن
الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين معناه
فهلا كان من القرون الماضية وقيل فلم لا كان من القرون من قبلكم ذو بقية ينهون عن المعاصي في
الارض اي لماذا اطبقوا كلهم على المعصية حتى استحقوا بذلك عذاب الاستيصال والبقية في اللغة ما يمدح به
الانسان يقال فلان ذو بقية وفي فلان بقية وقيل البقية الخير من خير من الماضين ٥ وقوله تعالى الا قليلا
ممن انجينا منهم معناه الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الانبيا صلوات الله عليهم والصالحون
رحمهم الله فانجيناهم من العذاب ٥ وقوله تعالى واتبع الذين ظلموا اي اقبلوا على ما خولوا في دنياهم واشتغلوا
بها عن طاعة الله تعالى فلم ينتهوا عن الفساد ولا انزجروا عنه والمترف الذي عود نفسه التنعم وقوله تعالى وكانوا
مجرمين اي كانوا مذنبين بترك الامر بالمعروف ٥ قوله عز وجل وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون قيل معناه لم يكن ربك يهلك القرى بظلم منه عليهم اذا كان اهلها مصلحين ولكن
كان انما اهلكهم بظلمهم لانفسهم وقيل معناه لم يكن يهلكهم بظلم يقع من قليلهم حتى يقع الظلم الكثير
من كثيرهم فيكون الفساد اغلب وقيل اراد بقوله تعالى بظلم صغيرة منهم وقيل لا يهلكهم في الدنيا بشركهم
وهم يتعاطون الحقوق فيما بينهم لان مكافاة الشرك النار وانما يهلك الله تعالى بزيادة المعصية على الشرك كما في
قوم لوط وقوم صالح وقوم موسى وغيرهم عليهم السلام ٥ قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين قيل معناه ولو شاء ربك لجعلهم كلهم على دين الاسلام ولكن علم انهم كلهم انهم
ليسوا باهل لذلك وقيل لو شاء لالجاهم الى الايمان فامنوا كلهم ضرورة ولكن لو فعل ذلك لزال التكليف ولم
يستحقوا المدح والثواب وقوله تعالى ولا يزالون اي لا يزالون مختلفين في الدين فان الله تعالى مكنهم
من الخير والشر جميعا اذ التكليف يقتضي التمكين منهما جميعا ٥ وقوله تعالى الا من رحم ربك معناه الا من عصمه
ربك من الباطل والاديان المختلفة بان لطف به ووفقه للايمان المودي الى الثواب ٥ فهو ناج من الاختلاف
بالباطل ٥ وقوله تعالى ولذلك خلقهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله معناه
خلقهم اي لكي يوصلوا الى رحمتهم كما قال عز من قايل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ويقال معنى قوله
ولذلك خلقهم وللاختلاف خلقهم فيكون اللام في هذه لام العاقبة حتى تكون توفيقا بين هذه الاية
وبين قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ويقال معناه قوله وتمت كلمة ربك معناه ووقعت
كلمة ربك صدقا ووقع مخبرها على ما اخبر به وهذا اخبار عن المعلوم من حالهم انهم يستحقون العذاب ٥
قوله عز وجل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق
وموعظة وذكرى للمومنين معناه وكل القصص ونقال لكل ما يحتاج اليه نبينه لك من
اخبار الرسل ما تطيب ويسكن به قلبك وفي هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا ضاق

صدره

صدره بما يكون من الاذى من قومه كان الله يقص عليه شيا من اخبار الرسل عليهم السلام المتقدمين
مع اممهم ليثبت به فواده ولهذا لم يكن تكرار قصص الانبيا صلوات الله عليهم في القران مذموما وقوله
تعالى وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة الصدق في ان الخلق يجزون على اعمالهم وليس اذا قيل لك وجاءك في
هذه الحق وجب ان يكون لم ياتك الحق الا فيه ٥ وقيل المراد بقوله تعالى في هذه الدنيا والموعظة تعريف
القبيح للزجر عنه وتعريف الحسن للترغيب فيه والذكرى هي التذكر ٥ قوله عز وجل وقل
للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون معناه قل لهم اثبتوا على
ما انتم عليه كثبات الرجل على مكانه هذا على وجه التهديد وقوله تعالى انتظروا اي ما يعدكم الشيطان
فانا منتظرون نزول ما وعدنا الله تعالى بنا ونزول ما وعد الله تعالى بكم ٥ قوله عز وجل
ولله غيب السماوات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون
معناه ان الله تعالى ما يكمل غاب عن العباد في السموات والارض واليه يرجع امر العباد كله فاطعه
وفوض امورك اليه ٥ وقوله تعالى وما ربك بغافل اجمع الوعد لمن اطاعه بالثواب والوعيد لمن عصاه
بالعقاب ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة هود عليه السلام اعطي من الاجر بعدد من صدق نوحا وهودا وشعيبا ولوطا
وصالحا وابرهيم وموسى عليهم السلام ومن كذبهم عشر حسنات وكان عند الله يوم القيمة من
الشهدا وبالله التوفيق ٥ سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مايه
واحدى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات
الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون قوله تعالى الر قد سبق تفسيره وقوله
تعالى تلك ايات الكتاب قيل معناه هذه ايات الكتاب وقيل معناه سورة يوسف عليه السلام ايات
الكتاب على القول الذي يقال ان الر اسم السورة ومعنى المبين الفاصل بين الشيئين في ما يوجب الضمير بينهما
وقوله تعالى انا انزلناه اي انزلنا الكتاب يعني القران على مجاري كلام العرب في مخاطباتهم لكي يدركوا
ولو انزلناه بغير لغة العرب لم يعلموا ٥ قوله عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص بما
اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين وذلك ان علما اليهود قالوا لكبرا
المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لما انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وسلوه عن قصة
يوسف عليه السلام فانزل الله عز وجل هذه السورة وذكر فيها سبب انتقال يعقوب مع بنيه الى
مصر ويقال اراد بقوله تعالى احسن القصص جميع القصص التي في القران فان الله تعالى ذكر
في القران اخبار الامم الماضين وحال رسلهم عليهم السلام وذكر جميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيمة
باعذب لفظ في احسن نظم وترتيب ٥ ومعنى قوله تعالى نحن نقص عليك اي نبين لك احسن البيان
والقصص مصدر والقاص هو الذي ياتي بالقصة على حقيقتها وقوله تعالى بما اوحينا اليك فان ذكر
القصص قد يكون في القران وقد يكون في غير القران وقوله تعالى وان كنت من قبله معناه وقد كنت من
قبل نزول جبريل عليه السلام بالقران غافلا عن قصة يوسف عليه السلام وعن الحكمة التي فيها
قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين متصل بما قبله فان معناه نحن نقص عليك احسن القصص اذ قال يوسف لابيه
يا ابت قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك انه قال لابيه اني رايت في المنام احد عشر كوكبا
نزلن من اماكنهن فسجدن لي واراد بذلك سجود التحية له والعبادة لله تعالى كما تقدم في سجود
الملايكة عليهم السلام لادم عليه السلام قال وكانت رؤياه ليلة القدر ليلة الجمعة وكان تاويل
رؤياه عند يعقوب عليه السلام ان الشمس هو والقمر خالته فان ام يوسف عليه السلام وهي راحيل

مدمات وان الاحد عشر كوكبا كان اخوة يوسف عليه السلام وكانوا احد عشر اخا له وانهم كلهم تخضعو
ليوسف عليه السلام وانما تاولها على ذلك لانه لا شي اضوء من الشمس والقمر ويهتدي بضوءها اهل الارض
ثم لا شي بعدهما اضوء من الكواكب فدلت روياه على ان الذين تخضعون له هم الهداة الذين يهتدي بهم
الناس وقوله تعالى رايتهم لي ساجدين ليس بتكرار لانه اراد بالرؤية الثانية رؤية سجودهم له وانما حملت الاية
على الرويا لا على الروية بالعين لانا لا نعلم ان الكواكب لا تسجد من الحقيقة به للادميين ٥ ولهذا قال
يعقوب عليه السلام لا تقصص روياك على اخوتك واما دخول تاء التانيث في يا ابت لانكوبه الا ان لندلخا
لزمت عوضا عن يا الاضافة وقد يسمى المذكر باسم فيه علم التانيث يقال غلام يفعة ورجل ثقة ويسمى المذكر
باسم المونث ويقال نفس وعين ويراد بها الرجل ومن قرا يا ابت بكسر التا فعلى الاضافة الى نفسه ومن قرا
بالفتح فاصله يا ابتا حذفت الالف وبقيت الفتحة كما حذف يا الاضافة ومن قرا احد عشر بتسكين العين
فهو لتتابع الحركات ولا يجوز اسكان العين في اثنا عشر ٥ وقرا احد عشر بتسكين اليا وانما قراه
العامة بنصب الجميع وعليها الناس وهما اسمان جعلا اسما واحدا كحضرموت وبعلبك ٥ وروي ابن
عباس رضي الله عنهما انه لما قص يوسف عليه السلام رويا على ابيه انتهره وزجره لئلا يفطن اخوته وقال
له في السر اذا رايته وبا بعدها فلا تقصص روياك على اخوتك فذلك قوله عز وجل قال يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان
ربك عليم حكيم ٥ وقيل المراد بقوله لا تقصص روياك على اخوتك هذه الرويا وانما كان قصها على يعقوب
عليه السلام فقط وهذا القول اقرب الى ظاهر الاية وانما قال له لا تقصص روياك على معنى لا تخبرهم بذلك
لكي لا تحملهم الحسد والانفة عن الخضوع له على ان يتلوا الشر به والاحتيال لهلاكه والكيد هو طلب الشر بالانسان
على جهة الغيظ عليه وقوله تعالى ان الشيطان للانسان معناه ان الشيطان عدو ظاهر العداوة لبني ادم
فلا تذكر روياك لاخوتك لئلا يحملهم الشيطان على الحسد بك وانزال الضرر بك وهذا اصل في جواز ترك
اظهار النعمة عند من يخشى حسده وكيده وان كان الله تعالى قال واما بنعمة ربك فحدث ٥ وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على قضا حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ٥ وقوله
تعالى وكذلك يجتبيك ربك معناه مثل ما رايت من سجود الشمس والقمر والكواكب لك كذلك
يصطفيك ربك ويختارك ربك والاجتبا مشتق من جبيت الشي اذا اخلصته لنفسك ومنه جبيت الما
في الحوض وقوله تعالى ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل معناه من تاويل الرويا لتريد احاديث عن
روياهم ويقال نعلمك عواقب الامور الحادثة ويقال نعلمك الشرايع التي لا تعلم الا من قبل الله تعالى ٥ وقوله
تعالى ويتم نعمته عليك معناه ويتم نعمته عليك بالنبوة كما اتم نعمة النبوة على ابويك وقوله تعالى وعلى آل يعقوب
اي ويتم نعمته ايضا على اولاد يعقوب عليه السلام بك لان ذلك يكون شرفا لهم اي تكون النبوة فيهم وقوله
تعالى ان ربك عليم حكيم معناه عليم بجميع الامور وبمن هو اهل النعمة حكيم في افعاله ٥ وفي بعض التفاسير
ان يعقوب عليه السلام كان خطب الى خاله ابنته راحيل على ان يخدمه سبع سنين فاجابه فلما
حل الاجل زوجه ابنته الكبرى ليا فقال يعقوب عليه السلام لخاله لم يكن هذا من شرطي قال انا لا ننكح
الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاخدمني سبع سنين اخرى وازوجك راحيل فكان الناس يجمعون بين
الاختين فرعى له يعقوب عليه السلام سبع سنين اخرى فزوجه راحيل فكان الناس يجمعون بين الاختين
فرعى له يعقوب عليه السلام سبع سنين الاخرى ودفع الى كل واحدة من ابنتيه امة تخدمها فوهبتا الامتين
ليعقوب عليه السلام فولدت ليا اربعة بنين روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي وولدت راحيل عليه السلام
وبن يامين وولدت الامتان بنتاليل ونقاتيل ودان ونستاجر وجاد واستوفل فجملة بنيه اثنا عشر

ولدا

ولدا سوى البنات فان قال قائل ان كان يعقوب عليه السلام علم ان الله تعالى يجتبي يوسف عليه
السلام ويعلمه من تاويل الاحاديث فلما اذا قال له لا تقصص روياك على اخوتك وكيف قال لهم فاخاف
ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون مع علمه بان الله تعالى سيبعثه رسولا ٥ قيل يحتمل ان كان علم ان
الله سيبلغه هذه المنزلة اذا بقي في الاحيا وسلم من الكيد لانه عليه السلام قدم ذكر ما يكون امره
بالتحرز عن كيدهم ثم قال وكذلك يجتبيك ربك ٥ وجواب اخر وهو الاصح انه عليه السلام كان علم
من طريق القطع ان الله تعالى سيبلغه هذه المنزلة ولكن كان مع ذلك يخاف من وصول المضار
اليه بكيدهم وان لم يخف الهلاك واراد بقوله واخاف ان ياكله الذئب الزجر لهم عن التهاون في
حفظه وان كان يعلم ان الذئب لا يصل اليه لم يصدقهم في قولهم فاكله الذئب بل حاجهم بما ظهر به
واما حزنه الشديد على يوسف عليه السلام حتى ذهب بصره مع علمه بسلامته فقد يحزن الانسان على
المفقود والغائب كما يحزن على الميت بل لا يكون الحزن مع الرجا اكثر واقوى من الحزن مع الياس
فان قيل لو كان المراد باتمام النعمة في الاية النبوة على معنى انه لم يكن تمام نعم الله تعالى على ابويه من
قبل الا بالرسالة الوجب في قوله تعالى وعلى آل يعقوب ان يكون اولاد يعقوب عليه السلام انبياء
فكيف يجوز ان يكونوا انبيا وقد اقدموا على ما اقدموا عليه في امر يوسف عليه السلام واخيه قيل
يحتمل ان يكون المراد بال يعقوب عليه السلام على ما ذهب اليه بعض المفسرين رحمهم الله فان كان
المراد هو الاول فلا سؤال وان كان المراد هو الثاني فيجوز انهم فعلوا ذلك في حال كونهم مراهقين
قبل بلوغ الحلم ولا بد بلام من هذه حاله ٥ وفي قوله تعالى يرتع ويلعب بالنون دليل على صغرهم اذ لولا ذلك
لما جاز ان تخاطبوا بذلك اباهم مع عظم محله ولئن كانوا بالغين على ما استدل عليه بعضهم من قوله
وتكونوا من بعده قوما صالحين وقولهم قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والجواب ما سنذكر في تاويل
ذلك من بعد في مواضعه ويقال اراد بقوله تعالى ويتم نعمته عليك بالتخليص من الجب كما خلص الله تعالى
ابرهيم عليه السلام من النار واسحق عليه السلام من الذبح والله اعلم ٥ قوله عز وجل لقد
كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن
عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين معناه لقد كان في خبر يوسف عليه السلام واخوته عبرة للسائلين
عنهم وهي انهم دبروا في قتله ثم اجتمعوا على القائه في البئر ثم ان الله تعالى مكنه منهم واظهره عليهم
ولم يعاقبهم ولا عاتب غيرهم بما كان منهم ٥ وفي قوله تعالى آيات بعث القارئ للقران على تدبره
والاعتبار به في امر الدين والدنيا ٥ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال دخل حبر من اليهود
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه قراة يوسف عليه السلام فعاد الى اليهود يعلمهم انه سمعها كما في
التورية فانطلق نفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا من علمكها فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى
علمنيها فنزل قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اي لمن سال عن امرهم واراد ان
يعلم علمهم ثم استانف تعالى خبرهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه معناه انهم قالوا ليوسف واخوه بنيامين
احب الى ابينا منا ونحن عصبة اي جماعة والعصبة العشرة فما فوق ذلك سموا عصبة لان بعضهم يتعصب
ببعض ويعين بعضهم بعضا ٥ وقوله تعالى ان ابانا لفي ضلال مبين معناه ان ابانا لفي خطا بين في ترك
العدل في المحبة بيننا ويقال لفي خطا من التدبير باختياره صغيرين لا منفعة له فيهما علينا مع انا نسعى
في منافعه ونرعى اغنامه ونتعهدها فان قيل كيف يجوز منهم ان تحسدوا اخاهم ويبنوا فيما بينهم وجه
الحسد بقولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ثم يعدوا زيادة محبة ابيهم لاخيهم ضلالا وهم الانبيا ثم
يترشحون للنبوة وكانت زيادة محبة ابيهم لاخيهم حقا وصوابا قيل ان مثل هذا انما يكون بطريق الاجتهاد
ولا يمنع ان اجتهادهم ادي الى ان ما يفعله ابوهم خطا في الراي وكان يعقوب عليه السلام انما كان يفعل ذلك

بطريق الاجتهاد واما الوحي ورد عليه او لزيادة شفقة منه عليهما لوفاة امهما قال الحسن رضي الله عنه ان المؤمن قد يحسد وضرب المثل باخوة يوسف عليه السلام وكان عنده ان مثل هذا الحسد قد يكون صغيرة او لا يمتنع من كون فاعله مرشحا للنبوة ۞ **قوله عز وجل** اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين وذلك انهم عند اظهار هم الحسد فيما بينهم تعدوا الى نهاية ما يفعله الحاسد من قتل او تبعيد على وجه يقع به الياس من اجتماعه مع ابيه وهذه بلية تختص بها من يصحب الرجل المقدم في دين او دنيا فيحب كل واحد منهم ان لا يتقدمه في الاختصاص بذلك المقدم احد غيره فتوامروا بذلك فيما بينهم على احد هذين الشرين وقوله تعالى يخل لكم وجه ابيكم معناه تخل لكم وجهه عن يوسف عليه السلام وتخلص محبته لكم وقوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين معناه وتتوبوا بعد ذلك عن هذا الذنب ويصلح حالكم مع ابيكم وقيل انما استحار وا هذين الشرين وانحروا عليه بسبب القول الذي قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين فرجوا التوبة بعد هذا الفعل ۞ ونظيره قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه قيل في معنى يعزم الانسان على المعصية ويسوف التوبة بقول افعل ذلك ثم اتوب ويكون بهذا الرجا كالمستحل للذنب العظيم الذي يقدم الانسان عليه هذا هو الثاني وقيل ان ثبت انهم كانوا بالغين وكانوا مع ذلك انبيا ولم يثبت والله اعلم ۞ وفي الاية دليل ان توبة القاتل مقبولة خلاف ما قاله بعض الناس لان الله حكى عنهم قولهم وتكونوا من بعده قوما صالحين ولم ينكر عليهم ۞ واما قوله تعالى قال قائل منهم فاختلفوا في هذا القائل الذي اشار عليهم بانقص الشرين وهو الطرح في الجب فقيل انما قاله بعضهم هو روبيل وكان اكبرهم سنا وقال اكثرهم هو يهوذا وكان اعقلهم واسدهم واكثرهم قوة ۞ وقال تعالى في غيابت الجب معناه قالوا اطرحوه في قعر البئر يلتقطه بعض السيارة على الطريق والغيابة هو الموضع الذي غاب عن بصرك والجب هو البئر التي لم تطو بالحجارة ماخوذة من الجب وهو القطع سميت جبا لانه لم يحصل فيه الا قطع التراب وقوله تعالى ان كنتم فاعلين معناه قال لهم ان كنتم لابد فاعلين بما مر فافعلوا الى الامر والا فاتركوا كل ذلك فتسلموا وسلم ۞ والظاهر من قوله تعالى في غيابت الجب انه جب مشار اليه معروف وانه كان عالما بغيابته فانه اذا طرح فيه كان ابعد من المكروه فلما ابرموا هذا التدبير وعزموا عليه تلطفوا للوصول الى مرادهم وجاوا الى ابيهم فقالوا كما قال الله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون معناه قالوا لابيهم يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف هذا هو الاصل في قوله تعالى لا تامنا ادغم احدى النونين في الاخرى فالاظهار عند الحروف النونين من كلمتين وقوله تعالى وانا له لناصحون معنا النصح اخلاص العمل عن الغش والفساد وقوله تعالى ارسله معنا غدا نرتع ونلعب اي نذهب ونجي وننبسط يقرا كلاهما بالياء والنون والرتع هو التردد حينا وشمالا للاتساع في الملاذ يقال فلان يرتع في المال اي يتسع فيه في البلاد ومن قرا يرتع بكسر العين فهو من يرتعي اي يرعى ماشيته ومن قراها بالنون وكسر العين تحتمل هذا المعنى ويحتمل ان يكون معناه نتحارس ونحفظ بعضنا بعضا وقري نرتع بضم التاء وضم العين ونلعب بالنون على معنى نرتع ابلنا ونحن نلعب يقال رتعت الماشية اذا ارتعت وارتعت الماشية اذا ارعيتها ويقرا يرتع ويلعب بضم اليائين ۞ ولعنا اللعب فهو الفعل الذي يطلب منه الفرح من غير عاقبة محمودة على ذلك وهو على وجهين مباح ومحظور كما ورد في الحديث كل لعب حرام الا ثلثا ملاعبة الرجل اهله وفرسه وتاديبه فرسه واما قوله وانا له لحافظون لحافظون عن الاسوا وفي الاية دليل ان اللعب الذي ذكروه كان مباحا اذ لولا ذلك لانكره يعقوب عليه السلام وكان عادتهم ان يعبوا على ابيهم منه اللعب فسالوه ان يرسله معهم وكان هو عليه السلام يحب فيه ان يفرح بالفرح احدهما بينت الولد ۞ **قوله عز وجل** قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله

الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وذلك ان يعقوب عليه السلام ذكر شيئين الحزن لذهابهم لبعده عن مشاهدته والخوف عليه من ان تجده الذئب وقت غفلتهم عنه فياكله فاجابوه انه يمتنع ان ياكله الذئب وهم جماعة وان ذلك لو وقع لكانوا خاسرين ۞ وفي بعض الروايات ان يعقوب عليه السلام كان راى في منامه ان ذيبا يشتد على يوسف عليه السلام فمن ذلك قال واخاف ان ياكله الذئب فلقنوا ذلك منه فقالوا حين رجعوا اليه وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب ۞ **قوله عز وجل** فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون في الاية حذف معناه فاذن لهم في الذهاب به فلما ذهبوا به واتفقت دواعيهم على ان يجعلوه في البئر بعد ما كانت دواعيهم مترددة وجعلوه في غيابة الجب ۞ قال السدي رحمه الله فلما اخرجوه من عند ابيهم اظهروا له العداوة فجعل اخ له يضربه فيستغيث بالاخر فيضربه لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يقول يا ابتاه لو تعلم ما صنع بابنك فقال يهوذا اليس قد اعطيتموني موثقا الا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فدلوه فيه وتعلق بشفير البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال اردوا علي قميصي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يلبسونك ويونسونك فدلوه حتى اذا بلغ نصف البير القوه وكان في البير ماء فسقط فيه واوى الى صخرة فارادوا ان يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهوذا ۞ وكان يهوذا ياتيه بالطعام يوما بيوم ۞ واما قوله تعالى واوحينا اليه فقد اختلفوا في الوحي ۞ ذهب الاكثرون الى انه وحي النبوة ثم اختلفوا فقال بعضهم اوحى الله تعالى اليه وهو صغير كما فعل بعيسى عليه السلام ۞ وكان فيما اوحى اليه ان اصبر على ما اصابك واكتم حالك فانك تخبر اخوتك عما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك حتى تكون انت الذي تخبرهم ۞ وعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان يومئذ ابن سبع عشرة سنة وبقي في الجب ثلاثة ايام وفي بعض الروايات انه لما القي في الجب جعل يقول يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه وهو في البير ۞ **قوله عز وجل** وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون معناه وجاءوا الى ابيهم في اخر النهار يتباكون على يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو وعلى الاقدام لننظر اينا اعدى واقوى والاستباق في اللغة ان يكون الاعلى شي يتسابقون اليه والسبق ما يوضع بين اهل السباق في الرمي والركض ۞ وقوله تعالى وتركنا يوسف عند متاعنا اي تركنا معه متاعنا ليحفظه فاكله الذئب وما انت بمصدق لنا في امر يوسف لفرط محبتك له وتهمتك ايانا فيه وان كنا اهل الصدق عندك ويقال وان كنا الصادقين في هذا الحديث او عند انفسنا ۞ وقوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب معناه جاءوا على قميصه بدم ذي كذب فان الدم ليس يخبر فيوصف بالكذب ولكنه كان سبب الكذب على معنى انه لو لم يكن على قميصه اثر الدم لما امكنهم ان يقولوا اكله الذئب ويقال معنى كذب مكذوب فيه وذلك انهم لما القوا يوسف عليه السلام في البير نزعوا عنه ثيابه وذبحوا جديا ولطخوا ثوبه بدمه ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطر ببالهم ان يقال لهم ان الذئب اذا اكل انسانا لا بد ان يمزق ثوبه فلما جاءوا بثوبه الى يعقوب عليه السلام ونظر يعقوب عليه السلام الى ثوبه وقال لهم ما عهدت ذيبا احكم مثل هذا الذئب كيف اكل لحمه ولم يخرق قميصه ولو انهم كانوا خرقوا القميص حين لطخوه بالدم لكان ذلك اقوى في ازالة التهمة عنهم ولكن لابد في المعاصي ان تقترن بها الخذلان ۞ واما قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا معناه قال لهم يعقوب عليه السلام بل زينت لكم انفسكم في هلاك يوسف عليه السلام فضيعتموه ويقال ان يعقوب عليه السلام لما قال

لهم لو اكله الذيب لشق قميصه قالوا له قتله اللصوص قال لهم لو قتله اللصوص ما تركوا قميصه هل ارادوا الا الثياب
او المتاع فسكتوا متحيرين فقال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اي على جميل وقيل صبري صبر
جميل اولى بي من الجزع ٥ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصبر الجميل فقال صلى الله عليه وسلم
صبر لا شكوى فيه ومن بث فلم يصبر ٥ وقوله عز وجل والله المستعان معناه استعين بالله على الصبر على ما
تقولون ٥ وعن الشعبي رحمه الله انه كان يقول ان شريحا كان جالسا للقضا فجات امراة
تبكي وتشكو افقيل له يوشك ان تكون هذه مظلومة فقال شريح عمي رحمه الله قد جا اخوة يوسف
عليه السلام اباهم عشا يبكون وهم كذبة ظلمة ٥ قال الشعبي رحمه الله كان في قميص يوسف عليه السلام
ثلث ايات الدم والشق والقاوه على وجه ابيه فارتد بصيرا ٥ قوله عز وجل وجاءت سيارة
فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون
معناه جات قافلة من المسافرين الذين يسيرون في البلاد روي انهم جاوا من قبل مدين يريدون مصر
فاخطوا الطريق وتحيروا وجعلوا يهيمون في الارض حتى وقعوا الى الارض التي فيها الجب وهي ارض دوثر
دوثر بين مدين ومصر فارسل كل قوم منهم واردهم والوارد الذي يتقدم القوم لطلب الما فوافق جب يوسف
عليه السلام مالك بن ذعر وهو رجل من العرب من اهل مدين فادلى دلوه اي ارسلها في البير فتعلق بها يوسف
عليه السلام فلم يقدر على نزعه من البير فنظر فراى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى اصحابه وقال يا بشراي هذا
غلام قالوا ما ذاك يا مالك قال غلام احسن ما يكون من الغلمان واجتمعوا اليه واخرجوه من الجب ٥ وفي
قوله تعالى يا بشراي قراتان من قرا بيا الاضافة فهو خطاب بالفرح على القلب كما يقال يا فرحي ويا طوباي
ويا اسفي ومن قرا بغير يا الاضافة فمعناه تبشير الاصحاب بيوسف عليه السلام كما يقال يا عجبا ويراد به
يا ايها القوم اعجبوا ٥ وعن السدي رحمه الله انه قال ان الوارد نادى رجلا اسمه بشرى
فقال يا بشراي هذا غلام قال ابو عبيدة الاختيار بشرى بغير الاضافة لانه تحتمل البشرى التي هي البشارة
وتحتمل ندا رجل اسمه بشرى ٥ وقوله تعالى واسروه معناه اسر الذين وجدوا يوسف عليه السلام من
رفقائهم ومن القافلة مخافة ان يطلب منهم احد الشركة معهم في يوسف عليه السلام وقوله تعالى بضاعة
نصب على المصدر اي قالوا انما بيننا اذا القول ان اهل الما استبضعونا بضاعة لنبيعه لهم بمصر وتجوز ان
ان يكون بضاعة نصب على الحال على معنى انهم كتموه حين اعتقدوا التجارة فيه ويقال ان قوله تعالى واسروه
بضاعة راجع الى اخوة يوسف عليه السلام فانه روي انهم جاوا بعد ثلثة ايام فلم يجدوه في البير فنظروا فاذا
القوم نزول بقرب البير واذا هم بيوسف عليه السلام فقالوا هذا عبد قد ابق منا منذ ثلثة ايام وقالوا ليوسف
عليه السلام لئن انكرت انك عبد لناخذنك فلنقتلنك اترى انا نرجع بك الى ابيك وقد اخبرناه بان
الذيب قد اكلك وقالوا للقوم اشتروه منا فذلك معنى قوله تعالى واسروه بضاعة بان طلبوا من يوسف
عليه السلام كتمان شبه الا ان القول الذي تقدم اقرب الى ظاهر الاية وقوله تعالى والله عليم بما يعملون
يجري مجرى الوعيد فيما كانوا يعملون بيوسف عليه السلام ٥ وفي هذا دليل ان حكم اللقيط حكم
الاحرار ٥ وكذلك روي عن عمر وعلي وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ٥
قوله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قال عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما باعه اخوته من مالك بن ذعر بعشرين درهما فكانوا في ذلك يزنون
بالاوقية وهي اربعون درهما فما فوقها وكانوا يعدون ما دون الاوقية فاصاب كل واحد منهم
درهمين فلم ياخذ يهوذا منهم نصيبه واخذه الاخرون ٥ وقال الضحاك رحمه الله باعوه باثني عشر درهما
ويقال بعشرة دراهم لان اسم الدراهم تقع على الثلثة الى العشرة ٥ وقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين اي
لم يكن لهم رغبة فيه ولا في رده الى ابيه ولم يعلموا منزلته من الله تعالى وقيل كانوا في ثمنه من الزاهدين

اي لم

اي لم يكن مرادهم الثمن انما كان غرضهم ان يغيبوه عن ابيهم ٥ ويقال ان قوله تعالى وشروه كناية
عن الذين وجدوه وهو عطف على قوله تعالى واسروه بضاعة واراد بشروه اباعوه من اخوته بثمن بخس
اي بحرام منقوص عن الوزن يقال بخسه عن حقه اي نقصه عنه وقيل بخس ظلم فانهم اباعوه وهو حر
وقوله تعالى دراهم معدودة اشارا الى تقليلها ٥ وقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين اي كان الذين
اسروه يخافون ان يظهر انه حر ويانيهم مالكه ان كان عبدا فيبطل بيعهم ويقال معنى شروه اي الذين
وجدوه باعوه من قوم اخرين من السيارة بثمن حرام ٥ وفي الاية دليل ان الدراهم لا تتعين في العقود لان الله
تعالى سماها ثمنا مع كونها معينة والثمن اسم لما يثبت في الذمة من الدراهم والدنانير بدلا في البياعات
وانما يسمى غيرها ثمنا على جهة التشبيه بها هكذا قاله اهل اللغة ٥ قوله عز وجل وقال
الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا
ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ٥ وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان مالكا انطلق به حتى قدم مصر ثم
خرج بيوسف عليه السلام الى السوق فلقاه العزيز وهو خازن الملك وصاحب جنوده وكان
يسمى قطفير فباعه مالك منه بعشرين درهما وحلة ونعلين قال ابن عباس رضي الله عنهما وضحك
فاما الحلة فثوبان ابيضان ثم رجع به العزيز الى المنزلة فقال لامراته اكرمي مثواه اي منزلته عسى ان
ينفعنا في امورنا ويقال عسى ان نبيعه كثرة ربح على ثمنه وقوله تعالى او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه لا يولد لنا وانما
قال ذلك لما راى على يوسف عليه السلام من الجمال والعقل والهداية الى الامور ٥ قال عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه ان افرس الناس ثلاثة العزيز في فراسته في يوسف عليه السلام فان يوسف
عليه السلام نفع جميع اهل مصر في غلاتهم ومصالحهم ٥ وابنة شعيب في فراستها في موسى عليه السلام
حيث قالت يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين ٥ وابو بكر في توليته عمر رضي
الله عنه من بعده ٥ وذكر وهب بن منبه في كتاب المبتدا ان مالك بن ذعر
عرض يوسف عليه السلام في بيعه من يزيد فبلغ ثمنه بحيث لا يقدر عليه واشتراه بوزنه مرة مسكا
ومرة لولوا ثم فضة ثم ذهبا ٥ وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف معناه كما خلصناه من البير ومن
اخوته كذلك مكنا له في ارض مصر لينفع اهلها ٥ وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على
مضمر قبله كانه قال دبرنا له ذلك ليتمكن في الارض ولنعلمه بضروب من العلوم كما يوحى الى الرشد
مرة بعد اخرى ٥ وقوله تعالى والله غالب على امره معناه والله غالب على امر نفسه لا يقدر احد على دفع
ما اراد من امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله تعالى غالب على امره ٥ قوله عز وجل ولما
بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
لما بلغ ثماني عشرة سنة اتيناه النبوة والفقه وجعلناه حكيما عليما قال والاشد ثماني عشرة سنة
الى الثلثين سنة ويقال اقصاه اثنان وستون فاما الاستوا فهو اربعون سنة ٥ وقال الحسن رضي
الله عنه اعطي يوسف عليه السلام الرسالة عند هذه الحالة وكان اعطي النبوة من قبل ويقال معنى
اتيناه حكما وعلما اتيناه الحكم بين الناس فان الناس كانوا اذا تحاكموا الى العزيز امره ان يحكم
بينهم لما راى من عقله وامانته وعلمه ٥ ويقال معناه الحكمة في افعاله بالطف له حتى صارت افعاله على
ما تقتضيه الحكمة ٥ وقوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين اي كما جازينا يوسف عليه السلام على صبره
على المحن كذلك نجزي المحسنين في اقوالهم وافعالهم ٥ قوله عز وجل وراودته التي هو في
بيتها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما راودته

امراة العزيز واسمها زليخا وكان يوسف عليه السلام من احسن البشر اتاه الله حسن ادم عليه السلام وكان كضو النهار ونور الشمس وكان اذا تبسم راي النور في مضاحكه وكان بحيث لا يستطيع ادمي ان ينعت نعته فراودته اي طلبته بمرادها منه وغلقت الابواب عليه وعليها وقالت هيت لك اي هلم الي ما هيئ لك قال معاذ الله اي اعوذ بالله تعالى ان افعل ما لا يجوز فعله وقيل اعتصم بالله تعالى عن فعل ما تدعينني اليه وقوله تعالى انه ربي احسن مثواي ذهب اكثر المفسرين الى ان معناه ان زوجك سيدي احسن تربيتي ومنزلتي مدة مقامي عنده لا اخونه في اهله وسماه ربا للرق الذي كان ثبت له في الظاهر عليه وقيل معنا قوله انه ربي ان الله تعالى ربي احسن الي بتخليصي من البير ومما قصدني قومي من الاهلاك وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون اي لا يامن ولا ينجو من عذاب الله تعالى القوم الظالمين الذين يظلمون انفسهم اراد بهم الزناة ويجوز ان يكون اراد به انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالما لزوجها في اهله وقوله تعالى هيت لك قرات قري بفتح الها والتا لا تهيت بمنزلة الاصوات ليس منها فعل متصرف ومعناها الحث على سرعة الاقبال وهي غير مشتقة عن شي يستوي فيها الذكر والانثى والواحد والجمع ففتحت التا لالتقا الساكنين وسكون اليا قبلها نحو كيف واين يكون مبنيا على الكسر مثل امس وحيث ومن قرا بفتح الها وكسر التا فلان الاصل في التقا الساكنين تحرك الكسر ويجوز ان يكون مبنيا ورفع التا فعلى انها مبنية على الضم نحو حيث ومنذ ومن كسر الها وضم التا فمعناه تهيات لك من الهيئة يقرا بالهمز وبغير الهمز يقال هاب هيئة مثل قام قيئة ومن قرا هيت بكسر الها وفتح التا فانما فتحت التا لالتقا الساكنين ايضا لئلا يتوالى الكسرات ٥ واما قوله تعالى معاذ الله فهو نصب على المصدر اي اعوذ بالله معاذ الله مثل سبحان الله وغفران الله ٥ **قوله عز وجل** ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين قال الحسن رضي الله عنه اما همها فاخبث الهم وهو العزم على الفاحشة واما همه فهو ما طبع عليه الرجال من شهوة النسا من دون عزم على الزنا نحو ما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به وقال بعضهم لما احد الهمين بالاخر مع الاختلاف الذي بينهما وان كان ظاهر المقالة يقتضي بالاتفاق لانه قرن باللفظ ما يدل على اختلاف الهمين وهو قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء والهم بالشي في اللغة هو مقاربة الامر من غير مواقعة فيه يقال هممت ان افعل كذا فلم افعله ٥ واما قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقد اختلفوا في هذا البرهان قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم راى صورة يعقوب عليه السلام عاضا على انامله ٥ وقال قتادة رحمه الله سمع صوتا يا يوسف اتهم بفعل السفها وانت مكتوب في ديوان الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين ٥ ويقال نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطير الذي له ريش فيقعد ولا ريش له ويقال خرج كف بينهما بلا جسد مكتوب عليه ثلثة اسطر واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا والثالث ان عليكم لحافظين كراما كاتبين ٥ **وعن محمد بن كعب** القرظي رحمه الله قال يعني لولا ان راى برهان ربه لولا ما علمه من قبح الزنا ووجب العقوبة عليه وهذا كله محذوف الجواب وجوابه لولا ذلك لعزم على القبيح او عزم على ما تقتضي شهوته وهذا كما يقول القايل في من ظلمه لولا خوفي من الله اي لولا ذلك لتشفيت من ظالمي ويقال ان المراد بقوله تعالى وهم بها النفي دون الاثبات كانه قال ولقد همت به وتم الكلام ثم قال وهم بها لولا ان راى برهان ربه اي لولا ان راى ربه لهم بها ويكون الهم على هذا العزم وما اختلف اهل النحو في جواب لولا هل يجوز ان يكون مقدما عليها قال بعضهم لا يجوز ان يقال قد اتيتك لولا زيد واكرمتك لولا عمرو وقال بعضهم يجوز ذلك ويمكن ان تحمل على هذا القول على تقدير تقديم لولا كما يحمل الكلام في كثير من المواضع على التقديم والتاخير ٥ **واما ما روي عن يوسف عليه** السلام انه قعد منها مقعد الرجل من المراة وحل سراويله حتى روي عن بعضهم خرجت شهوته من انامله ففيه ما يمنع صحته لان من المعلوم ان المشهور في الفاسق اذا شاهد في حال المعصية من يعظمه يلحقه من المهابة ما يمنع معها شهوته فكيف يجوز ان تضاف مثل هذه الاشيا الى نبي من انبيا الله تعالى صلوات الله عليهم وقد الهم الله تعالى من البينات ما لا غاية بعده ولو كان الامر على ما قالوه لم يكن صرف الله تعالى عنه السوء لان الهم بالسوء سوء وقد قال جل ذكره في هذه الاية كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء اي مكنا له في الارض كذلك اريناه البرهان لنصرف السوء اي الخيانة والفحشاء يعني الزنا ولو كان كما قالوه لم يكن يوسف عليه السلام يستحق المدح بالاخلاص في طاعة الله تعالى وقد قال انه من عبادنا المخلصين وهذا معنى قراة الخفض ومن قرا المخلصين بنصب اللام فمعناه انه من عبادنا الذين اخلصناهم واصطفينا كما قال في اية اخرى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فقد تنزهه الله بل على انه عليه السلام كان منزها عما اضاف اليه بعض المفسرين رحمهم الله ٥ **قوله عز وجل** واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن او عذاب اليم قال اسمعيل السدي رحمه الله وذلك ان زليخا قالت ليوسف عليه السلام حين غلقت الابواب ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي فقالت ما احسن وجهك فقال هو للتراب ياكله فلم تزل حتى همت به وهم بها حتى صورة يعقوب عليه السلام يقول يا يوسف فهرب يوسف عليه السلام يخرج من الباب فادركته لترده فلما خشيت فوته خرقت موخر قميصه فذلك قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والقد قطع الشي ما بين طولا بالمشقة كقد السير والجلد وفيه تسميتهم القاق قدا وقوله تعالى والفيا سيدها لدا الباب معناه صادفا زوجها على الباب فسبقت المراة بالقا الذنب على يوسف عليه السلام فقالت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان تودعه في السجن او تعذبه بعذاب اليم وهو الضرب الوجيع فلقنته احد هذين الامرين وهذه كانت عادتهم في المذنب فلما ذكرت المراة ذلك لم يجد يوسف عليه السلام بدا من تبرية نفسه ٥ **فقال ما قال الله عز وجل** قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين معناه قال يوسف عليه السلام هي طالبتني بمرادها من نفسي وقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها روي انه كان مع زوجها بالباب ابن عم لها حكيم فقال ابن عمها قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص ولا ندري ايكما كان غلام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فهي صادقة وان كان من خلفه فهو صادق يعني ان كان هو المقبل منها وكانت هي الدافعة له عن نفسها تخرق القميص من قبل وان كان هو المتنا منها وكانت هي التابعة له في استباقهما يجب ان يكون الخرق من دبر وكان هذا القول منه على جهة الاستدلال بما جرت به العادة لا على وجه الحكم ٥ وذكر بعض المفسرين رحمهم الله في قوله تعالى وشهد شاهد من اهلها انه تكلم بهذا القول صبي في المهد لم يكن تكلم من قبل وقد طعنوا في هذا القول فقالوا لو كان الشاهد طفلا لم يكن لاضافته الى اهلها معنى وفايدة ولو كان طفلا لم يحتج الى الاستدلال بما جرت به العادة من تبرية يوسف عليه السلام بل كان يكون قوله معجزة تدل على نبوة يوسف عليه السلام وعلى برائته جميعا ٥ **قوله عز وجل** فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين معناه فلما راى ابن عمها قد القميص من خلفه ويقال فلما راى زوجها ذلك قال لها اهانة انه من كيدكن اي قولك ما جزا من اراد باهلك سوا من مكركن وصنيعكن ووصف كيدكن بالعظم لان للنسا في اللطف والحيل في باب الكيد ما لا يكون مثله للرجال ثم قال ليوسف عليه السلام بعد ما ظهرت برائته من الذنب يا يوسف اعرض عن هذا اي

امسكي عن هذا ذكرها حتى لا ينتشر في البلد وهي ما بين الناس ثم اقبل عليها وقال استغفري لذنبك فان الخطا كان منك ثم الفتيه على يوسف • وقد احتج مالك والحسن بن حي في الحكم بالعلامة بهذه الاية على مذهبهما ان اللقطة اذا ادعاها مدعي ووصفها وجب على الملتقط ان يدفعها اليه وكذا قالا في اللصوص اذا اخذوا امتعة فجا قوم فادعوها ووصفوها كان للسلطان ان يدفعها اليهم ولا حجة لهما على المذهب لانه لا خلاف بين الفقها ان الاملاك والايدي لا تستحق بالعلامات فان العطار والدباغ اذا اختلفا في عطر في ايديهما لم يكن العطار اولى من الاسكاف لاجل ذلك من صناعته وانما اعتبر اصحابنا العلامة في اليد الحكمية نحو اختلافهم في اختلاف الزوجين في متاع البيت على معنى ان يد كل واحد منهما ثابتة على الجميع من طريق الحكم الا ان احدهما اظهر تصرفا من الاخر في شي دون شي كما قالوا في الرجلين تنازعا في دابة لاحدهما عليها حمل وللاخر عليها مخلاة ان القول قول صاحب الحمل وكذلك قالوا في المؤجر والمستاجر اذا اختلفا في مصراع باب موضوع في الدار انه ان كان موافقا للمصراع معلق في البنا كان القول قول رب الدار والا فالقول قول المستاجر • **وعن مجاهد** رحمه الله ان امراتين اختصما الى شريح رحمه الله في ولد هرة قالت احديهما هو ولد هرتي هذه وقالت الاخرى هو ولد هرتي هذه فقال شريح رحمه الله القوها مع هذه الهرة فان هي درت واستقرت فهي لها وان هربت وفرت وارتابت فليست لها وكان هذا القول من شريح على جهة ما يغلب على الظن • يستحي المطلوب من المدعين فيحكم عليه بالاقرار • **قوله عز وجل** وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هن اربع نسوة امراة ساقي الملك وامراة خبازه وامراة صاحب سجنه وامراة صاحب دوابه قلن في امراة العزيز انها تدعو عبدها الى نفسها قد خرق حجاب قلبها فلا تعقل غيره والشغاف جلدة تشتمل على القلب يقال شغفه اذا رماه فاصاب ذلك الموضع منه كما يقال كبده اذا اصاب كبده وفاده اذا اصاب فواده وقوله حبا نصب على التمييز كانهن قلن اصاب حبه قلبها وسويدا قلبها • ومن قرا شعفها بالعين المهملة فمعناه ذهب بها الحب كل مذهب مشتق من شعاف الجبال الي روس الجبال ويقال فلان مشعوف بكذا اي ذهب به الحب حتى خيف على عقله وعد مجنونا • واما تذكير اللفظ من قوله تعالى وقال نسوة فلان النسوة تانيث جمع وتقدم عليه الفعل وتانيث الجمع تانيث اللفظ لا تانيث المعنى لانه لا يجتمع في اسم تانيثان فاذا اصاب كذلك صار فيه وجهان • ان حمل على اللفظ انث وان حمل على معنى فرح نسوة او جموع ذكر واما قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين فمعناه انا لنراها في خطا بين في حب عبدها يوسف عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما فجعلن يعشين هذا في المدينة فبلغ ذلك زليخا • **فذلك قوله عز وجل** فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • معناه فلما سمعت امراة العزيز بكلام هذه النسوة وذمهن لها ارسلت اليهن ودعتهن لوليمة اعدتها لها ويقال انما سمي قول النسوة مكرا لانها كانت اطلعتهن واستكتمتهن فافشين سرها وارادت ان تدفعهن فيما وقعت فيه ويقال كان غرضهن من كلامهن ان تريهن يوسف عليه السلام وقوله واعتدت لهن متكا اي اصلحت وهيات لهن متكا امكنة يقعد فيها ووسايد يتكين عليها وفي قراة بن عباس رضي الله عنهما متكا بالتخفيف بغير الهمز قال والمتك الاترج وقال الضحاك رحمه الله هو الزماورد نوع من الطبيخ وقال ابو عبيدة رحمه الله لا يعرف المتك في اللغة ولا يمتنع ان يقال انه كان في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من لفظ المتك فلا وقوله

تعالى واتت كل واحدة منهن سكينا لتقطع به الفواكه والاترج على ما جرت به العادة ويقال كانت وضعت اللحم والخبز بين ايديهن واعطتهن السكاكين لانهم كانوا لا ياكلون من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم كما يفعله العجم وقالت ليوسف اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه اي عظم عندهن ما راين من حسنه وجماله وبلغ من شغل قلبهن به ما قطعن ايديهن بما معهن من السكاكين بدل قطع الفواكه • قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خدشن ايديهن لا انهن ابنها بالقطع وهذا مستعمل في كلام العرب يقول الرجل لاخر قطعت يدي يريد خدشتها • وقال قتادة رحمه الله قطعن ايديهن حتى القينها وهن لا يشعرن ولفظ التقطيع في الجملة يقتضي القطع مرة بعد اخرى • ويقال معنى اكبرنه اي حضن من الفرح قال الشاعر • ناتي النسا على اطهارهن ولا • ناتي النسا اذا اكبرن اكبارا • قال ابو عبيدة رحمه الله هذا لا يعرف من اللغة وهذا البيت مثنون مولد وهو غير مذهب في شي وقال ولا ينكر ان يكون موقع يوسف عليه السلام في قلوبهن بلغ بهن الى ان حضن فان شهوة الانسان في قلب غيره قد تنتهي به الى الهلاك ويقال معنى اكبرنه امنين • **وقوله عز وجل** تعالى وقلن حاش لله اي قلن معاذ الله ان يكون هذا ادميا ليس صورته صورة بشر بل هو ملك كريم لانهن شبهنه بالملك وهن لم يرين الملك ولكن الناس اذا وصفوا بالحسن شبهوا بالملك وبالجن وشبهوا القبح بالشيطان وان لم يروه • وفي قوله تعالى حاش لله قراتان بالالف وبغير الالف وهي مشتق من قولهم كنت في حشا فلان اي في ناحية فلان والمعنى في حاش لله تنزيها لله تعالى وتبعيد وبراة اي قد نجا الله هذا عن هذا ومن قال انه بشر فقد اخطا في مقالته وان الله تعالى اعاذه من البشرية تقول حاشا لزيد من هذا اي تنحى وتباعد هو عنه • وقد يستعمل حاشا في اللغة بمعنى الاستثنا كقولهم اتاني القوم حاشا فلانا وخلا فلان • وفي قراة الحسن رضي الله عنه ان هذا الا ملك بكسر اللام • واما نصب قوله تعالى بشرا فلان ما في مثل هذا الموضع تكون بمعنى ليس في لغة الحجاز وفي لغة تميم لا تكون فنزل هذا بلغة الحجاز وقيل انما انتصب بنزع حرف الخفض تقديره ما هذا ببشر وقرا ما هذا بشرى اي بعبد مشترى وليست هذه القراة بشي • لان الكتابة بالالف • وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه بشر بالرفع • **قوله عز وجل** قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين معناه قالت لهن زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه اي عذلتني وفيه اشارة الى يوسف عليه السلام وكن مخاطبة لهن كما في قوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة • وقوله تعالى ولقد راودته عن نفسه اي دعوته الى مرادي فامتنع بالعفة ولئن لم يفعل ما ادعوه اليه ليسجنن في السجن وليكونا من الاذلة فيه مع السراق وقتلة الانفس • وجعلت هذا القول منها تخويفا له وهو جالس يسمع • والقراة الجيدة في ليكونا بالتخفيف ابدلت النون الخفيفة بالالف في الوقف يقال اضربا زيدا واصله اضربن زيدا بالنون كما تقول ارايت زيدا فتبدل الالف من التنوين • قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلما قالت زليخا هذا القول قالت هولا النسوة ليوسف عليه السلام اطع مولاتك فقال يوسف عليه السلام كما قال **الله تعالى** قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين معناه قال يوسف عليه السلام نزول بيت السجن احب الي اي قد وطنت نفسي على السجن والمصير اليه بدل ما تدعونني اليه من قبح الفعل والعمل وقيل معناه لو كان في السجن من ما يراد لكان مرادي السجن دون ما تدعونني اليه ويجوز ان يكون معناه ان السجن اسهل علي من ما تدعونني اليه من المعصية ولا يجوز ان يريد ان حبسهم اياه احب اليه لان ذلك معصية لله تعالى ولا يجوز ان يحب المعصية ولا ان يرضى بها • وقوله تعالى والا تصرف عني كيدهن معناه والا تلطف لي بما تصرف عني كيدهن امل اليهن بهواي واكن بمنزلة الجاهلين في فعلي ويقال واكن من الجاهلين

بنعمك علي وعلى ابايي ويقال ان في قوله تعالى والا تصرف عني كيدهن دليل ان النسوة طلبن منه مثل ما
طلبت امراة العزيز فانه روي انهن لما راين يوسف عليه السلام استاذن من امراة العزيز ان تخلو
كل واحدة منهن به وتدعوه الى امراة العزيز والى طاعتها فلما خلوت به دعته كل واحدة منهن الى نفسها
فلهذا اصبح لبينه **قوله عز وجل** فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين معناه فاجاب له ربه في دعايه فلطف له
ما صرف عنه كيدهن وعصمه من الفواحش انه هو السميع بدعا عباده العليم بضمايرهم ونياتهم وقوله
تعالى ثم بدا لهم معناه ثم بدا للعزيز واصحابه الذين كانوا ايشاورونه راي في حبسه اي ظهر لهم من الراي
ما لم يكونوا يعرفونه من قبل ذلك ان العزيز كان قال ليوسف عليه السلام اعرض عن هذا وامره
بالاعراض فقط ثم تغير رايه الان فراى حبسه الى مدة حتى تنقطع مقالة الناس ويأتي على هذا الحديث مدة
وقوله تعالى من بعد ما راوا الآيات اي بدا لهم حبسه من بعد ما راوا العلامات من شق القميص وقطع
الايدي وقضاء ابن عمها عليها فحبسه بعد ظهور عذره الى خمس سنين **قال** السدي رحمه الله قالت
امراة العزيز للعزيز ان هذا العبد العبراني فضحني فاما ان تاذن لي في الخروج فاخرج فاعتذر الى الناس
واما ان تحبسه فيكون عذرا لي **وعن كعب الاحبار** انه قال لما خلا يوسف
عليه السلام بزليخا صاح ابليس وسط جزاير البحار باصحابه فجاؤا اليه وقالوا ما لك يا سيدهم
قال لهم قد خلا احسن الناس وجها باحسن الناس وجها وهو يوسف عليه السلام وزليخا وانا من
امرها على احدى خلتين ان واقع يوسف عليه السلام المعصية نكست براس الخليل وان عصمه الله
تعالى رجعت خايبا وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ودخل معه السجن فتيان قال احدهما
اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبينا بتاويله انا نراك من
المحسنين **روي** انه دخل على يوسف عليه السلام بعد دخوله بخمس سنين غلامان للملك صاحب
شرابه واسمه شرهم وصاحب طعامه واسمه شرهم غضب عليهما الملك فاتهم صاحب المطبخ
بانه يريد ان يسمه وصاحب الشراب بانه مالاه على ذلك فحبسهما جميعا معا بعد ان مضى على حبس يوسف
عليه السلام بعدما تقليده ذكره ومعنى ودخل وجاز معه في الاية اجتماعهم جميعا في السجن وان
حبسا بعده بزمان وقوله تعالى قال احدهما معناه قال صاحب الشراب اني اري في المنام كاني اعصر
العنب الخمر وذكر النوم لان الحال تدل انه لا يري نفسه في اليقظة يعصر خمرا وانما سمي في الاية
العنب باسم الخمر لان الاسم قد يسمي باسم ما يؤول اليه كما يقال للذي يصنع من التمر الدبس هذا يعمل
الدبس وقال **الضحاك** رحمه الله الخمر هو العنب بعينه بلغة اهل عمان وقيل في الانار اضمار وتقديره
اعصر عنبا لاصنعه خمرا ولا بد من حمل اللفظ على احد هذين الامرين لان الخمر المايعة لا يتاتى فيها العصر وقوله
تعالى وقال الآخر معناه وقال الخباز اني اري نفسي في المنام احمل خبزا محمولا ياكل الطير من ذلك الخبز
قالا له نبينا بتاويله اي بتعبير رويانا انا نراك من المحسنين في السجن وذلك ان يوسف عليه السلام
كان بث علمه في اهل السجن وكان يحدثهم ويجتمعون اليه فاحبه صاحب السجن وجعله على
اهل السجن وكان يتعبد لله تعالى نهاره صايما وليله قايما وكان يعين المظلوم وينصر الضعيف
ويعود المريض ويداويه ويعين المكروب واذا احتاج احد منهم جمع له وقيل معنى من المحسنين العالم
بعبارة الرويا لانه كان يعبر لغيرهما قبل روياهما وكانوا يجدونه تاويلها على حسب تعبيره وهذا
من قولهم فلان يحسن كذا اي يعلمه **قوله عز وجل** قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون واتبعت ملة آبايي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وذلك ان يوسف عليه السلام
راى هذين العبدين في السجن مهمومين حزينين قال لهما ما بالكما قالا لرويا رايناها قال لهما عليه السلام
قصاها علي فاخبركما بتاويلها فقالا له كيف تعلم ولست بساحر ولا بكاهن ولا منجم فقال لهما يوسف عليه
السلام واراد ان يخبرهما بعلمه قبل تعبير الرويا ويبين لهما علامة نبوته ودلالة توحيد الله تعالى لكي يسلما
فذلك قوله تعالى لا ياتيكما طعام قال الحسن رضي الله عنه كان يخبر عما غاب كما كان عيسى
عليه السلام يفعل حيث قال وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون فيكون معنى قوله تعالى لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله تفسير ذلك الطعام في لونه ومقداره وكيفيته ومهيته والسدي رحمه الله
قال معنى قوله تعالى ترزقانه في المنام الا نباتكما بتاويله في اليقظة ويقال كان الملك اذا اراد ان ياخذ
المسجون امرا من قتل وغيره ذلك امر ان يصنع له طعام ويقدم اليه فقال يوسف عليه السلام لهما لا ياتيكما طعام
من عند الملك ترزقانه الا اخبرتكما ما الذي الملك بذلك الطعام قبل ان يفعل بكما الملك ما يريد ان يفعله بكما
وقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي اي ذلك التاويل مما علمني ربي والتعليم قد يكون بوضع العلم في القلب وقد
يكون بنصب الادلة التي يستدرك بها العلم وقوله تعالى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالبعث
بعد الموت جاحدون واتبعت شريعة آبايي ابراهيم وهو ابو جدي اسحق وهو جدي وابي يعقوب وهو ابي
عليهم السلام وقوله تعالى ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ظاهر المراد وقوله تعالى ذلك من فضل الله
علينا اي من الله علينا بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعالى عليهم
قوله عز وجل يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ان
لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه قال يا صاحبي السجن
ارباب متفرقون بعضهم من خشب وبعضهم من حجارة ومن فضة ومن ذهب ومع تفرقهم قد شملهم
العجز والنقص والحاجة خير ام عبادة الله الواحد القهار الذي لا ولد له ولا شريك القهار الغالب الذي لا
يعجزه شيء ما تعبدون انتم من دون الله الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم آلهة وليست فيها معاني هذه الاسماء
التي سميتموها انتم وآباؤكم فهذه الاسماء اسماء فارغة عن المعاني ويقال كانوا يعبدون اصناما لم
يكن لتلك الاصنام اسامي ولم يكونوا يسمون الها كما يعبد الله تعالى نحن من دون ان نسير اليه
ولذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء وقوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله تعالى
بعبادتكم لها من حجة وقوله تعالى ان الحكم الا لله اي ما القضا بالامر والنهي الا لله تعالى وقد امر
في الكتب كلها ان لا تعبدوا الا اياه ولا تجوز العبادة الا له ولا يستحق العبادة احد غيره وقوله تعالى
ذلك الدين القيم اي الذي ادعوكم اليه هو الدين القايم الذي يرضاه الله تعالى لا عوج فيه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك **قال** ابن جريج رحمه الله انما عدل عن تاويل الرويا الى هذا لانه لما راى في التاويل
على احدهما من المكروه فلم يدعاه حتى اخبرهما ويقال كان عليه السلام من قبل هذا لم يكن يطمع من اهل
ان يقبلوا منه ويستمعون اليه فلما راهم مقبلين عارفين باحسانه امل منهم القبول والاستماع فدعاهم
الى توحيد الله تعالى ولما حكى الله تعالى ذلك لنا لنقتدي به فيه **قوله عز وجل** يا صاحبي
السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي
فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين روي ان صاحب الشراب قال ليوسف عليه السلام رايت كاني ادخل بستانا فيه
كرمة حسنة فرايت في الكرمة حبلة عظيمة في الحبلة ثلثة قضبان وفي القضبان ثلثة عنا قيد قد
اينع وبلغ فاخذتها وعصرتها في الكاس ثم اتيت بها الملك فناولته يوسف وسقيته فقال له يوسف عليه

السلام ما احسن ما رايت اما البستان فسلطانك الذي كنت عليه واما الكرمة وحسنها فهي عزك وكرا
في ذلك العمل واما الثلاثة القضبان فهي ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يرضى عليك الملك ويخرجك من السجن
ويردك الى احسن ما كنت عليه وقال الخباز رايت كاني خرجت من مطبخ الملك احمل فوق راسي ثلاث
سلال من الخبز فوقع طير على اعلاهن فاكل منها فقال يوسف عليه السلام اما خروجك من المطبخ
فهو ان تخرج من عملك واما الثلاث السلال التي كانت على راسك فهي ثلاثة ايام تكون في السجن واما اكل الطير
فهو ان يخرجك الملك بعد ثلاثة ايام ويقتلك ويصلبك وتاكل الطير من راسك فقال الخباز
اني لم ار شيئا الا ان صاحبي حكى بالخمر وحكيت انا بالخبز ويقال ان الخباز ما كان راى في الحقيقة شيئا
فقال لهما يوسف عليه السلام قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ من الامر الذي سالتما عنه فهو كائن
لا محالة رايتما ام لم تريا وفي هذا دليل ان الذي كان يقول يوسف عليه السلام كان يقوله من
جهة الوحي لان المعبرين بالرؤيا لا يقطعون على ان ما يفسرونها عليه سيقع لا محالة وقوله تعالى
وقال للذي ظن انه ناج منهما معناه قال يوسف عليه السلام للذي علم انه ناج منهما وهو صاحب
الشراب اذكرني عند ربك سيدك الملك اني مظلوم عدا علي اخوتي فباعوني وانا حر وحبست في السجن
وانا مسجون فانما اقام الظن مقام العلم لان ذلك يستعمل كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه
ويقال ان الظن في هذه الاية راجع الى صاحب الشراب كانه قال يوسف عليه السلام للساقي الذي
ظن ان يوسف عليه السلام صادق فيما ذكر من نجاته وكان هذا السؤال من يوسف عليه السلام
على جهة الغفلة وقوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه معناه انسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف
عليه السلام عند سيده الملك اي شغله عن ذلك بما كان يدعو اليه من اشتغاله بركوب شهواته
وخدمته لملكه وليس النسيان من فعل الشيطان فيه لان الشيطان لا يقدر على ذلك الا انه
اضيف اليه لانه حدث عند وسوسته ويقال كانت وسوسة الشيطان ان خطر بباله انك ان ذكرته
السجن عند الملك يرجعك في السجن فلذلك لم يذكره وقيل معنى قوله تعالى فانساه الشيطان انسى
الشيطان يوسف عليه السلام ذكر ربه حين التمس من الناجي منهما ان يذكره عند سيده وكان
من حقه ان يتوكل على الله تعالى في ذلك وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اي لبث بسبب
ذلك في السجن بضع سنين محنة واختلفوا في ذلك البضع في اللغة ما بين الثلث الى السبع واشتقاقه من
البضعة وهي القطعة من الشيء والقطعة من العدد قليل وتكثر الا ان المروي في الخبر انه بقي في السجن
بعد هذا القول سبع سنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي
يوسف لو انه ذكر ربه ولم يستغث الملك ما لبث في السجن ما لبث وروي ان رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس اكرم حسبا قال صلى الله عليه وسلم احسنهم خلقا وخلقا
فقال اي الناس اكرمهم حسبا قال صلى الله عليه وسلم احسنهم عملا قال فادبر الرجل عنه فقال له
سالتني عن اي الناس اكرم حسبا يوسف عليه السلام صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله ما منعه ذلك ان لبث في العبودية بضعا وعشرين سنة قوله عز
وجل وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون روي عن ثابت البناني
رحمة الله عليه انه قال اشتكى يوسف عليه السلام في السجن فامر الله تعالى جبريل عليه السلام ان
ان يعوده فعاده فعرفه يوسف عليه السلام لكثرة اختلافه الى ابائه عليه وعليهم السلام فقال
له يا اخا المنذرين ما تصنع بين المذنبين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر ابن الطاهرين رب العزة
يقول من حبسك الى ابيك الى اخوتك قال هو ورفع باصبعه الى السماء قال لكن افتكك من ايدي اخوتك

قال

قال هو واشار بيده الى السماء قال لكن يسهل لك السيارة في القفر حتى اخرجوك من قعر الجب قال هو قال
فمن حبسك الى من كنت عبده حتى اتخذك ولدا قال هو ثم نشر جبريل عليه السلام جناحه واشار الى
الارض فانفرجت قال يا يوسف انظر ماذا ترى قال ارى هواء ثم اشار جبريل عليه السلام الى الارض ثانيا
فانفرجت كلها حتى نظر يوسف عليه السلام الى الصخرة التي عليها الارضون فقال جبريل عليه السلام يا يوسف
ما ترى في الصخرة قال ارى عليها الذرة قال ما ترى في فم الذرة قال ارى طعاما قال له رب العزة سبحانه كما يقول
لك يا يوسف انا اذكر هذه الذرة في هذا الموضع لم انساك في هذه على وجه الارض ما استحييت مني حتى
تقول لعبد مثلك اذكرني عنده هلا قلت يا رب فقال يوسف عليه السلام يا رب اسالك بحق اباي الا غفرت
لي قال واي حق لابائك اما ابرهيم فالقوه في النار فصرفتها عنه فجعلتها بردا وسلاما واما جدك اسحق فانه
فدحه ابوه للذبح ففديته بذبح عظيم واما ابوك يعقوب فاعطيته اثنا عشر ولدا فاخرت واحدا منهم بان
بعدته عنه فما زال يبكي ويشكو حتى ابيضت عيناه قال يوسف عليه السلام فاسالك بملكك القديم
وفضلك العظيم واياديك الكثيرة الا غفرت لي قال الان اغفر لك واخرجك قال ثابت رحمه الله لا تركا
بعد ذلك من رؤيا الملك ما كان فاخرجه الله تعالى من السجن هكذا روى اهل الوعظ هذا الحديث
الا ان هذا حديث مشتمل على فصول يرد القبول احدها ان يوسف عليه السلام كان لا يخفى عليه
الذكر والنسيان لا يجوز على الله تعالى مع ان استغاثة المظلوم باحد من المخلوقين لا تعد من الذنوب
والثاني انه لا يجوز لاحد ان يقسم على الله عز وجل بالمخلوقات ولا ان يقسم عليه بحق مخلوق خلقه لانه
لا حق لهم عليه والثالث انه لا يجوز لاحد من انبيائه عليهم السلام ولا لغيرهم ان يشكوا الله تعالى لان ذلك
كفر من فاعله الا انا ذكرنا هذه الحكاية على ما رووها وان كانت غير صحيحة لتعلم ما فيها واما معنى هذه الاية
فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الملك واسمه ريان ابن الوليد راى في النوم ان سبع
بقرات سمان خرجن من نهر من انهار مصر فخرج بعدهن سبع بقرات عجاف فابتلعت السمان العجاف فدخلن
في بطونهن ولم يستبن عليهن شيء منهن وراى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر يابسات التوت
اليابسات على الخضر فعلين خضرهن ولم يستبن عليهن شيء فارسل الملك في هذه الرؤيا الى العرافين والسحرة
والكهنة فجمعهم فقص عليهم حديث ما رآه من النوم وقال لهم افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون
اي ان كنتم تعبرون الرؤيا الا انه اذا قدم المفعول على الفعل جاز ادخال لام الاضافة على المفعول لضعف
المفعول فاما الفتوى فهو بيان حكم الحادثة وقوب عليه واما عبر الرؤيا واشتقاقه من عبر النهر وهو
البلوغ الى اخر شطه قوله عز وجل قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
معناه قالت الكهنة والعرافون هذه اباطيل الاحلام كاذبة وما نحن بتعبير رؤيا الاحلام المختلطة
بعالمين والاصل في الاضغاث اضغاث الحشيش واحدها ضغث وهو ما يكف من
الحشيش باخذ الانسان فيكون فيه الوان مختلفة وفي الاية دلالة على بطلان قول من قال ان
الرؤيا على اول ما يعبر لان الرؤيا على رجل طائر فان عبرت وقعت والا سقطت وقد كان القوم فسروا رؤيا الملك
انها اضغاث احلام وكانت رؤياه صحيحة على حسب ما فسره يوسف عليه السلام قوله عز
وجل وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف ايها
الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون معناه وقال الذي نجا منهما وذكر بعد امة اي من
السجن وهو صاحب الشراب الذي نجا من السجن والقتل وتذكر بعد سنين وقيل بعد امة اي
امة والامة هي الحد الكبير كما انه اتفاق الجماعة ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما فمعناه بعد نسيان يقال امه يامه امها وامها الى النسي من باب الانفعال ليدل

التا بالدال ثم ادغمته الدال في الدال فيقال وادكر كما يقال اذّخر واذخر وقوله تعالى انا انبيكم بتاويله
قول صاحب الشراب لما عجز العارفون عن تعبير رويا الملك جا اليه ووقف بين يديه وخاطبه بلفظ كما
كما يخاطب الملوك وقال انا اخبركم بتعبير هذه الرويا فارسلون الى السجن ايها الملك كنت غضبت
علي فحبستني في السجن انا وخبازك فرايتا فيها رويا فقصصناها على رجل في السجن عالم صالح صدوق محسن
الى اهل السجن فاخبرنا بها فكان كما اخبر فارسلون ندخل عليه في السجن وقال يوسف ايها الصديق
وحذف كلمة الندا اختصارا كما تقال زيد اقبل ويا زيد اقبل والصديق يجري على عادته في الصدق والتصديق
بالحق وجميع الانبيا عليهم السلام على هذه الصفة وقوله تعالى افتنا في سبع بقرات اي قال له افتنا في سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يبلعهن سبع بقرات عجاف هالكات من الهزال وفي سبع سنبلات خضر
واخر يابسات التوين على الخضر وغلبن خضرتهن لان ارجع بتاويل ذلك الى الملك والناس يعلمون فقال له
يوسف عليه السلام اما سبع بقرات سمان فهي سبع سنين خصبة واما سبع سنبلات خضر فهو الخصب والرخص
في سني الخصب واما سبع بقرات عجاف فهي السنون السبع الجدبة واما سبع سنبلات يابسات فهو القحط
والغلا في السنين الجدبة ثم علمه يوسف عليه السلام كيف يصنعون كما قال الله عز وجل قال تزرعون سبع سنين دابا

فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

معناه قال تزرعون سبع سنين دايما على ما هو عادتكم فما حصدتم من الزرع فاتركوه في سنبله
تدوسونه الا قليلا مما تاكلون من ذلك في كل سنة وانما امرهم بذلك لان الحنطة اذا كانت في سنبلها كانت
ابقا منها اذا ديست وانها اذا ديست تاكلت فسدت بمضي المدة عليها وقوله تعالى ثم ياتي من بعد
ذلك سبع شداد اي ياتي سبع قحاط منها على الناس ضيق شديد تاكلن فيها ما ادخرتم لهم من زرع
السنين المخصبة الا شيا قليلا تحصنونه في موضع من المواضع ونسب الاكل الى السنين القحاط على التوسع
لان الاكل كان يقع فيها وقوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام معناه ان يوسف عليه السلام قال ثم ياتي
من بعد هذه السنين الاربع عشرة سنة فيها يغاث الناس يجوز ان هذا من الغوث اي يغيث الله تعالى
في تلك السنة عباده فيتركوا فيها زرعهم وفوا كههم وانعامهم ويجوز ان يكون معناه ما يعصرون من
المطر اي ياتيهم الله تعالى بالامطار والخصب في تلك السنة وقوله تعالى وفيه يعصرون يجوز ان يكون
معناه ما يعصر اي ما تخرج من الاشجار والكروم ويجوز ان يكون معناه ينجون من البلاء والشدة ويعصمون
بالخصب يقال فلان في عصر وفي عصر اي في خصب لا يقدر عليه ○ قال الشاعر ○ ○ ○ ○
○ لو بغير الما حلقي شرق ○ كنت كالغصان بالما اعتصاري ○ ○ ○ اي لو كان شرق
حلقي بغير الما كنت انجو من ذلك والغصان الذي يشرق حلقه بغير الما ○ ومن قرا يعصرون بضم اليا
ونصب الصاد فمعناه يمطرون من قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا وهذا القول الذي قال
يوسف عليه السلام من حديث العام الاخير الذي فيه يغاث الناس اخبارا لهم بشي لم يسالوه عنه
ولا كان في رويا الملك دليلا عليه فلما رجع الرسول الى الملك فاخبره بمقالته قال الملك ايتوني به

قوله عز وجل وقال الملك ايتوني به فلما جاه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

معناه وقال الملك ايتوني بيوسف
عليه السلام فلما جاه الرسول ثانيا وقال ان الملك يدعوك قال يوسف عليه السلام ارجع الى سيدك
الملك فاساله حتى يسال عن شان النسوة التي جمعتهن امراة العزيز لتريهن يوسف عليه السلام وقطعن

ايديهن اكن صادقات على يوسف عليه السلام ام كاذبات على يوسف عليه السلام ان ربي بكيدهن وصنعهن
عليم وانما قال ذلك لانه عليه السلام كان ناظرا في عواقب الامور فاراد ان لا يطعن عليه عدو بامر
النسا عند الملك وغيره واراد ايضا ان يعلم الملك انه كان مظلوما بالحبس وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال عليه السلام لقد عجبت من صبر اخي يوسف عليه السلام وكرمه فلو كنت انا الذي دعيت الى الخروج
لبادرتهم الى الباب ولكنه احب ان يكون له العذر ○ واما قوله تعالى قال ما خطبكن ولابد من اضمار
قبله لان تقدير الكلام فرجع الرسول الى الملك فاعلمه بذلك فارسل الملك الى النسوة فاحضرهن ثم قال
لهن ما خطبكن اي ما شانكن اذ طلبتن يوسف عليه السلام عن نفسه والخطب هو الامر العظيم
الذي يخاطب فيه الانسان ولم يكن نصر اعظم امرا من ازواج هولا النسوة ومن العزيز دون الملك
وقوله تعالى قلن حاش لله جواب النسوة للملك بكلمة التنزيه ينزهن يوسف عليه السلام عما اتهم
به وقوله تعالى ما علمنا عليه من سو اي من قبيح ○ وقوله تعالى قالت امراة العزيز الان حصحص
حص وكثر كما في قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وقوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول
وقيل ان اشتقاق ذلك من الحصة بان حصة الحق من حصة الباطل قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما فرجع صاحب الشراب الى يوسف عليه السلام عنده كما قال جل ذكره

ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ○ وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

معناه ذلك الفحص عن النسوة لتعلم
الملك ويقال ليعلم اني لم اخن العزيز في اهله اذ غاب عني فان الله تعالى لا يرضى عمل الخائنين ○ قال اهل
الوعظ فقال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت بها فقال يوسف عليه السلام ○ وما ابرئ نفسي
فان صحت هذه الرواية كان المعنى وما ابرئ نفسي من الهم وتحديثه وترديده شهوة النفس يقول
الرجل ما همني ما همي الا اكل الحلوى ولا محادثة الرجل النسا ويسعى بذلك ما تشتهيه نفسه وتنازع اليه
وهو معنى قوله ان النفس لامارة بالسو يقول الرجل ان نفسي تامرني بكذا وتدعوني اليه والامارة فعالة من امر
وهو للمبالغة ولكثرة النفس في الحقيقة بهذه الصفة من كثرة ما تشتهي المعاصي وتنازع اليها فان كان هذا
القول من الكلام كلام يوسف عليه السلام فهو اخبار منه بشهوة نفسه والنفس لا تبرا من شهوة القبيح لانها
ليست بفعل العبد ولم يخبر عليه السلام من قلبه بعزيمة على مكروه ولا عن جوارحه بما يبسط اليه والمراة
يكون معانيا على ما نازعه نفسه اليه اذا لم ينابذها ○ وقوله تعالى الا ما رحم ربي معناه الا ما عصمني ربي
بلطفه في هذا دليل ان احدا لا يمتنع من المعصية الا بعصمة الله تعالى وان كان الله سبحانه قد يلطف بمن لا يعتصم
به ○ وقوله تعالى ان ربي غفور رحيم اي انه مع عصمته غفور لذنوب المذنبين رحيم بهم بعد التوبه
ويقال ان قوله تعالى ذلك ليعلم الى اخر الايتين من كلام امراة العزيز ومعناه ذلك ليعلم يوسف عليه السلام
اني لم اكذب عليه وهو في السجن خلاف الحق ولئن كنت خنته عند المشاهدة ○ وقوله تعالى وما ابرئ نفسي اي
قالت ما ابرئ نفسي عن مراودتي اياه عن نفسه وقوله تعالى الا ما رحم ربي اي الا ما تحفظه الانبيا من المعاصي
بعصمة الله تعالى وبالله التوفيق ○

قوله عز وجل وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم

معناه
وقال الملك ايتوني به اي بيوسف عليه السلام اجعله خاصا لنفسي ارجع اليه في تدبير مملكتي واعمل على
اشارته فلما اتوه كلم يوسف عليه السلام في تاويل روياه وقال ايها الملك ازرع في هذه السنين المخصبة
واحفظ في كل سنة خمس الطعام ومر الناس بذلك واجعلوه في سنبله كما قال الملك انك اليوم لدينا مكين امين
اي متمكن من فعل ما تريد نافذ القول والامر قد ظهرت امانتك وظهر كذب النسا عليك ولم يظهر منك خيانة
وفي هذا بيان ان الملك لما كان من اهل الراي والعقل لم يفعل مما فعلته النسا من النظر الى ظاهر حسنه وجماله

لقلة عقولهن وضعف احلامهن بلا تامل في كلام يوسف وحكمته فلما عرف ذلك استخلصه لنفسه وكان
يوسف عليه السلام يومئذ ابن ثلثين سنة على ما روي في الخبر واما قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض
معناه قال له يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن ارضك واجعل تدبيرها الي وارادوا بذلك الخزائن
التي تجمع فيها طعام الارض واموالها التي كان مصيرها الى الملك وكان ارض مصر اربعين فرسخا في اربعين
فرسخا وانما سال يوسف عليه السلام ذلك لصلاح الخلق لان الانبيا صلوات الله عليهم بعثوا لاقامة العدل
ووضع الاشيا في مواضعها فعلم يوسف عليه السلام انه لا احد اقدم بذلك منه وقوله تعالى اني حفيظ عليم
اي حافظ للخزائن عالم بوضعها مواضعها ويقال لجمع السنين الغربا الذين ياتونك فانه كان يتكلم بالعربي
والعبراني والسرياني والقبطي ويقال عالم بساعات حاجات الناس وذلك انه امر الخازنين ان يجعلوا
غدا الملك نصف النهار ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار فلما كان الليلة التي وقع فيها الجوع
من اول السنين الجدبة امر الخازنين ان يفعلوا غداه مع عشايه ففعلوا فوقع الجوع في نصف النهار فهتف
الملك يا يوسف الجوع الجوع فقرب اليه طعامه وفي الاية دليل انه يجوز للانسان ان يمدح نفسه بالفضل
عند من لا يعرفه وان المراد بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم النهي عن تزكية النفس للفخر والسمعة

قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون معناه كما بينا انا
خلصناه من الحبس كذلك مكناه في ارض مصر يتبوأ اي ينزل منها حيث يشاء روي
ان الملك توجه واعطاه سيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وامره ان يجلس
عليه فجلس عليه ولزم الملك بيته وفوض اليه كل اموره وذلك سائر الملوك فتلطف يوسف عليه السلام
بالناس واقام فيهم العدل واخذ يدعوهم الى الاسلام واحبهم واحبه الناس كلهم وآمن كثير منهم وقوله
تعالى نصيب برحمتنا من نشاء فالمعنى نختص بانعامنا من نشاء من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين على احسانهم
ولثواب الاخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله تعالى وكتبه وكانوا يتقون الكفر والفواحش
لان ثواب الدنيا مشوب بالغموم والامراض والاسقام وثواب الاخرة خالص من الشوائب ومن كل
ما يكدره

قوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
معناه وجاء اخوة يوسف عليه السلام الى يوسف عليه السلام وهم عشرة جاؤوا من عند ابيهم في السنين
القحاط لطلب الطعام كما كان يجيء غيرهم فدخلوا عليه فكلموه بالعبرانية وعليه ثياب حرير وطوق
ذهب وهو جالس على سرير ملكه فعرفهم يوسف عليه السلام انهم اخوته وكانوا لا يعرفون انه اخوهم
وكان يكلمهم بالترجمان وانما لم يعرفوا لطول العهد لانهم كانوا راوه صغيرا ولم يكونوا يظنون انه يصير
ملكا وقد باعوه عبدا فاكرمهم واحسن اليهم وفاوضهم في الحديث حتى حدثوه بحديث ابيهم واخيهم وقالوا
ان ابانا شيخ كبير وكنا اثني عشر رجلا فهلك واحد منا في الغنم ووجدنا قميصه عليه دم فاتينا به
ابانا وله اخ هو اثرنا الى ابينا لم يبعثه معنا فقال لهم يوسف عليه السلام كيف تزعمون ان واحدا
منكم هلك ووجدتم قميصه والذي يهلك يهلك معه قميصه ثم قال لهم ايتوني باخ لكم من ابيكم كما قال
سبحانه ولما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
معناه ولما اعطاهم الميرة وكال لهم كيلهم قال لهم ايتوني باخ لكم من ابيكم فسالهم ان ياتوه به لينظر الى
يعقوب عليه السلام مع حكمته لماذا اثر عليهم بالمحبة وكان يوسف عليه السلام يخاف انه
ان اظهر لهم امر يوسف ان يكتموا ذلك من ابيهم وتحتالوا ان لا يجمعوا بينه وبين اخيه فلم يظهر لهم انه اخوهم
وجعل حمولة على الدابة وقوله تعالى الا ترون اني اوفي الكيل معناه الا ترون اني اعطي الناس حقوقهم

على التمام وانا خير المنصفين ويقال خير المنزلين للاضياف وقوله تعالى فان لم تاتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيما تستقبلون ولا تقربون مرة اخرى ومن قرا ولا تقربون بفتح النون
ولفظه لفظ الخبر ومعناه النهي وقوله تعالى قالوا سنراود عنه اباه اي سنطلبه من ابيه وانا لفاعلون
انا سنجيء به وخاف يوسف عليه السلام ان لا يكون عند ابيهم من الورق ما يرجعون به اليه مرة اخرى
فامر ان يجعل دراهمهم في اوعيتهم على غير علم وذلك قوله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون معناه وقال يوسف عليه السلام لخدامه
من مماليكه اجعلوا بضاعتهم التي جاؤوا بها في رحالهم لكي يعرفوا هذه الكرامة مني ويقال لكي يعرفوا
انها دراهمهم فيرجعوا الينا ويردوها علينا

قوله عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا
كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين معناه فلما رجعوا الى ابيهم بكنعان
وقصوا عليه قصتهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل ان لم ترسل معنا بنيامين ويقال منع
منا كيل اخينا بنيامين وذلك انهم كانوا لا يعطون كل واحد اكثر من حمل بعير وكانوا طلبوا منه
انه يعطي لاخيهم حمل بعير فلم يعط وذلك قوله تعالى فارسل معنا اخانا نكتل اي ارسل معنا بنيامين
نكتل له ومن قرا يكتل بالياء فمعناه يكتل اخونا اي ياخذ لنفسه حملا وانا له لحافظون
حتى نرده عليك قال لهم يعقوب عليه السلام هل آمنكم على بنيامين الا كما امنتكم على يوسف من قبل
تضيعونه وغيبتموه عني ولئن ارسلت بنيامين معكم فعلى الله تعالى اتوكل فان حفظ الله تعالى خير من
حفظكم ومن قرا خير حافظا فالمعنى خير حافظ لكم وكلاهما نصب على التمييز وقوله تعالى وهو
ارحم الراحمين ظاهر المراد

قوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل
بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان
يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل معناه ولما فتحوا اوعيتهم وجدوا دراهمهم
ردت اليهم قالوا لابيهم يا ابانا ما نبغي اي ما نظلم ولا نكذب فيما اخبرناك به ان ملك مصر اكرمنا
والطفنا وهذا اذا كان قوله تعالى ما نبغي من البغي فاما اذا كان من البغاء وهو الطلب فمعناه
بغير الاستفهام دون الجحد وموضع ما نصب تقديره اي شيء نريده وفي رواية عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا ما تبغي بالتاء ومعناه ما تطلب وقوله تعالى هذه بضاعتنا ابتداء كلام معناه
ان دراهمنا وهي ثمن الطعام الذي اشتريناه من مصر ردت الينا قوله تعالى ونمير اهلنا اي نمتار الطعام
لاهلينا يقال مار فلان اهله اذا حمل اليهم قوتهم من غير بلده ومن قرا ننير بضم النون اي نجعلهم اصحاب ميرة
وقوله تعالى ونحفظ اخانا اي نحفظه من ان يضيع ونزداد كيل بعير اي حمل بعير اذا كان هو في معنى
وسمي الحمل كيلا لانه يكال وقوله تعالى ذلك كيل يسير اي هو هين سريع لا حبس فيه ان ارسلته معنا
قال لهم يعقوب عليه السلام لن ارسل بنيامين معكم حتى تؤتون اي تعطون عهدا وثيقا من الله تعالى
لتردنه علي الا ان يحيط بكم امر من السماء والارض لا تقدرون على دفع ذلك فلما اتوه موثقهم اي لما حلفوا
على ذلك قال لهم يعقوب عليه السلام الله على ما نقول وكيل اي شهيد حفيظ ثم قال عليه السلام لبنيه
لما ارادوا الخروج اذا اتيتم ملك مصر فاقرؤوه مني السلام وقولوا له ان ابانا يدعو لك بما اوليتنا قال عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما وخاف يعقوب عليه السلام على بنيه من العين لجمالهم وقوتهم وهم كلهم
بنو اب واحد فقال لهم كما قال الله عز وجل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه

فليتوكل المتوكلون قال الحسن رضي الله عنه خاف عليهم اولا العين ثم رجع الى علمه فقال عليه السلام وما اغني عنكم من الله من شي ه ومعنى الاية قال لهم لا تدخلوا مصر من سكة واحد ودرب واحد وادخلوا من طرق متفرقة وما ادفع عنكم من الله من شي اي من قضا الله شي ان كان قد قضي عليكم ان الحكم اي ما القضا الا لله اليه فوضت امري وامركم مع التمسك بطاعته والرضا بقضايه وعليه فليتوكل المتوكلون اي فليثق الواثقون وقد اختلف اهل العلم رحمهم الله في امر العين فقال بعضهم هو حق واستدلوا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يرقي من العين ويعيذ منه الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول اعيذكما بالله من كل عين لامة ه وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق ثم اختلف هولا فقال بعضهم انه يبدو من عين الناظر اجزا يتصل بالمستحسن فيوثر فيه في المستحسن لكان يوثر فيما لا يستحسنه فيوثر فيه كما يوثر السم من النار والسم ذكره الجاحظ وهذا بعيد لانه لو كان ينفصل من عينه جز فيوثر في المستحسن لكان يوثر فيما لا يستحسن وقال بعضهم رحمه الله اجرى الله تعالى العادة ان الانسان اذا راى شيا يعجبه عند الله تعالى ذلك الشي ليعلم ان ما يعجب به لا يبقى على حد واحد ويكون في تغيير ذلك مصلحة للعباد كما روي في الخبر ان الصدقة تدفع القضا المبرم من السما وانكر بعض اهل العلم الاصابة بالعين لانه لا شبهة في ان الامراض والاسقام لا تكون الا من الله تعالى لان الانسان لا يقدر على ذلك قالوا ومعنى هذه الاية ان يعقوب عليه السلام انما نهاهم عن الاجتماع على دخول مصر من باب واحد لانه خاف عليهم الحسد لان الانسان اذا راى ما يعجبه وهو قاصر عن تلك الدرجة حسده والحسد يحمل على ازالة المحسود له قالوا وقول صلى الله عليه وسلم العين حق محمول على هذا المعنى ه وقال بعضهم انما نهاهم يعقوب عليه السلام لانه خاف ان ينتهوا اذا راهم مجتمعين في جلدهم وهيبتهم وقوتهم ففرقهم في الطرق كي لا تخشى ملك مصر منهم على ذهاب مملكته وفي قوله تعالى وما اغني عنكم من الله من شي بيان انه لا ينفع حذر من قدر وقوله عز وجل ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه ولما دخلوا مصر من ابواب متفرقة كما امرهم به يعقوب عليه السلام ما كان يدفع ذلك عنهم شيا من قضا الله تعالى بالحسد واصابة العين الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي دخولهم مصر من ابواب متفرقة فوله تعالى وانه لذو علم لما اي ان يعقوب عليه السلام لذو علم بامر الدين لتعليمنا اياه ان لا يصيب احدا شي الا بقضا الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ه قوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون معناه ولما دخل اخوة يوسف عليه السلام على يوسف ضم اليه اخاه بنيامين الى نفسه اي فرقه من بينهم لانه لم يكن يراه في المرة الاولى ه ويقال اذن له بالدخول عليه وحبس اخوته بالباب فلما دخل هو عليه قال له ما اسمك قال بنيامين قال فما اسم امك قال راحيل بنت لاوي قال فهل لك ولد قال نعم قال كم هم قال عشرة فجعل يوسف عليه السلام يكلمه ويشم ريحه وكان لا يستطيع الكلام معه فخنقته العبرة فلما راى ذلك عليه السلام وثب اليه فاعتنقه وقال له اني انا اخوك وبكى كل واحد منهما الى صاحبه ثم علم يوسف عليه السلام انه يحتال في احتباسه عنده ثم بعد ذلك اذن لاخوته في الدخول عليه فدخلوا عليه فذكر وهب ابن منبه ان يوسف عليه السلام طيب مكان اخيه وقال له اني لك مكان اخيك واما قوله تعالى فلا تبتئس معناه ولا تحزن بما كانوا يعملون بك وبي ه روي انهم كانوا يعيرون يوسف عليه السلام واخاه بشي كانت امهما تفعله فلذلك قال له لا تبتئس والابتئاس في اللغة جلب البوس الى النفس بالحزن قوله عز وجل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم

لسارقون معناه فلما كال لهم كيلهم فاعطاهم ما جاوا في طلبه وامر بعض اصحابه المختصين به ان يجعل الصاع في رحل اخيه بنيامين ويسمى الصاع سقاية لانه كان قبل ذلك مما يسقى به الملك الخمر وكان من ذهب ويقال كان من فضة مموها بذهب وكان الشرب في مثل ذلك الانا جايزا في شريعتهم فلما كان يوم امر الملك ان يكال به الطعام للناس فلما رحلت اخوة يوسف عليه السلام نادى مناد من الموكلين بالصاع وقد قصدوه ولم يكن رحلوا من اخلته ايتها العير انكم لسارقون وكان هذا الذي على ظن من هولا الموكلين بالصاع انهم كذلك وان فيهم من سرق ولم يكن هذا النداء من يوسف عليه السلام ولا بعلمه لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يامرون بالكذب ولا يكون قول هذا القايل كذبا ايضا اذ كان مرجعه الى غالب ظنه وما هو عنده لانه لم يكن هنالك غيرهم ومن قال ان هذا النداء بامر يوسف عليه فيحتمل ان معناه انكم لسارقون يوسف عن ابيه عليه السلام حين غيبتموه ويقال ان المنادي اراد بهذا القول في نفسه ان يتكلم على وجه الاستفهام وفي المعاريض مندوحة عن الكذب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما يسرني بمعاريض الكلام حمر النعم واما العير فهي اسم للقافلة الحمير دون قافلة الابل ثم كثر استعماله في كل قافلة قوله عز وجل قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جا به حمل بعير وانا به زعيم معناه قالت اخوة يوسف عليه السلام واقبلوا على المنادي واصحابه ماذا تطلبون حتى تنسبونا الى السرقة قالوا نطلب صواع الملك والصواع والصاع واحد ويقرا صوغ بغير الف وكذلك صوغ بالغين المعجمة والصواع اسم على فعال كالجواز والشواظ ه وقوله تعالى ولمن جا به حمل بعير وانا به زعيم قول اكبر الفتيان الذين كانوا موكلين بالصاع فمن بهذا القول لمن جا بالصاع حمل بعير من الطعام وكان يقول ان الملك قد اتهمني واخاف عقوبته وسقوط منزلتي ان لم اجد الصاع وليس معنى قوله تعالى وانا به زعيم كفالة عن انسان على ما ظنه بعض الناس ولكن المراد ضمان الاجرة لمن جا بالصاع وكان حمل البعير مقدارا معلوما كالوسق ونحو ذلك وهذه الاية اصل في جواز قول القايل من حمل هذا المتاع الى موضع كذا فله درهم ان ذلك اجارة جايزة ه وذكر محمد رحمه الله في السير الكبير ان امير الجيش اذا قال من ساق هذه الدواب الى موضع كذا فله كذا جاز ذلك ومن فعله استحق الاجرة قوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاوه ان كنتم كاذبين قالوا جزاوه من وجد في رحله فهو جزاوه كذلك نجزي الظالمين معناه ان اخوة يوسف عليه السلام حلفوا وقالوا تالله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ما يطلبونه وانما حلفوا على علمهم لانهم ردوا اليهم الدراهم التي وجدوها في رحالهم حين لم يكونوا يعرفون ان الملك جعلها في رحالهم او غيره ولم يعرفوا السبب الذي لاجله جعلت في رحالهم وقالوا انا اذا رددنا اليك ما كان في متاعنا من جنتكم فكيف نطمع فيما لم يكن لنا ويقال كانوا يعرفون بمصر بالصلاح والسداد وكانوا لا ينزلون على قوم ظلما ولا يرعون في زرع احد وجعلوا على افواه ابلهم وحميرهم الاكمة لئلا تعبث في زرع فقال لهم فتيان يوسف عليه السلام فما جزا من سرق ان كنتم كاذبين قالوا جزا السارق من وجد في رحله اخذ عبدا بسرقته فاسترقاقه جزاوه وكذلك نجزي الظالمين اي هكذا نجزي السارقين في ارضنا وهي سنة يعقوب عليه السلام حكموا على انفسهم بما كان يطلبه يوسف عليه السلام من احتباس من يوجد الصاع في رحله ه قوله عز وجل فبدا باوعيتهم قبل وعا اخيه ثم استخرجها من وعا اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليا خذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله نرفع درجات من نشا وفوق كل ذي علم عليم معناه فبدا فتى يوسف عليه السلام بتفتيش اوعيتهم قبل وعا اخيه ولما فتش وعا اخيه وجد صاع اخيه فيه ه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال فتى يوسف عليه السلام لاخيه فرج الله عنك كما فرجت عني

فلما راى ذلك اخوة يوسف عليه السلام تحيروا ونكسوا رؤسهم واقبلوا على بنيامين فقالوا يا ابن المشؤمة
واخو المشؤوم ما الذي حملك على ان تسرق صواع الملك تفضحنا وتفضح نفسك وتزري بابيك الصديق وجعل
هو يحلف بالله تعالى ما سرقته ولا علم لي من وضعه في متاعي فأبوا ان يقبلوا منه وكان هو يدعو رافعا
يديه الى السماء فقالوا ادع الله تعالى لاي شيء تضعه في يديك وهو يرى السرقة فيها وكان يقول لم اسرقه فقالوا
من وضعه في متاعك فقال من الذي وضع بضاعتكم في رحالكم في المرة الاولى فقالوا فيما بينهم لعل هذا
الملك يريد بنا امرا فكانوا في هذه الخصومة اذ اخذ فتى يوسف برقبة بنيامين وذهب به اليه واما
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف فمعناه صنعنا ليوسف حتى اخذ اخاه وفي هذا دليل على ان يوسف
عليه السلام كان ماذونا له من جهة الله تعالى في التوصل الى المباح بهذا النوع من الحيلة وفائدة ما
كان فيه من تعريض يعقوب عليه السلام للبلوى بفقد بنيامين ليصبر فيضاعف له الثواب على فقدهما
وليس هذا باكثر مما فعله صاحب موسى عليه السلام من قتل الغلام الذي كان ابواه مؤمنين
مع ان الذي فعله يوسف عليه السلام كان بعد اعلام منه لاخيه بالله سبحانه في احتباسه عنده
ولا شبهة في جواز الحيلة في التوصل الى المباحات كما قال الله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا
تحنث وقال عز من قائل عليم حكاية عن ابرهيم عليه السلام حين تخلف لكسر الاصنام اني سقيم بمعنى
سأسقم كأنه كان لا يشك في الموت وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد سفرا
ورّى بغيره وقال صلى الله عليه وسلم لعامل خيبر هلا بعت بضاعتك بسلعة او بدراهم ثم ابتعت بها
وفي هذا الذي ذكرنا جواب عن قول من يقول كيف جاز من يوسف عليه السلام استخراج الصاع
من رحل اخيه على وجه يقتضي الحاق الحزن بابيه واخوته لانه كان في ذلك ضروب من الصلاح ولطف
في اعلام ابيه بسلامة اخيه مع احتمال ان يكون غير جعله في رحله وما كان ليأخذ
اخاه في قضاء الملك وان تحبسه عند نفسه الا ان يشاء الله ان يامره بذلك على مخالفة دين الملك ويقال معنى
قوله من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاؤه عندنا هو جزاؤه عندكم ثم رده الله تعالى مبانا لقوله تعالى
وكذلك نجزي الظالمين وكان في حكمهم وحكم مصر ان السارق اذا اخذ استعبده المسروق منه
فعلى هذا معنى ما كان ليأخذ اخاه ما كان ينبغي له ان يأخذ اخاه الا ان يشاء الله تعالى ان يكيد له
غير ما نعله فيكون ذلك حجة له عند الملك والناس وعلى القول الاول وكان من قضاء الملك في السارق
ان يضرب ويغرم ويقال ان يقطع ويغرم وحكم يوسف عليه السلام في ارض مصر بقضاء آل يعقوب
عليه السلام ليتعان وكان لا يمكنه حبس اخيه الا بهذا النوع من الحيلة لانه كان يكون ظلما عندهم وقوله
تعالى وفوق كل ذي علم عليم معناه وفوق كل عالم عليم حتى ينتهي العلم الى الله عز وجل فليس في العلم فوقه
احد قوله عز وجل قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون معناه قال اخوة يوسف عليه السلام ان
يسرق بنيامين سقاية الملك فقد سرق اخ لابيه وامه من قبل يعنون يوسف عليه السلام وذلك انه
واجل امر يوسف عليه السلام كانت بعثته حين ارتحلت ان يرتحل من حران مع يعقوب عليه السلام الى
فلسطين او الاردن فامرته وهو صغير ان يذهب ويأخذ جونة فيها اوثان لابيها من ذهب فأتيته بها لكي اذا
فقدها ابوها اسلم فانطلق يوسف عليه السلام الى بيت جده من امه فاخذ ملك الاوثان فجاء بها الى امه فهي
سرقته التي يعنون ويقال ان عمة يوسف عليه السلام كانت تحبه وهو صغير وكان يوسف عليه
السلام لا يتركه عندها فاحتالت وجاءت بمنطقة ابيها اسحق عليه السلام فشدتها على وسط يوسف عليه
السلام تحت القميص ثم قالت قد سرق يوسف عليه السلام منطقة ابي فانا اخذه بذلك فهي التي اراد اخوة
يوسف عليه السلام باضافتهم السرقة اليه وقوله تعالى فأسرها يوسف في نفسه معناه اضمر هذه الكلمة

تكلموا بها في نفسه من الاخذ من بيت المال ولم يظهر له جوابا بل قال في نفسه انتم شر مكانا اي صنيعا
من يوسف عليه السلام والله اعلم بما تصفون به يوسف عليه السلام ويقال انهم ارادوا بالسرقة ما كان
يفعله يوسف عليه السلام من الاخذ من بيت المال والتصدق به في صغره والله اعلم قوله عز
وجل قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين
قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ويقال ان يهوذا كان
اشد بني يعقوب عليه السلام غضبا وكان اذا غضب صاح فلا يسمع صوته حامل الا وضعت وكان
تقوم كل شعرة من جسده وتنتفخ اوداجه فلا تسكن غضبته حتى يمسه واحد من آل يعقوب
عليه السلام فيسكن عند ذلك فلما حبس يوسف عليه السلام بنيامين غضب يهوذا وقال
لبعض اخوته اكفوني امر هذه الاسواق حتى اكفيكم امر الملك وان شئتم كفيتكم امر الاسواق
واكفوني انتم امر الملك فقالوا بل اكفنا انت امر الملك ونكفيك امر الاسواق فقالوا ابنا عدو لعنه
فامر يوسف عليه السلام ابنا صغيرا له فقال له اذهب فمس ذلك الرجل فدنا منه فمسه فذهب غضبه
فقال يهوذا لاخوته هل مسني احد من آل يعقوب عليه السلام فقالوا لا فهم ان يصيح ثانيا فقام
اليه يوسف فركضه برجله ثم ربه انه شديد ودفعه ثم اخذ بتلابيبه فجذبه فوقع ثم قال انكم لتزعمون
يا معشر العبرانيين ان احدا ليس مثلكم في الشدة فذل يهوذا عند ذلك وقالوا يا أيها العزيز ان
له ابا شيخا كبيرا قال اكثر المفسرين رحمهم الله انهم ارادوا بهذا ان له ابا شيخا كبير السن فذكروا هذا
على جهة الاستعطاف وقال بعضهم رحمه الله فان له ابا شيخا كبير القدر اي لا يحبس ابن مثله فخذ احدنا
مكانه عبدا وقيل رهنا وفي هذا دليل على انه كان يجوز لمن سأل ان يرق نفسه لغيره ويجوز
ان مثل هذا الحكم كان ثابتا الى ان نسخ على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم الا ترى انه صلى الله عليه وسلم
باع في اول الاسلام سرّق في دين عليه وقوله تعالى انا نراك من المحسنين اي نراك من المحسنين الى كل من
يأتيك وقد اوفيت لنا الكيل ورددت علينا بضاعتنا وقضيت حاجتنا فان رددت معنا اخانا كان
ذلك اعظم منة علينا من جميع ما سبق قال لهم يوسف عليه السلام معاذ الله وهذا انصب على المصدر
اي اعوذ بالله معاذا ان اخذ بالسرقة الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا فعلنا ذلك لكنا ظالمين لحبس من
لم نجد متاعنا عنده يجوز انه اراد بهذا القول انا اذا لظالمون عندكم في حكمكم وعلى هذا القول لما الذي
كان يوسف عليه السلام مأمورا بحبس اخيه عند نفسه من جهة الله تعالى كان ممتنعا عن الصلح
والعفو واخذ البدل قوله عز وجل فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم
تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض
حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين معناه فلما يئسوا من يوسف عليه
السلام ان يرد اخاهم عليهم انفردوا متناجين فيما بينهم يتشاورون كيف يرجعون الى ابيهم وماذا
يقولون له والنجي مصدر يعبر به عن الواحد والجمع وقد يجمع النجي انجية كما قال الشاعر
اني اذا ما القوم صاروا انجيه واختلفت اعناقهم كالارشيه هناك اوصيني ولا توصي بيه
واما قوله تعالى قال كبيرهم فاكثر المفسرين رحمهم الله على ان المراد به كبيرهم في السن وهو روبيل
ويقال هو شمعون كان اكبرهم في العقل لا في السن قال لهم ألا تعلمون ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله لتردنه عليه وقوله تعالى ومن قبل ما فرطتم في يوسف معناه وتعلمون تفريطكم في يوسف
عليه السلام من قبل هذا فلن ابرح الارض اي من ارض مصر حتى يأذن لي ابي في البراح او يأذن لي في الحرب
معه او يحكم الله لي بموت او وصول اخي الي ثم ارده الى ابي وهو خير الحاكمين لا يحكم الا بالحق و
الحكمة ثم قال لاخوته كما قال الله عز وجل ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن

أبنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون معناه قال لهم ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق صواع الملك ومن قرأ سُرِّق بضم السين وخفض الراء وبالتشديد فمعناه أخذ بالسرقة وفي قوله تعالى وما شهدنا إلا بما علمنا إخبار عن ظاهر وجود الصاع في رحل بنيامين أنه هو الآخذ له كما في قوله تعالى فإن علمتموهن مؤمنات وما كنا للغيب حافظين ففيه معنيان أحدهما ما كنا نشعر أن ابنك سيسرق فنشرف والآخر إنا لا ندري باطن الأمر في السرقة أو كذب عليه وقوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها معناه سل من شئت من أهل القرية التي كنا فيها وهي مصر فإن هذا أمر شائع فيهم يخبرك به من سألته وسمي المصر قرية لأن العرب تسمي الأمصار والمدائن قرى ويقال أرادوا بالقرية قرية من قرى مصر وهي القرية التي ارتحلوا من مصر إليها فإن نداء المنادي بالسرقة لم يكن إلا بعد ارتحالهم من مصره وقوله تعالى والعير التي أقبلنا فيها معناه واسأل أهل القافلة التي رجعنا معهم وكان قد صحبهم قوم من كنعان وقوله تعالى وإنا لصادقون أي لصادقون فيما نقول لك فقال لهم يعقوب عليه السلام كما قال الله عز وجل قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا إنه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم معناه قال لهم إن ابني لا يسرق وإنما سولت لكم أنفسكم أمرًا إن قلتم سرق فأمري صبر جميل لا جزع فيه والتسويل في الحقيقة أن تسأل النفس من الإنسان أمرًا فيقع متمناه على ما سألته النفس وقوله تعالى عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا أي بيوسف وبنيامين وبيهودا أو شمعون إنه هو العليم بعباده الحكيم في تدبير خلقه وقوله تعالى وتولى عنهم أي أعرض عنهم لشدة الحزن وقوله تعالى وقال يا أسفا على يوسف كلمة نداء والأسف والحزن واحد يقال يا أسفا على يوسف ويراد به أقبل أيها الأسف فقد جاء وقتك وقوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن معناه وابيضت عيناه لشدة البكاء من الحزن وإلا فالحزن لا يبيض العين والحزن والدمع مما لا يمكن الاحتراز عنهما كما قال صلى الله عليه وسلم القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون قاله صلى الله عليه وسلم حين قبض ولده إبراهيم وأما قوله تعالى فهو كظيم فمعناه ممسك الحزن يتردد حزنه في جوفه ويقال معناه كظيم يتغيظ على أولاده قوله عز وجل قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون معناه قالوا والله لا تفتأ أي لا تزال تذكر يوسف عليه السلام حتى تكون دنفًا أو تموت وإنما أضمر لا في قوله لأن العرب تقول والله تدخل هذه الدار وتريد بذلك نفي الدخول وإذا أرادت الإثبات قالت والله لتدخلن هذه الدار وبهذا قيل إذا حلف الرجل فقال والله أدخل هذه الدار فدخلها حنث لأن تقديره في العربية والله لا أدخل وقوله تعالى تفتأ يقال فتئ يفتأ وفتأ يفتؤ بفتح العين وكسرها أي زال يقال ما فتئت أفعل كذا وما فتأت أي ما زلت والحرض الذائب البالي وأصله من الفساد في الجسم أو في الأخلاق يقال أحرضت فلانًا على فلان إذا أفسدته عليه وعن الحسن رضي الله عنه حتى تكون حرضًا بضنى أراد كالأشنان المدقوق وأما قوله تعالى قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله معناه قال لهم يعقوب عليه السلام إنما أرفع همي وحزني إلى الله تعالى والبث هو تفريق الحزن الذي لا يكاد يصبر عليه صاحبه حتى يبثه وقوله تعالى وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة وإنا سنسجد له ويقال أعلم أن يوسف عليه السلام حي لم يمت لأنه روي أن ملك الموت دخل على يعقوب عليهما السلام فقال له يعقوب عليه السلام هل قبضت روح ابني يوسف قال لا وبشره عاجلًا فعند ذلك قال يعقوب عليه السلام لأولاده كما قال الله عز وجل يا بني اذهبوا

فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون معناه قال لهم اذهبوا إلى مصر فاستخبروا واطلبوا يوسف وأخاه وانظروا إلى ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه يقع لي أن الذي حبس بنيامين هو يوسف عليه السلام بنفسه فإنه طلب بنيامين منكم واستخرج الصاع من رحله والتحسس في اللغة هو طلب الشيء في الحواس وأما قوله تعالى ولا تيأسوا من روح الله فمعناه من رحمة الله وفضله وروح الله تعالى هو الفرج من قبل الله تعالى إنه لا ييأس أي لا ييئس من الفرج من الله تعالى في دار التكليف إلا القوم الكافرون بالله تعالى وفي بعض الروايات أن يعقوب عليه السلام كتب معهم كتابًا إلى عزيز مصر بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب ابن إسحق ابن إبرهيم إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء فابتلي جدي إبرهيم خليل الرحمن بأن طرح في النار فجعلها الله تعالى عليه بردًا وسلامًا وابتلي عمي إسمعيل بالذبح ففداه الله تعالى بكبش عظيم وابتلي أبي بالعمى وابتليت أنا بغيبة ابني يوسف عليه السلام فذهب بصري وزعمت أن ابني سرق وما لذت سارقًا فخل سبيل ابني وإلا فإن الله تعالى يفعل ما يشاء قال فلما دفع هذا الكتاب إلى أولاده قال لهم إذا دخلتم عليه فقولوا له يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر فذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين معناه فلما دخلوا على يوسف عليه السلام في المرة الثالثة قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أي أصابنا وأصاب أهلنا ومواشينا الشدة من السنين القحاط وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة كاسدة والمزجاة هي الشيء اليسير الذي لا يدافع به يقال فلان يزجي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به روي أنهم جاؤوا بمتاع العرب مثل الأقط والجبن والسمن والصوف وقد جاؤوه بدراهم رديئة لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس عند التجوز بها والإغماض فيها وقوله تعالى فأوف لنا الكيل كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة وقوله وتصدق علينا أي تفضل علينا بنقصان السعر هكذا روي عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه ويقال معناه تفضل علينا بما بين الثمنين وقال سفيان بن عيينة رحمه الله سألوه الصدقة وهم أنبياء عليهم السلام وكانت حلالًا لهم وإنما حرمت على النبي صلى الله عليه وسلم وكره مجاهد رحمه الله أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا فإن الصدقة إنما هي ممن يبتغي الثواب وقوله تعالى إن الله يجزي المتصدقين أي يجزيهم على صدقاتهم بأفضل منها وقوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه روي أنهم لما رفعوا الكتاب إليه فقرأه عليه السلام حتى ارتعد حتى سقط الكتاب من يده ثم انتحب انتحابة كادت تنقطع منها صلبه فقال لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه قال السدي رحمه الله لما رأى يوسف عليه السلام عليهم أثر الشدة وسمع منهم قولهم مسنا وأهلنا الضر رق عليهم فدمعت عيناه فأنساهم ما كان يكتمه عنهم من كونه يوسف عليه السلام فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقص عليهم جميع ما عاملوه به من القائهم إياه في الجب بعد أن كانوا قد أجمعوا على قتله من قبل ثم بيعهم إياه كما يباع الأرقاء وكتب العهدة على رجلين منهم في بيعهم بخسًا وقولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل وفعلهم بأخيه حتى صار ذليلًا فيما بينهم لا يمكنه أن يكلمهم إلا كما يكلم الذليل العزيز فأراد بقوله عليه السلام إذ أنتم جاهلون جاهلية الصبا فقال أراد بذلك إذ أنتم شبان أحداث لا تعرفون أمور الدين فلما قص عليهم ذلك قالوا له أإنك لأنت يوسف وإنما قالوا على لفظ الاستفهام لأنهم كانوا بعيدي العهد به ويقرأ أإنك بكسر الألف بهمزة واحدة على التحقيق والإثبات وقوله تعالى قال أنا يوسف وهذا أخي ظاهر المراد في قوله تعالى قد من الله علينا بصبرنا على الشدة ما لم ينعم على غيرنا إنه من يتق المعاصي ويصبر على الشدائد فإن الله

لا يبطل ثواب المحسنين وابتاع هو وهاب الشي من غير عوض • قوله عز وجل قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين
اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين معناه قال إخوة
يوسف عليه السلام ليوسف والله لقد فضلك الله علينا بما انعم به عليك وقد كنا عاصين لله تعالى
فيما فعلنا وهذا يدل على انهم كانوا قد ندموا على ما فعلوا ولم يصروا عليه وقوله تعالى لا تثريب عليكم
اليوم اي لا اذكر لكم ذنبكم بعد هذا اليوم يغفر الله لكم ما كان منكم وهو ارحم الراحمين بعباده ثم
معناه قال لهم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اي يرجع بصيرا كما كان من قبل وائتوني
باهلكم اجمعين • روي انهم كانوا نحوا من سبعين انسانا • وفي الاية بيان معجزة يوسف عليه
السلام لانه لم يكن يعرف ان القميص اذا القي على وجه ابيه يعود بصيرا الا من جهة الوحي • قوله
عز وجل ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي
ضلالك القديم • روي انه لما خرجت القافلة من العريش وهي قرية ما بين مصر وكنعان وكان
بينهم وبين يعقوب عليه السلام ثمانية ايام قال يعقوب عليه السلام لولد ولده وكان اولاده كلهم
بمصر اني لاجد ريح يوسف • روي ان الريح حملت رائحة يوسف عليه السلام الى ابيه عليه السلام
ومثل ذلك جائز في زمن الانبياء عليهم السلام لانه يجوز انتقاض العادة في وقتهم • وفي بعض الروايات
ان ذلك القميص كان من الجنة وكان الله تعالى البسه ابرهيم عليه السلام حين القي في النار فصارت
عليه بردا وسلاما • فكساه ابرهيم اسحق عليه السلام فكساه اسحق يعقوب عليهما السلام وكان يعقوب
عليه السلام ادرج ذلك القميص في قصبة وعلقه وجعله على يوسف عليه السلام لما كان يخاف عليه
من العين فامر جبريل عليه السلام ان ارسل اليه بقميصك هذا فان فيه ريح الجنة وريح الجنة لا يقع
على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فلذلك اصاب يعقوب عليه السلام ريحه من مدة ثمانية ايام • وقوله تعالى
لولا ان تفندون معناه لولا ان تستجهلوني في الراي لقلت انه حي لم يمت قال الخليل الفند انكار العقل
من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند • وقوله تعالى قالوا
تالله اي قال له ولد ولده والله انك لفي ذهابك من الصواب دائما وانما قالوا له ذلك لانه كان عندهم
ان يوسف عليه السلام قد مات وقد اتى عليه السنون قال سفيان بن عيينة هذه كلمة كبيرة قالوها
لنبي من الانبياء صلوات الله عليهم ولم يكن لهم ان يقولوها الا انهم قالوها على جهة الاستحكام على خوف
الله تعالى عنهم • قوله عز وجل فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل
لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف
أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم معناه فلما ان جاء البشير وهو يهوذا بالقميص القاه على
وجهه فعاد بصيرا كما كان وذلك ان يهوذا قال ليوسف عليه السلام انا ذهبت بالقميص وهو ملطخ
بالدم اليه ولنا اذهب بالقميص اليه فانا اخبره بانك حي وافرحه كما احزنته فكان هو البشير واما
قوله تعالى قال الم اقل لكم معناه قال اني كنت اعلم ان يوسف عليه السلام حي وكنتم لا تعلمون ويقال
اني اعلم من ابتلاء الله تعالى للانبياء صلوات الله عليهم بالشدايد لتصبر ولتعليها فيثيبهم بما يكشف تلك
الشدايد عنهم ما لا تعلمون وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا معناه قال له بنوه يا ابانا ادع
الله تعالى ان يغفر لنا ذنوبنا معناه انا كنا مسيئين بك عاصين لله تعالى وانما سألوا الاستغفار بعد
حصول التوبة منهم لاجل المظلمة المتعلقة بعفو المظلوم ولكن سأل يعقوب عليه السلام ربه ان لا
يؤاخذهم بما عملوه وقوله تعالى سوف استغفر لكم ربي • روي ان يعقوب عليه السلام قال لهم سوف
ادعو لكم ربي ليلة الجمعة آخر السحر انه هو الغفور الرحيم الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم ويقال انهم

لم يلتمسوا منه ان يستغفر لهم في الحال وانما التمسوا منه ان يستغفر لهم على الدوام وان يجعلهم في ذكره
في الدعاء • قوله عز وجل فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله
آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي
حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث
فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين • روي ان يوسف
عليه السلام كان خرج من مصر بحشمه لاستقبال ابيه واخوته فاتفق لهم النزول في بعض الطرق كما يفعله
الملتقي فدخل ابوه واخوته عليه ولعله كان ادخلهم عليه في خيمة او نحوها وقيل كان هو بالعرش
مع حاشيته اذ دخلوا عليه يوم عاشورا فذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه اي ضمهما
الى نفسه قال الحسن رضي الله عنه كانا ابويه على الحقيقة وكانت امه في الاحيا وهذا معنى ظاهر
الاية وقال جماعة من المفسرين رحمهم الله اراد بابويه اباه وخالته لان امه كانت قد ماتت قبل ذلك
روي انه كان موتها نفاسها من بنيامين ولهذا سمي بنيامين بلغة العبرانية ابن الوجع والعرب تسمي
العم ابا والخالة اما وقوله تعالى وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين والاستثناء في هذا الموضع على ما
عليه عادة اهل الدين وقوله تعالى امنين اي من العدو والقحط ما لا سواكها قال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه دخلوا مصر وهم نحو من سبعين انسانا وخرجوا مع موسى عليه السلام وهم ستمائة الف و...
الفا وقيل في معنى الاية انهم دخلوا على يوسف بمصر فاوى اليه ابويه اي اعطاهم المأوى في منزله واراد
الاستقرار والاقامة اي يقيموا فيها امنين واما قوله تعالى ورفع ابويه على العرش معناه رفعهما معه
على سريره وقوله تعالى وخروا له سجدا اي سجد له ابواه واخوته الاحد عشر سجود تحية وتشريف وكان
في ذلك الزمان يسجد الوضيع للشريف والصغير للكبير وقد تقدم نسخ هذا السجود في سورة البقرة وعن
عمر رضي الله عنه انه خرج الى بعض القرى فخرج اليه دهقان يسجد له فقال ما هذا فقال هذا شي نصنعه
للامراء والخلفاء فقال اسجد لربك الذي خلقك • ويقال معنى هذه الاية انهم سجدوا واشكر الله تعالى على ما
انعم عليهم من اجتماعهم بيوسف عليه السلام على احسن الاحوال فاراد بهذا السجود ايضا تعظيمهم ليوسف
عليه السلام كما يقال فلان صلى للقبلة ويراد به الصلوة لله تعالى لتعظيم القبلة ويجوز ان يكون معنى
السجود الميلان والانحناء كما يقال سجدت النخلة اذا مالت وقوله تعالى يا ابت هذا ... انهم لما سجدوا
ليوسف عليه السلام استعجله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل اي هذا السجود تصديق
رؤياي التي رايتها من قبل من سجود الشمس والقمر والكواكب الاحد عشر حين رايتهم لي ساجدين وقوله
تعالى قد جعلها ربي حقا يعني انهم كانوا مامورين بالسجود له من جهة الله تعالى كما امر الملائكة
بالسجود لادم عليه السلام وقوله تعالى وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن شاكرا منه على الله عز وجل بانعامه
اذ خلصه من السجن ونجاه من العبودية وجاء بابيه واخوته من البادية اليه وقوله من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي اي من بعد ان حرش الشيطان بيننا بالحسد وفي اضافته الى الشيطان دليل
انه كان خفف على قلبه جميع ما فعله اخوته لمكانه وقوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء في تدبير عباده
ولطفه جمع بيننا على احسن الاحوال انه هو العليم بمصالح العباد الحكيم في تدبيرهم واختلفوا في المدة
التي كانت بين رؤيا يوسف عليه السلام وبين تصديقها قال سلمان رضي الله عنه اربعون وقال
الحسن رضي الله عنه ثمانون سنة • وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اثنان وعشرون وقوله
قوله تعالى رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث معناه قال يا رب اعطيتني ملك مصر
اربعين فرسخا في اربعين فرسخا يحتمل ان يكون من ها هنا للتبعيض ويحتمل انه للجنس كما في قوله تعالى

فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقوله تعالى وعلمتني من تاويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا او عواقب الامور
وبنا وبل كتب الدين وقوله تعالى فاطر السموات والارض نصب على النداء على معنى يا خالق السموات
ومنشيها لا على مثال سبق انت تحفظني في الدنيا والاخرة وتقيني وتنصرني والله تعالى يوصف بانه
ولي المومنين على معنى انه يتولى حفظهم وصيانتهم والمومنون يوصفون بانهم اوليا الله على معنى يتولون
محبته وطاعته وقوله تعالى توفني مسلما معناه الطف بي لطفا اثبت به على الايمان الى ان يا تيني الموت
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يتمن نبي قط الموت الا يوسف عليه السلام وقد اجابه الله تعالى
فقال انه لريان لك وسالحقك بابائك الصالحين فقال يوسف عليه السلام رب ادخلهم فاراه اباهم في روضة
خضرا وجمع الله تعالى عظامهم ببيت المقدس وكانت يوسف عليه السلام بارض مصر والحق اوله باخرهم
فان يعقوب عليه السلام مات بمصر ووصى عند موته ان تحملوه الى البيت المقدس وكان مدفونا بمصر
حتى بعث الله تعالى موسى عليه السلام فتولى اخراج عظامه من مصر وحمله ودفنه عند قرابته ببيت المقدس
ويقال لما مات العزيز بقيت زليخا ارملة لا زوج لها رغب الملك ومن دونه في تزوجها فابت من جميعهم
وقالت انا من يوسف على رجاء وامري كايوم الى نقص بمعصيتي لالهي يوسف عليه السلام فصار ليوسف
عليه السلام العز والشرف والمرتبة العظيمة بطاعته لربه عز وجل فكيف لا اقوم الى هذا الصنم المشوم
فاجعله جذاذا والحق بيوسف عليه السلام اسلم على يديه لعل الهه يرحمني ويقضي حاجتي انه اله عظيم فقامت
فكسرت صنمها وجاءت الى طريق يوسف عليه السلام فوقفت له في يوم ركوبه في مرتبته وقام الناس
ينظرون اليه كما ينظرون الى هلال شوال فاقبل مع الاعلام والرايات مكتوب عليها هذه سبيلي ادعوا
الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين فلما صار يوسف بحذائها نادت
سبحان من يعز العبيد ويجعلهم ملوكا بطاعتهم له ويذل الموالي ويجعلهم عبيدا بمعصيتهم له فلم يسمع
يوسف عليه السلام صوتها فنادته ثانيا وثالثا حتى سمع كلامها بقرب منزله في المرة الثالثة فقال علي
بصاحب هذا الكلام فادخلت اليه فقال لها من انت قالت اما تعرفني قال اللهم لا قالت قد انكرتني
قال اشد الانكار قالت يا يوسف انا من شكك التي راودتك عن نفسك فاستعصمت بالله السما فرفعك
ووضعني واعزك واذلني وقواك واضعفني واغناك وافقرني فعلمت اني في باطل وغرور فكسرت
صنمي وجئتك طائعة مومنة اقول لا اله الا الله لترحمني فوقعت رحمتها في قلبه فقال سلي حاجتك قالت
اتفعل قال نعم قالت لي ثلاث حوائج ثم قالت يا يوسف قد ذهب بصري فادع الله تعالى ان يرد علي بصري
لانظر الى جمال وجهك فدعا الله سبحانه فرد عليها بصرها فاقبلت تنظر الى يوسف عليه السلام ثم قالت
وادع الله تعالى ان يرد علي بصري وجمالي وحسني وشعري فدعا الله تعالى فردها ذلك فلما نظر يوسف
عليه السلام اليها نكس راسه وجعل ينكت الارض باصبعه ثم قال اما تسالي الثالثة يا راس الفتنة
قالت تتزوج بي حلالا قال لها قومي يا راس الخطيئة هذه حاجة ليس في نفسي قضاؤها قالت له اما انا
فلا اقنط من رحمة الله فنزل جبريل عليه السلام على يوسف عليه السلام وقال ان الله تبارك وتعالى يامرك
ان تتزوج بها فجعلت تحمد الله وتشكره وتزوجها يوسف عليه السلام فلما دخل بها وجدها عذرا
فقال لها يوسف عليه السلام اليس هذا خير مما كنت تريدين قالت بلى ولا تلمني ايها الملك فانه زوجي
كان عنينا لا ياتي النساء انها ولدت له ابنين فاقام يعقوب عليه السلام عند يوسف عليه السلام
ثماني عشرة سنة ومات قبل يوسف عليه السلام بسنتين فان قيل اذا كانت رؤية الانبيا صلوات
الله عليهم صادقة فكيف يجوز ان لا يثق يعقوب عليه السلام بلقا يوسف عليه السلام وقد عبر له
الرؤيا التي راها قيل ان يوسف عليه السلام راها وهو صبي فذكر يعقوب عليه السلام تاويلها على
سبيل الرجا وغالب الظن وقد يكون حزن الحبيب على مفارقة حبيبه اشد مع ثقتهما على الالتقا في الثاني

فان قيل كيف جاز ليوسف عليه السلام ان يكتم خبره على ابيه هذه المدة الطويلة مع قرب المسافة
وهل في العقوق شي اعظم من ذلك قيل عذره في ذلك واضح لانه وقع بمصر وهو صبي وكان عبدا لا
يستطيع الخروج من الدار الا باطلاق العزيز له ذلك ثم وقع في الحبس مدة كثيرة فلما خرج احتال في
الوصول الى خبر ابيه لان اباه كان يسكن البادية ولا يستقرون في بقعة واحدة بل كانوا يتبعون
الما والعشب وينتقلون من ماء الى ماء وكان يعلم ان اخوته لا يوصلون اليه كتابا فاجتهد في تحصيل
كلمه عنه على احسن الوجوه **قوله عز وجل** ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون معناه ذلك الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف
عليه السلام واخوته من اخبار ما غاب علمه عنك نوحيه اليك على السنة الملائكة وما كنت عندهم
اذ عزموا امرهم على القا يوسف عليه السلام في الجب وهم يمكرون به وكان مكرهم القاهم اياه في الجب
واجماع الامر العزم عليه بعد تفرقهم بالراي وقد كانوا من قبل مفترقين في الراي ثم اجمعوا من بعد كما
تقدم ذكره في اول هذه السورة **قوله عز وجل** وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين معناه وما اكثر الناس بمؤمنين بالقرآن
والرسول صلى الله عليه وسلم ولو حرصت يا محمد على دعايهم الى الايمان وجهدت كل الجهد وقوله تعالى
وما تسالهم عليه من اجر وما تسالهم يا محمد على دعايهم الى الله عز وجل من جعل فيصدهم ذلك عن الايمان
وقوله تعالى ان هو الا ذكر اي ما القرآن الا موعظة للعالمين **قوله عز وجل** وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون معناه وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى مما في السموات من الشمس والقمر
والنجوم وغير ذلك ومما في الارض من الاشجار والنبات وجميع الحيوانات وغير ذلك من الاشيا الظاهرة
للحواس المدركة بالعيان يرونها ويشاهدونها ثم لا يستدلون بذلك على ان لها مدبرا حكيما عالما
قادرا لا يشبهه شي من المخلوقات ويقال اراد بايات الارض آثار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم كانت
اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم ولا تتحرك افئدتهم ولا يتعظون وقرا السدي والارض بالنصب
ويقرا والارض بالرفع على الابتدا واما قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون معناه
ما يصدق اكثرهم بلسانه بالله الا وهم مشركون به يعني لانهم يؤمنون من وجه كما قال الله تعالى
ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ويشركون من وجه وهو عبادتهم للاصنام ويقال اراد به تلبيتهم في الحج
فانهم كانوا يقولون لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال الحسن رضي
الله عنه المراد بهذه الاية اهل الكتاب معهم ايمان من وجه وشرك من وجه **وفي بعض
الروايات** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هم المشبهة آمنوا بالله تعالى في الجملة
ثم اشركوا به في التفصيل وفي الاية بيان انه يجوز ان يجتمع في الشخص الواحد الايمان والكفر من
وجهين مختلفين فان مع اليهودي ايمانا بموسى عليه السلام وكفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال
جل ذكره حكاية عنهم ونقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض فذكر ايمانا من وجه وكفرا ببعض
وكذلك قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فخاطبهم بالايمان من وجه وبالكفر
من وجه اخر ولا يجوز ان يجتمع للشخص الواحد صفة مومن وكافر لان صفة مومن على الاطلاق
صفة مدح يقتضي استحقاق الثواب وصفة كافر على الاطلاق صفة ذم تقتضي استحقاق العقاب ويتنافى
استحقاق الصفتين معا على الاطلاق في حالة واحدة فاذا اقر به اليهودي بان ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم
من عند الله تعالى حق واقر بان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى جميع الخلق وقال دخلت في دينكم
فقد اتى بما يقتضي الايمان على الاطلاق وكان مومنا فاذا قال محمد رسول الله فلم يزد على هذه المقالة

نظر فان لم يكن في دين اليهودي قبل هذه المقالة ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول
الى العرب صار مسلما بهذا القول لانه ليس في لفظه الا ما يدل على الاسلام فان كان في دين اليهودي قبل
هذه المقالة ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الى العرب لم يكن قوله محمد رسول الله
دليلا على الاسلام لانا اذا استفسرناه قال هو رسول الله اليكم هكذا ذكر محمد بن الحسن رضي الله
عنه هذا التفصيل في السير الكبير وقال انما يوخذ في هذا بالدليل فان لم يكن ذلك الاسلام
بعينه فان مات بعد ان يقول شيا مما يدل على الاسلام صلي عليه واستغفر له والله اعلم قوله عز
وجل أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون
معناه او امن الكفار ان يغشاهم العذاب من الله عز وجل او تاتيهم القيمة فجاة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب قوله عز وجل قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان
الله وما أنا من المشركين معناه قل يا محمد هذه ديني وانما قال هذه لان السبيل يذكر ويونث
قوله عز وجل ادعوا الى الله على بصيرة معناه ادعوا الى الله على معرفة مني بالله تعالى انا ومن اتبعني معناه
انا ومن اتبعني ندعوا الى الله عز وجل ويجوز ان يكون قوله تعالى ادعوا الى الله كلاما تاما ويكون
قوله على بصيرة ابتدا الكلام بعده كانه قال عز وجل قل انا على بصيرة ومن اتبعني على ديني على بصيرة
وقوله تعالى سبحان الله كلمة تنزيه لله تعالى وقوله تعالى وما انا من المشركين اي لست معهم على
دينهم قوله عز وجل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا
أفلا تعقلون معناه وما ارسلنا من قبلك يا محمد الرسل الا رجالا منسوبين الى اهل القرى مثلك يوحى
اليهم كما يوحى اليك قال الحسن رضي الله عنه لم يبعث الله تعالى الى الناس امراة ولا ارسل اليهم رسولا
من اهل البادية وذلك ان اهل الامصار يكونون اثبت عقولا واشد احلاما منهم وقوله تعالى افلم يسيروا
في الارض معناه افلم يسير اهل مكة في الارض فيروا اثار ديار الذين من قبلهم من الكفار فيخافوا ان ينزل
بهم من عذاب الله تعالى مثل ما نزل باوليك وقوله تعالى ولدار الاخرة يعني الجنة خير للذين اتقوا الكفر
والشرك والفواحش واضاف الدار الى الاخرة على سبيل اضافة الشي الى نفسه كما يقال بارحة الاولى و[illegible]
وعام الاول ويوم الجمعة وقوله تعالى افلا تعقلون معناه افليس لهم ذهن الانسانية ان الاخرة الباقية
خير من الدنيا الفانية قوله عز وجل حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين قيل ان حتى ههنا غاية لفعل مضمر قبله
والسين في قوله تعالى استيأس زايدة لتكثير الحروف المعنى تركوا في غوايتهم حتى اذا ايس الرسل
اجابة الامم وايقنوا ان القوم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجعون عنه جاءهم نصرنا باهلاك قومهم هذا
معنى من قرا بالتشديد في قوله تعالى قد كذبوا واما من قرا بالتخفيف فمعناه حتى اذا ايس الرسل عن ايمان
المرسلين اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اوعدوهم ويقال ظنوا ان الرسل قد اختلفوا فيما اوعدوهم به من
العذاب وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان معنى هذه القراة وظن الرسل انهم قد اختلفوا فيما وعدوا وهذا بعيد
من صفة الرسل ومعاذ الله ان يظن الرسل هذا بربها واما قوله تعالى فنجي من نشا ومن قرا بنونين و
باسكان اليا كان المعنى ننجي من نشا الا انه ادغمت احدى النونين في الاخرى ومن قرا بنون واحدة فمعناه
بفتح اليا فعل ما لم يسم فاعله ويقرا بنونين فننجي على الاستقبال والمراد بمن نشا الرسل ومن امن منهم
وقوله تعالى ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين معناه ولا يرد عذابنا عن القوم الكافرين قوله عز وجل
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معناه لقد كان في قصص من تقدم من الانبيا صلوات الله

عليم

عليهم عبرة لمن اراد ان يعتبر في الصبر في البلايا والمحن كما صبر يعقوب ويوسف عليهما السلام حتى ختم
الله تعالى لهما بالملك والعلوم والسلطان والفرج من الاحزان ولا يحسد احدا كما حسد اخوة يوسف
يوسف عليه السلام فلم ينفعهم كيدهم شيا وفيما لقي يوسف عليه السلام من اخوته الذين كانوا اهم
الى الناس بالشفقة عليه والذب عنه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما لقي من اهل مكة وفي دعا يوسف
عليه السلام اهل السجن الى عبادة الله تعالى وتوحيده وهو في السجن تحريض للنبي صلى الله عليه وسلم ولجماعة
المسلمين رحمهم الله على ان يفعلوا مثل ما فعله واما قوله تعالى ما كان حديثا يفترى فمعناه ما كان
القران حديثا يختلق ولكن كان تصديقا للكتب الذي بين يديه من التورية والانجيل وغيرهما ومن
قرا تصديق بالرفع فعلى اضمار هو ونظير هذا في النصب والرفع قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين يقرا رسول بالرفع والنصب كذلك قوله تعالى وخاتم النبيين
عطفا عليه بنصب الميم ورفعها كما في هذه الاية واما قوله تعالى وتفصيل كل شي فمعناه وتبيان كل شي
يحتاج الناس اليه في دينهم ودلالة ونجاة من العذاب لقوم يصدقون محمد صلى الله عليه وسلم والقران
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علموا ارقاكم
سورة يوسف عليه السلام فايما مسلم قراها وعلمها اهله او ما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه
سكرات الموت واعطاه من القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية

عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما الا ايتين قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الى اخر السورة قال مقاتل هي مكية الا الاية
التي في اخر السورة كانه ذهب الى ان قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا اخبار من الله عز وجل عن هذا الامر
قبل وقوعه وقال قتادة رحمه الله هي كلها مدنية واما عدد اي هذه السورة فهي ثلاث واربعون
اية عند الكوفيين واربع عند الحجازيين وخمس عند البصريين وسبع عند الشاميين

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب
والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون قال عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما معنى المر انا الله اعلم وارى وقوله تعالى تلك ايات الكتاب اي هذه ايات الكتاب
وقوله تعالى والذي انزل اليك من ربك الحق هو القران ايضا قالوا وانما اعاد ذكر القران لانه جا
وصف القران بصفتين احدهما انه كتاب والاخرى انه منزل وهذا كما قال الشاعر
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وهذا كله صفة لواحد ويقال المر
اسم السورة وقوله تعالى تلك ايات الكتاب اي هذا المنزل عليك هو ايات الكتاب التي وعدك
ان ينزلها عليك وقد انزل بعضها والذي انزل اليك من هذا الكتاب هو الحق لا باطل فيه وان كان
قريش لا يصدقون بصحته ووضوحه ويجوز ان يكون قوله تعالى تلك اشارة الى الحروف التي في
اول السورة لان الكتاب منها يتالف وقال قتادة رحمه الله تعالى المراد بقوله تعالى تلك ايات
الايات التي انزلت اليك قبل القران ثم ان الله سبحانه دل خلقه على صنعه وتوحيده فقال عز من قائل
الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري
لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون معناه ان الله تعالى هو الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها انتم كذلك بلا عمد هكذا قال اكثر المفسرين رحمهم الله وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما في رواية بعمد لا ترونها كانه قال بغير عمد مرئية والاول اقرب الى الصحة لانه لو كان للسماء
عماد يقلها لكنا نرى ذلك العماد لان مثل السموات في ثقلها وارتفاعها وعظمها لا يقلها عماد الا ويكون ذلك العماد
جسما عظيما ولو كان للسموات عماد يقلها لكان ذلك العماد على جسم اخر يقل ذلك العماد وكان يحتاج ذلك الجسم

الى عماد اخر فكان يتسلسل الى ما لا نهاية هي ومن المعلوم ان السموات والارضين متناهيه غير محتملة
الزيادة والنقصان فاذا كان ابنا وها الى جسم لا يكون على شي لجاز ان تكون السموات لا على
عماد قيل ان المراد بالعمد التي ذكرها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قدرة الله تعالى التي بها يمسك
السموات والارض فعلى هذا مرجع كلا التفسيرين الى معنى واحد والعمد جمع عماد كما يقال اهاب
واهب وأديم وادم وكان القياس ان يكون على ضمتين لان ما كان على فعال او فعول او فعيل اذا
جمع فعل بضمتين وقد قرئ قوله تعالى في عمد ممددة بقرائتين وفي الاية دلالة على ان الله تعالى ليس بجسم
ولا محدث لان الجسم لا يمكنه ان يمسك جسما في الجو صغر او كبر الا بعماد يقله وفيه دلالة على ان الله تعالى
قادر على خلق الاجسام لان الخلق كما عجزوا عن امساك الجسم الثقيل في الجو فكذلك عجزوا عن اختراع
الاجسام والله تعالى قادر على امساك السموات في الهوى من غير عماد فيجب ان يكون قادرا على اختراع الاجسام
ايضا واما قوله تعالى ثم استوى على العرش قد تقدم انه لا يجوز ان يكون معنى الاستوا الجلوس واعتدال
الجسم لان ذلك من امارات الحدوث فلا يجوز على الله تعالى واذا لم يجز ذلك علم ان المراد به الاستيلا
والعلو والقهر والتدبير واما تخصيص العرش فقد سبق ان العرش اعظم ما خلق الله تعالى بالاقتدار
والاستيلا عليه واما حرف ثم فيجوز ان يكون دخولها في لفظ الاستوا على معنى انه لا يجوز ان يذكر الاستيلا
على العرش الا بعد ان توجد نفس العرش ويجوز ان يكون ثم مقرونا بالاستوا في اللفظ وهو في المعنى
مقرون بتسخير الشمس والقمر وهو مستول على العرش لان استيلا الله تعالى عليها قدرة عليها وقدرة قدرته
الله تعالى لا تكون محدثة نعلم ان ثم مقرونة بالتسخير ونظير هذا قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين فذكر حتى نعلم واراد حتى يجاهد المجاهدون منكم ونحن عالمون بذلك واما قوله
تعالى وسخر الشمس والقمر فمعناه اجراهما لمنافع بني ادم ومعنى التسخير ان يكون الشي مقهورا مدبرا لا يملك
لنفسه ما يخلصه من القهر وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى يجريان مجاريهما التي سخرا فيها لا يجاوزانها
يطلع كل واحد منهما في منزل ويغرب في منزل حتى ينتهي الى اقصى منازله ثم يرجع فهذا هو الاجل المسمى
ويجوز ان يكون المراد بالاجل وقت انقضا الدنيا واذا انقضت كورت الشمس وانكدرت النجوم كما
وصفها الله تعالى في يوم القيمة وقوله تعالى يدبر الامر اي يقضي القضا ويبعث الملائكة بالوحي والتنزيل
والاقضية والرزق والمصيبة كل بالحكمة وقوله تعالى يفصل الايات معناه ياتي باية في اثر اية ليكون
امكن للاعتبار والتفكر وقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون معناه لتستيقنوا بالبعث وما وعدكم
الله تعالى بعده من الثواب والعقاب ثم دلهم جل ذكره بايات الارض فقال عز من قايل
وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لما ذكر السقف ذكر ما تحته المعنى
وهو الذي بسط الارض طولا وعرضا ليتمكن الحيوانات عليها وان الحيوان لا يمكنه ان يثبت
الا على مكان يمكنه التصرف عليه وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اي خلق في الارض جبالا ثوابت
اوتادا لها ولو اراد ان يمسكها من غير الرواسي لفعل الا انه امسكها بالرواسي لان ذلك اقرب
الى افهام الناس وكان اختلاف الارض ادل على الله تعالى وقوله تعالى فيها انهارا اي اجرى انهارا وقوله
تعالى ومن كل الثمرات معناه وخلق من جميع الثمرات من كل شي لونين جعل فيها الحلو والحامض والاسود
والابيض والزوج الواحد الذي له قرين وذكر الاثنين للتاكيد وقوله تعالى يغشي الليل النهار
معناه ياتي بالليل ليذهب بضيا النهار فيسكن الناس بالليل وياتي بضيا النهار ليمحو ظلام الليل لينتشروا
فيه في معايشهم وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون معناه ان ما ذكرت من هذه الاشيا لدلالات
لقوم يتفكرون في صنع الله تعالى فيستدلون بذلك على توحيده ثم زادهم في البرهان فقال عز و

جل

جل وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى
ض بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون معناه وفي الارض ابعاض
متجاورات منها الجبل الصلب الذي لا ينبت عليه النبات ومنها الارض الخربة التي لا يمكن انبات النبات
فيها الا بالمشقة ومنها الارض السبخة التي لا ينبت عليها شي ومنها الارض الطيبة التي تنبت وهذه الاراضي في
ذلك متجاورة ملتصقة وقوله تعالى وجنات من اعناب معناه وبساتين معناه من كرم وزرع ونخيل وفي
القراة وجنات على معنى وجعل فيها جنات ومن قرا وزرع ونخيل بالضم فهو عطف على قوله تعالى قطع
الزرع لا يكون في الجنات وقراة العامة وزرع ونخيل بالكسر على المجاورة واما قوله تعالى ونخيل
صنوان وغير صنوان فمعناه ونخيل مجتمع اصولها في اصل واحد ونخيل متفرق اصولها والحرة والصنوان ن
جمع الصنو ومعنى الصنوان ان يكون الاصل واحدا تخرج منه النخلتان والثلاث والاربع كما ورد
في الحديث عم الرجل صنو ابيه واما صنوان بضم الصاد فلغة ومعنى اللغتين واحد وقوله تعالى يسقى
بماء واحد من قرا بالتا فعلى لفظ الجماعة ان هذه الاشيا كلها تسقى بماء واحد اما المطر واما النهر ثم يكون
بعضها افضل من بعض في الطعم حتى يكون بعضها حلوا وبعضها حامضا وبعضها والما والتراب واحد
كان والوان الثمار وطعمها مختلفة فذلك من ادل الدليل على وحدانية الله تعالى عز وجل وعلى وحدانيته ولانه لو
حدوث هذه الاشيا المختلفة في اللون والطعم والريح من ايجاب الطبيعة لاستحال اختلافها وتضادها
مع اتفاق الموجب لها فثبت ان المحدث لها قادر حكيم مختار فقد احدثها على اختلافها على علم منه
بها وهو الله تعالى وقال مجاهد رحمة الله هذا مثل بني ادم اصلهم تراب واحد ثم منهم طاهر ومنهم
خبيث وكامل الخلقة وناقص الخلقة وحسن الخلق وسيئ الخلق ومن قرا نسقي فلان التانيث غير حقيقي
كان تقال نسقى المذكور واما قوله عز وجل ونفضل بعضها على بعض في الاكل من قرا نفضل بالنون فعلى
التبجيل على ما عليه عادة العرب كما قال الله تعالى انا نحن نحيي ونميت ومن قرا يفضل بالياء فلانه سبق
ذكر الله تعالى واما قوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فمعناه فيما ذكرت لكم من الاراضي والجنات
والثمار المختلفة العلامات دلالات على توحيد الله تعالى لقوم يعقلون ان ذلك من الله تعالى قوله
عز وجل وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك
الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون معناه وان تعجب يا محمد من تكذيب
اهل مكة واشراكهم بالله عز وجل مع ما تقدم ذكره من الدلايل الدالة على توحيد الله تعالى فقولهم
ح اعجب عند عقلا الناس العارفين بربهم حيث قالوا ائذا كنا ترابا اي صرنا ترابا انبعث ونرد فينا الروح
بعد الموت والبلا وقد يوضع عجب في موضع اعجب كما يقال هو خير منه وشر منه وانما سمى قولهم ائذا كنا
ترابا عجب لان البعث اسهل في القدرة فيما بين الله تعالى لهم ان البعث اعادة الى ما كان والاعادة
فتعجب اسهل في طباع الادميين من الانشا ويجوز ان يكون معنى قولهم موضع التعجب وقد قرئ قوله تعالى ائذا
كنا ترابا بتحقيق الهمزتين فيهما وتليين الهمزة الثانية وبالمد مع الهمزة ومعناهما كلها الاستفهام ويقرا اذا
كنا ترابا بهمزة واحدة لانهم لم يشكوا في الموت وانما شكوا في البعث بعد الموت ويقرا ائذا بالاستفهام وانا
على وجه الخبر معطوفا عليه كما في قوله تعالى افائن مت فهم الخالدون ولم يقل افهم الخالدون واما
قوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم فهو اعلام من الله تعالى ان المستفهم بعد هذا البيان والبرهان على
جهة الانكار كافر وقوله تعالى اولئك الاغلال في اعناقهم ان تغل ايمانهم الى اعناقهم بالسلاسل في النار
ويكون يسارهم وراء ظهورهم وهم مصفدون من قرونهم الى اقدامهم ويقال معناه ان نفس كفرهم واعمالهم
التي عملوها في الدنيا اغلال في اعناقهم فان كفرهم قادهم الى الذل حتى عبدوا الاوثان يقال للرجل هذا
الامر في عنقك اي لازم لك تجازى عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد

خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب معناه
ويستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به على وجه التكذيب والاستهزاء قبل الثواب الذي تعدهم به
على الايمان ويقال قبل الاحسان بالانظار فان انظار من وجب عليه العقاب ليتوب عن الكفر احسان
اليه كانظار من وجب عليه الدين وقوله تعالى وقد خلت من قبلهم اي خلت من قبلهم العقوبات
من الله تعالى في الامم الماضية والمثلة في اللغة العقوبة كما يقال صدقة وصدقات وتقال
المثلات الاشباه والامثال بما تعرفه وقرا بعضهم رحمه الله المثلات بضم الثا والميم على جمع المثلة وتقرا
المثلات بضم الميم واسكان الثا كما قال سبل وعضد ونحو ذلك وقوله تعالى وان ربك لذو
مغفرة اي لذو التجاوز عن الناس على ظلمهم لانفسهم وقوله تعالى وان ربك لشديد العقاب معناه لشديد
العقاب لمن استحقه. **قوله عز وجل** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
انما انت منذر ولكل قوم هاد معناه ويقول الذين كفروا لمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
هلا انزل عليه من ربه لنبوته يعنون الايات التي كانوا يقترحونها عليه نحو ما ذكره الله تعالى من
قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر ما ذكر وهو يقول الله عز وجل انما انت منذر
اي انت يا محمد معلم بموضع المخافة وليس انزال الايات اليك انما هو الى الله تعالى ولو وجب اجابة المتعنت
الى ما يتعنت فيه بعد اقامة الحجة عليه لكان اذا اقترح واحد منهم شيئا واقترح الاخر شيئا لوجب اجابة
كلهم الى ما اقترحوا وهذا مما لا يجوز واما قوله تعالى ولكل قوم هاد فمن جعل هذه الواو للجمع فوصلها
بما قبلها كان تقدير الكلام انما انت منذر وهاد لكل قوم ومن قطع هذه الواو وجعلها للاستيناف
كان المعنى ولكل قوم هاد نبي مثلك يهديهم والله تعالى الهادي. **قوله عز وجل** الله يعلم
ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة
الكبير المتعال معناه الله تعالى اعلم ما تحمل كل انثى من علقة او مضغة او ذكرا او انثى او كامل الخلقة
وقوله تعالى وما تغيض الارحام قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله وما تنقص من
الاشهر التسعة في الحمل قال ابن عباس رضي الله عنهما وما تزداد على التسعة فان الولد قد يولد لستة
اشهر وتعيش ويولد لسنتين وتعيش وقال الحسن رضي الله عنه وما تنقص بالسقط وما
تزداد بالتمام والغيض هو النقصان ويقال هو ذهاب المائع في العمق وقال عكرمة رضي الله عنه
ما غاضت الرحم بالدم في حملها فهو نقصان من الولد وقال ابن زيد رحمه الله ما تغيض ما تنقص من النطفة
في الرحم وما تزداد بزيادة ما تحيض وهذا انما يصح على قول من يقول ان الحامل تحيض وليس في القران ما يدل
على ذلك وقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار اي فيه بيان ما قدره الله تعالى من احوال الاشيا ويحد
الولد فيه لانه تعالى قد قدر فيه احوال حياته وموته وصحته ومرضه وحال نقصان عقله وكماله
وحال تكليفه اذا بلغ حد التكليف وقدر له ما يجري عليه من رزق وما سيكون منه من طاعة ومعصية
ولده وغير ذلك وكذلك القول في سائر الاشيا ومقاديرها وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة ما كان
وفي الجملة الشكل معلوم فهو داخل في هذين الحرفين لانه بين معدوم وموجود والمعدوم اجمع في حال
الغائب والموجود فيه غائب وشاهد فبين الله تعالى انه عالم بالكل فاتبعه بل وصف نفسه بانه
الكبير وذلك يقتضي قدرته على الاشيا كلها من حيث لا يجوز عليه المنع لان معنى الكبير السيد المالك
المقتدر على كل شيء يقال الكابرنا وكبراؤنا ولا يراد بذلك الا رفع القدر وتعظيم الخطر ووصف نفسه
تعالى انه المتعال وذلك يقتضي علوه عمن لا يليق به ولا يجوز عليه. **قوله عز وجل** سواء منكم من
اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم

واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال معنى ان المضمر في نفسه والجاهر بنطقه
والمستتر في الظلمات والظاهر في الطرقات علم الله تعالى فيهم سوا وقوله تعالى من اسر القول في موضع
رفع كانه قال كلهم سوا عند الله تعالى في العلم وهذا كما يقال سواء زيد وعمرو ومعناه ذوا سوا لان سوا
مصدر والمصدر ليس باسم الفاعل قال الزجاج رحمه الله معنى السارب الظاهر بالنهار في سربه اي طريقه
وتصرفه في حوائجه يقال خل سربه اي طريقه وذكر عن قطرب رحمه الله في مستخف بالليل اي ظاهر
وسارب بالنهار اي مستتر يقال انسرب الوحش اذا دخل في كناسه والقول الاول ابلغ في وصف عالم
الغيب وذهب بعضهم رحمه الله الى ان المراد بالمستخفي والسارب المستتر بالليل والنهار واما قوله
تعالى له معقبات من بين يديه فمعناه للانسان متناوبات وهذا الكناية في قوله تعالى له رد على من اسر
القول ومن جهر به وهم الادميون وقال بعضهم رحمهم الله هذه كناية على الله تعالى ويقال هو كناية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في المعقبات قال بعضهم رحمه الله الملائكة الكرام الكاتبون
ومنهم اربعة ملكان بالليل وملكان بالنهار تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة
الليل كما قال جل ذكره اذ يتلقى المتلقيان الى اخر الاية وكما قيل في تفسير قوله تعالى ان قران الفجر كان
مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار واما قوله تعالى في هذه الاية من بين يديه ومن خلفه
يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظ لئلا يخفى عليه عمله الذي سيعمله وعمله الذي قد عمله وقوله تعالى
يحفظونه اي يحفظونه بامر الله تعالى وان حروف الصفات يبدل بعضها ببعض يقال كان الامر من تدبير فلان
وبتدبير فلان وقال بعضهم رحمهم الله تعالى معنى المعقبات الملائكة الذين يحفظون العبد من الافات كما قال
مجاهد رحمه الله ما من عبد الا وله ملائكة يحفظونه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته قال عبد الله
عباس رضي الله عنهما يحفظونه بامر الله حتى ينتهوا به الى المقادير فاذا انتهوا به الى المقادير خلوا بينه وبين المقادير
والقول الاول اقرب لان الملائكة لو وكلوا بحفظ المرء على الاطلاق لما جاز ان تنوبه نائبة كانهم لما وكلوا
بضبط اعمالهم لم يفتهم منها في الاحصا طاعة ولا معصية ولا بد من ان يراد بالحفظ امر مخصوص وذلك حفظ الاعمال
والتنبيه بالخواطر تصرف عن وجوه المهالك كما يوسوس اليه الشيطان فيصرفه الى وجه المهالك والمعاصي
ويقال اراد بالمعقبات الامرا الذين يمنعون الناس عن الظالم وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان المراد بقوله
تعالى له معقبات مع ما قبله انه يستوي في علم الله تعالى السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والجاهر بالنهار
المستظهر بالمعاونين والانصار فتكون الكناية في قوله تعالى له معقبات مردودة الى السارب بالنهار
كافة ويكون المعنى في الحقيقة ان من استخفى بالليل فلن يفوت الله تعالى امره ومن سار نهارا بالمعقبات
نحو السلطان تحرسه الاعوان الذين يقدرون انهم يحفظونه لا ينجيه حراسه واعوانه من الله تعالى قال
ولذلك عقبه الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم من العدل وشكر النعمة لان اعوانهم
يحفظونه ان يقدرون على دفع امر الله تعالى عنهم فاذا غير القوم ما بهم من الامن والنعمة بترك الشكر غير الله تعالى
حالهم عند ذلك كما قال في اية اخرى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وقال مقاتل رحمه الله انعم الله سبحانه على اهل مكة اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم واطعمهم من جوع وامنهم
من خوف فلم يعرفوها فغيرها وجعلها لاهل المدينة وقال الحسن رضي الله عنه اراد التغيير في هذه الاية
عذاب الاستيصال وهذا هو الاصح لانه يجوز ان يراد بالتغيير تغير حال الانسان من سعة الى ضيق ومن غنى
الى فقر لان مثل هذا قد يفعله الله تعالى وان لم يعصه واما قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا فالمعنى واذا
اراد الله تعالى انزال عذاب على قوم فلا دافع له وما لهم من دونه من وال يتولاهم وينصرهم ويقال من ملجا
يلجؤون اليه والموئل هو الملجا. **قوله عز وجل** هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون

في اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ وذلك ان الله سبحانه تعالى لما بيّن من قبل تحذير المفسدين من انزال ما لا مرد له اتبعه
بذكر ما يشبه العقاب وبين هذه الاية ما فيها من النعم والدلالة على الله سبحانه تعالى فقال عز من قائل
هو الذي يريكم البرق خوفا وهو اللمعة التي تنقدح من السحاب وقوله تعالى خوفا اي يخوفكم به خوفا
ويطمعكم به طمعا وهو خوف للمسافر بالمطر ان تبتل ثيابه وطريقه فلا يمكنه المسير وطمعا للمقيم
ان يسقي حرثه ويقال خوفا من ان لا ينزل الغيث فيخلف وطمعا من ان لا يخلف وقوله تعالى وينشئ
السحاب الثقال بالمطر فيجريه في الجو والانشاء ايجاد الشيء من غير اصل ولا على مثال سبق وقوله ويسبح الرعد
بحمده روي ان الرعد اسم ملك يزجر السحاب ويؤلف بعضه الى بعض وتسبيحه زجره بالسحاب قال عكرمة
رحمه الله هو كالحادي بالابل وعن سلمة بن كهيل رحمه الله انه سئل عن الرعد فقال هو ملك وسئل
عن البرق فقال هو مخاريق بايدي الملائكة من النار وذهب اهل اللغة الى ان الرعد هو الصوت
انه الضرب الذي من السحاب ويسبح الرعد بحمده على هذا القول ما فيه من الدلالة على تنزيه الله تعالى فيه
حمده ويقال يسبح سامع الرعد وقوله تعالى والملائكة من خيفته اي وتسبح الملائكة من خوف الله تعالى
واراد بالخوف خوف الهيبة والجلال والخيفة حال الخوف وكما يقال لحال الركوب ركبة ولحال الجلوس
جلسة وقوله تعالى ويرسل الصواعق اي النيران التي تسقط من الغيوم فهي فتحرق ما تقع عليه كنيران البرق
وقوله تعالى فيصيب بها من يشاء اي يهلك بها من يشاء من خلقه وقوله تعالى وهم يجادلون في الله وهو شديد
المحال اي شديد القوة والعقوبة ويقال ماحلته فلانا اذا قاويته حتى يتبين ايكما اشد ومنه سنة
محل اي شديدة في الجدب والحول والقوة وذكر القتيبي رحمه الله ان المحال هو الكيد واصله الحيلة
وعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في عامر ابن الطفيل واربد بن قيس اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما عامر فكان يكلمه ويخاصمه في الله تعالى وكان يقول انسب
لنا ربك أمن ذهب ام من فضة او من لؤلؤ وكان صلى الله عليه وسلم يرد عليه قوله فغمز عامر صاحبه
ان اضربه بالسيف وكانا قد استخليا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترط اربد شبرا من سيفه
فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فلا يستطيع سله فالتفت صلى الله عليه وسلم
فراى اربد وما صنع فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فارسل الله تعالى صاعقة على اربد فاحرقته
وولى عامر هاربا فنزل على سلولية فطعن في خاصرته فمات قوله عز وجل لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ
وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ فيه بيان حال من ينقطع الى الله تعالى ومن ينقطع الى الاصنام
ومعنى دعوة الحق كلمة الاخلاص شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن رضي الله عنه ان الحق
هو الله تعالى وكل من دعا الى الله تعالى فهو دعوة الحق وعبادته والانقطاع اليه حق ومن دعاه
لا يذهب دعاؤه باطلا وقوله تعالى والذين يدعون من دونه اي الذين يدعون من دون الله تعالى الهة
لا تستجيب الهتهم لهم بشيء الا كما يستجاب للباسط كفيه الى الماء يدعوه لعطشه مشيرا اليه مريدا انه
ان يبلغ الماء فاه وليس الماء ببالغه ومن المحال ان تجيبه الماء باشارته وان كانت اشارته الى ما في بئر
او ما على بعد فهو راجع الى الاحالة وكما لا يبلغ الماء فم هذا الرجل ولا تجيبه الى ان مات من العطش كذلك
لا ينفع الصنم لمن عنده توجه من الوجوه ويقال معنى كباسط كفيه كالقابض بكفيه على الماء كما استعمل هذا
اللفظ في المتكلفين يطلب شيئا لا يصل اليه كما لا يبقى الماء في يد القابض عليه الا ان القول الاول اقرب لانه لو كان
المراد القول الثاني لقيل على الماء لا الى الماء فدل على ان المراد بالاية الاشارة الى الماء وقوله تعالى وما دعاء الكافرين
الا في ضلال الا في ضلال عن الصواب وذهاب عن الحق لان الاصنام لا تنفع ولا تقدر على الاجابة وليس عبادتهم لها
الا جهلا منهم قوله عز وجل وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم

بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ معناه ولله يصلي ويعبد من في السموات والارض فمن يسجد له طوعا فالملائكة ومن
دخل في الاسلام طائعا وولد في الاسلام والمكره هو الذي قوتل وسبي فاجبر على الاسلام ويقال معناه
انه يجب على كل احد السجود لله تعالى الا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر ينبغي ان يكره على السجود و
المراد بالطوع اهل السماء لان عبادتهم بغير مشقة وبالكره اهل الارض لان عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا
لاهل الاخلاص وكرها لاهل النفاق ويقال معنى يسجد يخضع والكل مقهورون لله تعالى خاضعون
الا ان المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع كرها لانه لا يقدر ان يمتنع من الجبلة التي خلقه الله تعالى عليها
ولا ان يمتنع من الامراض والاسقام التي تحل به ولا من الامور التي تدل على انه مقهور ذليل خاضع لا يمكنه
الامتناع وان كان بلسانه يجحد ويكفر فقد سمي الخضوع سجودا كما قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا
اي تراها لا تمتنع بان تطأها الخيل بالحوافر والا فالجبال لا تسجد واما قوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال
فالمعنى ظلال من يسجد غدوة وعشية اذا سجد الانسان يسجد معه ظله وهو بالغدو عن اليمين وبالعشي عن الشمال
ويقال اراد بالظلال ظل الاشياء عند طلوع الشمس وارتفاعها بالغدو وعند قرب غروبها بالعشي فمرة ترى
الظل طويلا على قدر انحطاط الشمس ومرة تراه قصيرا على قدر ارتفاعها وما ذلك الا بصنع الله تعالى فيه
وقال الحسن رضي الله عنه اما ظل الكافر فيسجد لله تعالى واما هو فلا يسجد له بئس والله ما يصنع
وقال مجاهد رضي الله عنه ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره
قوله عز وجل قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا
كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ معناه قل يا محمد لاهل مكة من رب
السموات المرفوعة والارض المبسوطة فان اجابوك وقالوا هو الله والا فقل الله تعالى ربهما وقل لهم افاتخذتم
من دونه اولياء اربابا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لكم النفع والضر وانما يتخذ الانسان
الولي لينفعه او يدفع عنه ضرا وقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير اي قل هل يستوي اعمى القلب
الذي يعدل عن عبادة الخالق الى المالك للضر والنفع المنعم بوجود الانعام هل يستوي مع البصير بقلبه العالم
بانه تعالى الهه ووليه والقادر على نفعه ودافع الضر عنه ويجوز ان يكون قوله قل هل يستوي الاعمى والبصير
اي كما انهما لا يستويان وكذلك المؤمن والكافر وقوله تعالى ام هل تستوي الظلمات والنور فيه
تشبيه الكفر بالظلمات وتشبيه الايمان بالنور وقوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه معناه اجعل
الكفار لله شركاء خلقت شركاؤهم شيئا كما خلق الله تعالى فتشابه الخلق عليهم فلم يعرفوا خلق الشركاء من
خلق الله تعالى واشركوها معه في العبادة قل الله خالق كل شيء بلا شريك فاذا لم يكن الخلق الا من واحد
لم يكن الخالق الا واحدا فهو الذي يستحق العبادة بلا شريك وهو الواحد الغالب لكل شيء لا يقهره احد ثم ضرب
الله مثال الحق والباطل لان العرب كانت من عادتهم انهم يوضحون كلامهم بالمثل فقال سبحانه
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ
ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى وَالَّذِينَ
لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ معناه انزل من السماء مطرا فسالت اودية من ذلك المطر بقدر الاودية فما كان
منها كبيرا سال بقدره وما كان صغيرا سال فيه بقدره وفي قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا اي غالبا
على الماء مرتفعا والسيل ما يسيل من المواضع المرتفعة وقوله تعالى ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية معناه
مما تطرحون في النار من الذهب والفضة لطلب حلية تلبسونها له زبد اي خبث وقوله تعالى او متاع اراد به

الحديد والرصاص وما شاكلها مما يوقد عليه في النار لاتخاذ المتاع له زبد اي خبث مثل زبد الما وقوله تعالى
كذلك يضرب الله الحق والباطل اي هكذا يضرب الله تعالى مثل الحق ومثل الباطل فاما الزبد فيذهب
جفا يقول اما زبد هذه الاشيا فيذهب ناحية لا ينتفع به كان زبد الما يتعلق باصول الاشجار وجنبات
الوادي فييبس ويوثر في يبس النبات والاشجار والجفا ما رمي به الوادي وجفاه في جنباته يقال اجفات
القدر بزبدها اذا قذفت الزبد ويقال جفات الرجل اذا صرعته وكما ان زبد الما يذهب خبث لا ينتفع
به كذلك خبث الذهب والفضة وسائر الجواهر لا ينتفع بشي منها وقوله تعالى واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض معناه ان الما الصافي ونمط المطر وخالص الذهب والفضة وسائر الجواهر يبقى فيما بين الناس على
وجه ينتفعون به وقوله تعالى كذلك يضرب الله الامثال يقول للناس في امر دينهم كما ضرب لكم من
المثل قال قتادة رحمه الله هذه ثلثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد يقول كما نزل من السما ما فسالت
اودية بقدرها الصغير على مقدار صغره والكبير على مقدار كبره كذلك انزل الله تعالى القرآن من السما
فاحتملت القلوب على قدرها ذو اليقين على قدر يقينه وذو الشك على مقدار شكه قال ثم شبه الخطر
ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الما وذلك من خبث البرية لا من عين الما كذلك ما يقع في النفس من
هم وشك فهو من ذات النفس لا من ذات الحق قال ثم بين ان الزبد يذهب جفا اي هبا باطلا ويبقى صفوة
الما كذلك يبطل الشك وسوء الخطرات ويبقى الحق كما هو وكذلك ما يوقد عليه في النار لمنافع الناس
يبطل زبده وخبثه ويبقى خالصه وصفوه وكذلك الباطل يذهب ويبقى الحق وقال اراد بذكر السيل احتمال
اهوا القلوب المظلمة باطل الكفر باهواه لان السيل يجمع كل قذر لا يبقى شي من ذلك كذلك اهل الباطل ربما
يظهرون على اهل الحق في بعض الاحوال ثم يمحو الله تعالى الباطل ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله واما قوله
تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى فيه بيان الذي يبقى مما تقدم ذكره في هذه الاية فهو مثل لمن يستجيب لربه
والذي يذهب جفا فهو مثل لمن لا يستجيب والمراد بالحسنى في الاية الجنة ونعيمها وقوله تعالى والذين لم
يستجيبوا له معناه الذين لم يجيبوا ربهم الى الايمان لو ان لهم ما في الارض جميعا من الذهب والفضة وسائر
الاموال ومثله معه لفادوا به انفسهم من عذاب الله تعالى يوم القيمة لو قبل ذلك منهم ولكن لا يقبل
وقوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب اي شدة الحساب والمناقشة فيه قال ابرهيم النخعي رحمه الله هو ان
يوخذوا بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شي منها وقال سوء الحساب ان يحاسبوا بالتقريع والتوبيخ فا
الكافر على هذا الوجه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش
الحساب عذب وقوله تعالى وماواهم جهنم وبئس المهاد اي مصيرهم في الآخرة جهنم وبئس المهاد الذي
يتقلبون فيها فيقومون ويقعدون ويضطجعون عليها قوله عز وجل افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب معناه
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القرآن انما هو الحق فآمن به كمن هو كافر لا يعلم وهذا لفظ استفهام
والمراد به الانكار وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب معناه انما يتذكر انما انزل الله اليك الحق ذوو
العقول من العقول من الناس ثم نعتهم فقال عز من قائل الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ويجوز
ان يكون المراد بالعهد في هذه الاية ما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم على المومنين ان يطيعوه وينصروه ولا
يعصوه ويجوز ان يكون المراد به ما نصب الله تعالى من الادلة من جملة العقل عليهم ووفاهم بذلك ان يطيعوا
الله عز وجل كما امرهم به وقوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل قيل المراد به تواصل
المومنين فيما بينهم بالموالاة والنصرة وصلة الارحام بالبر والشفقة وقيل اراد بذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وجميع الرسل صلوات الله عليهم ويخشون ربهم اي يخافون عقاب ربهم لان خشية الله تعالى انما تكون

بخشية عقابه وقوله تعالى ويخافون سوء الحساب ويخافون ان يواخذوا بالعقاب فيتحرزون
بخوفهم عن معصية الله تعالى قوله عز وجل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم
عقبى الدار معطوف على قوله الذين يوفون بعهد الله معناه والذين صبروا على ادا الفرائض
واجتناب المحارم ومعناه شدايد الدنيا ومضارها لطلب ثواب الله تعالى ورضاه وقوله تعالى
واقاموا الصلوة اي اقاموا الصلوة المفروضة حتى يعمروا الصلوة باقامتهم وقوله عز وجل وانفقوا
مما رزقناهم معناه واخرجوا من اموالهم الصدقات المفروضة عليهم خفيا وجهرا ويقال اراد
بالسر التطوع وبالعلانية الفرض وقوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة معناه ويدفعون ظلم
الظالمين وجور الجائرين بالحسنة وانما يكون درء السيئة بالحسنة على وجهين احدهما الحلم
والوعظ بالكلام الحسن والثاني بان يقاتلوهم ويقبضوا على ايديهم وقوله تعالى اولئك
لهم عقبى الدار معناه اهل هذه الصفة لهم الدار التي اعقبتها لهم اعمالهم وهي الجنة ثم بين الله
تعالى وصف الجنة فقال عز من قائل جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار معناه جنات اقامة يدخلونها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
هي في وسط الجنة وهي معدن الانبيا صلوات الله عليهم والصديقين والشهدا والصالحين
رضي الله عنهم وقوله تعالى ومن صلح من آبائهم وازواجهم معناه ويدخلها من صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم في دينهم وافعالهم كما قال جل ذكره في آية اخرى والذين آمنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
معناه والملائكة يدخلون عليهم من ابواب الجنان والبساتين يقولون سلام عليكم بما صبرتم
على شدايد الدنيا ومحنها وعلى المشقة في طاعة الله تعالى فنعم الدار التي اعقبتها لهم اعمالهم قال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لكل واحد من اهل جنات عدن خيمة من درة مجوفة طولها الف
باب مصراعين من ذهب يدخل عليه من كل باب ملك يقولون سلام عليكم بما صبرتم وفي الاية
بيان ما اعد الله لهم من النعيم في الجنة مع ما يكون فيه من اجتماعهم مع آبائهم وازواجهم
وذرياتهم من صلح منهم ومع اكرام الله تعالى اياهم بسلام الملائكة عليهم بالتحية والسلام من عند الله
تعالى ثم بين الله تعالى حال الذين لم يستجيبوا لربهم فقال عز من قائل والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار معناه والذين يقطعون فرايض الله من بعد ما اكد العهد
عليهم ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم والدعا الى غير عبادة الله
تعالى اولئك لهم ما يبعدهم من رحمة الله تعالى ولهم سوء المرجع الثاني في الآخرة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم [illegible]
كعب الاحبار رحمة الله عليه انه قال والذي فلق البحر لبني اسرائيل ان في التوراة
يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك يمد لك في عمرك وييسر لك يسرك ويصرف
عنك عسرك قوله عز وجل الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة
الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع معناه الله يوسع الرزق في الدنيا على من يشا
ويقتر على من يشا وقوله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا معناه وسروا بالحيوة الدنيا ورضوا بها
واستانسوا لها على الآخرة وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وما فيها من النعيم في جنب نعيم الآخرة الا شي قليل

كمتاع البيت يتمتع به ثم يفنى ويذهب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما الدنيا في الآخرة
الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع والله الموفق **قوله عز وجل**
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه
من اناب معناه ويقولون على جهة التعنت هلا انزل على محمد آية من ربه يعنون الآيات
التي كانوا يقترحونها عليه وتجوز ان يكونوا لم يتفكروا في الآيات التي انزلت عليه فاعتقدوا
انه لم ينزل عليه آية قل يا محمد ان الله تعالى يضل من يشاء عن ثوابه وكرامته ويوفق لدينه من
اقبل الى الله تعالى ورجع عن الكفر **قوله عز وجل** الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب معناه الذين
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتسكن قلوبهم الى ما وعد الله تعالى من الثواب الا بوعد
الله الصادق تطمئن القلوب لانه لا شيء يطمئن القلب اليه ابلغ من الوعد الصادق وهذه الآية لا
تناقض قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لان المراد بتلك الآية ان المؤمن
اذا ذكر عقاب الله تعالى بين يديه وتذكر ما فعل من المعاصي وجل قلبه والمراد بهذه الآية ان
المؤمن الذي لا يعرف من نفسه معصية تحبط ثوابه اذا ذكر عدة وعد الله تعالى بالثواب اطمأن
قلبه اليه واما قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فمعناه الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا
الصالحات واجتنبوا المعاصي طوبى لهم قال اهل اللغة ان طوبى فعلى من الطيب اي لهم العيش
الطيب والغبطة والكرامة وحسن المرجع في الآخرة وقال مجاهد رحمه الله طوبى اسم الجنة
بلغة الحبشة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انها اسم شجرة في الجنة ساقها من الذهب وورقها
الحلل وثمرها من كل لون واغصانها مندلية في الجنة ليس في الجنة منزل الا وفيه غصن من
اغصانها وتحت الشجرة كثبان المسك والعنبر والزعفران لو ركب رجل قلوصا وحقة ثم دار
بالشجرة لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى يموت هرما **قوله عز وجل** كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب معناه هكذا ارسلناك الى امة قد مضت
من قبلها امم ارسلنا فيهم الرسل وقوله تعالى لتتلو عليهم فيه بيان الغرض في ارساله الينا فان الغرض
في ارساله انعامه علينا ان يتلو علينا ما انزل عليه من القرآن وقوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن
اي اهل مكة يكفرون بالرحمن فانهم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وكانوا
يسمونه رحمن اليمامة وقوله تعالى قل هو ربي معناه قل لهم الرحمن هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت
اي فوضت اموري اليه متمسكا بطاعته وراضيا بحكمه واليه اتوب من ذنوبي **قوله عز**
وجل ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله
الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف
الميعاد وذلك ان عبد الله بن ابي امية المخزومي وجماعة من كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا لو سيرت لنا جبال مكة فاذهبها حتى ينفسح فيها فانها ارض ضيقة ثم اجعل لنا فيها عيونا
وانهارا لنزرع فيها او قرب اسفارنا فيما بيننا وبين الشام فان السفر بعيد وافعل كما فعل سليمان
بن داود بالريح بزعمك او كلم موتانا كما فعل عيسى بزعمك فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ولو ان قرآنا اذهبت به الجبال عن وجه الارض او قطعت به الارض
مسيرة شهر في يوم واحد او احيي به الموتى فكلموا لكان هذا القرآن لما فيه من الدلالات الكثيرة

على صحة

على صحة هذا الدين ولو امكن ان يحصل هذه الامور بشيء من كتب الله تعالى لامكن بهذا القرآن اولى
واما حذف جواب لو في الآية فعلى وجه الاختصار لان في الكلام دليلا عليه وقد تقدم ان حذف
الجواب في مثل هذا ابلغ في الفصاحة لانك اذا حذفت ذهبت النفس في ذلك الى كل مذهب وقال
معنى الآية ولو ان فعل بهذه الاشياء لم يؤمن هؤلاء المشركون كانه رد الجواب الى قوله تعالى من قبل
وهم يكفرون بالرحمن وقوله تعالى بل لله الامر جميعا معناه بل الله هو المالك لهذه الاشياء القادر
عليها ولكن لا يختار الا ما فيه مصلحة العباد وقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا معناه افلم يعلم الذين
آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الى الايمان بالالجاء اليه اي ان الله تعالى قادر على ذلك ولكن
لو فعل لبطل الامتحان والتكليف ويقال معناه افلم يعلم الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى
الناس كلهم في الآخرة الى ثوابه وكرامته ولكن لم يفعل ليستحقوا ذلك باعمالهم ليكون اهنأ
لهم والطلب والاياس بمعنى العلم في لغة النخع وانما اقيم مقام العلم على جهة التوسع من حيث ياس العالم
مما لا يكون ان يكون والعلم بان الشيء لا يقع يقطع الطمع عنه والعلم بان الشيء يقع بعد ذلك لطمع
فيه فيكون تقدير الآية على هذا افلم يعلم الذين آمنوا علما ييأسوا معه ان يكون غير ما علموه
قال الشاعر اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
ويقال معنى الآية افلم ييأس المؤمنون عن ايمان هؤلاء الكفار وان كان الله تعالى لهدى
الناس الى الايمان بالالجاء اليه وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قرأ افلم يتبين الذين آمنوا
فقيل له افلم ييأس فقال اني لارى الكاتب كتبها وهو ناعس الا انه لا وجه لتصحيح هذه الرواية
ولا يجوز ان يظن بهم ان يتركوا في كتاب الله تعالى ما يعلمون انه خلاف ذلك وقوله تعالى
ولا يزال الذين كفروا معناه لا تزال تصيبهم عقوبات من قبل الله تعالى تزجرهم عن الكفر وتبعثهم
على التمسك بدين الله تعالى يجدون ذلك في انفسهم وفي اخبارهم كما نزل بقريش من القحط وبعوثه
وغيرها من الشدائد فيعلم هذا قوله تعالى او تحل راجع الى القارعة والقارعة هي النازلة الشديدة
التي تنزل بامر عظيم ويقال اراد بالقارعة سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله او تحل قريبا
معناه او تنزل انت يا محمد واصحابك رضي الله عنهم قريبا من مكة … حتى
وعد الله اي وقت هلاك الكفار ويقال فتح مكة … في الآخرة
ان الله لا يخلف ما وعد من عقاب الكافرين **قوله عز وجل** ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب معناه ولقد استهزئ بالانبياء
صلوات الله عليهم قبلك كما استهزئ بك قومك فامليت للذين كفروا وبعد استهزائهم
بالرسل ثم اخذتهم فانظر كيف كان عاقبة ما حل من عذاب الله تعالى بهم ولا نكرين في
صدرك حرج من استهزائهم **قوله عز وجل** افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا
لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا
مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق معناه افمن هو قائم على كل نفس بالتدبير ويعلم
ما كسبت ويجازيها عليها بالخير او شر كمن ليس كذلك فلا يعلم ذلك ولا يقدر على الجزاء وهذا
كما قال سبحانه وتعالى افمن يخلق كمن لا يخلق لان الخبر محذوف وفي هذه الآية دلالة على الكلام
عليه وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء معناه وصفوا لله شركاء في العبادة من الاصنام قل سموهم
الشركاء باسمائهم التي يستحقونها وسموا منفعتها وتدبيرها ان كان هناك … مع الله تعالى وقوله تعالى
ام تنبئونه بما لا يعلم لفظ الاستفهام بمعنى الانكار المعنى اتخبرون الله تعالى بما لا يعلم ان يكون معه

وهو كون الاصنام مستحقة للعبادة وقوله تعالى أم بظاهر من القول على وجه الانكار
ايضا معناه لم سميتم الاصنام آلهة بظاهر كتاب من كتب الله تعالى سميتم الاصنام آلهة ويقال
المعنى ام بحجة ظاهرة سميتموها آلهة بل بقول باطل وليس لكم دليل من جهة العقل ولا من جهة
السمع يوجب استحقاق الاصنام الالوهية وقوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم معناه بل زين
للكفار قولهم وفعلهم في عبادة الله تعالى وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقوله تعالى
وصدوا عن السبيل من قرا بفتح الصاد فالمعنى صرفوا الناس عن دين الله تعالى وهو من الصد ومن قرا بالرفع
على فعل ما لم يسم فاعله اى صدهم رؤساؤهم عن دين الله تعالى وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من
هاد قيل معناه ومن يضلل عن ثوابه فما له من هاد يهديه وقيل من يحكم الله بضلالته فما له من حاكم
يحكم بانه مهتدي وقيل من يخذله الله تعالى عن دينه ولا يوفقه فما له من موفق يهديه اليه وقوله
تعالى لهم عذاب في الحيوة الدنيا معناه لهم عذاب في الدنيا وهو ما ينزل بهم من المشاق والاسقام
والبلايا فان هذه الاشيا تكون عقوبة للكفار وان كان محنة للمؤمنين وقوله تعالى ولعذاب
الاخرة اشق اى هو اشق من عذاب الدنيا وما للكفار من الله من واق يقيهم من عذاب الله تعالى
وبالله التوفيق ه **قوله عز وجل** مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار
اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار معناه صفة الجنة
التي وعد المتقون للكفر والمعاصي انها تجري من تحتها الانهار ويجوز ان يكون المثل ابتدا وخبره
تجري من تحتها الانهار وهذا كما يقال حليته فلان اسمر ويراد به ان فلان هذه الصفة وفي قراة امير
المؤمنين كرم الله وجهه امثال الجنة اى صفاتها وقوله تعالى وظلها اى وظلها ايضا دائم ليس
فيه شمس ولا اذى كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله تعالى تلك عقبى الذين
اتقوا اى الجنة دار المتقين في العاقبة ودار الكافرين في العاقبة النار وفي الحديث ان الرجل
من اهل الجنة تقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا فاذا اكل سقي شرابا طهورا فيصير رشحا يخرج
من جلده اطيب من ريح المسك ثم يعود شهوته الى ما كان ه **قوله عز وجل** والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب ه قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن اسلم معه
من اهل الكتاب رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله ما شان ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في
التورية كثير فنزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فنزل والذين آتيناهم الكتاب يفرحون اى يعجبون
بما انزل اليك من ذكر الرحمن وغير ذلك وقوله تعالى ومن الاحزاب اى ومن اليهود والنصارى
من ينكر بعض القرآن وانهم كانوا يقرون بقصة سورة يوسف عليه السلام وغيرها مما لا يكون
فيه نسخ شريعتهم وكانوا ينكرون من القرآن ما لا يوافق مذهبهم ودينهم قل يا محمد انما امرت
ان اعبد الله وحده ولا اشرك به احدا في العبادة اليه ادعو الخلائق واليه مرجعي في الآخرة
قوله عز وجل وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق معناه كما انزلنا الى الانبياء المتقدمين صلوات
الله عليهم بلسانهم كذلك انزلنا اليك القرآن حكما عربيا والحكم هو الفصل بين الشيئين على ما توجبه
الحكمة وقد يكون الحكم بمعنى الحكمة كما في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وآتيناه الحكم والنبوة
وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم معناه ولئن اتبعت دين اليهود وملتهم بعد ما جاءك من البينات اى
دين الله ودين ابرهيم عليه السلام وقبلة الكعبة ما لك من دون الله من ناصر ينصرك ولا دافع يدفع
العذاب عنك **قوله عز وجل** ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية

وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان اليهود كانوا يعيرون النبي صلى الله
عليه وسلم بتزويج النساء حتى قالوا لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن تزويج النساء فانزل الله عز
وجل هذه الاية المعنى ولقد ارسلنا رسلا الى قومهم من قبلك كما ارسلناك الى قومك وجعلنا لهم نساء
اكثر من نسائك واولادا اكثر من اولادك كان لداود عليه السلم وسليمان ثلاثمائة امراة مهرية وسبعمائة
سرية وقوله عز وجل وما كان لرسول معناه هل يملك احد من الرسل صلوات الله عليهم ان ياتي باية
الا باذن الله سبحانه وتعالى هو مالك الايات لا يقدر احد ان ياتي بشي منها الا باذنه وقوله تعالى
لكل اجل كتاب معناه لكل مدة من آجال العباد في الحيوة والانزال كتاب قد كتب الله تعالى ذلك
للملئكة ليدلهم به على حكمته بالاشياء ويقال في هذا تقديم وتقدير لكل كتاب اجل يريد لكل
مقضي في الكتاب وقت يقع فيه ولا يجوز الحكم بعد ذلك بوجه من الوجوه قوله عز وجل
يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما كتبوه من اعمال العباد مما لا جزاء له ويثبت ما له الثواب
والعقاب وقال الضحاك رحمه الله يمحو الله ما يشاء من القرآن فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه
ويقال يهلك ما يشاء من القرى ويثبت ما يشاء فلا يهلك وعن الحسن رضي الله عنه يمحو اجل من حان اجله
ويدع من لم يحن اجله ويقال يمحو الله ما يشاء من الطاعات باحباطها بالمعاصي ومن المعاصي
بتكفيرها بالطاعات وعن عايشة رضي الله عنها ان الحفظة اذا رفعت ديوان العبد فان يكن في
اوله وآخره خير محى الله تعالى ما بينهما من السيئات فان لم يكن في اوله وآخره حسنات اثبت الله
تعالى ما فيه من السيئات وقد اختلفوا في انه هل يدخل في المحو والاثبات السعادة والشقاوة
والموت والحيوة ام لا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لا يدخل فيه ذلك وقال عمر وعبد الله
بن مسعود رضي الله عنهما يدخل فيه الشقاء والسعادة وكان من دعاء عمر رضي الله عنه اللهم ان
كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا وان كنت كتبتنا اشقياء فامحنا واكتبنا سعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب وفي الحديث ان الدعاء يرد البلاء والصدقة تطفي غضب الرب وروي
ان الصدقة تزيد في العمر والرزق وكذلك روي في صلة الرحم انها تزيد في العمر واما
قوله تعالى وعنده ام الكتاب وام الكتاب اصل الكتاب قيل انه اللوح المحفوظ كتب الله تعالى فيه
كل شي قبل ان يخلق العباد لا يزاد فيه ولا ينقص منه ابدا فيمحو الله تعالى ما فيه ما يشاء واذا كتب
الحفظة ديوان العبد يمحى منه ما يمحى واثبت فيه ما اثبت وجدوا ما كتبوه موافقا للمكتوب في اللوح
المحفوظ فازدادوا عند ذلك معرفة ويصير بعلم الله تعالى وقيل اراد بام الكتاب علم الله تعالى في
الازل فانه اصل الكتب والعلوم كلها **قوله عز وجل** وإما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب معناه واما نرينك يا محمد بعض الذي
نعدهم من نصر المؤمنين على الكفار او نقبضك الينا قبل ان يكون جميع ما نعدهم من العذاب
في حياتك فانما عليك البلاغ ما انزل اليك وعلينا حساب ما يعملون والجزاء عليه وفي الاية بيان
انه لا يكون جميع ما وعد الله تعالى من نصر المؤمنين على الكفار في حيوة النبي صلى الله عليه وسلم
بل يكون بعضه في حياته وبعضه بعد وفاته ه **قوله عز وجل** أولم يروا انا نأتي الارض
ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب قال عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية اولم ير اهل مكة انا ننقص الارض من اطرافها
بفتح ديارهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقال الحسن رضي الله عنه اراد نقص اطراف
الارض ذهاب فقهائها وخيار اهلها قال ومثل العلماء كمثل النجوم اذا بدت اهتدوا بها واذا

وإذا أظلمت تشكو موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا مات مسلم إلا انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها
من بعده شيء، وقال بعضهم رحمه الله معناه أولم يروا أنا ننقص الأرض من أطرافها بخرابها
فإن خراب بعضها يدل على أنها ستخرب كلها، والماحملت الآية على أحد هذه الوجوه الثلاثة من النقص
أو موت العلماء أو الخراب لأنا نشاهد الأرض لا تنقص من حيث الصورة والمعاينة كما قال عكرمة
رضي الله عنه لو كانت الأرض تنقص لما كنا نجد مكاناً نجلس فيه، وقوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه
معناه والله تعالى يحكم بفتح البلدان وبغير ذلك من أحكامه لا يتعقب أحد حكمه بالرد، والمعقب في اللغة
هو الذي يكر على الشيء فيتبعه، وقوله تعالى وهو سريع الحساب معناه إذا حاسب فحسابه سريع لأنه
لا يحاسب بفم ولهوات فيمنعه الكلام مع بعضهم عن الكلام مع غيرهم. **قوله عز وجل** وقد
مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار
لمن عقبى الدار وقد مكر الذين من قبل هؤلاء الكفار بأنبيائهم صلوات الله عليهم وبمن
آمن معهم رضي الله عنهم، وعند الله جزاء مكرهم جميعاً فإن ما يفعله الله تعالى من إبطال
المكر هو يثبت ومكرهم يضمحل، وقوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس أي يعلم ما تكسب من خير أو شر
فيجازيها عليه، وقوله تعالى وسيعلم الكافر [illegible] إذا جهلوا اليوم عاقبة أمرهم سيعلمون
إذا صاروا إلى الآخرة أن عاقبة الدار المحمودة هي للمؤمنين **قوله عز وجل** ويقول
الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
معناه ويقول الكفار من اليهود وغيرهم يا محمد لست مرسلاً من الله تعالى ومن يشهد لك
على رسالتك، قل لهم يا محمد كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على أني مرسل إليكم، وشهادة
الله تعالى على أني نبيه صلى الله عليه وسلم من المعجزات لا شاهد أعلى من ذلك، وأما قوله تعالى
ومن عنده علم الكتاب كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقرأ ومن عنده بالنصب
ويقول هو عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب كان عندهم في التوراة نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته، وكان يقول هذه الآية مدنية لأن هؤلاء أسلموا بالمدينة
وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يقرأ ومن عنده بالخفض على معنى أن القرآن من عند الله
تعالى، وكان يقول هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة، ويقرأ ومن عنده
عُلِمَ الكتاب بخفض من وضم العين وكسر اللام من علم، هكذا روي عن سعيد بن جبير وهو
يؤيد قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما، وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب إلى يوم القيمة
عشر حسنات وكان يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى، وبالله التوفيق.

سورة إبراهيم عليه السلام مكية كلها عند أكثر المفسرين

رحمهم الله، ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلا آيتين منها ألم تر إلى الذين بدلوا
قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار إلى قوله تعالى فإن
مصيركم إلى النار، وأما عدد آي السورة فهو خمسون وآية عند البصريين واثنان عند الكوفيين
وأربع حجازي وخمس شامي. بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب
أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد قد تقدم
تفسير الحروف المقطعة، وقوله تعالى كتاب رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، ويجوز أن يكون خبر
الر، وقوله تعالى لتخرج الناس معناه لتخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بأمر ربهم أن

دعوهم

تدعوهم إلى الإيمان وتزجرهم عن الكفر، وقوله تعالى إلى صراط العزيز الحميد معناه إلى دين العزيز الحميد وسمي
الدين صراطاً لأنه يسلك من يسلكه إلى الجنة، والعزيز الذي لا يمكن أن يغلب ويقهر، والحميد
المستحق عنده بالإنعام، وقيل هو المستحق للحمد **قوله عز وجل** الله الذي له ما في السموات
وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة
ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد من قرأ الله بالخفض فعلى معنى
البناء على العزيز الحميد، ومن قرأ بالرفع فعلى الابتداء، والويل كلمة يستعمل في الشدة، ويقال هو
واد في جهنم، وقوله تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة معناه الذين يختارون الدنيا على الآخرة
وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يجوز أن يكون معناه يعرضون عن طاعة الله تعالى من الصدود
وهو الإعراض، ويجوز أن يكون معناه يمنعون الناس تقول صده يصده صداً أي منعه، وقوله تعالى
ويبغونها عوجاً معناه ويطلبون بدين الله تعالى العوج، والعوج بكسر العين في الدين، والعوج بفتح
العين في العصا، مأخوذ من عجت بأنفي على فلان أي عطفتها إليه، وقوله تعالى أولئك في ضلال
أي في ذهاب عن الحق بعيد **قوله عز وجل** وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم معناه وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه ليبين كل رسول لقومه ويبلغهم ما أمروا به وما نهوا عنه فيفهموا ويتعلموا، وقوله
تعالى فيضل الله من يشاء أي يخذل من يشاء ممن كان أهلاً لذلك ويوفق لدينه من يشاء ممن كان
أهلاً لذلك، وقيل يضل عن جنته وثوابه من يشاء ويهدي إلى ذلك من يشاء، وقوله تعالى وهو العزيز
الحكيم ظاهر المراد **قوله عز وجل** ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من
الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور معناه ولقد
أرسلنا موسى بدلائلنا وحججنا، وقوله تعالى أن أخرج قومك يجوز أن يكون معنى أن في هذا الموضع
معنى أي، ويجوز أن يكون معناه بأن أخرج قومك كما يقال فعلت هذا أن يفعل هذا أي بأن يفعل
وقوله تعالى وذكرهم بأيام الله معناه أيام نعم الله تعالى عليهم، وفي الخبر أن الله تعالى أوحى
إلى موسى عليه السلام أن حببني إلى عبادي، قال يا رب كيف أحببك إلى عبادك والقلوب بيدك، فأوحى
الله أن ذكرهم نعمائي، ويقال أراد بأيام الله تعالى نقمته ونعمته في الأمم الماضية، قال الشاعر
وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا
وقوله تعالى إن في ذلك لآيات معناه إن في ذلك لدلالات لكل من كان كثير الصبر والشكر
والصبر هو حبس النفس عما تنازع إليه، والشكر هو إظهار النعمة على جهة الاعتراف بها.
قوله عز وجل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قد سبق
تفسيره، وأما دخول الواو في قوله تعالى ويذبحون فيقتضي أن يكون تذبيح الأبناء سوى سوء العذاب
وأن قوم فرعون كانوا يستعملون بني إسرائيل في الأعمال الثقيلة وكانوا يقتلون ذكور أولادهم
صغاراً ويستحيون إناث أولادهم للاسترذال والاستخدام **وقوله تعالى** وإذ تأذن
ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد معناه قال لهم موسى عليه
السلام إذ أنجاكم من آل فرعون وأعلمكم في الكتاب لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم نعمة
ولئن كفرتم نعمتي إن عذابي لشديد، وقد يذكر تفعل بمعنى أفعل كما يقال توعد وأوعد
بمعنى واحد. **قوله عز وجل** وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني
حميد قال لهم موسى عليه السلام إن تكفروا بالله تعالى وبنعمته أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله

لغني عن طاعتكم لم يأمركم بطاعته لحاجته اليها وهو الحميد لمن وحّده واطاعه ٥ قوله عز وجل
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا
لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قيل ان الخطاب في هذه الآية هو لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هو خطاب موسى عليه السلام لقومه لانه عطف على ما تقدم من قوله قال موسى ان تكفروا
ومعنى هذه الآية الم يأتكم خبر الذين من قبلكم من الامم الماضية كقوم نوح وقوم هود وقوم
صالح والذين من بعدهم من قوم شعيب وغيرهم لا يعلم عددهم الا الله كما ورد في الحديث كذب النسابون
اي لا يعلمون حقيقة انساب المتقدمين وعددهم جاءتهم رسلهم بالدلالات الواضحات وقوله
تعالى فردوا ايديهم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معناه فعضوا على اناملهم غيظا على
الرسل فيما ادعوا من النبوة كما اخبر الله تعالى عن كفار امتنا بقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من
الغيظ وقال مجاهد رحمه الله هذه كناية عن الجحد والتكذيب ويقال معناه وضع الكفار ايديهم
على افواههم اشارة الى الرسل ان اسكتوا وهذا كما يشار في اسكات الصبيان الى الافواه ويبدأ
بذلك السكوت ويقال معناه وضع الكفار ايديهم على افواه انبيائهم صلوات الله عليهم
ويقال المراد بالايدي النعم اي ردوا نعم الله تعالى التي انعم عليهم بالتكذيب بالسنتهم وحروف
الصفات يقام بعضها مقام بعض كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل
وقوله تعالى انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الكتاب والتوحيد مريب ظاهر
الشك فيما تقولون والريب شك مع التهمة ٥ قوله عز وجل قالت رسلهم أفي الله شك فاطر
السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا
بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين معناه
قالت رسلهم أفي الله شك مع وضوح الادلة عليه وهذا استفهام بمعنى الانكار وقوله تعالى
فاطر السموات والارض معناه خالق السموات والارض كيف تشكون فيه ودلائل وحدانيته ظاهرة
وهو خالق السموات والارض يدعوكم الى دينه ليغفر عنكم ذنوبكم في الجاهلية ويؤخركم الى اجل مسمى
الى منتهى آجالكم فلا يعذبكم بعذاب الاستئصال واما دخول من في قوله تعالى من ذنوبكم يجوز ان
يكون للتجنيس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى يدعوكم
ليغفر لكم بعض ذنوبكم فادعوا الله تعالى وارغبوا اليه في مغفرة الذنوب كلها وقوله تعالى قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا معناه قالت الامم لرسلهم عليهم السلام ان انتم اي ما انتم ويقال هل انتم الا
آدميون مثلنا لا فضل لكم علينا تريدون ان تمنعونا عما كان يعبد آباؤنا من الاصنام فأتوا
بحجة واضحة بينة وهذا التماس منهم للآيات التي كانوا يقترحونها على انبيائهم صلوات الله عليهم
وسميت الحجة سلطانا لانها يتسلط على الباطل لتدحضه ٥ قوله عز وجل قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون معناه قالت لهم
رسلهم ما نحن الا بشر مثلكم كما قلتم انتم ولكن الله ينعم على من يشاء من عباده كما انعم علينا
بالرسالة ولا نملك الاتيان بالآيات التي تقترحونها علينا ونحن بشر مثلكم وقوله تعالى وعلى
الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكل المؤمنون في تفويض الامر اليه والرضا بتدبيره فقالت لهم
الكفار توكلوا انتم ايضا على الله تعالى حتى ترون ما يفعل بكم فقالت الرسل وما لنا الا نتوكل على الله

تعالى اي اي شيء لنا في ان لا نتوكل على الله تعالى وقد هدانا سبلنا والهداية من الله تعالى هي الدلالة
على الحق والسبيل لتبين ابنه وبين الباطل وقوله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا معناه ولنصبرن على
اذاكم اتباعا لامر الله تعالى وابتغاء لمرضاته وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقد بينا ان معنى التوكل
هو التمسك بطاعة الله تعالى مع الرضا بقضائه وتدبيره وبالله التوفيق ٥ قوله عز وجل
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم
ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه
ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ
وذلك ان الله تعالى لما اخبر عن الرسل في الآية المتقدمة انهم توكلوا على الله تعالى وقالوا
وما لنا ان لا نتوكل على الله اتبعه بتهديد الكفار لهم بابلغ ما يشق عليهم حيث قالوا لهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا اي قالت الكفار لانبيائهم صلوات الله عليهم لنخرجنكم من
الارض التي نحن فيها او ترجعوا الى ديننا الذي نحن عليه فعند ذلك امر الله تعالى الرسل منهم بما اوحى
لنهلكن الظالمين اي الكفار ولنسكننكم ارضهم وديارهم من بعد هلاكهم وهذا نهاية في الانعام
في مقابلة ما تواعدوهم به فان هذا جزاء من توكل على ربه ان يكفيه امر عدوه ثم بين الله تعالى
العلة التي لاجلها وعد الرسل عليهم السلام فقال جل ذكره ذلك لمن خاف مقامي اي ذلك جزاء
من خاف مقام العباد عندي وخاف وعيدي بالعقاب لمن عصاني وانما اضاف المقام الى نفسه
على هذا المعنى الذي ذكرنا من مقام العباد للمسائلة والمحاسبة بحيث لا حاكم غير الله تعالى
لان الله تعالى لا يحوز المقام واما قوله تعالى واستفتحوا فمعناه سالت الرسل ربهم ان يحكم
بينهم وبين الكفار لان الفتح ها هنا بمعنى الحكم يقال للحاكم الفتاح فلما فزعت الرسل الى ربهم
بانجاز الوعد فتح لهم ما طلبوا وخاب كل جبار عنيد والجبار هو الطالب للتجبر والعلو فوق
كل علو وهذا صار ذلك ذما في صفات العبد ومدحا في صفات الله تعالى لان العباد لا
يستحقون هذه المرتبة والله تعالى يستحقها بقدرته وسلطانه والعنيد هو الدافع للحق على
جهة الاستكبار ويقال معنى واستفتحوا استنصر كل قوم على نبيهم كما قال النضر بن الحرث اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ويقال معناه استنصر كلا الفريقين
واما قوله تعالى من ورائه جهنم فمعناه امام هذا الجبار بعد الموت جهنم والوراء يكون من
خلف وقدام ومعناه ما توارى عنك اي استتر عنك وليس هذا من الاضداد على هذا المعنى ويقال
يجوز ان يسمى الامام وراء في الزمان وفي كل ما يشاهد لان الآيات يلحقه كما يلحق الانسان من خلفه
ويقال الموت وراء كل احد وقوله تعالى ويسقى من ماء صديد اي يسقى من ماء يسيل من جلود اهل
النار من القيح والدم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في جهنم اودية في تلك الاودية
صديد اهل النار ودمائهم وقيحهم فيسقون من ذلك الصديد قد نتن ريحه يجرع شاربه والملك
يضربه بالمقامع ويقول له اشرب فيقول لا اطيقه فيضربه حتى يشرب جرعة وجرعة ولا يكاد يسيغه
من نتنه وكراهته ويقال معنى من ماء صديد من ماء شبيه بالصديد لانهم لو سقوا نفس الصديد لم
يكن لذكر الماء معنى وقوله تعالى ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ان يبتلعه لكراهته والاساغة
هو دخول المشروب في حلقه مع قبول النفس له يقال ساغ لي الشيء واسغته فيكون معنى لا يسيغه
لا يتقبله نفسه ولكن يكره عليه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقرب اليه ذلك

فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فيه فاذا شربه قطع امعاه فيخرج
امعاه من الجانب الاخر كما قال تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال جل ذكره وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه واما قوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان فمعناه
يأتيه غم الموت والمه من كل مكان كان يموت بدون ذلك في الدنيا حتى يأتيه من تحت كل شعرة
ويقال معناه وتأتيه النيران من كل جانب وقوله تعالى وما هو بميت اي لا يموت ابدا فيستريح من
العذاب وقوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ معناه ومن بعد ذلك عذاب شديد اشد من ما تقدم
ذكره لا ينقطع ولا يفتر ولكن يعذب لونا بعد لون ه **قوله عز وجل** مثل الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك
هو الضلال البعيد معناه مثل اعمال الذين كفروا بربهم في انتفاعهم بها كرماد اشتدت به
الريح في يوم ريحه عاصف يقول كما لا يقدر على الانتفاع بشيء من الاعمال التي عملوها على جهة البر
مثل صلة الرحم ونحوها واما الكفر والمعاصي فلا يكون كرماد اشتدت به الريح وهو دون ان
يكون كذلك وانما جعل العاصف نعتا لليوم على معنى ان عصف الريح انما يكون في ذلك
اليوم كما يقال يوم ماطر والمطر للسماء واما قوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد معناه ذلك الذي
ذكر هو الذهاب عن النهج البعيد عن الحق والهدى وعن ابي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى يوم
يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون ثلثمائة سنة لا يؤذن لهم في الكلام ولا يؤذن فيقعدوا
واما المؤمنون فيهون عليهم كما يهون عليهم الصلوة المكتوبة وعن خيثمة رحمه الله انه قال كنا عند
عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقلنا ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول ان الرجل ليعرق
حتى يسبح في عرقه يوم القيمة ثم يرفعه العرق حتى يلجمه وما بلغه الحساب وما ذلك الا بما يرى الناس
يفعل بهم اي يراهم يحاسبون ولم يبلغه حسابه فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا للكفار
فما للمؤمنين قال فقلنا الله تعالى اعلم وما ندري فقال يرحمك الله تعالى يا ابا عبد الرحمن حدثكم اول
الحديث ولم يحدثكم آخره ان للمؤمنين كراسي يجلسون عليها ويظلل عليهم الغمام ويكون يوم القيمة عليهم
كساعة من النهار او كلحظة طرفه **قوله عز وجل** الم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز معناه الم تعلم يا محمد
ان الله تعالى خلق السموات والارض على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة والحق هو وضع الشيء
موضعه الذي توجبه الحكمة وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم معناه ان يشأ يهلككم ان عصيتموه
ويخلق خلقا آخرين اطوع لله منكم وليس ذلك على الله بعزيز اي بشديد ولا ممتنع لان من قدر على
بناء شيء كان على هدمه اقدر اذا لم يخرج من كونه قادرا ه **قوله عز وجل** وبرزوا لله
جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من
عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص ه وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين
لهم عذاب اليم معناه اذا كان يوم القيمة برز الناس من قبورهم للمسئلة والمحاسبة فيسألون عن
اعمالهم ويجازون عليها كما قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقوله تعالى فقال
الضعفاء للذين استكبروا فيه بيان ان من يقلد غيره في الكفر والمعصية لا يكون معذورا عند الله تعالى

والمعنى

والمعنى فقال اتباع العصاة والظلمة للذين استكبروا وهم الرؤسا والقادة فيهم انا كنا
لكم تبعا في المعصية والظلم في دار الدنيا فهل انتم مغنون دافعون عنا شيأ من عذاب الله
تعالى يقال اغنى عنه اذا دفع عنه واغناه اذا اجعله غنيا وقوله تعالى لو هدانا الله قال لهم رؤساؤهم
لو هدانا الله الى ما نتخلص به من هذا العذاب لهديناكم اليه اي لا نطمع لنا في ذلك فكيف تطمعون
في مثله من جهتنا وقوله تعالى سواء علينا معناه انه لا حيلة لنا فسواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص من هذا العذاب قال السدي رضي الله عنه يقول اهل النار تعالوا فلنجزع لعل الله
يرحمنا اي يجزعنا فلا يغني عنهم شيأ فيقولون تعالوا فلنصبر لعل الله يرحمنا بصبرنا فلا يغني عنهم صبرهم
شيأ فيقولون عند ذلك سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص واما قوله تعالى وقال
الشيطان فهو اخبار عن خطبة الشيطان ابليس لعنه الله وقد فعل ذلك انه اذا دخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وذبح الموت بين الجنة والنار قام ابليس لعنه الله خطيبا على منبر
من النار فقال يا اهل النار ان الله وعدكم وعدا فكان وعده حقا ووعدتكم ان
فاخلفتكم وما كان لي عليكم قدرة الاكراه على المعصية ولا حجة على ما قلت الا ان دعوتكم
الى طاعتي بالوسوسة فاستجبتم لي بسوء اختياركم فلا تلوموني على ما حل بكم من العقاب
ولوموا انفسكم فاني لم اجبركم على المعصية ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي وفي هذا بيان انه
ليس على ابليس عقاب معصيتهم وانما عليه عقاب الدعوة فقط واما عقاب معصيتهم فعليهم
والاصراخ في اللغة هو اغاثة المستغيث الى ما يستغيث به والفائدة فيما ذكر الله تعالى من قول
ابليس يوم القيمة تحذير العباد عن اغوائه واضلاله وبيان ما يلحق اهل النار من الغم
والحسرة عند قوله ويحكى ان اعرابيا اتى على رجل يقرأ هذه الاية فقال قاتله الله ما افصحه
واما قوله تعالى حاكيا اني كفرت بما اشركتمون من قبل فهو اخبار عن كلام ابليس معناه
اني كفرت من قبل بالذي اشركتموني به في الطاعة من قبل ان اشركتموني به اي كفرت بربي
من قبل ما عبدتموني به ويقال معناه اني كفرت الان بما كان من اشراككم اياي في الطاعة
اذ اطعتموني وجعلتموني كاني رب والذي فيه تجعلوني شريكا لربكم واني اليوم اكفر
بشرككم كما قال تعالى في اية اخرى ويوم القيمة يكفرون بشرككم واما قوله تعالى ان الظالمين
لهم عذاب اليم فمعناه قال الله عز وجل ان الظالمين من ابليس وغيرهم لهم عذاب اليم
اي وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم واما القراءة في قوله تعالى ما انتم بمصرخي فاكثر القراء على ذلك
على فتح الياء لانهما ياءان ساكنتان وقبلهما كسرة فكانها ثلث ياءات فاذا التقيا الساكنان
واحدهما ياء اختير لها الفتح مثل اين وليت وكيف وكما قالوا لداي وفي وقراها حمزة بالجر وهو
الاصل في التقاء الساكنين من الحروف الصحيحة كقولك قل الحق واشد القتال ه
قال هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي ه فحرك فيه الياء الى الكسرة ه **قوله عز
وجل** وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ه وذلك ان الله تعالى لما بين من قبل ما يجري على
اهل العقاب بين في هذه الاية ما يعامل به اهل الثواب فقال وادخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها اي تجري من تحت قصورها واشجارها الانهار مقيمين فيها
باذن الله تعالى لهم والاذن هاهنا بمعنى الاطلاق والاباحة وقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي
يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل الله تعالى اليهم الملئكة بالسلام والسلام ما يجمع النعم
والسلامة من الهلكات ه **قوله عز وجل** الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار وذلك ان الله تعالى لما بين في الايات المتقدمة ما يصير
الكفار اليه من النار وما يفعله باهل الجنة اتبعها بهذا المثل ترغيبا في الحق وتحذيرا من الباطل
فقال تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا معناه الم تعلم يا محمد كيف وصف الله تعالى وشبه كلمة
طيبة وهي كلمة التوحيد والاقرار بالنبوة وكل كلام امر الله تعالى به كشجرة طيبة الثمر وهي
النخلة لانه لا شيء اجل من ثمرها وهو الرطب كما لا كلام احسن من كلمة الدين وقوله تعالى اصلها
ثابت تشبيه ثبات الايمان وما فيه من الادلة التي لا يجوز عليها الفساد بقرار النخلة التي اصلها
على نهاية الثبات في تمكن عروقها في الارض الا ان المعرفة في قلب المؤمن اثبت من عروق النخلة لانها
ينقطع ومعرفة العارف لا يقدر احد من الناس ان يخرجها من قلبه وقوله تعالى وفرعها في السماء
تشبيه اعمال المخلصين التي هي فروع الايمان في انها تنفع وتعلو الى جانب السماء لان الاعمال
لا يصلح الا بالايمان والاصل هو الايمان والفرع هو الاعمال الصالحة وقيل في تشبيه ما يحصل
من الرفعة والاعظام للمؤمن بكلمة الدين بفروع النخلة في السماء وقوله تعالى تؤتي اكلها فيه
تشبيه ما يحصل من الثواب الدائم الذي لا منزلة اعلى منه وان تاخر الى الاخرة بثمرة النخلة التي تؤتي
اكلها كل حين فان الغارس طمعه الثمر يبذل جهده في تعهدها وعمارتها رغبة فيما يجتني من ثمرها
وان لم يكن الثمرة في الوقت حاصلا وكذلك العاقل يجب ان يتمسك بالدين ويحتفظ وان لحقته
المشقة لما يرجو من دوام النعيم في الاخرة وذهب الحسن وسعيد بن جبير رضي الله عنهما في قوله
تعالى كل حين الى ستة اشهر ما بين كل في كل ستة اشهر فهو احدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال هذا النخل من حين تطلع الطلع الى ان يجد لستة اشهر وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس رضي الله
عنهما تؤتي اكلها في كل وقت وهذا هو الاقرب الى الظاهر وان الحين اصلح لجميع الازمان
طالت المدة ام قصرت ومن المعلوم ان النخل ينتفع به في كل وقت ولا ينقطع ثمره في جميع الاوقات
لان ثمره يكون اولا طلعا ثم بلحا ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا الى آخر السنة وقوله تعالى باذن ربها
اي بعلمه وتقديره لان الله تعالى يخلق ثمر الشجرة على قدر ما يعلم من المصالح وقوله تعالى ويضرب
الله الامثال للناس معناه يبين الله الاشياء للناس في صفة التوحيد والدين لكي يتعظوا ويؤمنوا
وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة معناه وصفة كلمة الشرك في الذمة والمضرة كصفة الحنظل
ليس فيه حلاوة ولا منفعة ولا رائحة طيبة بل يضر من تناوله وكذلك كلمة الكفر وما نهى الله
تعالى عنه من الكلام يضر صاحبه وقوله تعالى اجتثت من فوق الارض معناه كما انه ليس لشجر
الحنظل اصل ثبت عليه ولكن يقلع ويخرج جثته من اصله وكذلك الكفر يبطله الله تعالى
ويبقى صاحبه بلا اصل وقوله تعالى ما لها من قرار معناه ما لتلك الشجرة من قرار وان الريح يقلعها
ويذهب بها كذلك ليس لكلمة الكفر حجة يحتج بها صاحبها ه **قوله عز وجل** يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل
الله ما يشاء معناه يثبت الله الذين آمنوا بثوابه وكرامته بالقول الثابت وهو الايمان وقوله
تعالى وفي الآخرة معناه القبر كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه خرج في جنازة وانتهى الى القبر فحدث القوم فقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا
دخل قبره اتاه ملكان نكير ومنكر فقالا له من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبته الله تعالى
فيقول الله ربي والاسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي فيقولان له صدقت هكذا كنت في

الدنيا

الدنيا ثم يفتح له باب من النار فيقولان له لو كنت كذبت لها ادخلت هذه النار ثم يفتح له في
قبره مد بصره ويفتح له باب الى الجنة نائبة من روح الجنة ونعيمها فيقولان له ان مصيرك الى هذه
فيقول دعوني ابشر اهلي فيقولان له نم كما انت ثم يضرب على اذنيه فيكون كرقدة العروس حتى يوقظه
الله تعالى قال واما الكافر فان الملكان يدخلان عليه بغلظة ويسالانه فيقول لا ادري
فيقولان له هكذا كنت في الدنيا فيضربانه بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها الخلق كلهم
الا الثقلين فلا يسمع صوته شيء الا لعنه ثم يفتح له باب الى الجنة فيقولان له لو صدقت لكان
مصيرك اليها ثم يفتح له باب الى النار فيرى مقعده فيها ويدخل عليه من ريحها وسمومها ويقال
له نم نومة اللديغ لا يجد للنوم طعما ثم يضيق عليه قبره حتى يختلف عليه من ذلك اضلاعه
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويقال التثبيت في الدنيا هو ان يمكن الله المؤمنين
من ما وعدهم بقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
والتثبيت في الاخرة هو اسكان الجنة بالقول الثابت جزاهم على التمسك بالايمان وقوله تعالى
ويضل الله الظالمين اي يهلكهم ويبطل اعمالهم ويقال يضلهم عن ثوابه وكرامته وقوله تعالى
ويفعل الله ما يشاء معناه يفعل الله الذي يشاء من التثبيت والاضلال لا مانع له بما يفعله
قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار
جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار قال الاية تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من صنيع المشركين فانهم بدلوا نعمة الله تعالى
بالكفر فجازوا بالكفر لنعمة الشكر ثم لم يقتصروا على هذا في انفسهم حتى اضلوا قومهم واحلوهم
دار الهلاك وهي جهنم يدخلونها يوم القيمة وبئس القرار ومن يكون في دار النار ويقال اراد
بالذين بدلوا نعمة الله قريشا واراد بدار البوار مصرعهم ببدر وقوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا
ومعناه جعلوا لله امثالا ونظراء وقوله تعالى ليضلوا عن سبيله معناه كان عاقبة امرهم الضلال
عن دين الله تعالى والا فلم يكن غرضهم بما فعلوا الا الصواب والصلاح وقوله تعالى قل تمتعوا
معناه تمتعوا قليلا في الدنيا فان رجوعكم يكون الى النار ه **قوله عز وجل** قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلال ه في اول الاية امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يامر المؤمنين
بما يؤديهم الى النعيم المقيم وقوله تعالى يقيموا الصلاة معناه يؤدوا الصلوة لو اقيمتها بشرايطها
فان الصلوة لا يقوم الا باقامتها واختلفوا في انه لماذا جزم قوله تعالى يقيموا الصلوة
قال بعضهم لانه جواب الامر وهو قوله تعالى قل وقال بعضهم لان تقديره قل لعبادي الذين
امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا تقديره ليقيموا الصلوة الا انه حذف اللام فبقي مجزوما وقوله تعالى
وينفقوا مما رزقناهم معناه وينفقوا مما رزقناهم من الاموال في وجوه البر من الفرايض والنوافل
سرا في النوافل ليدفعوا عن انفسهم تهمة الريا وعلانية في الفرايض ليدفعوا عن انفسهم تهمة
المنع وقوله تعالى من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال معناه بادروا الى ذلك قبل يوم القيمة
لانه يوم لا بيع فيه ولا يقبل فيه البدل للتخليص من النار ولا مخالة فيه لا ينفع فيه مودة يكون
من شرطها تخليص احدهما للآخر ه **قوله عز وجل** الله الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل

والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان
لظلوم كفار معناه ان الذي يجوز ان يتخذ الها ويعبد هو الله الذي خلق السموات والارض
وبدا سبحانه بالرتبة الاولى في النعم لانه لولا السما والارض لم يصح انزال الما ولا اظهار النبات
ثم اتبعه بقوله وانزل من السما ما يعني المطر فاخرج به يعني المطر من الثمار ما تنتفعون به اجرى الله تعالى
العادة بذلك لمصالح المكلفين لا انه لا يصح من حيث القدرة ان يخرج من غير الما النازل ولكن
خلق لكم الرزق على التدريج لان العباد اذا علموا ان هذه المنافع القليلة من الدنيا لا بد من ان تكلف
لها بالمشاق لتحصيلها فالمنافع التي في الاخرة اولى ان يتكلف لها ذلك بالمواظبة على طاعة الله تعالى
وقوله تعالى وسخر لكم الفلك معناه وسخر لكم السفن لتجري في البحر عند ركوبكم فيها بامره وسخر
السفن لنا وتمكيننا من الخشب والالات التي يتخذ منها السفن ولولا خلق الله الشجار على ما هو عليه
من الصلابة وخلقه الما على ما هو عليه من السلاسة واحتمال السفن وخلقه الرياح وارساله لما
من خاف اذن لم تجر السفن في الماء ولولا السفن لما يتنقل النعم من مكان الى مكان لا تشعث النعم
على قوم حتى تتلوها ويقل انتفاعهم بها وضاقت على اخرين حتى لا يامنوا القحط والهلاك وانما اضاف
جري السفن الى امر الله تعالى وان كان تجريها من فعل الله تعالى فعلى معنى ان فعل الله تعالى اذا
اضيف اليه بلفظ الامر كان ذلك من ابلغ الدلالة على الاقتدار فانه اذا قيل اراد الله تعالى كذا
فكان او امر الله تعالى بكذا فكان ابلغ من ان يقال فعل كذا فكان كذا والقول في مجاز
اللغة يوضع موضع الفعل كقول الشاعر ٥ فقالت له العينان سمعا وطاعة ٥ فجعل بكاءهما
قولا منهما وقوله تعالى وسخر لكم الانهار معناه ذلك لكم الانهار تجري حيث تشاؤون والنهر
المجرى الواسع للماء يقال انهرت الدم اذا اجريته واسعا وقوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر معناه
سخرهما لكم الى يوم القيامة وتسخيرهما هو مجيئهما في وقت معلوم لا يتفاوت فان الشمس تطلع في
ابتداء النهار دائما وتغرب عند ابتداء الليل دائما وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار معناه وسخرهما
لكم بان اتى بهما متعاقبين ينصرف الناس في معاشهم بالنهار ويهدؤا بالليل ومجيئهما على
التعاقب متعلق بحركات الشمس والقمر وقوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه معناه وآتاكم بعد هذا
من جميع ما تسألون عنه من الهداية والدلالة وغير ذلك مما تحتاجون اليه كما قال الله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وليس في هذه الاية تخصيص كل واحد من الخلق بانه اتاه
كل ما سأل حتى يعترض الملحد في القرآن بمثل هذا القول ولكن اللفظ خارج مخرج العموم وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال من اعطي شيئا مما يسأل وان كان قليلا فقد اعطي
وعن قراءة ومن كل بالتنوين والمعنى اعطاكم من كل ما تقدم ذكره من النعم ما لم تسألوه
اي لم تسألوه ولا علمكم ان تسألوه بل ابتدأكم بذلك تفضلا وقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها معناه ان اردتم ان تبلغوا الى معرفة غاية نعم الله تعالى عليكم لا تطيقوا عدها فكيف يمكنهم
القيام بشكرها واصل الاحصا في الحساب ان المعدود اذا بلغ غاية عقد من العقود طرحت
له حصاة واحدة واستونف العد بعد ذلك وقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار معناه ان
الانسان مع هذه النعم لظلوم لنفسه كفار لنعم ربه والانسان اسم جنس لكن يقصد به في مثل هذا
الموضع الكافر خاصة كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا ويقال بان
المقصود من الاية ان طباع بعضهم الى الظلم والكفر لما فيهما من ارتكاب الملاذ والشهوات وترك
الشرائع والعبادات التي يثقل على الابدان **قوله عز وجل** واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني

فارسي

فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ٥ معناه واذكر اذ قال ابراهيم بعد ما بنا البيت يا رب
اجعل مكة امنا يامن فيها الناس والوحوش كما استجاب الله دعاه حتى جمع فيها الناس مع شدة العداوة
بينهم وتدنوا الوحوش فيه من الناس فتامن منهم والما عرف البلد في هذه الاية ونكره في
سورة البقرة لان النكرة اذا اعيدت تعرفت ويجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام دعا بدعوتين
في وقتين وقوله عز وجل واجنبني وبني معناه والطف بي وببني لطفا نتجنب به من عبادة الاصنام
ويقرأ واجنبني بقطع الالف يقال اجنبته وجنبته وجنّبته من كذا اذا جعلته ناحية وجانبا منه
وقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس معناه ان الاصنام اضللن كثيرا من الناس واضاف
الاضلال الى الاصنام وان لم يكن بفعل الاصنام شيئا لانهم ضلوا بعبادتها كما يقول الرجل فتنتني
هذه الجارية اي احببتها فوقعت في الفتنة بعينها وقوله تعالى فمن تبعني معناه فمن تبعني على ديني فانه
مني ومعي ومن خالف ديني فانك غفور رحيم لذنوبهم بالتوبة رحيم بهم ٥ **قوله عز وجل**
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعا رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل
دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ٥ معناه قال ابراهيم عليه
السلام يا ربنا اني اسكنت بعض ذريتي وهو اسمعيل مع امه هاجر بواد لا ينبت شيئا واراد به وادي
مكة وهو الابطح وقوله تعالى عند بيتك المحرم معناه عند المسجد الحرام وسماه المحرم لانه لا
يستطيع احد الوصول اليه الا بالاحرام ويقال اراد به حرمة القتال والاصطياد كما روي في الخبر
ان مكة حرام بحرام الله تعالى لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها واما تسميته البيت
في الابتدا الى الله تعالى فعلى معنى ان الله تعالى يسكنه تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى ربنا ليقيموا
الصلوة معناه ربنا اسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلوة نحو الكعبة فاجعل افئدة من الناس تهوي
وتنزع اليهم قال مجاهد رحمه الله لو قال ابراهيم عليه السلام افئدة الناس لزاحمهم الروم
وفارس ولكن قال افئدة من الناس وقرا بعضهم تهوى بنصب الواو من هوى تهوى هوى
اذا سقط قال الزجاج رحمه الله هو في اللغة بمعنى السقوط الا ان معناه في هذه الاية تنزع
لان قرينة في هذه الاية اليهم فتفسيره يصلح مع هذه القرينة كما قيل في تفسير قوله تعالى ردف
لكم اي دنا منكم وقوله تعالى وارزقهم من الثمرات معناه تنيل الناس وتعرض لك من الاسباب
لكي يشكروا نعمتك وقوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي في انفسنا وما نظهره وقوله تعالى وما يخفى
على الله من شيء يحتمل ان يكون من كلام ابراهيم عليه السلام ويحتمل ان يكون قولا من الله تعالى ابتدا
معترضا بين كلامين كانه قال سبحانه وقد صدق ابراهيم عليه السلام فانه لا يخفى على الله شيء ثم رجع
الى قول ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي وهب لي على الكبر معناه الشكر لله الذي وهب لي على
الكبر اسمعيل واسحق روي ان ابراهيم عليه السلام كان ابن مائة سنة يوم ولد له اسحق عليه
السلام وكانت امراته سارة يومئذ بنت تسع وتسعين سنة وكان اسمعيل اكبر من اسحق عليهما
السلام بثلث عشرة سنة وقوله تعالى ان ربي لسميع الدعا اي قابل الدعا وقوله تعالى رب اجعلني
مقيم الصلوة معناه الطف لي بما يحملني دوم على اقامة الصلوة ومن ذريتي من يقيم الصلوة وقوله تعالى
ربنا وتقبل دعاء اي اجب دعاي فانه تقبل الدعا انما يكون بالاجابة وتقبل العمل انما يكون بايجاب
الثواب عليه ومقابلته بالجزا وقوله تعالى ربنا اغفر لي ولوالدي معناه يا ربنا اغفر لي ذنوبي وكذلك

قال بعضهم اراد بهذا سؤال المغفرة لآدم عليه السلام وحواء عليها السلام لانه عطف عليه قوله وللمؤمنين ولان الله تعالى قد نهاه عن استغفاره لابيه من بعد ما تبين له انه عدو لله تعالى وقال بعضهم رحمه الله اراد بوالديه ابويه الادنين وكان ابرهيم يستغفر لابيه المشرك عن موعدة وعدها اياه على ما تقدم ذكره وقرأ بعضهم ولولدي لان امه كانت مسلمة وقوله تعالى يوم يقوم الحساب معناه يوم يحاسب فيه الخلق فان الحساب انما يقوم بمحاسبة الله تعالى مع الخلق فان قال قائل كيف سأل ابرهيم عليه السلام لنفسه المغفرة وذلك معلوم كونه قيل ان الدعا بمثل هذا انما يكون على وجه الانقطاع الى الله تعالى وان علم كونه كما بينا في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وغير ذلك من الآيات وبالله التوفيق ٥ **قوله عز وجل** ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال

في الآية تعزية للمظلوم ووعيد للظالم معناها ولا تظنن الله يا محمد صلى الله عليه وسلم غافلا عن اعمال الظالمين ومجازاتهم على ما يعملون انما يؤخرهم ليوم صفته هذه الصفة وهو انه تشخص فيه ابصارهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا سيقوا الى النار في يوم الحساب شخصت ابصارهم اليها وقال الحسن رضي الله عنه تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حين يدعوهم من قبورهم لا يطرف فيه اعينهم من هول ذلك اليوم وقوله تعالى مهطعين اي مسرعين نحو البلاء الذي ينزل بهم وفي هذا بيان ان حالهم يومئذ بخلاف المعتاد لان الغالب من حال المبهوت المعاين للبلاء ان تشخص بصره وهو واقف لا انه يسرع الى شيء والاهطاع الاسراع يقال اهطع البعير اذا اسرع وقال مجاهد رحمه الله مهطعين مديمين النظر وقال الخليل رحمه الله المهطع الذي قد اقبل على الشيء ينظر ولا يرفع عينه عنه وقوله تعالى مقنعي رؤوسهم اي رافعين رؤوسهم الى ما بين يديه في السماء من الانفطار وانتثار الكواكب وتكوير الشمس ونحو ذلك والعادة فيمن شاهد البلاء ان يطرق رأسه عنه لكي لا يراه فبين تعالى ان حالهم خلاف المعتاد وقوله تعالى لا يرتد اليهم اي لا يغمضون اعينهم من الهول والفزع وقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خالية من كل خير وامل خبر هواء ما بين السماء والارض لا يبقى شيئا وقال في نحوه لا عقول فيها وقال السدي رضي الله عنه هوت افئدتهم بين مواضعها وبين الحنجرة فلا هي عائدة الى مواضعها ولا هي خارجة منها لقوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى وانذر الناس معناه واعلمهم موضع المخافة يوم يأتيهم العذاب وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا ربنا اعدنا الى حال التكليف واجلنا بمثل اجل الدنيا نجب دعوتك ونتبع الرسل يقول الله تعالى لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل معناه اولم تكونوا حلفتم من قبل هذا في الدنيا ما لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة كما قال الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ويقال ما لكم من انتقال الى العذاب وهذه الآية دالة على انكار الانتقال والزوال عن الحياة الى الموت وعن الشباب الى الهرم وقوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم معناه في مساكن عاد وثمود وقوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم معناه ظهر لكم كيف كفروا بالله تعالى ورسوله وكيف عاقبهم الله تعالى عند التكذيب وقوله تعالى وضربنا لكم الامثال معناه وبينا لكم الامثال المنبهة على التفكر فلم يعتبروا بتلك الامثال ٥ **قوله عز وجل** وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ٥ ومعناه

وقد مكر

وقد مكرت الامم الماضية بانبيائهم ما امكنهم من المكر والله تعالى عالم بمكرهم وعنده جزاء مكرهم وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول فيه قراءتان من كسر اللام اي اللام الاولى من قوله تعالى لتزول فالمعنى وان كان مكرهم قصدا منهم على ان تزول منه الجبال لتم لانه تزول منه الجبال فكيف بزوال منه الذي هو اثبت من الجبال ويجوز ان يكون معنى هذه القراءة الجحد كانه قال وما كان مكرهم لتزول منه دين الاسلام ونبوته كثبوت الجبال الراسية فاستحقروا مكرهم ومن فتح اللام الاولى من هذه الكلمة فقرأ لتزول فهو على معنى استعظام مكرهم ويكون اللام الاولى بمعنى اليمين كانه قال وان كان مكرهم قد بلغ منتهاه حتى تزول منه الجبال فلا يضر ذلك انبياء الله تعالى ورسله فان الله تعالى وعد رسوله صلى الله عليه وسلم النصر بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ونحو ذلك من الآي فان قال قائل فهل زالت الجبال بمكر الكفار فالجواب عنه انه روي في بعض التفاسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان نمرود الجبار امر بتابوت خفيف فصنع له ثم ادخل في التابوت معه غلاما خفيفا ثم ربط العقبان والنسور الى قوائم التابوت وعلق اللحم فوقها الى جنب رؤوسها وان يعلف بهم النسور وكان يجعل كوة صغيرة في اعلى التابوت فقال للغلام انظر يومك هذا فاذا دنوت من السماء فاعلمني حتى اعلم علمها وكانت النسور تعلو بهم يريدون اللحم فارتفعوا يومهم وليلتهم فنظر الى السماء فاذا هي كهيئتها بالامس ثم فتح كوة اسفل التابوت فاذا الارض مثل اللجة ثم نظر في اليوم الثاني فاذا السماء كهيئتها والارض مثل الظلمة فصوب عند ذلك اللحم الى اسفل التابوت فنظرت النسور الى اللحم في اسفل التابوت وانحطت به فمرت بجبل فسمع الجبل حفيف التابوت فظن انه امر من السماء فكاد يزول عن مكانه من مخافة الله تعالى ووقع التابوت في ارض بابل فمنها تحاالجمث ثم سلط الله عليه اضعف خلقه بعوضة فعذبته اربعين يوما حتى قتلته هكذا روي في الآية فان صح هذا الخبر والا فمعنى الآية لو بلغ مكرهم ما لا يظن ان يبلغ لما انتفعوا به وبطلان الدين الاسلام وهذا كما قال الشاعر ٥ لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير ملجم

وفي قراءة علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال والمعنى تعظيم شركهم كما في قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وقوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده معناه لا تظنن الله يا محمد مخلف رسله ما وعدهم من النصرة واظهار الدين ومن حق الكلام ان يكون الوعد والرسل منصوبين لان الاخلاف يعمل في المفعولين الا انك اذا اضفته فلا بد من خفض ما يليه وهو في التاويل نصب وقوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام اي عال لا يعجزه شيء ذو نقمة ممن عصاه كعزته ٥ **قوله عز وجل** يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب

وذلك ان الله تعالى لما قال ان الله عزيز ذو انتقام بين وقت انتقامه وقال جل ذكره يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس رضي الله عنهما تبديلها ان يزاد فيها وينقص منها ويسوى جبالها واوديتها ولتمد مد الاديم العكاظي ارضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولا يعمل عليها خطيئة قال وتبديل السماء انفطارها وانتثار كواكبها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وانشد وقال قول لبيد ٥ وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم ٥ يقال للرجل قد تبدلت وهو الرجل نفسه وذهب بعضهم رحمه الله الى ان الآية على ظاهرها وان هذه الارض تبدل يومئذ بارض اخرى كما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقلنا

يا رسول الله صلى الله عليك وسلم فاين يكون الناس قال على جسر جهنم يعني الصراط واما السموات
على هذا القول فاما تطوى وتبدل سما اخرى غيرها كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
وقال تعالى والسموات مطويات بيمينه وقد ادى الله تعالى في الدنيا العباد بان ما يكون
في القيمة من تبدل الارض ... وهدم وانكسار شمس وقمر وجعل الكواكب رجوما للشياطين
واذا عاين ذلك ذو العلم علموا ان وعد الله كائن لا محالة وقوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار
معناه وبرزوا من قبورهم للمحاسبة وجعل البروز من قبورهم للحساب بروزا لله تعالى وان كان
الله تعالى عالما بالجميع لانه لا يخفى عليه شيء فيبرز له من بعد وقوله تعالى وترى المجرمين يومئذ
مقرنين في الاصفاد معناه وترى يا محمد صلى الله عليك وسلم المجرمين يومئذ مقرنين
رحمه الله معناه يجمعون مع الشياطين في الاغلال وانه سلسلة كما روي في الخبر انه يقرن كل
كافر مع شيطانه في غل من حديد وقيد من حديد والاصفاد الاغلال واحدها صفد وصفاد ويقال
الاصفاد الاغلال والقيود قال الشاعر

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا

وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان معنى مقرنين مشدودين في القرن والقرن الحبل الذي يربط بها
يجمعها الى اعناقهم وقوله تعالى سرابيلهم من قطران معناه قمصهم من نار سود كالقطران
كما في قوله تعالى قطعت لهم ثياب من نار والقطران يكون في ثيابهم وهي ما طلي به الابل وهذا
مبالغة في الوعيد لان القطران ابلغ في اشتعال النار في الجلود ومن قرأ قطر آن منونا فمعناه
من نحاس مذاب قد بلغ النهاية في الحمى ويحتمل انهم يسربلون سربالين احدهما من قطر وهو من
القطران ليكون دلالة على صحة القولين وقوله تعالى وتغشى وجوههم النار معناه تعلو وجوههم
النار وذلك ان بين الكافر وشيطانه حجرا من كبريت فهو يشتعل في الوجه وقوله تعالى ليجزي
الله كل نفس ما كسبت معناه وبرزوا لله الواحد القهار ليجزي الله الذين اساءوا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى ويجوز بان يكون اللام في قوله تعالى ليجزي لام قسم سقطت منها النون
ليجزين الله تعالى وقوله تعالى ان الله سريع الحساب معناه اذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحاسب
واحدا بعد واحد ولا يتكلم باللسان واللهاة ولكن يكلم الجميع في وقت واحد **قوله عز وجل**
هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب
معناه هذا القرآن ذكر بالغ وموعظة كافية للناس وليخوفوا بذكر العقاب وليدعوهم هذا
الانذار الى علم التوحيد وليتعظ ذوو العقول من الناس فيوصلهم ذلك الى الجنة ويخلصهم من
النار وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة ابراهيم
عليه السلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبدها

سورة الحجر كلها مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ... ومعنى تلك آيات الكتاب اي هذه آيات الكتاب الذي وعدت به
عليك وقوله تعالى وقرآن مبين معناه وقرآن مبين للحلال والحرام مميز بين الحق والباطل والقرآن
والكتاب جميعا صفتان لشيء واحد الا ان وصفه بانه كتاب يفيد انه يكتب ووصفه بانه قرآن يفيد
انه مما يجمع بعضه الى بعض وقوله تعالى ربما يود الذين كفروا اي ربما يتمنى الكافرون يوم القيمة
ان لو كانوا مسلمين وهذا انما يكون في الآخرة اذا صار المسلمون الى الجنة والكفار الى النار

من

تمنى الكفار ان لو كانوا مسلمين في الدنيا وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال
وذلك ان الله تبارك وتعالى اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار احتبس قوم من اهل
القبلة ومن المنافقين على الصراط فيقول المنافقون لهم هذا احبسنا سيئا قاوكفرنا فما نفعكم ايمانكم
محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يصيحون صيحة لما عيرهم المنافقون فيسمعها اهل الجنة فيقومون
الى آدم ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى عليهم السلام فيطلبون الشفاعة فيحيلونه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرون ان لهم خطايا فيشفع لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك هو المقام المحمود فيدخلهم الله تعالى الجنة فاذا نظر المنافقون اليهم وقد دخلوا
الجنة تمنوا ان لو كانوا مسلمين واما كلمة رب فهي مبنية على الفتح ومعناها التقليل
وهي تجر ما بعدها بالاضافة فاذا كان يليها الفعل وصلت بما وفيها لغات رب وربما وربت
والتخفيف وربما اكد ذلك ورب رجل وربما رجل وربما نصب الراء وهي تستعمل تارة للتقليل
وتارة للتكثير لغة في الوعيد وهي في هذا الموضع على وجه الوعيد كما يقول امرؤ لغيرك ستندم
على فعلك وتقول لا تفعل كذا فانك ان فعلت ربما تندم ولا تمسك قائل هذا القول في ان
فاعل هذا الفعل سيندم عليه لا محالة الا انه يقول ذلك له على وجه المبالغة في التهديد واما
قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا فمعناه اتركهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ياكلوا في الدنيا
كالانعام ويتلذذوا قليلا ويشغلهم الامل الطويل عن طاعة الله فسوف يعلمون ماذا
ينزل بهم من العذاب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي شيئان
اتباع طول الامل واتباع الهوى فاما طول الامل فينسي الآخرة واما اتباع الهوى فيضل عن الحق
قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها
وما يستأخرون معناه وما اهلكنا من اهل قرية الا ولهم كتاب معلوم فيه مدة بقائهم
ووقت فنائهم لا نهلك امة قبل اجلها الذي كتب لها ولا نؤخر امة عن اجلها طرفة عين فلا تغتر
هؤلاء الكفار بتاخير هلاكهم فانه اذا جاء الوقت الذي كتب الله تعالى لهم لم يتاخر عنه كما لا يتقدم
عليه وفي هذا بيان انه لا يموت احد ولا يقتل الا باجله الذي جعله الله تعالى ولا يعترض على
هذا قول من يقول كان يجب ان لا يكون القاتل ظالما للمقتول لانه وان كان المعلوم من حال المقتول
انه سيموت في ذلك الوقت لا محالة لو لم يقتل لكنه كان يموت من غير الم القتل وكان
القاتل بايصال تلك الالام اليه ظالما له **قوله عز وجل** وقالوا يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا
بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون معناه قالت الكفار من
اهل مكة وهم عبد الله بن امية المخزومي واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الذي نزل عليه
الذكر في دعواه وزعمه انك لمجنون في دعواك انه نزل عليك هذا فانهم كانوا لا يقرون بان
القرآن انزل عليه وانما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يتغير وجهه وقت نزول
الوحي عليه وقوله تعالى لو ما تاتينا بالملائكة معناه قالوا هلا تاتينا بالملائكة من السماء يشهدون
انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت من الصادقين فيما تدعي وقوله تعالى ما ننزل الملائكة
الا بالحق جواب من الله تعالى لهم يقول ما ننزل الملائكة من السماء الا بالحق اي الا بالرسالة والعذاب
والموت وكل ذلك حق وقوله تعالى وما كانوا اذا منظرين اي ما كانوا مؤجلين اذا نزل
عليهم الملائكة بل يستاصلون بالعذاب حينئذ الا من يكون المعلوم من حاله انه يؤمن او يؤمن
من نسل انسله وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر اي انزلنا القرآن وقوله تعالى وانا له لحافظون اي جعلناه

مع الاتفاق على الاتيان بمثله فهو محفوظ من الزيادة والنقصان ويقال هو محفوظ من كيد
المشركين بالابطال سهما الى اخر التكليف يحفظه عصرا بعد عصر حتى يكون به الحجة على الناس ٥
قوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
معناه ولقد ارسلنا من قبلك في الامم الاولين والشيع جمع شيعة والشيعة الامة والفرقة
ولم يذكر رسلا لان قوله تعالى ولقد ارسلنا يدل عليه وقوله تعالى وما ياتيهم من رسول معناه
كان لا ياتيهم رسول مرسل اليهم الا كانوا به يستهزءون في انكار التوحيد والبعث والنبوة
كما يفعل بك قومك وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يلقاه من اذى الكفار
وقوله تعالى كذلك نسلكه قيل معناه كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين ان يسمعوه ويفهموه
ثم لا يؤمنون به ويقال معناه كذلك نسلك الاستهزاء في قلوب المجرمين بان يخطر ببالهم حتى
يستهزءوا به الا انهم كانوا لا يستعملون عنده ويقال معناه كما سلكنا في قلوب شيع الاولين
ان كذبوا كذلك نسلكه يعني التكذيب في قلوب المجرمين وقال قتادة رحمة الله عليه
اذا كذبوا سلك الله تعالى في قلوبهم ان لا يؤمنوا كما قال الله تعالى اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم ومن قرا نُسلكه بضم النون فهو من اسلك يسلك يقال سلكت
الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته وقوله تعالى وقد خلت سنة الاولين معناه مضت
الاولين بعذاب الاستئصال عند معاندتهم في التكذيب بعد الآيات ٥ قوله عز وجل
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم
مسحورون ٥ معناه ولو فتحنا على هؤلاء الكفار بابا من السماء ينظرون اليه فظلوا يصعدون
اليه وينزلون عنه لم يؤمنوا وقالوا انما سكرت ابصارنا وقالوا اخذت ابصارنا وغطيت واغشيت
عن حقيقة الرؤية ونحن قوم قد سحرنا وخيل الينا هذه الاشياء على خلاف حقيقتها كما قالوا
حين انشق القمر عاينوه هذا سحر مستمر ويقال معنى فظلوا فيه يعرجون فظلت الملائكة تصعد
اليه وينزلون عنه بالوحي من قولهم لو ما تاتينا بالملائكة ومن قرا سكرت بالتخفيف فهو من السكر
والسكر وقراءة التشديد لتكثير الفعل والمبالغة كما في فتحت وفتّحت وبالله التوفيق ٥ قوله
عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان
رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ٥ معناه ولقد خلقنا في السماء وجعلنا البروج هي
منازل الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب السبعة وهي اثنا عشر برجا نسميها بحساب الحمل
والثور الى اخر اسمائها المعروفة والبرج في اللغة هو المنزل الظاهر المنيع الحصين كما يقال بروج
السور وقوله تعالى وزيناها اي زينا السماء بالكواكب للناظرين اليها وقوله تعالى وحفظناها
اي حفظنا السماء من ان يدخل فيها شيطان وان يحصل منها في موضع يمكنهم الاستماع الى كلام
الملائكة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية من الكهنة ولا يكون
كاهنا الا ومعه تابع من الجن فيطلق الشياطين الذين كانوا معهم فيقعدون في السماء مقاعد
للسمع فيستمعون الى ما هو كائن في الارض من الملائكة فيقولون به على السنة كهنتهم فيقولون انه
قد كان كذا وكذا من الامر فيسبقه كهنتهم الى الناس فيتكلمون به قبل ان ينزل على النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك قالوا قد علمنا قبله وكانت الشياطين لا
تحجب عن السموات كلها حتى بعث عيسى عليه السلام فلما بعث منعوا من ثلاث سموات فلم يصلوا اليها
وكانوا يصعدون في اربع سموات الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فمنعوا عن

السموات

السموات السبع وحرست السماء بالنجوم والملائكة وكان الشيطان المارد منهم يسترق
السمع لابليس فيصعد ويكون اخر اسفل منه فاذا استرق قال للذي اسفل منه قد كان كذا وكذا
من الامر فيهبط ويرمى الذي يسترق بالشهاب فمنهم من ياتي على نفسه ومنهم من يحتمل ذلك فقوله تعالى
الا من استرق السمع معناه لكن من اختلس السمع خلسة فاتبعه اي لحقه نجم مضيء حار متوقد والشهاب
هو الكوكب المنقض وانقضاض الكوكب انفصال شيء منه حتى يرى كانه شرارات من النار واما
الكواكب فمحالها قال الزجاج ومن الدليل على ان الشهب بعد الكواكب المنقضة كانت
من بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب كانوا في الجاهلية يمثلون في السرعة
بالبرق والسيل ونحوهما من الاشياء المسرعة لا يوجد في اشعارهم بيت ذكر فيه الكواكب المنقضة
فلما حدث بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها كما قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية ٥ مسوم في سواد الليل منقضب ٥

فان قيل كيف يجوز من الشياطين ان يصيروا الى موضع يحترقون فيه وهم عقلاء قيل انهم يدنون
من السماء في وقت لا يتكلم فيه الملائكة ولا يمكن استراق السمع ولا يرجون ان قد يدنون من السماء
لاستراق السمع لا يظهرون انفسهم انهم يستمعون فاذا استرقوا السمع علم بهم الملائكة فرموهم
بالشهب والعاقل اذا كان قد يصيبه الضرر من الشيء وقد لا يصيبه فانه يتعاطاه فان قيل
كيف يجوز ان يكون الشهاب هو الكوكب المنقض ونحن لا نشاهد حركات الشمس والقمر مع كبر جثتهما
فكيف نشاهد حركات الشهاب مع بعده قيل فيه قولان احدهما ان الملائكة قد يلتقي
بعضهم ببعض بين السماء والارض فيدنوا الشياطين منهم لاستراق السمع فيرمون بالشهاب فلا
نرى بعين ذلك الشهاب لبعده عنا والثاني ان حركات الشهاب تكون سريعة لا يسع في خلالها
سكون فنرى حركاتها بخلاف حركات الشمس والقمر ٥ قوله عز وجل والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
معناه والارض بسطناها على الماء من تحت الكعبة والقينا في الارض جبالا ثوابت اوتادا لها لئلا تميد ان
تكون الارض على الماء ولو كانت خالية عن الجبال لمادت باهلها فلما القى الله عز وجل بها الجبال
اعلاما للناس ثبتت الارض وقوله تعالى وانبتنا فيها يجوز ان يكون المعنى وانبتنا في الجبال من كل
ما يوزن مثل الذهب والفضة والحديد والصفر والرصاص ونحو ذلك ويجوز ان يكون المعنى
وانبتنا في الارض من كل شيء من النبات والثمار معدود ومقسوم لا يجاوز ما قدر الله تعالى على
ما تقتضيه الحكمة واما تخصيص الموزون فلان ما يكال من الحبوب فمآله الوزن ايضا وقوله
تعالى وجعلنا لكم فيها معايش معناه وخلقنا لكم في الارض معايش تعيشون بها منها تاكلون وتشربون
وتلبسون وقوله تعالى ومن لستم له برازقين معناه وجعلنا لمن لستم له برازقين معايش من الدواب
وغيرها وجارٍ من نعم الناس كما في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع ويقال معناه وجعلنا لكم من لستم له برازقين كانه قال جعلنا لكم فيها
معايش وجعلنا لكم العبيد والدواب والانعام وكفيناكم مؤنة ارزاقها ٥ قوله عز وجل
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
معناه وما من شيء يحتاجون اليه من النبات والثمار والامطار الا ومفاتيحه الينا وفي مقدورنا وذكر
الخزائن تشبيها بالمقدور بالخزائن المعدة للاشياء قوله تعالى وما ننزله معناه وما ننزل الرزق والمطر
الا بمقدار معلوم يقتضي الحكمة ابتداء ويعلم الخزان مقادير كل ما في الخزانة فيعطي كل قوم بعضها

سوى صنعها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الا يوم الطوفان الذي غرق الله تعالى فيه قوم
نوح عليه السلام فانه قد طغى الماء يومئذ على خزانه وكثر فلم يحفظوا ما خرج منه يومئذ وانما كان
ينفذ ذلك استدلالا بقوله عز وجل انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وقوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح معناه وارسلناها ذات لقاح تأتي السحاب فتلقح السحاب وهذا كما روي في الخبر ومن ريح
عقيم لانه اي ذات الماء ويكون لاقح بمعنى ملقحة كذلك الريح اللاقحة هي الملقحة للسحاب اي
المحملة للسحاب المطار ويجوز ان يسمى الريح لاقحة على معنى انه يلقحها كما يقال ليل نائم ويوم ماطر
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم يمر به فيدر كما تدر اللقحة
ثم تمطر وعنه رضي الله عنه انه قال يرسل الله تعالى الماء الى الريح فتنزعه الريح في السحاب ثم تمر به وقوله
تعالى وانزلنا من السماء ماء يعني انزلنا من نحو السماء المطر الذي اخرجه السحاب بوزن معلوم وقوله تعالى
فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا لكم حتى حبستموه في الغدران والحياض لكي تسقوا بها الزرع والمواشي
يقال اسقيت فلانا اذا جعلت له سقيا وسقيته اذا اعطيته الماء ليشرب وقد يقال سقى واسقى بمعنى واحد
وقوله تعالى وما انتم له بخازنين اي لستم لذلك الماء بخازنين وليس مفاتيحه بايديكم فاياكم وقوله تعالى
وانا لنحن نحيي ونميت فيه بيان ان الله تعالى انما انعم على عباده بهذه النعم لا للبقاء في الدنيا ولكن
ليبلوهم بالخير والشر فيجازيهم على افعالهم في الاخرة وذلك بقوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت اي نحيي
ما نبعث في الاخرة ونميت في الدنيا ونحن الوارثون لما في السموات والارض بعد موت اهلها ومعنى
الوارث ان الخلائق كلهم يموتون ولا يبقى الا الله الواحد القهار وما يبقى للحي بعد الميت يسمى
ميراثا قوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو
يحشرهم انه حكيم عليم معناه ولقد علمنا المتقدمين الماضين منكم ويقال ولقد علمنا الابا فين(?)
ويقال معناه ولقد علمنا الاولين منكم والاخرين ولقد علمنا السابقين منكم الى الطاعة ولقد
علمنا المتأخرين عن الطاعة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على الصف المقدم وكان يقول خير صفوف الرجال اولها
وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها وشرها اولها فازدحم الناس على الصف المقدم الاول وقال
قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ولنشترين بيوتا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف
الاول وكادت البيوت البعيدة من المسجد تخلو من القوم فقال صلى الله عليه وسلم من اتى
المسجد فانه يكتب له بكل خطوة كذا وكذا حسنة ويرفع بها كذا وكذا درجة فجعل الناس
يرغبون في دورهم البعيدة من المسجد لتكثير ثوابهم فانزل الله تعالى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم
الاية ومعناها انكم انما تجزون على نياتكم فاطمأنوا لذلك وسكنوا وفي بعض الروايات انه كان
في القوم من يتأخر الى اخر الصفوف ينظر الى النساء حتى روي انه كان فيهم من اذا سجد نظر الى المرأة
من تحت ابطه فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي يجمعهم للجزاء انه حكيم في
افعاله عليم بما يستحقه كل واحد منهم وبالجزاء الى مثوبته(?) قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وذلك ان الله تعالى لما ذكر قوله جل ذكره وانا لنحن
نحيي ونميت اعقبه بكيفية ابتداء خلقه لادم والجن فقال جل ذكره ولقد خلقنا الانسان من صلصال من
حمإ مسنون يعني ادم لانه كالمعهود والصلصال هو الطين اليابس الذي لم تصبه نار واذا نقرته صل
اي صوت واذا مسته النار فهو فخار والصلصلة الصوت الشديد يقال لصوت الرعد صلصلة والحمأ
جمع الحمأة وهي الطين المتغير الى السواد والمسنون المتغير الرائحة الى النتن من قوله لم يتسنه ويقال
هو الذي اتى عليه السنون ويقال هو المصبوب من قولهم سننت الماء اذا واليت بين صبه وهذا

كله

كله اخبار عن اختلاف حالات خلقة ادم عليه السلام ولا تناقض فيها فانه عليه السلام
كان في الاصل ترابا ثم عجن ذلك التراب بالماء فصار طينا رطبا ثم صار حمأ مسنونا ثم صور وترك
مصورا حتى يبس فصار صلصالا فمكث اربعين سنة ثم صار بشرا لحما ودما وعظما ثم نفخ فيه الروح
وقال بعضهم الصلصال هو الطين المنتن من قولهم صل اللحم اذا انتن الا ان الاول
اصح لان الله تعالى قال من صلصال كالفخار والطين لا ينتن اذا كان يابسا وانما ينتن
اذا كان رطبا وكانت الحكمة في خلقه من الطين اليابس ان يرى الملائكة ان ذلك مما
لا يقدر عليه غير الله تعالى وان يعلم الخلائق ان ضعة الاصل لا توجب ضعة الانسان
اذا نقل الى حال شريفة ولا شرف الاصل يوجب شرف الفرع اذا نقل الى حالة دنية واما قوله
تعالى والجان خلقناه قيل ان الجان ابو الجن وهو ابليس فمن اسلم من ولده فهو جني ومن كفر
فهو شيطان وقوله تعالى من قبل من نار السموم اي من قبل ادم عليه السلام وذكر الكلبي
رضي الله عنه ان الجن ولد الجان وليس بابليس انما ابليس ابو الشياطين ويقال الجان اسم جميع
لا واحد له من لفظه كالناس من بني ادم وقوله تعالى من نار السموم معناه من نار من ريح حارة
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما السموم هذه جزء من سبعين جزءا من السموم
الذي خلق منه الجان ويقال السموم نار صافية لا دخان لها والدخان من عوارض الوقود
وعلى هذا تسمى الريح الحارة المحرقة سموما ويقال اسم يومنا اي حر واما المارج الذي ذكره
الله تعالى في قوله وخلق الجان من مارج من نار فهو المارج ما اختلط من لهب النار كانه
قال من لهب مرج وانقطع من النار والايتان متفقتان في المعنى ويقال المارج هو الحار المضطرب
كقوله تعالى فهم في امر مريج وقوله تعالى مرج البحرين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
كان لجهنم سموم وكان لسمومها نار وفيه نار تكون بين سماء الدنيا وبين الحجاب الذي هو
دون السماء وهي النار التي تكون منها الصواعق اذا احدث الله في خلقه ما شاء خرقت النار الحجاب
فهبطت الى الارض لما حدث امرت والهدة التي تسمع الناس صوت الحجاب وهي كلمة برمته(?)
لا ترى السماء الامس وراءها قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من
صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين
في هذه الاية بيان ان المراد بخلق الجن والانس ما يتصل بالتكليف والامتحان لا كما خلق الله
سائر اجناس الحيوان وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ
مسنون قد تقدم تفسيره وقوله تعالى فاذا سويته معناه اذا جمعت خلقه باليدين والرجلين
والعينين وسائر الاعضاء فسويته على الكمال وادخلت فيه روحا من ارواحي فصار
بشرا بعد ما كان طينا يابسا فقعوا له على وجوههم خاضعين له بالتحية واما اضافة الروح في الاية
الى الله تعالى فهو على وجه التشريف والتكريم لادم عليه السلام فان خصه الله تعالى باحسانه
باحسانه اياه من الطين اليابس والارواح فيها لله تعالى الا ان اضافه الله تعالى في هذه الاية
على هذه الجهة فان الملك اذا اضاف الشيء الى نفسه فانما يضيف الى نفسه على جهة التعظيم لذلك
الشيء والنفخ كناية عن الاحياء كما ان الخلق كناية عن احداث بنا الكلام ما زال فلان
ينفخ في فلان حتى افسده علينا يريد بذلك انه لم يزل يمدحه ويقدحه(?) حتى اغراه علينا وقوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون معناه سجدوا كلهم لادم عليه السلام سجدة تحية وعبادة لله تعالى

أجمعون يدل على اجتماعهم في السجود كأنه قال سجدوا كلهم في حالة واحدة وقوله تعالى
إلا ابليس امتنع ان يكون مع الساجدين لآدم عليه السلام وقد سبق الكلام في استثناء
ابليس من جملة الملائكة الا انه كان يعبد الله تعالى في جملتهم فأمر بالسجود معهم واما قوله
تعالى قال يا ابليس معناه قال الله تعالى يا أيها الابليس من رحمتي ما لك ان لا تكون مع الساجدين
وما منعك من السجود قال الخبيث لم أكن لأسجد لبشر خلقته اي كيف ينبغي ان اسجد له وأنا اشرف
اصلا منه وهو من طين منصلصل اي هو مجوف يحتاج الى الطعام والشراب وهو من حمأ اي
الحماة الظلمة وسواد والمسنون من الحماء منتن قال الله تعالى له فاخرج منها اي من الجنة
ونزل من الارض فالحقه الله بجزائر البحور وقوله تعالى فانك رجيم اي مطرود من الرحمة مبعد
من كل خير وقوله تعالى وان عليك اللعنة معناه وان عليك مع هذا لعنة الله تعالى ولعنة
الخلائق الى يوم الجزاء هو يوم القيامة يلعن بكل ما يستفعله وهو قول لمن عصى الله تعالى من اهل السموات
والارض **قوله عز وجل** قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك
منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
معناه قال ابليس يا رب فانظرني اي اجّلني الى يوم يبعث الخلائق من القبور اي فالخبيث لا يذوق
الموت قال الله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قيل الى وقت النفخة الاولى حين
يصعق ملك النفخة من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى وبين النفخة الاولى والثانية
اربعون سنة وهذا لم يكن اجابة من الله تعالى لابليس الى ما سأل لانه لم يكن احد الى ما دوامه
اخرجا التكليف ثم احدا الله تعالى ابدا ولكن كان في علم الله تعالى انه لو لم يسأل هذا
السؤال لكان اجله ممتدا الى انقضاء التكليف فيكون هذا الجواب في الحاصل جوابا
اهانة لابليس لا اجابة له كما اخبر الله تعالى عن اهل النار انهم يدعون فيقولون ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون فيجابون بالاهانة يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال المراد بالوقت
المعلوم وقتا يعلمه الله تعالى ولا يعلمه ابليس والقولان يرجعان الى معنى واحد اي وقت آخر
التكليف ايضا لا يعلمه الا الله تعالى فلم يعط الخبيث ما سأل من الانظار قال رب بما اغويتني
بما خيبتني من جنتك ورحمتك لأزينن لبني آدم في الارض من الشهوات واللذات حتى يعاودها على ما
عندك والغواية قد يكون بمعنى الخيبة كما قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اي من خيب لا يعدم مع ذلك لائما على الخيبة وقوله تعالى لأغوينهم أجمعين معناه ولأضلنهم
من الحق الى الباطل ومن الطاعة الى المعصية وقوله الا عبادك منهم المخلصين من قرأ المخلصين
بنصب اللام فمعناه الذين اخلصتهم لنفسك ومن قرأ بكسر اللام فمعناه الذين اخلصوا الطاعة
لك وقوله تعالى قال هذا صراط قال بعضهم رحمه الله هذا تهديد من الله تعالى لابليس كما يقول
الانسان لغيره على جهة التهديد افعل ما شئت فان طريقك علي اي لا يفوتني وقال معنى الآية
على ممر من اطاعك وممر من عصاك كما قال الله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقال معنى هذه الآية
ان هذا دين مستقيم على بيانه الهداية اليه وقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
بيّن الله تعالى ان ابليس لا يقدر على ان يحملهم على المعصية ويكرههم عليها ولكن من تبعه فانما
يتبعه باختياره كما سبق ذكره في سورة ابراهيم عليه السلام ثم بين الله سبحانه مصير من يتبعه ومن لم يتبعه
فقال عز وجل وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان

المتقين

المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا
يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
معناه وان جهنم لموعد ابليس ومن تبعه لها سبعة ابواب اي سبعة ابواب بعضها اسفل
من بعض هكذا رواه مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وكل طبق منها
اشد حرا من الطبق الذي فوقها بتسعين ضعفا والباب الاول اهون حرا ولو ان رجلا
بالمشرق فكشف عنها بالمغرب لخرج دماغه من منخريه من شدة حرها فالطبق الاول من جهنم فيها
اهل القبلة من اهل الكبائر اذا ماتوا غير تائبين والثاني لظى وفيها النصارى والثالث الحطمة
وفيها اليهود والرابع السعير وفيها المجوس والخامس سقر وفيها المشركون واهل الاهواء المختلفة
والسادس الجحيم وفيها الصابئون والزنادقة والسابع الهاوية وفيها المنافقون فذلك قوله
عز وجل لكل باب منهم جزء مقسوم اي جزء من العصاة معلوم والروايات مختلفة في هذا الباب
الا ان في الجملة ان الله تعالى يقسم اهل النار في الدركات على قدر اجرامهم وهو اعلم بهم كما
يقسم المؤمنين في درجات الجنة على مقدار طاعتهم وقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون
معناه ان المتقين للمعاصي بالايمان واخلاص الطاعة في بساتين وانهار ظاهرة تنبع من اصول [illegible]
وتجري بلا اخدود ويقال لهم يوم القيامة آمنين من الآفات ويقال التحية من الله تعالى آمنين من كل ما
تكرهون قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل معناه ونزعنا ما في صدور اهل الجنة من اسباب
العداوة من الحقد والحسد والتباغض اخوانا اي حتى يصيروا بمنزلة الاخوان على سرر متقابلين
الذي لا ينسى اسرتهم في الجنان بعضها الى بعض والسرر جمع السرير يسمى سريرا لانه مجلس السرور
روي عن امير المؤمنين علي رضي الله عنه انه قال اني لأرجو ان اكون انا وطلحة والزبير
من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فقال رجل
لامير المؤمنين الله تعالى اعدل من ذلك فغضب وقال رضي الله عنه ان لم نكن نحن فمن هم قوله
تعالى لا يمسهم فيها نصب اي لا يصيبهم التعب في طلب العيش وذلك من تمام النعيم ايضا
لان احدا ما ينقص النعيم على الانسان حاجته الى التعب في نيلها وقوله تعالى وما هم منها بمخرجين
اي لا يخافون الاخراج منها ابدا [illegible]
من نال ما يتمنى [illegible]
واما قوله تعالى نبئ عبادي معناه اخبر عبادي اني انا الغفور للذنوب من تاب الرحيم لمن مات على
التوبة وان عذابي هو العذاب المؤلم الا لمن استحقه وفي هذا بيان ان الجنة معد لمن ليس
لمن اذا هو تاب وامتي فان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يعرفهم عظيم رحمته وانعامه
عليهم بان مكنهم من الملائكة لتوبة لنا لوا المغفرة وقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لو يعلم العبد قدر رحمة الله تعالى ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عقوبة الله
تعالى لبخع نفسه في عبادة الله تعالى **قوله عز وجل** ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا
لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين وذلك ان الله تعالى لما بين جملة هذه
الآيات امر الوعد والوعيد اتبعه بذكر ما نزل على العبد في الدنيا من البشرى من النعم العاجلة
وموقع ذلك من سرور النفس وما يرد عليه في دنياه عند عذاب الاستيصال وعظم موقعه

لينبه العباد بالعاجلة على الآجلة فقال عز من قائل ونبئهم عن ضيف ابرهيم معناه اخبرهم عن
اضياف ابرهيم عليه السلام وهم الملئكة الا انه قال عن ضيف لان الضيف مصدر يجوز ان
يوضع موضع الجمع وسمى الملئكة اضيافا لانه كان عند ابرهيم عليه السلام وعليهم السلام
انهم نزلوا عنده للضيافة ولهذا اعد لهم طعاما وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قد تقدم
تفسيره ۵ قوله تعالى قال انا منكم وجلون معناه قال لهم ابرهيم عليه السلام حين لم يطعموا من
طعامه انا منكم وجلون وذلك انه خاف ان يكونوا قد اضمروا له سوءا قالوا لا توجل اى لا تخف
انا نبشرك بغلام عليم اى بولد اذا بلغ كان عليما قال لهم ابشرتمونى بالولد بعد ان مسنى الكبر
والشيب والانسان انما يولد له الولد فى حالة الشباب فبم تبشرون قال مجاهد رضى الله عنه
انما قال ابرهيم عليه السلام ذلك على جهة التعجب ويقال اراد به افتبشرونى بهذا من عند الله او من تلقاء
انفسكم قالوا بشرناك بامر الله تعالى فان امر الله تعالى لا يكون الا حقا فلا تكن من القانطين
من رحمة الله قال لهم ابرهيم عليه السلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى كيف اقنط من رحمة
الله تعالى يقرا بكسر النون ونصبها يقال قنط يقنط وقنط يقنط والمعنى واحد وفى قوله تبشرون قراءات
ايضا يقرا تبشرون بكسر النون على الاضافة اصله تبشروننى بنونين حذفت احداهما وتركت الكسرة دليلا
على الحذف ويقرا بنصب النون على لفظ الجماعة بغير الاضافة ويقرا تبشرون بالتخفيف ويقرا بالتشديد
والادغام فى النونين كما فى تامرونى وتحاجونى ونحو ذلك واما قوله تعالى قال فما خطبكم معناه قال
فما شانكم ايها المرسلون والخطب هو الشان العظيم الذى يخاطب الناس فيه بعضهم بعضا وسماهم
مرسلين لان الملئكة كلهم رسل الله تعالى وقوله تعالى قالوا انا ارسلنا معناه قالوا انا ارسلنا
لهلاك قوم مجرمين وهم قوم لوط عليه السلام وقوله تعالى الا آل لوط معناه الا خاصته وعشيرته
ولم يكن قد امن به الا عشيرته انا لمنجوهم اجمعين من الهلاك ولا يمتنع ان يكون فى آل لوط عليه السلام
من كان مجرما الا انه لم يبلغ جرمه حد الكفر الذى يستحق به عذاب الاستيصال فلذلك استثنى لوط
عليه السلام من المجرمين ويجوز ان يكون المراد بالجرم عملهم الخبيث وقوله تعالى الا آل لوط
استثناء ليس من الاول واما قوله تعالى الا امراته فهو استثناء من اهله المسمى فى قوله تعالى انا لمنجوهم
وقد تقدم من المراد بهذه المراة احدى امراتيه وهى التى كانت تشتق واعلة امراة لوط واهله
واما واعلة امراة نوح كانت منافقة قدر الله تعالى عليها الهلاك والغابرون هم الباقون
فى موضع العذاب والاصل فى الاستثناء ان المستثنى يكون خارجا من المستثنى منه فاذا استثنا
من الاستثناء عاد الاستثناء الاخر الى جملة المستثنى منه الاول فصار تقدير الكلام فى هذه
الاية انا ارسلنا الى قوم مجرمين وامراة لوط الا آله ولهذا قيل اذا قال الرجل لفلان على عشرة
الا خمسة الا درهمين لزمه سبعة واذا قال الا خمسة الا ثلثة لزمته ثمانية فيصير العدد الاخير فى
مثل هذه المواضع كلها مضموما الى ما يبقى من الجملة الاولى بعد الاستثناء الاول ۵ **قوله عز وجل**
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق
وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون
معناه فلما جاء آل لوط المرسلون وهم الملئكة الى آل لوط عليهم السلام قال لهم انكم قوم منكرون
وانما قال لهم ذلك لانهم جاؤه على هيئة وجمال لم يكن قد شاهد مثلهم فى الجمال وكان يعلم طلب قومه
لامثالهم فخاف عليهم من قومه فقال انكم قوم منكرون اى على الوصف الذى انكر بمجيئكم الى فى
مثل هذه البلدة وقد يقال لمن الامر الغريب الينا دون فى العادة انه منكر فحسبت الملئكة انه يتهمهم
لامر بينهم فقالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه واتيناك

بامر الله تعالى وان امر الله تعالى حق وانا لصادقون فى ذلك وفى الاية بيان ان لوطا عليه
السلام لم يكن الملئكة ثابتة حين او حجا اليه على هذه الصورة التى جاءوا اليه الان ولا كان
لا يبكرهم فى هذا الوقت وقد جاؤه قبل ذلك وقوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل معناه فالقوا
له سر بهم بعض الليل عند السحر يقال سريت واسريت اذا سرت ليلا والقطع هو القطعة واما
قوله واتبع ادبارهم فمعناه كن فى من يسير خلفهم كى لا ينالهم من العذاب ما ينال المجرمين واما
قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد اى لا يتخلف فى موضع الهلاك ويقال لا يلتفت الى شىء يخلفه
كما يقول الانسان لغيره امض لوجهك ولا تعرج على الشىء وقوله تعالى وامضوا حيث تؤمرون اى الموضع
الذى تؤمرون بالمضى اليه وهو صغر ۵ **قوله عز وجل** وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا
الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
معناه واوحينا اليه ذلك الامر وقوله تعالى ان دابر هؤلاء قال بعضهم رحمهم الله هذا فى
موضع النصب لانه بدل من قوله تعالى ذلك الامر وتفسير له ويقال هو فى موضع الخفض لان
المعنى بان دابر هؤلاء الا انه حذف الباء وقطع الدابر هو الاتيان على اخر القوم بالهلاك حتى لا يبقى
منهم احد والدابر الاسى والاحر واحد وقوله تعالى مقطوع مصبحين اى انهم مستاصلون عند
الصباح لا يبقى لهم نسل ولا عقب وقوله تعالى وجاء اهل المدينة معناه انهم جاءوا يبشر بعضهم
بعضا باضياف لوط عليه السلام لعملهم الخبيث فانهم كانوا يجاهرون بهذه الفاحشة
حتى كان لا يخفيها احد عن احد فقال لهم لوط عليه السلام ان هؤلاء ضيفى فلا تلومونى فيهم عادوا لا
تفعلوا فعلا اخجل منهم فاتقوا الله تعالى فى الحرام ولا تذلونى فى امرى قالوا اولم ننهك عن ضيافة
الغربا وعن ان تجير احدا واما قوله تعالى قال هؤلاء بناتى فمعناه قال لهم هؤلاء بناتى انكحوهن
ان كنتم لا بد تفعلون هذا الفعل وذكر انه لم يجد ما يتقى به من اضيافه ابلغ من انه عرض بناته
عليهم للتزويج وانما اضاف بناته الى نفسه وقد كان علم انهم لا يرغبون فى التزويج ويقال
ان لا يقول له بناتى بنات قومه لان كل نبى فهو ابو امته اضاف بناتهم الى نفسه لشفقته عليهن واما قوله تعالى
لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فهو قسم بحيوة نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه منزلة عظيمة له فى
الشرف قال الله عز وجل اقسم بحيوته ولم يقسم بحيوة احد غيره والعمر والعمر واحد الا انه لا
يجوز فى القسم الا الفتح والمانزوا الا لفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم
بلعمرى وتقديره لعمرك قسمى ولعمرك ما اقسم به الا انه حذف الخبر لان فى الكلام دليلا
عليه وقوله تعالى انهم لفى سكرتهم يعمهون جواب القسم معناه انهم لفى غفلتهم يتحيرون ۵ **قوله
عز وجل** فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ان فى ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين
معناه فاخذتهم الصيحة فى وقت دخولهم فى الاشراق وهو الداخل فى وقت الاشراق
كما ان المصبح الداخل فى وقت الاصباح وذلك ان الملئكة قلعوا مدائنهم فى وقت الصبح
فرفعوها الى قريب من السماء وقلبوها عند طلوع الشمس وصاح بهم جبريل عليه السلام صيحة
وقوله تعالى فجعلنا عاليها سافلها اى اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها وقوله تعالى
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قد تقدم تفسيره وقوله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين
معناه ان فى اهلاك قوم لوط لايات للمتفرسين والمتوسم هو المتفعل من السمة يقال وسمت فلانا
اذا اعلمت عليه وعلمت العلامة وقد سمت فيه اذا ظهرت لى سمة والمتوسمون هم النظار

المتوسمين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة السمة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ثم قرأ ان في ذلك
لآيات للمتوسمين وقوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين معناه ان في ذلك لدلالة للمؤمنين
الذين يصدقون بذلك وخص المؤمنين لانهم هم الذين ينتفعون بالآيات ويستدلون بها

قوله عز وجل وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين

معناه وقد كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام ظالمين بكفرهم بالله تعالى
ومعنى ان واللام للتوكيد والايكة الغيضة وهي الشجر الملتف الكثير وكان شعيب عليه
السلام بعث الى قومين الى اهل مدين وكانوا يطففون في الكيل والوزن فاهلكوا بالصيحة
وبعث الى اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة ويقال ان مدين والايكة واحد كانت عند
مدين فخرجوا من مدين اليها يطلبون الروح عندها فاخذهم عذاب يوم الظلة واضطرم المكان
عليهم نارا فهلكوا من آخرهم وهو قوله تعالى فانتقمنا منهم اي بالعذاب وقوله تعالى وانهما
لبامام مبين معناه ان قريات لوط ومواضع قوم شعيب عليهم السلام على طريق مبين
يبين الطريق اماما لان الانسان يؤمه **قوله عز وجل** ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ولقد كذب قوم صالح صالحا ومن تقدم ذكرهم
من المرسلين والحجر ديار ثمود وانما سموا اصحاب الحجر لانهم كانوا يسكنون سكان
الحجر كما سمي الاعراب الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحاري وقال مجاهد
الحجر اسم لواد كانوا يسكنون عنده وقوله تعالى وآتيناهم آياتنا معناه واعطينا اولئك
المرسلين الاعلام المعجزة فاعرض القوم عنهم وعن آياتهم وكانوا ينقبون بيوتهم في الجبال
آمنين من العذاب ويقال من الموت لطول اعمارهم ويقال من الخراب وسقوط السقف
وقوله تعالى فاخذتهم الصيحة معناه فاهلكوا بالصيحة داخلين في وقت الصباح واختلفوا
في هذه الصيحة قال بعضهم رحمهم الله صاح بهم جبريل عليه السلام وقال بعضهم
رحمهم الله خلق الله تعالى صوتا يشبه الصيحة فاهلكهم به وقوله تعالى فما اغنى عنهم
معناه ما دفع عنهم شيء من عذاب الله تعالى ما كانوا يكسبون من الاموال والاولاد

قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح
الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم قيل معناه فما اهلكناهم الا بالحق لانا ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واهلاكهم بالحق هو اهلاكهم باستحقاق وخلق
السموات هو خلقهما ليعمل فيهما بالحق وقيل معناه ما خلقناهما عبثا ولكن ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقوله تعالى وان الساعة لآتية اي يوم القيمة
كائنة ليجازى الخلائق بكلها وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل اي اعرض عن مجازاة
المشركين وعن مجادلتهم فان جواب السفيه سفه قال مجاهد وجماعة من المفسرين
رحمهم الله هذا منسوخ بآية القتال وقال الحسن رضي الله عنه هذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما بينهم وبينه ليس بمنسوخ وقوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم معناه هو الخالق للانسان
العالم بتدبير خلقهم وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك
للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين وذلك ان الله تعالى لما امر رسوله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم بالصفح الجميل ذكر بعد ذلك ما خصه به من النعم على ما عليه عادة
الحكماء اي ان يكلفوا احدا بشيء ثم يؤكدوا تكليفهم بذكر ما خصوا به من النعم
فذلك معنى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني اذا اعطيناك يا محمد صلى الله عليه وسلم
فاكرمناك بسبع من المثاني قال بعضهم رحمهم الله هي السبع الطوال وهي السبع السور من
اول القرآن التي سابعها الانفال والتوبة وهما جميعا سورة واحدة وسمي هذه السور مثاني
لانه ثني فيها الاقاصيص والامر والنهي والوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والناسخ و
والمنسوخ وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان السبع المثاني فاتحة الكتاب
وهكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما انزل الله تعالى في التورية
والانجيل والزبور مثل فاتحة الكتاب وانها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اعطيت وانما سميت هذه السورة مثاني لانها تثنى في كل صلوة وقيل لانها من جملة الآيات
التي تثنى بها على الله تعالى وانما خص السورة من جملة القرآن مع كونها من القرآن تعظيما
لها لان كمال الصلوة متعلق بها كما خص جبريل وميكائيل عليهما السلام من جملة الملائكة
تعظيما لهما فاما قوله تعالى والقرآن العظيم فمعناه وآتيناك القرآن العظيم ولو قرئ والقرآن
بالكسر على معنى ان المثاني والقرآن كلاهما عبارتان عن شيء واحد كما قال الله عز وجل
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني لجاز ذلك هذه القراءة الا انه لا نقرأها
الا ان تثبت رواية صحيحة لان القراءة سنة متبعة وقوله تعالى لا تمدن عينيك معناه لا
تنظرن بعين الرغبة الى ما اعطينا من الاموال رجالا من بني قريظة والنضير وغيرهم من
قريش فانما يعطيك الله من الثواب وما اكرمك به من النبوة والقرآن اعظم مما اعطيناهم
من الاموال ولا تحزن عليهم بما انعمنا عليهم مما لم ينعم به عليك ويقال لا تحزن على هلاكهم
ان لم يؤمنوا وهذا القول اقرب لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يحب ان يحسد احدا
لما اتى الله تعالى عليه من غير الدنيا وانما كان الحزن على اصرارهم على الكفر وعلى ما
يصلوك بنعيمهم الى الموافقة على الكفر والمظاهرة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى واخفض جناحك للمؤمنين معناه تواضع وارفق جانبك للمؤمنين لكي يتبعك الناس على
دينك ولا ينفروا من عندك وقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين اي قل لهم اني انا
المعلم بموضع المخافة المبين لكم بلغة تعرفونها وهذا كله تعليم للنبي
صلى الله عليه وسلم لئلا يكون له رغبة في شيء من احوال الدنيا ولا يعتد بنعيمها في مقابلة ما
خصه الله تعالى به من القرآن الجامع للتوحيد والاحكام ونعيم الآخرة والى هذا اشار
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي
الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين **قوله عز وجل** كما انزلنا على المقتسمين الذين
جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
اختلف اهل التفسير رحمهم الله في معنى هذه الآيات قال الحسن رضي الله عنه معناه
انذرتكم عذابا كما انزلنا الكتاب على المقتسمين وهم اليهود والنصارى سماهم مقتسمين لانهم
اقتسموا كتاب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها وهم الذين جعلوا القرآن عضين اي فرقوه
وآمنوا ببعضه وهو ما وافق دينهم وكفروا بالبعض وهو ما خالف دينهم ومعنى التعضية هو التفريق
يقال عضيت الجزور اذا جزأته وفرقته ويقال للفرقة منها عضة وعضون جمع عضة مثل عزة وعزون

وقال بعض اهل التفسير رحمهم الله معنى اقول هذه الايات انذركم بالعذاب
كالعذاب الذى انزل الله تعالى على المقتسمين قال وهم رهط من اهل مكة كانوا
يقتسمون عقاب مكة ايام الموسم ليصدوا الناس عن دين الله تعالى وكانوا يجعلون
القرآن متفرقا فى القول وكان يقول بعضهم هو سحر وبعضهم شعر وبعضهم هو كهانة
وبعضهم هو من اساطير الاولين فكان قصدهم من هذه الاقاويل صد الناس عن الايمان
بالنبى صلى الله عليه وسلم وهذا على قول من يقول ان المقتسمين هم المستهزءون وقد اهلكهم
الله عز وجل على ما سنذكره من بعد ويجوز ان يكون معنى المقتسمين المتحالفين كما فى قوله تعالى
قالوا تقاسموا بالله وقال معنى الاية مثل ما انزلنا القرآن على المقتسمين نحجه عليهم بسائلهم
فى الآخرة عما كانوا يعملون من تفريقهم القرآن وصدهم الناس عن دين محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله فاصدع بما تؤمر معناه اظهر امرك بمكة واتركهم حتى يجيء امر
الله تعالى بقتالهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بمكة قبل نزول هذه
الاية لا يظهر شيئا مما انزل الله عليه فلما انزلت هذه الاية وما بعدها من قوله تعالى انا كفيناك
المستهزءين اظهر صلى الله عليه وسلم امره واعلنه بمكة والمستهزءون بالنبى صلى الله عليه وسلم كانوا
خمسة نفر اهلكهم الله تعالى كلهم بعد نزول هذه الاية فى يوم واحد العاص بن وائل السهمى
نزل شعبا من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا فانتفخت
رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه ومنهم الحارث بن قيس السهمى اكل حوتا مالحا
فاصابه عطش شديد فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد فمات مكانه ومنهم الاسود بن المطلب
رماه جبريل عليه السلام فى ذلك اليوم بورق خضر فذهب بصره ثم انه خرج ليلقى ابنه
زمعة وكان غائبا عنه وقد كان واعده الرجوع فى ذلك اليوم فخرج لتلك المواعدة وقعد
الى اصل شجرة فتلقه جبريل عليه السلام فجعل يضرب راسه على الشجرة حتى مات وكان هو يستغيث
بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيئا غير نفسك ومنهم الاسود بن عبد يغوث خرج
من اهله فاصابته السموم فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه فاغلقوا دونه الباب حتى مات
ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومى مر يتبختر فى مشيته حتى وقف على رجل يصنع السهام فتعلق سهم
بثوبه فجعل يعطف رداءه على كتفه فاصاب السهم الاكحل فقطعه ثم لم ينقطع عنه الدم حتى
مات وهذه الاية من احدى دلائل النبى صلى الله عليه وسلم كان هؤلاء المستهزءون من اصحاب الكفر فهلكوا بعد نزول
هذه الاية بانواع من البلاء وكلهم كانوا يقولون قتلنى رب محمد صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى فسوف
يعلمون كلمة وعيد وتهديد لهم **قوله عز وجل** ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين معناه ولقد نعلم يا محمد
صلى الله عليه وسلم انك يضيق صدرك بما يقولون من التكذيب بانك شاعر ساحر وكاهن
فصل بحمد ربك والحمد بالثناء عليه وكن من الساجدين اى العابدين لله تعالى واستقم على عبادة ربك
وطاعته حتى ياتيك الموت وسماه يقينا لانه موقن به ويقال المراد باليقين ان يشاهد ما اعد الله له
من الثواب والغرض من الامر بالصلوة الاستعانة بها على الصبر فانه انما يستعان على الصبر بطاعة
الله تعالى كما روى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا هذه الاية فقال العزانى
ربى بالصلوة فلم يكن له همة الا الصلوة وعن ابى بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحجر اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
المهاجرين والانصار وبعدد المستهزءين برسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموفق

سورة النحل

سورة النحل مكيه

وهى مائة وثمانى وعشرون اية بلا خلاف قال عبد الله بن عباس رضى
الله عنهما انها مكية غير اربع ايات قوله تعالى وان عاقبتم وقوله تعالى واصبر فى اخر السورة
وقوله تعالى والذين هاجروا فى الله وقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا فهؤلاء الاربع مدنيات
وعن قتادة ان السورة كلها مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون قال عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما وذلك انه لما انزل الله قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وقوله اقتربت الساعة فمكثوا على ذلك
ما شاء الله تعالى ان يمكثوا ولم يتبين لهم شىء قالوا يا محمد متى ياتينا ما تعدنا من العذاب فانزل الله
تعالى اتى امر الله اى دنا عذاب الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فقام لا يشك ان العذاب قد
اتى فقال الله تعالى له فلا تستعجلوه يعنى العذاب فجلس النبى صلى الله عليه وسلم واما ذكر لفظ الاتيان
فى هذا الباب لان امر الله تعالى فى القرب بمنزلة ما قد اتى كما قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى اتى امر الله اى القرآن الذى هو كلام الله بما فيه من بيان
الاحكام والفرائض فلا تستعجلوه اذا بطا الا ان القول الاول اصح القولين لان القوم كانوا لا يستعجلون
الاحكام والفرائض ولكنهم كانوا يستعجلون القيمة على جهة التكذيب بها وكانوا يستعجلون العقاب
اذا اوعدوا به وخوفوا على جهة التكذيب به ويريدون بذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لو كان صادقا
لصار العذاب واقعا فقال تعالى اتى امر الله اى سياتى عن قريب فلا تستعجلوه فلن يفوتكم ان كنتم
مصرين على التكذيب وقوله تعالى سبحانه كلمة تنزيه لله تعالى عن ما لا يليق به وقوله تعالى وتعالى
اى وتعظم باعلى صفات المدح ولهذا ذكر بعده عما يشركون فانه اعلى من ان يليق به الشريك واعلى
من ان يوصف بانه لا يقدر على الاعادة للمجازاة **قوله عز وجل** ينزل الملئكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون معناه ينزل الملئكة
بالوحى على من يشاء من عباده ان اعلموا بالتخويف انه لا اله الا انا فاتقوا معاصى ويسمى الوحى
روحا لان الروح ما كانت فيه حيوة النفوس وفى القرآن حيوة النفوس والغرض من الاية
بيان ان الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب ولذلك ذكر دلائل التوحيد من بعد **فقال
عز وجل** خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون معناه خلقهما المستدل بهما
على الله تعالى وليعمل بالحق وقوله عز وجل تعالى اى تعظم من ان يكون له شريك ثم بين الدلالة
الاخرى **فقال عز وجل** خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين قال عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ابى بن خلف الجمحى فى قوله من يحيى العظام وهى رميم
ومعنى الاية ان الله تعالى خلق الانسان من النطفة المنتنة وانعم عليه حالا بعد حال الى ان بلغه الى
الحالة التى يخاصم عن نفسه ويبين مراده لغيره الى ان يخاصم فى خلقه فينكر اعادته بعد موته
قال الحسن رضى الله عنه هذا تقبيح لكفره ولمقابلته نعم الله تعالى بالكفران فان الله تعالى لما
بلغه الى هذه الحالة بما بينها من القدرة وكمال الالة وحصول العقل والمعرفة باللغة والمعانى
جعل يخاصم فى نفى قدرة الله عز وجل فى البعث بعد الموت ثم بين الله تعالى ما انعم به على هذا
الانسان الذى خلقه **فقال جل ذكره** والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم معناه وخلق لكم الانعام
والانعام هى ذوات الخفاف والاظلاف دون ذوات الحوافر سميت انعاما لنعومة مشيتها
ولين سيرها واكثر ما تستعمل الانعام فى الابل وقد تستعمل فى الابل والبقر والغنم وقوله تعالى لكم

فيها دفء اي ما يدفيكم من اصوافها واوبارها من الاكسية ونحوها وقوله ومنافع معناه ولكم فيها منافع اخر
من البانها وما تتخذون من اصوافها من الفرش والبيوت وقوله تعالى ومنها تاكلون اي ولكم
فيها منفعة الاكل ايضا وقوله تعالى ولكم فيها جمال اي منظر حسن يقال هذه مواشي فلان فيكون في ذلك
جمال وقوله تعالى حين تريحون اي ترجعونها الى المنزل بالرواح فتريحونها من التعب وحين تسرحون
اي تخلونها ترعى والسرح هو اخراج الماشية في وقت الغداة الى المرعى وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد
اراد به الابل تحمل امتعتكم وزادكم وما يثقل عليكم الى اي بلد قصدتموه لحج الى مكة او تجارة الى سائر البلدان
ولولا الابل لكان لا يمكنكم بلوغ ذلك البلد الا بجهد ومشقة ويجوز ان يكون الشق عبارة عن شطر الشي
وهو احد نصفيه وكانه اراد الا بان يذهب شق قوتكم وقوله تعالى ان ربكم لرؤوف رحيم اي مفضل
منعم عليكم **قوله عز وجل** والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون
معناه خلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها وقوله وزينة معناه وتتزينوا بها زينة فتحصل لكم منافعها
وحسن منظرها للناس كما قال جل ذكره المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
معناه ويخلق ما لا تعلمونه مفصلا وانما تعلمونه مجملا ويقال ويخلق اشيا لا تعلمونها ولا تعرفونها ولم
يسمها لكم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ارضا بيضا مثل الدنيا
ثلثين مرة محشوة خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون ان الله تعالى يعصى طرفة عين قالوا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم امن ولد ادم عليه السلام هم قال ما يعلمون ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام قالوا فابن
ابليس منهم قال ما يعلمون ان الله تعالى خلق ابليس ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخلق ما لا
تعلمون وهذه الاية انما يستدل بها على كراهة لحم الخيل على مذهب ابي حنيفة رحمه الله لان الله تعالى قال
في الانعام ومنها تاكلون ولم يذكر في ابن الخيل والبغال الا الركوب والزينة **قوله عز وجل**
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين معناه وعلى الله بيان الهدى والضلالة
ليتبع الهدى ويجتنب الضلالة كما قال الله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وكما قال
جل ذكره فالهمها فجورها وتقواها وقوله تعالى ومنها جائر اي ومن الطرق ما هو عادل الى الحق وقوله
تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين قيل معناه لو شاء لانزل عليكم اية تضطر الخلق الى الايمان بالله تعالى
الا انه لم يفعل لانه لو فعل لزال التكليف عنكم ويقال معناه لو شاء لهداكم اجمعين الى الجنة وثوابه
بان خلقكم في الجنة الا انه انما خلقكم لتستحقوا الجنة والثواب باعمالكم فيكون ذلك اطيب لكم
قوله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون معناه
انزل من السماء المطر لكم منه شراب تشربونه وهو ما يستقر في الارض مثل الركايا والغدران ولكم منه
شجر فيه ترعون انعامكم وهو ما ينبت في الارض بالمطر فينتفع بنباته رعاة الابل **قوله عز وجل**
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم
يتفكرون معناه ينبت بالمطر هذه الاشيا ان في ذلك لدلالة لقوم يتفكرون في خلق الله تعالى
قوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون معناه وذلل لكم الليل والنهار وتسخير الليل والنهار هو ان كل
واحد منهما عقيب الاخر بتقدير الله عز وجل ليتصرف الناس في معايشهم بالنهار ويسكنوا بالليل
وتسخير الشمس والقمر والنجوم هو مجيئه بها في اوقات معلومة وانما قال بامره لان فعله تعالى
اذا اضيف اليه بلفظ الامر كان ذلك ابلغ في الاقتدار من ان يقال فعل فكان وقد تقدم ان ذكر
التسخير في هذا في مجاز الكلام لان النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس
والليل حركات الشمس تحت الارض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر واما قوله تعالى وما ذرا لكم

معناه

معناه فجعل ما خلق لكم في الارض من مختلف الالوان والصور ان في ذلك لدلالة لقوم يتذكرون دلايل
الله تعالى وحججه **قوله عز وجل** وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون معناه وهو
الذي جعل لكم البحر مهيئا لاصطياد السمك والغوص فيه لاستخراج اللالي منه لتجعلوها حليا يلبسها نساؤكم
وترى السفن في البحر مقبلة ومدبرة تشق الما يمينا وشمالا يقال مخرت السفينة البحر اذا جرت حربا شقت الما
شقا والمخر صوت هبوب الرياح والسفينة تجري بالريح فسميت السفن مواخر والواحدة ماخرة وقوله تعالى
ولتبتغوا من فضله معناه ولتطلبوا من فضل الله تعالى من ارباح التجارة ولكي تشكروا الله تعالى على نعمه
وقوله تعالى والقى معناه وجعل فيها جبالا عالية ثابتة لئلا تتحرك ولا تميل بكم الارض واجرى فيها انهارا
وجعل فيها طرقا لمنافعكم لكي تهتدوا الى المواضع التي تقصدونها وقوله تعالى وعلامات معناه وجعل في الارض
اعلاما للمسافرين من الجبال وغير ذلك وقوله وبالنجم هم يهتدون معناه ان من يسير بالليل فانما يهتدي الى
الطرق في البر والبحر بالنجوم وعن امير المومنين علي كرم الله وجهه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم
وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من الانساب ما تصلون به ارحامكم ثم كفوا **قوله عز وجل** افمن يخلق
كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم معناه افمن
يخلق هذه الاشيا وهو الله عز وجل كمن لا يقدر ان يخلق شيا وهو الاصنام افلا تذكرون انهما لا يستويان
في استحقاق العبادة وان التسوية في هذا انما يرده العقول وقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
معناه وان اردتم ان تعرفوا تفاصيل نعم الله عليكم في الخلق والرزق والتمكين من الامور في الحيوة الدنيا
والتعريض للمنزلة الرفيعة في الاخرة لم تقدروا على احصا هذه النعم المفصلة وانما يمكنكم ان تعرفوها
جملة ان الله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم بالامهال الى وقت التوبة **قوله عز وجل**
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيا وهم يخلقون اموات
غير احيا وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين معناه والله
يعلم اسراركم وعلانيتكم فيما انتم عليه من مكايد الرسول صلى الله عليه وسلم فيجازيكم على الجميع ويجوز ان
يكون المعنى ليس علم الله تعالى كعلم سائر العالمين الذين يعلمون العلانية دون السر وقوله تعالى
والذين يدعون من دون الله معناه والذين يعبدون من دون الله مثل الاصنام لا يمكنها خلق شي والله تعالى
مع ذلك هو الخالق لها ثم اكد كونها غير خالقة بقوله تعالى اموات غير احيا فكيف تخلق شيا وهي اموات
لا روح فيها وانما قال اموات ولم يقل موات وان كان الميت هو الذي كان فيه حيوة فزال لانهم صوروا
تلك الاصنام على صور الحيوانات وهي اموات ومع ذلك جرى عليها لفظ ما كان فيه الحيوة وانما جمع بين قوله اموات
وقوله غير احيا لانه يقال فلان ميت وان كان حيا اذا كان لا ينتفع به وكان الله تعالى يقول انه ليس
الاصنام امواتا من حيث لا ينتفع بها ولكن لانه لا حيوة فيها فكيف تعبدون ما لا يخلق ولا يرزق
ولا ينفعكم وهو مع ذلك من الموات وما ليس بحي لا يجوز ان يعلم اصلا فضلا من ان يعلم ما يسره المرء
وما يعلنه ويجعلون شريكا لله في عبادة من يخلق وينعم ويعلم السر والخفي فيجازي كلا على قدر عمله
وقوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون معناه وما يشعر الاصنام ان الناس متى يبعثون من القبور
فكيف يرجوا الكفار الجزاء من قبل الاصنام وايان كلمة اختصار اصلها اي اوان وقوله
تعالى الهكم اله واحد معناه لا اله الا الله تعالى والذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة للحق
وهم متعظمون عن قبول الحق انفة من اتباعه وانما ذكر لا جرم ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم انه لا

بحب المتعظمين عن الحق والرافعين انفسهم فوق مقدارها **قوله عز وجل** وإذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون معناه واذا قيل لهولا الكفار ما الذي يدعي
محمد صلى الله عليه وسلم انه منزل عليه من الله تعالى قالوا هو مما يقرؤه من كتب الاولين وقوله
ليحملوا اوزارهم اى ليحملوا اثامهم وافره يوم القيمه لا يكون لهم شي يكفر ذنوبهم بخلاف ذنوب
المومنين تكفرها العبادات والشدايد وقوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم معناه
ليحملوا من اثام الذين يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقران بلا علم ولا حجة وليس معنى هذا ان
حملوا ذنوب غيرهم لان الله قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وانما معنى هذه الايات يكون عليهم اثم
اضلالهم غيرهم وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما داع دعى الى الهدى
فاتبع عليه فله اجره واجر من عمل به الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شي وايما داع دعى
الى الضلالة فاتبع عليها فعليه وزره ووزر من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من اوزارهم
شي ففي هذا الخبر اشارة الى انه انما جعل الوزر على الداعي الى الضلالة لاضلاله من اتبعه الا ان
فعل الداعي اذا اتصل بغيره بان اتبعه المدعو اليه كان اعظم في الاثم والوزر في اللغة هو
الثقل ومن ذلك سمي الوزير وزيرا لانه يحمل ثقل الامير عنه وقوله تعالى الا ساء ما يزرون
ظاهر المراد **قوله عز وجل** قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة
يخزيهم ويقول اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي
اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما
كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين معناه قد مكر الذين من قبل هولا بانبيائهم صلوات الله عليهم
كما مكر هولا المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة ليصدوا الناس عن دين الله فاتى الله بنيانا ولكن
المعد مبني من القواعد بالعذاب فوقع عليهم السقف من فوقهم واتاهم الهدم والاستيصال
من موضع كانوا لا يشعرون باتيان العذاب منه **وقد** اختلفوا في هولاء الذين خر عليهم السقف
من فوقهم قال بعضهم هو نمرود بن كنعان الذي بنى صرحا في طول خمسة الاف وخمسين ذراعا
وعرضه ثلاثة الاف وخمسون ذراعا ليصعد الى السما فوقع الصرح على الذين كانوا فيه واهلك الله تعالى
نمرود بالبعوض وقال بعضهم هذا على شبه المثل كانه جعل اعمالهم التي عملوها بمنزلة الباني بنا
اسقط عليه فمضرة عملهم عليهم كمضرة بنا الباني اذا اسقط عليه يقال في المثل ان فلان بنا فلان
فافسده كله يراد بذلك افساد عمله الذي عمله **وقوله** عز وجل ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول
اين شركاي الذين كنتم تشركونهم معي في العباده وكنتم تخالفون انبيائي صلوات الله عليهم
بعبادتهم وقوله تعالى قال الذين اوتوا العلم معناه قال المومنون ان الذل اليوم والعذاب
على الكافرين الذين تقبض الملئكة ارواحهم في حال ظلمهم لانفسهم بالكفر واستسلموا وانقادوا
للمذلة والهوان يقولون ما كنا نعمل من معصية في الدنيا **وقد** اختلفوا في قولهم
قال بعضهم ما كنا نعمل من سو عند انفسنا وانما حملوه على هذا لئلا يكون في تاويل الاية اضافة
الكذب الى اهل القيمة **وقال** بعضهم معناه انهم كانوا يقولون ما كنا نعمل من سوء في الدنيا
وهذا قول من جوز الكذب على اهل القيمة ويقول في القيمة مواقف فيكذبون في بعضها ويصدقون
في البعض وقوله تعالى بلى ان الله معناه يقول لهم المومنون بلى قد تعلمون ذلك فان الله عليم بما

كنتم

كنتم تعملون وتقول لهم خزنة جهنم فادخلوا ابواب جهنم دايمين فيها فلبيس جهنم موضعا
للمتكبرين وسماه بيس لشدته لا لقبحه فان عقاب الله تعالى للكفار حكمة وصواب **قوله
عز وجل** وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها
الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملئكة طيبين
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال ابن عباس وذلك ان اهل مكة
لما بعثوا الى عقاب مكة رجالا ليصدوا الناس عن سبيل الله بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجالا من اصحابه
عبد الله بن مسعود وغيره رضي الله عنهم وكان وافد الناس اذا قدم فرده الكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن الايمان به سال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى حقا وصوابا وعلى
هذا انتصب قوله تعالى خيرا وانما ارتفع قوله في جواب المقتسمين في كفار مكة اساطير الاولين لانهم كانوا
لا يقرون بانزاله بل كانوا يقولون على جهة تكذيبا لانزال هو اساطير الاولين وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنه اراد بالحسنة الثنا والمدح على لسان المومنين ويقال اراد بها النصر والظفر على الكافرين وقوله تعالى
ولدار الاخرة خير معناه وما يصل اليهم في الاخرة من الثواب خير مما يصل اليهم في الدنيا والاخرة نعم دار
المتقين ثم نعت دار المتقين فقال عز من قايل جنات عدن اى بساتين اقامة يدخلونها يوم القيمة
تجري من تحت اشجارها الانهار لهم فيها ما يشتهون وقوله تعالى كذلك يجزي الله المتقين كذلك تكون
مجازاة الله تعالى للمتقين من الشرك والمعاصي وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملئكة طيبين عند
قبض الارواح متمسكين بما امروا به محترسين عما نهوا عنه اخذين باداب الله تعالى طيبة ارواحهم
بما يبشرون به من الجنة تقول لهم الملئكة سلام عليكم من الله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في
الدنيا **قوله عز وجل** هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتي امر ربك كذلك
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات
ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون معناه ما ينتظر اهل مكة في تكذيبهم للرسل
واستبطائهم العذاب الا ان تاتيهم الملئكة لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك بعذاب الاستيصال ويقال
بعذاب الاخرة وقوله تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم معناه كذلك فعل الذين من قبل هولا الكفار من تكذيب
الانبيا صلوات الله عليهم واستبطا العذاب مثل ما فعل هولا فعذبهم الله تعالى وما ظلمهم بذلك ولكن
ظلموا انفسهم حين فعلوا ما استوجبوا به العذاب فاصابهم عقاب سيات ما عملوا ويقال اراد بالسيات
العقاب كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى وحاق بهم معناه وحل بهم ما كانوا يستهزءون
من العذاب **قوله عز وجل** وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي
نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شي كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل
الا البلاغ المبين هذه الاية نظير الاية التي في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا اباؤنا وقد تقدم ان في هذا قولين قال بعضهم معناه لو نهانا الله تعالى عن عبادة غير
الله تعالى ومنعنا وحال بيننا وبين ذلك لما فعلنا ذلك وهذا بمنزلة قول القايل لو شا فلان لم افعل هذا
الفعل اى لو منعني عنه لم افعله فرد الله تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم اى فعلوا من
تكذيب الانبيا صلوات الله عليهم مثل ما فعل هولا فلم يكن ذلك حجة لهم وهل على الرسل الا البلاغ المبين عن الله
بلغة يعرفونها وقال بعضهم انما قالوا هذا القول استهزاء وسخرية كما قال قوم شعيب عليه السلام انهانا ان نعبد
ما يعبد اباؤنا قالوه مستهزئين ولو اعتقدوه لكانوا مومنين **قوله عز وجل** ولقد بعثنا في كل
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه

الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي
من يضل وما لهم من ناصرين معناه ولقد بعثنا في كل أمة رسولا كما بعثناك رسولا في هؤلاء أن اعبدوا الله
أي أطيعوه واجتنبوا عبادة كل من يعبد من دون الله فمنهم من هداه الله تعالى للإكرام بالثواب ومنهم
من حق عليه عقاب الضلالة كما قال تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ويقال أراد بالضلالة العذاب
لأنه وصف الضلالة بأنها حقت عليهم ولا يحق الشيء على الإنسان إلا ويكون حقا في نفسه والضلالة لا تكون حقا
قال الحسن معناه ومنهم من حق عليه الكفر بفعلهم لا أن أجبرهم الله تعالى على ذلك فلا يؤمنون قط
وقوله تعالى فسيروا في الأرض أي في أرض الذين عاقبهم الله تعالى فانظروا كيف صار عاقبة أمرهم وقوله
تعالى إن تحرص على هداهم معناه إن تحرص أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم على هدايتهم فإن الله لا يهدي
من يضله أي لا يهدي إلى ثوابه وجنته من يحكم عليه بضلاله ويقال معناه من يضله الله تعالى فلا
يهدى أي فلا يهتدي ويقرأ من يضل بنصب الياء وكسر الضاد ووجهه ظاهر ويقرأ لا يهدى بضم
الياء ونصب الدال ومن يضل بضم الياء ومعناه من يضلله الله تعالى فلا هادي له وقوله تعالى وما لهم
من ناصرين أي ليس لهم من يدفع العذاب عنهم **قوله عز وجل** وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا
أردناه أن نقول له كن فيكون معناه وحلف الكفار بالله مجتهدين في أيمانهم بالغين في أقسامهم
كل مبلغ أنه لا يبعث الله تعالى من يموت ويقال قوله تعالى جهد أيمانهم تفسير الحلف بالله تعالى لأن
القوم كانوا يحلفون بالأصنام وبآبائهم ويسمون اليمين بالله تعالى جهد اليمين وقوله تعالى بلى وعدا
عليه حقا معناه قل بلى إلا أنه حذف منه قل لأن في قوله تعالى بلى دليلا عليه وقيل إن الله تعالى تولى الجواب
بنفسه كأنه قال ليبعثهم بعد الموت وعدا عليه حقا وانتصب قوله تعالى وعدا على المصدر أي وعد وعدا
حقا كائنا واجبا على نفسه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن هذا حق وقوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون
فيه معناه يبعثهم لكي يبين لهم ما يختلفون فيه من الدين ولكي يعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين
في الدنيا بأن لا جنة ولا نار وقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه معناه إنما أمرنا في البعث وغيره إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون وقد تقدم أن في هذا قولين منهم من قال إن الله تعالى إذا أراد كون شيء قال
له كن وفائدة هذا القول أن تعلم الملائكة حدوث أمر عند هذا القول وقال بعضهم هذا اللفظ
كناية عن سرعة الأحداث كما قال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني
والحوض لم يقل ولكن امتلاؤه بمنزلة القول منه كذلك إرادة الأحداث من الله عز وجل وفي قوله تعالى
فيكون قراءتان من قرأ فيكون بالرفع فعلى معنى فهو يكون ومن قرأ بالنصب فيجوز أن يكون نصبا
على جواب كن ويجوز أن يكون عطفا على أن يقول **قوله عز وجل** والذين هاجروا في الله
من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هذه الآية نزلت في عمار
ابن ياسر وصهيب وبلال وأصحابهم الذين هاجروا إلى المدينة من بعد ما عذبهم أهل مكة ومعنى الآية والذين
هجروا أوطانهم في طاعة الله تعالى وساروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما ظلمهم الكفار لنبوئنهم في الدنيا
أرضا كريمة وهي المدينة بدل أوطانهم ولأجر الآخرة أكبر لهم مما أعطيناهم في الدنيا لو كان يعلم الكفار ثم
نعتهم فقال جل ذكره الذين صبروا وفيه بيان أن الهجرة وحدها لا تنفع حتى ينضاف إليها الصبر على
الشدائد والعبادات والصبر عن المحرمات والتوكل على الله تعالى في طلب الدين والدنيا **قوله عز
وجل** وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

بالبينات

بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون
نزلت الآية جوابا لأهل مكة حين قالوا لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولا لبعث إلينا رسولا من الملائكة
لا رجلا منا ومعنى الآية وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضين إلا رجالا أوحينا إليهم كما أوحينا
إليك فاسألوا يا أهل مكة كل من يذكر بعلم إن كنتم لا تعلمون أن الرسل كانت من البشر فإن قيل كيف
أمرهم بالسؤال عن أهل الكتاب وهم كانوا ينكرون التوراة والإنجيل قيل كانوا يسكنون إليهم لاجتماعهم
على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك أمرهم بالسؤال عنهم وقيل في هذا إضمار كأنه قال وأرسلناهم
بالبينات والزبر والبينات هي الدلالات الواضحات والزبر جمع الزبور وهو الكتاب وقوله تعالى وأنزلنا
إليك الذكر أي القرآن لتبين للناس الحلال والحرام والحق والباطل ولكي يتفكروا فيه فيؤمنوا **قوله
عز وجل** أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف
فإن ربكم لرؤوف رحيم معناه أفأمن الذين مكروا في تكذيب الرسل وأذى المسلمين أن يفعل
بهم ما فعل بالمكذبين قبلهم من خسف أو أن يأتيهم العذاب من موضع لا يعلمون أو أن يأخذهم
الله تعالى في تصرفهم فما هم بمعجزين الله تعالى عن ما يريد إحلاله بهم وقوله تعالى أو يأخذهم
على تخوف معناه على تنقص في الأموال والأنفس بالبلايا والشدائد حتى يهلكوا عن آخرهم روي عن
عمر رضي الله عنه أنه قال ما كنت أدري ما معنى أو يأخذهم على تخوف حتى سمعت قول الراجز
تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن وقال الحسن
رضي الله عنه معناه أن يخوفهم بأن يهلك قرية لتنزجر قرية أخرى وقوله تعالى فإن ربكم لرؤوف رحيم
معناه فإن الله تعالى شديد الرحمة بتأخير العذاب عن الكفار وشديد الرحمة على من تاب منهم
قوله عز وجل أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل
سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا
يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون معناه أولم يروا إلى ما
خلق الله من شيء من شخص قائم من شجر أو إنسان يتحول ظلاله عن اليمين والشمائل إذا طلعت
الشمس وإذا غربت وقد كان الشمس تكون على اليمين دفعة وابتداء النهار ثم تصير على الشمال آخر
فيكون الظل في ابتداء النهار مائلا عن اليمين وفي آخر النهار مائلا عن الشمال وقوله تعالى سجدا لله معناه
إن فيه دليلا بتوحيد الله تعالى كما حكي عن الحسن رضي الله عنه أنه كان يقول ومواعظه أما ظلك
فيسجد له وأما أنت فلا تسجد له بئس والله ما تصنع وقوله تعالى وهم داخرون أي صاغرون ذليلون
وأما قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض معناه ولله ما في السموات وما في الأرض ما عليها
من آثار الصنعة التي لا يمكنها الانفصال عنها وقوله تعالى والملائكة معناه وتخضع له الملائكة وهم
لا يتعظمون عن الخضوع له يخافون ربهم من فوقهم معناه يخافون خوف المقهور من القاهر
وذكر لفظ فوق على هذا المعنى لأن القاهر ما يكون فوق المقهور أبدا ويجوز أن يكون المعنى
يخافون عقاب ربهم من فوقهم وقوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون معناه أنهم لا يجاوزون ما أمروا به
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجودا منذ
خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى وتجري دموعهم وتقطر
من أعينهم لا تقطر من دموعهم قطرة إلا صار ملكا قائما فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم
وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في
هذه الآية من يسجد لله هذه السجدة إيمانا وتصديقا أعطاه الله تعالى بعدد الملائكة والشمس والقمر

سجده

والنجوم وقطر المطر ونبات الارض وترابها ورملها ومدرها وعدد ما دب على وجه الارض حسنة
قوله عز وجل وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وذلك انه جل ذكره لما دل على
التوحيد واخبر بسجود اهل السموات واهل الارض له بين ان الذي هذه صفته لا يجوز اتخاذ اله دونه
فذلك قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين يجوز ان يكون قوله اثنين تاكيدا لما سبق ويجوز ان
يكون المعنى لا تتخذوا اثنين الهين ما الله الا اله واحد فاياي فاخشون ولا تخشوا غيري وقوله تعالى
وله ما في السموات والارض معناه ان ملك السموات والارض وما فيهما لله تعالى وله الدين واصبا اي دايما
وان كان فيه الوصب والوصب شدة التعب فان الله تعالى هو المستحق لان يعبد في جميع الاوقات والصنم
اذا عبد مرة رغب به ثم نحت الاخر ويعبد ذلك الاخر وقوله تعالى افغير الله تتقون استفهام بمعنى
الانكار كانه قال افغير الله تخشون **قوله عز وجل** وما بكم من نعمة فمن الله ثم
اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون معناه ان جميع ما بكم من النعم فهو من
قبل الله تعالى ثم اذا مسكم الضر فالى الله تتضرعون في كشفه والجوار في اللغة رفع الصوت ثم اذا كشف الضر
عنكم اي اذا رفع ما حل بكم من الضر عاد فريق منكم الى الشرك وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم معناه انه
ليس لهم غرض في الكفر الا الجحود بما اتيناهم ويتمتعوا في الدنيا فسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب
قوله عز وجل ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم
تفترون معناه ويجعلون للاصنام التي لا تعلم نصيبا مما رزقناهم وهو ما كانوا يجعلون لها من السايبة
والبحيرة والحام وبعض الحرث ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يعلمون راجعا الى الكفار على معنى انهم لا يعلمون
انها لا تنفعهم ولا تضرهم وقوله تعالى تالله قسم بان الله تعالى يسالهم في الاخرة عما كانوا يكذبون به
فيما جعلوه للاصنام بقولهم امرنا الله بذلك **قوله عز وجل** ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من
القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم معناه انهم يقولون ان
الملائكة بنات الله وقوله سبحانه تنزيه لله تعالى عن ما لا يليق به وقوله تعالى ولهم ما يشتهون اي ما يختارون
لانفسهم من البنين دون البنات واذا بشر احدهم بالجارية ظهر اثر الكراهة والحزن على وجهه من ذلك يقال لكل
من لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا وخجلا ومن ذلك قولك قد سودت وجه فلان والكظيم الممتلي
غيظا وغما يتردد حزنه في جوفه والكظام الحبل الذي يشد به راس القربة عند الامتلا وقوله تعالى
يتوارى من القوم اي يختفي من المبشرين له بذلك ومن جلسائه من كراهة ما بشر به من الانثى ايحفظه
على هون ومشقة ام يدفنه حيا في التراب كما كان في عادة العرب كان اذا ولد لاحدهم مولود انثى حفر
لها حفيرة القاها فيها وجعل عليها التراب حتى تموت كما قال الله تعالى واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت
واما لفظ التذكير في قوله تعالى يمسكه على هون فلانه راجع الى المبشر به كما قال الشاعر
قامت تبكيه على قبره ۝ من لي من بعدك يا عامر ۝ تركتني في الدار ذا غربة ۝ قد ذل من ليس له ناصر
ولم تقل ذات غربة لانه ذهب الى المعنى او الى الشخص وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون معناه الا
ساء ما يقضون من اختيار البنين لانفسهم واضافة البنات الى الله تعالى وقتل الموءودة واما
قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء اي لهم صفة السوء ولله المثل الصفة العليا الالوهية
والربوبية لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وهو العزيز الذي لا يقدر احد على ان يغلبه الحكيم

في

في امره وتدبيره **قوله عز وجل** ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون معناه ولو يؤاخذ الله
الناس بعقاب المعاصي عاجلا ما ترك على الارض من دابة وقوله تعالى من دابة دليل ان المراد بقوله تعالى
عليها على الارض لان الدواب انما تكون على الارض وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى معناه ولكن يمهلهم
الى وقت مضروب لامهالهم فاذا جاء ذلك الوقت لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون فان قيل كيف قال ما ترك
عليها من دابة مع علمنا ان في الناس من هو ظالم ومنهم من ليس بظالم قيل في هذا اقوال احدها ان معناه
ما ترك عليها من دابة ظالمة والثاني انه لو يؤاخذ الناس بظلمهم عاجلا لانقطع النسل لانه لا احد الا وقد كان في
ابائه واجداده من هو ظالم فلو اخذهم بالظلم عاجلا لانقطع النسل والثالث انه لو اخذهم بظلمهم عاجلا
لعمهم بالعذاب الا ان العذاب يكون عقوبة للظالم منهم ومحنة للبري منهم كما ان امراض الصالحين تكون محنة
لهم وهذا كما قلنا في قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فان قيل في الاية تعميم الناس
والدواب في الهلاك فاي شيء كان يوجب هلاك الدواب انما خلقها الله تعالى لمنافع الناس فاذا اهلك الناس بمنع
المطر عنهم لم يبق في الارض دابة الا اهلكت واذا اهلك الناس بوجه من الوجوه لم يكن هناك وجه يقتضي
ابقا الدواب ابدا بل كانت الحكمة تقتضي اهلاكها **قوله عز وجل** ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون في الاية اعادة
ذكر جهل الكفار انهم يجعلون لله ما يكرهون لانفسهم وهو البنات وتصف السنتهم مع ذلك الكذب
ان لهم الجنة في الاخرة ان كانت لا جرم اي حقا ويقال لابد ولا محالة ويقال لا رد لكلامهم وجرم
اي كسب فعلهم هذا لهم النار وقوله تعالى وانهم مفرطون معناه انهم مقدمون الى النار
والفارط في اللغة هو القادم الى الما ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي سابقكم اليه
ومن قرا مفرطون بكسر الرا فهم الذين فرطوا في الذنوب والمعاصي ومن قرا مفرطون بالتشديد فهو
من التفريط وهو التقصير **قوله عز وجل** تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين
لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم والاية تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم ومعناها كما ارسلناك الى هولا ارسلنا رسلا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
الكفر والتكذيب فهو وليهم في الدنيا يتبعون اغواه ويقال معناه هو وليهم يوم القيمة اي يقال
لهم يومئذ هذا وليكم فيكم الله تعالى يومئذ لا يملك دفع العذاب عن نفسه فكيف ينصرهم
ويدفع العذاب عنهم وقوله تعالى ولهم عذاب اليم اي وجيع تفسيره **قوله عز وجل** وما
انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معناه
وما انزلنا عليك القران الا لتبين لهم الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه من الدين وقوله تعالى وهدى اي
وانزلناه دلالة ورحمة للمؤمنين وتخصيص المؤمنين لانهم هم الذين ينتفعون به **قوله عز وجل**
والله انزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون معناه
والله انزل المطر من السما الى الغيم ومن الغيم الى الارض فاحيى به الارض بعد يبسها وجفافها وسمى
جفاف الارض موتا لانه لا ينتفع بها حينئذ كما لا ينتفع بالميت وسمى انباتها احيا الارض لانه
ينتفع بالارض في هذه الحال كما ينتفع بالحي وقوله تعالى ان في ذلك لاية ابتدا فيما ذكرت لك لدلالة
على الله تعالى لقوم يسمعون ادلة الله تعالى ويتفكرون فيها **قوله عز وجل** وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين
معناه وان لكم في الابل والبقر والغنم لعبرة نسقيكم مما في بطونها لبنا خالصا يخرج من بين الفرث والدم
من دون ان يظهر فيه لون الدم ولا رائحة الفرث سائغا اي متيسر الجري في الحلق لا يغص به شاربه

وانما لم يقل مما في بطونها لان الانعام والبقر بمعنى واحد وكانه رد الكناية الى النعم ويجوز ان يكون المعنى
من ما في بطون ما ذكرنا او مما في بطون احدها وفي قوله نسقيكم قراتان بفتح النون وضمها يقال سقى
واسقى بمعنى واحد وقيل نسقيكم بنصب النون تقتضي سقي مرة واحدة ونسقيكم بضم النون يقتضي ان نجعلها
سقيا لهم فيشربون من البانها دايما وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا اكلت الدابة
العلف واستقر في كرشها صار اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على هذه الاصناف الثلث
فيقسم الدم فيجريه في العروق ويجري اللبن في الضروع ويبقى الفرث كما هو في الكرش صار اعلاه كله دما
بحرارة الكبد ثم يتفرق الدم في العروق فبقدار ما ينتهي الى الضرع يصير لبنا ببرودة الضرع ولهذا اذا كان في
الضرع افة تخرج منه الدم مكان اللبن وفي الاية دلالة ان اللبن لا ينجس بنجاسة موضع الخلقة فلا يكون
لبن الميتة الا طاهرا لان نجاسة موضع خلقة اللبن لا توجب نجاسة اللبن بحكم هذه الاية **قوله عز
وجل** ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
معناه ونطعمكم من ثمرات النخيل والاعناب وقوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا روى عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالسكر المسكر قال وهو من العنب الخمر ومن النخل نقيع التمر اذا
غلا واشتد قال ونزلت هذه الاية وهما لهم حلال يوميذ وروى عنه في رواية اخرى وهو قول سعيد بن جبير
ومجاهد والحسن وحماد رضي الله عنهم ان السكر ما يتخذ منهما من الشراب الحلال واما الرزق الحسن وحماد
فهو ما ينتفع به من الزبيب والتمر والعصير وقوله تعالى ان في ذلك لاية معناه ان في ذلك لعلامة لقوم يعقلون
دلايل الله تعالى وحججه **قوله عز وجل** واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون معناه والهم ربك
النحل وعرفها ووفر عليها دواعيها الى ما هو المذكور في الاية ويسمى الالهام وحيا لان الوحي هو ظهور المعنى
للنفس على وجه خفي وقد الهم الله تعالى كل دابة التماس منافعها واجتناب مضارها الا ان امر النحل اعجب لان
بها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه اعظم معتبر فان الله تعالى الهمها اتخاذ المنازل والمساكن وان
تاكل من كل الثمرات لمنافع بني ادم وان لا تقذف ما اكلته بالحد ما استحال عسلا الا على حجر صاف او مكان
نظيف لا تخالطه طين ولا تراب قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يات النحل رسول ولكن الله تعالى القى في
نفسها ففهمته وانما قوله تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا فلفظه وان كان لفظ الامر لكن المراد
الالهام وانما اجرى عليه لفظ الامر على جهة المجاز لان النحل لا تكون مامورة لانها لا تعقل الامر ولا
تفهم وهي اكثر حالا من كثير من الصبيان والمجانين وقوله تعالى ومما يعرشون معناه ومما يبنون من
سقوف البيوت ويعملون لمساكنهم وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات اي من الوان الثمر كله فاسلكي
سبل ربك ذللا اي السبل الموطاه المسخرة التي سخر الله تعالى عليك سلوكها ولم يجعلها بحيث
يتعذر الدخول فيها وقوله تعالى ذللا جمع ذلول يقال دابة ذلول اي لينة سهلة مطيعة
وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب اراد به العسل يلقيه النحل مثل اللعاب ابيض واصفر
واحمر يقال انه يخرج من افواه شبابها الابيض ومن كهولها الاصفر ومن شيوخها الاحمر
وقوله تعالى فيه شفا للناس معناه في ذلك الشراب شفا للناس فان العسل والشمع يدخلان
في ادوية كثيرة وليس اذا كان في الناس من يضره العسل لمعنى في نفسه ما يوجب ان يخرج العسل من
كونه شفا للناس فان الله تعالى جعل الماء حيوة لكل شي وربما يكون الماء سببا للهلاك لكن الاعتبار
بالاعم وقوله تعالى ان في ذلك لاية معناه ان في الهام النحل اوكارها وبيوتها لمنافع الناس لدلالة
لقوم يتفكرون في دلايل الله تعالى وفي الاية دليل ان موت ما لا دم له في الشي لا يوجب تنجيسه لان العسل

للعلو

لا يخلو من النحل الميت ومن فراخه فيه وقد جعله الله تعالى شفا للناس **قوله عز وجل** والله خلقكم
ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيا ان الله عليم قدير وفي الاية تذكير
للعباد بانهم مدبرون بالاحيا والاماتة وانهم خلقوا الا لهذه الدنيا وانهم لا يستطيعون تخلصا عما يراد بهم فذلك
قوله تعالى والله خلقكم اي في بطون امهاتكم طورا بعد طور حتى اخرجكم وباكم الى ان يقبض ارواحكم عند
اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر حتى يعود في كبره وهرمه في نقصان قوته ونقصان عقله ونسيان
ما كان حفظ في ايام الشباب الى مثل حال الطفولة بل يصير حاله اردى من حالة الطفولة لانه لا يرجو له حال
يمو فيها بل يكون في كل يوم الى نقصان فيتعهد تعهد الصبي الصغير ان الله عليم بكل شي قادر على تحويل
الاحوال لا يمتنع شي مما يريد **قوله عز وجل** والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما
الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا افبنعمة الله يجحدون
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في وفد نجران حين قالوا المسيح ابن الله وفي هذا مثل كل اله باطل
من الاصنام وغيرها ومعنى الاية والله فضل بعضكم على بعض في المال والنعم والخدم وجعل بعضكم
سادة مالكين وبعضكم عبيدا مملوكين وقوله تعالى فما الذين فضلوا معناه فما ارباب الاخدام الذين
فضلوا برادي رزقهم على المماليك فيسوونهم مع انفسهم في الملك فاذا لم ترضوا في الحكمة ان يشارككم
مملوككم في الملك لئلا يبطلوا فضيلتكم عليهم مع جواز ان يكون المفضل مفضولا والمفضول مفضلا ح شركا
فكيف يرضى الله تعالى من خلقه ان يجعلوا له شريكا في الملك من خلقه وقوله تعالى افبنعمة الله
يجحدون افتضيفون نعمة الله تعالى الى غيره وتنكرونه عليها فتجحدون نعمة الله تعالى فان من
اضاف النعمة الى غير المنعم فقد جحد النعمه **قوله عز وجل** والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يومنون
وبنعمة الله هم يكفرون معناه والله جعل لكم من جنسكم نسا كما قال عز وجل فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم اي على من هو من جنسكم ويقال جعل من انفسكم بنات جعلهن ازواجا لامثالكم وقوله تعالى
وجعل لكم من ازواجكم بنين اي من نسايكم بنين وقوله تعالى وحفدة قيل انهم الاختان وقيل ولد الولد
وقيل انهم الخدم وحقيقة الحفدة من يعاون على الحاجة مسرعة من الحفد وهو الاسراع كما قال الشاعر
حفد الولايد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال معناه اسرعن في الخدمة ومنه قوله
في دعا الوتر واليك نسعى ونحفد اي نسرع وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات معناه ورزقكم من الملاذ
والحلال وقوله تعالى افبالباطل يومنون معناه افبالاصنام يومنون فان اتخاذ الاصنام الهة باطل وقوله
تعالى وبنعمة الله هم يكفرون اي يجحدون نعمه باضافتها الى غير المنعم **قوله عز وجل** ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون معناه ويعبدون الاصنام التي لا تملك لهم رزقا من السموات بالمطر
ولا من الارض بالنبات شيا قليلا ولا كثيرا ولا يستطيعون اي لا يملكون ولا يستطيعون ان
الاحيا من لا يملك شيا ولا يستطيع ان يخلقه وقوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا لله
الاشباه ان الله يعلم ولا يحتاج الى معين ولا الى مشير وانتم لا تعلمون فتحتاجون الى المعين والمشير
قوله عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون معناه ضرب الله المثل
بعبد مملوك لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا وهو حر فهو ينفق منه خفية وعلانية هل
يستويان وانما الحر الذي يملك وينفق سرا وعلانية والذي لا يملك شيا فينفقه لا يستويان
فكذلك لا يستوي المنعم الذي جاء من قبله النعمة والاصنام الموات التي لا تقدر على النعمه ويقال نزلت

[illegible]

هذه الاية في عثمن رضي الله عنه ورجل من العرب يقال له ابو العيص بن اميه والمعنى كما لا يستوي الحر الحسن والعبد الذي لا يملك شيا كذلك لا يستوي المومن الذي يفعل الخير والكافر الذي لا خير له وقوله تعالى الحمد لله معناه قل الحمد لله الذي اوضح لنا السبل والطريق بل اكثر الكفار لا يعلمون ذلك **قوله عز وجل** وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم معناه وضرب الله تعالى المثل رجلين احدهما اخرس لا يقدر على شيء من الكلام ويقال الابكم هو الذي ولد اصم لا يسمع ولا يفهم ولا يمكنه ان يفهم غيره وهو كل اي ثقل على وليه اينما يوجهه لا يهتدي الى منفعة ولا الى خير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل اي كما لا يستوي هذا الابكم الذي صفته هذه الصفة والذي يمكنه ان يفهم ويفهم ويامر بالعدل ويدل على الصراط المستقيم فكذلك لا يستوي الكافر الذي لا ياتي بالخير والمومن الذي ياتي بالخير وكذلك لا يستوي المنعم الذي ترجى النعمة والمنفعة من جهته والذي لا ترجى من قبله النعمة والمنفعة فكيف يجوز ان يسوى بينهما في الشكر **قوله عز وجل** ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير قيل هذه الاية نزلت جوابا عن سوال قريش متى الساعة ومعناها ولله ملك ما غيبه عن اهل السموات والارض وما من اقامة القيمة في سرعة قدرة الله تعالى على الاتيان بها الا كطرف البصر ورجعه بل هو اسرع من ذلك ويقال انما ذكر كلمة او في قوله تعالى او هو اقرب للابهام على المخاطب حتى تستبين عليه الامر في انه ايهما اقرب ان الله على كل شيء من اقامة الساعة وغير ذلك قدير **قوله عز وجل** والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون ظاهر المراد واصل الامهات امات ولكن الها زيدت كما زيدت في رقت الماء واهرقته **قوله عز وجل** الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون معناه الم يعلموا في دلايل قدرة الله تعالى ان الطير كيف خلقت خلقة يمكنها التصرف في الجو صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية وجعل ذلك تسخيرا لوقوع خلقتها على هذه الصفة وان كانت تتصرف باختيارها وبخلافها تسخير الشمس والقمر فان سيرهما ليس باختيارهما وقوله تعالى ما يمسكهن الا الله اي ما يمسكهن عند قبض الاجنحة وبسطها الا الله تعالى ولولا ان الله تعالى خلق الهوا على هذه الصفة لم تتمكن الطير من التصرف فيه وقوله تعالى ان في ذلك لايات معناه ان فيما ذكرت لك لدلالات على وحدانية الله تعالى لقوم يومنون **قوله عز وجل** والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين معناه والله جعل لكم من بيوت المدر مواضع تسكنون فيها وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وهي الخيام يخف عليكم نقلها وحملها من مكان الى مكان يوم سفركم ويوم اقامتكم وجعل لكم من اصواف الغنم واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت من الفرش والاكسية وقوله تعالى ومتاعا الى حين اي ومنفعة تنتفعون بها الى منتهى اجالكم ويقال تنتفعون بها مدة ما تبلى وتهلك والله الموفق **قوله عز وجل** والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون معناه والله جعل لكم مما خلق اشيا تستظلون بها مثل الاشجار ونحوها وجعل لكم في الجبال اكنانا وهي الكهوف والغيران والاسراب يدخلها الناس ليسكنوا فيها من الحر والبرد وجعل لكم سرابيل يعني القمص من القطن والكتان والصوف يدفع عنكم الحر في الصيف والبرد في الشتا ولم يذكر البرد في الاية لانه لما ذكر الحر

فقد

فقد دل به على ما في مقابلته من البرد ويقال انما لم يقل وسرابيل تقيكم البرد لان الخطاب في الاية للعرب وهم كانوا ابدا ذوي بالحر دون البرد وقوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم اراد به الدروع من الحديد يتقون بها في الحرب من سلاح العدو والسرابيل والسربال اسم لكل ما يلبس في الحرب وغيره وكذلك يتم نعمته عليكم لعلكم معناه انه سبحانه يتم نعمته عليكم في ساير الاشيا كما اتمها عليكم في هذه الاشيا لكي تسلموا فتنتفعوا بالنعم في الاخرة وفي قراة ابن عباس لعلكم تسلمون بنصب التاء اي لتسلموا من الجراحات اذا لبستم الدروع ومن الحر والبرد اذا لبستم القمص **قوله عز وجل** فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين معناه فان اعرضوا فليس عليك شيء من اعراضهم فانما عليك البلاغ المبين الظاهر فلما ذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه النعم قالوا نعم يا محمد هذه كلها من الله تعالى ثم قالوا بشفاعة الهتنا **فانزل الله تعالى قوله** يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكفرون معناه يعرفون ان هذه النعم كلها من الله تعالى ثم ينكرونها باضافتها الى الاوثان ويشكرون الاوثان عليها ويجوز ان يكون المراد بقوله تعالى ثم ينكرونها انهم لم يستدلوا بها على توحيد الله تعالى وبنبوة رسله صلوات الله عليهم وقوله تعالى واكثرهم الكفرون اي كلهم كفرون بالله وبنعمه فذكر الخصوص واراد به العموم ويقال اراد بقوله تعالى واكثرهم الكفرون ان اكثرهم معاندون وان كان فيهم من ليس هذه حالة ويقال انما ذكر الاكثر لانه كان فيهم الصبيان والمجانين الذين لا تكليف عليهم **قوله عز وجل** ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يوذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون معناه ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم اراد به يوم القيمة تشهد الانبيا صلوات الله عليهم على اممهم فيه باعمالهم وتشهد العدول من كل عصر على اهل عصرهم وقوله تعالى ثم لا يوذن للذين كفروا اي لا يوذن لهم بعد شهادة الرسل عليهم عليهم السلام في الاعتذار ولا ينفعهم الاعتذار يومئذ ولا يطلب رضاهم بما فعلوا ولا يجابون الى الرد الى الدنيا لتقبل توبتهم يقال عتب الرجل يعتب على فلان اذا وجد عليه واستعتبته فاعتبني اي استرضيته واستقلته ذنبي فارضاني واقالني ويقال في المثل لك العتبى بان لا رضيت اي لك الرضا اذا لم ترضه والعتبى اسم من الاعتاب كالرقبى من الارقاب وفايدة البعث بالشهود يوم القيمة مع ان الله تعالى عالم باعمالهم هو ان الانسان اذا علم ان العدول يشهدون عليه عند الله تعالى في الاخرة بين يدي الخلايق كان ذلك اهول في نفسه وازجر له عن الاقدام على المعاصي فيكون اشد اجتنابا من المعصية **قوله عز وجل** واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون معناه واذا راوا العذاب بالدخول فيه فلا يرفه عنهم في وقت ويشدد في وقت ولا يمهلون بتاخير العذاب عنهم الى وقت اخر فيستريحون **قوله عز وجل** واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه واذا راى الذين اشركوا الاصنام مع الله تعالى في العبادة شركاهم يعني الاصنام التي اشركوها مع الله تعالى قالوا يا ربنا هولاء الاصنام شركاونا التي اشركناها معك في العبادة فالقى الاصنام اليهم القول انكم لكاذبون في انا الهة وفي انا امرناكم بالعبادة واستسلموا كلهم لامر الله تعالى يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون انها الهة والفايدة في اعادة الاصنام يومئذ ان يعيرهم الله تعالى بها وان يقرنهم بها في العذاب ليعذبهم **قوله عز وجل** الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون معناه الذين كفروا بالله ورسوله وصدوا عن سبيل الله بامتناعهم عنه وبمنع الناس عنه زدناهم عذابا فوق العذاب قال ابن مسعود رضي الله عنه عقارب

لها انياب كالنخل الطوال ويقال يخرجون من حر النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى حر النار وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يجري الله تعالى فوق رؤوسهم خمسة انهار من نحاس ذائب نهران
مقدار النهار وثلثة انهار مقدار الليل تقع القطر منه على كتف الرجل والمراة فيشتعل الجسد منه نارا
فليس فيها عذاب اشد منه وفي قوله تعالى يفسدون بيان انهم يعذبون مع الكفر على كل واحدة من
المعاصي **قوله عز وجل** ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين في الاية بيان ان عصرا من الاعصار لا يخلو من شهيد على الناس والشهيد لا يكون الا عدلا
كما قال جل ذكره وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والمراد بقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب
القرآن فيه بيان كل شيء فانه ما من شيء يحتاج اليه الناس في دينهم الا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه
او ببيان النبي صلى الله عليه وسلم بما في القرآن من الامر باتباعه او بالتفويض الى اجماع الامة او بالاجتهاد وفيما
عدا اهل الملة وقوله تعالى وهدى ورحمة اي دلالة ونعمة وبشارة للمسلمين **قوله عز وجل**
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون وذلك ان الله تعالى لما ذكر فيما تقدم دلائل التوحيد والوعد على ترك الاوامر بين
في هذه الاية كلما امر به ونهى عنه فقال عز من قائل ان الله يامر بالعدل والاحسان هو الانصاف
يدخل في ذلك انصاف المرء من نفسه لغيره في الحقوق والامانات من نفسه لنفسه فيما يكون حقا عليه
من شكر نعم الله وان لا يعبد غيره وان لا يصف الله سبحانه بما لا يليق به من الصفات واما الاحسان
فهو فعل الحسن يدخل في ذلك التفضل على الغير اما بالمال او بالمعاشرة الجميلة من قول وفعل واكرام
وتجنب واما ايتاء ذي القربى فهو اعطاء الاقارب صلة الارحام واما قوله تعالى وينهى عن الفحشاء
والمنكر فالفحشاء ما عظم قبحه من قول وفعل سرا كان او علانية والمنكر ما يظهر للناس فيجب انكاره
والبغي هو الاستطالة والظلم على العباد وظلم الانسان على نفسه اقطع من ظلمه على غيره وقوله تعالى
يعظكم لعلكم تذكرون معناه يامركم بثلث ان تفعلوهن وينهاكم عن ثلث لتنتهوا عنهن لعلكم تتعظون
بما تؤمرون وتنهون فتحترزون من التقصير والخلل في كل ما يوجب التكليف **قوله عز وجل**
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ان الله يعلم ما تفعلون معناه واتموا العهود التي بينكم وبين الله تعالى والعهود التي بينكم
وبين الناس اذا حلفتم بالله تعالى على الوفا بها ولا تنقضوا العهود بعد توثيقها باسم الله تعالى وقد
جعلتم الله شهيدا علينا بالوفا ان فعلناه او لم نفعله ان الله يعلم ما تفعلون من النقض والوفا
فيجزيكم عليه وسمي الحفيظ كفيلا لان الكفيل بالشيء يكون حافظا له والانسان انما يوكل الامر الى نفسه
بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ ذلك الامر ويحفظ عليه وفي الاية دليل على ان قول الرجل
اذا قال علي عهد الله ان فعلت كذا يمين لان الله تعالى ذكر العهد في اول الاية ثم عقبه بقوله تعالى
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها **قوله عز وجل** ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما
يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون والاية تشبيه من لا
يحفظ اليمين بالمراة التي كانت تنقض غزلها بعد شدة الفتل المعنى لا تكونوا في نقض العهود كالتي
نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام وهي امراة من قريش اسمها ام الاخنس بن شريق تعرف بريطة الحمقى
كانت تغزل من الصوف والشعر والوبر بمغزل عظيم مثل طول الذراع وصنارة في راس المغزل مثل
طول الاصبع وفلكة عظيمة فاذا غزلت وابرمته امرت جاريتها فنقضته والانكاث جمع النكث

والنكث

والنكث ما نقض من غزل الشعر وغيره وقوله تعالى تتخذون ايمانكم اي عهودكم دخلا دغلا وخيانة
بينكم اي تفعلون ذلك الغل والغش والدغل هو الامر الذي يكون باطنه خلاف ظاهره والدخل ما
ادخل في الشيء على جهة الفساد وقوله تعالى ان تكون امة هي اربى من امة معناه لان تكون جماعة
هم اكثر واعز من جماعة ومن ذلك الربوا الذي هو بمعنى الزيادة وقوله تعالى انما يبلوكم الله به اي
يختبركم بان فضل بعضكم على بعض ويقال بالامر الذي امركم به فسمي الامر بالطاعة ابتلاء لانه
تعالى يعامل عباده معاملة المختبر مظاهرة في العدل لانه يجازيهم على ما يقع منهم لا على ما يعلم منهم
وقوله تعالى وليبينن لكم يوم القيمة الحق من الباطل فيما كنتم فيه تختلفون **قوله عز وجل** ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم
تعملون معناه ولو شاء الله لجعلكم اهل ملة واحدة بان كان يلجئكم الى المعرفة والى الايمان به كما يفعل
ذلك في الاخرة ولكنه لم يفعل لانه لو فعل ذلك لزال التكليف ولم يستحق ثواب ولا كرامة فكلفهم
طاعته بالامر والنهي ليستحقوا الثواب باعمالهم فمن قبل هداه الله تعالى الى الجنة ومن عصى اضله الله تعالى
عنها وقوله تعالى ولتسألن عما كنتم تعملون اي لتسألن يوم القيمة عما كنتم تعملون من الخير والشر
فتجازون على ذلك **قوله عز وجل** ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها
وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم معناه ولا تتخذوا ايمانكم مكرا
وخديعة بينكم فتزلوا عن طاعة الله كما تزل قدم الرجل بعد ثبوتها جعل زلة القدم عبارة عن سخط
الله تعالى وثبات القدم عبارة عن رضى الله تعالى لان ثبات القدم انما يكون برضى الله تعالى وزلة
القدم انما تكون بسخطه وقوله تعالى وتذوقوا السوء يعني العذاب بما منعتم به الناس عن دين الله تعالى
ولكم عذاب عظيم اراد به عذاب الاخرة **قوله عز وجل** ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما
عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا تختاروا بالحلف بالله كذبا عرضا يسيرا
من الدنيا انما عند الله من الثواب والاجر هو خير لكم من ما عندكم ان كنتم تعلمون ثم بين الله تعالى
العلة التي لاجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا فقال جل ذكره ما عندكم ينفد اي يفنى
ولا يبقى وما عند الله من الثواب يبقى ويدوم والقليل الذي يبقى خير من الكثير الذي لا يبقى فكيف بالكثير
الذي يبقى وقوله تعالى ولنجزين الذين صبروا معناه ولنجزين الذين صبروا على الطاعة اجرهم
بالطاعات فان افعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحا والجزاء لا يقع على المباح وانما يقع على الطاعات
والطاعات احسن من المباح فلذلك قال باحسن ما كانوا يعملون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وذلك ان وفدا من كندة وحضرموت قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصموا ان رجلا من حضرموت
يقال له عبدان بن الاشوع قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعث بن قيس الكندي جاورني
في ارضي فاقتطع ارضي فقال صلى الله عليه وسلم الك شهود قال لا احد فقال ان القوم كلهم يعلمون اني صادق فيما
اقول ولكنه اكرم عليهم مني فقال صلى الله عليه وسلم للاشعث وكان يعرف بامرئ القيس يا امرأ القيس
ما يقول صاحبك قال الباطل والكذب يا رسول الله ما اعرف ما يقول فامره صلى الله عليه وسلم ان يحلف
فهم بالحلف فاخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابصر فابصر فانزل الله تعالى قوله ولا تشتروا
بعهد الله الى قوله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرئ القيس
فقال امرؤ القيس اما ما عندي فينفد واما صاحبي فيجزى باحسن ما كان يعمل اللهم انه صادق فيما قال
لقد اقتطعت ارضه والله ما ادري كم هي ولكنه ياخذ ما شاء من ارضي ومثلها معها بما اكلت من ثمرها
فانزل الله تعالى بعد ذلك في امرئ القيس **قوله عز وجل** من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن

معناه ح

فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون معناه من عمل صالحا فيما بينه وبين ربه
واقر بالحق وهو مع ذلك مومن فلنحيينه حيوة طيبه قيل ان المراد بالحيوة الطيبة القناعة تماما وتى من الرزق
الحلال كما روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه انه قال الحيوة الطيبه هى القناعة بما يرزق قال والحرص
والجبن والبخل غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله عز وجل ويجوز ان يكون معنى الحيوة الطيبه ان يكون
صدره منشرحا بما يعتقده من دلايل توحيد الله عز وجل وبما يعرفه من وجوب مفارقه المعاصى فيصير قليل
الهم فى امور دنياه ويجعل دنياه بلغة ومزرعة لاخرته ويوطن نفسه على احتمال المكاره قبل وقوعها
ويعدها يسيرة بالاضافة الى ما اعد الله له من الثواب فى الاخرة فيتسلى بذلك عن هموم الدنيا ويقال ان
الله تعالى فلك المومن من الكافر نفسه وماله وذلك احد ما يطيب به عيشه وذهب بعضهم الى ان الحيوة
الطيبه هى الجنة وقال لم تطب الحيوة لاحد الا فى الجنة غير ان القول الاول هو الاقرب الى ظاهر الاية لانه تعالى
عطف على ذكر الحيوة الطيبه جزاء الاخرة فقال جل ذكره ولنجزينهم اجرهم باحسن فانتظمت الاية الجمع
بين محاسن الدنيا ومحاسن الاخرة قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم معناه اذا اردت قراة القران فاستعذ بالله من الشيطان المطرود من رحمة الله تعالى ونظير
هذا قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله عز وجل واذا قلتم فاعدلوا ويقال اذا
اكلت فقل بسم الله واذا اصليت فكبر واذا قلت فاصدق يراد به اذا اردت ان تفعل ذلك وفايدة الامر
بالاستعاذة قبل القراة نفى وساوس الشيطان عند القراة قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان والاستعاذة ليست بواجبة لان
النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلمها الاعرابى حين علمه الصلوة فلو كانت واجبة لما اخلاه من تعليمها قوله
عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ٥ انما سلطانه على
الذين يتولونه والذين هم به مشركون ٥ معناه ان الشيطان ليس له تسليط على المومن الا فى الوسوسة
كما اخبر الله تعالى انه يقول فى القيمة وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا
تلوموني ولوموا انفسكم ويجوز ان يكون معنى السلطان فى الاية الحجة وقوله تعالى انما سلطانه
معناه ان سلطانه على الذين يقبلون دعاه والذين هم بالله مشركون فانهم جعلوا له سلطانا على
انفسهم قوله عز وجل واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت
مفتر بل اكثرهم لا يعلمون معناه واذا انسخنا اية واثبتنا مكانها اية اخرى والله اعلم بمصالح العباد
بما ينزل فى كل وقت ما هو الاصلح لهم قالوا انما انت كاذب فى الناسخ والمنسوخ مختلق من تلقاء نفسك وذلك انهم
ظنوا ان هذا النسخ بدا او مناقضة واكثرهم كانوا لا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى
لا يامر عباده الا بما يصلحهم وان كان فيهم من يعلم ذلك قوله عز وجل قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين فيه بيان ان البدل كالاصل فى نزوله من عند الله تعالى
على لسان جبريل عليه السلام ولو لم يقع الابدال فيه لكان حقا فكذلك اذا وقع لان كليهما بحسب المصالح
وقوله تعالى ليثبت الذين امنوا اى ليكون لطفا لهم فى الثبات على الايمان او البصيرة واقرب الى الثبات كما فى
قوله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا قوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين قال عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون ان القران ليس من عند الله تعالى وانما يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم
بشر ارادوا بذلك جبرا ويسارا كانا غلامين نصرانيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهما
ويعلمهما وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية وكانا قد اسلما ويقال كانوا يعنون بقولهم بشر سلمان الفارسى
وقوله تعالى لسان الذى يلحدون اليه اعجمى معناه لسان الذى يميلون القول اليه ويزعمون انه يعلمك اعجمى

وهذا

وهذا القران الذى نقراه على مجرى لغة العربية فكيف يقدر الاعجمى على تعليم مثله وسمى اللغة لسانا كما يقال
هذا اللسان المعرب وهذا اللسان العجم اى لغتهم وفى الاية بيان ان من بلغ جهله وقد سمع القران من الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يقول يعلمه بشر ليس من اهل العربية يخرج قوله من ان يكون موثرا ويدخل فى باب ما يتحجر منه فاذا
بلغوا هذا الحد من الطعن عليك ماهم لا يفضحون انفسهم بهذا القول ٥ قوله عز وجل ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم معناه ان الذين لا يصدقون بدلايل الله لا
يهديهم الله الى الجنة وقيل الى ثوابه ولهم عذاب وجيع فى الاخرة ثم بين سبحانه وتعالى ان الذين نسبوا
الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الافترا هم به احق قال جل ذكره انما يفترى الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون معناه انما يكذب على الله من لا يومن بدلايل
الله لا من يومن بها لان ما امر من لا يومن فى الدين على الكذب فهم بالكذب احق لانه ليس معهم ما يحجزهم
عن الكذب قوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يجوز ان يكون قوله تعالى من
كفر بالله من بعد ايمانه يتناول المرتد فيبعد ان يكون تفسيرا لما قبله واذا جعل كلاما مبتدا كان قوله
تعالى فعليهم غضب من الله خبرا لقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه او لقوله تعالى ولكن من شرح
بالكفر صدرا وكان قوله تعالى ولكن من شرح كالاستثنا من الاستثنا والمراد بقوله الا من اكره عمار بن ياسر
على ما روى ان المشركين اخذوه فى طريق مكة فعذبوه حتى سب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم
بخير ثم تركوه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدموع عن عينيه واخبره بالقصة فانزل
الله تعالى فيه هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم له كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فقال
صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد وقوله صلى الله عليه وسلم فعد على وجه الاباحة والرخصة فى
التلفظ دون الايجاب وان المكره على الكفر اذا صبر حتى قتل كان اعظم لاجره والاكراه المبيح لاجراء
كلمة الكفر على اللسان هو ان يخاف التلف على نفسه او على عضو من اعضايه ان لم يفعل ما امر به
واذا خطر ببال المكره عليه ان يعرض بالكلمة التى يكرهونه عليها شيئا اخر فلم يفعل ذلك مع خطوره بباله
كان كافرا كما قال محمد بن الحسن رضى الله عنه فيمن اكرهه الكفار على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم
فخطر بباله ان يشتم محمدا اخر فلم يفعل وقصد شتم النبى صلى الله عليه وسلم كان كافرا وكذلك لو قيل
له اسجد لهذا الصليب فخطر بباله ان يجعل السجود لله تعالى فلم يفعل وسجد للصليب كان كافرا
لان الاكراه لا يقع على ما فى الضمير وكان يمكنه ان يفعل على حسب ما فى ضميره وان اعجلوه عن الروية
ولم يخطر بباله شى فقال ما اكره عليه او فعل لم يصر كافرا اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان بل يكون
مرخصا له اظهار ما يكرهونه عليه بخلاف ما فى قلبه على معنى انه لا يواخذ به فى الاخرة لا على
معنى انه يباح له الكفر الذى هو كذب ولو جاز من الله تعالى ان يبيح الكذب لما فيه من مصلحة
العبد لدفع الضرر عن نفسه لم يامن ان يبيحه ايضا لمنفعة ينالها ولم يامن ان يبيح الكذب
لانبيايه صلوات الله عليهم اجمعين لمصلحة العباد وذلك يزيل الثقة بالكتاب والاخبار واما
قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا فقيل فى سبب نزوله انه انما انزل فى عبد الله بن ابى سرح
القرشى رجع الى الشرك وباح بالكفر ولحق بمكة قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين معناه ذلك العذاب لهم بانهم اختاروا
الحيوة الدنيا على ثواب الاخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين الى جنته وثوابه ولا يحكم لهم بالهدى ٥
قوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم
الغافلون لا جرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون قد تقدم تفسير الطبع من قبل والمراد بالغافلين

غفلتهم عن امور الاخرة وعن ما حل بهم في الاخرة ومعنى لا جرم حقا والخاسرون هم الذين خسروا انفسهم **قوله عز وجل** ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم نزل في قوم من المسلمين تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم منها الى المدينة ثم انهم هاجروا الى المدينة من بعد ما عذبهم اهل مكة ثم جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبروا على الجهاد يوعدهم الله تعالى المغفرة لما كان منهم من الكفر والتخلف عن الهجرة **قوله عز وجل** يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يجوز ان يكون قوله تعالى يوم منصوبا بنزع الخافض اي في يوم تاتي كل نفس ويجوز ان يكون المعنى واذكر يوم تاتي كل نفس وهو يوم القيمة يجادل فيه كل نفس عن نفسه وتوفر على كل نفس برة او فاجرة جزاء ما عملت من خير او شر لا ينقص من ثواب محسن ولا يزاد على عقاب مسيء **واختلفوا** في المجادلة المذكورة في الاية قال بعضهم هي قول الكافر ما كنا مشركين وقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقال بعضهم انهم يجادلون الملئكة بما يقدرون به ازالة العذاب عن انفسهم وفي الجملة كل واحد منهم يومئذ يقول نفسي نفسي **قوله عز وجل** وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قيل ان المراد بهذه القرية قرية كانت قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بعث اليهم نبي فكفروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقتلوه فعذبهم الله تعالى بعذاب الاستيصال **واجمع** المفسرون على ان هذه القرية هي مكة فان اهلها كانوا امنين بخلاف قرى سائر العرب كان العرب لا يصلون مكة بالمكروه احتراما لحرم الله تعالى وكان الرزق واسعا على اهل مكة كان يحمل اليهم من البر والبحر كما وصفها الله تعالى حرما امنا تجبى اليه ثمرات كل شيء فكانوا لا يحتاجون الى الانتجاع لطلب الرزق كما احتاج اهل سائر قرى العرب فكفر اهل مكة بانعم الله تعالى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران بعد قيام الحجة عليهم فعاقبهم الله تعالى سبع سنين بالقحط وخوفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن عساكره وسراياه بما كانوا يصنعون من تكذيبه **روى** انه بلغ بهم من الجوع ما لا غاية بعده حتى اكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب وكانوا يجعلون الدم في المباعر فيشوونها وياكلونها فكان كل ذلك بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يدعو فيقول اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم سنين كسني يوسف عليه السلام فاستجاب الله تعالى له حتى صار امرهم الى هذه الحالة وسمى ذلك اذاقة وان لم يكن ذلك بالفم لان اصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء لانه صار حالهم في كل وقت بمنزلة حال الذائق للشيء كما يقال فلان ذاق وبال امره وكان ظهر عليهم سوء الحال واصفرار الوجه والفزع والهزال فجعل ذلك كله كناية عن اللباس كما يقال اللهم البسنا العافية **قوله عز وجل** ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اراد به على هذا القول نبينا صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم وهو من نسبهم فكذبوه بما جاءهم به فاخذهم العذاب الذي تقدم ذكره وكانوا ظالمين لانفسهم **قوله عز وجل** فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى اهل المدينة عن حمل الطعام الى مكة ثم ان اهل مكة بعثوا رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم مشركون فانزل الله تعالى قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعني من الحرث والانعام وغير ذلك حلالا احله الله تعالى لكم واشكروا نعمة الله تعالى ان كنتم تريدون عبادة الله تعالى في تحريم الحرث والانعام فاستحلوا فان عبادة الله تعالى ورضاه في تحليل ما احل الله تعالى وتحريم ما حرم الله تعالى ثم

بين المحرمات فقال عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم وقد تقدم تفسيره **قوله عز وجل** ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم معناه ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم بالحل والحرمة فتحلوا الميتة وتحلوا بعض الزروع والانعام كما تقدم ذكره في اخر سورة الانعام وقوله تعالى لتفتروا على الله الكذب اي لتكذبوا على الله تعالى بقولكم ان هذا من عند الله تعالى ان الذين يفترون اي يختلقون على الله الكذب لا يظفرون بالمراد ولا ينجون يوم القيمة انما لهم في الدنيا متاع قليل ثم يعقبهم العذاب الاليم وفي الاية تنبيه لكل من يقول قولا في التحليل والتحريم بغير حجة شرعية **قوله عز وجل** وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الاية بيان ان التحريم الذي كان في اليهود كان من قبل الله عز وجل وانه مخالف للتحريم الذي كان في كفار مكة وقوله تعالى ما قصصنا عليك اراد به ما بينه الله تعالى في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وقوله تعالى وما ظلمناهم اي لم نظلمهم بتحريم ذلك عليهم فان تحريم تلك الاشيا كان عقوبة لبعضهم وتشديدا في التكليف على بعضهم ولا تكون العقوبة والتشديد في التكليف ظلما ولكن كانوا لانفسهم ظالمين بمخالفتهم امر الله تعالى ونهيه **قوله عز وجل** ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فيه بيان ان من ارتكب شيا من المعاصي وخالف امر الله تعالى فيه واستعمل الجهالة في ارتكابه لم يمنعه ذلك من التوبة فانه اذا تاب واصلح في المستقبل محا الله تعالى عنه كل السيئات قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كل سوء يعمله العبد فهو جاهل فيه وان كان يعلم ان ركوبه سيئة **قوله عز وجل** ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيه بيان ان ابرهيم هو القدوة للناس في الخير وسمى الامام امة لانه يجمع خصال الخير ويقال للرجل المنفرد بدين لا يشركه فيه غيره امة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وكان زيد اسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بمكة مومن يومئذ غيره ثم تابعه ورقة بن نوفل وعاش ورقة الى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم واما القانت فهو الدائم على الطاعة والقنوت هو الدوام على الطاعة واما الحنيف فقد تقدم تفسيره قوله تعالى ولم يك من المشركين معناه انه لم يك منهم كما ادعاه كفار قريش فانهم ينتحلون دين ابرهيم عليه السلام وقوله تعالى شاكرا لانعمه اي كان شاكرا لنعم الله تعالى عليه اصطفاه الله تعالى بالنبوة وهداه الى دين مستقيم وقوله تعالى واتيناه في الدنيا حسنة اراد به الكرامة والاعظام وعلو الذكر وشرف الاولاد والوعد ببعثة الانبيا من ذريته وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي انه مع ابائه المرسلين في الجنة **فان قيل** كيف قال وانه في الاخرة لمن الصالحين ولم يقل من اعلى الصالحين **قيل** انما قال ذلك ترغيبا في الصلاح فانه تعالى بين ان منزلته عند الله تعالى لصلاحه وطاعته لله تعالى فمن كان اصلح واطوع لامر الله تعالى فهو اليه اقرب في هذا كله تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في قلة عدده ليفعل في الدعا الى توحيد الله تعالى كما فعل ابرهيم عليه السلام حتى ارتفع شانه وكثر عدد من استجاب له **قوله عز وجل** ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين معناه ثم امرناك يا محمد ان اتبع ملة ابرهيم

في مجانبة الكفار كما كان ابرهيم عليه السلام يتجنب منهم فان قيل كيف جوزان يومر الفاضل
بمتابعة المفضول ونبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبيا صلوات الله عليهم وكيف امره الله تعالى
بمتابعة ابرهيم عليه السلام قيل ان ابرهيم عليه السلام كان قد سبق الى اتباع الحق ولا يكون في سبق
المفضول الى اتباع الحق عيب على الفاضل في اتباعه قوله عز وجل انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما وذلك ان موسى عليه السلام قال لبني اسرايل تفرغوا الى الله في كل سبعة ايام يوما
واحدا فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيا من امر الدنيا وستة ايام لصنايعكم ومعايشكم
فابوا ان يقبلوا ذلك منه وقالوا لا نبتغي الا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق يعنون السبت فجعل
ذلك عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاهم عيسى عليه السلام بالجمعة ايضا فاختاروا يوم الاحد وقالوا
نريد اليوم الذي ابتدى فيه الخلق وذهب بعض المفسرين الى ان الله تعالى اراد ان يفرض على
بني اسرايل التفرغ للعبادة في يوم من الاسبوع اختلفوا فقال قوم منهم الجمعة وقال قوم السبت
فلما اختلفوا جعله الله تعالى السبت وكانت مصلحتهم عند اختلافهم تحريم المكاسب عليهم يوم السبت
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة
بيد انا اوتيناه من بعدهم يعني يوم الجمعة قال فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه
فهدانا الله تعالى له فهم لنا فيه تبع فلليهود غد وللنصارى بعد غد ومعنى الاية والله تعالى اعلم
هو ان السبت في فضل العمل فيه لم يكن في شريعة ابرهيم عليه السلام المبنية على السهولة وانما غلظ
على اليهود وامروا بالجلوس في السبت لاختلافهم ولجاجتهم في قبول الجمعة كما فعل بني اسرايل
في شان البقرة شددوا فشدد الله عليهم وعن الحسن رضي الله عنه انه قال ان معنى هذه
الاية جعل السبت لعنة ومسخا على الذين اختلفوا فيه فاحلوه مرة وحرموه اخرى وقوله تعالى
وان ربك ليحكم بينهم معناه انه يحكم بينهم يوم القيمة ببيان الحق فيه من الباطل قوله عز
وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بين الله تعالى بهذه الاية ما يدعوا اليه
الرسول صلى الله عليه وسلم وما يدعو به وكيف يدعو ومعنى سبيل هو الدين الذي
يدعوا الى الله تعالى والحكمة هي معرفة مراتب الحق والباطل والصلاح والفساد لان المعرفة
هي السبب في منع المعصية واصل الحكمة المنع ومن ذلك حكمة الدابة واما الموعظة الحسنة
فهي التخويف بالعقاب على جهة اظهار الشفقة عليهم ليكون ذلك اقرب الى الاجابة وقوله
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن بيان الدين الذي يدعوهم اليه اذا اوردوا شبهة لا تجادلهم
النبي صلى الله عليه وسلم الا على حد الرفق واللطف وذكر احسن ما عنده حتى فانه لم يكن
صلى الله عليه وسلم يتوصل الى فعل يهتدي به من كان في علم الله تعالى انه لن يضل فذلك
قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي هو اعلم بمن لا يقبل الهدى ومن يقبل الهدى
فيجزي كلا على ما عمل قوله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين
صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما
يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون معناه والله تعالى اعلم ان الكفار اذا
عدلوا عن طريق المجادلة واخذوا في الاذية والمكر والحيل فالاولى لكم الصبر والعفو فان جاوزوهم
مثل ما فعلوا فحسن وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك ان حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين قتلوا يوم احد مثل بهم المشركون

عمدوا الى حمزة فشقوا بطنه واخذت منه هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكها ثم تطرحها وقطعوا مذاكيره
وجدعوا انفه واذنيه ومثلوا به اشد المثلة فقال المسلمون لين امكننا الله تعالى منهم لنمثلن بالاحيا
فضلا عن الاموات فانزل الله سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين
فلما نزلت هذه الاية قال عليه السلام بل اصبر ولا امثل فنزل قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله اي ما صبرك الا
بمعونة الله تعالى وتوفيقه ولا تقدر على الصبر في الحزن الذي لحقك بسبب الشهدا الا ان يسهل الله تعالى عليك الصبر
ولا تحزن على الكفار اذا امتنعوا عن الاجابة لك ويقال ولا تحزن على الشهدا فان الله تعالى اتاهم منازلهم
في الجنة لو رايتهم في الكرامة التي اكرمهم الله تعالى بها لتغبطتهم عليها وقوله تعالى ولا تك في ضيق مما
يمكرون اي لا يضيق صدرك من مكرهم فيكون ذلك شاغلا لك عما كلفته من الدعا الى سبيل ربك والضيق
تخفيف ضيق مثل ميت وميت ويجوز ان يكون مصدر ضاق الشي يضيق ضيقا وضيقا وقوله تعالى ان الله
مع الذين اتقوا اي معين المتقين المحسنين وهم المسلمون بنصر من عنده فان الله يظهرهم على الكفار
ويجعل العاقبة للمسلمين وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
النحل لا يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم عليه في الدنيا فان مات في يوم تلاها كان له من الاجر
كالذي مات واحسن الوصيه وبالله التوفيق

سورة بني اسرايل مكية كلها الا ثمان ايات فنها خبر وفد ثقيف

وخبر ما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم
ليست هذه بارض الانبيا صلوات الله عليهم وهذه الايات من قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك
الى قوله تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فان هذه الايات مدنيات هكذا روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما واما عدد اي هذه السورة فهو ماية واحدى عشرة اية عند الكوفيين وماية وعشر
عند الباقين بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير ومعنى سبحان الله تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به في ذاته وحكمته والمراد به في هذا الموضع
بيان قدرته على ما ذكر من الاسرا الخارج عن العادة وانه منزه عن قول من ينكر ذلك ويحيله وقد
يذكر سبحان بمعنى التعجب والتهويل يقال يا سبحان الله ويراد به ذلك كما قال تعالى يا حسرة على العباد
فيكون المعنى والله تعالى اعلم عجبا من الذي اسرى بعبده اي سير عبده محمدا صلى الله عليه وسلم في ليلة
واحدة من مسجد مكة الى مسجد بيت المقدس وسمي بيت المقدس المسجد الاقصى لانه لم يكن ورا ذلك
مسجد يعبد الله تعالى فيه وقد اجمع المفسرون رحمهم الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به
من المسجد الحرام الى مسجد بيت المقدس في ليلة واحدة وانه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بالمسجد الحرام
ورجع في ليلته الى المسجد الحرام حتى صلى الصبح ايضا بمكة وقد كان اسري به على دابة بيضا هي اشبه
الدواب بالبغل خطوتها مد البصر وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اسري
به من بيت ام هاني بنت ابي طالب قال والحرم كله مسجد قوله تعالى الذي باركنا حوله صفة بيت المقدس
بارك الله تعالى فيما حوله بالاشجار والثمار والانهار حتى لا يحتاجون ان يجلب عليهم من موضع اخر
ويقال معنى باركنا حوله جعلناه مواضع الانبيا صلوات الله عليهم فانه من وقت موسى عليه السلام
صار متعبدا للانبيا صلوات الله عليهم وبه صار مقدسا عن الشرك لان المشركين فارقوه من يوميذ
وقوله تعالى لنريه من اياتنا كالدلالة على انه اسري به لامر يخصه كي يرى من عجايب قدرة الله تعالى
وكل ما راى في تلك الليلة كان من عجايب قدرة الله تعالى وكان العروج به الى السما ورويته الانبيا
صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد في تلك الليلة على ما ورد في الاخبار الصحيحة قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر الليل الى مكة واخبر قريشا بذلك كذبوه ثم سالوه

عما كانوا يعلمونه من صفة بيت المقدس وما كان عن يمينه حين دخل وما كان عن يساره وما يستقبله فجعل يخبرهم بصفاته كلها ووصف لهم الانبيا صلوات الله عليه وعليهم وحلاهم رجلا رجلا وقال مررت على عير بني فلان وهي بالروحا وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته وشربته فسلوهم هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه اية قال صلى الله عليه وسلم ومررت بعير بني فلان وفلان بذي مر فنفر بكرهم مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهم عن ذلك قالوا وهذه اية اخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا نحن قال مررت عليها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جملا اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية قال ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد وصف محمد صلى الله عليه وسلم شيئا فسكتدنيه فلما اتوا كدى جلسوا عليها فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه والله الشمس قد طلعت وقال اخر هذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ولم يفلحوا وقالوا ما سمعنا مثل هذا قط ان هذا الا سحر مبين فرموه بالسحر وكذبوه وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا هذا صاحبك يزعم انه قد اسري به الليلة الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته فقال رضي الله عنه ان كان قال ذلك فقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى الشام في ليلة واحدة ورجع قبل الصبح قال فكيف لا اصدقه على ذلك فسمي ابو بكر الصديق وهذا هو الجواب فيمن يطعن في مثل هذه المعجزات فانه كما لا يمتنع في نفس جبريل عليه السلام انه ينزل من السما الى الارض غدوة وعشية كذلك لا يمتنع مثله في معجزات الانبيا صلوات الله عليهم واذا جاز في سليمن عليه السلام ان تسير الرياح الى موضع بعيد في اوقات يسيرة وجاز في الذي عنده علم من الكتاب ان ياتي سليمن بعرشها قبل ان يرتد اليه طرفه كذلك لا يمتنع ما ذكره الله تعالى في هذه الاية **فان قيل** كيف يصح ما روي في البراق انه كان يخطو بكل خطوة مد البصر وهل يصح ذلك في مثل صورة البغل **قيل** لا يمتنع ان تكون حركاته بمنزلة الوثب السريع ويعينه الله تعالى عند الصعود والنزول في اطالة اليدين والرجلين في كل ما يكون الى الاسراع امكن وان يقوي الله تعالى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم في حال ركوبه بان يعرفه السلامة ولا يخاف السقوط **فان قيل** فاي فائدة في ان النبي صلى الله عليه وسلم شاهد وحده تلك المعجزة من غير ان كان معه غيره **قيل** في نفس الاسرا فوايد منها ان تكون له مصلحة خاصة لان من شاهد مثل هذه الامور كان اقوى قلبا في طاعة الله تعالى ممن لا يشاهدها **ومنها** انه كان في ذلك مصلحة للملئكة الذين شاهدوه منتقلا من مكان الى مكان على بعد ما بينهما **ومنها** انه لا يمتنع ان يكون في اخباره عما شاهده من امر العير مصلحة لبعض من يسمع كما روينا من تصديق ابي بكر رضي الله عنه وسبب لاسلام بعض وحجة على المكذبين **واما** تخصيصه صلى الله عليه وسلم بمشاهدة هذه المعجزات فيجوز ان يكون ذلك لكي يصير مختصا للتعبد في تلك البقاع ببعض العبادات فلا يكون لاحد معه شركة في ذلك **فان قيل** في خبر المعراج ان النبي صلى الله عليه وسلم عرج به الى السما وفي هذه الاية ان ابتدا الاسرى كان من المسجد الحرام وانتهاؤه الى المسجد الاقصى فكيف تصح الاخبار التي رويت في المعراج **قيل** ان الاخبار في هذا الباب كثيرة ظاهرة متواترة وما ذكره الله تعالى في سورة النجم دليل على صحة تلك الاخبار فكان الله تعالى ذكر بعض ما كان في تلك الليلة في هذه الاية وذكر بعضه في موضع اخر **فان قيل** ان كانت الاخبار المروية في هذا الباب حقا اقتضى ان يكون كما ذكر في هذه الاخبار صحيحا وقد رووا فيها ما يرجع الى التشبيه من

قرب النبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى ونحو ذلك **قلنا** ان الخبر الطويل قد تقصد اليه الملحدة والمشبهة اذا وجدوا فيه مساغا الى ما يرجع الى تصحيح قولهم فيزيدون فيه ما يفسدون به قلوب العوام الذين تقل معرفتهم بالتمييز بين الصحيح والسقيم وكما يتصور ان تبتدا بالخبر كذبا كذلك يتصور ان يزاد فيه كذبا **واما** قوله تعالى انه هو السميع البصير فمعناه انه هو السميع لمقالة قريش وانكارهم البصير بهم وباعمالهم **قوله عز وجل** وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا معناه واعطينا موسى التوراة وجعلناه دلالة لبني اسرايل الا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تتوكلوا على غيري وقوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا قيل معناه يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة فنجاهم من الغرق ان نوحا كان عبدا شاكرا لنعم الله تعالى كان اذا اكل او شرب او اكتسى واحتذى قال الحمد لله وقيل معنى ذرية من حملنا مع نوح ان بني اسرايل كانوا من ذرية من نجاهم الله تعالى من قوم نوح **قوله عز وجل** وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا معناه وعهدنا الى بني اسرايل واخبرناهم في التورية لتفسدن في الارض مرتين اي لتعصن كرتين بقتل النفوس وتخريب الديار واخذ الاموال ولتظلمن ظلما عظيما والقضا في اللغة هو احكام الشي ومن ذلك سمي الحاكم قاضيا الا انه اذا امر امرا لا يرد امره فذكر لفظ القضا في هذه الاية بمعنى الاخبار الذي لا ريب فيه وقوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما اي اذا جاء وعد اولى المرتين بعثنا اي سلطنا عليكم عبادا لنا ذوي قوة وعدة في القتال وقد اختلفوا في هولا العباد **وروي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هم بخت نصر ملك بابل واصحابه المجوس سلطهم الله تعالى على بني اسرايل حين عصت بنو اسرايل في اول الفسادين فقتل منهم بخت نصر اربعين الفا ممن كان يقرا التورية ودخل ديارهم وطلبوهم طلبا شديدا حتى كانوا ينظرون في الازقة والبيوت هل بقي احد لم يقتلوه قال واد خلوا من بقي منهم بعد قتلهم اربعين الفا ارض انفسهم فمكث الاسرى في بابل تسعين سنة حتى مات بخت نصر وقوله تعالى وكان وعدا مفعولا اي كان موعدا كاينا لا محالة وقوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي جعلنا لكم الدولة والرجعة عليهم واعطيناكم اموالا وبنين وجعلناكم اكثر عددا تنفرون اليهم **قال** وذلك ان رجلا من اهل الكتاب يقال له كورش غزا ارض بابل فظهر عليهم فقتلهم وسكن الديار وتزوج امراة من بني اسرايل يقال لها اسحب بنت روبابيل اخت ملك بني اسرايل فطلبت الى زوجها ان يرد قومها الى ارضهم ففعل فمكثوا في بيت المقدس مايتين وعشرين سنة وقامت بينهم الانبيا صلوات الله عليهم ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه بارضهم **قال** فذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم **وذهب** سعيد بن جبير رضي الله عنه الى ان المراد بقوله تعالى عبادا لنا سنحاريب النبي صلى الله عليه وسلم ومن امن معه قال والمراد بالبعث في هذه الاية الامر بقتلهم وقوله تعالى ثم رددنا لكم على هذا القول معناه ثم رددنا لكم الكرة عليهم بان كفر اوليك وتبتم انتم **واما** على القول الاول فان المراد بالعباد الكفار فمعنى بعثهم الله تعالى على بني اسرايل ان خلا بينهم وبينهم بان نزع الرعب من قلوب اوليك الكفار حتى اجتروا على بني اسرايل وهذا كقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وارسال الشياطين التخلية بين الشياطين وبينهم بان لم يوئس الشياطين عن قبول الكفار لوسوستهم كما ايسهم عن قبول المسلمين الذين اخلصوا الايمان كما قال عز من قايل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم على هذا القول معناه نصرناكم عليهم بعد ان تاب من تاب منكم **قوله عز وجل** إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ

ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا معناه ان
احسنتم فمنفعة احسانكم راجعة اليكم وان اساتم فعليها فالى انفسكم ولم يقل فاليها على جهة المقابلة
للكلام الاول ومثل هذه الحروف قد يقام بعضها مقام بعض كما فى قوله تعالى بان ربك اوحى لها
اى اليها وقوله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة معناه فاذا جاء وعد المرة الاخرة فى الفساد وقوله تعالى ليسوءوا
وجوهكم معناه ليسوء الوعد وجوهكم اى ليسوءكم بالقتل والسبى الا انه قال وجوهكم لان اثر الاساءة انما
يظهر فى الوجه ومن قرا ليسوء بالياء وبين فالمعنى ليقبح القوم وجوهكم وليدخلوا المسجد بيت المقدس
كما دخله بخت نصر واصحابه اول مرة وفى هذا دليل انهم دخلوا فى المرة الاولى المسجد الا انه لم يسبق له ذكر
وقوله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا معناه وليخربوا ما غلبوا عليه تخريبا والتبار والدمار والهلاك
بمعنى واحد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى هذه الاية وذلك ان الله تعالى سلط عليهم
بعد مائتين وعشرين سنة ططوس بن اسيسبيانوس الرومى فحاصرهم وقتل منهم مائة الف وثمانين
الفا وسبى مثل ذلك وخرب بيت المقدس وذلك بعد ان قتل ملكهم يحيى بن زكريا عليهما السلام
حين اراد الملك ان يتزوج ابنة اخيه فقال له يحيى عليه السلام انها لا تحل لك فقتله فسلط الله عليهم
اهل الروم حتى خربوا بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون فلم يدخله رومى بعد ذلك الا
خائفا كما قال الله عز وجل ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وذهب القتيبى الى ان بخت نصر
غزا بنى اسرائيل مرتين ففتح مدينتهم فى المرة الاولى وجالوا فى اسواقها يقتلون منهم فرغبت بنو اسرائيل الى
الله تعالى وتابت فاظهرهم الله تعالى على بخت نصر ورده عنهم ثم بعث الله تعالى اليهم ارميا النبى عليه السلام
فقام فيهم بوحى الله فضربوه وقيدوه وحبسوه فسلط الله تعالى عليهم عند ذلك بخت نصر مرة اخرى
ففعل ما فعل **قوله عز وجل** عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا معناه لعل ربكم بعدها تنزلا من ان يرحمكم قد تقدم ان عسى من
الله واجب وقوله تعالى وان عدتم عدنا اى ان عدتم الى الفساد عدنا لكم بالعقوبة على ايدى
المسلمين وقد عادوا الى الفساد فعاد الله عليهم بالعقوبة على ايدى المسلمين باذلالهم باخذ
الجزيه او القتل وقوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا معناه جعلناها لهم محبسا من قولك حصرته
فهو محصور اذا حبسته **قوله عز وجل** ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما معناه ان هذا القران يهدى للحالة التى هى اقوم الحالات ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم ثوابا عظيما فى الجنة وان الذين لا يصدقون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما فى النار ٥
قوله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ذهب اكثر
المفسرين رضى الله عنهم فى معنى الاية ان الانسان يدعو على نفسه وعلى ولده بالسوء عند الضجر
والغضب فيقول اللهم العنه اهلكه كما يدعو بالرزق والعافية والرحمة فلو استجيب له اذا دعى
باللعن كما يستجاب له اذا دعى بالخير لهلك وقال بعضهم رحمهم الله معناه يطلب ما هو شر له
كاستعجال المنفعة وكان الانسان عجولا يعجل بالدعاء بما لا خير له ويقال هو على طبع ادم عليه السلام
لما نفخ فيه الروح فبلغ الى ركبتيه قصد القيام قبل ان يجرى فيهما الروح فسقط فقيل له لا تعجل **قوله عز
وجل** وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا معناه
وجعلنا الليل والنهار دلالتين من دلائل الله تعالى لانهما يدلان على خالقهما وعلى حدوث الاجسام
كل واحد منهما ينقضى عند حدوث الثانى والانقضاء من صفات الحدث وقوله فمحونا آية الليل معناه
ضو

ضوء القمر وعن ابن عباس رضى الله عنهما اراد به السواد الذى فى القمر وذلك ان الله تعالى خلق القمر
اول ما خلقه على صورة الشمس فكانت شمس بالليل وشمس بالنهار وكان لا يعرف الليل من النهار فامر
الله تعالى جبريل عليه السلام فمسح بجناحه شمس الليل فذهب ضوءها وهى علامة جناحه وهى السواد
فى جوف القمر ويقال معنى فمحونا آية الليل وجعلنا الليل مظلما لا يبصر فيه ظلمته المرئيات كما لا يبصر
ما محى من الكتاب وهذا فى نهاية البلاغة لان الليل يخالف النهار من حيث انه لا يكون بالليل ضوء منتشر كما لا
يكون بالنهار شعاع الشمس فاما فى ايام البيض فالضوء وان كان فى لياليها اكثر لكنه بالاضافة الى ضوء النهار
كالممحو وقوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة اى اهله بصراء فيه كما يقال رجل مضعف اى له دواب
ضعاف ورجل مخبث اى له اصحاب خبثاء وقوله تعالى لتبتغوا فضلا من ربكم معناه لتتمكنوا بالليل
لانه ذكره فى موضع اخر وقوله تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب اى فعلنا ذلك لتعلموا عدد السنين
ولتعلموا عدد حساب الشهور والاعوام ومواقيت الصلوة والصيام والحج وساير العبادات وقوله تعالى
وكل شىء فصلناه تفصيلا معناه وكل شىء من الامر والنهى والحلال والحرام بيناه فى القران ليكون اقرب الى معرفتكم
قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا معناه وكل انسان الزمناه عمله من خير او شر فى عنقه
فجعلنا جزاء عمله لازما له كما يقال هذا الحق فى عنق فلان وفى رقبته ويراد به وجوب ذلك عليه وفى الاية تشبيه
العمل بالطائر الذى يجىء من جهة اليمين فيتبرك به والطائر الذى يجىء من ذات الشمال فيتشاءم به فاما الاضافة
الى العنق فلان ما يزين من طوق او ما يشين من غل فانما يضاف الى الاعناق وقوله تعالى ونخرج له يوم
القيمة كتابا يلقاه منشورا معناه يدفع اليه يومئذ كتابه يرى فيه جزاء اعماله ومن قرا يلقاه بضم الياء وتشديد
القاف فالمعنى يظهر له يوم القيمة كتابا يعطاه مفتوحا فيه حسناته وسياته قال عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما يعطى المؤمن كتابه وهو صحيفته يقرا فيها سياته فى باطنها ويجد فيها عملت كذا وصنعت كذا وقلت كذا وكذا
فى سنة كذا فى شهر كذا فى يوم كذا فى ساعة كذا فى مكان كذا فاذا انتهى الى اسفلها قيل له قد غفر الله تعالى لك
اقرا ما فى ظاهرها فيقرا حسناته فيسره ما يرى فيها ويشرق لونه عند ذلك فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه الى
ظننت انى ملاق حسابيه قال ويعطى الكافر كتابه بشماله فيقرا حسناته فى باطنها فيجد فيها عملت كذا
وصنعت كذا وقلت كذا فى سنة كذا وشهر كذا فى يوم كذا فى ساعة كذا فى مكان كذا فاذا انتهى الى اخرها قيل
له هذا حسناتك قد ردت عليك اقرا ما فى ظاهر كتابك فيرى ظاهر كتابه سياته وقد حفظت عليه كل
صغيرة وكبيرة فيسوءه ذلك فيسود وجهه ويزرق عيناه ويقول عند ذلك يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه واما قوله تعالى اقرا كتابك معناه يقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اى محاسبا وانما جعل محاسبا لنفسه لانه اذا راى اعماله كلها مكتوبة وراى جزاء اعماله مكتوبا ولم ينقص من ثوابه
شىء ولم يزد فى عقابه شىء كفاه ذلك والحساب وكان الحسن رضى الله عنه يقول يا ابن آدم لقد عدل
عليك من جعلك حسيب نفسك **قوله عز وجل** من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا معناه
من يهتدى الى دين الله فمنفعة اهتدائه راجعة اليه ومن ضل عن الدين فوبال الضلالة راجع اليه
وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا يحمل احد حمل غيره ولا يؤخذ بذنب غيره ويقال معناه
ولا يعذب احد على معصية غيره وقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا معناه وما كنا معذبين
احدا على امر لم تكن الحجة فيه من جهة السمع حتى نبعث رسولا فاما ما كان الحجة فيه من جهة العقل فيجوز
التعذيب عليه قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى انما بعث الرسل على وجه اللطف وذلك انه
اذا اجتمع داعى العقل وداعى السمع الى الحق كان الامر والترهيب فيما يلزم العبد **قوله عز وجل** واذا اردنا

ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا معناه واذا
اردنا الحكم باهلاك قريه امرنا جبابرتها و روساها بالطاعة فعملوا فيها بالمعاصي وهذا كما يقال اذا اراد
حاكم ان يقضي بين الخصوم امر بتقديم الخصوم اى اذا اراد فصل الحكم بين الخصوم امر بتقديم الخصوم
ويقول الرجل لاخر امرتك فعصيتني اى امرتك ان تطيعني في القتال مرى و يقال ان ذكر الاراده في اول
هذه الايه للمجاز والمعنى اذا اردنا هلاك قرية وهذا كقوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
اى جدارا دنا انقضاضه وسقوطه ويقال اذا اراد المريض ان يموت اضطجع واستقبل يعنى اذا دنا موته
ويقال اذا اراد التاجر ان يفلس جاءته الوقايع من كل جانب اى اذا دنا افلاسه وانما ذكر الروسا والمتبوعين
لان غيرهم تبع لهم فيكون الامر لهم بالطاعة امرا للاتباع كما قال صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة
ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج ويقول العرب امر بنو فلان اى كثروا ويقرا آمرنا بالمد بمعنى اكثرنا
والكثرة شان كثرة العدد وكثرة المال ومن قرا امّرنا بالتشديد فالمعنى جعلناهم امرة وسلطانا وقوله تعالى
فحق عليها القول اى وجب عليها القول بالعذاب فاهلكناها اهلاكا **قوله عز وجل** وكم
اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا معناه وقد اهلكنا قرونا كثيرة من بعد قوم
نوح عليه السلام قال عبد الله بن ابى اوفى قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما القرن مائة وعشرون
سنه وقال محمد بن ابى القسم المازني القرن مائة سنة ويقال اربعون سنه وقوله تعالى وكفى بربك
اى اكتف بالله عالما بذنوب العباد فهو قادر على اخذهم ومجازاتهم **قوله عز وجل** من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
معناه من كان همه مقصورا على طلب الدنيا دون الاخرة نحو ان يريد بالجهاد الغنيمة وبعمله الذي
افترض الله عليه عز الدنيا ونعيمها خاصة عجلنا له فيها ما نشاء من عرض الدنيا لا ما يشاء العبد
ولمن نريد ان نعطيه لا لكل من يطلب فادخل ذكره في اعطا المراد من العاجلة استثنائين استثنا
في العطيه واستثنا في المعطين لئلا يثق الطالبون للدنيا بانهم لا محالة سينالون بسعيهم ما
يريدون وليعلموا انه تعالى اذا كان يفعل تفضلا او على وجه المصلحة لم يكن ما يفعله تبعا
لما يريده العبد ثم اخبر عن هذه حاله انه يجعل له جهنم يصلاها في الاخرة مذموما يذم نفسه
وتذمه الناس مدحورا مقصيا مطرودا مبعدا من كل خير ثم بين حال من يريد الاخرة فشرط فيه
شروطا ثلثة احدها ان يريد بعمله ثواب الاخرة بالاخلاص في النية والثاني ان يسعى في العمل الذي
يستحق به ثواب الاخرة والثالث ان يكون مومنا لانه اذا لم يعرف ربه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا عرف الفصل بين ما يكون طاعة وبين ما لا يكون كذلك لا ينتفع بما ياتي من القربة ثم اخبر ان سعيه
مشكورا عند الله تعالى ولم يستثن شيئا بعد وقوع السعي منه على الوجه المامور قال مجاهد
رضي الله عنه شكره ان يثيبهم عليها عنهم ويعفو عن سيئاتهم وسمى ذلك شكرا على وجه المجاز لانه
جزاء اعمالهم كما ان الشكر جزاء على العمل وهذا كما سمى الله النفقة قرضا على وجه التوسع حيث قال جل
ذكره من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا **قوله عز وجل** كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من
عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا معناه كل واحد من الفريقين ممن يريد الدنيا وممن يريد الاخرة
نمد من رزق ربك وما كان رزق ربك محظورا عن البر والفاجر وفي هذا بيان ان نعم الدنيا
مشتركة بخلاف نعم الاخرة التي هي خاصة للمتقين الا ترى ان سائر نعم الله تعالى من الشمس والقمر
والسما والارض بما فيهما من المنافع والهوا والما والنبات والحيوانات والاغذية والادوية وصحة الجسم

والعافية

والعافية الى ما لا يحصى من النعم شاملة للمومن والكافر واما قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في الدنيا معناه انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا بالمال والخدم ولدرجات
الاخرة اكبر من درجات الدنيا وفضائل الاخرة وثوابها ارفع مما فضلوا به في الدنيا فينبغي ان يكون
سعيهم للاخرة اكثر **قوله عز وجل** لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا
قيل ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة المكلفين كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء وقوله جل ذكره لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل هو خطاب للانسان كانه قال لا تجعل ايها الانسان
مع من له العطا عاجلا وآجلا الها اخر في قولك واقرارك فتلقى في النار مذموما من قبل الناس مخذولا يخذلك
معبودك ولا تجد من ينصرك **قوله عز وجل** وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
معناه وامر ربك الا تعبدوا الا اياه وامر بالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما وقوله عز وجل اما
يبلغن عندك الكبر قيل في معناه اذا صار فيهما حينا واحدهما كبرا وبلغت حدا للتكليف فلا تقل لهما
اف وقيل في معناه اذا بلغ عندك الهرم احد الابوين او كلاهما قد خلا في السن حتى صارا بمنزلة الطفل الذي
يحتاج الى من يتعهده فلا تقل لهما اف تقذرا حين ترى منهما شيئا من الاذى بل اميط عنهما كما كانا يميطان
عنك في حال الصغر والاف هو وسخ الاظفار والتف هو وسخ الاذنين ثم قيل لكل ما يستثقل ويضجر منه اف
وتف بالتنوين وغير التنوين بالكسر والنصب والضم ويقال معنى اف النتن والتبرم وهي كلمة تدل على الضجر
خرجت مخرج الاصوات المحكية وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو علم الله شيئا من العقوق
ادنى من اف لحرمه فليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار وقرا
حمزة والكسائي يبلغان بالتثنية ذهبا الى ان اللفظ كناية عن الوالدين جميعا ثم كرر الكلام فقال احدهما
على معنى احدهما او كلاهما الكبر وليست هذه النون نون التثنية ولكنها النون الثقيلة التي تؤكد الشرط
وقوله تعالى ولا تنهرهما اى لا تزجرهما باغلاظ وصياح في وجوههما يقال نهرت فلانا انهره وانتهرته
بمعنى واحد اذا اغلظت له وقوله تعالى وقل لهما قولا كريما اى قولا يكون فيه كرامة لهما
وعن سعيد بن المسيب رحمه الله انه قال القول الكريم هو قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ
قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا معناه وكن لهما
متضرعا متذللا وان خفض الجناح عبارة عن الخضوع والمبالغة في التذلل لان الذل لا يسر له جناح
ولا يوصف بذلك وانما هذا كما قال امرؤ القيس في وصف الليل فقلت له لما تمطى بصلبه
واردف اعجازا وناء بكلكل وليس لليل صلب ولا اعجاز ولا كلكل ولكن اراد بهذا المجاز
لثقل الليل واستوائه كذلك خفض الجناح عبارة عن غاية التواضع وعن عطا انه قال جناحك
يداك فلا ترفع يديك عند ابويك ولا تحد بصرك اليهما تعظيما لهما وعن عروة بن الزبير
رضي الله عنهما انه قال ما بر والديه من احد النظر اليهما وقوله تعالى وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا امر بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة اذا كانا مسلمين لانه قال في اية اخرى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اى هو اعلم بما في
قلوبكم من الرحمة عليهما والبر بهما وقوله تعالى ان تكونوا صالحين معناه ان تكونوا مطيعين
فانه كان للراجعين من الذنوب الى الطاعة الله تعالى غفورا والاواب هو الذي يتوب بعد مرة
كلما اذنب بادر الى التوبة [illegible] والاوبة مع الصلاح [illegible]
الله تعالى ولا بد من وجوب التوبة وان كان صالحا **قوله عز وجل** وآت ذا القربى حقه

وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اراد بذي القربى قرابة الانسان وحقه ما يصل به رحمه وعن
علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم اجمعين اراد به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وحقهم هو
الحق الذي يجب لهم من الخمس وقيل ان التاويل الاول اقرب الى ظاهر الاية لان ذكر القرابة معطوف
على ذكر الوالدين وذلك عام في جميع الناس وقوله تعالى والمسكين وابن السبيل معناه وات المسكين
وابن السبيل حقهما الذي اوجب الله لهم من الزكوة والعشر وغيرهما ويجوز ان يكون الحق الذي
يلزمه اعطاؤه اياهم هو ما يلزم عند الضرورة اليه وقوله تعالى ولا تبذر تبذيرا والتبذير تفريق
المال في المعصية قال مجاهد رضي الله عنه لو انفق درهما او مدا في معصية الله كان مبذرا وقوله تعالى
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فيه قولان احدهما انه اتباع الشياطين يتبعونهم ويجرون على
سننهم والثاني انهم يقرنون بالشياطين في النار قوله عز وجل وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ
ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا تعليم لنا ما يجب ان نفعله عند مسألة
السائلين بعد ما لحقنا ضيق وقلة ذات اليد تقول ان اعرضت عنهم لانك ما تجد ما تعطيهم وكنت
منتظرا الرزق ترجوه من الله تعالى لتعطيهم منه فقل لهم عند ذلك قولا ميسورا اي سهلا لينا نحو ان
تعدهم عدة حسنة تقول افعل وكرامة ليس عندي اليوم شيء وساعطيكم باقصى حقكم اذا ادركت الغلة او وصل
الي مالي الذي في موضع كذا او تقول رزقنا الله واياكم من فضله قوله عز وجل وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا معناه لا تبخل بالمنع عن حقوقهم
الواجبة لهم واللفظ مجاز ومراده ان الذي يترك الانفاق يكون بمنزلة من قد غلت يده الى عنقه
فلا يعطي من ماله شيئا والعرب تصف البخل بمثل هذه الصفات يقولون فلان قصير الباع ويقولون
في ضده فلان رحب الباع والذراع طويل اليدين قال النبي صلى الله عليه وسلم اسرعكن بي لحاقا
اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت اكثرهن صدقة قوله تعالى ولا تبسطها كل
البسط معناه ولا تخرج جميع ما في يدك مع حاجتك وحاجة عيالك اليه فتقعد ملوما ذا حسرة على ما
تخرجه من يدك والحسرة الغم لانحسار ما فات وحسر عن ذراعه يحسر حسرا اذا كشف عنه ودابة حسير
لانحسار قوتها بالكلال وقد قيل انه المراد بالخطاب في هذه الاية غير النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله
عليه وسلم لم يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء اصحابه
ينفقون جميع املاكهم في سبيل الله تعالى مثل ما فعله ابو بكر رضي الله عنه حتى بقي في عباءة فلم
يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليهم لصحة يقينهم وشدة بصائرهم قالوا وانما نهى الله تعالى
عن الافراط في الانفاق من خيف الحسرة على ما يخرجه من يده كما روي ان رجلا اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمثل بيضة من ذهب فقال وجدتها في معدن كذا وكذا ولا املك غيرها فتصدق
بها فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى بها حتى لو اصابته لشجته ثم قال ان احدكم
يتصدق بجميع ماله ثم يقعد يتكفف الناس وروي ان رجلا دخل المسجد عليه هيئة رثة
والنبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وامر رجلا ان يقوم فقام وطرح الناس ثيابا للصدقة وطرح
الرجل احد ثوبيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا امرته ليقوم لنفطن به وتتصدق
عليه واعطيته ثوبين ثم قد طرح احدهما فقال له خذ ثوبك قالوا ومن الدليل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن داخلا في هذا الخطاب لانه تعالى قال فتقعد ملوما محسورا ومعلوم انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن يتحسر على انفاق ما كان يملكه وكان هذا الخطاب نحو قوله تعالى فان كنت في شك
مما انزلنا اليك وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وذهب بعض المفسرين رحمهم الله

الى ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فان سبب نزول هذه الاية ما روي ان امراة بعثت ابنها
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قل له ان امي تستكسيك درعا فان قال لك حتى ياتينا شيء
فقل له فانها تستكسيك قميصك ففعل الابن كما قالت له امه فنزع النبي صلى الله عليه وسلم
قميصه ودفعه اليه ولم يبق له قميص يخرج فيه الى الصلوة فنزلت هذه الاية بما فيها من البداية
بالنهي عن الامساك مع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من عطاء القميص ثم نهاه الله تعالى عن دفع الكل
الى ان ينزع ثوبه فيبقى في البيت لا يقدر ان يخرج من العري فيكون التحسر على هذا القول لتاخر خروجه الى
الصلوة لسبب القميص قوله عز وجل إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا معناه ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء على ما يرى من المصلحة ولهذا
قرنه بقوله تعالى انه كان بعباده خبيرا بصيرا اذ الخبرة والبصر يكونان بمعنى العلم وهذا كما قال جل ذكره
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الى اخر الاية قوله عز وجل وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا معناه ولا تقتلوا اولادكم خشية
الفقر نزل في جماعة كانوا يدفنون بناتهم احياء كيلا يحتاجون الى النفقة عليهم وكان ذلك
مستفيضا فيما بينهم وهي الموؤدة التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت باي
ذنب قتلت وقوله تعالى نحن نرزقهم واياكم معناه ان رزقكم ورزق بناتكم على الله تعالى وان كان لسبب
يجري على ايديكم فان الله تعالى لو لم يقوكم على الاكتساب ولم يمكنكم من تحصيل النفقة لم تتمكنوا من تحصيله
وقوله تعالى ان قتلهم كان خطا كبيرا معناه ان دفنهم احياء كان ذنبا عظيما في العقوبة يقال خطئ الرجل
يخطا خطاء مثل اثم ياثم اثما ومن قرا خطا بنصب الخاء فيجوز ان يكون مصدر اخطا وقد يكون
الخطا من اخطا يخطي خطاء فيكون المعنى على هذا ان قتلهم كان غير صواب قوله عز وجل
وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا معنى الفاحشة ما يتفاحش قبحه ويعظم وكان
الزنا قبيحا في العقل قبل ورود السمع لان فيه قطع الانساب وما يتعلق بها من الحرمات وابطال حق
الولد على الوالد لانه ليس بعض الزناة اولى بالالحاق به من بعض ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش
وللعاهر الحجر وقوله تعالى وساء سبيلا معناه بئس الزنا طريقا لمن سلكه قوله عز وجل
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا معناه ولا تقتلوا النفس المحرم الله تعالى قتلها الا بحق يستحق قتلها فيه
وهو ان يقتل نفسا بغير حق او يزني وهو محصن او يرتد عن الاسلام وقوله تعالى ومن قتل مظلوما
معناه ومن قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه سلطانا اي لوارثه حجة في كتاب الله تعالى في ايجاب القود
على القاتل وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بهذا السلطان ان للولي ان يقتل ان
شاء وان شاء اخذ الدية او عفى وهذا انما يستقيم على قول من يقول ان للولي ان ياخذ الدية بغير رضا
القاتل ويجوز ان يكون السلطان السلطان الذي يلي الامر والنهي عليه ان يعين ولي المقتول حتى يطلب قاتله
وقوله تعالى فلا يسرف في القتل معنى السرف ان يقتل غير القاتل لان العرب كانوا يفعلون ذلك او يقتل
القاتل ليشتفي الغيظ ويقال معناه ولا تمثلوا بالقاتل في القتل وقوله تعالى انه كان منصورا معناه
ان ولي المقتول كان منصورا حكم الله تعالى له بذلك وامر المؤمنين بان يعينوه ويقال ان القتيل
كان منصورا حيث كان لوليه استيفاء القصاص قوله عز وجل وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا معناه ولا تقربوا
مال اليتيم الا بما يؤدي الى حفظه وصيانته وتثميره وانما خص اليتيم بذلك لان الطمع في ماله اكثر
وهو الى الحفظ احوج لعجزه عن حفظ ماله بنفسه وعن الدفع عن ماله ونفسه وقوله تعالى حتى

بيلغ اشده معناه حتى يبلغ ثماني عشرة سنه وهذا اول الاشد وقيل معناه حتى يبلغ وقت الحلم ويكمل عقله واما قوله تعالى واوفوا بالعهد فمعناه واوفوا بعهد الله تعالى اليكم في اموال اليتامى ان العهد كان مسؤلا عنه للجزا فحذف اكتفا بدلالة الحال ويقال ان العهد يسال يوم القيمة فيقال لم نقضت كما تسال الموءودة لم قتلت الان هذا لا يصح لان العهد لا يعقل شيا فيسال عنه **قوله عز وجل** وَاَوْفُوا الْكَيْلَ اِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَاَحْسَنُ تَاْوِيلًا معناه واوفوا الناس حقوقهم بالكيل اذا كلتم عليهم وزنوا بميزان العدل والقسطاس بضم القاف وكسرها قيل انه بلغة الرومية الميزان اي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها وهذا محمول على ان لغة العرب في هذا وافقت لغة الرومية وقوله تعالى ذلك خيرا اي ان الذي امرتكم به خير لكم واحسن عاقبة والتاويل هو الذي اليه مرجع الشي من قولهم آل يؤول وفي الاية دلالة على جواز الاجتهاد وان كل مجتهد مصيب لان ايفا الكيل والوزن لا سبيل اليه الا بالاجتهاد لان كل من كال الغني لا يمكنه القطع على انه لم يزد حبة ولا نقص حبة وانما يرجع في ايفا ما عليه من الحق الى ما يغلب على ظنه انه او في حقه فاذا فعل ذلك كان مصيبا حكم الله تعالى ولم يكلف اصابة حقيقة المقدار عند الله تعالى كذلك الحكم في مسايل الاجتهاد **قوله عز وجل** وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا معناه ولا تقل بما لا تعلمه مثل ان تقول رايت ولم تر وعلمت ولم تعلم وسمعت ولم تسمع والقفو في اللغة اتباع الاثر كانه تتبع قفا الاثر ومنه العيافة كانت العرب يتبعون فيها اثار الابل ويقال تقفوت الشي واقفوه اذا اتبعت اثره والمعنى على هذا لا تتبعن لسانك من القول ما ليس لك به علم وفي قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد بيان ان الله تعالى علينا حقا في هذه الاعضا وهذا من جوامع الكلم فان المرء مسؤل يوم القيمة عما يفعله بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحل والنظر الى ما لا يجوز والارادة لما يقبح **قوله عز وجل** وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا اِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْاَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا معناه ولا تمش في الارض بالتكبر وشدة الفرح انك لن تقدر ان تخرق الارض بقدميك ولا ان تبلغ الجبال طولا فاستصغر نفسك عندما ترى من سعة الارض وبسطها وعظم الجبال وطولها فانك لن تبلغ ما تريد بكثير مشيك فكيف تتكبر وتختال على وجه الارض من قرا مرحا بنصب الرا فهو المصدر ومن قرا بكسر الرا فهو اسم الفاعل وكلاهما خبر بالغ الا ان المصدر اوكد في الاستعمال يقال جا زيد ركضا وجا راكضا واما قوله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فمعناه كل ما تقدم ذكره كان سيئة عند ربك مكروها لان فيما تقدم من قوله تعالى وقضى ربك الى هذه الاية ذكر الحسن والسيئ ومن قرا سيئة بالتا والتنوين فالمعنى كل ما نهيتك عنه كان خطيئة عند ربك **قوله عز وجل** ذٰلِكَ مِمَّا اَوْحٰى اِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتُلْقٰى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا معناه ذلك الذي سبق ذكره من هذه الاشيا مما اوحى اليك ربك من صواب القول والعمل ولا تجعل مع الله الها اخر فتتركه فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى **روى** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الثماني عشرة اية من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا الى قوله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها كانت في الواح موسى عليه السلام حين كتبها الله تعالى له وقد انزلها الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على راس اثنين وعشرين اية من اول هذه السورة وهي في الكتب كلها موجودة لم تنسخ قط **قوله عز وجل** اَفَاَصْفٰىكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ اِنَاثًا اِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا انكار على مشركي مكة في قولهم ان الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك المعنى افحكم ربكم لكم بالبنين خلص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه فاخلصكم بالاجل وجعل لنفسه الادون لا يكون هذا من الحكمة ان يخص الحكيم عدوه بالاشرف ويختار لنفسه الادون او يجعل الادون مشتركا بينكم وبينه انكم لتقولون قولا عظيما في الكفر والفرية على الله تعالى **قوله عز وجل** وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا

الْقُرْاٰنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ اِلَّا نُفُورًا معناه ولقد صرفنا في هذا القران من الامثال والعبر ليتعظوا بها وما يزيدهم تصريفنا الامثال والعبر الا تباعدا عن الايمان واضاف النفور الى القران لانهم يزدادون النفور عنده كما قال نوح عليه السلام فلم يزدهم دعاي الا فرارا اضاف فرارهم الى دعايه لانهم انما فروا عند دعايه **فان قيل** اذا كان من المعلوم انهم يزدادون النفور عند انزال القران كان يجب ان تكون الحكمة في ترك انزاله **قيل** انما يكون هكذا اذا لم يكن في ترك انزاله مصلحة اعظم من هذا واما اذا كان المعلوم ان عند انزاله يصلح جماعة لا يصلحون عند ترك انزاله فان الحجة لازمة يدون انزاله وان هولا الذين يرتدون عن الايمان عند انزاله كانوا يفسدون فسادا اعظم من هذا عند عدم انزاله فالحكمة تقتضي انزاله **قوله عز وجل** قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ اٰلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ اِذًا لَابْتَغَوْا اِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا معناه قل لو كان مع الله الهة كما تقولون انتم اذا لطلبوا ما يقربهم الى مالك العرش لعلوه عليهم وكونه افضل منهم وهذا قول مجاهد رضي الله عنه **وذهب** اكثر المفسرين رضي الله عنهم الى ان المعنى لطلبوا مغالبته وابتغوا طريقا الى قهره كفعل الملوك بعضهم ببعض يطلب كل واحد منهم مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وقوله تعالى سبحانه كلمة تنزيه لله عز وجل عن كل ما لا يليق به من الولد والشريك وقوله جل ذكره وتعالى عما يقولون اي ترفع عما يقولون من اضافة البنات الى الله تعالى وقوله تعالى علوا كبيرا اي تعظيما كبيرا ولم يقل تعاليا لان المصدر قد يذكر على غير لفظ الاول كما في قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا **قوله عز وجل** تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا قال ابرهيم النخعي وجماعة من المفسرين رحمهم الله ان كل شي يسبح الله تعالى حتى صرير الباب ولهذا قال جل ذكره ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون تسبيحهم وقال الحسن رضي الله عنه معناه وان من شي حي الا يسبح بحمده فاذا صار مواتا ترك التسبيح وقال رضي الله عنه وكل شي ما دام في اصله فهو حي فاذا ابين صار مواتا حتى الشجر والجبل وغيرهما **وذهب** بعض المفسرين رحمهم الله الى ان المعنى وان من شي الا وينزه الله تعالى بدلالته على نفي ما لا يليق به فانه لا شي الا وفيه دليل على ان الله تعالى خالقه وان خالقه حكيم مبرا من الاسوا ولكنكم ايها الكفار لا تعلمون دلالة هذه الاشيا على الله تعالى وقوله تعالى انه كان حليما غفورا معناه حليما بعباده لا يعجل بعقاب الكفار غفورا يستر الذنوب على عباده **قوله عز وجل** وَاِذَا قَرَاْتَ الْقُرْاٰنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا انزل في قوم من المشركين كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل عند الكعبة وكان يقرا القران ويرفع صوته ليستدعي الناس الى الايمان وكان جماعة من المشركين ابو جهل وغيره يرصدونه ليوذوه فشغل الله تعالى قلوبهم عن الاستماع الى قراته وتامل كلامه كيلا يوذوه وقوله تعالى مستورا معناه عن ابصار الناس فان ذلك الحجاب الذي جعله الله تعالى بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم كان يمنعهم عن رويته وكان ذلك الحجاب لا يرى في نفسه كما روي ان ام جميل امراة ابي لهب جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم لتضرب عليه شيا وكان ابو بكر رضي الله عنه عنده فرات ابا بكر رضي الله عنه ولم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لابي بكر رضي الله عنه اين صاحبك فقال ابو بكر رضي الله عنه انا ها هنا وقيل معنى مستورا ساترا لهم عن ادراكه كما يقال هو مشوم عليه او ميمون في موضع شايم ويامن **قوله عز وجل** وَجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي اٰذَانِهِمْ وَقْرًا وَاِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْاٰنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلٰى اَدْبَارِهِمْ نُفُورًا معناه منعناهم عن تدبر كلام النبي صلى الله عليه وسلم في وقت مخصوص وهو الوقت الذي ايذاه فيه وفي ذلك الوقت صرفناهم عن الاستماع اليه ويجوز ان يكون معنى وجعلنا على قلوبهم جعلناها بالحكم انهم بهذه المنزلة وهذا على جهة التشبيه ذما لهم على الامتناع عن تدبر الحق والاستماع اليه الا انه حذف كلمة التشبيه للمبالغة في التشبيه وقد ذكر ذلك في مواضع اخر فقال جل ذكره كان في اذنيه وقرا وقال عز من قايل في موضع اخر اخبارا عنهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه

وفي اذاننا وقرا وارادوا بذلك انا لا نقدر على الاستماع الى كلامك لثقل كلامك علينا كان في اذاننا وقرا وعلى قلوبنا
اكنة وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان المراد بقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه طبعنا على
قلوبهم ومنعناهم عن تفهم كلامه الا ان في هذه الايات ما يمنع هذا التاويل لانه تعالى قال من قبل ولقد صرفنا في
هذا القران ليذكروا ولا يجوز ان يصرف لهم في القران الامثال والعبر ليذكروا ثم يمنعهم عن التذكر والتفهم
لانه قال في اخر هذه الاية واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي رجعوا على اعقابهم
متباعدين عنك ولو كان يمنعهم عن تفهم كلام الله تعالى لم يقل ولوا على ادبارهم نفورا والنفور جمع نافر
كقاعد وقعود وجالس وجلوس **قوله عز وجل** نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك
واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا معناه نحن اعلم بما يستمعون اليه
من قراءة القران انهم لماذا يستمعون وان قصدهم به الاذى دون طلب الحق يستمعون الى قراءتك واذ هم
ذو نجوى في امرك يتناجون فيقول بعضهم هذا كاهن ويقول بعضهم هذا ساحر وبعضهم مجنون
وبعضهم يقولون شاعر وقوله تعالى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا معناه انهم يقولون ما
تتبعون الا رجلا مغلوب العقل قد سحر وازيل عن حد الاستواء ويقال معناه ما تتبعون الا رجلا ذا سحر
ياكل ويشرب ماخوذ من السحر وهو الرية تقول العرب للجبان انتفخ سحره **قوله عز وجل** انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا معناه انظر كيف وصفوا لك الاشباه فشبهوك بالمجنون
والكاهن والساحر حتى نسبوك الى انك مسحور حين لم يكن لهم الى المقاومة فيما اتيت به سبيل ولا على ابطاله دليل
قوله عز وجل وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة
او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون
اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون
ان لبثتم الا قليلا معناه وقالوا اذا صرنا عظاما بالية وصرنا ترابا انا لنبعث بعد ذلك والرفات في اللغة
كل شيء تحطم وتكسر حتى يعود كالحطام والرضاض وقوله تعالى قل كونوا حجارة معناه قل لهم يا محمد كونوا حجارة
او حديدا واقوى من الحديد اي شيء تستعظمونه من الخلق نحو
ان قدرتم عليها واشد منها ان تكونوا حديدا كما اي لو كنتم حجارة او حديدا
السموات والارض والجبال فاني اعيدكم لا محالة ويقال معنا ما يكبر في صدوركم
او الموت الذي هو اكبر الاشيا في صدوركم لاعادكم الله تعالى على ما كنتم عليه من قبل وقوله تعالى فسيقولون
من يعيدنا معناه اذا قلت لهم ذلك فسيقولون لك من يعيدنا قل لهم ان الذي يعيدكم هو الذي خلقكم اول
مرة لان من قدر على البنا كان على الهدم اقدر وقوله تعالى فسينغضون اليك رؤوسهم معناه فسيحركون
اليك رؤوسهم تعجبا لقولك والانغاض تحريك الراس بالارتفاع والانخفاض على جهة الاستهزاء والاستبطاء
وقوله تعالى ويقولون متى هو اي يقولون لك متى تكون الاعادة قل لهم عسى ان تكون الاعادة قريبة يوم
يدعوكم في النفخة الثانية فتستجيبون داعي الله تعالى حامدين لله تعالى وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا
الا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا الى الاخرة كما قال الحسن رضي الله عنه كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل
ويجوز ان يكون المراد بقوله تعالى وتظنون قلة اللبث في القبور حين يطول لبثهم في القيمة للمحاسبة
قوله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا وذلك ان المشركين كانوا يوذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالقول والفعل فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها وقل للمومنين
يقولون للكفار المقالة التي هي احسن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه الرفق والتلطف
ان الشيطان يغري المشركين على المومنين فيوقع العداوة بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مظهرا
للعداوة وكان هذا قبل ان امر المسلمين بالقتال **قوله عز وجل** ربكم اعلم بكم ان

يشا

يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا معناه ربكم اعلم باحوالكم يدبر اموركم على ما يعلم
من المصلحة لكم ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشا يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم حفيظا لاعمالهم تؤخذ
بهم فان عقاب اعمالهم عليهم **قوله عز وجل** وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا معناه وربك اعلم بمن في السموات من الملائكة وبمن في الارض
من الانبياء لم يختر بعض الملائكة والانبياء صلوات الله عليهم لميله اليهم وانما اختارهم لعلمه بباطنهم ولقد فضلنا
بعض الانبياء عليهم السلام على بعض لما علمنا من باطن احوالهم بما وجب تفضيل بعضهم على بعض واتينا
داود زبورا يعني الكتاب الذي اعطاه الله تعالى اياه وهو مائة وخمسون سورة ليس فيه حكم ولا فريضة وانما
هو ثنا على الله عز وجل قال الحسن رضي الله عنه وجميع الكتب زبور ذهب الى انه ماخوذ من الزبر وهو الكتابة
قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
ان عذاب ربك كان محذورا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان ناسا من خزاعة
كانوا يعبدون الجن ويرون انهم هم الملائكة فقال الله تعالى قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم لخزاعة الذين
يعبدون الجن ادعوا الذين زعمتم من دون الله عند الشدة والقحط الذي اصابكم فلا يقدرون على دفع الشدة
عنكم ولا على التحويل الى غيركم بين الله تعالى بهذه الاية ان من كان بهذه الصفة لا يصلح للالهية ويقال نزلت الاية
في اليهود والنصارى اي قل لهم ادعوا عزيرا وعيسى وامه عليهم السلام وقوله تعالى اولئك الذين يدعون
معناه اولئك الذين يدعونهم الهة من المسيح والملائكة يطلبون التقرب الى الله تعالى فكيف تعبدونهم انتم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الاية ان ناسا من الانس كانوا يعبدون قوما من الجن فاسلم
الجن وبقي الانس على كفرهم فانزل الله تعالى هذه الاية اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة يطلبون
ان يعلموا ايهم اقرب الى الله تعالى ويرجون جنته ويخشون عذابه ان عذاب ربك كان مما يجب الحذر عنه
قوله عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا معناه وما من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت او معذبوها
بعذاب الاستيصال كان ذلك في الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملائكة مكتوبا فانه تعالى كتب فيه كيف يهلكهم
ومتى يهلكهم وباي عذاب يهلكهم **قوله عز وجل** وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب
بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا وذلك ان قريشا
سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا فانزل الله تعالى هذه الاية اي ان حولته ذهبا ولم
يؤمنوا امرا مهلهم كسنتي فيمن قبلهم وسمي ذلك منعا على المبالغة فانه لا يمنع وقوع ارسال تلك الايات فكانت
تلك الحكمة والمعنى ... ورسالها لفظ المنع في هذا على طريق المجاز لان المنع لا يجوز على الله تعالى وقوله
تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة معناه واخرجنا لثمود الناقة ليبصروا بها الهدى من الضلالة والسعادة
من الشقاوة ويجوز ان يكون مبصرة بمعنى ذات ابصار وقوله تعالى فظلموا بها اي جحدوا بها انها من الله تعالى
وعقروها وقوله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا معناه وما نرسل بالايات التي نظهر على الانبياء
صلوات الله عليهم ... الا لتخويف الناس وتحذيرهم عن معاصيهم وهذه الايات
غير الايات المذكورة في اول هذه الاية لان تلك الايات هي الايات المقترحة وهذه الايات هي الاعلام التي
تظهر على الانبياء صلوات الله عليهم واعلم ان رسل الله تعالى الايات التي اقترحوها حتى اذا لم يومنوا
اهلكهم الله بعذاب الاستيصال لانه كان من المعلوم من حال بعضهم انه يؤمن ومن حال بعضهم انه يولد
منه من يؤمن ومن حال بعضهم ان في ذريته من يؤمن وينصر النبي صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل**
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة

في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا معناه وقد قلنا لك ان ربك احاط بالناس علما وقدرة
وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ذهب اكثر المفسرين رحمهم الله الى ان المراد
بهذه الرؤيه رؤية العين وهي ما ذكر في اول هذه السورة من اسرا النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وسماها فتنة على معنى انها شدة في التكليف كما روي ان المشركين
استعظموا ذلك وبادروا الى التكذيب به حتى قال ابو بكر رضي الله عنه اني اصدقه في اعظم من هذا وذهب
بعضهم رضي الله عنهم الى ان المراد به الرؤية في المنام فان النبي صلى الله عليه وسلم كان راى في منامه
انه سيدخل مكة كما قال الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وسماها فتنة لان الناس
افتتنوا فانه صلى الله عليه وسلم لما صد عام الحديبية من دخول مكة مشى الناس الى ابي بكر رضي الله عنه
فقالوا اليس الله وعد نبيه دخول مكة فقال ابو بكر رضي الله عنه فهل قال في هذه السنه قالوا لا قال فسيدخلها
لا محالة وقوله تعالى والشجرة الملعونة في القران معناه وما جعلنا الشجرة الملعونة في القران الا
فتنة للناس واراد بالشجرة الملعونه شجرة الزقوم تقول العرب لكل طعام ضار ملعون وسماها فتنة لانهم
قالوا ان النار تاكل الشجر فكيف تنبت الشجرة في النار وقوله تعالى ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا
معناه نخوفهم بما نرسل من الايات فما يزدادون الا تجاوزا عن الحد قوله عز وجل واذ قلنا
للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا قد تقدم تفسير اول الايه وما قيل في الاستثنا ان ابليس
من جملة الملئكة وقوله تعالى قال ءاسجد لمن خلقت طينا معناه قال ابليس ااسجد لمن خلقته من طين
وهو ادم عليه السلام وهذا اللفظ استفهام بمعنى الانكار فكان انكاره ذلك على معنى ان الفروع انما
ترجع الى الاصول وان النار اكرم من الطين وقد بينا ان ذلك ذهب عليه بجهله وان الله تعالى يصرف الاشيا
كيف يشا مع ان في الطين من المنافع ما ليس شي منها في النار وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
معناه قال اخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين
وحذف هذا الجواب لان في الكلام دليلا عليه والكاف في قوله ارايتك لا موضع لها لانها ذكرت في المخاطبة
توكيدا وقوله تعالى لئن اخرتني الى يوم القيمة معناه لئن اخرت اماتتي الى يوم القيمة لاستاصلن ذريته
باغوايهم الا قليلا منهم وهم الذين عصمتهم مني تقول العرب قد احتنكت السنة اموالنا اي
استاصلتها واحتنك الجراد ما على الارض ويقال معنى لاحتنكن لاقتطعن ذريته الى المعاصي يقال احتنك
فلان ما عند فلان من مال او علم اذا اقتطعه ويقال معناه لاقودن ذريته الى المعاصي والى النار
من قولهم حنك دابته يحنكها حنكا اذا شد في حنكها الاسفل حبلا يقودها به وانما طمع الملعون في ذلك
لانه لما عرف عقل ادم عليه السلام وعزمه عرف ان ذريته يكونون اضعف منه ويقال انما
طمع في ذلك لقول الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقوله تعالى
قال اذهب فمن تبعك منهم معناه قال الله تعالى لابليس اذهب فمن تبعك من ذرية ادم عليه السلام
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وافرا ويقال مكملا يقال وفرت على فلان ماله ووفرته بالتشديد
والتخفيف بمعنى واحد قوله عز وجل واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا معناه واستزل من استطعت منهم بدعايك
وموضع قوله بصوتك موضع قوله بدعايك من قولهم صوت بفلان اذا دعاه ويقال اراد بالصوت صوت
الغنا والمزامير وهذا على وجه التهديد وان كان في صورة الامر كما في قوله تعالى اعملوا ما شئتم وكما

قوله

يقول الرجل لاخر ادخل هذه الدار وانت رجل وانما يقول له ذلك بعد ما تهدده وتوعده وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان ادم عليه السلام اوصى اولاد هابيل ان
لا يخالطوا اولاد قابيل وكان لقابيل بنات حسان فاهبطت ادم عليه السلام الى اسفل الجبل
واسكن اولاد هابيل على الجبل فلم يدر ابليس كيف يصنع باولاد هابيل فاتخذ مزمارا فصفر فيها
فلم يتمالك ولد هابيل الى ان انحدروا من الجبل الى سفله فلما نظروا الى بنات قابيل واقعوا الزنا
فهو اول زنا وقع على وجه الارض وهو اول مزمار اتخذ على وجه الارض واما قوله تعالى
واجلب عليهم بخيلك ورجلك فالجلب والاجلاب هو قود الشي وسوقه بالصوت يقال للغنم جلب
وجلوبة اي جلبت من موضع الى اخر قال الحسن رضي الله عنه كل راكب في معصية الله تعالى
هو من خيل الشيطان وكل ماش في معصية الله فهو من رجل الشيطان ورجال ورجل جمع راجل
كما يقال صاحب وصحب وصحاب ومن قرا ورجلك بنصب الرا وكسر الجيم فيجوز ان يكون معناه وراجلك
وهو لفظ وحدان اريد به الجنس ويقال معنى قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اجمع
عليهم ما امكنك ان تجمع وتعمل وهذا يكون على طريق الاهانة لا ان له خيلا ورجلا كما يقول الانسان
لغيره اجمع خيلك ورجلك اي افعل ما امكنك ان تفعل وقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد
فشركته في الاموال ان يجعلوا شيا من اموالهم لغير الله تعالى كما جعلوا في الحرث والانعام وشركته
في الاولاد ان يسموا اولادهم عبد يغوث وعبد شمس وعبد المسيح وعبد الحارث ويقال اراد به
المهودوا المهود الذي هوده ابواه ونصراه وقوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اي منهم بما شيت من الغرور من طول الحيوة والتشكيك في البعث وما يكون من مواعيد الشيطان
الا غرورا اي تزيينا باطلا وقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي ليس لك عليهم
سلطان الا في الوسوسه والدعا الى المعصيه فاما ان تمنعهم عن الطاعه او تحملهم على المعصية فلا
ويجوز ان يكون المراد بعبادي المخلصين الذين لا يرون غير الله تعالى ليس لابليس عليهم حجة
وقوله تعالى وكفى بربك وكيلا اي كفى بربك حافظا لان الوكيل بالشي يكون حافظا له ثم ذكر سبحانه
نعمه على عباده فقال جل ذكره ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر
لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما معناه ربكم الذي يزجي لكم السفن في البحر لتطلبوا ما
يكون مصلحة لكم في دنياكم واخرتكم انه كان بكم رحيما حين انعم عليكم بهذه النعم ووجه
اتصال هذا بما قبله بيان ان الله تعالى حفظ عباده المخلصين عن ضرر الشيطان كما انعم على
الناس بان ازجى لهم الفلك في البحر والازجا سوق الشي حالا بعد حال قوله عز وجل
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا معناه واذا مسكم الشدة في البحر عند عصف الرياح وتراد الامواج ضل من
تدعون من الاصنام عن تخليصكم ولا ترجون الا من الله تعالى فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن طاعة
الله تعالى ورجعتم الى ما كنتم عليه وكان الانسان كفورا للنعم الا من عصمه الله تعالى قوله عز وجل
افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما
كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا معناه افامنتم يا اهل مكة وايها الذين يعصونه ولا يشكرونه
ان نخسف بكم ناحية من البر الى الارض السفلى كما فعل بقارون او يرسل عليكم حجارة من فوقكم كما ارسل على
قوم لوط والحاصب التراب الذي فيه الحصبا ويقال حصبه بالحجارة اذا رماه بها ثم لا تجدوا ما [illegible] وقوله تعالى
ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي لا تجدوا حافظا يحفظكم من عذاب الله تعالى ويدفع العذاب عنكم وقوله تعالى

ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى معناه ام امنتم ان يعيدكم الله تعالى في البحر مرة اخرى فيرسل عليكم ريحا شديدة تعصف السفن فيغرقكم بكفركم ثم لا تجدوا احدا تبيعنا فيطالبنا بدمائكم والتبيع من يتبع عنه لامر **قوله عز وجل** ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا معناه عاملنا بني ادم معاملة الاكرام بالنعمة على المبالغة في الصفة وهذا على الجنس وان كان فيهم الكافر المهان كما في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله اجرى الصفة عليهم لما كان فيهم من هو كذلك ويجوز ان يكون المراد بالتكريم تفضيل بني ادم على ساير الحيوانات بالصور والعقول يهتدون الى كسبهم ومعاشهم وخيرهم وشرهم وتسخيرهم ساير الحيوانات وقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر اي في البر على الدواب وفي البحر على السفن في البر على الرطوبة فان الدواب لحم وعظم ودم وفي البحر على اليبوسة فان السفن من الخشب اليابسة وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات اي جعلنا رزقهم الين واطيب من رزق الدواب فان رزقهم الحبوب والفواكه والعسل والاطعمة اللذيذة ورزق الدواب التبن والحشيش والشوك وقوله تعالى وفضلناهم اي فضلناهم على كثير من حيوانات البر والبحر ومن تفضيلهم انهم ياكلون بالايدي وغيرهم من الحيوانات انهم ياكلون بالافواه ويقال ان ابن ادم يمشي قايما منتصبا وساير الحيوانات تمشي منكبة ولم يقل في الاية على كل من خلقنا لان الله تعالى فضل الملائكة كما قال جل ذكره ولا الملائكة المقربون ولكن ابن ادم مفضل على ساير الحيوانات **قوله عز وجل** يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا معناه واذكر يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بدينهم ويقال بداعيهم في الدين الى الهدى او الى الضلالة يقال هاتوا متبعي ابرهيم عليه السلام هاتوا متبعي موسى عليه السلام هاتوا متبعي عيسى عليه السلام هاتوا متبعي محمد صلى الله عليه وسلم فيقومون وياخذون كتبهم بايمانهم ويقال هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الطغاة فيقومون ويعطون كتبهم بشمالهم ويقال يدعى كل انسان بكتاب عمله فيقال اين صاحب هذا الكتاب ابن فلان ابن فلان المصلي وابن فلان بن فلان الصوام الى ان ينادي بالمعازف والمغاني والرقاص فيدعى كل انسان بعمله وقوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه معناه من اعطي كتابه الذي فيه ثواب اعماله بيمينه فاولئك يفرحون ويسرون بما يقرؤن ولا ينقصون من ثواب اعمالهم مقدار الفتيل والفتيل القشرة التي في شق النواة ويقال هو الوسخ الذي تفتله بين اصبعيك **قوله عز وجل** ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا معناه من كان في هذه الدنيا التي هي شاهدة له في تدبيرها وتصريفها وتقلب النعم فيها اعمى عن الحجة لا يتفكر بقلبه في ملكوت السموات والارض فهو في امر الاخرة التي هي غايبة عنه اشد عمى واخطا طريقا ويقال معناه من كان في الدنيا اعمى عن الحق فهو في الاخرة اشد تحيرا من طريق الجنة **قوله عز وجل** وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وذلك ان ثقيفا ارسلوا وفدهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فقالوا يا محمد نحن اخوالك واصهارك وجيرانك وخير اهل نجد لك سلما واضرهم عليك حربا ان سالمنا سالم من بعدنا وان حاربنا حارب من بعدنا فقال عليه السلام ماذا تريدون قالوا نبايعك على ان تعطينا ثلث خصال ان لا ننحني يعنون في الصلوة وان لا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا بالطاغية سنة يعنون الاصنام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا صلوة فيه ولا ركوع ولا سجود واما قولكم على ان لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم ونحن نبعث لها من يكسرها واما الطاغية فهي اللات والعزى غير ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله فانا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا

مالم

مالم نعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل لا رجاء ان يسلموا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها قد كادوا ليفتنونك اي يصرفونك عن الذي امرناك به من كسر الهتهم وعيب دينهم لتقول علينا غير الذي امرناك به ولو فعلت ما ارادوه لاتخذوك صفيا لمتابعتك اياهم ولولا ان ثبتناك بالالطاف لقد كدت تميل اليهم شيا قليلا قال الحسن رضي الله عنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله الا الهم الذي يخطر على البال واما العزم عليه فلا فلما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا ادنى من ذلك وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات معناه انك لو ملت اليهم مع كثرة الزواجر عنه لاذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الاخرة لفساد العباد بذلك ثم لا تجد لك علينا مانعا يمنعنا من بعدك **وذهب** السدي رضي الله عنه في هذه الايات الى ان قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك ترفض الهتنا كل الرفض فلو انك تاتيها فتلمسها وتمسحها او تامر بعض ولدك فيمسحها كان ارق لقلوبنا واحرى ان نتبعك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث ابنه طاهرا ليمسحها فنهاه الله تعالى عن ذلك ويقال انهم قالوا لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا ويقال انهم قالوا اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم وهولاء الذين رايحتهم كرايحة الضان حتى نتبعك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل شيا مما يستدعي به اسلامهم فانزل الله تعالى هذه الايات **قوله عز وجل** وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة حسدته اليهود فاتوه فقالوا يا محمد انبي انت قال نعم من عند الله تعالى فقالوا فوالله لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء الشام كان بها ابرهيم عليه السلام وعيسى بن مريم فان كنت نبيا فات الشام فان الله تعالى سيمنعك بها من الروم ان كنت رسوله وهي الارض المقدسة وارض المحشر فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرج الى الشام فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومعناها وقد كادوا ليستزلونك من ارض المدينة ليخرجوك منها الى الشام واذا اخرجوك لا يلبثون خلفك الا قليلا الا مدة يسيرة حتى يهلكهم الله تعالى ومن قرا خلافك فمعناه في مخالفتك وقوله تعالى سنة من قد ارسلنا نصب على المصدر والمعنى سن بهم سنة من قد ارسلنا فان سنة الله تعالى قد جرت فيمن قبلك من الرسل بان اممهم اذا اخرجوهم من مواضعهم لم يلبثوا الا قليلا فالسنة هي العادة الجارية وقوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا يقدر احد على تحويل السنة التي اجراها الله تعالى وذهب بعض المفسرين رضي الله عنهم الى ان هذه الاية مكية نزلت في هم قريش بقتل النبي صلى الله عليه وسلم واخراجه من مكة على ما تشاوروا فيما بينهم فلم يمكنهم اخراجه من مكة لمكان قومه ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالهجرة الى المدينة فهاجر بامر الله تعالى غير ان التاويل الاول اصح **قوله عز وجل** اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال معناه اقم الصلوة لغروب الشمس والصلوة المامور بها في هذا القول هي المغرب والغسق بدو الليل يقال غسقت القرحة اذا انفرجت فظهر ما فيها وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في احدى الروايتين مثل قول ابن مسعود رضي الله عنه وقال في الرواية الثانية وهو قول الحسن رضي الله عنه ومجاهد وقتادة رحمهما الله ان دلوكها ميلها للزوال والصلوة المامور بها عند هولاء الصلوات لمواقيتها صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والغسق على هذا القول هو اجتماع ظلمة الليل ثم افردت صلوة الفجر بالذكر فقيل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا

اى صلوة الفجر يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار يصلونها مع المسلمين ثم تعرج ملائكة الليل فيقول
نوكنا يا ربنا عبادك وهم يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون لك وقيل انما استعمل
لفظ الدلوك فى هذا الموضع مع ان الدلوك فى اللغة الميلان لان الناظر اذا نظر الى الشمس عند الزوال دلك عينه
لشدة شعاعها واذا نظر اليها عند غروبها دلك عينه ليتبينها وانما سميت صلوة الفجر قرآنا لان القران فيها
اطول ولان القراة وبضعها فى الركعتين جميعا وفى هذا بيان ان الصلوة لا تكون الا بقراة واما قوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك فالتهجد هو التيقظ بعد النوم يقال هجد اذا نام وهجدته اذا نومته وتهجد
اذا استيقظ لما ينفى النوم فالمعنى واقم الصلوة بالليل بعد التيقظ من النوم نافلة لك اى تطوعا لك ويقال
فضيلة لك وانما خصه الله تعالى بذكر هذه النافلة له مع كون ذلك نافلة له ولغيره لما فى فعله صلى الله عليه وسلم
من صلاح امته واستنانهم بسنته **وروى** انها كتبت عليه ولم تكتب على غيره فكانت فضيلة له **وقال** مجاهد
رضى الله عنه هى نافلة للنبى صلى الله عليه وسلم وكفارة لغيره فانه كان لا يحتاج الى الكفارة وانما كان غيره يحتاج
اليها **وقد روى** ما يدل على اثبات النافلة لغير النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما روى ابو امامة عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال الوضوء يكفر ما قبله وتصير الصلوة نافلة قيل انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
غير مرة ولا مرتين ولا ثلث ولا اربع ولا خمس والنافلة فى اللغة الزيادة ويقال لولد الولد نافلة لانه
زيادة على الولد والانفال ما زاده الله لهذه الامة وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اى المقام
الذى تحمد عاقبته وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد وتجتمع تحته الملائكة والانبياء صلوات الله عليهم
فيكون صلى الله عليه وسلم اول شافع واول مشفع وقد قدمنا ان عسى من الله واجب **قوله عز وجل**
وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال بعضهم
رحمهم الله معناه ادخلنى المدينة واخرجنى من مكة ويقال ادخلنى فيما امرتنى به واخرجنى عما نهيتنى عنه
ويقال ادخلنى مدخل صدق فى جميع الامور وقوله تعالى واجعل لى من لدنك اى من عندك قوة امتنع بها من
عاداني ويقال حجة اتقوى بها على سائر الاديان الباطلة **قوله عز وجل وقل جاء الحق وزهق**
الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ومعنى الحق هو ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الشرائع والاسلام وما جاء من القران
والباطل هو الاديان الباطلة والزهوق هو الذهاب والبطلان يقال زهق نفس فلان اذا اخرجت الى
الهلاك روى ان هذه الاية نزلت بعد فتح مكة لما افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد حول
الكعبة ثلثمائة وستين صنما فجعل يطعنها بمخصرة فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا فكان الصنم سكب لوجهه واهل مكة يتعجبون فيما بينهم ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين معناه ان المسلمين فى
الدنيا والاخرة يتبركون بقراته على انفسهم ويستعينون به على دفع الاسقام والبلايا ويهتدون به الى
دينهم وقوله تعالى ورحمة للمؤمنين اى نعمة من الله تعالى عليهم ولا يزداد الكفار عند نزوله
الا خسارا واضاف ذلك الى القران على هذا المعنى كما اخبر تعالى عن نوح عليه السلام انه قال فلم
يزدهم دعائى الا فرارا اى لم يزدادوا عنده دعائى الا فرارا **قوله عز وجل واذا انعمنا**
على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا معناه واذا انعمنا على الانسان بكشف الضر او تبديل بؤس النعمة
اعرض عن شكره وتباعد عن ذلك بنفسه ونأى بجانبه واذا اصابته شدة كان قنوطا من رجاء
الفرج من الله تعالى لا يثق بتفضل الله تعالى على عباده فيطمع فى كشف تلك البلية من جهته وهذه صفة الكافر
يعرض عن شكر انواع النعم كما اعرض عن النعمة بالقران بخلاف المومن الذى يرجو من الله تعالى الرحمة

من قبله

٣٧١

من قبله وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قيل على طبيعته التى جبل عليها وقيل على عادته التى الفها
وفى هذا تحذير عن الف الفساد والسكون اليه وقيل شاكلته ما يشاكله ويشبهه كما قيل فى قوله تعالى
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ان الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات
من الكلام للطيبين من الناس **كما روى ان المسيح عليه السلام** مر بقوم فكلموه بكلام قبيح فرد عليهم
ردا حسنا فقيل له فى ذلك فقال كل انسان ينفق مما عنده وقوله تعالى ربكم اعلم اى انه يعلم اى الفريقين
على الهدى وايهما على الضلالة من المومنين والكفار **قوله عز وجل ويسألونك عن الروح**
قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اختلفوا فى الذى سالوا عنه النبى صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم رحمهم الله سالوه عن جبريل عليه السلام قد سماه الله تعالى روحا فى قوله
نزل به الروح الامين وقال بعضهم رحمهم الله سالوه عن القران وقد سماه الله تعالى روحا كما قال جل
ذكره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا **وعن** امير المومنين على رضى الله عنه انه قال الروح ملك من
الملائكة له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان من هذه الالسنة
فسالوه عن ذلك الملك **ويقال** اراد به روح الحيوان وهو ظاهر الكلام وفى روح الحيوان خلاف بين
اهل العلم ما هو وكل حيوان فهو روح وبدن الا ان منهم من الاغلب عليه الروح ومنهم من الاغلب عليه
البدن وروح الحيوان جسم رقيق على بنية حيوانية وفى كل جزء منه حيوة وقوله تعالى قل الروح من امر ربى
اى من الامر الذى يعلمه ربى وانما لم يجبهم عن ذلك لان اليهود هم الذين كانوا يسالونه عن الروح وكان
فى كتابهم ان اجاب عن الروح فليس بنبى فلم تجبهم تصديقا لما فى كتابهم وكانت المصلحة فى هذا ان لا
يعرفهم الروح من جهة النص بل يكلهم فى معرفته الى ما فى عقولهم لما فى ذلك من الراحة واستخراج الفائدة
وقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا معناه وما اعطيتم من العلم المنصوص عليه الا قليلا من كثير
بحسب حاجتكم اليه فالروح من المتروك الذى لا يصلح النص عليه لامور من الحكمة تقتضى تركه **وقد روى**
عن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه الاية على اليهود قالوا اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد
تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فاعلمهم الله تعالى ان علم التورية قليل فى علم الله تعالى
فقال جل ذكره ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر الى اخر الاية **قوله**
عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا
رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا معناه ولئن شئنا لمحونا القران من القلوب والكتب
والسينا ذكره حتى لا يوجد له اثر ثم لا تجد لك به علينا وكيلا تتوكل عليه فى رد شئ منه وقوله تعالى
الا رحمة من ربك استثناء ليس من الاول لكن الله تعالى رحمك فاثبت ذلك فى قلبك وقلوب المومنين فتدبر
بتدبير ربك وارض بما اختاره لك لان فضل الله تعالى كان عليك عظيما حيث اختارك للنبوة
واصطفاك للرسالة وخصك بالوحى والقران **قوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس**
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معناه
قل لو اجتمعوا على ان ياتوا بمثل هذا القران فى حسن النظم وجودة اللفظ وجمع المعانى الكثيرة فى
الالفاظ اليسيرة مع تعريته من ان يكون فيه لفظ ساقط او معنى متناقض لا ياتون بمثله فى
هذه الوجوه ولو كان بعضهم لبعض معينا فان كلام العباد اذا طال لا يخلو من الفاظ ساقطة
ومعان فاسدة ومتناقضة وانما رفع لا ياتون بمثله فلان جواب القسم غالب على جواب ان
لو وقعه فى صدر الكلام **قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس فى هذا القران من**
كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا معناه ولقد صرفنا لهم فى هذا القران من كل وجه
من وجوه الكلام تخويفا وترغيبا فامتنع اكثرهم الا الجحود وانكار الحق **قوله عز وجل**

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وذلك انهم لما عجزوا عن الاتيان بسورة مثل سور القران وانقطعت حجتهم جعلوا يقترحون من الايات ما ليس لهم مع ان الذى اتاهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وانشقاق القمر وغير ذلك من دلايل النبوة كان ابلغ في الدلالة واعجب في القدرة مما اقترحوا من تفجير الينبوع وغير ذلك مما التمسوه فذلك قوله تعالى وقالوا لن نومن لك اى لم نصدقك فيما تدعى من النبوة حتى تشقق لنا من ارض مكة عينا تفور بالما والينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو نابع وسمي الفجر فجرا لانه يشق عن عمود الصبح والفجور خروج الى الفساد يشق عمود الحق وقوله تعالى او تكون لك جنة معناه بستان من نخل وكرم فتشقق الانهار في وسط ذلك البستان تشقيقا وقوله تعالى او تسقط السما معناه او تسقط السما علينا قطعا بالعذاب كما زعمت والكسف جمع الكسفة والكسف كما يقال سدرة وسدر وتقول العرب اعطني كسفة من هذا الثوب اى قطعة منه والكسوف هو انقطاع النور ويجوز ان يكون الكسف مصدرا من كسفت الشي اذا غطيته وذلك لانك قطعته بالغطا عمن يراه فكانهم قالوا تسقط طبقا علينا وقوله تعالى او تاتي بالله والملايكة قبيلا معناه تاتى بالله والملايكة يقابلوننا حتى نشاهدهم ويشهدون على صدق دعواك ويجوز ان يكون قبيلا بمعنى المقبل من قولهم قبلت بكذا اقبل قبالة اى كفلت وتقبل فلان بكذا اى تكفل به وقوله تعالى او يكون لك بيت من زخرف معناه او يكون لك بيت من ذهب والزخرف في الاصل هو الزينة كما في قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ويقال زخرفت الشي زخرفة اذا اكملت زينته وقوله تعالى او ترقى في السما معناه او تصعد يقال في الصعود رقيت ارقى رقيا وفي العوذة رقيت ارقي رقيا وقوله تعالى ولن نومن لرقيك معناه ولن نصدقك مع ذلك حتى تاتينا بكتاب من الله تعالى من هناك نقروه انك رسول من الله الينا قل لهم يا محمد سبحان ربي اي تنزيها لله عن المقابلة التي وصفتم بها فان العارف بالله تعالى يعلم انه لا تجوز المقابلة على الله تعالى وقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا كساير الرسل ولا اقدر على الاتيان بالايات المقترحة كما لم يقدر عليها من كان من قبلي من الانبيا صلوات الله عليهم وانما يمكنني ان اتي من الايات بما يظهره الله تعالى فانما يظهر الله عز وجل ما يظهر منها على قدر ما يرى من المصلحة على حسب اقتراحهم فانه على الله تعالى ازاحة العلة وليس عليه ان يفعل كل ما يقترحه معاند ولو وجب ذلك على ما يقترحه الكفار لكان لا يتناهى انزال الايات **قوله عز وجل** وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا معناه وما صرف الناس عن الايمان اذ جاهم الهدى الا شبهة دخلوها على انفسهم وهي قولهم ابعث الله بشرا رسولا وهذه شبهة ضعيفة وتعجب في غير موضع التعجب لانه لا يخلو حالهم من ان كانوا منكرين لارسال الرسل صلوات الله عليهم اصلا او كانوا يقرون بجواز ارسال الرسل الا انهم انكروا ارسال البشر فالاول باطل لان ارسال الرسل اذا كان فيه مصلحة للناس كان ذلك مما تقتضيه الحكمة وهو تجوز في العقل فلا بد من التسليم لامر الله تعالى الذي يعلم ما كان وما يكون وهو علام الغيوب والثاني باطل لان من يختاره الله تعالى للرسالة لا بد من ان يكون عبدا لله تعالى ثم لا فرق بين ان يكون ذلك العبد ملكا او بشرا فانه يجوز اختياره لادا الرسالة مع ان الشكل مع شكله افهم وبه انس واليه احن ومنه اقبل فان قيل لم جاز ان يرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو من البشر ملكا ليس من جنسه ولم يجز ان يرسل الى غير النبى صلى الله عليه وسلم من البشر ملكا قيل لان النبى صلى الله عليه وسلم صاحب معجزة اختاره الله تعالى للهداية والمصلحة فصارت حاله بذلك مقارنة لحال الملك وليس كذلك غيره من الامة **قوله عز وجل** قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا

رسولا

رَسُولًا قيل معناه لو كان في الارض ملايكة يمضون على اقدامهم مقيمين في الارض كما انتم مقيمون لنزلنا عليهم من السما ملكا من جنسهم رسولا كما ارسلنا اليكم بشرا من جنسكم رسولا وقيل معناه لو كان في الارض ملايكة راغبون في الدنيا كما قال الله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا يخوفهم عن عذاب الاخرة ويزجرهم عن المعاصي ويامرهم بالطاعات كما ارسل اليكم رسولا بهذه الامور **قوله عز وجل** قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا معناه قل كفى بالله شهيدا فيما يجري بيني وبينكم من امر النبوة فان الله تعالى يشهد بالنبوة في القران وانتم تنكرون نبوتي انه كان بعباده عليما بصيرا باحوالهم **قوله عز وجل** وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا معناه من يوفقه الله تعالى لدينه بالطافه ويقال من يحكم الله بهداه فهو المهتدى باخلاصه للطاعة لله عز وجل وهذا دعا الى الاهتدا وترغيب فيه وقوله تعالى ومن يضلل الله معناه من يخذله عن دينه ويقال من يحكم الله تعالى بضلاله فلن تجد له وليا يقدر على دفع ذلك عنه وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة اى نحشرهم يوم القيمة على هذه الصفة عميا عما يسرهم بكما عما ينفعهم صما عما يمتعهم ويقال عميا بكما صما في اول الحشر ثم يرون ويتكلمون ويسمعون كما قال الله تعالى وراى المجرمون النار الاية وقال جل ذكره سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال عز وجل دعوا هنالك ثبورا ويقال انه لم يرد بالحشر في هذه الاية الحشر عن القبر وانما اراد به الحشر من موضع المحاسبة فانهم يسحبون من ذلك الموضع على وجوههم على هذه الصفات وقوله تعالى ماواهم جهنم اى مصيرهم اليها كلما سكنت لنار من جانب زدناها اشتعالا من جانب آخر يقال في النار اذا سكن لهيبها خبت فاذا طفيت ولم يبق شي من النار خمدت ثم تزيد انهم لما زادوا دون سعيرا فقال جل ذكره ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا اي ذلك العذاب جزا اعمالهم لانهم كفروا بدلايلها وانكروا البعث فلهذا يفعل بهم ذلك **قوله عز وجل** أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا معناه اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على خلق امثالهم لان من قدر على خلق الاكبر علم انه قادر على خلق الاصغر واذا قدر على خلق امثالهم قدر على اعادتهم لان ما به يقدر على فعله فاذا امكن اعادته اذا كان الشي باقيا عليه وقوله تعالى وجعل لهم اجلا لا ريب فيه اي جعل لاعادتهم وقتا لا شك فيه انه كاين فابى الظالمون الا كفورا اي مع وضوح الدلالة الا الجحود لا لتنقيص البيان **قوله عز وجل** قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا جواب لقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا المعنى لو انتم تملكون مقدورات رحمة ربي اذا لامسكتم لانفسكم مخافة ان تفنى بالانفاق ولا تبقى لكم وكان الانسان ممسكا بخيلا فان قيل كيف قال جل ذكره وكان الانسان قتورا وفي الناس من ليس بخيل وفي الكفار من ليس ببخيل قيل في هذا قولان احدهما قاله الحسن رضي الله عنه ان المراد بالانسان الكفار كما في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقوله وانه لحب الخير لشديد والكفار يكونون بخلا ومقتصدين فاجرى اللفظ على الاعم لا على الاغلب والقول الثاني انه لا احد الا ويحاول النفع لنفسه بما يعطيه على غيره ولو ملك خزاين ربه لاخر بعضها لنفسه والله تعالى لا يحتاج الى شي فيعطي وينفق ويفيض النعمة على العباد من غير خشية فقر او حاجة فعلى هذا يكون الانسان بخيلا في جنب الاضافة الى الجود لله تعالى وكرمه **قوله عز وجل** وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا

معناه ولقد اعطينا موسى عليه السلام تسع دلالات واضحات قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهي العصى واللسان فانه كان في لسانه عقدة فرفعها الله تعالى كما قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي والبحر واليد والايات الخمس المذكورة في قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله الايات التسع هي هذه الخمسة والعصى واللسان وانفجار الماء من الحجر والطمسة كما قال جل ذكره ربنا اطمس على اموالهم واما قوله تعالى فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم كان يقع له العلم من عند الله تعالى وكان لا يحتاج في معرفة ذلك الى الرجوع الى اهل الكتاب فكانه قال جل ذكره فاسال ايها السامع بها وايها الشاك بني اسرائيل وقوله تعالى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي قال بعضهم رحمهم الله معناه اني لاظنك يا موسى قد سحرت فلذلك تدعي النبوة وقال بعضهم رحمهم الله هذا مفعول بمعنى فاعل كانه قال اني لاظنك ساحرا كما يقال مشوم بمعنى شائم وميمون بمعنى يامن وقيل معنى المسحور المخادع وقوله تعالى لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر معناه لقد علمت يا فرعون ان هذه الايات لا تدخل في مقدورات العباد فلم ينزلها الا رب السموات والارض حججا للناس يتبصرون بها امر دينهم واني لاعلم يا فرعون انك هالك يقال ثبر الرجل فهو مثبور اذا هلك والظن قد يذكر بمعنى اليقين على ما تقدم وقرا الكسائي رحمه الله لقد علمت برفع التاء الا ان قراءة النصب اجود واشهر قوله عز وجل فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا معناه فاراد فرعون ان يزعجهم من ارض مصر قهرا والاستفزاز في الاصل هو الخرق بالشدة من قولهم فززت الثوب اذا خرقته خرقا شديدا ويجوز ان يكون المراد بالاية انه قصد قتلهم ويحتمل النفي من ارض مصر وقوله تعالى فاغرقناه ومن معه جميعا اي امرنا موسى عليه السلام وقومه بالخروج من مصر فتبعه فرعون وقومه فجعلنا في الماء طريقا يبسا فجاوز موسى عليه السلام وقومه البحر ثم تبعهم فرعون وقومه فاطبقنا الماء عليهم حتى غرقوا كلهم وقلنا من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا ارض الشام التي ذهبتم اليها فاذا جاء وعد القيمة وهي الكرة الاخرة جئنا بكم لفيفا اي جميعا اي اتينا بكم من كل قبيلة واللفيف الجماعات من قبائل شتى ويقال اللفيف مصدر لففته لفا ولفيفا المعنى جئنا بكم مختلطين لا تتعارفون ولا ينكل بعضكم على بعض لعلمكم بان احدا لا يقدر على دفع العقاب عنه وقوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل يجوز ان يكون الها كناية عن جبريل عليه السلام فان الله انزله بالقران ونزل هو به ويجوز ان يكون المعنى ان جميع ما في القران من الاوامر والنهي والوعد والوعيد كلها حق وقوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا معناه الا مبشرا بالجنة للمومنين ومخوفا بالنار للكافرين قوله عز وجل وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا معناه انزلناه وفرقناه شيئا بعد شيء فانه كان ينزل من القران شيء ثم يمكثون ما شاء الله تعالى ثم ينزل شيء اخر لتقراه على الناس على تثبت وتوقف ليفهموه بالتامل ويعملوا بما فيه بالتفكر ويتفقهوا به باستخراج العلوم الشريفة والحكم العظيمة وهو معنى قوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقوله تعالى ونزلناه تنزيلا تاكيدا اي انزلناه مرة بعد مرة لعظم شانه قوله عز وجل قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا

معناه

معناه قل لهم يا محمد آمنوا بالقران او لا تومنوا وهذا وعيد لهم معناه ان آمنتم او لم تومنوا فالله تعالى غني عنكم وعن ايمانكم وايمانكم لا ينفع غيركم وترككم لذلك لا يضر سواكم وقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله قيل ان المراد به مومنوا اهل الكتاب وقيل المراد به كل موحد عرف الله تعالى قبل القران اذا يتلى عليهم القران يقعون على وجوههم سجدا لله تعالى هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة رحمه الله قال ان المراد بالاذقان الوجوه وذكر الذقن على هذا التاويل لان ذلك اقرب الاشياء من الوجه الى الارض وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالاذقان اللحى وهذان التاويلان حجة من جوز الاقتصار بالسجود على الانف دون الجبهة وان كان المستحب فعل السجود عليهما الا ان من المعلوم ان احدا لا يجيز السجود على الذقن والخبر المشهور في هذا الباب رواه طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم اراد الجبهة والانف واليدين والركبتين والقدمين واما قوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا معناه يقولون تنزيها لربنا عن ما لا يليق به قد كان وعد ربنا مفعولا كائنا لا محالة وان مع اللام اذا دخلت في الكلام كان معناها التوكيد وفي هذا دليل ان المسنون في السجود من الذكر هو التسبيح لان الله تعالى مدحهم بهذا القول وقد روي انه لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم واما قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا معناه ويقعون على الوجوه للسجود ويبكون في السجود ويزيدهم البكاء في السجود خشوعا الى خشوعهم لان مخافتهم الله تعالى داعية الطاعته والاخلاص في عبادته كما قال صلى الله عليه وسلم اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي الاية دليل ان البكاء في الصلوة من خوف الله تعالى لا يقطع الصلوة لان الله تعالى مدحهم عليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء وعن عبد الله بن شداد رضي الله عنه انه قال كنت اصلي خلف عمر رضي الله عنه صلوة الصبح وكان يقرا سورة يوسف عليه السلام حتى اذا بلغ قال انما اشكو بثي وحزني الى الله سمعت نشيجه وانا في اخر الصفوف قوله عز وجل قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا روي انه كان ذكر الرحمن قليلا في القران في بدء ما نزل من القران وقد كان اسلم ناس من اليهود عبد الله بن سلام واصحابه وكان ذكره في التورية كثيرا فسالوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا الى اخر الاية فقالت كفار قريش كان محمد يدعو الها واحدا واليوم يدعو الهين ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فنزل قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الى اخر الاية والمعنى قولوا يا الله يا رحمن اي اسماء الله تعالى تدعو بها فاسماوه كلها حسنة لانها اما ان تكون مشتقة من صفات حسنة او معان حسنة فادعوه بصفاته العلى وقوله تعالى ايا ما قال بعضهم رحمه الله ان ما في هذا صلة ومعناها التاكيد كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله ونحو ذلك الا انه خالف بين اللفظين على جهة التخفيف كما يقال ما ان رايت كليلتي ليلة معناه ما رايت كليلتي وقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل بمكة كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع صوته يقرا القران اذاه المشركون واذا خافت لم يكن يسمعه اصحابه فانزل الله تعالى هذه الاية قال الحسن رضي الله عنه معناه لا تجهر بقراءتك في الصلوة كلها ولا تخافت بها في الصلوات كلها ولكن اجهر بها في بعض الصلوات وخافت بها في بعضها وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم راى الناس يصلون في اخر شهر رمضان فقال ان المصلي اذا صلى يناجي ربه فليعلم احدكم بم يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض

اى لايغلط بعضكم بعضًا وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر رضى الله عنه عن قرآته بالليل
فقال اخافت كى لا اوذى جاري اناجى ربى وقد علم حاجتى فقال صلى الله عليه وسلم احسنت وسأل
عمر رضى الله عنه عن قرآته بالليل فقال ارفع صوتى اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال صلى الله
عليه وسلم احسنت فلما نزل قوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها فقال صلى الله عليه وسلم
لابى بكر رضى الله عنه زد فى صوتك وقال صلى الله عليه وسلم لعمر انقص من صوتك وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال زينوا اصواتكم بالقران وعن طاوس رضى الله عنه
انه قال سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احسن الناس قراة قال الذى اذا سمعت
قرآته رايت انه يخشى الله عز وجل وقوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا معناه
وقل الشكر لله الذى لم يتخذ ولدًا فيرث ملكه اوليسوّيه اوينتفع به فان ذلك مما لا يجوز على
الله تعالى وقوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك معناه ولم يكن له شريك فى الملك يعاونه
عليه وقوله ولم يكن له ولى من الذل معناه ولم يكن له ناصر يدفع عنه الذل ويمنع
عنه من يقصد مغالبته ويقال معناه ولم يكن له ولى من اهل الذل وهم اليهود
والنصارى يؤدون خراج روسهم ويقولون نحن ابنا الله واحباوه وقوله تعالى وكبّره
تكبيرا معناه صفه بانه اكبر من كل شى معتقدا بانه القادر الذى لا يعجزه شى العالم
الذى لا يخفى عليه شى الغنى عن كل شى معتقدا له بقلبك عاملا على مرضاته الزمك ويقال
معناه كبره تكبيرا عن كل ما لا يجوز فى صفته وعن ابرهيم بن الحكم عن ابيه انه قال
بلغنى ان رجلا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم
انى كثير الدين كثير الهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا اخر سورة بنى اسرايل
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن حتى تختم السورة ثم قل توكلت على الحى الذى لا يموت ثلث مرات
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من قرا سورة بنى اسرايل فى سفر او حضر ايمانا
واحتسابا ضرب الله عليه سورا من الحديد من الغرق والحرق والسرق وعن ابى بن
كعب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بنى اسرايل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطى قنطارين فى الجنة والقنطار الفا اوقيه وما بينا
اوقيه الاوقية منها خير من الدنيا وما فيها

سورة الكهف مكية

غير ايتين مدنيتين قوله عز وجل واصبر نفسك مع الى اخرهما وعدد اى السورة
مايه وعشر عند الكوفيين واحدى عشرة عند البصريين والله سبحانه اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج
من افواههم ان يقولون الا كذبا معناه الشكر لله الذى انزل على عبده محمد صلى الله
عليه وسلم القران قيما اى مستقيما مستويا يقال قيما على سائر كتب الله تعالى يصدقها
وينفى الباطل عنها ولم يجعل له عوجا عدولا عن الصحة الى الفساد وعن الحق الى
الباطل وعن الحجة الى الشبهة وقوله تعالى لينذر باسا شديدا معناه لينذر العبد الذى
انزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا من عند الله تعالى ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات الطاعات ان لهم ثوابا حسنا فى الجنه وقوله تعالى ماكثين فيه ابدا عبارة عن

اقامتهم فى الثواب ورضاهم به لان الانسان انما يمكث فى الشى الذى ارتضاه كما قال فى اية اخرى
لا يبغون عنها حولا وقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا معناه ويخوف الكفار
الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم قريش والنصارى فان قريشا قالوا ان الملئكة بنات الله
والنصارى قالوا ان المسيح ابن الله فالانذار هو الاعلام بموضع المخافة ليتقى وقوله تعالى
ما لهم به من علم ولا لابائهم معناه انهم واباهم كلهم مقلدة ليس لهم على ذلك بيان ولا حجة
وفى هذا دليل انه لا ينبغى للانسان ان يعتقد مذهبا لا يكون له به علم وانما استحال اتخاذ
الولد فى صفة الله تعالى لان الولد فى الحقيقة حيوان تنفصل نطفته من حيوان ذكر وانثى
ولذلك كان عيسى بن مريم عليهما السلام على الحقيقة ليس بولد ثم ذكر البنوة تشبيها به فاذا استحال
الاصل استحال التشبيه وقوله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم معناه كبرت مقالتهم تلك
كلمة تظهر على افواههم ما يقولون الا كذبا على الله تعالى وانما كبرت هذه الكلمة لان صاحبها يستحق
بها العذاب ومن ذلك سميت الكبيرة كبيرة لان عذابها يزيد على استطاعة صاحبها وقوله
تعالى كلمة نصب على انها تفسير المضمر يقال فى افعال المدح والذم نعم رجلا زيد وبئس صاحبا
عمرو ويقال كرم رجلا زيد ولؤم رجلا عمرو قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا نهى للنبى صلى الله عليه وسلم عن اهلاك
نفسه حزنا عليهم بسبب اعراضهم عن الايمان لشده شفقته عليهم وحقيقة الاسف هو
الحزن على ما فات قوله عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا معناه انا جعلنا جميع ما على الارض
من الاشجار والخضر والثمار والمياه زينة للارض وجعلناها محفوفة بالشهوات التى ترجع الى الحلال
والحرام والواجب والجايز لنامرهم فيظهر ايهم احسن بطاعة الله تعالى كمعاملة المبتلى المختبر
مظاهرة فى العدل بما يستحقون من الجزا ثم بين جل ذكره انه يفنى ذلك كله فقال عز من قايل
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اى نجعل ما عليها من النبات والحيوان ترابا يابسا مستويا فى
الارض لا نبت فيه ولا زرع والجرز الذى لا ينبت فيها ولا ينبت شيا يقال سنة جرز اذا كان فيها
جدوبة وفى تسميته ذلك صعيدا دليل على ان الارض اذا احالت النبات والحيوان الى التراب جاز التيمم
بها لان الله تعالى اطلق الامر بالتيمم بالصعيد فى اية الطهارة قوله عز وجل ام حسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وذلك
ان قريشا اجتمعوا فبعثوا خمسة رهط منهم الى اليهود فسألوهم عن امر الرسول صلى الله عليه وسلم
وقالوا لهم انه يزعم انه نبى مرسل واسمه محمد وهو فقير يتيم وبين كتفيه خاتم النبوة وانا نزعم انه يتعلم من
مسيلمة فانه يقول انا رسول من عند الرحمن ونحن لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فلما اتى هؤلا الرهط
المدينه اتوا احبار اليهود وعلماوهم فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته وخاتمه فقالوا نحن نجده فى
التورية كما وصفتموه ولكن سلوه عن ثلث خصال فان كان نبيا اخبركم بخصلتين ولم يخبركم بالثالثه
وانا قد سالنا مسيلمة عن هذه الخصال فلم يدر ما سألوه سالوه عن خبر ذى القرنين الذى بلغ المشرق
والمغرب وعن الروح وعن اصحاب الكهف فرجعوا واخبروا قريشا بذلك وسالوا النبى صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فابطا عليه جبريل عليه السلام خمس عشرة
ليلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل جبريل عليه السلام فقرا قوله عز وجل ولا تقولن
لشى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم اخبر عن اصحاب الكهف وحديث ذى القرنين وامر الروح وحدثه

ان مدينة بالروم كان فيها ملك كافر يدعو الى عبادة النيران والاوثان ويقتل من خالفه وكان في المدينة
شباب يدعو الى الاسلام سرًا فبايعه اغلمة من اهل المدينه فنفطن بهم الملك فاخذهم ودفعهم الى ابائهم
يحفظونهم فهربوا منه ومروا بغلام راع فتابعهم ومعه كلبه حتى اتوا غارا فدخلوا فيه والقى الله النوم
عليهم سنين عددا والملك طالب لهم ولم يقف على امرهم وعمى عليه خبرهم فسدوا باب الكهف
ليموتوا فيه ان كانوا هنالك ثم عمد رجل الى لوح رصاص وكتب فيه اسما الفتيه واسما آبائهم ومدينتهم
وانهم خرجوا فرارا عن دين ملكهم والزقه بالسد وكان السد في داخل الكهف وذكر القصة الى اخرها
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشا بذلك فلما وافق النبي صلى الله عليه وسلم اليهود اخبرهم بخصلتين
ولم يخبرهم بالثالثة قال كفار قريش ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ومعنى الايه
اظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فخلق السموات والارض وما فيهما
اعجب من امرهم ويقال معناه قد خلقنا من الايات ما هو اعجب من هذا واصحاب الكهف هم
الذين دخلوا في غار الجبل وهربوا اليه بدينهم من قومهم واما اصحاب الرقيم فهم اصحاب
الكهف ايضا والرقيم هو المرقوم وهو اللوح والحجر المكتوب فيه اسماؤهم وحديثهم والرقم هو
الكتابه ومنه رقم الثوب وهي العلامه التي تعرف بها وهو ثمن الثوب ويقال الرقيم هو اسم
الوادي الذي كان فيه الجبل الذي صاروا الى الغار الذي كان فيه قال الحسن رضي الله عنه
الرقيم هو اسم نفس ذلك الجبل وقال بعضهم اصحاب الرقيم هم النفر الثلثه الذين دخلوا
في غار في جبل فانسد عليهم فقالوا ليدعو الله كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله تعالى عنا ففعلوا
فنجاهم الله تعالى وقوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف معناه اذ اوى الاحداث والشباب الى الغار
يجعلونه ماواهم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي نعمة ننجوا بها من قومنا وهيئ لنا من امرنا رشدا اي اجعل
لنا طريقا ومخرجا يرشدنا اليه وفي هذه الاية دليل ان الانسان اذا خاف على دينه الفتنه كان عليه ان
يفر بدينه فان الله تعالى ذكر فعلهم استحسانا لما كان منهم وعن هذه الايه قالوا ان سبيل الذي يفر
بدينه ان يدعو بهذا الدعا الذي في هذه الايه فان الله سمع قولهم واستجاب دعاهم قوله عز
وجل فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى
لما لبثوا امدا معناه انمناهم في الكهف نوما لبثوا فيه سنين معدودة وهم احيا
يتنفسون ثم ايقظناهم من نومهم لنعرفهم ونعرف غيرهم انه ليس فيهم من يعلم مقدار
السنين الذي ناموا فيها والمراد باحدى الحزبين الفتيه والاخر ناس ذلك الزمان وقيل اراد باحدى
الحزبين المؤمنين والحزب الاخر الكفرين وانما عبر عن القاء النوم عليهم بالضرب على اذانهم على معنى
انا جعلنا فيهم ما يمنع عن الادراك كما يضرب على الكتاب بما يمنع الادراك فان النائم انما ينتبه لسماع الصوت
والمبعوث هو الذي زال عنه ما كان يمنعه عن التصرف والانبعاث هو الامد والغاية والفائدة في ذكر
العدد في قوله سنين عددا توكيد كثرة الشيء يقول الرجل اقمت عند فلان اياما عددا يريد به الكثرة
قوله عز وجل نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا معناه نحن نقص لك خبرهم الصدق انهم شباب صدقوا بربهم وزدناهم الطافا وادلة
ازدادوا بها استبصارا في دينهم وشجعنا قلوبهم حتى قاموا لخصم الكفار ويقال قاموا عند ملكهم
دقيانوس الكافر واظهروا دينهم بين يديه وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا ان دعونا معه الها آخر فلو لا اذا شططا اي مجاوزا للحق في غاية البطلان
ثم لم يقتصروا على هذا القول حتى ضموا الى ذلك تهجين عباد الاصنام فقالوا كما قال الله عز وجل هؤلا

قومنا

قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا معناه هولا قومنا عبدوا من دون الله آلهة هلا ياتون على عبادتهم للاصنام ببرهان
واضح فمن اظلم لنفسه ممن اختلق على الله كذبا ان جعل معه الها ثم قال بعضهم لبعض واذ
اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من امركم مرفقا معناه قالوا فيما بينهم انكم اذا اعتزلتم الكفار واعتزلتم ما تعبدون الا
عباد الله تعالى فصيروا الى الكهف واجعلوه ماواكم يبسط لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من
امركم ما ترتفقون به هنالك في معاشكم يكون مخلصا لكم من ظلم هولا الكفار والمرفق ما
يستعان به كالمقطع والمجزرة فيه لغتان على هذا المعنى بكسر الميم وفتح الفا وفتح الميم وكسر الفا
وكذلك مرفق اليد ويقال ان المرفق بفتح الميم بمنزلة المسجد قوله عز وجل وترى
الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا وذلك انهم لما دخلوا الكهف واكلوا ما كان معهم من الطعام ولم
يشبعوا وكانوا يخافون الطلب فالقى الله تعالى عليهم النوم حتى لا يسمعوا ولا يطعموا ولا يخافوا ولا يحتاجوا
الى طعام وشراب وكان القا النوم عليهم ثم بعثهم بعد السنين الكثيرة ادخل في التعجب من اماتتهم ثم
بعثهم لان فيمن تقدم من امات ثم بعث ولم يكن فيمن تقدم من انيم اعواما ثم بعث وفي قوله تعالى وترى
الشمس بيان ان الكهف الذي اووا اليه كان بابه نحو القطب الذي بقرب بنات نعش وكانت
الشمس تطلع متزاورة عن باب الكهف عند طلوعها وتغرب منحرفة عنهم لم تكن تسقط في الكهف عند
الطلوع ولا عند الغروب وهم في متسع من الغار ايمانهم الى جانب مطلع الشمس وشمائلهم الى
جانب مغرب الشمس هيأ الله تعالى لهم مكانا واسعا لا يصيبهم فيه حر ولا سموم فلا يتغير
منهم لون ولا ثوب ولا ابدانهم لكن كان ينالهم فيه نسيم الريح وبردها وفي قوله تعالى تزاور
ثلاث لغات احدها بالتشديد والثانية بالتخفيف والثالثة تزور والتزاور الميل عن الشي ومنه
ازورار الرجل عن صاحبه ماخوذ من الزور وهو الصدر كانه قيل تميل بصدرها ووجهها عنهم
واما القرض فهو القطع من قولك قرضته بالمقراض اي قطعته كانه قال تقطعهم ذات الشمال
وقيل تعطيهم اليسير من شعاعها عند الغروب كانه شبهه بقرض الدراهم التي تعطى ثم ترد
ثم وكانت فائدة اللفظين ذلك القدر ان لا يتاذوا باحتباس الشمس عنهم وقوله تعالى
ذلك من آيات الله اي ابقاؤهم طول السنين التي ذكرها الله تعالى نياما لا يستطعمون من طعام
ولا شراب من آيات الله تعالى وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان معنى قوله تزاور عن
كهفهم ان الله كان يحول الشمس ويقلب شعاع الشمس عن باب الغار عند الطلوع والغروب
مع كون الكهف بحيث كان تطلع عليه الشمس وتغرب عليه حتى لا تتغير الوانهم بالشمس
قالوا ولو كان انها لا تقع الشمس فيه لان بابه كان موضوعا على وجه كان لا تقع فيه الشمس
لم يكن لقوله تعالى ذلك من آيات الله فائدة وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتد معناه
من يهدي الله تعالى الى الطاعة وثوابه ورضوانه فهو المهتدي ومن يضلل عن ذلك فلن تجد له ناصرا
ولا مرشدا قوله عز وجل وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا
معناه وتظنهم منتبهين وهم نيام وانما كان يحسبهم الرائي منتبهين لانهم كانوا نياما وكانوا مفتحي الاعين
وكانوا يتنفسون كانهم يتكلمون ولا يتكلمون وقوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال معناه ونقلبهم

تارة على الشمال الى اليمين كما يقلب النايم لئلا تبلي عليهم ثيابهم ولا ينقصد هم
شي من دواب الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يقلبون في كل عام مرة لئلا تاكل
الارض لحومهم وقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد معناه كلبهم باسط ذراعيه على
باب الفجوة انامه الله كذلك على ما يكون من عادة الكلب في حفظه لمن يكون داخل البيت وانما
قيل في الوصيد انه باب الفجوة لا باب الكهف لانه كان دخولهم في الكهف على وجه التواري لئلا يراهم
احد ولذلك خفي على الكفار امرهم الى ان سدوا باب الكهف بالحجارة والوصيد من قولهم اوصدت الباب
وآصدته اذا اغلقته وقد يقال لذلك الاصيد ايضا وقوله تعالى لو اطلعت عليهم فيه وجوه
احدها ما البسهم الله تعالى من الهيبة لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وينبهوا
من رقدتهم ولذلك وصفهم الله في حال نومهم لا بعد اليقظة والثاني انهم كانوا في مكان
موحش من الكهف على الصفة التي ذكرنا من التشعث وتفتح الاعين والثالث ان اظفارهم وشعورهم
طالت جدا فلذلك كان يهابهم الراى اذا راهم قوله عز وجل وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن
بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا
ابدا معناه وكذلك ايقظناهم كما انمناهم ليتحدثوا ويسال بعضهم بعضا قال قائل منهم هو رئيسهم
كان يسمى مكسلمينا قال كم لبثتم بعد النوم في الكهف قالوا لبثنا يوما فلما نظروا الى الشمس
وقد بقي منها شي قالوا او بعض يوم ثم سكتوا فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال وذلك ان صاحب الارض التي كانت على باب الكهف كان قد احتاج الى بناء حظيرة
لغنمه على باب الكهف فهدم السد فصار باب الكهف مفتوحا تختلف الناس اليه فلما
استيقظت الفتية بعد طول المدة على خوفهم الذي ناموا عليه قال كبيرهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم ثم خرج احدهم الى السد وشاهد حجارة مكسورة لم يعهدها كان ذلك
اول شي انكره وانكر الطريق فعاد اليهم بهذا الخبر فخرجوا وشاهدوا فقالوا باجمعهم ربكم اعلم
بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة اي ابعثوا احدكم بدراهمكم هذه الى السوق فلينظر ايها
ازكى طعاما اي احل ذبيحة واطيب خبزا وابعد من الشبهة فان القوم كانوا من المجوس ويقال كان ملكهم
ظالم الناس فطعامهم حرام وكانوا يرون ان ملكهم هو الكافر الذي كان ملكا لهم في وقت خروجهم من
المدينة وقيل معناه اي اكثر لحما من الزكا الذي هو بمعنى الزيادة وقوله تعالى وليتلطف اي
وليتلطف في الذهاب والمجي حتى لا يتبعه بعض الكفار ويعرفوا مكانهم وقوله تعالى ولا يشعرن
بكم احدا قيل انه تفسير لقوله تعالى وليتلطف اي ليتحرز من ان يشعر احد بمكاننا ويقال معناه ان عرف انه
من جملة المومنين فلا يشعرن احدا بمكاننا ليوقعنا فيما هو واقع فيه وقوله تعالى انهم ان
يظهروا عليكم معناه ان الكفار ان يظهروا عليكم يرجموكم بالحجارة ويقتلوكم باشد القتل او يعيدوكم
الى دينهم ومذهبهم فان عدتم الى دينهم فلن تظفروا ولن تخيروا بعد ذلك فلا خوف على المومن القادر
بدينه اعظم من هذين فان في احدهما هلاك النفس بالرجم الذي هو اشد انواع القتل وفي الاخر
هلاك الاخرة بان يردوا الى ملتهم فان قيل اليس لو اكرهوهم فاظهروا الكفر لم يكن مضرة
في ذلك قيل انه لم يكن يجوز في شريعة الاسلام جواز اظهار كلمة الكفر على وجه التقية ويجوز انهم
خافوا ان تنفع منهم موافقته للقوم قبل وجود الاكراه بشروطه كما يتفق مثل ذلك من الخايف وفي
قوله تعالى لبثنا يوما او بعض يوم دليل انهم كانوا مصيبين في هذه المقالة لان الله تعالى اخبر

عنهم

فلينظر ايها ازكى طعاما

عنهم بذلك غير منكر لقولهم وكانوا يخبرون عن ما عندهم في اعتقادهم لا عن امر الغيب كما في قوله تعالى
او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الى ان قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وكذلك
قال موسى للخضر عليهما السلام اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا وقال صلى الله عليه
وسلم كل ذلك لم يكن حين قال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت وفي هذه الاية دليل على جواز
الوكالة بالشرا لان الذي بعثوه كان وكيلا لهم وفيها دليل جواز خلط دراهم الجماعة واكل الطعام
المشترى وان كان بعضهم ياكل اكثر مما ياكل غيره لان الورق مضاف الى الجماعة قوله عز
وجل وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ
يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم
لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا
قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا وذلك انهم بعثوا
بورقهم على يدي واحد لم يكن معروفا بين الكفار انه مومن فلما مضى الى السوق اذا
ملك مسلم قد غزا المدينة فظهر عليها واظهر علامات الاسلام فسال عن المدينة فاخبروه فتعجب
من تغير الامر وقال للخباز بعني من طعامك بهذا الورق فلما راها الخباز انكرها وقال له من اين
لك هذه الدراهم وقد ضربت منذ ثلثمائة سنة فاما ان تعطيني من هذا الكنز او ارفعك الى
الملك وقد وجدت كنزا فجعل يذكر انه لم يجد كنزا وانه خرج بالامس فارا من الملك فلم
يصدقوه وحملوه الى الملك فلم يجد بدا من ان يذكر للملك حالهم فجا الناس معه الى باب
الغار فدخل هو واخبرهم بما لقي من امر الملك وان الملك اتاهم فعانق بعضهم بعضا
يبكون ولا يشكون في انه الكافر اذ ظهر القوم فسالوهم عن امرهم فقصوا عليهم قصتهم
والذي قد فروا منه فنظروا فاذا اللوح الرصاص فيه اسماوهم وذكر دينهم وفرارهم من الكافر
فقال الملك هم قوم هلكوا في زمان الكافر فاحياهم الله تعالى في زماني وحسبوا المدة
فوجدوها ثلثمائة وتسع سنين فلم يبق مع الملك احد الا اسلم فبينما هم يحدثونهم اذ ضرب
الله تعالى على اذانهم بنوم هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب عكرمة
رضي الله عنه الى ان القوم دخلوا المكان وقد ضرب على اذان اصحاب الغار فراوا
اجسادا لا ينكرون منها شيا غير انه لا ارواح فيها فهذا معنى قوله تعالى وكذلك اعثرنا
عليهم اي كما اخفينا عليهم موضعهم من قبل ذلك اظهرنا عليهم بعد ذلك قال القتبي
رحمه الله واصله في اللغة ان من عثر بشي نظر اليه حتى يعرفه فاستعير العثار مكان التبين
والظهور يقال عثرت على فلان اذا اطلعت عليه واعثرت فلانا على فلان اي اطلعته وقوله تعالى
ليعلموا ان وعد الله حق معناه ليعلموا ان البعث بعد الموت حق كاين وان القيمة لا شك فيها
وان القادر على ان ينيم جماعة مدة مديدة احياء ثم يوقظهم قادر على ان يميتهم ثم يحييهم
وقوله تعالى اذ يتنازعون بينهم امرهم قيل كان التنازع في ان قال بعضهم لبعض
انهم قد ماتوا في الكهف وقال بعضهم انهم قد ناموا كما ناموا من قبل وسيوقظهم الله تعالى
من بعد وقيل انهم كانوا يتنازعون في البنا كما بينه الله تعالى في قوله تعالى فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا اي قال بعضهم نبني عليهم في هذا الموضع بنيانا كما تبنى المقابر وقال بعضهم بل نبني
في هذا الموضع مسجدا يعبد الله تعالى فيه وهو قول الذين غلبوا على امرهم روساوهم وفي
هذا بيان ان اكثر اهل المدينة كانوا مسلمين في وقت ظهورهم على اصحاب الكهف والاصح ان

ذكر ان اختلفوا في اسما اصحاب الكهف وانسابهم وحرفتهم واسم كلبهم ولونه واسم الملك ذكره الثعلبي [illegible]

تنازعهم انما كان في الادميين حين ابى القوم من خروجهم من الكهف لان بنا المساجد انما يكون على من فات خروجه ليكون البنا اخر ما يذكر به حالهم وقيل ان هولا القوم هم الذين اتخذوا اللوح الذي هو الرقيم وكتبوا فيه اخبارهم واما قوله تعالى ربهم اعلم بهم بلبثهم ورقادهم واحوالهم ثم بين الله تعالى ان اهل الكتاب الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اهل هذه القصة يختلفون في عددهم وانهم يتعنتون الرسول صلى الله عليه وسلم في امورهم جاهلين به **فقال عز من قايل** سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم معناه سيقول الخايضون في امرهم ان عددهم ثلاثة رابعهم كلبهم وهو قول النسطورية من النصارى ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وهو قول الماريعقوبية رجما بالغيب اي يتبعون في ذلك الظن وقوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وهو قول الملكانية وقوله تعالى ربي اعلم بعدتهم معناه قل ربي اعلم كم كان عددهم وقوله تعالى ما يعلمهم الا قليل عنا به الرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى اخبرهم بعددهم وامر ان لا يماري من ادعى معرفة عددهم الا ان يتبين له انه يقوله خرصا بغير حجة ولا خبر عنده من الله تعالى فان هذا العلم ليس هو من عند اهل الكتاب وهذا هو المرا الظاهر ان مقالتهم باطلة وقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم واراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغنيا باخبار الله تعالى اياه عنهم عن ان يستفتي فيهم احدا وانما لم يخبر امته لان ذلك ليس مما كلفوه من العلوم ما يكون اخفاوه على الناس اصلح وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال انا من ذلك القليل الذي يعلم عددهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وهذا القول مما يحتمل ان يكون سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون استدلالا من القران من حيث ان الله تعالى ذكر في عدد الثلثة والخمسة رجما بالغيب ثم قال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ثم قال ما يعلمهم الا قليل ويقال انما استدل على ذلك لاجل الواو التي ذكرت في قوله تعالى وثامنهم كلبهم والاصح انه ان عرف عددهم عرفه سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان طرح الواو من الواحد الى السبعة في العدد لا يكون الا على وجه التخفيف والا فالاصل اثباتها والفرق في السبعة وما دونها ان السبعة اصل في المبالغة في العدد كما في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وكان الواو لاتمام ما قبله وعطف ما بعده عليه وحذف الواو يرجع الى ان يكون قوله تعالى رابعهم كلبهم صفة وتفسيرا للجملة ويحكى عن معوية انه كان يقول لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وامرهم ان يدخلوا الكهف فذهبوا فلما دخلوا بعث الله تعالى عليهم ريحا فاخرجهم من الكهف

قوله عز وجل ولا تقولن لشاي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا معناه ولا تقل اني افعل شيا فما احق تقرن به ان شا الله تعالى فلعلك لا تبقى الى الغد ولا تقدر عليه من الغد وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه اذا حلفت على فعل لتفعله ونسيت الاستثنا ثم ذكرت فاستثن مكانك فقل ان شا الله تعالى ولو كان الى سنة ما لم تحنث قال الحسن رضي الله عنه اذا حلفت فلم تستثن بكلام موصول فاستثن ما لم تقم من مجلسك وقال ابرهيم وعطا والشعبي رضي الله عنهم لا يصح الاستثنا الا موصولا بالكلام فيكون المعنى على هذا القول اذا نسيت شيا فادع الله تعالى حتى يذكرك وقل عسى ان يهدين ربي معناه وقل ان لم يذكرني الله تعالى فسيذكرني ما هو انفع لي من هذا وهذا التاويل يرجع الى ان قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فرض مستانف وتادب من الله تعالى والى هذا ذهب جماعة من المفسرين رحمهم الله فقالوا هذا كلام معترض في خلال اصحاب الكهف لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يخبر عن شي يتعلق بامته الا

بعد اذن من الله تعالى لما كان يخاف فيه من المفسدة والذي عليه عامة العلما ان الاستثنا لا يتصل بالكلام الذي يكون قبله الا ان يذكر موصولا به لان الاستثنا بمنزلة الشرط **وعلى هذا** قالوا لو ان رجلا قال لامراته انت طالق ثم قال بعد ما سكت ان دخلت الدار لم يوجب ذلك تعلق الطلاق بالدخول ولو كان هذا جايزا بقول لامراته انت طالق ثلثا فيقول بعد سنة ان شا الله فيبطل الطلاق ولا يحتاج الى زوج ثان في اباحتها للاول وقد حرمها الله تعالى عليه الا بعد زوج وقال سبحانه في حديث ايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ولو صح الاستثنا متراخيا من اليمين لامره بالاستثنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ولو جاز الاستثنا لاستغني به عن التكفير

قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا روي ان يهوديا سال امير المومنين عليا رضي الله عنه فقال انا نجد في كتابنا انهم لبثوا ثلثمائة سنين فقال علي رضي الله عنه تلك سنو الشمس وهذه سنو القمر وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا فهو الذي اخبرك بمقدار مدة لبثهم ويقال معناه قل الله اعلم بمقدار ما لبثوا الى ان ماتوا ويقال قل الله اعلم بمقدار المدة من الوقت الذي انتبهوا فيه الى وقت نزول القران وقوله تعالى له غيب السموات والارض معناه له العلم بكل مستور عن الخلق مما في السموات والارض وفي قعر البحار ومن يعلم كل ذلك لا بد من وقوع الثقة بخبره وقوله تعالى ابصر به واسمع معناه اذكر بذلك الناس فهو من خفي صفاته وقيل معناه ما ابصره واسمعه وهو مدح على لفظ التعجب كما يقال اكرم واحسن بعمرو ولو اريد به الامر لقيل اكرمن وقوله تعالى ما لهم من دونه من ولي راجع الى جميع الخلق اي لا ناصر لهم من دون الله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا اي ولا يشرك في امره احدا غيره ومن قرا ولا تشرك بالتا على المخاطبة فالمعنى لا تنسبن احدا غيره الى علم الغيب وقال حمزة والكساي ثلثمائة سنين بغير تنوين المائة والباقون قراوا بتنوين المائة وهو المختار في العربية لان التفسير مذكور بلفظ الجمع بحقه الانفصال على معنى عطف البيان والتوكيد تقديره ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة ويجوز ان يكون سنين في موضع الجر من نعت المائة وهو راجع في المعنى الى ثلث كما قال الشاعر

فيها اثنتان واربعون حلوبة ۞ سودا كخافية الغراب الاسحم

فجعل سودا نعت الحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد

قوله عز وجل واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا معناه واقرا عليهم ما اوحي اليك من القران وعرفهم انه الحق لا تبديل لكلامه ولا خلف لخبره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا ومعدلا تهرب اليه من يوهم لحدت الى كذا اذا ملت اليه ومنه اللحد لانه يمال الى ناحية القبر ومنه الالحاد في الدين الميلان عنه

قوله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في سلمان الفارسي وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وخباب وعامر بن فهيرة وغيرهم من الفقرا رضي الله عنهم وكانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان مع سلمان شملة قد عرق فيها اذ دخل عيينة بن حصن الفزاري فقال يا محمد انا روس مضر واشرافها والله ما يمنعنا من الدخول عليك الا هذا يعني سلمان واصحابه رضي الله عنهم ولو انا اذا دخلنا عليك اخرجتهم عنا

لاتبعناك والله انه ليوذينا ريحه اما يوذيك ريحه فانزل الله عز وجل في سلمان واصحابه رضي الله عنهم
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه معناه واحبس نفسك ايها
الرسول مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وقرا ابن عامر رحمه الله بالغدوة والعشي وقيل ان
هذا لا يصح من جهة اللغة لان الغدوة لا يدخلها الالف واللام لانها نكرة ولو كانت معرفة لجازت فيها الاضافة
كما يجوز غداة يوم الجمعة وقوله تعالى يريدون وجهه اي تعظيما واجلالا له يقول العرب لوجه فلان
اي لاجله تعظيما واكراما له **ومن شان اهل اللغة** ان يذكرون وجه الشي يريدون به
الشي المعظم كقولهم هذا وجه الراي اي هذا هو القول الحق المعظم وقوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم
معناه ولا تصرف بصرك عنهم لفقرهم الى اهل الغنا طالبا لزينة الدنيا بالميل الى الاغنيا الذين لا
يكونون مثلهم في العبادة وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قيل معناه ولا تطع من
صادفناه غافلا عن ذكرنا كما يقال احمدناه اذا وجدناه محمودا **وفي المثل السائر بين الناس**
قاتلناهم فما اجبناهم وهاجيناهم فما افحمناهم وسالناهم فما ابخلناهم اي ما وجدناهم بهذه الصفات
المذمومة وقيل معناه ولا تطع من نسبنا قلبه الى الغفلة كما يقال اكفرناه اي نسبناه الى الكفر
وقال الشاعر وطايفة قد اكفروني بحبهم ۞ وطايفة قالوا مسيء ومذنب ۞
معناه ولا تطع من جعلناه غافلا لا يتعرض للغفلة ولهذا قال واتبع هواه وهو كقوله تعالى فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقيل معناه ولا تطع من لم يسم قلبه بسمة قلوب المومنين حتى تعرفهم الملايكة
بذلك فيمدحونهم كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وتقول العرب اغفل فلان ماشيته
اذا لم يسمها بسمة تعرف بها ويقال ابل غفل اذا كانت بهذه الصفة وقوله تعالى وكان امره فرطا
معناه وكان كفره تجاوزا عن الحق وخروجا منه كما قال عيينة انا راس مضر يقال افرط في القول
اذا اسرف فاما فرط فقصر عن الحق الذي لزمه **قوله عز وجل** وقل الحق من ربكم فمن
شا فليومن ومن شا فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا
يغاثوا بما كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب وسات مرتفقا معناه وقل القران والايات
الدالة على وحدانية الله تعالى ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربكم وقوله تعالى فمن
شا فليومن ومن شا فليكفر تهديد ووعيد بلفظ التخيير ولهذا قرنه بقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا
اي جعلنا النار عتادا لعيينة واصحابه وانما جاز التهديد بلفظ الامر والتخيير لان المهلك كالمامور بما
يوجب اهانته وقوله تعالى احاط بهم سرادقها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان السرادق حايط من النار
يحيط بهم وقيل معناه دخان يصل اليهم ويحيط بهم قبل ان يصل الى النار كما قال تعالى انطلقوا الى ظل ذي
ثلاث شعب فشبه الدخان بالثوب الذي يدار حول الفسطاط وقوله تعالى وان يستغيثوا
يغاثوا بما كالمهل معناه وان يستغيثوا من شدة الحرارة يغاثوا بما كدردي الزيت اسود
غليظا ويقال ان المهل هو الصفر المذاب ويقال هو الثلج والدم وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه هو كل ما اذيب حتى انماع وقوله تعالى يشوي الوجوه معناه اذا
قدم للشرب انضج الوجه لحرارته وقوله تعالى بيس الشراب معناه بيس الشراب المهل يسمى بيس
لشدة سوئه لا لقبحه لان عذاب الله تعالى ليس بقبيح ولكنه صواب وحكمة وحسن وقوله
تعالى وسات مرتفقا معناه وسات النار متكا لهم ماخوذ من المرفق لانهم يتكيون على مرافقهم
وانشد وافي هذا قول الشاعر اني ارقت فبت الليل مرتفقا ۞ كان عيني فيها الصاب مذبوح ۞
وقيل هو ماخوذ من الارتفاق وقال مجاهد رضي الله عنه معنى مرتفقا مجتمعا كانه ذهب الى
انه ماخوذ من المرافقة يقال بيست الدار دار فقاوهم فيها الشياطين والكفار ۞ **ثم بين**

جل

جل ذكره ما اعد في الاخرة للمومنين **فقال عز من قايل** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكيين
فيها على الارايك نعم الثواب وحسنت مرتفقا معناه ان الذين امنوا بالله تعالى وبما يجب الايمان
به وعملوا الصالحات في ايمانهم انا لا نبطل ثواب من اخلص عمله لله تعالى ويجوز ان يكون قوله تعالى انا لا
نضيع خبر ابتدا كانه قال الاجر من احسن عملا منهم ويجوز ان يكون خبر الابتدا قوله تعالى اولئك لهم
جنات عدن فيكون انا لا نضيع اعتراضا بين الاسم والخبر وقيل ان قوله تعالى انا لا نضيع اجر من
احسن عملا بدل من الذين امنوا كما قال الشاعر ۞ ان الخليفة ان الله سربله ۞
سربال ملك به ترجى الخواتيم ۞ وقوله تعالى جنات عدن هي بساتين اقامة وعن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما هي مقصورة الرحمن وهي في وسط الجنة والجنان حولها محدقة بها
فهي معطلة مذ خلقها الله تعالى حتى يدخلها اهلها الصديقون والشهدا والصالحون وقوله
تعالى تجري من تحتهم الانهار اي من تحت غرفهم ومساكنهم لانهم يكونون على غرف مشرفة على الانهار
وقوله تعالى يحلون فيها اي يلبسون في الجنان اساور من ذهب قال قطرب وابو عبيدة رحمهما الله تعالى
الاساور جمع الاسوار والاصل فيه اساوير الا انه حذف اليا وقيل انها جمع اسورة واسورة جمع سوار
فيكون الاساور جمع الجمع والسوار يكون شيا مثل الذهب يعقده الملوك على الزند ويتتوجون به على
الراس ويقال كان من عادة الملوك فيمن يشكرون سعيه ان يشهروه بان يسوروه ويطوقوه
فوعد الله تعالى المومنين بذلك وقوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق فالخضر جمع
اخضر وهو احسن ما يكون من الثياب ۞ والسندس الديباج الرقيق الفاخر ويقال هو الحرير واحدا لسندس
سندسه واما الاستبرق فهو الديباج الغليظ الذي له بريق وقال القتيبي رحمه الله هو فارسي
معرب فاراد بالغلظ غلظ الصفا لا غلظ السلك كغلظ الديبقي مع دقة سلكه وقيل ان الاستبرق
هو الديباج المنسوج بالذهب وقوله تعالى متكيين فيها معناه متكيين في تلك الجنان على السرر
في الحجال والارايك جمع اريكة ولا تكون اريكة الا اذا اجتمعا فاذا تفرقا فليست باريكة وقوله تعالى نعم
الثواب معناه نعم الثواب جزا على اعمالهم وحسنت مجتمعا **قوله عز وجل** واضرب لهم
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا
الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه
وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا هذا مثل ضربه الله تعالى لعباده ليرغبهم به
الى طاعته ويزجرهم به عن كفران نعمته المعنى واضرب لهم مثلا لرجلين قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما كانا اخوين في بني اسرايل توفي ابوهما وترك ثمانية الاف دينار وكان
احدهما مسلما والاخر كافرا فاصاب كل واحد منهما اربعة الاف دينار فاما المسلم فانفق في سبيل الله تعالى
حتى انفذ ماله فاوجب الله تعالى له الجنة ۞ واما الكافر فاشترى بماله جنانا فاحتاج المسلم اليه
فاتاه يتعرض له فقال له اخوه الكافر اين مالك فقال انفقته في سبيل الله تعالى فقال الكافر
لا اعطيك شيا حتى تتبع ديني ثم اخذ بيد اخيه فادخله الجنان يطوف فيها ويقول ما اظن ان
تبيد هذه ابدا فذلك قوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب اي جعلنا للكافر منهما بساتين
من كروم وجعلنا حول البساتين نخلا يقال حف القوم بفلان اذا كانوا مطيفين به وجعلنا
بينهما زرعا اي بين البساتين مزرعة وقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها معناه كلا البساتين
اخرج ثمرهم ولم ينقص شيا يحتاج ان يكون ذلك في البساتين كان لا يذهب منه ضعف من الثمار الا

ا ثم وصف اخر وانما قال آتت ولم يقل آتيا لان لفظ كلتا واحدة لان الالف في كلتا هي الالف في كلا
وليست الالف الف تثنيه المعنى كل واحده منهما اتت اكلها ولو قال اتتا على معنى ان الجنتين كلتاهما
اتتا اكلها كان جايزا في الكلام وقوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا معناه شققنا وسط البساتين
نهرا يشققهما وكان لهذا الكافر مع البساتين ثمرات من قراها بالضم فمعناه صنوف اموال من الذهب
والفضه وغيرهما يقال ثمر فلان ماله اذا اكثر ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمره وثمار وان قرات ثمر بنصب الثا كان
معناه ثمر البساتين والاقرب هو الاول لان كلتا الجنتين اتت اكلها بدل على الثمار فاقتضى ان يكون الثمر قوله
غير ذلك مع ان الله تعالى اضاف الثمر في هذه الاية الى صاحب الجنة لا الى الجنة وقوله تعالى فقال
لصاحبه معناه فقال لصاحبه المومن وهو يفاخره بالمال ويراجعه بالكلام انا اكثر منك مالا واعز نفرا
اى تطاول بذلك على اخيه وراى تلك النعم من قبل نفسه لا من قبل الله تعالى والنفر هم العشيرة والخدم
الذين ينفرون مع الانسان **قوله عز وجل** ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماوها غورا فلن تستطيع له
طلبا معناه ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بالكفر وترك الشكر فقال ما اظن ان تفنى هذه
ابدا وذلك ان اخاه المسلم كان يرغبه في الاخرة فاجابه الكافر ما اظن ان تبيد هذه ابدا كانه رد قول
المسلم انه يكون للعالم فنا وقال ما اظن الساعه قايمة اى القيمه قايمة كما يقوله المسلمون
ولين رددت الى ربي على زعمك لاجدن في الاخرة خيرا من هذه مرجعا لم يعطني الله تعالى هذه في
الدنيا الاولى عنده مثلها في الاخرة وفي هذا بيان ان الكافر لم يكن قاطعا على نفي المعاد ولكن كان
شاكا فيه والشاك في المعاد كافر **وذهب** السدي رضي الله عنه في قوله تعالى ودخل جنته
الى ان الجنه كانت بستانا واحدا عليه جدار واحد وكان في خلال البستان نهر فقال جنتين
لمكان النهر الذي بينهما وقال ودخل جنته لمكان الجدار الواحد الذي عليها واما قوله
تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره معناه قال له اخوه المسلم وهو يخاطبه اكفرت بالذي
خلقك من تراب اى خلق اصلك من تراب ثم خلقك من نطفه ابيك ثم بلغك الرتبه التي انت عليها
في الخلقة [illegible] معتدل القامه وسماه كافرا بالله تعالى لان الذي يشك في المعاد يوصف بانه
كافر بالله تعالى كما توصف اليهود والنصارى بذلك وقوله تعالى لكنا هو الله ربي معناه
لكن انا هو الله ربي الا انه حذفت الهمزه والقيت حركتها في الساكن الذي قبلها فالتقى النونان
فادغمت احداهما في الاخرى كما قال الشاعر ٥ وترمينني بالطرف اي انت مذنب ٥
وتقلينني لكن اياك لا اقلي وقوله تعالى ولا اشرك بربي احدا معناه ولا اشرك مع
الله تعالى في العباده كما لم يشركه احد في خلقي وقوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما
شا الله هو ما شا الله كان وقوله تعالى لا قوة الا بالله معناه لا قوة لاحد في بدنه ولا في ملك يده
الا بالله وقوله تعالى ان ترن انا اقل منك مالا وولدا معناه ان كنت ترى انا اقل منك مالا وعشيرة
فانا راض بما قسم الله تعالى لي وقوله اقل منصوب لانه مفعول ثان بوقوع الروية عليه ومن قرا
اقل بالرفع فعلى معنى ان انا مبتدا واقل خبر الابتدا والجملة في موضع المفعول الثاني وقوله تعالى
فعسى ربي ان يوتين معناه لعل ربي ان يعطيني في دار البقا خيرا من بستانك في الدنيا ويرسل على

بستانك

بستانك نارا من السما فتحرقها وسمي العذاب حسبانا على معنى انه يرسل عليها الحسبان من السبب اك
وقال القتيبي الحسبان المرامي واحدها حسبانه كانه سمي حسبانا لكثرته وقوله تعالى فتصبح
صعيدا زلقا معناه فتصبح جنتك ارضا مستويه صلبه لا تثبت عليها القدم او يصبح ماوها غائرا في
الارض فلن تستطيع له طلبا من موضع لوجه من الوجوه والطلب هو تقليب الامر لوجدان ما هلك
والغور مصدر وضع موضع الصفه كما يقال وجهه نور ساطع **قوله عز وجل** واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك
بربي احدا ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية
لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا معناه واهلك ماله وبستانه يقال احيط بالقوم
اذا اهلكوا وقوله تعالى فاصبح معناه فاصبح يتندم ويقلب احدى كفيه على الاخرى
غما على ما انفق في جنته وهي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان
ثم تقع الحيطان على السقف وقوله تعالى يا ليتني معناه ويتندم على اشراكه بالله تعالى
ولم يكن هذا اللفظ ايمانا منه لانه لم يقله تحقيقا للتوبة ولكن كان يتاسف على هلاك ماله
وقوله تعالى ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله معناه ولم تكن له عشيرة
وخدم يدفعون عذاب الله تعالى عنه على ما ادعى انه اكثر مالا وولدا واعز نفرا
وقوله تعالى وما كان منتصرا معناه وما كان ممتنعا بنفسه من عذاب الله تعالى
وقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق اى في ذلك الموطن علم الكافر ان الولاية بالنصر
والاعزاز لله تعالى الحق فهو الذي يملك النصرة لمن اراد هذا معنى قراة الولايه بخفض الواو
واما الولايه بفتح الواو فهي نقيض العداوة ويقال وال بين الولايه وراع بين الرعايه ويقال
ولي بين الولايه وخليل بين الخلالة واما قوله تعالى الحق من قرا بالكسر فهو نعت لله تعالى
ومن قرا بالرفع فهو من نعت الولاية وقوله تعالى هو خير ثوابا معناه هو خير من اثاب
وجازى على العمل وهو خير من اعقب عاقبة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
هذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سوره الصافات قال قايل منهم اني كان لي
قرين ذكر سبحانه امرهما في الدنيا في هذه الاية وذكر امرهما في الاخرة في تلك الاية
قوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط به
نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شي مقتدرا
معناه بين لهم صفة الحيوه الدنيا في بقايها وفنايها كمطر انزلناه من السما فنجع في
النبات حتى خالطه واخذ النبات زخرفه فصار اجناسا مختلفة يختلط بعضها ببعض فاذا
جففه الله تهشم وتفتت وفرقته الرياح كما تطير الاشيا الخفيفه ولا يبقى له اثر كذلك الدنيا
تذهب وتفنى ولا يبقى منها شي كما لا يبقى من الهشيم شي وكان الله فيما لم يزل قادرا على خلق
الاشيا قبل خلقها ويكون قادرا على ذلك في المستقبل ثم ذكر ما في الدنيا من زهرتها
وزينتها وبين ان المال والبنين من زينة الحيوة كالنبات الذي تقدم ذكره **فقال عز وجل**
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا
معناه ان المال والبنين مما ينتفع به في الدنيا لا في الاخرة والباقيات الصالحات قيل انها الصلوات
الخمس وقيل جميع الطاعات سميت باقيات لبقا ثوابها للانسان بخلاف الاموال والاولاد
التي لا تبقى وقوله تعالى خير عند ربك ثوابا اى خير ثوابا للانسان وخير ما يرجون به من اعمالهم
وعن خالد بن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قومه فقال خذوا جنتكم

فقالوا يا رسول الله أمِن عدوٍ حضر فقال بل من النار قالوا وما جُنّتنا من النار قال سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهن
ياتين يوم القيمه مقدمات ومجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات **قوله عز وجل**
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى
رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا يجوز ان يكون
معناه واذكر يوم نسير الجبال ويجوز ان يكون المعنى وخيرا املا يوم نسير الجبال وتسيير الجبال
قلعها فان الله تعالى يقلعها عن وجه الارض يوميذ فيسيرها في الهوا كما يسير السحاب في الدنيا ثم يجعلها
هبا منبثا فتعود في الارض حتى لا يبقى شيء ولذلك قال جل ذكره وترى الارض بارزة اي ظاهرة مستويه
لا يستتر شيء شيا ولو كان بقي شيء من الجبال والاشجار والنبات لم تكن الارض بارزة وقوله تعالى وحشرناهم
اي بعثناهم من قبورهم فلم نترك احدا منهم في قبره لنسيان ولا غفوة والمغادرة ماخوذ من الغدر
الذي هو ترك الوفا ومن ذلك الغدير لترك الماء فيه وقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا معناه ان
الناس كلهم يعرضون على الله تعالى يوميذ صفا بعد صف كصفوف الناس في الصلوة لا يحجب واحد
واحدا ليتبين الشقي من السعيد ويتميز من يفلح ممن يفتضح ويقال يوقفون للعرض مستديرين
كما يصطفون للصلوة حول الكعبة وجعل مصيرهم الى موضع المسايلة عرضا لهم على الله تعالى
وقوله تعالى لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة ولا يجوز ان يكون معناه انهم يكونون يوميذ
جميع صفاتهم يوم خلقوا الا انهم خلقوا صغارا لا عقل لهم ولكن المعنى احد شيين اما مجيهم
عراة حفاة ليس معهم شيء مما اكتسبوا في الدنيا كما في اول الخلق واما مجيهم الى حيث لا يملك احد فيه
امرهم سوى الله عز وجل ولا تعلق لاهل التشبيه في هذه الاية لان الخلق لم يكونوا بالقرب من الله
عز وجل عند الخلقة الاولى حتى يعودوا الى مثل ذلك في الاخرة وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس يوم القيمه من قبورهم عراة حفاة غرلا فقالت
عايشه رضي الله عنها واسواتاه يا رسول الله اما يستحي بعضهم من بعض فقال صلى الله عليه وسلم
لكل امرء منهم يوميذ شان يغنيه وقوله تعالى بل زعمتم معناه يقال لهم يوم القيمه
بل زعمتم في الدنيا ان لن نجعل لكم اجلا للبعث وفي هذا تبكيت وتقريع لمن كان ينكر الاعادة
قوله عز وجل وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا
مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا معناه ووضع كتاب كل انسان في يده الا ان بعضهم يوضع كتبهم في ايمانهم وبعضهم
في شمايلهم فترى المذنبين خايفين مما في الكتاب يدعون على انفسهم بالويل والثبور ويقولون
ما لهذا الكتاب لا يغادر من اعمالنا صغيرة ولا كبيرة الا اثبتها ووجدوا جزا ما عملوا مكتوبا
ولا ينقص ربك من حسنات احد ولا يزيد على سيات احد **قوله عز وجل** وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وقد تقدم تفسير اول
هذه الاية وما فيه من اختلاف الناس في ان ابليس كان من الملايكة ام من الجن الذين هم بنو الجان
والصحيح انه من بني الجان وهم جنس غير جنس الملايكة رسل الله تعالى ولا يجوز على رسول من
رسل الله تعالى ان يكفر واذ لو جاز ذلك على الملك لجاز على النبي صلى الله عليه وسلم من البشر وقوله
تعالى ففسق عن امر ربه معناه فخرج عن طاعة ربه من قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من
قشرها ويقال معناه رد امر ربه اي اتاه الفسق من قبل انه امر فعصى وهذا كما يقال

اطعمه

اطعمه عن جوع وكساه عن عري وقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني استفهام
بمعنى الانكار يقول كيف تطيعونه وقد فسق وهو اليوم عدو لكم بيس ما استبدل الظالمون
عن رب العزة ابليس لعنه الله حيث تركوا طاعة من امرهم وانعم عليهم ويجازيهم بجنة الخلد
واطاعوا من يؤديهم الى العقاب الدايم وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله
امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار **قوله عز وجل**
مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
معناه انكم اتبعتموهم كاتباع من يكون عنده علم باطن لا ينال الا من جهته وانا ما اطلعتهم
على خلق السموات والارض ولم يكونوا موجودين اذ خلقت السموات والارض وما اشهدت بعضهم
خلق بعض ولا اعطيتهم العلم بكيفية خلق الاشيا ولو كنت ممن استعين بلحد لما استعنت بالمضلين
فكيف والاستعانة علي مستحيلة اذا اردت خلق شيء كان ومن قرا افتح التا وماكنت فالمعنى
وماكنت يا محمد لتتخذ المضلين انصارا والاعتضاد هو التقوي وطلب المعونة يقال اعتضدت
بفلان اذا استعنت به واصل ذلك من عضد اليد ثم يوضع موضع العون **قوله عز وجل**
وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم
مَّوْبِقًا معناه يوم القيمه يقول لعبدة الاوثان نادوا شركايي الذين زعمتم انهم شركاي
وهم الاصنام والشيطان وذريته ليدفعوا عنكم العذاب فدعوهم فلم يجيبوهم الى ذلك وجعلنا
بين العابد والمعبود من العذاب ما يوبقهم اي يهلكهم وقيل ان الموبق هو واد في النار
من الصديد والقيح والدم ويقال معناه وجعلنا بينهم من الوصل والود في الدنيا مهلكا لهم
في الاخرة **قوله عز وجل** وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ
يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا معناه وراى المشركون النار فايقنوا انهم داخلوها ولم يجدوا عنها
معدلا يعدلون اليه والاجرام قطع العمل الى الفساد من قولهم جرمت الجرام اي صرمت الصرام
والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقايع الحروب واوقع به ايقاعا **قوله عز وجل** وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا في تكذيب الرسل
وفيما جاوا به من الايات الدالة على التوحيد والرسالة ويقال معناه ليس شيء من الملايكة
والجن والشياطين وساير الاصناف اجدل من الانسان وعن ابي امامة الباهلي رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اعطوا
الجدل **قوله عز وجل** وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا
رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا معناه وما منع الناس ان
يصدقوا بالله ورسوله اذ جاتهم الادلة ويتوبوا من الكفر الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين
في مجيء العذاب من حيث لا يشعرون او مقابلة من حيث يرون ونظير هذا قول الرجل للاخر
ما منعك ان تقبل قولي وقد تمت الحجة عليك الا اني لم اضربك ومن قرا قبلا بضم القاف
والبا فمعناه ضروب من العذاب وهو جمع قبيل **قوله عز وجل** وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي
وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا معناه وما نرسل الانبيا صلوات الله عليهم الا ليبشروا المطيعين
بالثواب على الطاعة ويخوفوا العصاة بالعقاب ويخاصم الذين كفروا بالكتاب والرسل
بالحجة الباطلة ليبطلوا بها القران والاسلام واتخذوا كتابي ورسلي وما خوفوا به من العقاب

استهزا استهزؤا بها والمجادلة هي المناظرة للقتل عن المذهب بالحجة يقال سبر مجدول اذا
كان شديد القتل ويسمى الصقر اجدل لشدة فتله الصيد الا ان الزام ما لا يلزم جدال بالباطل وكانوا
يلزمون النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي بالايات على اهوائهم ويأتي بالمليكة معاينة ٥ واما
الادحاض فهو الازالة يقال مكان داحض اي مزل مزلق لا يثبت عليه قدم **قوله عز وجل**
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
معناه ليس احد اظلم ممن وعظ بالقران تكذب بدلايل الله واعرض عن التفكر فيها والايمان بها
وترك ذكر ما عملت يداه ونتغافل عن فكره انا جعلنا على قلوبهم اغطية كراهة ان يفقهوا الهدى
اولئك لا يفقهوه وجعلنا في اذانهم وقرا لئلا يسمعوا وهذا تشبيه لقلوبهم واعراضهم عن
التفكر في ايات الله تعالى لمن يكون على قلبه اكنة وفي اذانه وقر ولكن حذف حرف التشبيه
لان الحذف في التشبيه ابلغ من الاثبات كما يقال فلان حمار وفلان اسد ويراد بذلك التشبيه وقد بين الله
سبحانه في اية اخرى حيث قال كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ولو كانت الاكنة والوقر على الحقيقة
لم تقل كان في اذنيه وقرا لانه لا يقال للحمار انه كانه حمار وقد وصفهم الله تعالى في هذه الاية بانهم
اعرضوا عن الايه ولو كانت على قلوبهم اكنة لم يصفهم بهذه الصفة ولهذا قال وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا وصف من يمكنه ان يهتدي فيعدل عن الهدى ثم بين الله عز وجل
انهم مع هذه الحال رحمهم الله تعالى بتاخير العقوبة عنهم بما انه في الانعام وان اخره المعلة
فقال عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا معناه وربك الغفور لمن استحق الغفران
ذو الرحمة والافضال على خلقه ولو يؤاخذهم بعقاب ما كسبوا لعجل لهم العذاب في الحال بل
لعذابهم اجل ضربه الله تعالى لن يجدوا من دونه موئلا ملجا يلجون به من العذاب **قوله عز
وجل** وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا معناه وتلك القرى
الماضية قرى عاد وثمود وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا بتكذيب الرسل عليهم السلام وجعلنا
لوقت اهلاكهم اجلا والمهلك بضم الميم مصدر معناه الاهلاك ويجوز ان يكون اسم الزمان
لهلاكهم يقال ادخلت فلانا مدخلا وهذا مدخله اي وقت ادخاله واما المهلك بفتح الميم
وكسر اللام فهو من هلك وانما لم يعجل هلاك هولاء الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان المعلوم من حالهم ان يؤمن بعضهم ويكون في نسل بعضهم من يؤمن
قوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي
حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا معناه واذكر
اذ قال موسى لفتاه لما في قصته من العبرة والامور العجيبة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
والسبب في ذلك ان موسى عليه السلام لما اعطي الالواح وكلمه الله تعالى وقع في قلبه ان ليس في الارض
احد اعلم منه ولا افضل فاوحى الله تعالى اليه ان لي في الارض عبدا اعبد منك واعلم وهو الخضر عليه السلام
فقال موسى عليه السلام يارب دلني عليه فامره الله تعالى ان ياخذ سمكا مالحا وقال له امض الى شاطئ البحر
حتى اذا وجدت السمك قد عاش فثم تلقى الخضر عليه السلام ففعل ذلك موسى عليه السلام ثم انطلق هو
وفتاه يوشع بن نون يمشيان على شاطئ البحر فاويا الى صخرة عندها ما تسمى عين الحيوة فجلس يوشع
على الصخرة يتوضا من تلك العين فانتضح من ذلك الماء على الحوت المالح فحيي ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه في
الماء فلا يضرب شيا وهو ذاهب الا يبس موضعه كهيئة السرب فقام يوشع حين راى ذلك من الحوت

وذهب

وذهب الى موسى عليه السلام ليخبره بذلك فنسي ان يخبره وذهبا يومهما ذلك حتى صليا الظهر
من الغد فنصب موسى عليه السلام وقال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
ومعنى هذه الاية واذ قال موسى لفتاه لا ابرح اي لا ازال امضي حتى ابلغ الموضع الذي يلتقي فيه
بحر فارس والروم او امضي سنين كثيرة ويقال دهورا كثيرة والحقب جمع احقاب والاحقاب
جمع الحقب والحقب ثمانون سنة ويقال سبعون سنة وهو بلغة قيس سنة ويسمى يوشع فتاه
لانه كان يخدمه ويلازمه في السفر والحضر للعلم منه **وقوله تعالى** فلما بلغا مجمع بينهما اي
لما بلغا الى الموضع الذي يجتمع فيه ماء البحرين نسي صاحب موسى عليه السلام ان يخبره بخبر الحوت
واضاف النسيان اليهما كما يقال نسي القوم زادهم اذا نسي متعهد امرهم ويقال كان النسيان
من يوشع ان يذكر لموسى عليه السلام ما راى من الحوت او نسي ان يقدمه وكان النسيان
من موسى عليه السلام ان يامره بشيء **وقوله تعالى** فاتخذ سبيله في البحر سربا معناه اتخذ
الحوت طريقا في البحر مسلكا يابسا وقيل سربا اي ذاهبا كما في قوله تعالى وسارب بالنهار **قوله
عز وجل** فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا معناه فلما جاوزا راس البحرين قال موسى عليه السلام ليوشع اتنا ما نتغدى به لقد
لقينا من سفرنا هذا تعبا ومشقة قال له يوشع ارايت يا موسى اذ انتهينا الى الصخرة التي نزلنا
عندها وهي عند راس البحرين فاني نسيت ما رايت هنالك من امر الحوت ان اذكره لك وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي ما شغلني عن ذكره لك وما انسانيه الا الشيطان واتخذ
سبيله في البحر عجبا معناه واتخذ الحوت طريقه في البحر عجبا ويجوز ان يكون قوله تعالى سبيله
في البحر تمام كلام يوشع وقوله عجبا من كلام موسى عليه السلام اي قال له موسى عليه السلام
اعجب عجبا **فان قيل** كيف يجوز ان يرى الانسان مثل هذه الاعجوبة ثم لا يذكرها لصاحبه في السفر
قيل فيه قولان احدهما ان هذا انما يجوز في وقت لا تكثر فيه الاعجوبات فاما في وقت موسى
عليه السلام كان تكثر الاعاجيب فلم يكن ذلك نادرا في ذلك الوقت والثاني يحتمل ان يوشع لما راى
ذلك تفكر اولا في نفسه في ذلك انه كيف يحيي الله الموتى ويحشرهم من قبورهم وجعل ياخذ
في الاستدلال بهذا على ذلك فشغله ذلك عن ذكره لموسى عليه السلام ونسي ان يذكره له عليه السلام
ثم اخبره به من بعد **قوله عز وجل** قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما
قصصا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما
معناه قال له موسى عليه السلام ذلك الذي كنا نطلب دلالة لنا من الله تعالى على موضع الخضر
عليه السلام فرجعا في طريقهما يقصان اثرهما الذي سلكاه فوجدا عند الصخرة عبدا من عبادنا
يعني الخضر عليه السلام **قال** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك انهما لما انتهيا الى الصخرة
جعل يوشع يري موسى عليه السلام مكان الحوت واثره في الماء وكان موسى عليه السلام
يتعجب من ذلك اذ وقع بصره على رجل قايم يصلي فانتظره حتى فرغ فقال له موسى عليه السلام
السلام عليك فقال الخضر واني السلام بارضي ثم التفت اليه وقال وعليك السلام يا نبي بني
اسرايل فقال له موسى عليه السلام ومن اخبرك فقال الخضر عليه السلام اخبرني بذلك الذي
اخبرك فعرف موسى عليه السلام ان الخضر عليهما السلام اعلم منه ومعنى اتيناه رحمة من عندنا
اكرمناه بالنبوة وعلمناه من لدنا العلم ببواطن الامور **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه بعده فلم يقبل وهرب ولحق بجزاير البحور

فطلبه ابوه فلم يقدر عليه وقيل انما سمي الخضر لانه كان اذا صلى في مكان اخضر ما حوله **قوله عز وجل** قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا معناه قال موسى عليه السلام للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت انت مما يهديني الى الصواب وجوز ان يكون معنى رشدا اترشدني به رشدا قال يا موسى انك لن تستطيع معي صبرا اي ترا مني شيا لا تصبر عليه وكيف تصبر على ما ظاهره منكر والانبيا والصالحون لا يصبرون على ما يرونه منكرا قال ستجدني ان شا الله صابرا على ما اراه منك ولا اعصي لك امرا تامرني به قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اي اذا انكرت شيا افعله فلا تعجل بالمسلة عنه الى ان ابين لك الوجه فيه وفي هذه الايات بيان ان العالم وان بلغ الغاية في العلم فانه لا ينبغي ان يترك ما يزداد به علما وينبغي له ان يتواضع لمن هو اعلم منه في بعض العلوم دون بعض ويجوز ان يتعلم النبي من النبي ومن غير النبي اذا لم يكن عليه فيه غضاضة **قوله عز وجل** فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا معناه فمضيا حتى اذا ركبا في السفينة نقبها الخضر عليه السلام قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال وذلك ان الخضر لما ركب السفينة اخذ بيده فاسا ومنقارا واكب على السفينة يخرقها فقال له اهل السفينة ننشدك الله تعالى ان لا تخرقها فاتاه موسى عليه السلام فقال يا عبد الله لا يحل لك هذا فانك تغرق اهل السفينة فلم يكلمه الخضر عليه السلام حتى خرق السفينة فتنحى موسى عليه السلام فجلس وقال ما اصنع في اتباع هذا الرجل الذي يظلم الناس كنت في بني اسرايل اقرا عليهم التورية بكرة وعشية ويقبلون مني فتركت ذلك وصحبت هذا الظالم فقال له الخضر عليه السلام بعد ما اخرج اهل السفينة متاعهم الى الجزيرة اتدري ما تحدث به نفسك فقال له موسى عليهما السلام ما هو فاخبره بما حدثته به نفسه فقال له الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وجا عصفور فوقع على السفينة فنقر من عرض البحر نقرة ثم طار فقال له الخضر عليه السلام والله ما ذهب انا وانت من العلم في علم الله تعالى الا بمثل ما غرف هذا العصفور من عرض البحر وقوله تعالى لقد جيت شيا امرا اي منكرا عظيما قال الشاعر

قد لقي الاقران مني نكرا ... داهية دهيا اذا امرا

والامر هو الفاسد الذي يحتاج ان يومر بتركه الى الصلاح ومنه امر القوم اذا كثروا واحتاجوا الى من يامرهم واما الامر من الامور فهو الذي من شانه ان يومر فيه وقوله تعالى قال الم اقل لك معناه قال له الخضر عليه السلام الم اقل لك حين رغبت في اتباعي لن تستطيع معي صبرا فقال موسى عليه السلام لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قيل بما تركت من عهدك في اول عهدك وقيل اراد به النسيان الذي هو ضد الذكر وقد يتفق عند مشاهدة الامر الخارج عن العادة ان ينسى الانسان ما عاهد غيره عليه خصوصا عند خوفه على نفسه وعلى ساير من في السفينة وقوله تعالى ولا ترهقني من امري عسرا معناه ولا تغشيني من امري شدة اي عاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر واصل الرهق الغشيان يقال رهق الفارس فلانا اذا غشيه فادركه وغلام مراهق اي اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ وفي بعض الروايات ان موسى عليه السلام راى ان الخرق لا يدخل منه الما ولم يبرهن في السفينة فقال لا تواخذني بما نسيت لم يوهمه انه فعل ذلك ناسيا واراد به في نفسه كما تركت كما يكون في معاريض الكلام **قوله عز وجل** فانطلقا حتى

اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا معناه فمضيا حتى اذا لقيا غلاما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لقيا غلاما يقال له جيسور بين قريتين ابوه من عظما احداهما وامه من عظما الاخرى وكان يقطع الطريق بينهما ويلجا اليهما فيحلفان دونه فلما راه الخضر عليه السلام بين الغلمان اخذه من بينهم فصرعه ثم نزع راسه من جسده فقتله فقال له موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية اي بريئة من الذنوب لم تجن ما يوجب قتلها ومن قرا زاكية فمعناه طاهرة من الذنوب **وقد اختلفوا** في هذا الغلام انه كان بالغا ولم يكن بالغا الا ان قوله تعالى بغير نفس دليلا انه كان بالغا لان غير البالغ لا يقتل وان قتل غيره وقوله تعالى لقد جيت شيا نكرا اي منكرا عظيما قال القتيبي رحمه الله ان النكر ابلغ من الامر في الانكار لان قتل النفس اشد من خرق السفينة وقال الزجاج رحمه الله الامر ابلغ في الانكار لان تغريق اهل السفينة اعظم من قتل نفس واحدة وقوله تعالى قال الم اقل لك معناه قال الخضر عليه السلام الم اقل لك يا موسى انك لن تستطيع معي الصبر وزاد هاهنا لك للتاكيد لانه قد سبق منه الزجر مرة وقوله تعالى قال ان سالتك عن شي بعدها معناه قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شي بعد هذه الكرة فلا تصاحبني ان طلبت صحبتك وقد بلغت من عندي الى وقت العذر **قرا رسول الله** صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقال رحم الله اخي موسى عليه السلام استحيى فقال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قوله تعالى عليه السلام ان سالتك عن شي بعد هذه الكرة فلا تصاحبني ان طلبت صحبتك هو الاجود لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفتها الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاولى كما تقول عن زيد وعني ومن قرا لدني بالتخفيف لم يجز على قوله ان يقول عني ومني بحذف النون لان لدن اسم غير متمكن فيجوز حذف النون منه ويجوز من لدني بتسكين الدال **قوله عز وجل** فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شيت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا معناه فمضيا حتى اتيا اهل قرية قيل هي قرية انطاكية وقوله تعالى استطعما اهلها اي ظهرا من انفسهما حاجتهما الى الطعام وقيل انهما سالاهم ان يضيفوهما فابوا وقيل كان نزولهما بين ظهرانيهم بمنزلة السوال منهما وقوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض معناه وجدا جدارا مايلا مشرفا على الانهدام يريد يكاد يسقط بسرعة فدفعه الخضر بيده فاستوى قايما وانما قال يريد ولا ارادة للجدار فان الارادة انما تكون للحيوان المميز لان معناه ان هيته في تهيه للسقوط قد ظهرت كما تظهر افعال المريدين فوصفه بالارادة حين كانت الصورتان واحدة فانه يقال يريد ان يموت كما يقال يريد ان ياكل ومثله في كلام العرب كثير قال الشاعر

يريد الرمح صدر ابي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال اخر

في مهمه فلقت به هاماتها ... فلق الفوس اذا اردن فصولا

وقد انزل الله تعالى بلغتهم القران فلا ينكر مثل هذا الا من لا يعرف كلام العرب وقوله تعالى لو شيت لاتخذت عليه اجرا معناه قال موسى عليه السلام لو شيت لاتخذت على اقامتك هذا الجدار جعلا تاكله ومن قرا لتخذت بغير الف فمعناه معنى الاول وقوله تعالى هذا فراق بيني وبينك قيل معناه هذا القول شرط فراق بيننا اي فراق بيني وبينك ان حكمت على نفسك وقيل معناه هذا فراق بيننا اي فراق اتصالنا والبين من الاضداد ومثل هذا من الكلام اخزى الله الكاذب مني ومنك اي منا وقوله تعالى سانبيك معناه ساخبرك بتاويل الاشيا التي رايتها مني فلم تصبر عليها **قوله عز وجل** اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت

ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا معناه ان السفينه التي نفسها فكانت لفقرا يعملون في البحر فاردت ان اعيبها بالخرق وكان اماههم ملك يقال له جلند ايا خذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد يذكرورا بمعنى قدام كما قال الشاعر

اليس وراى ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع وتقال في حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الاخر ما يتوارى عنك فقد صار وراك ويجوز ان يكون معنى وراءهم خلفهم فقد روي انه كان رجوعهم على هذا الملك ولم يعلم به اصحاب السفينه وفي الاية دليل ان للوصي ان يعيب مال اليتيم اذا راى فيه المصلحة **قوله عز وجل** وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما معناه واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مومنين فخشينا ان يلحقهما طغيانا وكفرا وهذا من كلام الخضر عليه السلام اعلمه الله تعالى بذلك ولا تجوز الخشية على الله عز وجل الا ان يكون بمعنى العلم او بمعنى الكراهة كانه قال فعلمنا او فكرهنا وقيل ان ذكر العلم بلفظ الخشيه في هذا الباب اقرب الى اللفظ من ذكر العلم بلفظ العلم وقوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما معناه فاراد الله تعالى ان يبدلهما ولدا خيرا منه طهارة وصلاحا واوصل رحما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فرزقهما الله تعالى جاريه فتزوجها نبي من الانبيا صلوات الله عليهم فولدت نبيا عليه السلام فهدى الله على يديه امة من الناس وقيل في الايه دليل على ان الله تعالى اذا علم من حال الانسان انه يفسد عند شي وجب في حكمته ان يذهب ذلك الشي حتى لا يفسد الانسان ويروى ان نجدة الحروري كتب الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتل الولدان وقد قتل عالم موسى عليه السلام غلاما فكتب اليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انك لو علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليهما السلام لكان لك ان تقتلهم **قوله عز وجل** وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا معناه واما الجدار الذي سويته فكان لغلامين في المدينه اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما قيل انه كان مالا وقيل انه كان علما والمعروف في اللغة ان الكنز اذا افرد اريد بذلك المال المدفون المحروز واذا قيل عنده كنز علم فهو العلم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان ذلك لوحا من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله احمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وقوله تعالى وكان ابوهما صالحا اي كان ذا امانة كان يقال له كاشح حفظهما الله تعالى بصلاح ابيهما وفي هذا بيان ان اباهما لم يكن منع حق الله تعالى في ذلك المال ولم يكن في ذلك المال حق لغيره لان الانسان الصالح لا يمنع حق الله تعالى ولا حق غيره في ماله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل اهله وولده واهل الدويرات حوله فما يزالون في حفظ الله تعالى ما كان بين اظهرهم وقد قال الله عز وجل ولولا رجال مومنون ونساء مومنات الى ان قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما وقوله تعالى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما معناه فاراد ربك بالامر بتسويه الجدار ان يبقيا الى الوقت الذي يعرفان فيه نفع انفسهما ويستخرجا كنزهما نعمة من ربك وهذا نصب على المصدر على معنى رحمهما الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون نصبا

نصبا على انه مفعول له اي للرحمة فعلنا ذلك قوله تعالى وما فعلته عن امري معناه وما فعلت ذلك عن نفسي وانما فعلته بامر الله تعالى ذلك تاويل ما لم تقدر عليه صبرا والاصل في تسطع تستطيع لكن الطا والتا من مخرج واحد فحذفت التا لما اجتمعا لتخف اللفظ ويروى ان الخضر عليه السلام لما اراد ان يفارق موسى عليه السلام قال له موسى عليهما السلام اوصني قال يا موسى انزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة وابك على خطيئتك يا ابن عمران **وفي هذه القصة** بيان ان فعل الحكيم للضرر لا يجوز ان يستنكر فان الحكيم لا يامر ولا يفعل الا ما هو صواب وحكمة وهو مثل الصبي اذا حجم او سقي الدوا واستنكره من لا يعرف معنى الحكمة فيه فكذلك ما يفعل الله تعالى من الضرر او يامر به وهذا اصل كبير في هذا الباب **قوله عز وجل** ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا معناه ويسالونك اليهود يا محمد عن خبر ذي القرنين قل سأقرا عليكم من خبره ذكرا **وقد** اختلفوا في تسمية ذي القرنين بهذا الاسم قال بعضهم رحمهم الله تعالى لانه كان على راسه ما يشبه القرنين ويقال ضرب على قرني راسه ويقال سمي بذلك لانه بلغ قطري الارض وكان اسمه اسكندر وقوله تعالى انا مكنا له في الارض معناه ملكناه في الارض وآتيناه من كل شي سببا يبلغ به من التمكين من اقطار الارض علما يوصله الى ما يريد ومن ذلك سمي الحبل سببا وتسمى الطريق سببا وقوله تعالى فاتبع سببا معناه فاتبع سببا من الاسباب التي مكناه فيها ومن قرا فاتبع سببا بجزم التا معناه لحق يقال ما زلت اتبعه حتى تبعته اي حتى لحقته وقوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس معناه حتى اذا بلغ الى قوم لم يكن بينهم وبين مغرب الشمس احد لان احدا لا يمكنه ان يبلغ موضع غروب الشمس وقوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة قال بعضهم راها تغرب في الما كمن يكون في بحر لا يرى شطه يرى الشمس تغرب في الما وتطلع من الما كذلك الذي يكون على الارض يرى الشمس خلف الجبل تغرب خلف الجبل قال بعضهم وجدها على الحقيقه تغرب في عين حمية اي ذات حماة وتقرا حامية اي حارة ولا يمتنع ان العين تكون بالصفتين جميعا يقال حمئت البير اذا اخرجت حماتها واحماتها اذا القيت فيها الحماة وحميت هي فهي حمئة اي ذات طينة سودا وقوله تعالى ووجد عندها قوما معناه وجد عند العين قوما قلنا يا ذا القرنين قيل في هذا دليل ان ذا القرنين كان نبيا لان الانسان لا يعلم امر الله تعالى الا بالوحي ولا يجوز الوحي الا الى الانبيا صلوات الله عليهم وقيل كان معه نبي عليه السلام فاوحى الله تعالى الى ذلك النبي عليه السلام وفي الجملة لا يمكن اثبات النبوة الا بدليل مقطوع به ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال هو ملك يسيح في الارض وقوله تعالى اما ان تعذب اي قلنا له اما ان تقتلهم على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا بان تاسرهم قال اما من ظلم بالكفر فسنعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا انكر من القتل واعظم واما من آمن بالله تعالى وعمل خالصا فله في الاخرة جزا الطاعة التي عملها في الدنيا وهذا اذا قرئ قوله جزاء الحسنى بالضم على الاضافه واما من قرا جزاء الحسنى بنصب الالف والتنوين فمعناه ان له الحسنى اي الجنة في الاخرة مجزيا بها جزا فيكون قوله جزاء مصدرا في موضع الحال وقوله تعالى وسنقول له من امرنا يسرا معناه وسنامره في الدنيا بما يتيسر عليه وقوله تعالى ثم اتبع سببا معناه ثم اتبع طريقا اخر نحو المشرق **قوله عز وجل**

حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك
وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قال بعضهم رحمهم الله معناه حتى اذا انتهى الى اخر العمارة من جهة
المشرق وجد الشمس تطلع على قوم لم يكن لهم عمل ولا شجر ولا شي يسترهم عن الشمس قال ولا يجوز
ان يكون المعنى انما بلغ الى المكان الذى تطلع منه الشمس لان الشمس تدور حول الارض من غير
ان تلتصق بها وهي اعظم من ان تدخل في الارض في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض
اضعافا مضاعفة وهي اعظم ما خلق الله تعالى في العالم وقال بعضهم معناه انه بلغ الى
الموضع الذى تطلع منه الشمس على الحقيقة ويروى عن عمرو بن مالك رحمه الله انه قال
وجدت رجلا يحدث بسمرقند يقول جاوزت الصين حتى اتيت مطلع الشمس مسيرة يوم وليلة
فسالتهم كيف تطلع قالوا كهيئة الصلصلة واستاجرت اجيرا وسرت حتى جئتهم
فاذا احدهم يفترش احد اذنيه ويلبس الاخرى فمكثت حتى تطلع الشمس فغشي علي
فافقت وهم يمسحونني بدهن فلما طلعت الشمس على الما اذا هي على الما كهيئة الزيت
واذا طرف السما كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا
الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه على الصخرة فينضج واما قوله تعالى
كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا فمعناه كما بلغ المغرب بلغ الى المشرق وقد احطنا بما عنده
علما ويقال معناه كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وحكمهم حكم اوليك
وقوله تعالى ثم اتبع سببا معناه ثم اتبع طريقا من المشرق نحو الروم حتى اذا بلغ بين الجبلين
اللذين جعلوا الردم بينهما وجد من دون الجبلين قوما لا يكادون يفقهون قول غيرهم
الا بجهد ومن قرا يفقهون بضم اليا فمعناه يفهمون والفقه الفهم والعلم ه واما
السد بنصب السين ورفعها فهما لغتان بمعنى واحد يقال ان السد بالنصب ما كان من
فعل العباد وبالرفع ما كان مسدودا خلقه **قوله عز وجل** قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم
ردما اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله
نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا
معناه قالوا باشارة او بالترجمان يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج وهما قبيلتان من اولاد
يافث بن نوح عليه السلام مفسدون في الارض بافساد اموال الناس وقتلهم واكل
رطبهم ويابسهم يقال انهم اكثر من اهل الارض اضعافا والترك من اصل نسبهم
الا ان اوليك كانوا اشد فسادا من الترك فتباعدوا من الناس كما يعزل اللصوص
من الناس وياجوج وماجوج اسمان اعجميان لا ينصرفان لانهما معرفة ومن قراهما
بالهمز جعله من اجة الحر وهي توقده فيكون التقدير من ياجوج مفعول ومن ماجوج مفعول
وقوله تعالى فهل نجعل لك خرجا خراجا اي قالوا له هل نجعل لك نصيبا من اموالنا غلة
او ضريبة في كل سنة على ان تجعل بيننا وبينهم حاجزا ومن قرا خرجا فهو مصدر اقيم مقام
الاسم وقوله تعالى قال ما مكني فيه ربي خير قال لهم ذو القرنين ما اعطاني من المال
خير مما تعرضون علي من الجعل فاعينوني بقوة اي بالرجال والالات اجعل بينكم وبينهم
ردما والردم اشد الحجاب وهو اكبر من السد في اللغة لان الردم ما جعل بعضه على بعض

يقال

يقال ثوب مردوم اذا كان رقع رقعة فوق رقعة وقوله تعالى اتوني زبر الحديد معناه اتوني
قطع الحديد والزبرة القطعة العظيمة وقوله تعالى حتى اذا ساوى بين الصدفين معناه
حتى اذا ملاه بين الجبلين وسماهما الصدفين لانهما يتصادفان اي يتقابلان فلما وضع
ذو القرنين بينهما الحديد وجعل بين كل قطعتي حديد حطبا حتى ملا ما بين الجبلين وامر
بالنار فارسلت فيه وقال للحدادين انفخوا بالمنافخ حتى اذا صار الحديد كالنار قال اعطوني
قطرا وهو النحاس المذاب اصبه على الحديد والحطب فينقطر كما يقطر الما ففعل حتى دخل
بعضه في بعض وصار النحاس مكان الحطب وصار الجميع شيا واحدا اجمع صلدا من حديد ونحاس
فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا معناه فما قدروا ان يعلوه لارتفاعه
وان ينقبوه من اسفله **قوله عز وجل** قال هذا رحمة من ربي
فاذا جا وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا معناه قال لهم ذو القرنين هذا التمكين
نعمة من ربي عليكم فاذا جا وعد ربي اي وقت اشراط الساعة جعله دكا اي جعل
[...] دكاء بالمد والمعنى جعل السد ارضا دكا اي منبسطة يقال ناقة دكاء اذا
[...] وقوله تعالى وكان وعد ربي حقا معناه وكان تقدير خروجهم صدقا كاينا
[قوله عز] وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم
جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا معناه وتركناهم يوم رجوعهم من الردم
[...] ويتكرون القول فيه ومتعجبين من السد ومضطربين اضطراب الموج ويقال معناه
[...]جهم من السد يموج بعضهم في بعض في الافساد واراد بالترك التخلية وقوله تعالى ونفخ
[...] بالنفخة الثانية التي تكون للحشر تحشر بها الناس من قبورهم ونجمعهم جميعا في
[...] تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا معناه واظهرنا جهنم يومئذ للكافرين
[...] جزا اعمالهم معاينة وقوله تعالى الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكري معناه
[...]ين قلوبهم في غطا عن ذكري بما ركبها من الرين والغشاوة وقوله تعالى وكانوا
[...]معا اي كان يثقل عليهم سماع ذكر الله تعالى وهذا نظير قول القايل لا استطيع اليك
[...]طيع ان اراك اي يثقل علي ذلك **قوله عز وجل** افحسب الذين كفروا ان
يتخذوا عبادي من دوني اوليا انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا معناه افظن الذين
كفروا ان ينفعهم اتخاذهم عبادي مثل المسيح والملايكة الذين عبدوهم من دوني اربابا
وعن امير المومنين علي رضي الله عنه انه قرا افحسب الذين كفروا بجزم السين وضم البا
معناه افيكفيهم مني ومن طاعتي ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا وقوله تعالى انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا اي جعلناها منزلا وماوى لهم واراد بالنزل ذات النزل ويقال معناه
جعلت جهنم طعاما لهم **قوله عز وجل** قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اوليك الذين كفروا
بايات ربهم ولقايه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاوهم
جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا معناه قل لهم يا محمد هل نخبركم
بالاخسرين اعمالا في الاخرة ثم وصفهم فقال الذين ضل سعيهم اي هم الذين بطل سعيهم
في الدنيا وهم يظنون انهم يعملون عملا صالحا ثم بين من هم فقال عز من قايل اوليك الذين
كفروا بايات ربهم ولقايه اي جحدوا دلايل توحيد ربهم والبعث بعد الموت فحبطت حسناتهم

التي عملوها مثل صلة الرحم والاحسان الى الناس فلا يزن سعيهم مع الكفر شيا ذلك الاحباط
جزاوهم جهنم بما كفروا واتخذوا دلايل توحيدي ونبوة انبيايي صلوات الله عليهم هزوا
استهزاء وعن كعب بن عجرة رحمه الله انه قال يجا بالرجل يوم القيمة فيوزن بالجنة فما
يزنها ثم يوزن بجناح بعوضة فما يزنها اقراوا ان شيتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا معناه ان الذين صدقوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الطاعات في ايمانهم كانت لهم جنات الفردوس نزلا
مقيمين فيها لا يطلبون عنها تحويلا **وقد** اختلفوا في الفردوس فقال مجاهد رضي الله عنه
هو الجنة بلغة الروم ويقال هو الكرم وحقيقته انه البستان الذي يجمع كل شجر مثمر
ونبت طيب وما جار وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الفردوس ارفع موضع
في الجنة واحسنه **قوله عز وجل** قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا وذلك ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم انا اوتينا الحكمة وفيها خير كثير ثم تزعم وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى
هذه الاية ومعناها قل لو كان البحر مدادا لعلم ربي وحكمه فيكتب من البحر كما يكتب من المداد لنفد الماء
وتكسرت الاقلام قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا لهذا البحر وهذا القول مروي عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما ويقال اراد بكلمات ربي معاني القران والاحكام المستنبطة منه
فان اعيان القران قد فرغ من كتابتها والمدد هو الجاي شيا بعد شي والمدد هو مصدر وهو يجي شي
بعد شي **قوله عز وجل** قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا معناه قل لهم انا ادمي مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لا فضل لي عليكم الا
بمعرفة الله تعالى وطاعته فمن كان يخشى لقاء ربه ويقال فمن كان يومل لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يرايي في عبادة الله تعالى احدا ويقال ولا يشرك مع الله تعالى غيره في العبادة
نزلت هذه الاية في جندب بن زهير العامري وكان اذا صام او صلى او تصدق فذكر بخير
ارتاح لذلك فزاد في ذلك لمقالة الناس فانزل الله تعالى هذه الاية وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال كل يعمل على نيته المومن يعمل على نيته والمنافق يعمل على نيته وليس من مومن يعمل
عملا الا سار في قلبه سورتان ان كانت الاولى لله تعالى فلا تضره الاخرى وروي ان رجلا
جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسر العمل واخفيه فاذا اظهر
علي فكانه يعجبني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الله لك اجر السر والعلانية وعن
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الكهف فهو معصوم
الى ثمانية ايام من كل فتنة تكون فيها ومن قرا الاية التي في اخرها حين ياخذ مضجعه كان
له نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان
مضجعه بمكة فتلاها كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملايكة
يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ وبالله التوفيق

سورة مريم عليها السلام

كلها مكية وهي ثمان وتسعون عند الاكثرين وتسع وتسعون عند
المكيين بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا

قال

قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعايك رب شقيا
واني خفت الموالي من وراي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث
من ال يعقوب واجعله رب رضيا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في اول هذه
السورة انه ثنا اثنى الله عز وجل به على نفسه فالكاف من كاف والها من هادي والبا من
حكيم والعين من عليم والصاد من صادق **وقال** الحسن رضي الله عنه هو اسم للسورة ولهذا اعقبه
بقوله ذكر رحمة ربك **وكان** امير المومنين علي رضي الله عنه يحلف بهذه الحروف **واما**
قوله ذكر رحمة ربك فمعناه هذا ذكر رحمة الله على زكريا وخبر احسانه اليه او فيما تلي عليكم ذكر
رحمة ربك **وقوله تعالى** عبده نصب بالرحمة وزكريا هو احد انبيا بني اسرايل عليهم السلام **وقوله**
تعالى اذ نادى ربه معناه اذ دعى ربه سرا وافضل الدعا دعا السر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
خير الدعا الخفي وافضل الرزق ما يكفي **وقوله تعالى** قال رب اني وهن العظم مني معناه قال
يا رب اني ضعف العظم مني والوهن في اللغة نقصان القوة **وقوله تعالى** واشتعل الراس شيبا
اي اخذ الراس شمطا او بياضا والاشتعال هو انتشار شعاع النار واستعماله في الشيب من احسن
الاستعارة لانه ينتشر في الراس كما ينتشر شعاع النار والشايب هو الذي يخالط غيره **وقوله تعالى**
شيبا نصب على المصدر كانه قال شاب شيبا **وقوله تعالى** ولم اكن بدعايك رب شقيا اي كنت تجيبني
اذا دعوتك وقد عودتني الاجابة ولم تكن تخيبني والشقي هو الذي يخيب **وقوله تعالى** واني خفت
الموالي من وراي معناه خفت العصبة وبني العم ان يرثوا علمي دون من كان من نسلي ويقال معناه
خفتهم على الدين من وراي لانهم هم الذين يلونه في النسب بعد الصلب كما ان معنى القرابة من قرب
منه في النسب **وقوله تعالى** وكانت امراتي عاقرا اراد به امراته اخت ام مريم ابنة عمران بن ماثان
كانت عقيما من الولد يقال امراة عاقر اذا كانت لا تلد والرجل العاقر هو الذي لا يولد له والعقر
في البدن هو نقص اصل الخلقه اما الجراحة او غير ذلك **وقوله تعالى** فهب لي من لدنك وليا هب لي من
عندك ولدا يرث نبوتي ومكاني ويرث من ال يعقوب العلم والنبوة اراد بذلك يعقوب بن ماثان وهم
اخوال يحيى وبنوا ماثان كانوا رؤس بني اسرايل وبني ملوكهم وليس بيعقوب هذا ابا يوسف
عليهما السلام **وقوله تعالى** واجعله رب رضيا معناه ووفقه للعمل الصالح حتى يصير مما
ترضاه ولهذا بوصف العلم والنبوة بالارث كما يقال ورث فلان شرف ابيه اذا قام مقامه فيه
وذهب بعض المفسرين رحمهم الله في قوله تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب الى ان المراد المال وحمل الاية على
ميراث العلم والنبوة اولى من حملها على المال لوجوه **منها** ان المعلوم من حال الانبيا صلوات الله
عليهم انهم كانوا لا يتحوطون بالمال ولا يسلفون على مصيرها لهم بعد موتهم استحقه **ومنها** انهم لا
يقصدون جمع ما يبقى بعد موتهم لورثتهم **ومنها** ان الله تعالى قال ويرث من ال يعقوب ولم يرد
بذلك المال وكان زكريا عليه السلام يسال الله تعالى ان يرزقه ولدا يقوم بعده بامور الدين والقيام به
بعد موته لخوفه على بني اعمامه من تبديل دينه بعد وفاته وذلك انه خاف ان يستولي بنوا اعمامه
على علومه وكتبه فيحرفوها ويا كلون الناس بها ويفسدون دينه ويصدون الناس عنه **ومما**
يدل على صحة هذا التاويل ما روى الزهري عن مالك بن اوس عن انس رضي الله عنه قال سمعت عمر رضي الله
عنه يناشد نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم عثمن وعبد الرحمن والزبير وطلحة انشدكم
بالله الذي تقوم السما والارض بامره اتعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبيا لا نورث
ما تركناه صدقة قالوا نعم قد ثبت برواية هولا الجماعة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ان الانبيا
عليهم السلام لا يورثون المال **قوله عز وجل** يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل

له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا معناه ان الله تعالى
استجاب دعاه فاوحى اليه يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا يسمى بهذا
الاسم اى ما سمي احد قبله باسمه قال قتادة رضي الله عنه سمي يحيى لان الله تعالى احياه بالايمان
والحكمة وقوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام معناه قال زكريا لجبريل عليهما السلام يا سيدي من اين
يكون لي ولد وكانت امراتي عاقرا من الولد وقد بلغت من الكبر الى حال اليبس والجفاف روي
انه كان له بضع وتسعون سنة يومئذ والعتي والعسي بمعنى واحد والعاقر هو الذى غيره طول الزمان
الى اليبس وكذلك العاتي وقد تقدم ان هذا القول لم يكن من زكريا عليه السلام على جهة الانكار ولكن
كان احب ان يعلم من اي وجه يكون ايردهما الله تعالى الى الشباب ام يرزقهما الله تعالى ولدا وهما
على هذه الصفة وقوله تعالى قال كذلك قال ربك معناه قال له جبريل هكذا قال ربك كما قلت
هو علي هين اى خلقه علي هين وقد خلقتك من قبل يحيى ولم تك معدوما **قوله عز وجل**
قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من
المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا معناه قال زكريا عليه السلام رب اجعل
لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به لا تعجل المسرة قال آيتك اى علامتك ان لا تقدر ان
تكلم الناس وانت سوي مستوي عضو الكلام لا خرس فيه ولا آفة فانه كان يقرا الزبور
ويدعو الله تعالى ويسبحه ولكن اعتقل لسانه عن كلام الناس وقوله تعالى فخرج على قومه
من المحراب معناه خرج عليهم من مصلاه متغير اللون وهم ينتظرونه فانكروه وقالوا ما
لك يا زكريا فاشار اليهم ويقال كتب بيده ان صلوا لله غدوة وعشية ثم تكلم بعد ثلث واتى
امراته على طهر فحملت بيحيى قال ابو عبيدة المحراب صدر المجلس ومنه محراب المسجد
ويستدل من هذه الاية على ان اشارة الاخرس تقوم مقام قوله واما اشارة الصحيح فلم يختلف
الفقهاء في انها لا تقوم مقام قوله لانه ليس له عادة في الاشارة فيعمل عليها ولهذا قال
علماؤنا رحمهم الله في المريض اذا اعتقل لسانه فاوصى بالاشارة ولم يعمل على ذلك **قوله عز
وجل** يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان
تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا معناه قال الله تعالى ليحيى عليه السلام بعد ما بلغ المبلغ الذى يجوز ان يخاطب يا يحيى خذ
الكتاب اى اعمل بما في التورية بجد وصحة عزيمة وآتيناه الحكم اى اعطيناه الحكمة وهي الفهم
بكتاب الله تعالى صبيا اى كان يومئذ على هيئة الصبيان وله عقل البالغين **وروي** انه
مر بالصبيان فقالوا له تعال حتى نلعب فقال ما للعب خلقنا وقوله تعالى وحنانا من لدنا
معناه وآتيناه تحننا على قومه ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة ربهم وزكوة اى عملا صالحا
ويقال زكيناه بحسن الثناء عليه وقيل في معنى وحنانا جعلناه رحمة من عندنا لابويه
وزكوة اى صدقة عليهما واما التقي فهو الذى يجمع كل ما يرضي الله تعالى من عباده والبر هو
العطوف اللطيف بوالديه وقوله تعالى ولم يكن جبارا اى لم يكن متكبرا في دينه قتالا على
الغضب ولا عاصيا لربه وقوله تعالى وسلام عليه اى سلامة وسعادة منا عليه حين
ولد وحين يموت وحين يبعث حيا من القبر **قوله عز وجل** واذكر في الكتاب مريم
اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا معناه واذكر في

القرآن

القرآن خبر مريم لتعتبر الناس بدينها وصلاحها وقوله تعالى اذ انتبذت معناه تفردت
وتنحت الى مكان من مشرقة الدار التى كانت فيها فاتخذت من دون اهلها سترا منهم لتغتسل
من الحيض وذلك انها كانت اذا حاضت ذهبت الى دار خالتها وهي امراة زكريا فاذا طهرت عادت الى بيتها
في المسجد فبينما هي في مشرقة لها تغتسل من الحيض اذ دخل عليها جبريل عليه السلام بعد ما فرغت من الاغتسال
في صورة شاب لم ينقص في تكرمته وقالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فستتعظ بتعوذي بالله
تعالى منك وسمي جبريل عليه السلام روحا لانه لا يشوبه شي غير الروح وخص بالاضافة الى الله تعالى
تشريفا له ويقال سمي روحا لان الناس يحيون بما جاء به في اديانهم كما يحيون بالارواح ابدانهم
قوله عز وجل قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي
غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا معناه قال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول
ربك لاهب لك بامر الله تعالى ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ومن قرا ليهب لك بالياء فمعناه ليهب الله
تعالى لك وقوله تعالى قالت انى يكون لي قالت مريم لجبريل عليهما السلام من اين يكون لي ولد
ولم يقربني زوج ولا قربني احد بالزنا والبغي هي الفاجرة الطالبة للزنا قال لها جبريل عليه السلام
كذلك اى كما قلت لك قال ربك هو علي هين اى خلقه علي هين من غير هاتين الجهتين كخلق آدم
عليه السلام بلا اب ولا ام وقوله تعالى ولنجعله آية للناس معناه ولكي نجعله علامة للناس
على براءة امه ويقال نجعل نفسه دلالة على نبوته وكانت دلالة سائر الانبياء صلوات الله عليهم
من غيرهم وقوله تعالى ورحمة منا اى ولنجعله رحمة على الخلق وقوله تعالى وكان امرا
مقضيا اى كان امرا كائنا سابقا في علم الله تعالى ان يكون **قوله عز وجل** فحملته فانتبذت
به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا
منسيا وذلك انها لما سمعت كلام جبريل عليه السلام اطمانت الى قوله فدنا منها فمد جيبها باصبعه
ثم نفخ في جيبها فوصلت تلك النفخة الى بطنها فحملت بعيسى عليه السلام فلما ظهر حملها تنحت لولادتها
الى مكان بعيد من الناس هكذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والانتباذ ماخوذ من النبذ
يقال نبذت الشي اذا رميت به وجلس نبذة اى ناحية والقصي والقاصي خلاف الداني واما
قوله تعالى فاجاءها المخاض معناه الجاها الطلق وهو تحرك الولد للولادة الى جذع نخلة يابسة
لا سعف لها ويقال كانت نخلة لا راس لها واجاءها وجاء بها بمعنى واحد كما يقال ذهبت به واذهبته
وخرجت به واخرجته وقوله تعالى قالت يا ليتني مت قبل هذا قال السدي رحمه الله انها
قالت ذلك استحياء من الناس ويقال لطبع البشرية خافت من الفضيحة **وذهب** بعضهم
رحمهم الله الى انها انما تمنت الموت للحال التى دفعت اليها من الولادة من غير ذكر وقيل ان
هذا خطا لان هذه حال كان الله تعالى قد ابتلاها بها ولا شك انها كانت راضية بقضاء الله تعالى
لها بذلك ولكن الصحيح انها انما تمنت الموت قبل ذلك لعلمها بان الناس سيرمونها بالفاحشة
ويأثمون بسببها فتمنت ان تكون ماتت قبل ان يقول الناس بسببها قولا يسخط الله تعالى وقوله
تعالى حكاية وكنت نسيا منسيا اى شيئا متروكا لا يذكر والنسي في كلام العرب الشي الحقير الذي
اذا القي نسي ولم يلتفت اليه ومن قرا نسيا بالفتح فاصله نسيئا الا انه خفف كما يقال للهدي
هدي ويجوز تكرير اللفظين المختلفين بمعنى واحد للتاكيد **وقد اختلفت
الرواية** في مدة حملها روي انها تسعة اشهر وروي ثمانية اشهر وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال ما هي الا ان حملت ثم وضعت وقال مقاتل رحمه الله حملت في

قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال

قال اهل التفسير وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى ولها ثلث عشرة سنة وان عيسى عاش الى ان رفع ثلثا وثلثين سنة وان مريم بقيت بعد رفعه ست سنين وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة

ساعة ووضعته في ساعة غير ان قوله تعالى فاجاءها المخاض الى جذع النخلة دليل طول مدة الحمل
قوله عز وجل فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ۝ فكلي واشربي وقري عينا فاما
ترين من البشر احدا ۝ فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ان المنادي
من تحتها كان جبريل عليه السلام كانه في مكان اسفل من مكانها فناداها الا تحزني يا من بهم
على ولادة عيسى عليه السلام فقد احسن الله تعالى لك الاختيار وجعل تحتك سريا والسري هو
النهر الصغير يسمى سريا لانه يسري بجريانه **وقال** الحسن رضي الله عنه هو عيسى عليه السلام
هو والله السري من الرجال **وقال** مجاهد والحسن ووهب بن منبه وسعيد بن جبير
رضي الله عنهم الذي ناداها هو عيسى عليه السلام وعلى هذا القول قراه النصب من تحتها اليق
بهذا التفسير وقيل ان قراه الكسر اجود القرائتين لان قراتها اكثر والمعنى فيها اعم لانه اذا قيل
من تحتها بالكسر احتمل انه الملك واحتمل انه عيسى عليه السلام **وقوله تعالى** وهزي اليك بجذع
النخلة معناه حركي اصل النخلة او بعض النخلة يقول العرب هزته وهزي به بمعنى واحد اذا
حركه يقال خذه بالخطام وخذ الخطام وتعلقت زيدا وتعلقت به **وقوله تعالى** تساقط عليك من
قرا بالياء رده الى الجذع ومن قرا بالتاء رده الى النخلة والرطب الجني هو المجني من الثمرة الطرية يقال
اجتناه اجتنا اذا اقتطعه وفي نصب الرطب قولان **قال** المبرد رحمه الله هو المفعول به
والمعنى وهزي اليك بجذع النخلة رطبا تساقط عليك **وقال** غيره هو نصب على التفسير المحول
كان الفعل للرطب فلما حول الى الجذع او النخلة خرج قوله رطبا مفسرا ومن قرا تساقط بالضم
كان نصب رطبا بوقوع الفعل عليه **واما قوله تعالى** فكلي واشربي معناه فكلي من الرطب
واشربي من النهر وقري عينا اي وقرت عينك اي بردت برد السرور بما ترى ويقال سكنت بسكون
السرور ورويتها ما تحب فالاول من القر والثاني من القرار وانتصاب عينا على التفسير المحول
كما يقال طيبي نفسا اي طابت نفسك **وقوله تعالى** فاما ترين من البشر احدا من الادميين
فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا عن الطعام والشراب والكلام فلذلك قالت فلن
اكلم اليوم انسيا **قال** السدي رضي الله عنه كان من صام في ذلك الزمان لا يكلم الناس
فاذن لها في الكلام في هذا القدر ثم امرت بالسكوت حتى يتكلم عيسى عليه السلام بعذرها
وفي الاية دليل ان استعمال الصمت كان قربة ولولا ذلك ما نذرته مريم ثم نسخ ذلك بنهي
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم الصمت **ويروى** انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صمت يوم
الى الليل **قوله عز وجل** فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا ۝ يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا ۝ فاشارت اليه
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ۝ روي انها اتت بعيسى عليه السلام الى قومها بعد ما
طهرت من نفاسها تحمله وهو ابن اربعين يوما فتكلم عيسى عليه السلام في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين
فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي منكرا عظيما ويقال الفري الامر العجيب يقال فلان يفري
الفري اي يعمل العمل البالغ ويقال الفري القبيح من الافترا **وقوله تعالى** يا اخت هرون
قيل معناه يا شبيهة هرون في العبادة وكان هرون رجلا صالحا من امثل بني اسرايل **روي**
ان اهل الكتاب قالوا كيف يقولون ان مريم اخت هرون وبينهما ستمائة سنة وقيل ذلك

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انهم كانوا يسمون باسما الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
والصالحين رضي الله عنهم فعلى هذا يجوز ان اخا مريم كان يسمى هرون **وقال** السدي
رضي الله عنه هو هرون اخو موسى عليه السلام نسبت اليه لانها من ولده كما يقال يا اخا بني فلان
وقيل كان رجلا فاسقا معروفا بالفسق فنسبت اليه **وقوله تعالى** فاشارت اليه معناه
فاشارت الى عيسى عليه السلام ان كلموه قالوا لها كيف نكلم من هو صبي في حجرامه **وقوله تعالى**
كان في هذا الموضع زايدة وصبيا نصب على الحال لان كل رجل كان صبيا في المهد ويقال كان بمعنى وقع
وحدث ويجوز ان يكون من في معنى الشرط والجزا فيكون المعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما
يقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف نخاطبه والمهد في الاصل كل ما يوطا للصبي من السرير وغيره **قال**
السدي رحمه الله فلما اشارت الى الصبي غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اعظم من زناها فلما تكلم عيسى عليه
السلام قالوا ان هذا لامر عظيم **قوله عز وجل** قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني
نبيا ۝ وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ۝ وبرا بوالدتي ولم
يجعلني جبارا شقيا ۝ والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ۝ روي ان
عيسى عليه السلام لما اشارت اليه امه اتكا على يساره واشار بسبابته فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب اي علمني التورية والزبور **وقال** مقاتل رضي الله عنه علمه الله تعالى الانجيل
في بطن امه **وقوله تعالى** وجعلني نبيا اي رفيعا بما اعطاني من المعجز **وعن الحسن**
رضي الله عنه انه قال خلقه الله تعالى على هيئة ادم عليهما السلام وكمل عقله وارسله الى
عباده **وقوله تعالى** وجعلني مباركا اي معلما للخير نفاعا حيث ما كنت والبركة نما الخير
والمبارك هو الذي ينمي الخير به والتبرك طلب البركة بالشي **وقوله تعالى** واوصاني بالصلوة
اي وتقدم الي بالامر بالصلوة وزكوة المال ما دمت حيا وجعلني لطيفا بوالدتي ولم ينزلني
منزلة الجبارين الاشقيا باعمالهم والسلام علي من الله تعالى يوم ولدت ووعدني الله تعالى
مثل ذلك يوم اموت ويوم ابعث من القبر حيا ۝ وفي هذا دليل ان للانسان ان يصف نفسه
بصفات الحمد والخير اذا اراد تعريفها الى غيره لا على جهة الافتخار وهو مثل قول يوسف
عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم ۝ وفي الاية رد على اليهود والنصارى
في قولهم ان عيسى عليه السلام لم يتكلم في المهد ولولا كلامه الذي دلهم على براتها من الزنا
لما تركوا اقامة حد الزنا عليها **قال** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انما كلمهم
عيسى عليه السلام بهذا القدر من الكلام ثم سكت فلم يتكلم حتى كان قدر ما يتكلم الغلمان
وكان عند كلامه يعلم ما لم يعلمه احد ثم بعثه الله تعالى بالرسالة حتى انتهى الى ثلثين سنة
فلما اتاهم وقال اني رسول الله اليكم كذبوه وقالوا ما اية نبوتك فقال اني اخلق من
الطين كهيئة الطير الى اخر الاية **قوله عز وجل** ذلك عيسى ابن مريم قول
الحق الذي فيه يمترون ۝ ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون ۝ وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
معناه ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى بن مريم **وقوله تعالى** قول الحق من قرا بالرفع
كان المعنى هو قول الحق ويجوز ان يكون معناه لعيسى عليه السلام كانه قال هو كلمة الحق
ومن قرا قول بالنصب فالمعنى اقول قول الحق الذي تشك النصارى فانهم اختلفوا قال بعضهم
هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقالت اليهود هو لغير رشدة **وقوله تعالى** ما
كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون معناه ما كان

ينبغي لله ان يتخذ ولدًا اي ليس ذلك من صفاته سبحانه تنزيهًا له عن الولد والشريك وقوله تعالى
اذا قضى امرًا معناه كيف يتخذ الولد من اذا شا امرًا كان كما خلق عيسى عليه السلام بلا اب
وقوله تعالى وان الله ربي وربكم من قرا وان الله ربي وربكم فالمعنى واوصاني ان الله ربي
وربكم وقيل قضى ان الله ربي وربكم ومن قرا بكسر الهمزة فعلى الاستيناف ويجوز ان تكون عطفًا
على اني عبد الله والصراط المستقيم هو الدين المستمر في جهة واحدة فاذا استمر في جهات
مختلفة فهو طريق متشعب قوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم فويل
للذين ظلموا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين معناه فاختلف الاحزاب من اهل الكتاب في عيسى عليه السلام جعله بعضهم
الها وقال بعضهم هو ابن الله ونسبه بعضهم الى غيره شدة فويل للذين لحدوا في عيسى عليه
السلام من مشهد يوم عظيم تشهده الخلايق وسمى ذلك اليوم عظيما لعظم شانه وعظم
الجزائية وقوله تعالى اسمع بهم وابصر معناه ما اسمعهم وما ابصرهم يوم القيمة اي
يشاهدون من البعث ما يسمع ويبصر بلا شك ولا مرية لكنهم في الدنيا في كفر بين قوله
عز وجل وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا
نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون معناه وخوفهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
باليوم الذي يتحسر فيه كل مفرط في امره اذ قضي الامر بقيام الساعة ويقال يوم الحسرة يوم
ياتيهم ملك الموت لقبض ارواحهم فاذا وقعت المعاينة قال عند ذلك رب ارجعون
وقوله تعالى وهم في غفلة معناه وهم في الدنيا في غفلة وهم لا يصدقون بالقران انا نحن
نرث الارض بانقطاع ملك العباد عنها والينا يرجعون في الاخرة نجزيهم باعمالهم قوله
عز وجل واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك
فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
معناه واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان كثير الصدق بالحق نبيًا عليًا برسالة الله تعالى والمعجزة
التي شهدت بصدقه اذ قال لابيه يا ابه لم تعبد من دون الله ما لا يسمع ان دعوته ولا يبصر
ان عبدته يعني الصنم ولا يغني عنك شيا من عذاب الله تعالى يا ابه اني قد جاني من العلم بالتوحيد
ما لم ياتك فاتبعني ارشدك الى الحق يا ابه لا تطع الشيطان ولا من يامرك الشيطان بطاعته ان
الشيطان كان كثير العصيان لله تعالى يا ابه اني اخاف ان يصيبك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا موكولا الى الشيطان ويقال قرينا له في النار وقد تقدم الكلام في دخول التا
في يا ابه انها للمبالغه في تحقيق الاضافه كما دخلت في نسابه وهي علامه المبالغة في الصفة
قوله عز وجل قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما
تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا معناه قال
امعرض انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته عن مقالتك لارجمنك بالشتم والعيب ويقال
لاقتلنك رجما وقوله تعالى واهجرني مليا اي تباعد عني دهرا طويلا ماخوذ من الملاوة
وهي الزمان الطويل من الدهر ويقال معنى مليا سويا سليما من قبل ان يلحقك مكروه ومن ذلك
قولهم فلان ملي بهذا الامر اذا كان كامل الامر فيه والرغبة في الشي هو اجتلابه لما فيه من

المنفعة

المنفعة ونقيض ذلك الرغبة عن الشي وهو اجتلاب الانصراف عنه لما فيه من قلة المنفعة والانتها
هو الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاه عن كذا فانتهى واصل ذلك من النهايه والنهي يزجر
عن الخروج عن النهايه واما قوله تعالى سلام عليك فهو سلام توديع وقوله تعالى ساستغفر
لك ربي معناه ساستغفر لك على ما يجوز من تركك عبادة الاوثان واخلاصك لله تعالى
وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي لطيفا بعموم النعمه يقال احفاني فلان اي اكرمني
والطفني وقوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله معناه وانفرد عنكم وعن
ما تعبدون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي خايبا محروما قوله
عز وجل فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا معناه
فلما خرج الى ناحية الشام وتركهم وترك اصنامهم آنسنا وحشته بولد كرام على الله تعالى
ووهبنا لهم نعما كثيرة واكرمناهم بالثنا الحسن فان جميع اهل الملل يحسنون الثنا عليهم
والعرب تقول جاني لسان فلان تريد بذلك مدحه او ذمه وبالله التوفيق قوله عز وجل
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا معناه واذكر في الكتاب خبر موسى عليه
السلام انه كان مخلصا لله تعالى بالعبادة والتوحيد وكان رسولا رفيعا والاخلاص هو اخلاص
الطاعة عن ما يشوبها من الفساد ومن قرا مخلَصًا بفتح اللام فهو المعصوم من المعاصي
يقال اخلصه الله اي اختاره وقوله تعالى وناديناه قيل ان النداء هو ان الله عز وجل قال يا موسى
اني انا الله رب العالمين والطور هو جبل بالشام ناداه الله تعالى من ناحيته اليمنى فسمع موسى
عليه السلام النداء عن يمينه ولا يكون للجبل يمين ولا يسار وقوله تعالى وقربناه نجيا قيل في
معناه جعلنا محله منا محل من قربه مولاه في مجلس كرامته والنجي هو المختص بادراك كلام
مكلمه اصله النجوة وهي الارتفاع من الارض والنجاة الارتفاع عن الهلاك وعن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما انه قال قرب موسى عليه السلام الى اعلا الحجب حتى سمع صرير القلم الذي
كتب به التوريه وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا معناه ووهبنا له من نعمتنا بان بعثنا معه
اخاه هرون يعينه على الدعا الى الله تعالى قوله عز وجل واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند
ربه مرضيا قال الحسن رضي الله عنه هو اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام واما قوله تعالى كان
صادق الوعد فمعناه انه كان اذا وعد انجز وهذا يشتمل على الوفا بما وعد الله تعالى من العبادة
وبما وعد الناس وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وعد رجلا ان ينتظره
حتى يرجع اليه فاقام مكانه ينتظره حتى حال الحول وقوله تعالى وكان يامر اهله بالصلوة
اراد بالاهل امته واهل كل نبي امته قوله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه
كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل ان ادريس هو اخنوخ جد النبي صلى الله عليه وسلم
سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله تعالى والسنن وانزلت عليه ثلثون صحيفه وهو
اول من لبس ثوب القطن وكانوا قبل ذلك يلبسون جلود الضان والمكان العلي هو
عظيم العلو وعن انس بن مالك رضي الله عنه وكعب ومجاهد وابي سعيد الخدري رضي الله
عنهم ان ادريس عليه السلام رفع الى السما الرابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك
رضي الله عنه انه رفع الى السما السادسه وقيل في معناه ورفعناه مكانا عليا رفعناه في العلم

والنبوة الى درجة عالية وهذا القول لا ينافي رفعه الى السما **قوله عز وجل** اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

سجده

معناه ان الذين ذكرهم هم الذين اكرمهم الله تعالى بالنبوة والاسلام فوصفهم الله تعالى بهذه الصفة للاقتدا بهم وانما فرق ذكر نسبهم مع انهم كلهم كانوا لادم عليه السلام ليبين مراتبهم في شرف النسب فانه كان لادريس شرف القرب من ادم عليه السلام لانه جد نوح عليه السلام وكان ابرهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح عليه السلام لانه ولد سام بن نوح وكان اسمعيل واسحق من ذرية ابرهيم عليهم السلام لما تباعدوا عن آدم عليه السلام حصل لهم شرف ابرهيم عليه السلام وكان موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل **وقوله تعالى** وممن هدينا واجتبينا معناه وممن رشدناهم الى الدين واصطفيناهم لادا الرسالة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن التي انزلت عليهم وقعوا يسجدون لله تعالى ويبكون من مخافة الله تعالى والسجد جمع ساجد واما البكي فهو جمع باك مثل شاهد وشهود والاصل بكويا فادغمت الواو في اليا وكسرت الكاف من اجل اليا فقيل بكي ومن قال ان بكيا ها هنا مصدر بمعنى البكا فهو خطا لانه عطف على قوله سبحانه سجدا وفي الآية دليل ان سامع السجدة وتاليها في حكمها سوا لان الله تعالى مدح السامعين بهذه الآيه **قوله عز وجل** فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا معناه فخلف من بعد الانبيا صلوات الله عليهم والصالحين رحمهم الله خلف قيل ان الاغلب في الاستعمال ان يقال في الرداة خلف باسكان اللام وفي الصلاح خلف بفتح اللام قال الشاعر ٥ ذهب الذين يعاش في اكنافهم ٥ وبقيت في خلف كجلد الاجرب ٥ ويجوز ان يقام كل واحد من اللفظين مقام الاخر **وقوله تعالى** اضاعوا الصلوة معناه اضاعوها بتاخيرها عن مواقيتها ويقال معناه تركوها البته **وقوله تعالى** واتبعوا الشهوات معناه واشتغلوا باللذات فيما حرم عليهم فسوف يلقون غيا قيل ان الغي واد في جهنم اعد للغاوين تسمى غيا وقيل معناه جزا الغي كما في قوله تعالى يلق اثاما اى جزا الاثم **وقوله تعالى** الا من تاب وآمن وعمل صالحا يجوز ان يكون معناه الا التائبين منهم ويجوز ان يكون نصبا استثنا من غير الاول على معنى لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فاولئك يدخلون الجنة ولا ينقصون من حسناتهم ثم بين الجنة فقال عز وجل جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا اى بساتين اقامه وانما قيل جنات لان لكل واحد من المومنين جنة يجمعها الجنة العظمى والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به والوعد الخبر عما يتضمن فعل الخير ونقيضه الوعيد **وقوله تعالى** انه كان وعده ماتيا لان ما اتيك فقد اتيته يقال اتيت على خمسين سنة واتت على خمسون سنة واتيت خبر فلان واتاني خبر فلان **قوله عز وجل** لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا معناه لا يسمعون في الجنة كلاما ساقطا لا معنى له ولا يسمعون الا سلاما يسلم بعضهم على بعض والسلام هو الكلام الذي لا لغو فيه ولا اثم ولهم رزقهم في الجنة بكرة وعشيا اى على مقدار البكرة والعشي في الدنيا فانه يجمع لهم الطعام في وقتين كما يكون في الدنيا وياكلون فيما عدا هذين الوقتين ما يشتهون كما في الدنيا والبكرة مقدار ما بين طلوع الشمس الى ارتفاعها والعشي ما بين الزوال الى غروبها **وقوله تعالى** تلك الجنة اى كل الجنة

الى

التي وصفها الله تعالى هي التي نورث من عبادنا من كان تقيا وانما قال نورث وليس بتمليك نقل عن غيرهم اليهم لانه مشبه بالميراث من حيث انه تمليك في حال مبتداه بعد حال انقضت من امر الدنيا وقيل اورثهم الله تعالى من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا **قوله عز وجل** وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا وذلك ان جبريل عليه السلام ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فلما اتاه قال ما زرتنا حتى استبطاناك ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فانزل الله تعالى عن جبريل عليه السلام المعنى قل له وما نتنزل من السما الا بامر ربك له ما بين ايدينا من امر الدنيا وما خلفنا اى الاخرة وما بين النفختين وما كان ربك ليتركك وان تاخر عنك رسوله رب السموات والارض اى هو مالك السموات والارض ومالك ما بينهما فاعبده واصطبر على عبادته حتى الموت هل تعلم له مثلا وشبيها لعبده ويقال معناه هل تعلم من يستحق الالهيه سواه ويجوز ان يكون المعنى هل من احد يسمى رب السموات والارض غيره **قوله عز وجل** ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيا عنى بالانسان الكافر الذي لا يومن بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ابي بن خلف الجمحي قال هذا القول انكارا للبعث **وقوله تعالى** اولا يذكر الانسان من قرا بالتخفيف اراد بالذكر ضد النسيان ومن قرا يذكر بالتشديد فمعناه اولا يتعظ الانسان انا خلقناه من نطفة ولم يك شيا موجودا فدل سبحانه بالنشاة الاولى على النشاة الثانيه لانه اذا صحت الاولى بقادر مدبر صحت الثانيه بما صحت به الاولى ولو صحت الاولى بغيره لم تصحت به الثانيه وهذا حجة على من انكر البعث **قوله عز وجل** فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اقسم الله تعالى بنفسه لنحشرنهم من قبورهم مع الشياطين الذين اضلوهم ثم لنجمعنهم حول جهنم باركين على الركب لان المحاسبه انما تكون بقرب جهنم والجثي جمع كالبكي **وقوله تعالى** ثم لننزعن معناه لنخرجن من كل فرقة ايهم اشد تمردا على الله تعالى نبدا بالاعتى فالاعتى والاكثر جرما وجزاه ثم لنحن اعلم بالاولى بشده العذاب واحقهم بعظم العقاب والصلي هو اللزوم من قولهم صلي بالنار صليا والشيعة الجماعة المتعاونون على امر من الامور يقال تشايع القوم اذا تعاونوا **وقوله تعالى** ايهم رفع على الحكاية تقديره يقال ايهم اشد على الرحمن عتيا فليخرج واجاز اهل النحو ايهم بالنصب على معنى الذي **قوله عز وجل** وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اختلفوا في الخطاب الذي في اول الاية قال بعضهم رحمهم الله هو راجع الى الكفار لانه تقدمه قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا فكنى عنهم كناية الغيبه ثم خاطب خطاب المشافهه ثم ابتدا فقال سبحانه ثم ننجي الذين اتقوا فاراد بحرف ثم التراخي في الاخبار ليبان انه تعالى ينجيهم بان يجيزهم الصراط فيدخلهم الجنه ويترك الكفار في النار باركين على الركب وقال بعضهم رحمهم الله وهم الاكثرون ان قوله تعالى وان منكم خطاب مبتدا لجميع الخلق يخالف الخطاب الاول في الكفار يدل عليه قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اى ثم ننجي من الواردين من اتقى لانه لا يقال ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين الا والكل واردون ثم اختلف هولا في معنى الورود قال بعضهم رحمهم الله هو الدخول كما في قوله تعالى فاوردهم النار اى ادخلهم النار وقالوا الا ان النار تكون على المومنين بردا وسلاما واستدلوا بما روي عن جابر بن

عبد الله رضي الله عنه انه هوى بيده الى اذنيه وقال صمّتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم
عليه السلام حتى ان لجهنم او قال للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
قالوا والفايدة في دخولهم النار ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا وصلوا الى الجنة وسواء نعيمها فرحوا
بالنجاة من العذاب وفي دخولهم فيها ايضا زيادة غم على اهل النار من حيث يظهر حزنهم عند الانبيا
صلوات الله عليهم والمؤمنين رحمهم الله وقال بعضهم رحمهم الله ان الورود هو الاشراف على النار
بلا دخول لان موضع المحاسبة يكون قريبا من النار وقد قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين ولم يكن موسى
عليه السلام دخل الما ويقال وردت ماء كذا اذا وصلت اليه **واستدلوا** من جهة الخبر بما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيت حفصة رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لن يدخل النار ان
شاء الله عز وجل احد شهد بدرا او الحديبية فقالت حفصة رضي الله عنها اوليس الله تعالى يقول وان
منكم الا واردها فقال الا تسمعين ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وحكى الزجاج
عن ابن مسعود والحسن وقتاده رضي الله عنهم ان ورودها ليس بدخول لها الا ان المشهور
عن عبد الله وقتاده رضي الله عنهم ان الورود هو المر عليها قال الزجاج والحجة القاطعة على
انهم لا يدخلون النار قول الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا
يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون قال وهذه حجة لا معارض لها **وأما ما**
رواه الكلبي رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها حزن
المسلمون واشتد عليهم فمكثوا بعد هذه الاية سنتين ثم انزل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
ففرح المسلمون بها ونسخت هذه الاية التي قبلها فهذه الرواية لا يعترض عليها فيما ذكرت تاريخ
النزول واما في النسخ فلا يصح لان النسخ لا يكون في الخبر وانما يكون فيما طريقه الامر والنهي واما
قوله تعالى حتما مقضيا فالحتم القطع بالامر وذلك حكم من الله عز وجل والمقضي هو الذي قضى بانه يكون
قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا ورءيا معناه واذا تتلى على الكفار الايات المنزلة في القران ظاهرات قالوا للذين امنوا اي
الفريقين خير مقاما يعنون اي اهل الدينين خير مسكنا واحسن مجلسا في الدنيا فكذلك يكون في
الاخرة وذلك انهم كانوا يلبسون احسن الثياب ثم يقولون مثل هذا القول للمؤمنين فاجابهم الله تعالى
بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن معناه كم اهلكنا قبل قريش من الامم الخالية هم احسن اموالا
واحسن منظرا واما الندي فهو المجلس الذي يجتمع فيه اهله يقال ندوت القوم اندوهم
اذا جمعتهم في مجلس وفلان في ندي قومه يراد به المجلس واما الاثاث فهو المتاع واحدها اثاثة
كحمام وحمامة قال الفراء لا واحد له ويجمع آثة واثث والرئي اصله الرءي بالهمز الا ان هذه
الهمزة حولت طرحها ويجوز ان يكون الري بالتشديد به من الارتواء لنعمة **قوله عز وجل**
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من
هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا معناه قل لهم يا محمد من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا اي ليزده في عمره وفي ماله وولده ويقال ليدعه الله في طغيانه حتى اذا وصل الى
الاخرة لم يكن له فيها نصيب وهذا لفظ امر ومعناه الخبر كانه تعالى جعل جزا ضلاله ان يتركه
ويمده كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون الا ان لفظ الامر يوكد معنى الخبر كان المتكلم به يريد

الزام

الزام نفسه اذا قال مالي من زارني فلاكرمنه كان اكد من ان يقول فاكرمه **واما قوله تعالى**
اما العذاب واما الساعة فمعناه اما القتل والاسر يوم بدر واما يوم القيمة وما اعد الله تعالى لهم من
النار وقوله تعالى فسيعلمون وعيد لهم اي سيعلمون بالنصر والقتل ايهم اضعف جندا من جند
النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمون مكانهم من جهنم ومكان المؤمنين من الجنة من هو شر مكانا
وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى قيل يزيدهم هدى بالايمان والشرايع والايمان
بالناسخ والمنسوخ وقيل يزيدهم هدى بالادلة والحجج والالطاف التي تدعو الى الحسنات والباقيات
الصالحات هي الصلوات الخمس ويقال الكلمات التي في قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ويقال هي جميع الطاعات وهذا القول اعم واحسن وسميت الطاعات باقيات لبقا ثوابها
للانسان وقوله تعالى خير عند ربك ثوابا معناه انها انفع من مقامات الكفار التي يفتخرون بها
وقوله تعالى وخير مردا معناه وافضل مرجعا في الاخرة وافضل ما يرد على صاحبه **قوله عز وجل**
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا
كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا نزلت هذه الاية
على ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في العاص بن وايل السهمي قال خباب بن الارت
كنت قينا بمكة وكنت اعمل للعاص فاجتمع لي عليه دراهم فجئت اتقاضاه فقال لا اقضيك حتى تكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم فقلت لا اكفر بمحمد حتى تموت وتبعث قال فاذا بعثت كان لي مال وولد
واقضيك هنالك قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية قال
الحسن رضي الله عنه نزلت الاية في الوليد بن المغيرة ومعنى لاوتين مالا وولدا ان كان ما يقوله
محمد صلى الله عليه وسلم حقا لاعطين مالا وولدا في الاخرة وهذا مثل قوله تعالى ولين رددت الى
ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ومن قرا ولدا بالرفع قيل ان الولد بمعنى الولد كالعدم والعدم والحزن
والحزن وقال رؤبة الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولد شي ولدا وقال اخر
فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار وقيل ان الولد جمع الولد
كما تقول اسد واسد وقوله تعالى اطلع الغيب معناه اعلم ذلك غيبا ام عهد الله اليه عهدا
بما يمنى من جهته وقوله تعالى كلا سنكتب ما يقول رد عليه اي لا يكون كما تقول وسنحفظ
عليه قوله فنجزيه عليه ونمد له بعض العذاب ببعض فيبقى في العذاب دايما ونرثه المال
والولد بعد اهلاكنا اياه فلا يعود ذلك اليه كما لا يعود المال الى من خلفه بعد موته وياتينا في
الاخرة وحيدا خاليا من المال والولد **قوله عز وجل** واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا معناه واتخذ اهل
مكة من دون الله اصناما الهة ليكونوا لهم اعوانا وشفعا والاتخاذ اعداد الشي لنايبة في العاقبة
والعز الامتناع من الضيم فهولا اتخذوا الالهة ليصيروا الى العز فلا يصيبهم سو وقوله تعالى
كلا كلمة زجر وتنبيه اي هذا مما يرتدع منه وينبه عن وجه الضلالة فيه سيكفرون اي سيجحدون
ويتبرون يعني الاصنام من عباده الكفار كما قال عز من قايل في ايه اخرى تبرانا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون وقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا اي يكونون عونا على الكفار في خصومتهم
وتكذيبهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب رضا المخلوق في معصية
الخالق عاد الحامد له ذاما ثم قرا صلى الله عليه وسلم ويكونون عليهم ضدا **قوله**
عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما
نعد لهم عدا قيل في معناه اما تعلم انا ارسلنا اي خلينا بين الشياطين وبين الكفار فلم نعصمهم

الكفار منا لقبول منهم وقد تسمى التخلية ارسالا في سعة اللغه كما يقال ارسل فلان كلبه علينا اذا لم يمنعه عنهم وقيل في معنى ارسلنا سلطنا وهذا اقرب من الاول لان الارسال لا يذكر بمعنى الاراده ولا يجوز ان يكون المراد به في هذه الايه الاذن والامر اذ لو اريد به ذلك لكانت الشياطين مطيعين لله تعالى والكفار معذورين بالقبول منهم وقوله تعالى تؤزهم ازا معناه تزعجهم الى المعصية الله تعالى ازعاجا وتغريهم اغرا وقوله تعالى فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بمسئلة اهلاكهم انما نعد لهم عدا اي نعد انفاسهم نفسا بعد نفس كما نعد ايامهم واجالهم

قوله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا معناه اذكر لهم يا محمد يوم نحشر المتقين للكبائر والفواحش الى دار الرحمن وهي موضع الكرامه والثواب لينتهي الحشر الى ذلك المكان حشرا الى الرحمن كما في قوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اي ذاهبا الى الموضع الذي امرني ربي وقوله تعالى وفدا اي ركبانا قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهل يكون الوفد الا ركبانا في قدومهم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انهم يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحال الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا ابواب الجنه وانما وحد الوفد لانه مصدر وقد يجمع وفودا واما قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا معناه نحثهم على السير الى جهنم عطاشا على اقدامهم كالابل التي ترد الماء عطاشا الا ان هولاء يمنعون من الشرب لانه لا يشرب من الحوض الا المومنون والعابد في ذكر السوق ان الخلق اذا خرجوا من قبورهم اسرع المومنون الى الداعي وتثاقل المجرمون فيبعث الله تعالى نارا او دخانا تسوقهم الى المحشر وقوله تعالى لا يملكون الشفاعه معناه لا يقدر المجرمون على الشفاعة لكن من اتخذ عند الله عهدا وهم المومنون يملكون الشفاعه وعلى هذا القول موضع من الذي بعد الا نصب على الاستثنا المنقطع وقيل انه نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المعنيون الشفاعة الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ويجوز ان يكون من بدلا من الواو والنون في لا يملكون كانه قال لا يملك الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون من في موضع رفع على هذا القول وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال العهد الدعا وهو ان يقول اللهم فاطر السموات والارض اني اعهد اليك في الدنيا ان لا تكلني الى عملي يباعدني من الخير ويقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمه انك لا تخلف الميعاد فاذا كان يوم القيمه نادى مناد ليقم من كان له عند الرحمن عهد فيقوم من دعا بهذا الدعا

قوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا معناه وقال المشركون الملايكه بنات الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله يقال لهم لقد جئتم شيا ادا اي منكرا عظيما تكاد السموات يتشققن من عظم هذا القول وتنشق الارض فتتصدع وتسقط الجبال بعضها على بعض كسرا بشدة صوت بان سموا للرحمن ولدا وما يصلح للرحمن ان يتخذ ولدا وقد تقدم القول في استحالة اتخاذ الولد له في صفة القديم جل ذكره وقوله تعالى ان كل من في السموات والارض معناه ما من احد في السموات والارض الا ياتي مقرا للرحمن بالعبودية وفي هذا دليل ان الرجل اذا ملك ولده عتق عليه لان الله تعالى فرق بين الولد والعبد فنفي البنوة اثبات العبودية وعلى هذا اذا ملك الولد والده كما قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه معناه

معقه

معقبة بالشرا لانه يحتاج الى استيناف عتق بعد الشرا كما روي في الخبر الناس غاديان فبايع نفسه فموبقها وفاد نفسه فمعتقها وقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا معناه لقد علم عددهم وافعالهم ولا يخفى عليه شي منهم ومن افعالهم وكلهم اتيه يوم القيمة فردا لا انصار له ولا اعوان كل امر مشغول بنفسه لا يهمه امر غيره **قوله عز وجل** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا معناه ان الذين صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سيجعل لهم الرحمن ودا في الدنيا يحبهم ويحببهم الى المومنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اذا رضي الله عن عبده في الدنيا حببه الى الملايكه والى الخلقه في الارض ويقال معناه سيجعل لبعضهم حب بعضا في الاخره وفي ذلك اعظم السرور واتم النعيم لانها محبة الوالد لولده البارية وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي يسرنا قراه القران على لسانك لتبشر بالقران المتقين وتنذر بالقران قوما ذوي جدل في الباطل واللد جمع الالد وهو شديد الخصومه نظير الاصم والصم وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن معناه كم اهلكنا قبل قومك يا محمد من قرون ماضيه هل ترى منهم من احدا وتسمع لهم صوتا والاحساس ماخوذ من الحس يقال احسست فلانا اي هل رايته والركز هو الصوت الخفي الذي لا يفهم ومنه الركاز وهو المغيب في الارض ويقال الركز وسمي الركاز ركازا لانه يحس به فيكشف عنه وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة مريم عليها السلام اعطي من الاجر بعدد من صدق زكريا ويحيى ومريم وعيسى وهرون واسمعيل وابرهيم واسحق ويعقوب وادريس وبعدد من كذبهم وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من وحد الله تعالى

سورة طه مكيه في الاقاويل كلها وهي مايه واثنان وثلثون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى قوله تعالى طه من حروف الهجا يقرا بفتح الطا والها على التفخيم ويقرا باماله الطا والها ويقرا بتفخيم الطا وامالة الها ويقرا بين الامالة والتفخيم واختلفوا في معناه قال بعضهم رحمهم الله هو اسم للسوره ومفتاح لها وقال بعضهم رحمهم الله هو اختصار من كلام خص بعلمه النبي صلى الله عليه وسلم واما القراة التي بفتح الطا وتسكين الها في الشوا ذ فهي على وجهين احدهما ان يكون الهابدلا من همزة الطا كقولك ارقت الما وهرقته والاخر ان يكون على ترك الهمزة طا يا رجل بقدمك الارض ثم يدخل الها في الوقف فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد ويصلي الليل كله حتى تورمت قدماه فكان اذا صلى وضع قدما ورفع اخرى فانزل الله تعالى طه اي طا الارض بقدميك وعن عاصم بن زر بن حبيش قال قرا رجل على ابن مسعود رضي الله عنه طه فقال له عبد الله رضي الله عنه طه فقال له الرجل يا ابا عبد الرحمن اليس امران يطا قدمه قال فقال له عبد الله هكذا اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في طه بتسكين الها ان معناه بالسريانية يا رجل وقوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى معناه ما انزلنا عليك القران يا محمد لتجهد نفسك وتتعب لكن انزلناه تذكرة لمن يخشى قال مجاهد رضي الله عنه وقتاده رضي الله عنه انزل الله تعالى هذه الايه بسبب ما كان يلقى النبي صلى الله عليه وسلم من التعب والسهر في قيام الليل ويروى انه صلى الله عليه وسلم قيل له لم تتعب هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا

وقال الحسن رضي الله عنه هذا جواب للمشركين لما قالوا انه شقي قال الله عز وجل ما انزلنا عليك القران
لتشقى ولكن لتسعد به وتنال الكرامة في الدنيا والاخرة والشقا في اللغة استمراره ما يشق على النفس ونقيض
الشقا السعادة وقوله عز وجل تنزيلا نصب على المصدر معناه نزلناه تنزيلا واما العلا فهو جمع العليا
مثل الكبر والكبرى وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى قيل في معناه استولى على الملك كما
يقال استولى فلان على مال فلان اي احتوى عليه قال الحسن رضي الله عنه استوى لطفه وتدبيره
وهذا اللفظ في الحقيقة اخبار عن عظمة الله تعالى وسلطانه على ما تقدم ذكره واما تعلق المشبهة بهذه
الاية في ان ربهم قاعد على سريره فالاجماع والعقل يبطل ذلك فان الله تعالى كان ولا عرش ولا مكان
فلما خلق الخلق لم يحتج الى ما كان غنيا عنه فهو بالصفة التي لم يزل كان عليها قوله عز وجل
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى معناه له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
من الخلق والعجايب وما تحت الارض السابعة الى حيث انتهى لانه مالك ذلك كله وخالقه ومدبره والثرى
هو التراب الندي الذي تحت الارض السفلى يقال الثرى التراب ان اراد به انه لنداوة الواصل الى وجه
الارض تصب حتى اتصل بالثرى الذي تحت الارض السفلى وقوله تعالى وان تجهر بالقول معناه
وان تجهر فما حاجتك الى الجهر فان الله تعالى لا يحتاج الى الجهر كي يسمع فانه يعلم السر واخفى
قال ابن عباس رضي الله عنهما السر ما حدثت به العبد غيره في خفية واخفى منه ما اضمره
في نفسه مما لم يحدث به غيره وقال قتادة وسعيد بن جبير السر ما اضمره العبد في نفسه
واخفى منه ما لم يكن بعد ولا اضمره احد وقوله تعالى الله لا اله الا هو معناه هو
الله الذي لا اله الا هو له الصفات العلا ووصف الاسما بالحسنى لان اسماءه تدل على توحيده
وعلى انعامه على العباد والحسنى تانيث الاحسن يقال الاسم الاحسن والاسما الحسنى لان
كل جماعة مونثة ولو قال الحسن في غير هذا الموضع لجاز قوله عز وجل وهل اتاك
حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها
بقبس او اجد على النار هدى اول هذه الاية استفهام ومعناه التقرير تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما ناله من اذى قومه كما لقي اخوه موسى عليهما السلام حتى فاز في الدنيا
والاخرة المعنى لقد وصل اليك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اي انزلوا مكانكم
فاني ابصرت نارا ابيضا من شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها والايناس وجدان الشي الذي يونس
به وقوله تعالى لعلي اتيكم منها بقبس معناه لعلي اتيكم منها بشعلة تقتبس فتصطلي
بها او اجد عند النار من يدلني على الطريق وكان ذلك في الشتا في ليلة مظلمة باردة وكانت
امراته في الطلق وقد تفرقت ماشيته وامتنع عليه القدح وضل من الطريق والقبس في اللغة
ما اخذته في راس العود من النار او في راس فتيلة قوله عز وجل فلما اتاها نودي
يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يومن
بها واتبع هواه فتردى معناه فلما اتا النور نودي يا موسى اني انا ربك من قرا اني بنصب
الالف فعلى معنى البنا ومن قرا بالكسر فعلى الابتدا والندا هو الدعا على طريقة يا فلان وقوله
تعالى فاخلع نعليك قال الحسن رضي الله عنه وابن جريج رضي الله عنه انما امر بخلع نعليه لتنال قدماه
بركة الوادي المقدس لان قوله تعالى انك بالوادي المقدس طوى تعليل كانه قال لانك بالوادي المطهر

وقال

وقال كعب وعكرمة رضي الله عنهما كانت نعلاه من جلد حمار ميت قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما وكان لبسهما لاجل الجفا ولا يستدل بهذا القول الاخير على ان جلد الميتة لا
يطهر بالدباغ لانه ان كان كذلك فهو منسوخ وفي هذا اخبار كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما
اهاب دبغ فقد طهر وليس هذا ذكر موضع تلك الاخبار واما طوى فهو اسم الوادي سمي بذلك
والله اعلم على معنى انه قد طواه الانبيا صلوات الله عليهم او على معنى انه قدس وخص بالبركة
ومن قرا بالتنوين فهو مذكر سمي بمذكر نحو حطم وصرد وسلف ومن لم ينونه ترك صرفه من
جهتين احداهما ان يكون معدولا مثل عمر عن عامر والاخرى ان يكون اسم البقعة كما
قال جل ذكره في البقعة المباركة من الشجرة وقوله تعالى وانا اخترتك معناه وانا اخترتك للرسالة
فاستمع لما يوحى واحفظه حتى تودية الى الناس ويقرا وانا اخترناك بالتشديد في انا والالف
في اخترناك على لفظ الجماعة وقوله تعالى واقم الصلوة لذكري قال مجاهد والحسن رضي الله عنهما
معناه اقم الصلوة لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم ويقال معناه لان اذكرك بالثنا والمدح ويقال
معناه واقم الصلوة التي نسيتها اذا ذكرتها روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها ثم قرا قوله تعالى واقم الصلوة لذكري
ولا تنافي بين هذه الاقوال كلها وقوله تعالى ان الساعة اتية معناه ان القيمة كاينة اكاد
اخفيها روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومعناه اكاد اخفيها عن نفسي فكيف
اظهرها لغيري وهذه الرواية بعيدة وانما المعنى في قوله اكاد مقاربة اخفايها وفي اخفيها
قولان اما احدهما اكاد اخفيها عن عبادي لكيلا تاتيهم الا بغتة وانما تاتيهم بغتة لتجزى كل نفس
من المكلفين بسعيها اما الثواب والعقاب والمراد بقوله تعالى اكاد اخفيها تحقيق لكتمانه
ان اكاد من الله تعالى واجب كما ان عسى من الله واجب وفي اخفا يوم القيمة عن العباد
مصلحة لهم ليكونوا حذرين في كل حال خايفين من الموت مستعدين لذلك بالتوبة والطاعة ٥
والقول الثاني اكاد اظهرها فان هذا اللفظ من الاضداد وانشد واني هذا بيتا لامرء القيس بن عابس
الكندي فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد ٥ بضم النون من خفه هكذا
قال ابو عبيدة قال وانشد ابو الخطاب هكذا واما الفراء فانشد هذا البيت بفتح النون
ويقرا اكاد اخفيها بفتح الالف على معنى الاظهار وقوله تعالى فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك
عن الساعة من لا يصدق بها واتبع هواه فانك تهلك بترك الاستعداد لها وهذا خطاب
لموسى عليه السلام ويعني سائر المكلفين والصد هو الصرف عن الخير يقال صده عن الامر وصده
عن الحق ولا يقال صده عن الشر ولكن يقال صرفه عن الشر ومنعه عنه والهوى ميل النفس الى
الشي وهو مقصور والهوا الجو ممدود والردا الهلاك يقال ردي يردى ردى اي فهو ردي اذا هلك
وتردى اذا هلك بالسقوط قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي
اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى قال القها يا موسى فالقاها
فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى معناه وما التي بيمينك
يا موسى فان تلك اسم مبهم جرى مجرى التي ويوصل كما يوصل التي والذي ولفظ هذا الكلام
لفظ الاستفهام واراد به جل وعز تقرير المخاطب ان الذي في يده عصى لكي لا تهوله اذا صارت
ثعبانا ويقال ليجيب المخاطب بالاقرار بكونه عصى فيقع المعجز بها بعدما تثبت فيها والسائل
لها ويقال كان الغرض من هذا السوال ان الله ازال الوحشة عنه لان موسى صلى الله عليه وسلم كان
خايفا مستوحشا وقوله تعالى قال هي عصاي اتوكا عليها اي اعتمد عليها اذا اعييت واجنب

بها الشجر ليتناثر ورقه فترعاه غنمي والغنم اسم يقع على العدد الذي يفرد له راع وذلك ما بين
المائة الى اربعمائة من ضانها ومعزها وقوله تعالى ولي فيها مارب اخرى معناه ولي فيها
حوائج اخرى يقال لا ارب لي في هذا اي لا حاجة لي فيه وفي واحد المارب ثلاث لغات
ماربة بضم الرا وبكسرها وفتحها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت ماربه
انه كان يتناول الغنم بالمحجن الذي كان في راسها واذا قصر رشاه وصلها بالمحجن ثم ادلى
العصا وكان في سفلها عكازة يقاتل بها السباع وكان يلقي عليها كساه يستظل تحتها
ومن المعلوم ان موسى عليه السلام لم يرد بهذا الجواب اعلام الله تعالى ذلك لان الله تعالى
كان اعلم بذلك منه ولكن لما اقتضى السوال جوابا لم يكن له بد من الاجابة بذكر منافع العصا
اقرارا بالنعمة فيها واعتدادا بمنافعها والتزاما لما يجب عليه من الشكر لله تعالى وكذلك سبيل
اوليا الله تعالى في اظهار شكر نعم الله تعالى وفي هذا جواب عن طعن بعض الملحدة بان المسئلة
كانت عن ماهية ما في يده ولم تكن المسئلة عن منافعها فلم كان الجواب عما لم يسئل واما قوله
تعالى القها يا موسى معناه قال الله تعالى له القها من يدك فالقاها فاذا هي حية تشتد رافعة
راسها فولى موسى عليه السلام هاربا منها قال الله تعالى له خذها يا موسى ولا تخف سنعيدها
الى سيرتها الاولى عصى كما كانت والسيرة مرور الشي في جهة يقال سار بهم سيرة حسنة
او قبيحة وكانت مستمرة على حال العصا كما اعيدت الى تلك الحالة وقيل ان موسى عليه السلام
امر ان يدخل يده في فيها فيقبض عليها فادخل يده في فيها فصارت يده بين الشعبتين اللتين
كانتا في راس العصا وانما امر بادخال يده في فيها لانه انما خشي من الحية من فيها فلما ادخل يده في
فيها صارت عصى كما كانت قوله عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء
من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى
معناه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ذات شعاع من غير مرض ولا برص اية اخرى
نعطيكها مع العصى لنريك من اياتنا العظمى سوى هاتين الايتين وكان عليه السلام
اذا جعل يده في جيبه خرجت بيضا تغلب نور الشمس شعاعها وجناح الانسان عضده الى
اصل ابطه وقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى معناه انه جاوز الحد في العصيان
والطغيان هو الخروج الى فاحش تجاوز به قدر معاصي الناس ونظيره البغي على الناس يقال
طاغي باغي قوله عز وجل قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه
في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا معناه قال موسى يا رب وسع
لي صدري لاتمكن من حمل الرسالة والقيام بادايها ومخاصمة الناس فيها فان للرسالة اعبا
ثقيلة وسهل لي امري بما يكون من الالطاف المسهلة لذلك والتيسير تسهيل الامر برفع المشقة
ووضع المحبة ونقيضه التعسير ومنه اليسر والعسر وقوله تعالى واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي معناه وارفع العقدة من لساني ليفهموا كلامي فان الذي يكون بلسانه عقدة
تلحقه المشقة في البيان ولا يكون موقع بيانه من السامع كموقع بيان الفصيح الذي لا عقدة بلسانه
وكان سبب العقدة في لسان موسى عليه السلام جمرة طرحها في فيه لما اراد فرعون قتله حين
اخذ بلحيته وهو طفل فنتف منها فغضب فرعون وقال هو المطلوب وهم بقتله فقالت له
اسية لا تفعل فانه صبي لا يعقل وعلامة ذلك انه لا يميز بين الدرة والجمرة فامر فرعون حتى احضر
طست من حلي وطست من رماد فاراد موسى عليه السلام ان ياخذ شيا من الحلي فجا جبريل عليه السلام

فاخذ

فاخذ بيده فاهوى بها الى الجمرة فاخذ الجمرة فوضعها في فيه حتى احترق لسانه فكانت في لسانه
رتة ودفع عنه اكثر المفسرين باقليها وقد اختلفوا ان هذه العقدة هل زالت باجمعها
في وقت نبوته ام لا قال بعضهم حل اكثر ما كان بلسانه الا بقية منه بدلالة قوله تعالى ولا يكاد يبين
وقال بعضهم رحمهم الله وهو الاصح واليه ذهب الحسن رضي الله عنه ان الله تعالى قد استجاب له فحل
العقدة عن لسانه لانه تعالى قال قد اوتيت سولك يا موسى فعلى هذا يكون قول فرعون ولا يكاد
يبين اي لا ياتي ببيان يفهم وكان هذا القول كذبا منه عليه ليصرف الوجوه عنه وقوله تعالى واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون والوزير هو الذي يوازر الامير فيحمل عنه بعض ما حمل واصله من وزرت الشي
ازره اذا حملته ويجوز ان يكون كل واحد منهما وزر الصاحبه اي ملجا يلجا اليه والوزر الملجا من حصن او جبل
وقوله تعالى اشدد به ازري معناه قوبه ظهري لنتعاون على الامر الذي امرتنا به يقال
ازرت فلانا اذا عاونته وقوله تعالى واشركه في امري اي اجعله شريكا في تبليغ هذه الرسالة كان
موسى عليه السلام راى انه اذا كان معه شريكا في النبوة كان ذلك ابلغ منه اذا كان وزيرا فقط ومن
قرا اشدد بفتح الالف واشركه بضم الالف رد الفعل الى موسى عليه السلام وقوله تعالى كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا معناه كي ننزهك كثيرا ونذكرك بالحمد والثنا كثيرا انما اولينتنا من نعمك ومننت علينا
من تحمل رسالتك انك كنت بنا عالما قوله عز وجل قال قد اوتيت سولك يا موسى
ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني
ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك
كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين
في اهل مدين ثم جيت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى معناه قال الله تعالى له قد اعطيت ما سالت
يا موسى ولقد انعمنا عليك كرة اخرى وبين تلك النعمة فقال عز وجل اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت وكان السبب في ذلك ان فرعون كان يقتل غلمان بني اسرايل
على حسب ما انفذ ذكره ثم خشي ان يفني نسل بني اسرايل فكان يقتل بعد ذلك في سنة
ولا يقتل في سنة فولد موسى عليه السلام في السنة التي كان يقتل فيها الغلمان فنجاه الله تعالى
من القتل بان الهم امه الذي يلهم في مثله ان تجعله في التابوت فاطرح التابوت في اليم واليم
البحر واراد به النيل ويقال اراد بالوحي في هذه الاية رويا المنام وقوله تعالى فليلقه
اليم بالساحل جزا اخرج مخرج الامر كما قال تعالى اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اي اتبعوا سبيلنا
نحمل خطاياكم وقوله تعالى ياخذه عدو لي وعدو له اراد به فرعون وقوله تعالى والقيت
عليك محبة مني اي احدثت فيك ملاحة حتى احبك كل من راك احبك فرعون فسلمت من شره
واحبتك امراته اسية فتبنتك وقوله تعالى ولتصنع على عيني معناه ولتربى وتغذى في
مرائي اي اراك اجري امرك على ما اريد بك من الرفاهية في غذائك وفي الاية حذف المعنى انها
جعلته في التابوت والقته في النيل فرماه النيل في المشرعة فوجد في المشرعة فحمل الى فرعون
فتعجب فرعون من رضيع في التابوت لم يرضعه الما وجعل موسى عليه السلام يبكي ويطلب اللبن
فامر فرعون حتى اتت النسا اللواتي حول فرعون ليرضعن موسى عليه السلام فلم يقبل ثدي احد
منهن وكانت اخت موسى عليه السلام متبعة للتابوت ماشية خلفه فلما حمل التابوت الى فرعون
دخلت هي مع التابوت فقالت هل ادلكم على من يكفله اي من يرضعه ويضمه ويحضنه فقالوا من

هي فقالت امراة قد قتل ولدها وهي تحب ان تجد صبيا ترضعه فاذن لها فرعون في احضارها
فانطلقت فاتتهم بام موسى عليه السلام فاعطته الثدي فاخذ موسى عليه السلام منها اللبن
وفرح به فرعون وجعل لها الاجر على الارضاع وحملته امه الى دارها فذلك قوله تعالى فرجعناك
الى امك اى رددناك اليها كي تطيب نفسها ولا تحزن على ابنها وقوله تعالى فقتلت نفسا
معناه من القبط كما ذكره الله تعالى في سورة القصص فنجيناك من غم القود وفتناك فتونا
اى اختبرناك اختبارا ومعناه عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفا بالرسالة وكان
ذلك من اكبر نعم الله سبحانه عليه وعن سعيد بن جبير انه سال ابن عباس رضي الله عنهم
عن هذه الاية فقال استانف لها نهارا يا ابن جبير الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه
الله تعالى منها اولها انها حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه
في اليم ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله
الجمرة بدل الدرة فدرا ذلك القتل عنه ثم مجي رجل من شيعته يخبره ان الملا ياتمرون
به ليقتلوه وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقرا عليه الايات الواردة في شان موسى
عليه السلام وكان يقول عند تمام كل واحدة منها هذه محنة يا ابن جبير رضي الله عنهم
ويقال معنى وفتناك وشددنا عليك في امر المعاش حتى رعيت لشعيب عليه السلام عشر سنين
وقوله تعالى فلبثت سنين معناه مكثت سنين في اهل مدين حين كنت راعيا لشعيب
عليه السلام ثم جيت على المقدار الذي قدره الله تعالى لمجيك وكتبه في اللوح المحفوظ واصطنعتك
لنفسي اى لخاصة امر استكفيكه وهي اقامة الحجة على الخلق عن الله تعالى حين كان خطابه
لهم بمنزلة خطاب الله تعالى اياهم والاصطناع هو الاخلاص بالالطاف وهو افتعال من
الصنع والصنع اتخاذ الخير لصاحبه يقال فلان صنيعة فلان اى تربيته وخريجه وقوله تعالى
اذهب انت واخوك باياتي اى باليد والعصى ولا تنيا في ذكري اى لا تفترا في تبليغ رسالتي الى
فرعون ويقال ونى في الامر يني ونيا فهو وان ومتوان اذا فتر فيه قال العجاج
فما ونى محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر وقوله تعالى اذهب الى
فرعون انه طغى تقدم تفسيره وفي الخبر ان هرون عليه السلام كان يومئذ بمصر
فاوحى الله تعالى الى هرون عليه السلام الهاما ان يتلقى موسى عليه السلام فتلقاه على مسيرة
فحوة من مصر واخبره ان الله تعالى اوحى اليه ان يتلقاه فقال له موسى عليه السلام ان
الله تعالى امرني ان اتي فرعون فادعوه الى الله تعالى فسالت ربي ان يجعلك معي فجعلك
معي **قوله عز وجل** فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاتياه
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك
والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
معناه فقولا له بالشفقة ولا تقولا له قولا عنيفا فيزداد عصيانا بغلظ القول لان الغلظ في الكلام
يدعو المخاطب الى اللجاج واللين في القول يدعو الى القبول والى الاجابة ويدخل في القول اللين
ما قيل في هذه الاية كنياه فقولا يا ابا الوليد وقولا يا ايها الملك ويقال انما امرهما بالقول اللين
لانه كان له على موسى عليه السلام حق التربية والاقرب الى الاية هو القول الاول لانه تعالى قرنه
بقوله لعله يتذكر او يخشى معناه لكي يتعظ او يخشى العاقبة وكلمة لعل في اللغة للترجي والطمع
اى اذهبا على رجائكما وطمعكما فانا عالم بما يفعل وانما وقع التعبد لهما على هذا الوجه لان الراجي

للامر

للامر يكون احرص على الدعا اليه وعن وهب بن منبه رضي الله عنه انه قال اوحى الله تعالى الى
موسى عليه السلام انطلق الى فرعون برسالتي فمعك نصري وانت جند عظيم من جنودي بعثتك الى خلق
ضعيف قد غرته الدنيا حتى كفر وامن بغربي لولا اتخاذ الحجة عليه والعذر اليه لبطشت به بطشة جبار
يغضب لغضبه السما والارض فان اذن للسما حصبته وللارض ابتلعته وللجبال دمرته وللبحار
غرقته ولكنه وسعه حلمي وابلغه رسالتي وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لا يغرنك ما لبسته
من لباس الدنيا فاجب ربك الذي هو واسع المغفرة انه قد امهلك منذ خمسمائة سنة لم تهرم
ولم تسقم ولم تفتقر ولو شا ان يعجل لك ذلك لفعل ولكنه ذو اناة واعلم ان افضل ما
يتزين به العباد الزهد في الدنيا فهو زينة الابرار ومن اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
وقوله تعالى انا نخاف معناه قالا ربنا اننا نخاف ان يعاجلنا بالعقوبة او ان يتجاوز عن الحد بالقصد
الى القتل قال الله تعالى لهما لا تخافا انني معكما اسمع ما يرد عليكما وارى صنيعه بكما وقوله تعالى
فاتياه معناه ايتيا الى فرعون فقولا انا رسولا ربك بما ندعوك اليه فارسل بعلامة من ربك وهي اليد
والعصا وهما اول اية اتاهما الله تعالى وقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى ليس هو
بتحية لفرعون ولكن معناه من اتبع الهدى سلم من عذاب الله تعالى بدليل انه عقبه بقوله تعالى
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى **قوله عز وجل** قال فمن ربكما يا موسى
قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى معناه فاتياه فقالا له ذلك الذي امرهما
الله تعالى به فقال لهما فمن ربكما يا موسى اراد ان يخبراه عن الله تعالى بمثل صفة الاجسام فبين
موسى عليه السلام ان الله تعالى ليس له جنس ولكن الاجناس انما تعرف بافعاله فدل عليه بافعاله
وقال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى معناه خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع فاعطاه
سلامته وصحته وركب فيه شهوته ثم هداه لمعيشته ويقال معناه اعطى كل شيء مثل خلقه زوجا
له ثم هداه اتيان انثاه وان لم يكن يرد ذكرا قط الى قبله انثى فان قيل فما وجه الاستدلال
بجواب موسى عليه السلام على الله تعالى قيل اذا ثبت الخلق والهداية وجب انه لا بد للخلق من
خالق ولا بد للهداية من هاد فربنا الخالق والهادي **قوله عز وجل** قال فما بال
القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم
الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما ما فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى معناه قال له فرعون فما بال الامم الماضية لم
يبعثوا ولم يجازوا على افعالهم فاخبره موسى عليه السلام ان علمهم عند الله تعالى واذا علم لا
بد من ان يجازي وقوله تعالى في كتاب اراد به اللوح المحفوظ وقوله تعالى لا يضل ربي ولا
ينسى معناه لا يذهب عليه شي ولا يتركه مرهم تقول العرب لكل ما ذهب على الانسان مما ليس
بحيوان ضله كقولهم ضل منزله يضله اذا اخطاه فاما اذا ذهب منه حيوان فيقولون بالالف
اضل فلان بعيره او ناقته وفي قوله تعالى لا يضل ربي بيان ان الله تعالى لم يكتب افعال العباد
في كتاب لحاجته في معرفتها الى الكتاب ولكن كتبها لتعرف الملئكة اخبارهم ويقال كان
سوال فرعون عن القرون الاولى سوال مغاياة فاجابه موسى عليه السلام بما يدل على
انه لا مكان لها وانما هي في معلوم الله تعالى لا يخفى عليه شي منها ولا من غيرها ويقال ساله
عن القرون الاولى هل بعث اليهم انبيا صلوات الله عليهم كما بعثت الينا فاحالها على ما في
معلومه من امرها وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا معناه جعلها مبسوطة

لِيمكن القرار عليها لم يجعلها حادة كرؤس الجبال ولا خشنة لا يمكن التصرف عليها والمهد والمهاد كالفرش والفراش **وقوله تعالى** وسلك لكم فيها سبلا اى طرقا تذهبون وتجيئون فيها وانزل من السما ما يعنى المطر فاخرجنا به اي بالمطر ازواجا من نبات مختلف الالوان كلوا من نبات الارض وارعوا انعامكم من عشبها ان فيما ذكرت لكم لعلامات دالة على البعث لذوى العقول من الناس والنهى جمع النهية يقال فلان ذو نهية اى ذو عقل ينتهي به عن القبيح ويدخل فى المحاسن ويقال ذو النهية هو الذى ينتهى الى رايه وعقله **وقوله تعالى** منها خلقناكم معناه من الارض خلقناكم يعنى خلق ابيكم ادم عليه السلام وفى الارض نعيدكم ومن الارض نخرجكم مرة اخرى للبعث **قوله عز وجل** وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى معناه ولقد ارينا فرعون اياتنا التى اعطيناها موسى عليه السلام كلها فكذب بالايات وقال ليست هذه من الله تعالى وامتنع ان يسلم ويقبل **وقوله تعالى** قال اجئتنا معناه قال لموسى عليه السلام اجئتنا لتخرجنا من ارض مصر بسحرك فلنأتينك بسحر مثل ما جئتنا به والسحر حيلة يخفى سببها توهم المعجزة بها **وقوله تعالى** فاجعل بيننا وبينك موعدا معناه اجعل بيننا وبينك يا موسى اجلا لا نخالفه نحن ولا انت مكانا سوى عدلا بيننا وبينك ويقال مكانا مستويا بينا للناس ما بيننا ويستوى حال الناس المرضى به ويقرا سوى بضم السين وكسرها وهما لغتان بمعنى واحد **وقوله تعالى** قال موعدكم يوم الزينة معناه قال لهم موسى عليه السلام اجلكم يوم العيد الذى لكم ويقال اراد به يوم سرور لهم كانوا يتزينون فيه اسواقهم **وقوله تعالى** وان يحشر الناس ضحى يحتمل ان يكون أن فى موضع رفع على معنى موعدكم حشر الناس فى وقت الضحى من يوم الزينة ويحتمل ان يكون فى موضع خفض عطفا على الزينة المعنى يوم الزينة ويوم حشر الناس فى وقت الضحى **قوله عز وجل** فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى معناه فتولى فرعون فاجتهد فى جمع السحرة ثم اتى للموعد قال لهم موسى عليه السلام ويلكم اي الزمكم الله الويل ويجوز ان يكون معناه يا ويلكم لا تفتروا اى لا تختلقوا على الله كذبا بتكذيبى فيسحتكم اى يهلككم بعذاب من عنده يقال سحته واسحته اى اذا استاصله **وقوله تعالى** وقد خاب من افترى اى خسر من اختلق على الله تعالى والافترا اقتطاع الخبر الباطل بادخاله فى جملة الحق واصله القطع من الفرى والخيبة انقطاع الرجا يقال رجع بخيبة اذا رجع بغير قضا حاجة **قوله عز وجل** فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى معناه فتشاورت السحرة فيما بينهم والتنازع فى اللغة محاولة كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه **وقوله تعالى** واسروا النجوى معناه انه لما قال لهم موسى عليه السلام ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا فيما بينهم ما هذا بقول ساحر وان غلبنا امنا به فذلك نجواهم **وقوله تعالى** ان هذين لساحران معناه قال الملا من قوم فرعون ان موسى عليه السلام وهرون عليه السلام لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارض مصر ويذهبا بطريقتكم اى بدينكم المثلى اى الامثل ويقال معناه ويذهبا باهل طريقتكم يقال فلان طريقة قومه يسلكون طريقته **واختلف القراء** فى قوله تعالى ان هذين لساحران كان ابو عمرو بن العلا رحمه الله يقرا ان هذين لساحران على اللغة المعروفه وهى لغة الحجاز وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى

وابو بكر

وابو بكر عن عاصم رحمهم الله ان هذان بتشديد انّ وبالالف من هذان وهى لغة لكنانة وبنى الحرث بن كعب يقولون انّ هذان قالا كذا وكذا ورايت هذان فيجعلون نصب كل اثنين وخفضهما بالالف فهذه القراة هى المكتوبة فى المصاحف وهى اولى ان يقرا بها لان القرات ماخوذة عن التواتر كما ان نفس القران ماخوذ عن التواتر ولو جاز اثبات القران على غير هذا الوجه لوجب مثله فى جميع الروايات الشاذة ولجاز اثبات الزيادات فى القران بخبر الاحاد وفى ذلك اخراج القران عن ان يكون مقطوعا به **وقد ذكر** اهل النحو فى تصحيح هذه القراة وجوها **احدها** ضعف عمل انّ لانها تعمل بالشبه للفعل وليست باصل فى العمل الا ترى انها لما خففت لم تعمل **والثانى** ان هذين اشبه بالذين فى البنا لان الالف فى هذان ليست بالف التثنية لوجودها فى الوحدان وانما زيدت النون فى التثنية ليكون فرقا بين الواحد والاثنين كما قالوا الذى ثم زادوا نونا يدل على الجمع قالوا الذين فى رفعهم ونصبهم **والثالث** ان ها هنا هاء مضمرة المعنى انه الا انه حذف الها **والرابع** انه لما حذفت الالف صارت الف التثنية عوضا منها فلم تزل عن حالتها **والخامس** ان انّ وقع موقع نعم ومعنى اللام بعد ذلك هذان لهما ساحران وقد انشد الكسائى بهذه اللغة **وانشد الفرا**

تزود منا بين اذناه ضربة ○ دعته الى هابى التراب عقيم ○
فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى ○ مساغا لناباه الشجاع لصمما ○

وقرا ابن كثير رحمه الله انّ هذانّ بتخفيف ان وتشديد نون هذان وقرا عاصم فى رواية حفص رحمهما الله تخفيف نون ان ونون هذان على معنى ما هذان الا ساحران **واما قوله تعالى** فاجمعوا كيدكم من قرا بقطع الالف فهو من اجمعت الامر اذا عزمت عليه المعنى ليس عزمكم على الكيد مجمعا عليه فلا تختلفوا فيختل امركم **قال الشاعر**

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ○ هل اغدون يوما وامرى مجمع ○

ومن قرا فاجمعوا بوصل الالف ونصب الميم فمعناه جيئوا بكل كيد تقدرون عليه لا تبقوا منه شيا **وقوله تعالى** ثم ائتوا صفا قيل معناه ثم ائتوا المصلى والعرب تسمى المصلى صفا وقيل معناه ثم ائتوا مصطفين مجتمعين فيكون انظم لامركم واشد لهيبتكم **وقوله تعالى** وقد افلح اليوم من استعلى معناه وقد فاز بالفلاح والبقا من كانت الغلبة له **قوله عز وجل** قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى معناه قالت السحرة يا موسى اما ان تلقى عصاك الى الارض واما ان نكون اول من القى العصى والحبال قال لهم موسى عليه السلام بل القوا انتم فالقوا حبالهم وعصيهم روى انهم كانوا سبعين الف ساحر وكان على ما عملوا من الحبال والعصى حمل ثلثماية بعير والقوا ما معهم فاذا حبالهم وعصيهم تخيل اليه من سحرهم انها تسعى وذلك انهم كانوا قد احتالوا فيها حيلة كان كل من راها من بعيد تخيل اليه انها تتحرك ولولا علم موسى عليه السلام بان لا حقيقة لها الظن ذلك منها **فان قيل** فلم جاز ان يامرهم بالالقا وهو كفر **قيل** يجوز ان يكون معناه القوا ان كنتم محقين كما زعمتم ويجوز ان يكون صيغته صيغة الامر ومعناه معنى الخبر بان من كان القاه منكم حجة عنده ابتدا بالالقا ويجوز ان يكون امرا بالالقا على وجه الاعتبار **وقوله تعالى** فاوجس فى نفسه خيفة موسى معناه احس واضمر فى نفسه خوفا

قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب عليهم والاصل في خيفة خوفة لكن الواو قلبت يا لانكسار ما
قبلها فان قيل ما الذي خافه موسى عليه السلام قيل اختلفوا في هذا قال بعضهم
رحمهم الله خاف ان يلتبس على الناس من السحرة فيتوهموا ان حبالهم وعصيهم بمنزلة عصاه
وقال بعضهم رحمهم الله كان خوفه خوف طبع لما راى من كثرة الحيات العظام وقال
بعضهم رحمهم الله ابطا عليه الوحي من الله تعالى بالقاء العصى فخاف ان تنصرف الناس بعدما
راوا حبالهم وعصيهم تسعى ويبقوا في شبهة فلما انزل الله تعالى قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى
علم وايقن انهم لا ينصرفون الا بعد ان يروا معجزته **قوله عز وجل** وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى معناه
والق يا موسى ما في يمينك على الارض تلقف وتبتلع ما طرحوا من العصى والحبال اذ الذي صنعوا
كيد ساحر ولا يغلب الساحر حقك بباطله اذ الباطل لا ثبات له فالقى موسى عليه السلام عصاه
فتلقفت جميع ما صنعوا ثم اخذها موسى عليه السلام فرجعت الى الحالة التي كانت عليها
عصا كما كانت فوقعت السحرة سجدا لله تعالى **كما قال جل ذكره** فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ
النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى معناه انه من سرعة سجودهم كانهم القوا
سجدا فقالوا امنا برب هرون وموسى عليهما السلام قال لهم فرعون امنتم لموسى قبل ان اذن لكم
في الايمان له والفرق بين امنتم له وامنتم به ان في امنتم له معنى الاتباع له فاما امنتم به فهو ايمان
بالخبر من غير اتباع له فيما دعا اليه الا انه اذا قبل من الداعي ال الى امر واحد وقوله تعالى انه
لكبيركم الذي علمكم السحر معناه ان موسى عليه السلام لعالمكم الذي علمكم السحر وكان هذا القول
منه قصدا الى صرف الناس عن اتباع موسى عليه السلام لان من المعلوم ان السحرة لم يتعلموا
من موسى عليه السلام وانما كانوا تعلموا السحر قبل قدوم موسى عليه السلام وقبل ولادته وقوله
تعالى حاكيا فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف معناه ولاقطعن اليد اليمنى والرجل اليسرى
منكم ولاصلبنكم على جذوع النخل وانما حرف في في هذا المقام حرف على لما ان كان على الاستعلاء
وفي للوعاء لانه اراد به انه يشدهم على النخل فيكون النخل مشتملا عليهم كاشتمال الشيء على ما
كان فيه وكان فرعون اول من قطع اليد والرجل من خلاف وصلب في جذوع النخل وقوله تعالى
ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى عذابا ام رب موسى وهرون عليهما السلام وظن الجاهل ان
الله تعالى لما لم يعاجله بعقوبة الحال واخر عقوبته الى الاخرة ان العقاب المعجل اشد من
عقوبة الاخرة وانما رفع قوله اينا فلانها وضعت موضع الاستفهام ولا يعمل ما قبلها فيها
لان ما قبلها خبر وهي استفهام **قوله عز وجل** قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا
بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ
يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى معناه قالت السحرة لفرعون لن نختارك
على ما جاءنا من الحق والبراهين وعلى الذي خلقنا ويجوز ان يكون قوله والذي فطرنا قسما وقوله
تعالى فاقض ما انت قاض اي اصنع ما انت صانع من قولك قضى فلان حاجته اذا صنع ما اراد

على

على اتمام وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي انما تحكم علينا في الدنيا وهي منقضية
لا محالة انا امنا اي صدقنا بربنا ليغفر لنا شركنا في الجاهلية ويغفر لنا ما اجبرتنا عليه من تعليم
السحر وهذا هو المراد من قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر وقيل كان من عادة ملوكهم انهم
انه اذا شاخ الساحر سلموا اليه غلمانا يعلمهم السحر حتى لا ينقطع عنهم تلك الصنعة وقوله
تعالى والله خير وابقى اي هو خير ثوابا ان اطيع وابقى عقابا ان عصي ويقال ما عند الله
من الثواب والكرامة افضل وادوم مما تعطينا انت من المال وقوله تعالى انه من يات ربه
مجرما يجوز ان يكون حكاية عن مقالتهم ويجوز ان يكون خبرا من الله تعالى على غير وجه
الحكاية عنهم والمعنى انه من يات الى موضع الحساب والجزاء عاصيا فان له جهنم لا يموت
اي لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وقوله تعالى ومن ياته مومنا معناه ومن
ياته مصدقا في ايمانه قد عمل الطاعات فيما بينه وبين ربه فاولئك لهم الدرجات العلى الرفيعة
جنات عدن تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار ماكثين فيها الى غير غاية وذلك جزاء من تطهر
من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنيس النفوس بالمعصية والتزكي طلب الزكاء والزكاء النماء في الخير
والزاكي والزكي من صفات المدح **قوله عز وجل** وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى معناه
ولقد اوحينا الى موسى بعد مقامه بين قوم فرعون سنين يدعوهم الى الله تعالى ويريهم
الايات فلم يومنوا به ان اخرج انت مع بني اسرائيل من بينهم ليلا فاضرب لهم طريقا اي
عرفناه الطريق الذي يسلكه وقلنا له اذا انتهيت بهم البحر وخفتم لحوق فرعون فاضرب بعصاك
البحر يجعل طريقا ذا يبس وهذا كما يقال ضرب فلان الدراهم والدنانير وقوله تعالى لا تخاف
دركا معناه انك امن منهم لا تخاف ان يدركك فرعون ولا تخشى الغرق من البحر وقراءة حمزة لا
تخف دركا على النهي ولا تخشى بالالف وهو كما قال الله تعالى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
وقوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده معناه ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل تلك
الليلة من مصر اصبح فرعون مع قومه فلم يروا احدا من بني اسرائيل فقال فرعون ان البحر
امامهم ولا يقدرون على عبوره فاتبعهم بجنوده من قرا قوله تعالى فاتبعهم بالتخفيف
وقطع الالف فالمعنى الحق جنوده بهم ومن قرا فاتبعهم بالتشديد فالمعنى اتبعهم بنفسه
ومعه الجنود وقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم معناه وعلاهم من البحر ما علاهم
من الغرق وذلك انه لما تراءى الجمعان امر الله تعالى موسى عليه السلام ان يضرب بعصاه البحر
فضرب فانفلق الماء في عرض البحر حتى صار فيه اثنا عشر طريقا وبقي الماء فيما بين الطريق
والطريق كالجبل فسلكه موسى عليه السلام واخذ كل سبط من بني اسرائيل طريقا من هذه الطرق
ويقال جاءت ضبابة فحالت بين الجمعين حتى عبر موسى عليه السلام وقومه البحر ثم انجلت
الضبابة فاشرف فرعون وقومه على البحر فراوه منفلقا فيه طرق واضحة يابسة
فانف من ان لا يتبعهم مع حرصه على طلبهم فاوهم قومه ان البحر انما انفلق من هيبته
فدخل فرعون خلف بني اسرائيل وصاحت الملائكة في القوم ان الحقوا الملك حتى اذا دخل اخرهم
وهم اولهم ان يخرج اطبق الله تعالى البحر عليهم فغرقهم فيه واما قوله تعالى واضل
فرعون قومه معناه اضلهم عن الصواب والرشاد وما هداهم لخير ونجاة **قوله عز وجل**
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى

كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى في الآية بيان أن الله تعالى ذكرهم نعمة
بأن نجاهم من عدوهم الذي كان يستعبدهم ويقتلهم وأجازهم البحر ووعدهم جانب الطور
الأيمن ليسمعهم ما يكلم به موسى عليه السلام وينزل كتابه عليه وأنزل عليهم المن والسلوى
في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم أي قيل لهم كلوا من حلال ما رزقناكم من المن والسلوى واشكروا
أنعامي ولا تجاوزوا عن شكري إلى معاصي فيحل عليكم غضبي من قرأ بكسر الحاء فمعناه فينزل عليكم
وقوله تعالى ومن يحلل عليه غضبي يقرأ بكسر اللام وضمها وقوله تعالى فقد هوى قيل معناه
فقد تردى في النار وقيل معناه أهلك لأن من سقط من علو إلى سفل فقد هلك وهويه سقوطه
من غير راد يمسكه وقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن معناه متجاوز عن من تاب من الشرك
وآمن بالله تعالى وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه ثم استقام على معرفة الله تعالى وأدى فرائضه واجتنب
محارمه وقوله تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري
وعجلت إليك رب لترضى روي أن موسى عليه السلام لما ذهب مع السبعين إلى الميقات تعجل
إلى الميقات قبل السبعين فقال الله تبارك وتعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى أي ما أسبقك فقال
موسى عليه السلام يا رب هم أولاء على أثري أي يجيئون على أثري وعجلت إليك رب لترضى لتزداد
رضى عني والرضا من الله تعالى على العباد إيجاب الدرجة والكرامة لهم ويقال كانت المواعدة
من الله تعالى لموسى عليه السلام أن يوافي هو وجماعة من وجوه قومه سوى السبعين فتقدمهم
وهم خلفه ليصيروا إلى الموضع المأمور به ففتن بعض الذين كانوا خلفه بما عمله السامري
وصاغه لهم على هيئة العجل قوله عز وجل قال فإنا قد فتنا قومك من
بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم
يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من
ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا
من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار
فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا معناه قال الله لموسى عليه السلام قد فتنا قومك من بعدك أي عاملناهم معاملة
المختبر بأن شددنا عليهم بالتعبد أي ألزمناهم عند إخراج العجل بأن يستدلوا على أنه لا يجوز
أن يكون خالق السموات والأرض عجلا والأجسام وحقيقة الفتنة التشديد في التعبد وقوله تعالى
وأضلهم السامري معناه دعاهم إلى عبادة العجل ويقال معنى فتنا أي خلينا بين السامري وبين إخراج
العجل فلا يجوز أن يكون معناه أضللناهم بدليل أنه تعالى أضاف الإضلال إلى السامري وقوله تعالى
فرجع موسى إلى قومه معناه أنه رجع من الميقات مع السبعين إلى قومه فلما سمع صوت الفتنة
رجع غضبان حزينا شديد الحزن مع غضبه وقوله تعالى قال يا قوم ألم يعدكم ربكم
وعدا حسنا معناه قال لهم يا قوم ألم يعدكم ربكم إنزال التوراة لتعملوا بما فيها فتستحقوا الجنة
والكرامة الدائمة أفطال عليكم العهد وأحدثتم هذا الفعل أم أردتم أن يجب عليكم
غضب من ربكم فينزل العذاب بكم فأخلفتم موعدي لأجل ذلك ولم تقيموا على أمركم ويقال
كان إخلافهم موعده تركهم المسير على أثره للميقات وقوله تعالى ما أخلفنا موعدك بملكنا
ولكنا حملنا أوزارا معناه ما أخلفنا موعدك بطاقتنا كأنهم ظنوا أنهم لم يتعدوا إذ ذاك الفعل
اختيارا ولكن اتبعوا الذي فيه أن ذلك مما يكون عذرا لهم وفسروا ذلك بقولهم ولكنا حملنا

أوزارا من زينة القوم أي أثقالا من حلي آل فرعون وذلك أن موسى عليه السلام كان أمرهم أن يستعيروا
من حليهم حين أرادوا أن يسيروا هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي
رحمهما الله وسمى الحلي وزرا لأن الوزر في اللغة الحمل ولذلك سمي الإثم وزرا لأن صاحبه يحمل به ثقلا
ويقال حملنا أوزارا آثاما من حلي القوم لأنهم كانوا استعاروا من القبط حليا ليتزينوا في عيد كان
لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج لأنهم خافوا أن تعلم القبط بخروجهم وكان ذلك ذنبا
منهم متشائمين فيما بينهم وكأنهم قالوا إن شؤم ذلك الحلي أدى بنا إلى عبادة العجل ويقرأ
حُملنا بضم الحاء وتشديد الميم ويقرأ بملكنا بفتح الميم والملك مصدر معناه لم نملك أنفسنا
للبلية التي وقعت بنا ويقال معناه لم نملك أنفسنا عن ذلك السفها ومن قرأ بملكنا بضم الميم
فمعناه بسلطاننا وقوتنا وأما الملك بكسر الميم فيكون مصدرا ويكون عبارة عما تحويه اليد
وقوله تعالى فقذفناها معناه فقذفنا الحلي في النار ليذاب وقوله تعالى فكذلك ألقى
السامري أي لما ألقينا ألقى السامري وقوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار
معناه أخرج لهم من النار صورة عجل صاغها من الحلي التي كانت معهم وقوله تعالى له خوار
أي صوت كصوت العجل وقد اختلفوا في هذا قال مجاهد رضي الله عنه خواره
حفيف الريح إذا دخلت جوفه وذلك أنه كان جعل في جوف العجل خروقا فإذا دخلت الريح
أوهم أنه يخور وقال الحسن رضي الله عنه وقتادة والسدي رضي الله عنهم كان السامري
ألقى عليها شيئا من أثر جبريل عليه السلام كما قال فقبضت قبضة من أثر الرسول فانقلب
العجل حيوانا يخور وكان معلوما في ذلك الزمان أن من أخذ من حافر دابة ملك فألقاه
على شيء صار ذلك الشيء حيوانا قالوا وإنما عرف أن راكب تلك الدابة جبريل عليه السلام لأنها
كانت لا تضع حافرها على موضع إلا اخضر ويروى أن هرون عليه السلام مر بالسامري
وهو يصنع العجل فقال له ما تصنع قال أصنع ما ينفع ولا يضر فقال لهرون ادع فقال
اللهم أعطه ما يسأل كما يحب فسأل الله تعالى أن يجعل للعجل خوارا فكان الخوار يخرج من ذلك
الجسد المجسد كخوار الثور فأوهم السامري أنه وحي ولذلك قيل جسدا كما سمي عجلا وإن لم
يكن كذلك فافتتن به قوم وعبدوه ولم يكن في خواره من شيء مجعول من ذهب أو غيره ما يوجب
عبادته ولو رجعوا إلى عقولهم لعرفوا أنه لا يصلح أن يكون إلها فإن قيل كيف جاز أن يصير
ذلك العجل حيوانا لفعل السامري وكان السامري لا يقدر على ذلك ولئن صار حيوانا بفعل الله تعالى
صار معجزة والمعجزة لا تظهر إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم قيل قد بينا أنهم اختلفوا في هذا
فيجوز أن يكون ذلك الخوار كان يسمع من العجل بحيلة احتالها السامري ولئن صار حيوانا كما
رواه بعضهم فإنما صار حيوانا بالقائه عليه قبضة من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام
وكان الله تعالى أجرى العادة في ذلك الوقت أن تراب حافر دابة الملك إذا ألقي على شيء صار
حيوانا وأما قوله تعالى فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فمعناه قال لهم السامري هذا
إلهكم وإله موسى فوافقه قوم على ذلك وقوله تعالى فنسي قيل معناه فترك السامري
الإسلام الذي بعث الله به موسى عليه السلام وقيل معناه قال السامري لمن وافقه على كفره
إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل فترك الطريق الذي كان يصل به إليه وقوله تعالى
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا معناه أفلا يرى السامري وأصحابه أنه يعني العجل لا يرد عليهم
جوابا ولا يملك لهم دفع ضر ولا جر منفعة قوله عز وجل ولقد قال لهم هرون من
قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح

عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم
ترقب قولي وذلك ان السامري لما دعى القوم الى عبادة العجل قال ان هذا الهنا واله موسى وان موسى
عليه السلام مضى في طلبه وهو ههنا فقام هرون عليه السلام فيهم خطيبا وقال يا قوم انما فتنتم
بعبادة العجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني لما ادعوكم اليه واطيعوا امري وقال لهم انما يرجع موسى عليه
السلام هذه الليلة واستاجلهم في اليوم الثاني واليوم الثالث كذلك فلما كان اليوم الرابع لم يسمعوا
قول هرون عليه السلام واسروا على عبادة العجل وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال ثابتين
عليه حتى يرجع الينا موسى فلما رجع موسى قال لهرون عليهما السلام يا هرون ما منعك اذ
رايتهم ضلوا الا تتبعني بمن اقام على ايمانه ويقال الا تتبعني في شدة الزجر لهم عن الكفر بالله
افتركت وصيتي **فان قيل** لم جاز ما منعك الا تتبعني في معنى ما منعك ان تتبعني **قيل**
يحتمل ان تكون لا صلة في الكلام والمعنى ما منعك ان تتبعني ويحتمل ان يريد ما الذي منعك في
دعايه لك الى ان لا تتبعني اي ما دعاك الى ان لا تتبعني فاقام منعك مقام دعاك اذ المعلوم من
حال الانسان ان يتصرف في حال اختياره على دواعيه وكان المراد منع الداعي دون منع
الحايل **وقوله تعالى** قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي معناه قال هرون لموسى عليهما السلام
يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا بشعر راسي اني خشيت من العنف بهم ومن ان اتبعك بمن اقام على دينه
ان يفترقوا احزابا من بين مومن وكافر وشاك وخشيت ان يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين
بني اسرائيل ولم تحفظ قولي ووصيتي ولم تنظر قدومي وامري فلذلك لم اناجزهم القتال ولم اتبعك بمن
اقام منهم على دينه **قال** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان هرون عليه السلام اخا موسى
عليه السلام من ابيه وامه وانما قال يا ابن ام ليرققه عليه وفي قوله تعالى يا ابن ام قراتان من قرا
يا ابن ام بفتح الميم جعلها بمنزلة اسم واحد يتصل الثاني بالاول اتصال خمسة عشر مبني على الفتح
الا ان خمسة عشر يتضمن معنى الواو وهذا يتضمن معنى اللام ولم يجي هذا البنا الا في يا ابن ام ويا ابن
عم لانه كثر حتى صار يقال للاجنبي فلما عدل بمعناه عدل بلفظه **قال الشاعر**
احال ونسوان يودون انني ٭ واياك نخزى يا ابن عم ونفضح ٭ ومن قرا يا ابن ام بالكسر
فهو على معنى الاضافة ودلت كسرة الميم على اليا التي بعدها **فان قيل** كيف جاز ان
ياخذ موسى عليه السلام بلحية هرون عليهما السلام وراسه مع ان ذلك يقتضي الاستخفاف به
قيل ليس في القران دلالة انه فعل ذلك والذي في القران انه اخذ براس اخيه يجره اليه
فيجوز ان هرون عليه السلام كان يخاف وقد جر موسى عليه السلام راسه اليه ان ياخذ بلحيته
فلذلك قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي غير ان الاخبار وردت ان موسى عليه السلام اخذ راسه بيمينه
ولحيته بشماله فان صح ذلك ففيه قولان احدهما انه اجرى هرون مجرى نفسه لانه لم يكن يتهم عليه
كما لا يتهم على نفسه وقد ياخذ الرجل بلحية نفسه اذا غضب وكان يقال ان عمر رضي الله عنه
كان اذا غضب يفتل شاربيه والدليل انه لم يفعل ذلك استخفافا به قوله عقيب ذلك رب اغفر
لي ولاخي والقول الثاني ان العادة في ذلك الوقت لم تكن كهذه العادة بل كان يجري ذلك في زمانهم
مجرى القبض على يده وهذا مما يختلف حكمه بحسب العادة فيه وانما قال هرون عليه السلام
لا تفعل هذا مخافة ان يظن قومه انه يفعل ذلك استخفافا وقيل ان هرون عليه السلام وان
كان نبيا فموسى عليه السلام ايضا كان نبيا وكانت الرياسة مع ذلك لموسى عليه السلام وكان
حال موسى مع هرون عليهما السلام كحال احدنا مع من لا يكون نبيا ولو فعل ذلك احدنا بمن لا يكون

نبيا لم ينقطع على كونه كبيرة منه فكان ذلك من موسى عليه السلام صغيرة **قوله عز وجل**
قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها
وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما معناه قال موسى عليه السلام
للسامري ما هذا الخطب العظيم الذي دعاك الى ما صنعت والخطب هو الجليل من الامر **وقوله تعالى**
قال بصرت بما لم يبصروا به معناه قال السامري رايت ما لم يروا ويقال علمت ما لم يعلموا **قال** الزجاج رحمه
الله يقال ابصرت الشي اذا رايته وبصرت به اذا صرت عالما به **وقوله تعالى** فقبضت قبضة من
اثر الرسول معناه قال قبضت قبضة كفا من اثر فرس جبريل عليه السلام فطرحته في فم العجل وكذلك
اطمعتني نفسي في ان العجل ينقلب به حيوانا ويقرا في غير السبع فقبصت بالصاد والقبصة هي الاخذ
باطراف الاصابع والقبضة بالضاد معجمة هي القبض بجملة الكف **وقوله تعالى** قال فاذهب معناه
قال له موسى عليه السلام فاذهب فان لك في ما جنيت ان تقول لا مساس لا امس ولا امس ولا اخالط
ولا اخالط وامر موسى عليه السلام بني اسرائيل ان لا يواكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فحرم عليهم مخالطة
السامري جزا لفعله وكان هو يهيم في البرية مع الوحش في السباع ويقال انه ابتلي بالوسواس
ولزم الحمية ان يتصور الهم في كل صورة كالزمهو الجهال من بني اسرائيل والمساس فعال
من المس يقال ماسسته مماسة ومساسا اي مسسته ومسني **وقوله تعالى** وان لك موعدا
لن تخلفه معناه وان لك اجلا يكافيك الله تعالى فيه على ما فعلت وهو يوم القيمة **وقوله تعالى**
وانظر الى الهك معناه وانظر الى العجل الذي اقمت على عبادته ملازما والاصل في ظلت ظللت الا ان
احد اللامين حذفت لثقل التضعيف ثم بعد حذفت احدى اللامين للعرب فيه مذهبان فتح
الظا وكسرها فمن فتحها تركها على حالها ومن كسرها نقل حركة اللام اليها ونظيره مست ومسست في مسست
وهمت وهمت في هممت وهل احست يريد في احسست **وقوله تعالى** لنحرقنه معناه لنحرقنه
بالنار وهذه القراة تدل على ان ذلك العجل صار حيوانا لحما ودما كما روي عن الحسن رضي الله عنه
لان الذهب والفضة لا يمكن احراقهما بالنار وكان الحسن رضي الله عنه يقرا لنحرقنه بالتخفيف
ومعناه لنذبحنه ثم لنحرقنه بالنار لانه لا يجوز احراق الحيوان قبل الذبح كما روي في الخبر لا
تعذبوا احدا بعذاب الله تعالى ويقرا لنحرقنه بنصب النون وضم الراء اي لنبردنه بالمبرد
يقال حرقت الشي احرقه اذا بردته والمحرق هو المبرد وهذه القراة تدل على ان العجل
بقي ذهبا ولكن كان له خوار **وقوله تعالى** ثم لننسفنه في اليم نسفا معناه لنذرينه في
البحر تذرية يقال نسف فلان الطعام بالمنسف اذا ذراه ليطير عنه قشوره **قال** عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما فحرقه موسى عليه السلام ثم ذراه في البحر **وقوله تعالى** انما
الهكم الله الذي لا اله الا هو معناه قل لهم انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اي لا معبود للخلق
سواه **وقوله تعالى** وسع كل شي علما معناه احاط علمه بكل شي فلا يخفى عليه شي من اعمال العباد
قوله عز وجل كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا
من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وسا لهم يوم القيمة حملا
معناه كما قصصنا عليك خبر موسى عليه السلام كذلك نقص عليك من اخبار الرسل واممهم وقد اكرمناك
بالقران العظيم من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اثما خالدين فيه اي مقيمين في
عقوبته وسا وزرهم يومئذ حملا والوزر في اللغة هو الثقل وسمي الوزر وزرا لما فيه من الثقل

ومن ذلك يسمى السلاح اوزارا قال الاعشى * واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا *

قوله عز وجل يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما معناه يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية وفي الصور قولان احدهما انه جمع صورة ينفخ الروح في صورة الحيوان فيجري في جسمه فيقوم حيا باذن الله تعالى والثاني انه قرن ينفخ فيه يومئذ لتقوم الناس من قبورهم مثل بوق الرحيل وبوق النزول والنفخ اجرا الريح في البوق او البدن والنفخ الذي هو اخراج الريح من الجوف بالدفع من الفم وذلك هو الاصل في النفخ فشبه هذا به وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قيل معناه قد ازرقت اعينهم من شدة العطش لان العطش اذا اشتد تغير سواد العين الى الزرقة وقيل معناه عميا كما قال تعالى في اية اخرى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا كانها ترى زرقا وهي في الحقيقة عمي وقوله تعالى يتخافتون بينهم معناه يتسارون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ان لبثتم في الدنيا الا عشرا وذلك انهم لشدة ما يرون من هول يوم القيمة ينسون ما لبثوا في الدنيا فيقولون هذا القول وقيل يقللون ذلك لطول لبثهم في القيمة وقيل معناه انه يقول بعضهم لبعض ان لبثتم في القبور الا عشرا يريدون بذلك لبثهم في القبور بعد انقطاع عذاب القبر عنهم فيقللون لبثهم كانهم ناموا نياما فانتبهوا وقوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم اي اعلمهم عندهم ان لبثتم الا يوما يقولون ذلك وهو كذب

قوله عز وجل ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الى قوله فلا تسمع الا همسا معناه يسالك الكفار عن حال الجبال يوم القيمة اين تذهب مع عظمها فقل ينسفها ربي اي يقلعها قلعا يقال نسف البعير النبت اذا اقتلعه من اصله بفيه ويقال معنى ينسفها يجعلها بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كتذرية الطعام من القشور والتراب فتصير كالهبا وقوله تعالى فيذرها قاعا اي يترك الارض مستويه ملسا لا نبات فيها وقيل الصفصف هو المكان المستوي كانه على صف واحد في استوايه والقاع الاقرع من النبت وقوله تعالى لا ترى فيها عوجا اي واديا ولا امتا اي رابية يقال الامت غلظ موضع ودقة موضع وهو في الاصل مما يستعمل في الاضطراب بالارتفاع والانخفاض يقال مد حبله حتى ما ترك فيها امتا اي انثنا وملأ سقاه حتى ما ترك فيه امتا اي انثنا وقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي يتبعون صوت الداعي لا يعوجون عنه وعن الطرق الذي يدعون اليه لا يعدلون يمينا ولا شمالا ولا يملكون التاخر وقوله تعالى وخشعت الاصوات معناه وذلت الاصوات لهيبة الرحمن فلا تسمع الا صوتا خفيا من وطى اقدامهم كصوت اخفاف الابل في سيرها والهمس في اللغه هو الصوت الخفي يقال همس الي بحديثه اي اخفاه وقال الراجز * وهن يمشين بنا هميسا *

قوله عز وجل يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما معناه يومئذ لا تنفع شفاعة احد الا شفاعة من اذن له الرحمن في ان يشفع ورضي له قولا في الدنيا وهم المومنون فان الله تعالى لا يرضى الا قول المومنين ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم معناه ان الله تعالى عالم بتفاصيل ما قدموه وما يستحقه كل احد منهم لا يحيط احد بذلك فان احدا منهم لا يعلم علم الاحاطه والله تعالى يعلم

كل شي

كل شي علم احاطة لانه يعلمه من كل وجه **قوله عز وجل** وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما قال عبد الله بن عباس ومجاهد في معنى وعنت الوجوه ذلت الوجوه بالسجود للحي الذي لا يموت القايم الذي لا بدل له والعاني في اللغه هو الاسير ومنه قولهم اخذت الشي عنوة اي غلبة بذل الماخوذ منه وقال الحسن القيوم القايم على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها به وقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما معناه خاب من ثواب الله عز وجل من حمل شركا ومعصية وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما بالزيادة في سياته ولا هضما بالنقصان من حسناته يقال هضمني فلان حقي اي نقصني وهذا شي يهضم الطعام اي ينقص ثقله وقوله تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا اي وهكذا انزلنا القران على مجرى اللغة العربيه وكررنا فيه من الوعيد لكي يتقوا الله تعالى او يحدث كتاب الله تعالى لهم ذكرا يعتبرون به ويقال معنى ذكرا شرفا بايمانهم به كما قال وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولقومك وقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق معناه ارتفعت صفة الله تعالى فوق كل شي سواه لانه اقدر من كل قادر واعلم من كل عالم وكل قادر عالم سواه محتاج اليه وهو تعالى غني عنه ومعنى الملك الحق ان يحق له الملك فان كل ملك سواه يملك بعض الاشيا ويبيد ملكه وقوله تعالى ولا تعجل بالقران قال الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القران عجل بقراته مخافة نسيانه وكان يقرا مع الملك مخافة ان يذهب عنه فنهي عن ذلك وقوله تعالى وقل رب زدني علما معناه زدني حفظا حتى لا انساه ويقال انزلت هذه الاية في رجل لطم وجه امراته فجات تلتمس القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص فانزل الله تعالى هذه الاية اي لا تعجل بايجاب القصاص من قبل ان ينزل عليك القران

قوله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى معناه ولقد عهدنا الى ادم ان لا ياكل من هذه الشجرة فنسي قيل معناه فترك المامور به وقيل معناه نسي ذلك من النسيان الذي هو ضد الحفظ ثم اختلفوا في معنى هذا النسيان قال بعضهم انما نسي الاستدلال بالنهي فحمل النهي على التنزيه لا على التحريم وقال بعضهم ان الله تعالى اشار بالنهي الى شجرة بعينها فقال لا تاكلا من هذه الشجرة واراد به جنس تلك الشجرة فنسي ادم الاستدلال بذلك على الجنس فحمل النهي على العين وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى فقال هذان محرمان على ذكور امتي حل لاناثهم واراد به الجنس دون العين وقوله تعالى ولم نجد له عزما اي حزما وقيل عقدا ثابتا وجاء في الحديث لو وزن حلم بني ادم منذ كان ادم الى ان تقوم الساعة ما رجح جميع حلمهم وحزمهم عن حلم ادم عليه السلام قال الله عز وجل ولم نجد له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم معناه امرنا الملائكة ان يسجدوا ولا تحوا ادم تحية له وعبادة لله تعالى لا لادم عليه السلام وقوله تعالى فسجدوا

الا ابليس اى استثنا منقطع كما يقال قامت الاشراف للرئيس الا العامي الذي لا يلتفت اليه وانما جاز هنا الاستثنا وان كان منقطعا لدخوله معهم في الامر لان الملئكة اذا امروا بالسجود اقتضى ان من دونهم داخل معهم كما انه اذا امر الكبرا بالقيام للامير اقتضى ان صغار الاقدار دخلوا معهم في هذا الامر وقوله تعالى فقلنا يا ادم معناه بينا له عداوة ابليس له ولامراته وحذرناهما من ان يميلا اليه ويقبلا منه فيكون ذلك سببا لخروجهما من الجنة وللشدايد التي تكون في الدنيا من جوع وعطش وفقر وتعب في طلب الغذا واللباس وهذا معنى قوله فتشقى اى تتعب بالاكل من كد يديك وما تكسبه لنفسك واجرى فتشقى على خطاب الواحد والمعنى فتشقى انت وزوجك لان امرهما في السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوايهما في العلة وقوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى بيان انهما ما اقاما في الجنة على طاعة الله تعالى فلا جوع ولا عري لكثرة نبات الجنة وانواع ثمارها ومن قرا وانك بالنصب كان عطفا على ان لا تجوع ومعنى لا تظما فيها ولا تضحى لا تعطش فيها ولا يصيبك حر الشمس فتوذيك لان الشمس انما خلقها الله تعالى في سما الدنيا نورا لمن اسكنه الارض وليست في السما السابعة ولا في الجنة شمس يتاذى احد بحرها وانما في الجنة نور وضيا وقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان معناه وسوس الى ادم ليا كل من الشجرة قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اى على شجرة من اكل منها خلد وبقي في ملك لا يفنى **قوله عز وجل** فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى معناه فاكلا من الشجرة وانما اكلا منها على وجه الخطا في التاويل لا تعمدا للمعصية اذ الانبيا صلوات الله عليهم لا يتعمدون المعصية فهم اشد خوفا من الله تعالى ان يفعلوا ذلك وقد تقدم ذكرا لنا ويل من وجهين قال الحسن رضي الله عنه وانما حلف ابليس لهما بقوله والله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فانهما لم يصدقاه ولكن فعلا ذلك لشهوتهما كما يقول الغاوي للانسان ازن بهذه المراة فانك ان زنيت بها لم تحد فلا يصدقه ويزني بها لشهوته وقوله تعالى فبدت لهما سواتهما معناه ظهرت لهما عوراتهما وانما جمعت السوات ولم تثن لان كل شي من شيين فهو جمع في موضع التثنية كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما لان الاضافة الى تثنيه وقوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما معناه وجعلا يقطعان عليهما من ورق الجنة ويجعلانه على انفسهما يقال طفق يفعل كذا بمعنى ظل يفعل وجعل يفعل والخصف خط الشي يقطعه من غيره يقال خصفه يخصفه خصفا وهو خاصف وخصاف وقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى معناه عصى باكله من الشجرة كما يقال عصى في كذا فغوى اي خاب مما طلبه باكل هذه الشجرة يقال غوى يغوى غيا وغواية اذا خاب قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ۞ ومن يغو لا يعدم على الغي لايما

وقوله تعالى ثم اجتباه ربه معناه ثم اجتباه للرسالة وقيل قربه وهداه الى ذكره **قوله عز وجل** قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى معناه قال الله تعالى لهما اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو اراد به ادم عليه السلام وذريته وابليس وذريته وقوله تعالى فاما

ياتينكم

ياتينكم مني هدى اراد به الكتاب والرسول قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ضمن الله تعالى لمن قرا القران وعمل به ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا فالضنك في اللغة هو الضيق الصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يونث لان اصله المصدر ثم وصف به قال عنترة ۞ وان نزلوا بضنك فانزل ۞ وقد اختلفوا في معنى الضنك في هذه الاية روي عن عبد الله بن عباس انه قال معناه ان يكون عيشه منغصا عليه لانه غير موقن بالخلف والجزا قال عبد الله ابن مسعود وابو سعيد الخدري وابو صالح والسدي هو عذاب القبر يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه وقال الحسن وقتاده هو الضريع والزقوم في النار وقال عكرمة والضحاك هو الحرام في الدنيا الذي يودي الى النار وقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال عبد الله بن عباس يبعث الكافر بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي وهو قوله تعالى ونحشر المجرمين يوميذ زرقا ويقال معناه اعمى عن ان تكون له حجة وقيل اعمى عما ينفعه وقوله تعالى قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها معناه تعرضت لنسيانها فان النسيان ليس من فعل الانسان ليتوعد عليه ولكنه جرى في الذكر على نسيان الايات للتحذر من الوقوع فيه وقيل معنى فنسيتها تركت العمل بها والاقرار بها وكذلك اليوم تترك في النار وعلى القول الاول يصير بمنزلة من يترك في المنسي بعذاب لا يفنى وقوله تعالى وكذلك نجزي من اسرف على نفسه بالمعاصي ولم يومن بايات ربه كما جرى هذا المتقدم ذكره وقوله تعالى ولعذاب الاخرة معناه هو اشد من عذاب الدنيا وادوم لان عذاب الدنيا ينقطع **قوله عز وجل** افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى من قرا افلم يهد لهم بالياء فالمعنى الم يتبين لهم الامر باهلاكنا من قبلهم من القرون وكم في موضع نصب باهلكنا وكانت قريش تتجر الى الشام فترى مساكن قوم لوط وثمود وفيها علامات الاهلاك ومن قرا بالنون فالمعنى افلم نبين لاهل مكة بيانا يهتدون به فيرتدعون عن المعاصي وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك معناه لولا اخبار الله تعالى قبل كونهم في الدنيا انه يمهلهم الى وقت قيام الساعة واولى وقت مماتهم لكان العذاب لازما واقعا في الحال ويقال لكان القتل الذي نالهم يوم بدر لازما لهم ابدا وتقدير الاية ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون من الشتم والتكذيب فسيعود عليهم وبال ذلك وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس معناه صل صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة العصر ومن اناء الليل صلوة العشاء واطراف النهار قال قتاده صلوة الظهر لانه ذهب الى اخر النصف الاول من النهار طرف واول النصف الثاني طرف وقال الحسن وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر واطراف النهار صلوة التطوع ويقال اراد باطراف النهار الظهر والعصر والصبح وجمع ان يعاد ذكر صلوة قد تقدم ذكرها تاكيدا لفرضها وقوله تعالى لعلك ترضى من قرا بفتح التاء معناه لعلك هذه الصلوات لكي تعطى من الثواب ما ترضى ومن قرا بضم التا فالمعنى لكي تصير مرضيا وتسمى مرضيا **قوله عز وجل** ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى معناه ولا تنظرن بعين الرغبة الى ما متعنا به

رجالا منهم زينة الحيوة الدنيا لنختبرهم فيما اعطيناهم من الزينة ويقال ليكون تشديدا في التعبد لهم من حيث يلزمهم التواضع للمومنين والانفاق عليهم ورزق ربك الذي وعدك في الاخرة خير وابقى مما رزقهم ها هنا وقيل في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم استسلف من يهودي طعاما فابى ان يسلفه الا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له والامتاع في اللغة هو الالذاذ بما يدرك وذلك بما يرى من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروايح الطيبة والتمتيع تكثير الامتاع وقيل في معنى ازواجا اشكالا منهم من المزاوجة بين الاشياء وهي المشاكلة وذلك لانهم اشكال في الذهاب عن الصواب والزهرة هي الانوار التي تروق عند الروية ويقال للمعاني الحسنة زهرة النفوس وقوله تعالى وامر اهلك بالصلوة التي تعبدكم الله تعالى بها وعلى الصبر عن محارم الله تعالى لا نسالك رزقا فاخلقنا ولا لنفسك لم نخلقك لحاجتنا اليك كحاجة السادة الى عبيدهم بل نحن نرزقك ونرزق جميع من خلقنا والعاقبة المحمودة لمن يتقي الله تعالى ولا يعصيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل عليه بعض الضيق في الرزق امر اهله بالصلوة ثم قرا وامر اهلك بالصلوة الى اخر الاية **قوله عز وجل** وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى معناه وقال اهل مكة لولا ياتينا محمد صلى الله عليه وسلم باية من ربه ارادوا به الاية التي اقترحوها ولم ياتهم بيان ما في التورية والانجيل من البشارة بها وافقهما من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لانه لو جاءهم ما كانوا يتحكمون في طلب الايات ثم لم يومنوا اخذوا بعذاب الاستيصال وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم معناه لو انا اهلكناهم بعذاب الاستيصال من قبل ارسال الرسل لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا يرشدنا الى دينك فنتبع دلالتك من قبل ان نذل في الدنيا بالقتل ونهون ونفتضح في الاخرة بالعذاب وفي الاية دلالة ان الله تعالى انما ارسل الرسل لعلمه بان في الامم من يصلح بارسال الرسل ولو لم يرسل اليهم لاحتجوا فقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وقوله تعالى قل كل متربص معناه نحن ننتظر بكم ما وعدنا الله تعالى لنا فيكم وانتم تنتظرون بنا ان نموت فتستريحوا منا وذلك انهم كانوا يقولون نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون وقوله تعالى فستعلمون معناه ستعلمون بعد هذا من اصحاب الطريق المستقيم ومن اهتدى الى رشده وصلاحه نحن او انتم وجعل الدين صراطا في سعة اللغة من حيث يودي الى الجنة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبيا عليهم السلام مكية كلها وهي ماية واحدى

عشرة اية عند البصريين واثنتا عشرة اية عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون معناه اقتربت القيامة والاقتراب قصر مدة الشي بالاضافة الى ما مضى من زمانه ومعنى الحساب ها هنا اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك وقوله تعالى وهم في غفلة معرضون اي في غفلة عن قرب الحساب والموت معرضون

عن

عن الفكر في ذلك والتاهب له وهذا من الله تعالى عظة وتنبيه لئلا يغفلوا عن الاخرة وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر معناه ما ياتيهم من وحي محدث تنزيله الا استمعوه وهم يلعبون قال الحسن وقتادة رضي الله عنهما كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقوله تعالى لاهية قلوبهم منصوب بقوله تعالى يلعبون ومعناه ساهية غافلة من لهيت عن الشي الهى اذا اغفلت عنه وقوله تعالى واسروا النجوى معناه واضمروا فيما بينهم المناجاة ثم بين من هم فقال عز وجل الذين ظلموا وفيه من الاعراب رفع من وجه اخر وهو الرفع على البدل من المضمر في واسروا كما في قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم ويجوز ان يكون الذين خفضا نعتا للناس على معنى اقترب للناس الذين هذه حالهم ثم بين النجوى التي اسروها فيما بينهم بقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم اطلع الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم على قيلهم وسرهم اي انهم قالوا هل محمد صلى الله عليه وسلم الا بشر مثلكم فماذا تتبعون بشرا مثلكم افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وكانت هذه علة ضعيفة منهم لان الرسول صلى الله عليه وسلم لا بد ان يكون عبدا لله تعالى لان من سوى الله فكلهم مملوكون لله تعالى ثم لا بد ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم شخصا مشاهدا ليسمعوا كلامه فيتبعوه ثم اذا كان شخصا مشاهدا فلا فرق بين ان يكون على صفة البشر او على صفة الملك بل كونه على صفة البشر اولى لانه بمنزلة المعلم المخبر لهم وكان الاولى ان يكون بحيث يقعد معهم فيدعوهم الى الخير والرشد ويقيم الحجة عليهم نعلم ان الذي قالوه كان ظنا منهم بالجهل **قوله عز وجل** قل ربي يعلم القول في السما والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ربي الذي اعبده وادعوا الى عبادته هو الذي يعلم ما يسر العباد من القول في السما والارض وهو السميع لذلك كله العالم بما يجري عليه ومن هذه صفته فهو الذي يجب ان يعبد دون الاصنام ويقرا قال ربي على معنى الخبر وقوله بل قالوا اضغاث احلام معناه بل قال الكفار ان ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم تخاليط رويا اريها في المنام ومعنى بل للاضراب عما حكى انهم قالوه اولا والاخبار عما قالوه ثانيا وقوله تعالى بل افتراه معناه قالوا اختلقه كذبا من تلقا نفسه ثم قالوا بل هو شاعر فجعلوا يتقضون اقوالهم بعضها ببعض قول متحير لا يمكنه الجزم على امر واحد وقوله تعالى فلياتنا باية معناه انهم قالوا ان كان صادقا فلياتنا باية سوى القران كما ارسل الاولون بالايات مثل انفلاق البحر واحيا الموتى فكانوا يسالون الايات التي لا يكون معها امهال اذا وقع بها التكذيب فلو كانوا يطلبون على وجه الزيادة في البيان وكان في المعلوم انهم يومنون عنده اتاهم الله تعالى به كما قال جل وعز ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولكنهم سالوا ذلك على وجه التكبر والانفة من اتباعه وقوله تعالى ما امنت قبلهم من قرية فيه بيان ان من قبلهم لما لم يومنوا عند ما سالوا من الايات لم يجابوا الى كل ما اقترحوا فكذا هولا لا يومنون بالايات التي سالوها كما لم يومن من قبلهم من الكفار ويقال معنى هذه الاية ان مجي الايات لو كان سببا يودي الى ايمان هولا من غير ان يكون لطفا في تدبير الحكيم لكان سببا يودي الى الايمان اوليك لا محالة فلما بطل ذلك بطل هذا فذلك قوله تعالى انهم يومنون **قوله عز وجل** وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما

كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشا واهلكنا المسرفين لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون معناه وما ارسلنا قبلك من الرسل الا رجالا
مثلك نرسل اليهم الملئكة كما ارسل اليك فاسالوا اهل العلم باخبار من مضى من الامم هل كانت رسل
الله تعالى الا رجالا من البشر ان كنتم يا اهل مكة لا تعلمون ان الله تعالى لم يرسل رسولا الا من البشر فان
قيل لم جاز ان يحالوا في هذا السوال على اهل الكتاب وهم كفار قيل لان الجماعة الكثيرة اذا
اخبرت عن مشاهدة حصل بخبرها دليل يوذي الى المعرفة ووقوع العلم بالضرورة وقوله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام معناه وما جعلنا الانبيا صلوات الله عليهم ذوي اجساد لا ياكلون
الطعام ولا يشربون الشراب وما كانوا خالدين لا يموتون وانما وحد الجسد لان اصله المصدر كالخلق
وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد معناه ثم انجزنا وعدنا الانبيا صلوات الله عليهم في انجائنا اياهم واهلاك
الكفار بهم المكذبين لهم والمسرف في اللغة هو الذي يجاوز حد الحق بما تباعد عنه فالكافرون احق
شي بهذه الصفة وقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم معناه لقد انزلنا اليكم القران فيه
شرفكم وعزكم ان تمسكتم به والذكر يوضع موضع الشرف يقال فلان مذكور في البلاد اذا كان رفيعا وقال الحسن
رضي الله عنه معنى ذكركم ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقوله تعالى افلا تعقلون معناه افلا
تعقلون جسيم نعم الله تعالى عليكم فتشكرونه قوله عز وجل وكم قصمنا من
قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون
لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون قالوا يا ويلنا انا كنا
ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين معناه وكم اهلكنا من
اهل قرية كانوا مشركين وانشانا بعد هلاكهم قوما اخرين فسكنوا ديارهم والقصم في اللغة
كسر الصلب فهرا يقال قصمه يقصمه قصما وهو قاصم الجبابرة والانشا ايجاد الشي من غير سبب
يحدثه وقوله تعالى فلما احسوا باسنا معناه فلما احس اهل القرية الكافرة عذابنا اذا هم
يهربون منها سراعا هرب المنهزم من عدوه وقوله تعالى لا تركضوا معناه لا تهربوا وارجعوا الى
ما نعمتم فيه والى منازلكم يقال لهم ذلك تقريعا على ما فرط منهم وقوله تعالى لعلكم تسالون
قال قتاده رحمه الله انما قيل تسالون على طريق الهزء بهم وهو توبيخ لهم وتكتيفه ويقال معناه
لكي تسالوا عن اعمالكم وتنعمكم بغير الحق ويقال لكي تسالوا فتجيبوا عما تشاهدون اذا رايتم ما
نزل بمساكنكم وما اترفتم فيه قالوا على سبيل الندم والاعتراف بالذنب حين عاينوا العذاب
يا ويلنا انا كنا ظالمين والويل الوقوع في الهلكة ونصبه على معنى الزمنا ويلنا والاحساس في
اللغة هو الادراك بحاسة من الحواس الخمس البصر والسمع والانف والفم والبشرة ويقال
احسه احساسا واحس به فاما الركض فهو تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس اذا مديته بتحريك رجليك
قال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى لا تركضوا انه على وجه الاستهزا قال القتيبي رحمه الله هو كما قال السيد
هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا واما قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم فمعناه ما
زالت الكلمة التي هي قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لم يزالوا يرددونها الى ان ماتوا وخمدوا فصاروا
كالزرع الحصيد والحصد هو القطع على وجه الاستيصال كما يحصد الزرع بالمنجل والحصيد هو الزرع المحصود
والخمود هو الهمود كخمود النار اذا طفيت ثم يستعمل ذلك في الميت لسقوط حركته قوله عز وجل
وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
ولكم الويل مما تصفون في الاية الاولى بيان ان الله تعالى خلق السما والارض للتكليف

والمجازاة

والمجازاة تحذيرا بذلك من التقدم على الباطل وتكذيب الرسل ولو لم يخلقهما الا لرجوع لكان لاعبا لان فاعل
اللعب لاعب وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا معناه لو اردنا ان نتخذ شريكا او ولدا او امراة لم نكن
لنتخذ ما نسبتموه انتم اليه من الذي لا يسمع ولا يعقل ولا من هذه النسا والولدان بل كان يتخذ
من جنس اشرف من هذه الاجناس كما قال عز وجل في اية اخرى لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشا ويقال في معنى هذه الاية لو اردنا ان نتخذ ولدا ذا لهو نتلهى به لاتخذناه
من عندنا لا عندكم لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده وبحضرته ولو كان جايزا في صفة الله
لم يتخذه بحيث يظهر لكم او لغيركم من العباد لما في ذلك من خلاف صفة الحكيم الذي يقدر ان يستر
النقص فيظهره وانما استحال عليه اتخاذ اللهو لان الغني بنفسه عن كل شي سواه يمتنع عليه طلب اللهو
واللهو في اللغة هو صرف الهم عن النفس بالفعل الذي لا فايدة فيه يقال لهيت عن الشي الهى اذا انصرفت
عنه وفي قوله تعالى ان كنا فاعلين وجهان احدهما ان هذه ان التي للشرط اي ان كنا ممن يفعل
ذلك ولسنا ممن يفعله والاخر ان ان التي بمعنى ما اي ما كنا فاعلين وقوله تعالى بل نقذف بالحق
على الباطل اراد بالحق القران وبالباطل الكفر وقوله تعالى فيدمغه معناه فيهلك الحق الباطل
كما يدمغ الرجل الرجل بان يشجه شجة تبلغ ام الدماغ ولا يحيى صاحبها بعدها وقوله تعالى فاذا
هو زاهق اي هالك مضمحل يقال زهق زهوقا اذا هلك وقوله تعالى ولكم الويل معناه ولكم العذاب مما
تصفون الله تعالى به من الصاحبة والولد قوله عز وجل وله من في السموات والارض
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون فيه بيان ان هذه الاشيا التي اضافوها الى الله تعالى
لو كانت كما وصفوها لكان الله تعالى لا يستعبدهم فلما كان من في السما والارض ملكا له دل ذلك
على انتفا الولد والشريك وقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته فيه بيان ان الملئكة
عباد الله تعالى على اتم وجوه العبودية وذلك يبطل معنى الولادة لانها لا تكون الا مع المجانسة
وليس في قوله تعالى ومن عنده اثبات المكان لنفسه وانما قال ذلك لان الملئكة رسل الله تعالى
الى انبيائه وحفظته على خلقه وينفذون في امره ونواهيه كما يقال عند الملك كذا وكذا من الجند
وان كانوا متفرقين في حوايجهم ومعنى لا يستحسرون لا ينقطعون عن العبادة من الاعيا من قولهم
بعير حسير اذا اعيا وقام ومنه قول علقمة بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها
فصليب واما قوله تعالى يسبحون الليل والنهار معناه يصلون لله تعالى الليل والنهار
لا يضعفون عن عبادته ولا يملون وقيل ان التسبيح منهم يجري مجرى النفس منا كما لا يشغلنا
عن النفس شي فكذلك تسبيحهم دايم وقوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض استفهام
بمعنى الانكار ومعناه اعبد اهل مكة اصناما الهة يحيون الموتى فيه تقريع لهم بانهم كاذبون
انها الهة لان الاله يحيي الموتى وهي لا تحيي فكيف تستحق العبادة ومن قرا ينشرون بنصب اليا
وضم الشين فالمعنى ام اتخذوا الهة يحيون ابدا ولا يموتون يقال انشر الله تعالى الموتى فنشروا
اي احياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لان المحيي كانه كان مطويا بالقبض عن الادراك
فانشر بالحيوة قوله عز وجل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله
رب العرش عما يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون ام اتخذوا من دونه الهة
قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون
معناه لو كان في السما والارض الهة غير الله لفسدت السموات والارض لانه لو اراد احدهما ايجاد
جسم في مكان واراد الاخر ايجاد جسم اخر في ذلك المكان لم يخل اما ان يوجد مرادهما او لا يوجد مرادهما

او يوجد مراد احدهما دون الاخر والاول باطل لان في ذلك وجود جسمين في مكان واحد والثاني باطل لان في ذلك كونهما عاجزين والعاجز لا يستحق الالوهية وان وجد مراد احدهما دون الاخر فالذي لا يوجد مراده يكون عاجزا لا يصلح ان يكون الها وهذا معنى قوله تعالى لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا **وقوله تعالى** ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض **واما** قوله تعالى فسبحان الله رب العرش عما يصفون معناه تنزيها لله تعالى عما يقولون عليه من الولد والشريك **وقوله تعالى** لا يسال عما يفعل معناه لا يسال عن افعاله لان كل فعله صواب ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب وهم يسالون لانهم يجوز عليهم الخطا **وقوله تعالى** ام اتخذوا من دونه الهة انكار عليهم **وقوله تعالى** قل هاتوا برهانكم اي حجتكم بان رسولا من رسل الله تعالى انبا امته بان لهم الها غير الله تعالى **وقوله تعالى** هذا ذكر من معي وذكر من قبلي معناه هذا القران فيه ذكر من معي لما يلزمهم من الحلال والحرام والخطا والصواب وذكر من قبلي من الامم ممن نجا بالايمان او اهلك بالشرك ويقال معناه هذا القران الذي هو ذكر من معي والتورية والانجيل ما ذكر من قبلي هل في جميع ذلك غير توحيد الله عز وجل **وقوله تعالى** بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون معناه معرضون عن النظر في دلايل توحيد الله تعالى مقتصرون على جهلهم وتقليدهم

قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين

معناه وما ارسلنا من قبلك يا محمد صلى الله عليه وسلم من رسول الا نوحي اليه ان يقول لقومه انه لا اله الا هو فاعبدوه اي وحدوه وهذا تاكيد لما تقدم **وقوله تعالى** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اراد به قولهم ان المسيح بن مريم ابن الله والملايكة بنات الله تعالى **وقوله تعالى** بل عباد مكرمون معناه بل هم عبيد اكرمهم الله تعالى بالطاعة **وقوله تعالى** لا يسبقونه بالقول معناه لا يخرجون بقولهم عن حد ما امرهم الله تعالى بل هم بامره يعملون بين جل ذكره شدة خضوعهم لله تعالى وخوفهم منه وحرصهم على طاعته وانهم لا ينفذ مون ولا يتاخرون الا بامره **وقوله تعالى** يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم معناه يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم ويقال ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة **وقوله تعالى** ولا يشفعون الا لمن ارتضى علمه ورضي عنه **وقوله تعالى** وهم من خشيته مشفقون قيل معنى مشفقون خايفون وقيل يخافون ان يسبقوا الله الا باذنه وفي هذا كله بيان ان من هذه صفته لا يكون الها مع الله تعالى ولا ولدا له **وقوله تعالى** ومن يقل منهم اني اله من دونه معناه ومن يقل منهم اني اله على ما زعم الكفار انهم الهة فذلك نجزيه جهنم هذا مجاز اي لو كفر

قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون

معناه اولم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا مستويتين لا اثر فيهما ولا فتق لخروج الزرع ونزول الغيث ففتقنا السما بالمطر والارض بالنبات واحيينا بالمطر والنبات كل ما على الارض من حيوان افلا يصدقون بالاله الذي فعل ذلك ليعلموا انه لا اله دونه عز وهذا قول عطية وعكرمة رضي الله عنهما **وذهب** الحسن وقتادة رضي الله

عنهما

عنهما الى معنى قوله رتقا انهما كانتا ملتزقتين ففصل الله بينهما بهذا الهوا ويقال معناه كانت السموات اطباقا ملتزقة وكذلك الارض ففتق الله تعالى السما وجعلها سبعا وجعل الارض سبعا وانما قال رتقا ولم يقل رتقين لان الرتق مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق فجعلناهما ذواتي فتق **وقوله تعالى** وجعلنا في الارض رواسي اي جعلنا فيها جبالا اوتادا للارض فهي راسية كما ترسو السفينة اذا وقفت متمكنة في وقوفها **وقوله تعالى** ان تميد بهم معناه كيلا تميد بهم الارض والميد الاضطراب بالذهاب في الجهات قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الارض بسطت على وجه الما فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة فارساها الله تعالى بالجبال الثقال **وعن** قتاده رضي الله عنه تميد بهم اي تمور بهم **وقوله تعالى** وجعلنا فيها فجاجا معناه جعلنا في الارض طرقا واسعة ليهتدوا الى مواطنهم والفج الطريق الواسع بين الجبلين **وقوله تعالى** وجعلنا السما سقفا محفوظا قيل محفوظا من السقوط ومن ان يطمع احد ان يتعرض لها بنقص ونقض وقيل محفوظا بالنجوم من الشياطين وهم عن ايات السما ودلايلها من شمسها وقمرها ونجومها معرضون فلا يتفكرون فيها **وقوله تعالى** وهو الذي خلق الليل والنهار معناه خلقهما بعد رفع السما عن وجه الارض وسخر الشمس والقمر كل من الشمس والقمر والنجوم في مواضعها التي ركبت فيها يجرون واضاف الفعل اليها تشبيها بالفاعلين كما في قوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال الضحاك رضي الله عنه الفلك هو المجرى الذي تجري فيه الشمس والقمر ويقال هو موج مكفوف يجريان فيه وقال القتيبي رحمه الله الفلك القطب الذي تدور به النجوم وهو كوكب خفي بقرب الفرقدين وبنات نعش عليه تدور السما وقال الحسن رضي الله عنه الفلك الطاحونة كهيئة فلكة المغزل والفلك في كلام العرب كل شي داير وجمعه افلاك

قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون روي ان هاتين الايتين نزلتا جوابا لقول الكفار ننتظر بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون فنستريح ووجه اتصال هاتين الايتين بما قبلهما بيان انه تعالى وان جعل الدنيا كما وصفها من قبل لم يجعلها كذلك لتبقى وتدوم وتبقى فيها من خلقت له ولكن خلقها للبلوى والامتحان ولكي يتوصل بها الى الاخرة التي هي دار الخلود والغنى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد في الدنيا افان مت فهم الخالدون كل نفس ذايقة الموت ذكر الموت بلفظ الذوق لان العرب يذكرون الذوق في كل ما يشق على المرء وبالمرء وان لم يذق ولكنه **وقوله تعالى** ونبلوكم بالشر والخير معناه نبلوكم بالشدة والرخا والمرض والعافية والفقر والغنا كلا ابتلا من الله تعالى وتشديد في التعبد ليظهر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون **وقوله تعالى** والينا ترجعون للجزا في مكان لا يحكم فيه ولا يامر ولا ينهى الا اياكم كما يقول القائل رجع امرنا الى الامير اي هو الذي يحكم بيننا

قوله عز وجل واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي سفين بن حرب وابي جهل بن هشام فقال ابو جهل لابي سفين هذا نبي بني عبد مناف كالمستهزي به فنزلت هذه الاية ومعناها واذا راك الذين كفروا ما يتخذونك الا هزوا ويستهزون بك والاتخاذ جعل الشي على صفة من الصفات والكفار جعلوه على صفة الهزو سخفا منهم وجهلا بمنزلته وفي هذه التسلية لكل محق يناله اذى من جاهل مبطل **وقوله تعالى** اهذا الذي يذكر الهتكم معناه يقول بعضهم لبعض اهذا الذي يعيب الهتكم ويلومكم على عبادتها لانها لا تعقل شيا ولا تنفع ولا تضر ولا تميز بين من يعبدها وبين من لا يعبدها كما تقول العرب فلان يذكر الناس اي يغتابهم ويعيبهم وفلان يذكر الله اي يصفه بالعظمة ويثني عليه فيحذفون من الذكر ما يعقل معناه **وقوله تعالى** وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي يعيبون ذكره

لالهتهم وهم يجحدون الالوهية ممن هو المنعم عليهم الخالق المحيي المميت وهذا من نهاية جهلهم

قوله عز وجل خُلِقَ الانسانُ مِن عَجَلٍ سَأُرِيكُم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتةً فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون

ومعناه خلق الانسان مشتهيا للعجلة فيما يهواه ولذلك يستعجل اهل مكة الوعد الذي يوعدون به والعرب تقول فلان خلق من كذا اذا اكثر من ذلك الشي كما يقال فلان خلق من اللعب وفلان خلق من اللهو وكما يقال انما هو ادبار واقبال وانما هو اكل وشرب ونوم **وقوله تعالى** ساريكم اياتي الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما توعدكم به من العذاب فلا تستعجلون حلول العذاب بكم والاستعجال طلب الشي قبل وقته الذي يحق ان يكون فيه **وقوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين معناه ويقولون متى يكون هذا العذاب الذي يعدنا به يا محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت من الصادقين **وقوله تعالى** لو يعلم الذين كفروا محذوف الجواب معناه لو يعلمون حين لا يمكنهم دفع النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا وجود ناصر يمنعهم مما يراد بهم لعلموا اصدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يوعدهم به **وقوله تعالى** بل تاتيهم بغتة معناه بل تاتيهم الساعة فجاة وهم غافلون عنها فلا يستطيعون ردها ولا هم يمهلون ليصلحوا اعمالهم ۝ **قوله عز وجل** ولقد استُهزِئَ برسلٍ من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منّا يُصحبون بل متّعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون

معناه لقد استهزات الامم برسلهم كما استهزا بك قومك فحل بهم وبال استهزائهم وكان ما ارادوه بالداعي عايدا اليهم كما قال في اية اخرى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقيل في الفرق بين السخرية والهزو ان في السخرية طلب الذلة لان التسخير هو التذليل واما الهزو فهو استصغار القدر بضرب من القول **وقوله تعالى** قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن معناه قل من يحفظكم من باس الرحمن وعوارض الافات في الليل والنهار كما قال جل ذكره من ينصرنا من باس الله ان جانا **وقوله تعالى** بل هم عن ذكر ربهم معرضون معناه لا يلتفتون الى شي من الحجج والمواعظ **وقوله تعالى** ام لهم الهة معناه الهم الهة تمنعهم من عذابنا **وقوله تعالى** لا يستطيعون نصر انفسهم معناه ان الهتهم لا يقدرون على الدفع عن انفسهم فيما نزل بهم من كسر او فساد ولا يجارون ولا يعانون فكيف يدفعون عن غيرهم وكيف يؤمل ذلك منهم ۝ **وقد ذهب** اكثر المفسرين رحمهم الله في معنى قوله تعالى يصحبون انه من قولهم صحبك الله وكان لك جارا وتقول العرب انا جار لك اي اجيرك وامنعك فقال يصحبون بالاجارة من عذاب الله تعالى **قال قتادة** رضي الله عنه معناه فلا يصحبون من الله جل ثناؤه بخير **وذهب المازني** الى ان قوله تعالى ولا هم منا يصحبون من قولهم اصحبت الرجل اذا اعطيته امانا يامن به **وقوله تعالى** بل متعنا هؤلاء واباءهم فيه بيان ما تفضل به الله تعالى على الكفار مع كفرهم وتكذيبهم والمعنى ما حملهم على الاعراض الا اغترار بطول الامهال اذ لم يعاجلهم الله تعالى بالانتقام **وقوله تعالى** افلا يرون انا ناتي الارض معناه افلا يشاهدون انا نفتح الارض لمحمد صلى الله عليه وسلم من نواحيها وننقص من الشرك باهلاك اهلها فيزداد هو كل يوم تمكنا ويزدادون ضعفا ونقصا افهم الغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الغالب لهم باخذ الاموال والقرى **وعن** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى ننقصها

من اطرافها افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها بذهاب فقهائها وخيار اهلها فكيف تامن لزوال

قوله عز وجل قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مسّتهم نفحةٌ من عذاب ربك ليقولنّ يا ويلنا إنا كنا ظالمين

معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم انما انذركم من عذاب الله تعالى بالوحي الذي يوحى الي ولا يسمع من يتصامم الدعا الى الله تعالى اذا ما يخوفون شبه حالهم في اعراضهم عن الايمان بالصم **كما قال الشاعر** اصم عما ساءه سميع ۝ **وقوله تعالى** ولئن مستهم نفحة معناه لو اصابهم ادنا شي من العذاب لايقنوا بالهلاك وقالوا يا ويلنا من الذي نزل بنا انا كنا ظالمين على انفسنا والنفحة الدفعة اليسيرة يقال نفح ينفح نفحا ونفحة فهو نافح وهي تنفصل من النفخة بما في النفخة من الريح الخارجة من الجوف ۝ والويل ينادي به كل من وقع في هلكه وانما يناديه استغاثة مما يكون به كما يستغيث الانسان بندا من يتوقع به

قوله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين

معناه ونضع الموازين ذوات القسط لاهل يوم القيمة والقسط مصدر لا يثنى ولا يجمع قال الحسن رضي الله عنه في الموازين هي ميزان لها كفتان ولسان لا يوزن فيهما الحسنات والسيات يجا بالحسنات في احسن صورة وبالسيات في اقبح صورة فلا ينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيات احد **وقال** قتادة رضي الله عنه معنى الموازين الجزا بالحق ويقال انما توزن خاتمة العمل فمن كانت خاتمة عمله خيرا اجوزي بخير ومن كانت خاتمة عمله شرا اجزي بشر **وقوله تعالى** وان كان مثقال حبة معناه وان كان العمل الذي عمله وزن حبة من خردل اتينا بها للجزا **وقوله تعالى** وكفى بنا حاسبين معناه اكتف بنا حاسبا وفيه تنبيه على ان علم الله تعالى كاف في الجزا وانما وضع الموازين لتظهر احوال المحسنين والمسيئين على رؤس الاشهاد وليعلمون ان لا ظلم فيما يفعل بهم ۝ **قوله عز وجل** ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون

معناه ولقد اعطينا موسى وهرون التوراة يفرق بها بين الحق والباطل وجعلنا ذلك ضيا وعظة للمتقين للكباير والفواحش **وعن** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرا قوله تعالى ضياء بحذف الواو وكان يقول اتينا موسى وهرون الفرقان ضيا **وقوله تعالى** الذين يخشون ربهم بالغيب معناه هم الذين تكون الخشية لازمة لقلوبهم لا ان ذلك مما يظهرونه للناس **وقوله تعالى** وهم من الساعة مشفقون معناه وهم خايفون من ان تلحقهم الساعة وما يجري فيها من محاسبة ومسايلة قبل اصلاح اعمالهم **وقوله تعالى** وهذا ذكر مبارك معناه وهذا القران الذي نزلناه عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر يتبرك به قاريه فيحوز به الاجر العظيم **وقوله تعالى** افانتم له منكرون استفهام بمعنى الانكار على الكفار ۝ **قوله عز وجل** ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون

معناه ولقد اعطينا ابرهيم هداه وهو حدث السن لم يبلغ ويقال اراد بقوله تعالى من قبل اي من قبل موسى وهرون **وقوله تعالى** وكنا به عالمين معناه كنا عالمين انه اهل لذلك كما قال في اية اخرى اخترناهم على علم على العالمين **وقوله تعالى** اذ قال لابيه وقومه اي اتيناه رشده حين قال لابيه وقومه في الوقت الذي خرج من السرب فراهم يعكفون على الاصنام ما هذه التماثيل اي التصاوير التي انتم لاجلها

مقيمون عليها والعكوف اللزوم لفعل امر من الامور **وقوله تعالى** قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين
يقول ابعد الجواب انه لا حجة لهم في عبادة الاصنام الا تقليدهم لابائهم وقال لهم ابرهيم عليه السلام
لقد كنتم انتم واباؤكم بعبادة الاصنام في ذهاب عن الحق ظاهر **وقوله تعالى** قالوا اجئتنا بالحق ام
انت من اللاعبين معناه قالوا لابرهيم اجاد انت فيما تقول محق عند نفسك ام لاعب مازح
وذلك انهم كانوا يستبعدون انكار عبادتها عليهم قال لهم ابرهيم عليه السلام بل ربكم
رب السموات والارض الذى فطرهن دلهم على الله تعالى بفعله وقال بل الهكم مالك السموات والارض
الذى فطرهن اى خلقهن وانا على ما قلت لكم من الشاهدين والفطر شق الشيء عن امر ظهر منه
يقال فطره يفطره فطرا وانفطر انفطارا ومنه تفطر الشجر بالورق فكان السما انشقت عن شيء
فظهرت بخلقها والشاهد الدال على الشيء بما يرجع الى ثقة المشاهدة **وقوله تعالى** وتالله
لاكيدن اصنامكم معناه والله لاضرن باصنامكم وابطلنها وقت مغيبكم عنها وذلك انهم
كانوا يعزمون على الذهاب الى عيد لهم فقال لهم عند ذلك هذا القول **وقال** قتادة رضي الله
عنه انما قاله في نفسه سرا من قومه وامّا تسمية الكسر كيدا فهي على طريق التوسع لان الكيد
هو ما يفعل بالادميين وكان عند القوم ان الضرر يجوز على الاصنام **وقوله تعالى** فجعلهم جذاذا
الا كبيرا لهم معناه فلما ولوا مدبرين جعلهم جذاذا اى مكسرة الا كبيرا لهم من تلك الاصنام وهو
الذى كان اكبرها عند عابديها يحتمل لانه كان اكبرها جثة ويحتمل انهم كانوا يعظمونه اكثر مما يعظم
ساير الاصنام فلم يكسره ابرهيم بل وضع الفاس الذى كسر الاصنام به على عنق الصنم الاكبر لعلهم
اليه يرجعون فيحتج به ابرهيم عليه السلام عليهم وينبههم على انها ان قدرت على ضر ونفع فهو
الكاسر لهذه الاصنام وان لم تقدر فلم تعبدونها وكيف يكون الها من لا يقدر على دفع ما
ينزل به وفي قوله عز وجل جذاذا قراءتان من قرا بضم الجيم فهو فعال في موضع المفعول نحو
حطام بمعنى محطوم ورفات بمعنى مرفوت ومن قرا بكسر الجيم فيجوز ان يكون جمع جذيذ
بمعنى مجذوذ نحو كريم وكرام وخفيف وخفاف ومعنى الجذ هو الكسر وكل شيء كسرته فهو
جذذته ويقال معنى جعلهم جذاذا اى استاصلهم من قولهم جذ الله دابر القوم اى استاصلهم

قوله عز وجل قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا ءانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون معناه فلما
رجعوا من عيدهم فوجدوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا الكسر بالهتنا انه لمن الظالمين
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وذلك ان بعضهم كانوا تخلفوا فسمعوه يذكرها بالعيب
ويقول انها ليست بالهة فقال اولئك ينبغي ان يكون ذلك الفتى هو الذى كسرها قالوا فاتوا
بذلك الفتى على مراى من الناس لكي تشهد الذين عرفوه انه يعيب الاصنام على قوله الذى قاله في
عيب الاصنام فيكون عقوبتنا اياه بحجة قامت عليه ويجوز ان يكون معنى لعلهم يشهدون لكي يشهد
الناس عقوبته **وقوله تعالى** قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم معناه قالوا لابرهيم عليه السلام
انت فعلت هذا الكسر بالهتنا قال ابرهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا الذى الفاس على
عنقه فاسالوهم ان كانوا ينطقون حتى يخبروكم من كسرهم واراد بهذا تقريرهم بانهم
ضالون في عبادتهم ما لا يدفع عن نفسه لانه لا يجوز ان يكون قوله بل فعله كبيرهم خبرا منه بانه
قد فعله لان جماعتهم كانوا يعلمون ان الصنم لا يعقل ولا يفعل ولا ينطق ولا يضاف مثل هذا الخبر
الى ابرهيم عليه السلام مع ظهور فساده ولكن المراد تبكيت القوم وتوبيخهم على عبادة ما لا يعقل ولا يفعل

ولذلك قال فاسالوهم فان قوله فاسالوهم ليس بامر على التحقيق من حيث ان المعلوم انهم لا
ينطقون فكذلك اضافة الفعل الى كبيرهم كانه عليه السلام قال ما تنكرون ان يكون فعله كبيرهم
فان من اعتقد ان الصنم اله لزمه ان يعتقد انه فعل فعلا فان كانت هذه الاصنام الهة كما تدعون
فانما فعل ذلك بهم كبيرهم لان غير الاله لا يقدر ان يضرها لانه اله وقد يقع الالزام تارة بلفظ الخبر وتارة
بلفظ الامر وهذا كما في قوله تعالى فاتوا بسورة مثله وهو الزام وتعجيز وقيل ان قوله بل فعله كبيرهم
متقيد بقوله ان كانوا ينطقون **وقوله تعالى** فاسالوهم اعتراض بين الكلامين كما يقول الرجل لاخر ان لي
على هذا مائة درهم فاساله ان اقر يريد بذلك لي عليه مائة درهم ان اقر فاساله فكذلك هذا معناه فعله
كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسالوهم وانما حملنا الاية على احد هذين التاويلين لانه لا يجوز الكذب
على الانبيا عليهم السلام وان لم يكن في ذلك غرور ولا ضرر لان الحكمة تزجر عن الكذب كما تزجر عن العبث
ولا يجوز ما ينافر الكذب الى الانبيا صلوات الله عليهم على جهة التقية لان التقية لا يجوز على الانبيا صلوات
الله عليهم لما في ذلك من التشكيك في اخبارهم واما ما يروى من الخبر المرفوع ان ابرهيم عليه السلام لم
يكذب الا ثلاث كذبات كلها في ذات الله تعالى قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله عليه السلام اني سقيم
وقوله لسارة هي اختي فلم يثبت هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من دسيس
بعض المتهمين فانه لو جاز ان يكذب الرسل للمصلحة لجاز ان يتهموا في ساير ما يخبرون به حتى يقال انها وبعضه
كذب لضرب من المصلحة وذلك يبطل الثقة بكتاب الله تعالى وبكلام الانبيا صلوات الله عليهم ولو صح هذا
الخبر احتمل ان يكون المراد بالكذب المعاريض على معنى ان صورته صورة الكذب كما يقول القايل كلمة
يظهرها لصاحبه هذا الذى فلته نورثك الا والقول لا يكون تورية فكذلك قول ابرهيم عليه السلام بل فعله
كبيرهم هذا فكيف يجوز حمل هذه الاقوال الثلاثة على الكذب ولكل واحد منها وجه صحيح اما وجه هذه الاية
فما قلناه واما قوله اني سقيم فيجوز ان يكون معناه اني مغتم لضلالكم حتى انا كالسقيم ويجوز ان
يكون المعنى سقيم عندكم فيما ادعوكم اليه من الدين ويجوز ان يكون ناله مرض يسير في ذلك
الوقت واما قوله لسارة هذه اختي فتاويله انها كانت اخته في الدين

قوله عز وجل فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون معناه فرجعوا الى انفسهم بالملام فقالوا
انكم انتم الظالمون في سؤاله لانها لو كانت الهة لم يصل ابرهيم عليه السلام الى كسرها **وقوله تعالى** ثم نكسوا
على رءوسهم معناه ادركتهم حيرة فنكسوا لاجلها رءوسهم واقروا بما هو حجة عليهم فقالوا لقد علمت
يا ابرهيم عليه السلام ما هؤلاء ينطقون فلذلك كسرتهم ويقال معناه ثم نكسوا على رءوسهم رجعوا الى قولهم
الاول والى ضلالهم القديم **وقوله تعالى** قال افتعبدون من دون الله انكار من ابرهيم عليه السلام
عبادة ما لا ينفع ولا يضر **وقوله تعالى** اف لكم معناه قذرا ونتنا لكم ولما تعبدون ايها الضالون
اذ عبدتم احجارا لا حركة لها ولا لسان ولا نطق افليس لكم ذهن الاصابة ان من هذه صفته لا يجوز ان
يعبد **قوله عز وجل** قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين معناه قالوا احرقوا ابرهيم بالنار وانتقموا لالهتكم وعظموها
ان كنتم فاعلين في هذا شيا فاشتغلوا بجمع الحطب حتى كان الشيخ الذى يقعد في داره يذهب ويأتي
بالحطب تقربا الى الهتهم فلما جمعوا من الحطب شيا كثيرا وارسلوا فيه النار وقصدوا القا ابرهيم عليه
السلام في النار التي اوقدوها قال الله تعالى للنار كوني بردا وسلاما اى ذات برد وسلامة على ابرهيم عليه السلام

فاحدث الله تعالى في النار بردا بدلا من شدة الحر حتى لم يؤذه قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما ولو لم يقل الله تعالى وسلاما لاهلكه البرد وقال قتادة رضي الله عنه ما احرقت النار الا
وثاقه وروى ان ابرهيم عليه السلام لما اوثقوه ليلقوه في النار قال لا اله الا انت
سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك وقوله تعالى
واراد وابه كيدا معناه واراد وابه الحيلة في الاضرار به فجعلنا الكفار الذين ارادوا احراقه الاخسرين
بان لم يتم لهم ما عزموا عليه وبين عجزهم عن نصرهم الهتهم فخسر سعيهم وقوله تعالى ونجيناه ولوطا
معناه وارشدنا ابرهيم ولوطا من الهلكة الى الارض المباركة وهي ارض الشام جا في الخبر انهما هاجرا
الى ارض الشام فرارا من باس الفاسقين وسميت ارض الشام مباركة لكثرة الانبيا صلوات الله
عليهم الذين بعثهم الله تعالى فيها وعن ابي العاليه رحمه الله انه ليس ما عذب الا وهو يجري
من الصخرة التي تحت المقدس قوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلوة وايتا الزكوة وكانوا لنا عابدين معناه ووهبنا لابرهيم ولده اسحق
وولد ولده يعقوب وسمى يعقوب نافلة لانه تعالى زاد ابرهيم على ما ساله من الولد ولد الولد
والنافلة في اللغة زيادة على الاصل ونوافل الصلوة ما تطوع به المصلى ويقال انهما جميعا نافلة
لانهما عطية زايدة على ما تقدم من النعم وقوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي وكلا منهم
وفقناه للعمل الصالح وجعلناهم قادة في الخير يدعون الناس الى امرنا فامرناهم بفعل الخيرات
وبا قامة الصلوة وهي ادامتها وبا عطاء الزكوة وكانوا لنا خاضعين مطيعين وانما قال واقام
الصلوة بلا ها لان الاضافة صارت عوضا عن الها قوله عز وجل ولوطا اتيناه
حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين معناه واتينا لوطا عليه السلام حكما وعلما والحكم والحكمة
بمعنى واحد مثل نعم ونعمة وقوله تعالى ونجيناه من القرية اي من اهل قرية سدوم ومن
العذاب الذي بهم ويقال نجيناه من العذاب الذي حل بتلك القرية واما الخبايث اعمالهم فقد روى
انهم كانوا ياتون الذكران في ادبارهم ويتضا رطون في انديتهم قوله عز وجل
ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من
القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين معناه
واذكر منا نوحا اذ دعا ربه على قومه من قبل ابرهيم ولوط فاستجبنا دعاه فانجيناه ومن امن به من الغم
العظيم وهو غم الغرق والكرب في اللغة كل امر يشتد على الانسان الحزن فيه وقوله تعالى ونصرناه
من القوم معناه منعناهم ان يصلوا اليه بسوء يقال نصره من فلان اذا منعه منه من ان يضربه
وينصر على فلان اذا اعانه عليه حتى غلبه وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء اي كانوا قوما
كفارا فاغرقناهم بالطوفان قوله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا
حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين معناه واكرمنا داود
وسليمان بالنبوة والحكمة اذ يحكمان في الحرث اذ وقعت فيه بالليل غنم قوم اخرين ذكر لفظ الجمع في موضع
التثنية كما في قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس معناه فان كان له اخوان واما
النفش في اللغة فهو الرعي بالليل يقال نفشت السايمة بالليل وهملت بالنهار اذا رعت وقوله تعالى ففهمناها
سليمان معناه فهمناه القضية ويقال فهمناه قيمة ما افسدت الغنم وكلا منهما اتيناه العلم والفضل

بين الخصوم روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان الحرث لقوم فنفشت فيه غنم
قوم ليلا فرعت ذلك الحرث واكلته وافسدته كرما كان خرج بعض عناقيده فتحاكما الى داود عليه السلام
فحكم بدفع الغنم الى اصحاب الحرث وكان قيمة الغنم سوا [illegible] فمروا على سليمان عليه السلام فقال بماذا قضى الملك
فاخبروه بحكمه فقال نعم ما حكم به وغير هذا كان ارفق بالكل فاخبر والده داود عليه السلام بقوله عليه السلام
فدعاه وعزم عليه بحق النبوة والملك وبحق الوالد لا اخبرتني ما عندك فقال ياخذ اهل الكرم الغنم فينتفعون
بالبانها واسمنها واصوافها واولادها الحول ويأخذ اهل الغنم الكرم فيقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد
ثم يرد الغنم اليهم فقال داود عليه السلام نعم ما قضيت به فقضى داود عليه السلام بينهم بذلك
فقوموا بعد ذلك الكرم وما اصابوه من الغنم فوجده مثل ثمن الكرم كما قضى به داود عليه السلام هكذا
روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية والى هذا ذهب بعض الناس فقالوا اذا انفلتت
الغنم ليلا في زرع رجل فافسدته كان على صاحب الغنم ضمان ما افسد وان كان نهارا لم يضمن شيئا
واستدلوا ايضا بما روى في الخبر ان ناقة كانت للبرا دخلت حايط رجل فافسدته فقضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل واما
اصحابنا رحمهم الله فلا يرون في هذه المسالة ضمانا ليلا ونهارا اذا لم يكن صاحب الغنم هو الذي ارسله
فيه ولا حجة للخصم في هذه الاية لانه لا خلاف بين المسلمين ان من نفشت غنمه في حرث رجل لم يجب عليه
تسليم الغنم ولا تسليم اولادها والبانها واصوافها اليه فثبت ان الحكمين اللذين حكم بهما داود وسليمان
عليهما السلام منسوخان بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال العجما جبار وهذا الخبر متفق على استعماله في البهيمة المنفلتة اذا اصابت انسانا
او مالا انه لا ضمان على صاحبها اذا لم يرسلها هو عليها فلما كان هذا الخبر مستعملا عند الجميع وكان
عمومه ينفي ضمان ما تصيبه البهيمة ليلا ونهارا ثبت بذلك نسخ ما ذكر في قصة داود وسليمان
عليهما السلام ونسخ ما روى في قصة البرا بن عازب مع انه ليس في ذلك الخبر ايجاب ضمان ومع ان سائر
الاسباب الموجبة للضمان لا تختلف بالليل والنهار وفي الاية دليل على انه كان يجوز للانبيا
صلوات الله عليهم ان يحكموا من طريق الاجتهاد لان في خبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ما يدل على انه كان حكمهما بالاجتهاد ومن المعلوم ان راي النبي عليه السلام افضل من راي غيره
فكيف جوز التعبد بالزام حكم غير النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الاجتهاد ويمنع حكمه من هذا الوجه
واما قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير قيل معناه جعلنا سير الجبال مع داود عليه
السلام [illegible] تسبيحا لما فيها من الاية التي تدعو الى تعظيم الله عز وجل بتنزيهه عن كل ما لا يجوز في
صفته وكذلك [illegible] الطير [illegible]
الجبال [illegible] للتسبيح مع داود عليه السلام وكذلك الطير [illegible] قوله [illegible] الجبال والطير
وقوله تعالى وكنا فاعلين معناه وكنا قادرين على [illegible] الانبيا
صلوات الله عليهم [illegible] قوله عز وجل وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم
من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا
لهم حافظين معناه وعلمنا داود عليه السلام صنعة الدروع وسمي الدرع لبوسا لانه يلبس
كما يقال للبعير ركوب لانه يركب والسلاح كله لبوس عند العرب درعا كان او جوشنا وسيفا او رمحا
وقوله تعالى لتحصنكم معناه ليحرزكم من شدة القتال من قرأ باليا فالمعنى ليحصنكم اللبوس ومن قرأ
لنحصنكم الله ومن قرأ بالتا فالمعنى لتحصنكم الصنعة وقوله تعالى فهل انتم شاكرون ترغيب

فى الشكر اى اشكر و ارب هذه النعم وقوله تعالى ولسليمن الريح معناه وسخرنا لسليمن الريح عاصفة وهى التى
تهب بشدة وقوله تعالى تجرى بامره اى بامر سليمن من اصطخر الى الارض التى بارك الله فيها بالما والشجر
وهى الارض المقدسة وقوله تعالى وكنا بكل شى عالمين اى علمناه وسخرناه له على ما نعلمه بان ما اعطيناه
يدعوه الى الخضوع لربه ويدعو طالب الحق الى الاستبصار فى دينه والعصوف فى اللغة هو شدة حركة
الريح يقال عصف يعصف عصفا وعصوفا اذا اشتدت ويسمى التبن عصفا لان الريح تعصفه وتطيره
وقوله تعالى كيف قال فى هذا الموضع ولسليمن الريح عاصفة وقال فى اية اخرى تجرى بامره رخاء حيث اصاب
والعاصفة الشديدة والرخاء اللينة قيل فيه قولان احدهما انها كانت شديدة الهبوب عند رفع الكراسى
والسرر لينة بعد ذلك والثانى انها كانت شديدة اذا اراد لينة اذا اراد واما قوله تعالى ومن
الشياطين من يغوصون له معناه وسخرناه من الشياطين من يغوصون له فى البحر لاستخراج ما شاء من
لولو ومرجان وغير ذلك وقوله تعالى ويعملون عملا دون ذلك اى يعملون دون الغواصة من اعمال البنا
وغيره قيل ان الله تعالى كثف اجسامهم حتى تهيا لهم تلك الاعمال من طريق المعجزة لسليمن عليه السلام
ومعنى تسخيرهم لتلك الاعمال انه سلط عليهم من مومنى الجن ويقال من بعض الملائكة ما علموا انهم لو حاولوا
الامتناع منها لمنعوهم عن ذلك وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اى حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا
وقيل من ان يهيجوا على احد فى زمانه **قوله عز وجل** وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين معناه واذكر ايوب اذ دعا ربه انه قد حل بى الضر فى جسدى
وانت ارحم الراحمين بالعباد فكان هذا تعريضا منه بالدعا الله تعالى لازالة ما به من الضر وقوله
تعالى فاستجبنا له اى استجبنا دعاه وازلنا عنه ما نزل به من الضر واحيينا له اهله الذين كانوا
هلكوا فى الدنيا باعيانهم ورددنا له مثلهم هكذا روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ويقال
ابدله الله تعالى بكل شى ذهب عنه ضعفين وقوله تعالى رحمة من عندنا اى نعمة من عندنا
لنبلغ بصبره المنزلة الجليلة التى اعدها الله تعالى له وقوله تعالى وذكرى للعابدين معناه
وموعظة للعابدين كان ايوب عليه السلام مع نبوته وصلاحه لما اصابه من المحنة ما اصابه
لا لهوانه على الله عز وجل ولكن ليصبر عليه لتكثر اعواضه فى الاخرة كان لكل مومن فيما لحقه من
مصيبة اسوة به عليه السلام ليفعل مثل ما فعله **قوله عز وجل** واسمعيل وادريس وذا الكفل
كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين ومعناه واذكر اسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين على طاعة الله تعالى وعلى ما اصابهم من الشدايد وقوله تعالى وادخلناهم
فى رحمتنا معناه وغمرناهم رحمتنا لان قول الله عز وجل وادخلناهم فى رحمتنا ابلغ من ورحمناهم
وقوله تعالى انهم من الصالحين معناه انهم كانوا فاعلين لما يصلح به حالهم فى دينهم وما فيه من
طاعة ربهم والصلاح صفة مدح فى الدين **وقد** اختلفوا فى ذى الكفل قال ابو موسى الاشعرى وقتادة
ومجاهد رضى الله عنهم كان هو رجلا صالحا تكفل لنبى بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب ويقضى
بالحق فوفا بذلك فاثنى الله تعالى عليه وذكره مع الانبيا صلوات الله عليهم حين عمل عمل الانبيا
عليهم السلام وكفل مايه من الانبيا صلوات الله عليهم ضمهم الى نفسه ونجاهم من القتل
وقال الحسن رضى الله عنه هو نبى اسمه ذو الكفل ومعنى ذى الكفل اى ضوعف ثوابه
على ثواب غيره ممن فى زمانه **قوله عز وجل** وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين معناه واذكر ذا الحوت وهو يونس عليه السلام

اذ ذهب مغاضبا لقومه **روى** انه خرج من بينهم قبل ان يوذن له بالخروج وكان خروجه من بينهم
خطيئة وكان وجه تاويله فى ذلك الخروج ان جرى على عادة الانبيا عليهم السلام قبله فى وقت نزول
العذاب بهم فخرج قبل الامر بالخروج مغاضبا لهم على تركهم الايمان به هكذا روى عن ابن عباس
والضحاك رضى الله عنهما انه غضب على قومه ولا يجوز فى تاويل هذه الاية ما يروى عن الشعبى وسعيد
ابن جبير انه خرج مغاضبا لربه لان مغاضبة الله عز وجل كبيرة وكفر بالله عز وجل ولا يجوز ذلك على
نبى من الانبيا صلوات الله عليهم ولا يجوز ايضا ان يغضب لما عفى عنهم بعد ايمانهم لان ذلك اعتراض
على الله عز وجل بما لا يجوز فى حكمته وقوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه معناه فظن ان لن نقدر عليه
ما قدرنا من كونه فى بطن الحوت يقال قدر وقدر بمعنى واحد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه اى
ضيق عليه وقال عز من قايل يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ولا يجوز ما يروى فى هذا الباب فظن
ان نعجز عنه لانه كفر بالله عز وجل ولا يجوز ما يروى معناه افظن ان لن نقدر عليه على جهة
الاستفهام لان العرب لا تحذف حرف الاستفهام من غير دليل فى الكلام وقوله تعالى فنادى فى الظلمات
قال عبد الله بن عباس وقتادة رضى الله عنهم هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال سالم
ابن ابى الجعد رحمه الله كان حوتا فى بطن حوت وقوله تعالى سبحانك انى كنت من الظالمين
معناه انى كنت من الظالمين لنفسى فى خروجى عن قومى قبل الاذن وفى الاية دليل جواز الصغيرة على الانبيا
صلوات الله عليهم وكان بقاوه فى بطن الحوت حيا معجزة له ولا يجوز ان يعاقب الله تعالى نبيه
لما فى العقوبة من الاهانة ولكن يوذبه ويجوز التاديب لمن هو غير مكلف كتاديب الصبى وقوله تعالى
فاستجبنا له اى فاستجبنا له دعاه ونجيناه من الغم الذى كان فيه وهكذا ننجى المومنين عند الله عا
من قرا ننجى المومنين فهو ظاهر واما القراة بنون واحدة على ما كتب فى المصحف والوجه فى ذلك
ان اصله ننجى المومنين بنونين ولكن انما كتبت بنون واحدة لان النون الثانية تخفى عند الجيم
فادغمت فيها والمقصود اثباتها **قوله عز وجل** وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت
خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين معناه واذكر زكريا اذ دعا ربه فقال رب
لا تتركنى وحيدا اى ابقى فردا لا ولد لى انس به ويعيننى على امر الدين والدنيا ويقوم بامر الدين بعدى
وانت وارث جميع الخلق لانهم وامورهم صايرون اليك فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه قال قتادة رضى الله عنه كانت عقيما فجعلناها ولودا وقيل كانت سيئة الخلق
فحسنا خلقها انهم كانوا يبادرون الى الطاعات مخافة ان يعرض لهم ما يشغلهم عنها ويدعوننا
طمعا فى ثوابنا وخوفا من عقابنا وكانوا لنا خاضعين حذرين من الانبساط خوفا من الاثم **قوله
عز وجل** والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين
ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا
راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون
معناه واذكر التى احصنت فرجها من الفساد وهى مريم رضى الله عنها فنفخنا فيها من روحنا اى
نفخ جبريل عليه السلام فى جيب درعها بامرنا ويعنى النفخ اجرا الروح فيها كما يجرى الهوا بالنفخ واضيف
الروح الى الله عز وجل على معنى الملك تشريفا له فى الاختصاص بالذكر وقوله تعالى وجعلناها
وابنها اية جعلناها دلالة للعالمين من حيث انها جاءت بالولد من غير فحل وتكلم فى المهد بما يوجب
براءة ساحتها من العيب وفى ذلك دليل على وحدانية الله تعالى وانه يصور كيف شاء وعن هذا قيل
ايتين بان شانهما فى الدلالة كان واحدا وقوله تعالى ان هذه امتكم قال عبد الله بن عباس ومجاهد

والحسن رضي الله عنهم معناه ان دينكم دين واحد ويقال ان امتكم جماعة واحدة في انها مخلوقة مملوكة
لله عز وجل واصل الامة الجماعة التي على مقصد واحد وتسمى الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد
واحد وامة واحدة نصب على القطع عند الكوفيين وهو حال عند البصريين اي حال اجتماعها على الحق
وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم معناه كان امرهم في الدين واحد ولكنهم
تفرقوا واختلفوا بما لا يسوغ ولا يجوز وهم اليهود والنصارى والمجوس كل الى حكمنا راجعون
في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا **وقوله تعالى** فمن يعمل من الصالحات وهو مومن اراد بالصالحات
الطاعات التي توجد من المومن وغير المومن نحو صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم الا
ان المومن يثاب عليها ولا يثاب الكافر عليها **وقوله تعالى** فلا كفران لسعيه معناه لا جحود
لاحسانه اي لا يمنع عنه ثوابه وانا له كاتبون والكفران مصدر مثل الغفران والشكران واذا جاز
تسمية الجزا على العمل شكرا جاز تسمية منعه كفرانا **قوله عز وجل** وحرام على قرية
أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون
واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا
بل كنا ظالمين قيل في معناه حرام على قرية اهلكناها ان يتقبل منهم سعيهم لانهم لا يرجعون اي لا
يتوبون ولا يعودون الى حال قبول التوبة كما قال صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقيل معناه لا يرجعون الى الدنيا
هذا رد على اصحاب التناسخ وعلى الروافض القايلين بالرجعة ومن قرا وحرم على قرية فالحرم والحرام مثل
الحل والحلال ومعنى الحرام ها هنا المنع قال الشاعر يخاطب فرسه ٭ الى امرؤ صرعى عليك حرام ٭
ويقال في معنى هذه الاية وحرام على قرية اهلكناها الايمان والرجوع الى الدنيا اي ذلك ممتنع عليهم
بعد الهلاك ولا في هذه الاية صلة لمعناها التوكيد كما تكون ما مثل قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وقوله تعالى فبما نقضهم ونحو ذلك وكما قال تعالى ما منعك ان لا تسجد **واما قوله تعالى** حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج اي حتى اذا فتحت جهة ياجوج وماجوج اي حتى ينفرج سدهم فيظهروا وهم
من كل اكمة وربوة من الارض وجبال يخرجون باسراع والحدب في الحقيقة الارتفاع من الارض بين
انخفاض ومنه الحدبة خروج الظهر وقد احدودب كبرا ورجل احدب والنسول هو الخروج بالسرعة
كنسلان الذيب ويقال هو الخروج عن الشي الملابس يقال نسل ينسل وينسل نسولا قال امرؤ القيس
وان تك قد ساءتك مني خليقة ٭ فسلي ثيابي عن ثيابك تنسل ٭ وقد ذكر في التفاسير ان اولاد ادم عليه السلام
عشرة اجزا التسعة منهم ياجوج وماجوج وجزو واحد سائر الناس **وقوله تعالى** واقترب
الوعد الحق اي يكون ذلك عند اقتراب الساعة وذكر الوعد واراد به الموعد الحق **وذهب مجاهد**
رحمه الله الى ان معنى قوله وهم من كل حدب ينسلون ان الناس يحشرون يوم القيمة الى الموقف
فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى واقترب الوعد الحق دنا وقت دخول اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة
ومعنى قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا اي تشخص ابصارهم نحو الجهة التي يتوقعون
نزول العذاب بهم من تلك الجهة وكانه قال اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب احوال يوم القيمة
قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين لانفسنا فيكون ها هنا قالوا محذوفا على هذا التقدير
واما الضمير في قوله تعالى فاذا هي شاخصة يعود الى معلوم قد بينته قوله تعالى ابصار الذين كفروا ويجوز
ان يكون اضمارا على شرط التفسير كما في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه انكم يا اهل مكة وما تعبدون من دون الله من الاصنام وقود جهنم

وقال مجاهد رضي الله عنه حطب جهنم والحصب في اللغة كل ما يرمى به يقال حصبته بالحصا اذا رميته بها
وفي القراة الشاذة حضب جهنم بالضاد المعجمة والحضب ما تهيج به النار وتقرا في الشاذة حطب جهنم والحكمة
في ادخال الاصنام النار مع انها لا ذنب لها في عبادة من يعبدها ان يقصد بادخالها تعذيب عبادها بها
فما كان منها حجرا او حديدا احمي فيلزق بعبادها وما كان منها خشبا جعل جمرة فيعذبون بها ويكون
في ادخال معبودهم معهم في النار ذل وصغار عليهم **وقوله تعالى** لو كان هؤلاء الهة ما وردوها
استجهال لهم في عبادة الاصنام لانها لا تملك دفع النار عن نفسها ولا عن من عبدها والزفير شدة النفس
لهول ما يرد على صاحبه **وقوله تعالى** وهم فيها لا يسمعون معناه لا يسمعون شيا قال ابن مسعود
رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيا ويقال معناه لا يسمعون ما ينتفعون به وان
سمعوا سمعوا ما يسوءهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتى قريشا وهم في المسجد مجتمعون
وحولهم ثلثمائة وستون صنما مصفوفة لكل صنم لكل قوم بحيالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم وما تعبدون من دون الله وقرا الاية ثم انصرف فشق ذلك عليهم واتاهم عبد الله بن الزبعرى فقال
ما لي اراكم على حال لم اركم عليها فقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انا وما نعبد في النار فقال لو كنت
ها هنا لخصمته فجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قريشا يعبدون الملايكة وان النصارى
يعبدون المسيح افترى ان هولاء يكونون في النار فبين له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اراد به الاوثان
وفي الاية ما يدل على ذلك لان قوله تعالى وما تعبدون لا يكون الا لما لا يعقل شيا ثم انزل الله تعالى **قوله
عز وجل** إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون معناه ان عيسى وعزيرا والملايكة عليهم السلام الذين سبقت لهم منا الحسنى اي وجبت لهم الجنة
من الله تعالى بالبشرى وقيل سبقت لهم السعادة من الله تعالى ويدخل في هذه الاية جملة المومنين **وقوله
تعالى** اولئك عنها مبعدون اي اهل هذه الصفة عن النار مبعدون والابعاد تطويل المسافة في المكان وقد يذكر
بمعنى تطويل المدة **وقوله تعالى** لا يسمعون حسيسها اي لا يسمعون صوت النار وهم فيما اشتهت انفسهم
من نعيم الجنة مقيمون دايمون والحسيس هو الصوت الذي يحس **وقوله تعالى** لا يحزنهم الفزع الاكبر قال
سعيد بن جبير وابن جريج رضي الله عنهما هو وقوع عذاب النار اذا اطبقت على اهلها وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو النفخة الاخيرة وقال الحسن رضي الله عنه هو الفزع حين يومر باهل النار الى النار
ويقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون **وقوله تعالى** وتتلقاهم الملايكة اي تتلقاهم بالتهنية على باب
الجنة فيقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه بالفوز **قوله عز وجل** يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين **قال**
ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رضي الله عنه السجل هو الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة وقال
السدي رضي الله عنه هو ملك موكل بالصحف اذا مات الانسان رفع كتابه اليه فطواه ويقال ان
السجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال هو الرجل بلغة الحبشة المراد بطي السما ان الله تعالى
يطويها ثم يفنيها ثم يعيدها ولذلك قال كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناها اول مرة نعيدها الى الحالة
الاولى ويجوز ان يكون معنى قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده نعيد الخلق للبعث كما بداناه من النطفة
ودليل هذا القول قوله تعالى كما بداكم تعودون **وقوله تعالى** وعدا علينا نصب على المصدر بمعنى قد وعدنا
هذا وعدا **وقوله تعالى** انا كنا فاعلين اي قادرين على فعل ما نشا لا نخلف لوعدنا وسنفعل ما قلنا
قوله عز وجل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين معناه ولقد كتبنا في زبور داود عليه السلام من بعد توراة موسى عليه السلام

ان الارض قال بعضهم رحمهم الله اراد به ارض الجنة يرثها عباده المطيعون كما قال في اية اخرى واورثنا
الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فالوا واما ارض الدنيا فيرثها الصالحين وقال بعضهم اراد بالارض
الارض المقدسه يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بالارض جميع الارض في اخر الزمان
كما روي في الخبر زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واما الزبور
في اللغة فهو فعول بمعنى مفعول كالرسول والركوب وواحد الزبر والزبور بضم الزاي وهو جمع الجمع وذلك
ان تجمع فعول على فعل ثم تسكن العين ثم تجمع فعولا كما تجمع جند وجنود وبرج وبروج والمعنى في هذه القراه
ولقد كتبنا في كتب الانبيا صلوات الله عليهم من بعد الذكر في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون الزبور بضم الزاي
مصدرا وقوله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين معناه ان في هذا القران لما يبلغ به الى البغية من اخذ به
وعمل عليه والبلوغ الوصول والبلاغ سبب الوصول الى الحق وقيل معناه ان في هذا ما يبلغ به الى رضوان الله تعالى
وجنته وجزيل ثوابه **قوله عز وجل** وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي
انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون معناه وما ارسلناك يا محمد صلى الله عليه وسلم الا نعمة
للعالمين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان النبي [illegible] فان امن به قومه والا عذبوا وارسل
النبي صلى الله عليه وسلم فكان كل من كفر به يوخر الى القيمة فهو نعمة على الكافر بان عوفي مما اصاب الامم من قبل
وقيل في وجه النعمة به على الكافر الذي لا يومن به تعريض للايمان ولطف للاقدام من المعاصي وتكلف النظر
في نبوته بكلف زائد على ما يجب بمجرد العقل فلا بد فيه من اللطف وقوله تعالى قل انما يوحى الي معناه قل لهم
يا محمد صلى الله عليه وسلم انما يوحى الي في القران انما الهكم اله واحد وهو الله لا شريك له فهل انتم [illegible]
مخلصون له بالعباده والتوحيد **قوله عز وجل** فان تولوا فقل اذنتكم على سواء وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله
فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
معناه فان اعرضوا عن قبول قولك فقل اعلمتكم بالوحي من الله تعالى على سوى في الاعلام ايم اظهر بعضكم
على شي كتمته عن غيره وهذا دليل على بطلان مذهب اصحاب الرموز وقيل على سوا في العلم اني حرب لكم
ومخالف لدينكم اذ ليس الغدر من اخلاق الانبيا صلوات الله عليهم وقيل معناه فقل اذنتكم لتستووا في الايمان
وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون به من العذاب انه يعلم ما تجهرون العباد به بعضهم بعضا من القول ويعلم
ما تسرون به وما ادري لعل تاخير العذاب فتنة لكم في التعبد ليظهر ما هو كامن فيكم من خير او شر فتجازوا
بحسب العمل واصل الفتنه التخليص بالشده كتخليص الذهب بشدة النار من كل ما يشوبه من غيره وقيل معنى
فتنة لكم اختبار لكم اي بمنزلة الاختبار ومتاع اي وبقا الى منتهى الاجل وقوله تعالى قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم رب احكم بيني وبين الكفار بالحق وربنا الرحمن المستعان
به على ما تقولون فان قيل ما معنى قل رب احكم بالحق والله عز وجل لا يحكم الا بالحق قيل معناه الدعا
لله تعالى بما سيفعله وفي ذلك ظهور رغبة الداعي به لانه اذا دعى بهذا ظهرت رغبته في الحق الذي دعى به كما قدم في
قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وعن قتاده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد
قتالا قال رب احكم بالحق اي افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وكان من دعا
الانبيا صلوات الله عليهم اذا استنصروا على الكفار ان قالوا رب احكم بالحق وقرا عاصم
برواية حفص رحمه الله قال رب احكم بالحق على لفظ الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقرا الضحاك رحمه الله قل رب احكم بالحق اي هو احكم الحاكمين قال وكيف يجوز ان يسال الحكم
بالحق وهو لا يحكم الا به وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الانبيا صلوات الله عليهم حاسبه الله تعالى يوم القيمة حسابا يسيرا

وصافحه

وصافحه الانبيا صلوات الله عليهم وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران وبالله التوفيق

سورة الحج مكية الا ايات قوله تعالى ومن الناس

من يعبد الله على حرف الى اخر الايتين وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى
اخر الايتين وقوله تعالى يايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا الى اخر السورة فهولا الايات مدنيات
وكل شي في القران يايها الذين امنوا فهو مدني وكل شي فيه يايها الناس فمنه مكي ومنه مدني
ولا يعد يايها الذين امنوا مكيا هكذا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما واما عدد
اي السوره فهو اربع وسبعون عند الشاميين وخمس عند البصريين وست عند الحجازيين
وثمان عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم يايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
معناه يايها الناس اخشوا ربكم واطيعوه ان زلزلة قيام الساعة شي عظيم هول قال علقمة
والشعبي رحمهما الله ان هذه الزلزلة هي الزلزلة التي تكون في الدنيا من اشراط القيامة ويكون
بعدها طلوع الشمس من مغربها ولذلك قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وقال الحسن رضي الله عنه انها الزلزلة التي يكون بعدها يوم القيمة وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لادم عليه السلام
قم يا ادم فابعث بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول عز من قايل من كل الف تسعمايه
وتسعة وتسعون فعند ذلك تشيب الصغير وتضع الحامل ما في بطنها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اينا ذلك الرجل الذي يبقى قال ابشروا
فاني لارجو ان يكون من ياجوج وماجوج الف ومنكم واحد ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل
الجنة فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجو
ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا وحمدنا ثم قال ما انتم في الناس الا كالشعرة البيضا في جلد الثور
الاسود او كالشعرة السودا في جلد الثور الابيض وقوله تعالى يوم ترونها معناه يوم ترون الساعة
والزلزلة تشتغل كل مرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وهذا
انما يكون على وجه التشبيه اذا اريد بالزلزلة الزلزلة التي تكون في يوم القيمة فيكون المعنى
ان لو كانت ثم مرضعه لذهلت عن ولدها وحامل لوضعت حملها ولهذا قال وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى وليس ثم سكر ولكنهم من شدة ما بهم يضطربون اضطراب السكران من
الشراب وما هم بسكارى من شرب الخمر ولكنهم من شدة الفزع من عذاب الله يتحيرون كانهم
سكارى والزلزلة في اللغة هي شدة الحركة المماثلة ومنه زلزلة الارض يقال زل قدمه اذا زالت عن الجهة
لسرعة مرضوعه فنقل زلزل الله اقدامهم كما يقال دكه ودكدكه واما الذهول فهو الذهاب
عن الشي تحيرا ودهشة ويقرا وترى الناس سكرى اي ترى ايها الانسان الناس سكرى وما هم
بسكرى وسكرى بمنزلة جرحى وصرعى وسكارى بمنزلة عطاشى وكسالى **قوله عز وجل**
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من
تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
نزلت في النضر بن الحرث كان يكذب بالقران ويزعم انه من اساطير الاولين والمعنى ومن
الناس من يخاصم في دين الله وكتابه بلا علم ولا حجة ويتبع كل شيطان متجرد للفساد وقوله تعالى
كتب عليه معناه كتب على الشيطان اضلال متوليه وهدايته اياه الى عذاب السعير اي كتب عليه ذلك في كتب

الانبيا المتقدمين صلوات الله عليهم اجمعين بما وقع فيه من الاخبار بذلك ويجوز ان يكون الهاء في قوله تعالى كتب عليه راجعا الى من يتبع الشيطان فيقبل منه **قوله عز وجل** يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور معناه يا اهل مكة ان كنتم في شك من البعث بعد الموت فتفكروا في بدء خلقكم فان اعادتكم ليست باشد من ابتدا خلقكم ثم بين ابتدا خلقهم فقال عز من قايل انا خلقناكم من تراب اي خلقناكم من ادم عليه السلام وخلقنا ادم عليه السلام من تراب ثم صيرناه لحما ودما وقوله تعالى ثم من نطفة معناه ثم خلقناكم بعد ذلك من النطفة التي تكون من الذكر والانثى ثم جعلنا تلك النطفة علقة وهي قطعة من الدم ثم جعلنا العلقة مضغة وهي قطعة من اللحم تسمى مضغة لانها تكون بمقدار ما يمضغ من اللحم وقوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال قتادة رضي الله عنه تامة الخلق وغير تامة الخلق وقال مجاهد معناه مصورة وغير مصورة وهي السقط وقوله تعالى لنبين لكم معناه لندلكم بالقران على ما نريده من تصريف مقدورنا في الخلق وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشا معناه ونترك في الارحام ما نشا من الولد الى وقت التمام ثم نخرجكم من الارحام اطفالا وانما قال طفلا ولم يقل اطفالا لانه تعالى لم يخرجهم من ام واحدة ولكنه اخرجهم من امهات شتى فكانه قال ثم نخرج كل واحد منكم طفلا وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم معناه ثم نترككم الى وقت كمال عقلكم وقد تقدم تفسير الاشد وقوله تعالى ومنكم من يتوفى اي ومنكم من يقبض روحه قبل بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي الى اهونه واخسه عند اهله الى حال الهرم الذي هو حال النقصان القوة والعقل لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيا ثم دلهم على احيا الموتى بدلالة اخرى وهي احيا الارض الميتة فقال عز من قايل وترى الارض هامدة اي جافية ذات تراب والهمود هو الدروس والدثور فاذا انزلنا عليها الما اهتزت اي حركت بالنبات والاهتزاز شدة الحركة في الجهات وقوله تعالى وربت معناه زادت وانتفخت للنبات من ربا يربو اذا زاد ومن قرا وربات بالهمز فمعناه ارتفعت يقال ربات القوم اذا ارتفعت على رابية تحرسهم وقوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج معناه واخرجت بالما من كل لون حسن الصورة مونق العين ذلك الامر الذي وصفناه في تصاريف الخلق على هذه الاحوال وفي احيا الارض الميتة ليعلموا ويقروا ان الله هو الحق اي هو المستحق لصفات التعظيم وهو الاله الواحد الذي يقدر على كل شي وقوله تعالى وانه يحيي الموتى معناه ويدلكم على انه يحيي الموتى كما احياهم ابتدا وانه على كل شي من الايجاد والاعدام قادر ويدلكم على ان الساعة كاينة لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور للحساب والجزا **قوله عز وجل** ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد معناه ومن الناس من يجادل فينا ظر ليحق الباطل ويبطل ما دل عليه الدليل بغير معرفة ولا دليل ولا كتاب معنى فيه حجة ما يقول وقوله تعالى ثاني عطفه اي لاوي عنقه متكبرا ليصد عن دين الله تعالى وطاعته له في الدنيا عقوبة بالمذمة والقتل ونذيقه في الاخرة عذاب الحريق ذلك العقاب بما جنيته على نفسك بكفرك ومعاصيك وان الله ليس بظلام للعبيد في العذاب لا ياخذهم بلا جرم منهم نزلت

هذه الايات في النضر بن الحرث وقد قتل يوم بدر صبرا وفي قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك مبالغة في اضافة الجرم اليه لان ذكر اليدين انما يستعمل في تحقيق الاضافة **فان قيل** لم قال ليس بظلام للعبيد على صفة المبالغة وهو لا يظلم مثقال ذرة **قيل** انه تعالى لو فعل اقل قليل الظلم لكان عظيما منه لانه يفعل ما يفعل من غير حاجة اليه فهو اعظم من كل ظلم يفعله فاعله لحاجة اليه لان الحاجة تصغر على مقدار شدتها وضعفها حتى انها قد تبلغ الى حد تخرج من ان يكون ظلما كالمضطر الى اكل الميتة لا يكون ظالما لنفسه ولو فعل فاعل اقل الظلم على غناه عنه لكان ظلاما لانه اختاره مع غناه عنه **قوله عز وجل** ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الايات في ناس من بني اسد بن خزيمة اصابتهم سنة شديدة فاجدبوا فيها فاحتملوا بالعيال حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا اعطوا من الصدقة ورزقوا من الابنا واصابوا خيرا اطمانوا بذلك وفرحوا به وان اصابهم وجع المدينة وولدت نساوهم الجواري وتاخرت عنهم الصدقة قالوا ما اصابنا مذ كنا على هذا الدين الا شر فكان كل ذلك من عدم البصيرة والمعنى والله اعلم ومن الناس من يعبد الله على حرف الطريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن فيه ولكن يعبد الله على ضعف في العبادة كضعف القيام على حرف جرف فان اصابه خير اطمان به اي رضي به وان اصابته محنة بضيق المعيشة ونحو ذلك انقلب على وجهه اي رجع الى دينه الاول وهو الشرك بالله تعالى خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الاخرة الجنة ذلك هو الخسران المبين الظاهر يدعو من دون الله ما لا يضره ان ترك عبادته وما لا ينفعه ان عبده وهي الحجارة التي كانوا يعبدونها ذلك هو الذهاب البعيد عن الحق والصواب يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اي يدعو ما لا نفع له بوجه من الوجوه ومن عادة العرب انهم يقولون لشي لا منفعة فيه ضره اكثر من نفعه كما يقولون لشي لا يكون هذا بعيد كما قالوا ايذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله تعالى لبيس المولى ولبيس العشير معناه لبيس الناصر ولبيس الخليط والصاحب المعاشر وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انكن لتكثرن اللعن وتكفرن العشير يعني الزوج **فان قال قايل** لم جاز يدعو لمن ضره اقرب من نفعه ولم يجز ضربت لزيدا **قيل** قد تكلموا في هذا من وجوه قال الزجاج رحمه الله ان ذلك من قوله ذلك هو الضلال البعيد نصب بيدعو وهو بمعنى الذي كانه قال الذي هو الضلال البعيد يدعوه وقوله تعالى لمن ضره اقرب من نفعه كلام مستانف وخبره لبيس المولى ولبيس العشير وهذا كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى على معنى وما التي بيمينك يا موسى على معنى وما التي بيمينك يا موسى ويقال معنى يدعو في هذه الاية يقول والخبر في قوله تعالى لمن ضره اقرب من نفعه محذوف تقديره يقول لمن ضره اقرب من نفعه الاهه وقد يذكر الدعا بمعنى القول كما قال عنترة ۞ يدعون عنتر والرماح كانها ۞ اشطان بير في لبان الادهم ۞ ويقال ان اللام في قوله تعالى يدعو لمن ضره معناها التاخير كانه قال يدعو من والله لضره اقرب من نفعه وانما قدمت اللام للتمييز والتوكيد فحقها ان تكون في اول الكلام ونظير هذا قولهم عندي لما غيره خير منه ومعناه عندي ما لغيره خير منه **قوله عز وجل** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد وذلك انه تعالى لما بين من قبل حال المنافقين الشاكين بين بهذه حال المومنين المخلصين

وعدهم نعيم الجنة **قوله عز وجل** من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد قيل ان الهاء في قوله تعالى ان لن ينصره الله كناية راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم معناه من كان يظن ان لن ينصر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فليطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع نصر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولينظر هل يتهيا له الوصول الى السماء بحيلة وهل يتهيا له ان يقطع بذلك نصر الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يحتال في قطعه فكما لا يمكنه الاحتيال في الوصول الى السما كذا لا يمكنه الحيلة في قطع نصر الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان الهاء راجعة الى من كان يظن كانه قال من كان يظن ان لن يرزقه الله الذي ياتيه من قبل السما بانزال المليكه فليمدد بحبل الى سقف بيته واضعا ذلك على حلقه مختنقا نفسه ليذهب غيظ نفسه وهذا مثل ضرب الله لهذا الجاهل اي مثل هذا الذي يظن ان لن يرزقه الله تعالى على سبيل التسخط لما اعطى مثل من يفعل مثل هذا الفعل بنفسه هل كان ذلك الا زايدا في بلايه وهل يذهب خنقه نفسه غيظه في رزقه وانما ذكر النصر بمعنى الرزق لان العرب تقول من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله تعالى **وقوله تعالى** وكذلك انزلناه ايات اي القران على محمد صلى الله عليه وسلم دلالات واضحات وان الله تعالى يهدي الى النبوة من يريد وقيل يهدي الى الدين ويهدي الى الثواب **قوله عز وجل** ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شي شهيد معناه ان الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وجميع اصناف الكفار ان الله تعالى يفرق بين هذه الفرق كلهم وبين المومنين يوم القيمة بما يضطر الى العلم بصحة الصحيح وبطلان الباطل فيبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل والفصل اظهار الحق من المبطلين بما يوجب صحة الحق وفساد الباطل واما تكرير ان في هذه الاية فهو جائز عند البصريين يقال ان زيدا ان الخير عنده كثير قال الزجاج رحمه الله ان تدخل على كل ابتدا وخبر تقول ان زيدا هو قايم وان زيدا انه قايم قال جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

واما الشهيد فهو العليم بما شانه ان يشاهد والله تعالى عالم الاشيا غيبا وشهادة لانه علام الغيوب **قوله عز وجل** الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله يسجد له من في السموات من الملايكة ومن في الارض من الجن والادميين من المومنين يسجدون لله تعالى على جهة العبادة له **وقوله تعالى** والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل ان هذه الاشيا تسجد لله تعالى بما فيها من دلالة الخضوع التي تدعو العارفين الى السجود وقد يذكر السجود بمعنى الخضوع بالخلقة كما قال الشاعر

ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ۞ يجعل الجبال الصغار سجدا للحوافر

وقال مجاهد رضي الله عنه سجود كل شي سوى المومنين سجود ظله حين تطلع الشمس وحين تغيب كما قال عز من قايل وظلالهم بالغدو والاصال وقال الحسن كل شي يسجد لله تعالى ما دام في موضعه كما يسجد ما دمنا احيا ولكنا لا نفقه تسبيحهم كما قال الله عز وجل ولكن لا تفقهون تسبيحهم فاذا زال عن موضعه ترك السجود **وقوله تعالى** وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب معناه وكثير من الناس من الكفار الذين سيومنون من بعد وكثير حق عليه العذاب من الذين لا يومنون يسجدون لله بما يقتضيه عقلهم من الخضوع لله تعالى وان كفروا وبغير ذلك من الامور **وقوله تعالى** ومن يهن الله معناه ومن يهنه الله تعالى بالشقوة فما احد يكرمه بالسعادة ان الله يفعل ما يشا لانه هو المالك للعقوبة والمثوبة **قوله**

عز

عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق قال مجاهد رضي الله عنه والحسن وعطا ابن ابي رباح رضي الله عنهم اراد بالخصمين المومنين والكافرين وقال ابوذر رضي الله عنه نزلت هذه الاية في الذين بارزوا يوم بدر يعني عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث من المومنين وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من الكافرين وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هم اهل الكتاب واهل القران **وقوله تعالى** اختصموا في ربهم قيل معناه اختصموا في دين ربهم وقال اختصموا لان الخصمين جمعان وفي الاية دلالة ان الكفر كله ملة واحدة **وقوله تعالى** والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار اي من نحاس قد اذيب فيجعل على ابدانهم بمنزلة الثياب يصب من فوق رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره يصهر به ما في بطونهم اي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما في بطونهم من الشحوم حتى تخرج من ادبارهم ويذاب به الجلود ايضا وان جلودهم تتساقط من حر الحميم والصهر الاذابة يقال صهرت الالية بالنار اصهرها صهرا **وقوله تعالى** ولهم مقامع من حديد فالمقامع جمع المقمعة وهي مدقة الراس **روي** ان الملايكة يضربون رؤوسهم بالمقمعة من حديد فيهوون في النار سبعين خريفا قال مقاتل رضي الله عنه تضرب الملايكة راس الكافر بالمقمعة فيثقب راسه ثم يصب فيه الحميم الذي قد انتهى حره **وقوله تعالى** كلما ارادوا ان يخرجوا منها قيل كلما رفعتهم النار بلهبها فحاولوا الخروج منها من غم العذاب اعيدوا في النار بضرب المقامع وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق هو المحرق كالاليم بمعنى المولم هذا لاحد الخصمين ثم قال سبحانه في الاخر ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد معناه ان الله يدخل الذين امنوا في حال الشدة والرخا والخوف والامن وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم بساتين تجري من تحت اشجارها الانهار يحلون في الجنة من اساور من ذهب **وقوله تعالى** ولولوا من قرا بالخفض كان المعنى ويحلون فيها لولوا **وقوله تعالى** ولباسهم فيها حرير ظاهر المراد حرم ذلك على الذكور في الدنيا وشوقوا اليه في الاخرة **وقوله تعالى** وهدوا الى الطيب من القول معناه وقد هدوا في الدنيا الى القول الطيب وهو كلمة التوحيد **وقوله تعالى** وهدوا الى صراط الحميد فالله تعالى هو الحميد وصراطه طريق الجنة ويجوز ان تكون الحميد نعتا للصراط كما في قوله تعالى لهو حق اليقين ويقال في معنى وهدوا الى الطيب من القول ارشدوا الى القول الذي يشتهونه في الاخرة مثل قوله تعالى سلام عليكم طبتم **وقوله تعالى** الحمد لله الذي صدقنا وعده ونحو ذلك وبالله التوفيق **قوله عز وجل** ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم معناه ان الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران والذين من[..] يصدون عن طاعة الله وعن الطواف في المسجد الحرام وهم ابو سفيان واصحابه الذين صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية **وقوله تعالى** الذي جعلناه للناس سواء معناه الذي جعلناه لجميع الناس سواء المقيم فيه والنازع اليه من غيره فليس الذين صدوا عنه باحق به من غيرهم قيل ان المراد بالمسجد الحرام في هذه الاية الحرم كله كما في قوله تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وكان العهد بالحديبية وهي بعيدة من المسجد قريبة من الحرم **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام حرمها الله تعالى لا يحل بيع رباعها ولا اجارة بيوتها وروي انها كانت تدعى السوائب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما من

احتاج سكن ومن استغنى اسكن وكان عمر رضي الله عنه يقول يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم ابوابا لكي
ينزل البادي حيث شا ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز بيع العرصة ولا اجارتها وكره اجارة
بيوتها في ايام الموسم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتحها جعل الناس فيها شركا سواء وللامام عندنا
ان لا يقسم الاراضي التي افتتحها اذا راى المصلحة في ذلك كما لم يقسم عمر رضي الله عنه سواد الكوفة واقر اهلها عليها
واما ما رواه الحسن رضي الله عنه ان بيع دور مكة جايز فمعناه بيع البنا واجارته كمن بنا بنيانا في ملك غيره
فباع بناه وقيل ان المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد سوا العاكف والمجاور فيه والباد الذي لا يكون
ملازما للمسجد في حرمته وحق الله تعالى فيه سوا فيه وفي قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم دليل ان
المراد بالمسجد الحرام كل الحرم فان الذنب في الحرم اعظم منه في غيره والالحاد هو الشرك بالله تعالى وقيل
كل ظالم فيه ملحد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام بمكة الحاد والالحاد في اللغة
هو ما يكون ميلا الى الظلم واما دخول البا في قوله تعالى بالحاد بظلم فعلى معنى ومن يرد به فيه بان يلحد
ويظلم وهو مثل قول الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل والمعنى في
اريد ارادته لهذا وقوله تعالى نذقه من عذاب اليم خبر لما تقدم من الجملتين من قوله تعالى ان الذين
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد ويقرا قوله تعالى سوا بالرفع والنصب فمن نصب فالمعنى
جعلناه سواء ومن رفع فعلى معنى الابتدا والخبر قوله عز وجل واذ بوانا لابرهيم مكان البيت
ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع السجود معناه واذكر اذ جعلنا البيت مبوا
لابرهيم عليه السلام وعلامة وذلك ان البيت في ايام الطوفان كان رفع الى السماء حين غرق الله تعالى
الارض وما عليها وكان من ياقوتة حمرا فرفعت سحابة على عهد ابرهيم عليه السلام بحيال موضع البيت
فعرف البيت فبناه على ابنيته القديمة هكذا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال السدي رحمه الله
كانت العلامة ريحا هبت فكشفت حول البيت والمبوا في اللغة هو البيت الذي يرجع اليه من قولهم با فلان اذا
رجع ويقال بوات فلانا بيتا اي انزلته وبوات لفلان بيتا اي هيات له بيتا وقوله تعالى ان لا تشرك بي شيا
معناه قلنا له لا تشرك بي شيا في بنا البيت وفي العبادة وطهر بيتي قيل معناه طهره من ذبايح المشركين مما كانوا
يطرحون حوله من الدم والفرث وقيل طهره من عبادة الاوثان ومن دخول المشركين فيه وقوله تعالى
للطايفين معناه الذين يطوفون حوله واما القايمون والركع السجود فهم المصلون لان المصلي يجمع بين القيام
والركوع والسجود وقيل اراد بالطايفين الذين ينتابون من البلاد واراد بالقايمين المقيمين حوله واراد بالركع
اهل الصلوات من جميع البلدان قوله عز وجل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر
ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفا لله
غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
ذلك ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال وذلك ان ابرهيم عليه السلام لما فرغ من بنا البيت امره الله تعالى ان ناد في الناس بالحج فصعد ابا
قبيس ونادى في الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه فلبى معه كل حجر ومدر وكل مومن
ومومنة في اصلاب الابا وارحام الامهات قالوا لبيك اللهم لبيك فجعل الله تعالى التلبية شعار الحج فكل من حج
فهو ممن اجاب ابرهيم عليه السلام وقال الحسن رضي الله عنه قوله تعالى واذن في الناس بالحج امر لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد فعل ذلك في حجة الوداع بان اعلمهم خروجه الى الحج وقوله تعالى ياتوك رجالا وعلى كل ضامر معناه ياتوك مشاة

على رجلهم

على رجلهم وعلى كل جمل مهزول اضمره السفر ورجال جمع راجل نحو صاحب وصحاب وقايم وقيام
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما ندمت على شي فاتني الا اني لم احج
راجلا وقد حج الحسن بن علي رضي الله عنهما خمسا وعشرين حجة ماشيا من المدينة الى مكة وان
النجايب لتقاد معه وقوله تعالى ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد من بلدان شتى
يقال بير عميقة اذا كانت بعيدة القرار وانما قال ياتين لانه في معنى الجمع وقيل معناه وعلى كل ناقة ضامر
وقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم اي ليشهدوا ما ندبهم الله تعالى اليه مما لهم فيه نفع اخرتهم ويدخل
في ذلك منافع الدنيا من التجارة بيعا ورخصة وقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
قال الحسن وقتادة رضي الله عنهما الايام المعلومات ايام العشر والمعدودات ايام التشريق
وانما قيل لهذه المعدودات لانها قليلة وقيل لتلك معلومات للحرص على علمها بحسابها من اجل وقت الحج
في اخرها والى هذا القول ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقال ابو يوسف الايام المعلومات ايام النحر
وهي ثلثة ايام والايام المعدودات ايام التشريق وهي ثلاثة ايام بعد اليوم الاول من ايام النحر فيكون
اليوم الاول من ايام النحر من المعلومات دون المعدودات واليوم الاخر من ايام التشريق من المعدودات
دون المعلومات ويومان في وسطها من المعدودات والمعلومات جميعا وكان يستدل على هذا القول
في الايام المعلومات بهذه الاية فانه تعالى قال ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من
بهيمة الانعام فاقتضى ان المراد به التسمية على ما يذبح من هدي المتعة والقران واما على قول
ابي حنيفة رحمه الله فالمراد بالذكر اكثار الذكر في ايام العشر كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ايام العمل الصالح افضل فيهن من ايام العشر فاكثروا
فيها التحميد والتكبير والتهليل وعلى هذا القول يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم
من بهيمة الانعام كما قال تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم واما قوله تعالى
فكلوا منها واطعموا البايس الفقير قال الحسن رضي الله عنه وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا ذبحوا الهدي
لطخوا بالدم وجه الكعبة وشرحوا اللحم ووضعوه على الحجارة حتى تاكله السباع والطير وقالوا لا يحل لنا ان
ناكل شيا جعلناه لله تعالى فلما جا الاسلام قال الناس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا كنا نصنعه
في الجاهلية الا نصنعه الان فانزل الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا فان ذلك ليس لله تعالى
فكلوا منها واطعموا البايس الفقير والبايس في اللغة هو الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا شي له وقيل
البايس الذي يبين عليه اثر البوس بان يمد يديه اليك وانما خص الفقير البايس لانه احوج اليه
من غيره وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما
ان التفث المناسك كلها والمراد به ها هنا الذبح والحلق ويقال قضى التفث وكلام العرب ازالة الشعث
وفي هذا دليل ان المراد بقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دم المتعة والقران لانه تعالى رتب
عليه قضاء التفث والطواف بالبيت ولا دم يترتب عليه هذه الافعال الا دم المتعة والقران فدلت هذه الاية على
جواز الاكل مما يذبح للمتعة والقران وقوله تعالى وليوفوا نذورهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد به جميع ما
نذروا من النذور وقال مجاهد رحمه الله اراد به كل ما يذر في الحج وقوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق اراد بالطواف
طواف الزيارة بعد التعريف اما في يوم النحر وما بعده والعتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس ويقال
اعتق من ايدي الجبابرة لم يقصده جبار الا اذله الله تعالى وفي الاية دليل جواز الحلق واللبس قبل طواف
الزيارة لان الواو لا توجب الترتيب وقوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله معناه ذلك الامر الذي
امرتم به ومن يعظم حرمات الله باجتناب ما حرم الله تعالى تعظيما لله تعالى فهو خير له في الاخرة ويقال
الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وتعظيم الحرمة خير من تركها ومن تهاون به وقوله تعالى

واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم معناه رخصت لكم ذبيحة الانعام الا ما يتلى عليكم في كتاب الله تعالى من الميتة والدم وغير ذلك مما بينه الله تعالى في سورة المايده ويجوز ان يكون المعنى واحلت لكم الانعام في حال احرامكم الا ما يتلى عليكم من الصيد فانه حرم على المحرم فيكون هذا الاستثنا من غير الجنس **وقوله تعالى** واجتنبوا الرجس من الاوثان معناه اجتنبوا تعظيم الاوثان وان تنحروا لها على ما يفعله المشركون سماها رجسا استقذارا لها واستخفافا بها وذلك ان المشركين كانوا ينحرون عليها هدايا هم ويصبون عليها الدما وكانوا مع هذه النجاسات يعظمونها ويجوز ان يكون سماها رجسا للزوم اجتنابها كاجتناب الانجاس واما حرف من في قوله تعالى من الاوثان فهو لتخليص جنس من الاجناس ويجوز ان يكون المعنى من عبادة الاوثان **وقوله تعالى** واجتنبوا قول الزور معناه قول الكذب ومن اعظم وجوه الكذب الكفر بالله عز وجل والكذب على الله عز وجل ويدخل في ذلك شهادة الزور كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى صلوة الصبح ثم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى وتلا هذه الايه **وعنه** صلى الله عليه وسلم انه قال شاهد الزور لا تزول قدماه عن مكانهما حتى تجب له النار **وقوله تعالى** حنفا لله غير مشركين به نصب على الحال معناه مخلصين لله تعالى مستقيمين على امر الله تعالى غير مشركين به في تلبية ولا حج وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ثم عظم تعالى امر الشرك في البعد عن الحق فقال عز من قايل ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق معناه فكانما سقط من السما فتخطفه الطيور في الهوا فتمزقه او تذهب به الريح في موضع مرتفع الى منحدر فيقع على راسه فيهلك اي كان الذي سقط من السما لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر وكذلك الذي تهوي به الريح في مكان بعيد فكذا المشرك لا ينتفع بشي من اعماله ولا يقدر على شي منها **وقوله تعالى** ذلك ومن يعظم شعاير الله معناه ذلك التباعد والهلاك لمن اشرك بالله ومن لم يعظم مناسك الله تعالى ويقال اراد بالشعاير البدن ثم استعظمها باستسمانها واستحسانها فانها من صفاوة القلوب واضاف التقوى الى القلب لان بدو التقوى من القلب **قوله عز وجل** لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون معناه لكم في هذه الانعام منافع قبل ان تشعروها وتسموها هديا الى ان تقلدوها وتسموها هديا ويقال اراد بالمنافع الثواب بنحر الهدايا الى يوم القيمة **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال له ويحك اركبها فقال انها بدنة فقال ويحك اركبها وهذا عندنا محمول على انه صلى الله عليه وسلم انما اباحها لضرورة علمها من الرجل اليها واذن له في ذلك الى ان يجد ظهرا غيرها يدل على ذلك انه لا يجوز ان يوجرها للركوب **وقوله تعالى** ثم محلها الى البيت العتيق اراد به ان منحرها الى الحرم وعبر عن الحرم بالبيت لان حرمة الحرم متعلقة بالبيت كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة ومن المعلوم انه لا يذبح عند البيت **وقوله تعالى** ولكل امة جعلنا منسكا اي عبادة في الذبح ويقال متعبدا يعبدون الله تعالى فيه ويقال عيدا ليذكروا اسم الله على بهيمة الانعام عند الذبح **وقوله تعالى** منسكا تقرا بفتح السين وكسرها فمن فتحها اخذه من نسك ينسك مثل دخل يدخل ويستوي فيه المكان والمصدر ومن كسرها جعله مكانا من نسك ينسك مثل جلس يجلس **وقوله تعالى** فالهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا دينكم واعمالكم لله وبشر المتواضعين بالجنة واستقاق المخبتين من الخبت وهو المكان المطمين **وقوله تعالى** الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم نعت المخبتين الذين يخافون الله على اعمالهم الا تقبل منهم **وقوله تعالى** والصابرين على ما اصابهم معناه وبشر الصابرين على ما اصابهم من البلايا والشدايد وبشر المقيمين الصلوة والذين مما اعطيناهم من الاموال يتصدقون ويجوز والمقيمي الصلوة

الا انه خلاف المصحف وحذفت النون لطول الاسم واذا اسقطت النون اشبه المضاف ويقرا بنصب الصلوة وهو الاصل على نية النون ويستشهد بهذا البيت خضا ونصبا

الحافظو عورة العشيرة لا ياتيهم من ورايهم وكف

قوله عز وجل والبدن جعلناها لكم من شعاير الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين معناه ان الابل جعلناها لكم من مناسك الحج واعلام متعبدات الى الله تعالى بما في سوقها من البيت وتقليدها بما يعلم انها هدي لكم فيها منافع في الدنيا وثواب في الاخرة ويقال اراد بالبدن الابل والبقر والبدن جمع البدنة يقال بدن وبدن كما يقال ثمر وثمر وتسمى بدنة لانها تبدن اي تسمن والبدانة الضخامة يقال بدنت الناقة اذا سمنتها **وقوله تعالى** فاذكروا اسم الله عليها صواف معناه عند النحر والصواف جمع الصافة وهي القايمة على ثلاث قوايم قد عقلت كذلك للنحر وكذا السنة في الابل فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينحرون الابل معقولة الايدي اليسرى قال الحسن رضي الله عنه في معنى هذه الاية انحروها خوالص من العيوب ويقرا صوافي بالياء ونحوها ومعناه خوالص لله تعالى لا يذكر عليها مع اسم الله تعالى غيره ويقرا صوافن من قولهم صفن الفرس اذا قام على ثلاث قوايم وهي لتنزيل الصافنات الجياد **وقوله تعالى** فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها عبارة عن خروج الروح منها يقال للجبارة اذا ماتت وانقلبت على جنبها انها سقطت لجنبها ولا يجوز الاكل من البدن الا بعد خروج الروح منها لان ما ابين من الحي فهو ميت واصل الوجوب الوقوع ومنه وجبت الشمس اذا وقعت في المغيب ووجب الحايط اذا وقع وكذلك البيع ووجب القلب اذا وقع فيه فزع **وقوله تعالى** واطعموا القانع والمعتر قيل ان القانع هو الذي يقنع بما اعطي او بما عنده ولا يسال والمعتر هو الذي يتعرض لك لتطعمه من اللحم يقال قنع يقنع قناعة اذا رضي فهو قنع وعراه واعتراه اذا اساله ويقال القانع هو الذي يسال والمعتر الذي يتعرض ولا يسال والقنوع في اللغة هو السوال يقال قنع الرجل يقنع اذا سال اثر هب فهو قانع **وانشد والشماخ**

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع اي من السوال والقول الاول قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والثاني قول الحسن وسعيد بن جبير رضي الله عنهما [illegible] والمعتري [illegible] اعتراه اذا اغشيه لحاجته وقال مجاهد رضي الله عنه القانع جارك الغني والمعتر الذي يعتريك من الناس اي يسالك وعلى هذا تقتضي الاية ان المستحب ان يتصدق بالثلث لان في الاية امرا بالاكل واعطا الغني واعطا الفقير السائل وقد **روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في لحوم الاضاحي كلوا وادخروا وقال تعالى فكلوا منها واطعموا البايس الفقير واذا جمعت بين الاية والخبر حصل الثلث للصدقة **وقوله تعالى** كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون [illegible] **وقوله تعالى** لن ينال الله لحومها ولا دماوها معناه لن يبلغ رضى الله لحومها ولا دماوها ولكن يبلغه التقوى منكم فانهم كانوا يلطخون البيت بدما الابل التي كانوا يذبحونها للاصنام [illegible] الله تعالى عن ذلك ويقال انما يتقبل الله الدما واللحوم لانها فعل الله تعالى ولكن يتقبل التقوى التي هي فعل العبد فيوجب الثواب عليها **وقوله تعالى** كذلك سخرها لكم اي كذلك ذللها لكم لتعظموا الله على ما هداكم لدينه وبشر المحسنين المخلصين بالجنة **قوله عز وجل** ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور معناه ان الله يدفع عن حزبه [illegible] الله لا يحب كل مظهر للنصيحة مضمر للغش والنفاق كافر بالله تعالى **قوله عز وجل** اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ولله عاقبة الامور قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون ان هذه
اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن الله تعالى للمومنين المهاجرين ان يقاتلوا كفار مكة بسبب ما ظلموا بان
اخرجوا من مكة وقوله تعالى وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وقوله تعالى الذين اخرجوا
بدل من الذين يقاتلون اخرجهم اهل مكة من منازلهم بلا جرم منهم وقوله تعالى الا ان يقولوا
ربنا الله معناه لم يخرجوهم الا بان كانوا يوحدون الله تعالى فاخرجوهم لتوحيدهم وقوله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في زمن كل نبي ما بني للصلوة والعبادة نحو الكنائس التي
كان يصلي فيها في شريعة موسى عليه السلام وهي الصلوات المذكورة التي في هذه الاية كانت اليهود يسمونها
بالعبرانية صلوتا ونحو البيع التي كانوا يصلون فيها في زمن عيسى عليه السلام والمساجد التي كان يصلي
فيها المسلمون في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما الصوامع فهي صوامع الرهابين وهذا خبر عن
هولاء الفرق قبل ان يغيروا دينهم ويحرفوا تاويلهم وقيل اراد بالصلوات الصلوات المعهودة التي للمسلمين وهدمها
ايضا ابطالها واهلاك من يفعلها كما يقال هدم فلان احسان فلان اذا قابله بالكفر دون الشكر والاولى ان
يستدل بهذه الاية على ان هذه المواضع المذكورة التي يجري فيها ذكر اسم الله تعالى لا يجوز ان تهدم في شريعة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كل من كان له ذمة او عهد من الكفار فاما في دار الحرب فيجوز هدمها للمسلمين
اذا فتحت دارهم عنوة ولم يقروا عليها بالجزية كما يجوز هدم سائر دورهم وعن الحسن رضي الله عنه
انه كان يقول في هذه الاية ان الله يدفع عن هدم مصليات اهل الذمة بالمومنين وقوله تعالى ولينصرن الله
من ينصره معناه لينصرن الله تعالى من ينصر دينه ان الله لقوي على اخذ الاعدا عزيز منيع بالنقمة منهم
وقوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض نعت للذين ينصرون دين الله تعالى اي هم الذين ان مكناهم الله
في الارض لم يعملوا ما عمله من قبلهم ولكن اقاموا الصلوة المكتوبة واتوا الزكوة المفروضة وامروا بالحق ونهوا عن الباطل
وانما وصف الله الحق بانه معروف والباطل بانه منكر لان الحق يعرف بصحته والباطل لا صحة له وقوله تعالى ولله
عاقبة الامور معناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه وفي هذه الاية دلالة واضحة على صحة امامة الخلفا الاربعة الراشدين
باخبار الله تعالى انهم ان مكنوا اقاموا مفروض الله تعالى عليهم وقد مكنوا في الارض فوجب ان يكونوا ايمة
قايمين بامر الله تعالى منتهين عن زواجره ونواهيه ومعنى التمكين هو التمكين من انفاذ الامر والنهي ولا
يدخل معاوية في جملة هولا لانه تعالى انما وصف المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق بهذه الصفة
وكان معاوية من الطلقا دون المهاجرين وبالله التوفيق

قوله عز وجل

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى
فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة
فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد في الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى وان يكذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابرهيم وقوم
لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وقوم فرعون موسى فامهلت للكافرين ثم اخذتهم بالعقوبة فكيف كان
انكاري عليهم حتى بادوا وخربت قراهم فابدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا كم
من قرية اهلكناها بالعذاب بظلمهم فهي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان
ثم تقع الحيطان عليه يقال خوت الدار خوايا وخوا فهي خاوية وخوى جوف الانسان من الطعام
خوى مقصور فهو خو وقوله تعالى وبير معطلة معناه وكم من بير عطلها اربابها وكم من قصر مجصص
عطلوه والتعطيل ابطال العمل بالشي والتشييد الجص والنورة وكل ما بني بهما او باحدهما فهو مشيد ويجوز ان يكون

مدين ع

معنى

قوله عز وجل

معنى المشيد الرفيع يقال شاد البنا واشاده اذا رفعه وشاده اذا اطلاه بالشيد
افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور معناه افلم يسير هولا المكذبون لينظروا اثار
المشركين المهلكين فيعقلوا بقلوبهم ويسمعوا باذانهم وقوله تعالى فتكون جواب الجحد وهو
منصوب على الصرف لان تقديره قد ساروا في الارض فلم يكن لهم قلوب فلما صرف قوله تعالى فلم تكن لهم
الى قوله تعالى فتكون لهم نصبا على الصرف والها في قوله تعالى فانها عماد وهو اضمار على شريطة التفسير
المعنى فان الابصار لا تعمى اي يرون بابصارهم ولكن تعمى قلوبهم التي في الصدور بذهابها عن ادراك الحق
بما يودي اليه الدليل وفي الاية دليل ان العقل في القلب بخلاف ما قال الفلاسفة والاطبا ان محل العقل الدماغ
لان العقل لو لم يكن في القلب لم يوصف القلب بان يعمى كما لا يوصف بذلك اليد والرجل واما اضافة القلب
الى الصدر فعلى وجه التاكيد كما في قوله تعالى يقولون بافواههم ويجوز ان يكون لنفي اللبس لان فيه
اشتراكا للقلب النخلة وكذلك قوله تعالى يقولون بافواههم بان القول قد يكون بغير الفم بالاشارة

قوله عز وجل

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
معناه انهم يستعجلونك يا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا فاسقط علينا كسفا وقالوا فامطر علينا حجارة من
السما ولن يخلف الله وعده لكن يوخر العذاب الى الاجل الذي وقته لنزول العذاب وذكر الوعد لانه اعم
للوعد والوعيد وقوله تعالى وان يوما عند ربك معناه وان يوما من ايام العذاب في الثقل والاستطالة
كالف سنة مما تعدون فكيف تستعجلون بالعذاب لولا انهم جهال وهذا كقولهم ايام الهموم طوال
وايام السرور قصار ويقال معناه وان يوما عند الله تعالى والف سنة في قدرته واحد فليس تاخير العذاب
عنهم الا لفضل الا من الله تعالى عليهم وقوله تعالى وكاين من قرية امليت لها الى اخر الاية ظاهر المراد

قوله عز وجل

قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم
معناه قل لهم يا اهل مكة انما انا لكم رسول مخوف بالنار لمن عصى الله تعالى مبلغ لكم تعرفونها
فالذين صدقوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الجنة والذين اسرعوا
في تكذيب اياتنا وابطال الدين مغالبين الله تعالى اولئك اصحاب الجحيم والمعاجزة هي المسابقة الى
الفوت يقال عجزني واعجزني اي فاتني وقال قتادة رضي الله عنه ظنوا انهم يعجزون الله تعالى
ولن يعجزوه

قوله عز وجل

وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي
شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم وان
الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم انهم قالوا ان الشيطان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صورة جبريل عليه السلام وهو قايم في الصلوة عند الكعبة يقرا سورة النجم حتى اذا انتهى
الى قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعها المشركون اعجبهم ذلك فلما انتهى الى اخر
السورة سجد وسجد معه المشركون الا الوليد بن المغيرة فانه لم يقدر على السجود لكبره فقال ايتوني
بكف من تراب فاتوا به فوضعه على كفه ثم سجد على كفه فلما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

السابع

ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جئتك بهذا وما انزل الله تعالى هذا عليك قط فقال
انا بني في مثل صورتك فالقاه على فانزل الله تعالى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى الاية وهذا حديث انكر اهل العلم اجراه على ظاهره وقالوا كيف يجوز ان يجعل الله تعالى
للشيطان على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا السلطان او تختار لرسالته من لا يميز بين وحي الله تعالى
وبين وسواس الشيطان **ومن المعلوم** ان من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم الى تعمد
ما يرجع الى تعظيم الاصنام فقد كفر ومن نسبه الى انه جرى ذلك على لسانه على سبيل السهو ادى ذلك
الى النفور عن الايمان و[الى] وقوع الخلل في القران فدل انه لا يجوز اجرا هذا الحديث على ظاهره ويحتمل ان الشيطان
القى في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يتله وخيل الى من يسمع تلاوته من الذين كانوا بالبعد منه
انه جرى على لسانه وكان ذلك فتنة للسامعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما من ان يجري على لسانه
ما لم ينزله تعالى او كان الذي القى في تلاوته من شياطين الانس وان كان من شياطين الجن فمثل ذلك
جائز في زمن الانبيا صلوات الله عليهم لضرب من التدبير كما قلناه فيما تقدم في قوله واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ويحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا القران فالقى الشيطان
في قراءته ما يكون غلطا في القراءة مثل ما يقع من الغلط في الايات المتشابهة التي يقع في مثلها الغلط نحو قصة موسى
عليه السلام وفرعون وغير ذلك ومثل هذا السهو مما لا يعرى عنه البشر وقد يذكر التمني ويراد به القراءة كما
قال الشاعر ○ تمنى كتاب الله اول ليله ○ واخره لاقى حمام المقادر ○ **وذهب** بعض المفسرين
رحمهم الله الى ان اصح ذلك اللفظ الذي روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه جرى على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك على وجه التعيير والزجر كانه قال اهي الغرانيق العلا منها
الشفاعة ترتجى وفي النبوة مايبين ذلك وهو قوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم
واباؤكم ○ وقيل اراد بالغرانيق الملئكة وظنوا انه اراد به الاصنام والغرنوق في اللغة الحسن الجميل
يقال شاب غرنوق وغرانق اذا كان ممتليا ريا **وذهب بعضهم** الى ان المراد بالتمني الارادة
كما روي عن مجاهد رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى ان ينزل عليه الوحي بسرعة
من غير تاخير فنسخ الله تعالى ذلك بان عرفه بان انزال الوحي انما يكون بحسب الصالح في الحوادث والنوازل
ويقال معناه كان يتفكر في تاويل القران في اللفظ المحتمل فيلقي الشيطان في جملته ما لم يرده الله تعالى
فيبين جل ذكره انه ينسخ ذلك بالابطال ويحكم ما اراده بادلته واياته **وقوله تعالى** فينسخ الله ما يلقي
الشيطان بان ثبته صلى الله عليه وسلم عليه ثم يحكم الله اياته ان يرجع الى الصواب والله عليم بمصالح
عباده حكيم في تدبيره **وقوله تعالى** ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة معناه ليجعل ما يلقي الشيطان
في قراءته تشديدا في التعبد للذين في قلوبهم شك والقاسية قلوبهم وهم المشركون وكان معنى التشديد
في التعبد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب من اية الى اية غلطا كما يقع لساير الناس كان يرجع
فكان المنافقون يقولون انه قد رجع من قوله وعن قراءته وكان عليهم ان يعلموا ان الغلط يجوز على الانبيا
صلوات الله عليهم كما يجوز على ساير البشر **وقوله تعالى** وان الظالمين لفي شقاق بعيد معناه وان الكفرين
لفي مباينة بعيدة عن الحق **وقوله تعالى** وليعلم الذين اوتوا العلم معناه وليعلم المومنون برجوعك
الى الصواب ان ذلك حق من ربك فيخضع وتذل له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى دين صالح
الله تعالى وفي الاية دليل ان كل نبي رسول لان الله تعالى اخبر انه ارسلهم جميعا وقال في اية اخرى وما
ارسلنا في قرية من نبي وقال يايها النبي وقال جل ذكره يايها الرسول والنبي هو الذي ارتفع امره بالرسالة
وذهب بعضهم الى ان معنى قوله ولا نبي ولا محدث ليس برسول ويروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم لم تكن امة الا وفيهم مكلم فان يكن في هذه الامة فهو عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

عنه **قوله عز وجل** ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة
بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين معناه ولا يزال
الذين كفروا في شك من القران حتى تاتيهم الساعة باشراطها فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم
وهو يوم الحشر والجزا وسمي ذلك اليوم عقيما لانه لا مثل له في عظم امره ويقال اراد بيوم عقيم
يوم بدر والريح العقيم هي التي لا تاتي بسحاب ممطر والعجوز العقيم هي التي لا تلد والرجل العقيم هو الذي
لا يولد له ومن ذلك سمي اليوم الذي لا خير فيه للكفار عقيما ويوم بدر اعقم كثيرا من النسا **وقوله تعالى**
الملك يومئذ لله اراد به يوم القيمة لا يظهر فيه الامر الا لله تعالى يقضي بين المومنين والكفرين بادخال
المومنين جنات النعيم ولاهل الكفر العذاب المهين **قوله عز وجل** والذين هاجروا في
سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم معناه والذين خرجوا من ديارهم واوطانهم في طاعة الله تعالى
عن بغض منهم للمشركين الذين كانوا يوذونهم بمكة ثم استشهدوا بعد خروجهم او ماتوا حتف
انوفهم ليرزقنهم الله تعالى رزق نعيم الجنة وليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو المنازل التي اعدها
الله تعالى لهم فيها لا يبغون عنها حولا وان الله تعالى لعليم بمصالح عباده حليم لا يعجل العقوبة
على اعدائه **قوله عز وجل** ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله
ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير
ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير
قيل ان اول هذه الايات نزلت في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين فقاتلوهم في الشهر الحرام
بعد ان نهاهم المسلمون عن ذلك فابوا فقاتلهم المسلمون فنصروا عليهم ومعنى الاية ذلك الامر الذي
قصصناه عليكم ومن عاقب بالقتال بمثل ما عوقب به بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم بغي على المدافع
لينصرنه الله تعالى على من بغى عليه ان الله لعفو [illegible] عمن تاب غفور لمن تاب وسمى الاول عقوبة
لانه في مقابلة الثاني فسماه باسم الثاني كما يقال الجزا بالجزا ويجوز ان يكون المراد بقوله ومن عاقب [illegible]
باخذ الديه من قاتل وليه ثم بغي على القاتل بعد اخذ الدية منه لينصرنه الله تعالى على من بغى عليه بالامر
بقتل قاتله **وانما قوله تعالى** ذلك بان الله يولج الليل في النهار فمعناه نصره المبغي عليه لقدرته على ايلاج
الليل في النهار وايلاج النهار في الليل والايلاج هو الادخال [illegible] **وقوله تعالى** وان الله سميع بصير
معناه سميع لمن دعاه من خلقه بصير بهم لا يخفى عليه شي من اعمالهم **وقوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق
معناه ذلك الذي ذكرنا من صنعه وقدرته بان الله ذو الحق في قوله وفعله وان الله هو المختص [illegible]
سواه تحت قدرته وكل شي سواه [illegible] وقوله وهو العلي الذي لا يعجزه شي العالم الذي
لا يخفى عليه شي **قوله عز وجل** الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة
ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد معناه الم
تعلم وقال المبرد [illegible] الم تر ان الله انزل من السما المطر فتصبح الارض ذات خضرة بالنبات ان
الله لطيف باستخراج الخفيات خبير بما يصلح للعباد له ما في السموات وما في الارض ملكا وان الله لهو
الغني عن ايمان الخلائق وطاعتهم الحميد في افعاله **قوله عز وجل** الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه ان
الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور
معناه الم تعلم ان الله ذلل لكم ما في الارض بان مكنكم من الانتفاع بها وجعل السفن تجري في البحر [illegible] وذكر

النسخير بلفظ الامر لان لفظ الامر ادل على القدرة فان قولك امر وكان ابلغ في الدلالة على القدرة من قولك فعل فكان
وقوله تعالى ويمسك السما معناه يمسكها من الوقوع بما يحدث فيها من السكون لا الى جهة لا بعد حال
لان الشي الثقيل لا يمكن تحته عماد يقله ولا فوقه شي تعلقه فانه لا يستقر في مكانه الا بان يحدث فيه
سكون حالا بعد حال وقوله تعالى الا باذنه معناه الا بارادته ان الله متفضل على عباده منعم عليهم
وقوله تعالى جل وهو الذي احياكم معناه احياكم في بطون امهاتكم ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يبعثكم
بعد الموت ان الانسان لجحود لما يظهر من الايات التي تدعوا الى الحق وهذه الايه لا تنفي عذاب القبر لانه تعالى
وان لم يذكره في هذه الاية فقد ذكره في اي كثيرة **قوله عز وجل** لكل امة جعلنا منسكا
هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك
فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون معناه
لكل اهل دين جعلنا موضعا ميعادا العمل خيرهم بالقوته و يعملون الخير فيه والمنسك جميع العبادات
التي امر الله تعالى بها كما روي في حديث البرا بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الاضحى
وقال ان اول نسكنا في يومنا هذا الصلوة ثم الذبح ويقال اراد بالمنسك في هذه الاية المذبح الذي
يتقربون فيه بذبايحهم الى الله عز وجل كما جعل منى منحر الناس لان النسك اذا اطلق اريد به الذبح على جهة القربة
كما قال تعالى ففدية من صيام او صدقة او نسك ويستدل بهذه الاية على وجوب الاضحية على قول ابي حنيفة
ومحمد رضي الله عنهما لان في ايجاب الدم ابتدا على جهة العبادة به وليس ذلك الا الاضحية وقوله تعالى
ولا ينازعنك في الامر معناه النهي عن المنازعة بعد ظهوريا بوجوب نسخ شرائع الامم المتقدمة وهذا كما يقال لا
يخاصمنك فلان في هذا الباب اي لا تخاصمه في هذا الامر لان المخاصمة انما تكون بين اثنين وقوله تعالى وادع
الى ربك انك لعلى هدى مستقيم اي على دلالة مستقيمة وان جادلوك بمثل هذا القول على والتعنت كما
يفعله السفها فقل الله اعلم بما تعملون اي ادفعهم بمثل هذا القول ولا تجادل الا لتبيين الحق كما
قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وهذا ادب حسن ينبغي ان يتادب به كل احد وقوله تعالى الله
يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون اي هو الذي يقضي بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من
الدين والذبيحة والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى نقيض ما ذهب اليه الاخر **قوله
عز وجل** الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله
يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين
من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله
الذين كفروا وبئس المصير معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعلم اعمال اهل
السما والارض واسرارهم ان ذلك مكتوب في الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملايكة ليعلموا لا انه
كتبه ليعلمه بنفسه لانه اذا كتبه هو لا بد ان يكون عالما به قبل ان كتبه وقوله تعالى ان ذلك
معناه ان كتابة ذلك على الله يسير وقوله تعالى ويعبدون من دون الله معناه و يعبدون من دونه
من الاصنام ما لم ينزل به كتابا ولا حجة وما ليس لهم به بيان يعلمونه من غير كتاب نحو العلم بوجوب
شكر المنعم وحمد المحسن وذم المسي وما للظالمين من ناصر يدفع عذاب الله تعالى عنهم وتسمى
الحجة سلطانا لانه يتسلط بها على ابطال انكار المنكر وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا معناه واذا
تقرا عليهم اياتنا واضحات تعرف في وجوههم الانكار لها يكادون يثبون بالمومنين ليوذوهم
والسطو في اللغة هو الاخذ بالشدة واظهار الحال الهايلة للاخافة ومنه الخوف من سطوات الله تعالى ونقماته
قال ابو طالب
والله لا تسطوا اليك بجمعهم ۝ حتى اوسد في التراب دفينا

وقوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم النار معناه قل افاخبركم بشر عليكم من غيظكم على التالي
لايات الله تعالى وهو النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير صاروا اليه ويقال ان قوله تعالى
بشر من ذلكم اشارة الى كلام مضمر وذلك ان الكفار قالوا والله ما راينا قوما اقل حظا منكم يا اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر مما قلتم النار من دخلها فحاله شر
من حالنا ويجوز خفض النار في الاعراب على البدل من قوله تعالى بشر ويجوز النصب على معنى اعني النار اعرفكم
شرا من ذلكم **قوله عز وجل** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى
الله ترجع الامور معناه يا اهل مكة بين مثل الهتكم فاستمعوا له ان الذين تعبدون من دون الله
لن يقدروا ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمع العابد والمعبود على ذلك وان يسلبهم الذباب شيا مما جعلوه للاصنام
لا يقدروا ان يستنقذوه منه ضعف الطالب من الاصنام والمطلوب من الذباب وذلك ان المشركين كانوا اخرجوا
في عيد لهم باصنامهم وصبيانهم فتقرب ابن لعقبة بن ابي معيط الى بعض الاصنام فجعلوا يسجدون له وهو
مغشي بالحلي والحلل فجا ذباب حتى رفع شظية من تلك الزينة فطار بها في الهوا فاراهم الله تعالى العبرة
في ضعفهم وضعف معبودهم ولا احد اضعف ممن لا يمكنه الاستنقاذ من الضعيف ومن قرا ان الذين يدعون
باليا اراد به الكفار وجعل النداء اولا لاية للمسلمين وقوله تعالى ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق
معرفته حيث عدلوا به من لا يقدر ان يخلق ذبابا او يستنقذ من ذباب يذهب بشي منه يقال قدرت الشي بالتخفيف
اذا عرفت مقداره وقوله تعالى ان الله لقوي عزيز اي لا يمتنع عليه فعل شي ولا يقدر احد على مغالبته
وقوله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا معناه الله يختار من الملايكة رسلا فيبعثهم الى خلقه ومن الناس ايضا
فاطيعوهم واحذروا معصيتهم ان الله سميع لمقالتكم بصير باعمالكم وضمايركم يعلم ما بين ايدي ملايكته ورسله قبل ان
يخلقهم وما خلفهم اي ما يكون بعد فنايهم والى الله ترجع عاقبة الامور في الاخرة **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو
سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير معناه يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا في الصلوة واعبدوا ربكم بجميع العبادات وافعلوا الخير من انواع البر مثل صلة الرحم وبر الوالدين
وما اشبه كل ذلك لتكونوا على رجا الفلاح ۝ روي انهم كانوا في اول الاسلام يسجدون بغير ركوع حتى نزلت هذه
الاية وقوله تعالى وجاهدوا في الله معناه جاهدوا المشركين ولا تخافوا في الله تعالى لومة لايم وقيل في
حق الجهاد انه كلمة عدل عند سلطان جاير وقال الحسن رضي الله عنه هو ان تودي جميع ما امر الله تعالى
به وتجتنب جميع ما نهاك الله تعالى عنه وترك رغبة الدنيا لرهبة الاخرة وقوله تعالى هو اجتباكم اي اختاركم
لدينه وجهاد اعدا الله تعالى والاجتبا اختيار الشي لما فيه من الصلاح يقال الحق مجتبى والباطل منفي وفي الاية
دليل على بطلان طعن الطاعنين على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانه ان كان يدخل في هذه الاية احد بعد
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم داخلون في هذه الاية لان هذه الاية
نزلت فيهم فمن طعن فيهم كان طاعنا في اجتبا الله تعالى والله تعالى لا يخطي في اجتبايه وقوله تعالى وما جعل
عليكم في الدين من حرج معناه ما جعل عليكم في شرايع دينكم من ضيق لا تخرج منه وذلك ان منه ما تتخلص
منه بالتوبة ومنه ما تتخلص منه برد المظلمة وليس في دين الاسلام ما لا سبيل الى الخلاص من العقاب به

وهذا كقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى ملة ابيكم ابرهيم معناه الزموا واتبعوا ملته ويقال معناه وسع عليكم في الدين كملة ابيكم ابرهيم الا انه لما حذف حرف الجر نصب الملة وانما قال ملة ابيكم ابرهيم لانها داخلة في ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ملة ابيكم ابرهيم وان لم يكن جميعهم يرجع نسبه الى ابرهيم عليه السلام لان حرمة ابرهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال تعالى وازواجه امهاتهم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين قال عبد الله بن عباس ومجاهد رضي الله عنهم معناه الله تعالى سماكم المسلمين من قبل القران وفي هذا القران كما روي في الخبر انه تعالى اوحى الى ابرهيم عليه السلام يبعث بعدك نبي صلى الله عليه وسلم فيكون قومه مسلمين ويقال معنى قوله تعالى هو سماكم المسلمين ان ابرهيم عليه السلام سماكم المسلمين كما قال في دعائه ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله تعالى ليكون الرسول شهيدا عليكم معناه ليكون شهيدا عليكم بطاعة من اطاع في تبليغه وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس باعمالهم فيما بلغتموهم من كتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة امرا باقام الصلوة وايتا الزكوة وقوله تعالى واعتصموا بالله معناه واعتصموا بدين الله ويقال واعتصموا بنعم الله تعالى من معاصيه والاعتصام هو الامتناع عن شي بشي وقوله تعالى هو مولاكم معناه هو ربكم وحافظكم فنعم الحافظ لكم ونعم الناصر ۞ وفي الحديث ان الله تعالى اعطى هذه الامة ثلثة اشيا لم يعطها الا الانبيا صلوات الله عليهم جعلت شهداء على سائر الامم والشهادة لكل نبي على امته ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط فلا حرج عليك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط وقيل لهذه الامة ادعوني استجب لكم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي وبالله التوفيق ۞

سورة المومنين مكية كلها

وهي ماية وثماني عشرة اية عند الكوفيين وتسع عشرة اية عند غيرهم ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون معناه قد فاز ونجا وسعد المصدقون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الذين هم في صلوتهم خاشعون متواضعون خايفون ويقال ساكنون بالقلب والجوارح فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وقف في صلوته رفع بصره الى السما فلما نزلت هذه الاية في الصلوة جعل نظره الى موضع سجوده وحقيقة الخشوع هو جمع الهمة لتدبر الافعال والاذكار وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول ان الخاشعين هم الذين لا يرفعون ايديهم في الصلوة الا في التكبيرة الاولى ۞ واما حرف قد فهو في اللغة لتزيين الكلام وتحسينه ويقال لتقريب الحال الماضية الى الحال الاتية ۞ واما اللغو الذي هم عنه معرضون فهو

كل

كل ما لا فائدة فيه ومنه قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ويجوز ان يكون معنى اللغو كل لعب ولهو ومعصية فانها مطرحة وملغاة وذلك معنى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اي شغلهم الجد فيما امرهم الله تعالى به عن كل باطل وقوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون قيل معناه مؤدون ويصح في الكلام فعلت الصلوة وفعلت الزكوة وكذلك في كل ما حسن فيه اديت واتيت لان الاتيان والايتا فعلان وان قل استعماله في هذا ويقرب من هذا قوله تعالى وكان وعد الله مفعولا ولو صدرت فعله لم يكن الا فعلت الوعد وهو صحيح ولكن قل استعماله والمعول على صحة المعنى وقيل في معنى الاية والذين هم لاجل زكوتهم فاعلون اي لا يملكون الاموال الا ليؤدوا زكوتها ويضعوها في مواضعها لانهم اذا لم يفعلوا ذلك فالزكوة باقية عليهم وقيل في معناه والذين هم للعمل الصالح فاعلون ويدخل في هذا كل فعل يزكو به الانسان ويحمد عليه كما يقال ما اعطى الله احدا نعمة الا اوجب عليه فيها زكوة وزكوة العلم النشر والتعليم وزكوة الجاه اغاثة الملهوف وزكوة القوة اعانة المظلوم والضعيف وقوله والذين هم لفروجهم حافظون اي يحفظونها عن الحرام وقوله تعالى الا على ازواجهم معناه يلامون في اطلاق ما حظر عليهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم من الولايد فانهم لا يلامون على ما احل الله تعالى لهم وقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك معناه فمن طلب طريقا سوى ما احل الله تعالى من النسا الاربع او ما ملكت اليمين فاولئك هم المتجاوزون من الحلال الى الحرام وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون معناه والذين هم لما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين ربهم وفيما بينهم وبين الناس حافظون حتى يؤدوها على وجهها والرعي في اللغة هو القيام على اصلاح ما يتولاه الراعي كما روي في الخبر كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ۞ واما العهد المذكور في الاية فيشتمل على طاعة الله تعالى التي يجب الوفاء بها وعلى جميع العقود والايمان والنذور وقوله تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون معناه انهم يواظبون على الصلوات ويجتهدون في اقامتها لمواقيتها بفرايضها وسننها واذانها وليس في هذه الاعادة ذكر ما تقدم من الخشوع في الصلوة لانه لا يفهم من الخشوع المحافظة ولا من المحافظة الخشوع وقوله تعالى اولئك هم الوارثون معناه اهل هذه الصفة التي ذكرها الله تعالى من اول السورة الى ما ههنا الوارثون الذين يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي كانت لهم في الجنة لو اطاعوا الله تعالى والفردوس في اللغة هو البستان الجامع للاجناس من الكروم وغيرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون الى اخر الايات العشر

قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون معناه ولقد خلقنا ادم عليه السلام من سلالة سلت من طين ثم خلقنا ولده من نطفة في قرار مكين اي في موضع حريز الى اجل معلوم ويقال اراد بالانسان جنس الانسان كما قال عز وجل والعصر ان الانسان لفي خسر واراد بالسلالة المني يسمى سلالة لانه يسل من اصلاب الرجال وترايب النسا ثم يكون قراره في ارحام الامهات وكل ما بني على فعالة اريد به القليل نحو القصالة والقلامة وقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرناه دما منعقدا ثم صيرنا الدم لحما بلا عظم والمضغة هي القطعة اليسيرة من اللحم تسمى مضغة لانها تمضغ في دفعة كاللقمة وقوله تعالى فخلقنا المضغة عظاما معناه خلقنا في المضغة عظاما ويقال حولنا المضغة عظاما ثم البسنا

ذكر في آخر [illegible] الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنايز والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل [illegible]

قوله فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون [illegible] ان الله انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل [illegible]

وفي نسخة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر

العظام لحما ليكون ابهى في المنظر وليكون اللحم وقاية للعظم ثم انشاناه خلقا اخر بان جعلنا فيه الروح
بعد ان لم يكن وجعلناه ذكرا وانثى الى ان اعطيناه الفهم والتمييز لياخذ ثدي امه عند الحاجة فيرتضع
ويبكي اذا انضر بشي وقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين معناه دام لم يزل ولا يزال الاحسن المحول بين
من حال الى حال والتبارك في اللغة هو الثبوت ويقال معنى فتبارك الله دام نعم الله تعالى على خلقه
من البركة وهي النمو والزيادة والافضال وقوله تعالى احسن الخالقين لا يقتضي ان يكون معه خالق اخر
كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويقال معنى احسن الخالقين اي احسن المقدرين
لان الخلق هو التقدير كما قال تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام اني اخلق لكم من الطين اي اقدر لكم من
الطين وقوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون معناه ثم انكم بعد الحيوة والخلق الحسن والصورة الحسنة
لميتون عند انقضا اجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون من قبوركم للجزا والحساب بين الله تعالى بهذه
الايات كمال قدرته على العباد حيث نقلهم من حال الى حال وبين انه خلقهم للاخرة التي هي دار الجزا
لا للدنيا **قوله عز وجل** ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين
وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم
به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للاكلين معناه ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات وسميت طرائق لان كل شي فوق شي
فهو طريقه يقال طارقت نعلي اذا ركبت جلدا على جلد كانه تعالى قال خلقت الانسان مقلبا [illegible]
المقدم ذكرها وخلقت فوق روسكم هذه السموات بعضها فوق بعض ويقال سميت السموات طرائق لانها
طرق الملئكة وقوله تعالى وما كنا عن الخلق معناه وما كنا عن حفظ السموات وعن انزال المطر على العباد
لوقت الحاجة غافلين ولو جازت الغفلة علينا لتساقطت السموات بعضها على بعض وقوله تعالى وانزلنا
من السما ما اراد به المطر انزله من السحاب بقدر الحاجة اليه على ما توجبه الحكمة وقوله تعالى فاسكناه
في الارض معناه جعلنا سكناه ومستقره في الارض مثل العيون والركايا والغدران وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة انهار من الجنة دجلة والفرات وسيحان وجيحان وقوله تعالى
وانا على ذهاب به معناه وانا لنقدر على اذهابه من الارض ومن السما وقوله تعالى فانشانا لكم به اي
اخرجنا لكم بذلك المطر بساتين من نخيل وكرم وانما خصهما بالذكر لانها اشرف الثمار وعامة ثمار الحجاز
التمر والعنب وقوله تعالى لكم فيها اي في البساتين فواكه كثيرة سوى النخيل والاعناب ومنها تاكلون
باباحة الله تعالى لكم وقوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء معناه وانبتنا لكم بذلك المطر شجرة وهي
الزيتونة تخرج من طور سيناء من جبل سيناء قيل ان معنى سيناء البركة كانه قال من جبل البركة عن ابن عباس
ومجاهد رضي الله عنهم ويقال انه اسم مشتق من السنا وهو الحسن وقد اختلفوا في المراد بالطور فقيل
هو الجبل الذي ناجى موسى عليه السلام ربه عز وجل عنده ويقال ان اصل شجرة الزيتون من ذلك الجبل وقال
بعضهم رحمهم الله هو جبل بالشام كثير الاشجار والثمار ويقال ان الطور جبل وسينا حجارة وقال القتيبي
رحمه الله سينا اسم لتلك البقعة فهو اسم بقعة بعينها لا ينصرف ويقرا سيناء بالفتح للمسمى على وزن صحرا
ويقرا بكسرها على وزن فعلا وقوله تعالى تنبت بالدهن معناه تنبت بثمار فيها الدهن كما يقال
جاءني فلان بالسيف اي ومعه السيف ومن قرا تنبت بضم التا فيجوز ان يكون معناه معنى الاول
يقال نبت البقل وانبت بمعنى واحد قال الشاعر ٭ رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم ٭ قطينا لهم حتى
اذا انبت البقل ٭ ويجوز ان يكون معناه تنبت ثمرها بالدهن وقال الحسن رضي الله عنه هي اشجار خلق الله تعالى
في عيدانها الدهن وقوله تعالى وصبغ للاكلين اراد به الزيت وهو ادام يصبغ به الخبز يقال صبغ وصباغ
كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس **قوله عز وجل** وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم

مما

مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون معناه وان
لكم في الانعام لعظة ودلالة على وحدانيتنا لو اعتبرتم واستدللتم والانعام الابل والبقر والغنم سميت
انعاما للين مشيها خلاف الحافر في وطيها ومنه امراة ناعمة اذا كانت لينة وسميت الدلالة عبرة لانها
كالمعبر الى الشي والطريق اليه وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها اراد به اللبن فان الله تعالى لما
اعطى العباد البان الانعام باجرائها في ضروعها وتمكينهم من غير حظر لها كان قد سقاهم اياها
وقوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة معناه من الاولاد والاوبار والاصواف والاشعار ومنها اي ومن
لحومها تاكلون وقوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون معناه تحملون على الابل في البر وعلى السفن في
البحر يقال ان الله تعالى جعل للناس مركبين مركبا لينا ليابس البر ومركبا يابسا للين البحر **قوله**
عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم
ولو شا الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا
به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون معناه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ليدعوهم الى
عبادتنا فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه ولا تعبدوا غيره فانه لا تجوز العبادة لمن ليس باله
ولا اله سواه سبحانه الا تتقون عبادة غيره فقال الاشراف والروسا منهم لسفهائهم ما هذا الذي
يدعوكم الى التوحيد الا ادمي مثلكم يريد ان يتقدم عليكم بدعوى النبوة ولو شا الله تعالى
ان يرسل الينا رسولا من عنده لارسل ملئكة من عنده ما سمعنا بمثل هذه الدعوة في ابائنا الاولين
وما ارسل بشرا الى ابائنا الاولين وقوله تعالى ان هو الا رجل معناه قالوا ما هو يريدون نوحا
عليه السلام الا رجل به جنون فانتظروا حتى يموت فتستريحوا منه او انتظروا حتى تدين بامره قال
نوح عليه السلام حين ايس من ايمانهم رب انصرني اي اعني عليهم بتكذيبهم اياي وجحدهم نبوتي
قوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جا امرنا وفار
التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين
ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين معناه وارسلنا اليه جبريل عليه السلام وامرناه ان يعلمه
صنعة الفلك ليصنعها بمراى منا واتخذها بحضرته فذلك قوله باعيننا ووحينا اي بامرنا ومن امر
اوليائنا ويقال معنى قوله باعيننا بحيث نراها كما يرى الرائي من عبادنا بعينه فجعل الرؤية كناية عن
العلم لان الشي انما يصير معلوما لنا في الشاهد بالعين وقوله تعالى فاذا جا امرنا وفار التنور معناه
فاذا جا امرنا بنجاتك واهلاكهم ونبع الما من تنور الخابزة قيل ان تنور الخابزة كان في اعلى موضع
من دار نوح عليه السلام فجعل الله تعالى لخروج الما من موضع النار مع ما بين الما والنار من
التباين معجزة له عليه السلام وعلامة لمعرفة مجي وقت هلاك القوم وعن امير المومنين علي
رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى وفار التنور طلع الفجر وقوله تعالى فاسلك فيها اي احمل في
السفينة من كل حيوان ذكرا وانثى كما روي ان الله تعالى حشر اليه جميع الحيوان حتى لياخذ من
كل جنس زوجا ويقرا من كل بتنوين اللام وعلى هذه القراة يكون الفعل واقعا على زوجين فاما في
القراة الاولى فالفعل واقع على اثنين وقوله تعالى واهلك معناه واحمل فيها اهلك الا من سبق
عليه القول اي الا من حق عليه العذاب منهم بكفره وهو ابنه كنعان وامراته واعلة وقوله تعالى ولا
تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تسالني نجاة الذين ظلموا من اهلك انهم مغرقون مع الاجانب وقوله تعالى

فاذا استويت انت معناه فاذا استقر بك وبمن معك الفلك في الما فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين وذلك ان الله تعالى كان عرفه انه ينجيه بذلك ومن معه فامر بركوب السفينه فقال
الحمد لله الذي نجانا وكانت السفينه تسير بين السما والما بقدرة الله عز وجل ويجوز ان يكون معنى الاستوا
في هذه الاية العلو لان السفينه كانت عظيمه العلو يرتقى اليها على ما روينا في صفتها عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا قال بعضهم رحمهم الله انزلني
من السفينه موضعا مباركا وقال بعضهم رحمهم الله اراد به الانزال في السفينه ومن يركبها
خلاصه مما جرى على قومه من الهلاك وهذا اقرب لانه انما امر بهذا الدعا عند حال استوايه على
السفينه فالمعنى ان السفينه هي المنزل دون منزل اخر والمنزل بفتح الميم اسم لكل مكان نزلت فيه
والمنزل بضم الميم يكون مصدرا بمعنى الانزال ويكون بمعنى المكان وقوله تعالى وانت خير المنزلين اي
انت خير المنزلين في الدنيا والاخرة وهذا اللفظ سنه لكل من اراد ان ينزل منزلا وانما قال ذلك لانه ما من
احد يضيف غيره يقدر على ان يكفيه كل حاجة ويدفع عنه كل افة الا الله تعالى وقوله تعالى ان في ذلك
لايات وان كنا لمبتلين معناه ان فيما سبق ذكره لدلالات واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وماكنا الا مبتلين
بارسال الرسل اليهم كي نرى طاعة المطيعين ومعصية العاصين قوله عز وجل ثم انشانا
من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون معناه ثم خلقنا من بعد هلاك قوم نوح عليه السلام قوما اخرين من قومه
فارسلنا فيهم رسولا منهم اراد به هودا عليه السلام فان اول نبي بعد نوح هود عليه السلام قال
لهم اعبدوا الله الى اخر الايه قوله عز وجل وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقا الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
وما نحن له بمومنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثا فبعدا للقوم الظالمين معناه وقال الاشراف
والروسا من قومه الذين جحدوا بالبعث والنشور ومتعناهم في الحيوة الدنيا واعطيناهم من نعيم
العيش ما هذا يعنون هودا عليه السلام الا ادمي مثلكم ياكل من الطعام الذي تاكلون منه ويشرب من
الذي تشربون منه فليس هو اولى بالرساله ولين اطعتم ادميا مثلكم انكم اذا المغبونون وهذا
القول منهم دليل غايه جهلهم حيث عبدوا اصناما لا تضر ولا تنفع ولم يعدوا ذلك خسرانا
والاصنام اجسام مثلهم بل دونهم ثم عدوا عبادة الله تعالى وطاعة هود عليه السلام خسرانا
قالوا ايعدكم انكم اذا متم وصرتم ترابا وعظاما باليه ان تخرجوا من قبوركم هيهات هيهات
اي بعد الما توعدون به من البعث بعد الموت وهذه كلمة استنكار واستبعاد وهي بمنزله الاصوات
وليست مشتقه من فعل لخصوصه ومنه الا ان الغالب على هذه الاصوات الامر والنهي يقال هيهات
هيهات ما قلت ويراد به البعد لقولك وتقرا هذا الحرف بسبع قراات بالنصب والكسر والرفع والتنوين
وغير التنوين والسكون واما قوله تعالى ان هي الا حيوتنا الدنيا فمعناه فقالوا ما هذه الحيوة الدنيا
الا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يموت قوم ويحيى قوم اخرون وما نحن بمبعوثين بعد الموت
وفي هذا ايضا بيان جهلهم لانهم ان كانوا مقرين بان الله تعالى هو الذي انشاهم هو القادر على
النشاه الاولى وقادر على النشاه الثانيه وان كانوا يزعمون ان ذلك يحصل طبعا واتفاقا فلا يمتنع

ان يحصل ثانيا اتفاقا وقوله تعالى ان هو الا رجل معناه ما هود عليه السلام الا رجل اختلق على الله
كذبا بانه رسول من الله تعالى الينا وانا نبعث وما نحن بمصدقين له بالرساله قال هود عليه السلام
يا رب اعني عليهم بتكذيبهم اياي قال الله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين على تكذيبهم فاخذتهم
الصيحة بالحق قيل انها كانت صوت جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا وقوله تعالى
فجعلناهم غثا اي صيرناهم بعد الهلاك كغثا السيل وهو ما يكون على وجه السيل من القصب والحطب
والاشجار الخاويه البالية المنتفتة اذا جرى السيل رايت ذلك مخالطا زبد السيل وقوله تعالى فبعدا
اي بعدا من رحمة الله تعالى للقوم الكافرين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا
اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون معناه ثم جعلنا من بعد هلاك قوم هود عليه السلام
اهل اعصار اخرين فسكنوا ديارهم الى ان اهلكوا بالتكذيب لا تموت امة قبل اجلها المضروب لها
ولا تتاخر موعدهم عنه قيل ان المراد بالاجل اجل العذاب اي لا نعذب امة قبل مجي وقت العذاب
ولا يهلك الله قوما علم ان فيهم او في من يكون من نسلهم ان يومن قوله عز وجل ثم
ارسلنا رسلنا تترى كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
احاديث فبعدا لقوم لا يومنون معناه ثم ارسلنا رسلنا متواترين بعضهم على اثر بعض
كلما جا قوما رسولهم كذبوا رسولهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك والتعذيب كما اتبع بعضهم بعضا
في الانكار والتكذيب وجعلناهم اسمارا لمن بعدهم يتحدث باثرهم وشانهم ويتمثل بهم في
الشر ولا يقال في الخير جعلهم حديثا قال الله تعالى في سورة سبا فجعلناهم احاديث ومزقناهم
كل ممزق والاحاديث جمع احدوثه وهي الحديث العجيب وقوله تعالى تترى يقرا بالتنوين وغير
التنوين فمن قراه بالتنوين فمعناه وترا ابدلت التا من الواو كما قالوا تولج وهو من ولج واصله وولج
ومن قرا بغير التنوين فانما جعلها فعلى بالف التانيث من المواتره وهي المتابعه يقال واترت الخبر اذا
اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهه واصل هذا كله الوتر وهو الفرد فيكون المعنى جعلنا كل
واحد من الرسل بعد صاحبه فردا فردا قوله عز وجل ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا
انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اكثرها
ظاهر المعنى والعالي هو القاهر الغالب كما قال تعالى ان فرعون علا في الارض وكان قوم موسى
وهرون عليهما السلام يطيعون القبط طاعة العبد للمولى من ذلك قالوا قومهما لنا عابدون
قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون معناه اعطيناه التورية
ليهتدوا بها من الضلالة قوله عز وجل وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين معناه جعلنا ولادة عيسى عليه السلام من غير اب دلالة على التوحيد
والبعث ولم يقل ايتين لان معنى الايه فيهما واحد ونفس الاعجاز ظهر فيهما الا انه ظهر على يديها
وقوله تعالى واويناهما معناه ضممناهما الى بقعة مرتفعة ذات استوا واستقرار وما جار ظاهر
واختلفوا في هذه البقعه قال قتادة رضي الله عنه اريد بها بيت المقدس وهو ارفع
موضع الى الارض واقرب موضع الى السما وقال ابو هريره رضي الله عنه هي رملة بارض فلسطين
وروى الحسن وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم هي دمشق واما المعين قيل انه مفعول من
العين واصله معيون من قولهم عانت الركية تعين اذا سالت بالما وعنتها اعينها اي اسلتها
ونظيره ثوب مخيط وقيل ان المعين فعيل من الامعان وهو الاسراع قوله عز وجل يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم

يجوز ان يراد بالسلطان المبين العصا لانها كانت اما ايات موسى عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشا …

فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين
قيل ان الخطاب في اول هذه الايات خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم الا انه ذكر بلفظ الجماعة لما في هذا
الخطاب من تضمن ان الرسل جميعا امروا بهذا الخطاب وقيل لهم كلوا من الطيبات اي من الحلال واعملوا صالحا
والعمل الصالح ان يكون على وفق الامر وفي قوله تعالى اني بما تعملون عليم بيان السبب الداعي الى اصلاح
العمل وذلك لان العاقل اذا عمل لمن يعلم انه يعلم عمله وانه يجازيه على ما يعلم من عمله اصلح العمل وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به
المرسلين فقال عز من قائل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب مطعمه حرام ومشربه حرام
وملبسه بالحرام وغذي بالحرام فانى يستجاب له ويروى عن عيسى عليه السلام انه كان ياكل
من غزل امه وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول جعل رزقي في تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذل
على من خالفني فيتحتمل ان رزقه من الغنيمه واطيب الطيبات الغنيمه وقوله تعالى وان هذه امتكم
امة واحدة قيل في معناه دينكم ودين من قبلكم واحد وقيل جماعتكم وجماعة من قبلكم جماعة واحدة
كلكم عباد الله تعالى وانا ربكم فاتقوا عذابي وافعلوا ما امرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه وفي هذا
بيان ان اعتقاد جميع الرسل واممهم واحد فيما يرجع الى معرفة الرب وعبادته واتقا معاصيه
واما شرايع الانبيا عليهم السلام تختلف باختلاف مصالح العباد كما يقال في الحايض والطاهرة من
النساء ان دينهن واحد وان افترقت حالهما في التعبد بالصلوة والصوم وقوله تعالى فتقطعوا
امرهم بينهم معناه فرقوا امر الله تعالى بينهم فجعلوا دينهم اديانا مختلفة وهذا كما يقال تصدق اي
اعطى الصدقة ويقال معنى تقطعوا انفرقوا امرهم فرقا فرقا وقوله تعالى زبرا من قرا بضم البا فهو جمع
زبور ومعناه كتبا مختلفة دانوا بها وكفروا بما سواها كاليهود امنوا بالتورية وكفروا بالانجيل والقران
والنصارى امنوا بالانجيل وكفروا بالقران ومن قرا بنصب البا فهو جمع زبرة ومعناه قطعا وجماعات
ومنه قوله تعالى اتوني زبر الحديد اي قطع الحديد وقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون معناه كل طايفة
بما عندهم من الاعتقاد معجبون فاتركهم في ضلالتهم وجهالتهم الى ان ياتيهم ما وعدوا به
من العذاب ويقال الى ان يموتوا فيظهر لهم الحق من الباطل عند المعاينة في القيامة قوله عز وجل
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون معناه ايظنون
امدادنا اياهم بالمال والبنين مسارعة منا لهم في الخيرات لكرامتهم علينا ومنزلتهم عندنا بل لا يشعرون
ان ذلك استدراج لهم واملاء الى حين قوله عز وجل ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون اي من خشية عذاب ربهم مشفقون اي حذرون وانما اضاف الخشية الى نفسه تعظيما
لشان العذاب والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون فقوله والذين هم بايات ربهم
يومنون اي يصدقون ولا يشركون به غيره والذين يعطون ما اعطوا من المال ويعملون ما
عملوا من الصالحات وقلوبهم وجلة اي فزعة انهم اذا صاروا الى الاخرة لم يقبل ذلك منهم لتقصير
وجد منهم اهل هذه الصفة هم الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اي من اجل مسارعتهم
في الخيرات سابقون في الجنة ويجوز ان يكون معنى لها اليها كما في قوله بان ربك اوحى لها اي
اليها قال الحسن رضي الله عنه لقد ادركت اقواما كانوا على حسناتهم الا تقبل منهم اشفق منكم
على سياتكم الا يغفر لكم قوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب
ينطق بالحق وهم لا يظلمون معناه ولا نكلف نفسا الا مقدار طاقتها وعند ملايكتنا المقربين

كتاب يشهد لكم وعليكم بالحق يريد به صحايف الاعمال وانما قال ذلك وان كان الله تعالى لم يزل
عالما به ليكون ابلغ في التنبيه والتحذير وهم لا يظلمون اي لا ننقص من حسناتهم ولا نزاد على سياتهم
وقوله عز وجل بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها
عاملون معناه بل قلوب اهل مكة في غفلة من هذا الذي تقدم ذكره من اعمال البر ولهم اعمال
اي خطايا سوى ذلك هم لتلك الخطايا عاملون ويجوز ان يكون قوله من هذا اشارة الى الكتاب
الذي ينطق بالحق اي بل قلوبهم في غمرة من ذلك الكتاب واعمالهم التي عملوها محصاة فيه ولهم
اعمال من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها وهو ما سبق في علم الله انهم يعملونها والغمرة هي الغطا
الذي قد غمر القلوب وغلب عليها ويقال الغمرة الغفلة التي تغطي القلوب وقوله حتى اذا اخذنا
مترفيهم بالعذاب اي منعميهم بالعذاب اي بالقتل يوم بدر وبما يرون من العذاب وقت المعاينة
اذا هم يجارون اي يضجون ويصرخون بالتوبة وقوله لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون
وعيد لهم كالاستهزا مثل قوله لا تركضوا وارجعوا والجوار رفع صوت المتضرع كما يجار الثور
وقوله قد كانت اياتي تتلى عليكم اي دلالاتي تقرا عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم
تنكصون اي تولون مدبرين والنكوص هو الرجوع قهقرى وهو اقبح انواع المشي واقرب
الى الهلاك واشبه بصنع الجهال قوله مستكبرين به اي متعظمين ببيت الله الكعبة
وقيل بحرم الله اي لا يظهر عليكم احد وقوله سامرا تهجرون اي سمارا تهجرون القران
والنبي صلى الله عليه وسلم والهجر هجر الحق بالاعراض عنه وقد يقال هجر المريض اذا هذى في كلامه
والسمر الحديث بالليل كانوا يتحدثون حول الكعبة في اوايل الليالي بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم
وفي الاسلام والمومنين وانما وحد سامرا لانه في موضع المصدر كما يقال قوموا قياما اي قياما ومن
قرا تهجرون بضم التا فليس هو الا من الهجر وهو الفحش من الكلام وذلك انهم كانوا يسبون النبي صلى الله
عليه وسلم ٥ وفي المثل السائر من اكثر اهجر وقد قيل في المثل من كثر هجره وجب هجره قوله
افلم يدبروا القول معناه افلم يتدبروا القران وحسن لفظه ونظمه ولترتيب فوايده ومعانيه
مع سلامته من التناقض والاختلاف فيعلموا انه من عند الله ام جاءهم ما لم يات
اباءهم الاولين وذلك انهم كانوا يعلمون ان الرسل قد ارسلوا الى من قبلهم فبين انه تعالى
ارسل اليهم كما ارسل الى الذين من قبلهم ام لم يعرفوا رسولهم بالصدق والامانة قبل
الدعوة فيتهمونه على ما يدعوهم اليه فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون ليصدوا عنه [illegible] وقد كانوا ينسبونه
الى الجنون لما عابه اباهم الى ما لا مطمع لهم فيه عندهم كما يقول الرجل للاخر اعطني ما لا كله
واصبر على الفقر بنفسه الخاطب بالجنون قوله ولو اتبع الحق اهواءهم معناه لو وضع الحق
على اهوائهم لهلك اهل السموات والارض وذلك الحق يدعو الى المحاسن والهوى يدعو الى المقابح
ولو جعل الهوى متبوعا لانبعث الامر الى الظلم والجهالات والضلالات فتختلط الامور لا اختلاط
ولم يوثق بالوعد والوعيد فادى ذلك الى الفساد لان الهوى هو ميل النفس الى المشتهى من غير
داعي الهدى ويقال هو في معنى الالهة والتقدير لو اتبع الحق اهواءهم فيما يعتقدون من الالهة لفسدت
السموات والارض كما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله بل اتيناهم بذكرهم اي
اعطيناهم القران الذي فيه عزهم وشرفهم وامر دينهم والعلم بما فيه فهم عن القران معرضون وهو
نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وقوله ام تسالهم خرجا معناه ام تسالهم على تبليغ الرسالة جعلا
فيثقلون لذلك [illegible] من العوض [illegible] في حاله وربه فانه

وقوله فخراج ربك خير اي ما وعد الله لك من الثواب والاجر في الاخرة خير من الدنيا والاخرة
وهو خير الرازقين اي افضل المعطين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى طريق قايم
برضاه وهو الاسلام والخرج والخراج كلاهما مصدران لا يجمعان وقوله وان الذين لا
يؤمنون بالاخرة والذين لا يصدقون بالقيمة عن الصراط دين الحق لناكبون اي عادلون
مايلون ويقال انهم في الاخرة عن صراط جهنم يسقطون يمنة ويسرة ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر من الشدة التي اصابت اهل مكة من الجوع والقحط للجوا اي تمادوا في طغيانهم
ضلالتهم يعمهون يتحيرون ويترددون ويقال ولو رحمناهم في الاخرة فرددناهم
من طريق النار الى الدنيا لعادوا الى الكفر كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولقد
اخذناهم بالعذاب بعذاب الدنيا من الجوع ونقص الرزق وذلك حين دعا النبي صلى الله عليه
وسلم عليهم فقال اللهم سني كسني يوسف فجاعوا حتى اكلوا العلهز وهو الوبر بالدم فما
استكانوا خضعوا لربهم وما يتضرعون ولا تضرعوا انهم قوم اذا اخذوا بالعذاب لم يخضعوا
واذا كشف العذاب عنهم لم يشكروا والاستكانة طلب السكون والتضرع طلب كشف البلاء من
القادر عليه وقوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قيل انه القتل يوم بدر
وقيل انه عذاب الاخرة اذا هم فيه مبلسون اي آيسون متحيرون والابلاس الاياس مع
التحير وقوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة اي خلق لكم
السمع تسمعون به والابصار تبصرون بها والقلوب تعقلون بها فتشكرون فيما صنع اليكم قليلا
وهو الذي ذراكم اي خلقكم في الارض واليه تحشرون والى موضع الحساب والجزا
تجمعون وهو الذي يحيي ويميت اي يحييكم في ارحام الامهات ويميتكم عند انقضاء اجالكم
وله اختلاف الليل والنهار واختلافهما مرورهما يوما بعد ليلة وليلة بعد يوم كما
يقال اذا اتى الرجل الدار مرة بعد مرة فهو يختلف الى هذه الدار افلا تعقلون ادلة الله تعالى
وتستدلون بها على وحدانيته وصفته بل قالوا مثل ما قال الاولون اي لم يعقلوا ادلتنا
ولم يستدلوا بها علينا بل كذبوا بالبعث كما كذب اباؤهم فلم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون لمحيون بعد الموت لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
اي خوفنا بهذا الذي تخوفنا به من قبل ان خوفتنا ما هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم
الا اساطير الاولين احاديث الاولين والاساطير ما يكتب للتسامر بالليل قل لهم يا محمد
لمن الارض ومن فيها من الخلق والعجائب اجيبوا ان كنتم تعلمون ثم اجاب الله عنهم
لما علم انهم لا يجيبون فقال عز من قايل سيقولون لله قل لهم يا محمد افلا تذكرون
فتستدلون على ان من له ملك السموات والارض وما فيهما قادر على البعث والنشور فان
من ملك الارض وما فيها ملك انشاها بعد هلاكها قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم وخالق السرير سيقولون لله قل افلا تتقون عقابه على انكار
البعث واضافة الشريك والولد اليه واذا قرئ لله فهو جواب على معنى السوال لا على لفظه كما
يقول الرجل الاخر من صاحب هذه الدار فيجيبه المخاطب فيقول لزيد ويقال للعبد من مولاك فيقول
انا لفلان قل من بيده ملكوت كل شيء اي من الذي له خزاين كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو
يعقد الامان لمن شا ولا يقدر احد على نقض امانه ولا يعقد عليه الامان اجيبوا ان كنتم تعلمون
سيقولون لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه فجوابه على المعنى دون اللفظ
قل لهم فانى تسحرون اي تصرفون عن الحق الى ما ليس له اصل ولا حقيقة وقد القي اليكم حقايق

الادلة

الادلة ويجوز ان يكون تسحرون جوابا عن قولهم بل نحن قوم مسحورون قوله بل اتيناهم بالحق
اي جئناهم بالحق وبينا لهم الحق وانهم لكاذبون فيما يضيفون الى الله تعالى من الولد والشريك
ما اتخذ الله من ولد لا على سبيل الاستيلاد ولا على الاضافة وهو رد على اليهود في قولهم عزير ابن
الله وعلى النصارى في قولهم المسيح ابن الله وعلى من قال من المشركين ان الملائكة بنات الله وقوله
وما كان معه من اله رد على عبدة الاوثان في اثباتهم مع الله الهة اخرى وقوله اذا
لذهب كل اله بما خلق معناه لو كان معه الهة لانفرد كل اله بخلقه لانه لا يرضى ان يضاف
خلقه وانعامه الى غيره ولعلا بعضهم على بعض اي ولطلب بعضهم قهر بعض ولم ينتظم
امرهما كما لا ينتظم امر بلد فيه ملكان قاهران واذا غلب احدهما الاخر لم يجز ان يكون المغلوب
العاجز الها فوجب ان الاله واحد سبحان الله اي تنزيها لله عما يصفون من
اتخاذ الولد والشريك عالم الغيب والشهادة اي عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد
ولا ياتي الا بالحق وهم ياتون بالجهل فتعالى الله عما يشركون اي تعالى في صفته
عن كل شيء قوله عز وجل قل رب اما تريني ما يوعدون معناه قل يا محمد
ان اريتني ما توعدون من العذاب رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي منهم وفي هذا دليل
جواز دعاء العبد ما يعلم ان الله تعالى يفعله وهو على طريق اظهار الرغبة فيما عند الله والتعبد
له قوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون اي نحن قادرون على تعذيبهم لكن لا يهلك
لحكمة تقتضي ذلك وقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون اي بالمقالة
التي هي احسن ما تقصد به من الاذية وذلك ان يذكر الحجة في فساد المنكر وعظا للصرف عنه
على طريق اللطف في الاستدعا الى الحق كما قال تعالى فقولا له قولا لينا وكان هذا قبل ان امر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الكفار وقوله وقل رب اعوذ بك اي امتنع بك والعياذ بالله
هو طلب الاعتصام به من شر ما يخاف منه من همزات الشياطين دفعهم الناس الى المعاصي
بالاغواء والهمز الدفع في شدة ومنه الهمز الحرف الذي يخرج من اصل الحلق باعتماد شديد
وعن الحسن في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الى صلوة الليل فهلل وكبر ثلاثا
وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفثه ونفخه ثم قال الحمد لله رب العالمين
فسئل من بعد عن همزه فقال هو الموتة يعني اخذ الشيطان للانسان يريد به انه امر الذي
ياخذ الرجل حتى يصرع او يجن وسئل عن نفثه فقال انه الشعر وسئل عن نفخه فقال انه الكبر
ويقال ان الهمز هي الوسوسة الشاغلة عن امر الله وان يبعث اعداء المؤمنين على اذية المؤمنين
وقوله واعوذ بك رب ان يحضرون اي عند القراءة وعند الموت وقيل عند الغضب كما
يقال للرجل اعوذ بالله من خصومتك اي اعوذ بالله من لقائك وقوله حتى اذا جاء احدهم
الموت اراد به الذين ذكروا قبل هذا الموضع الذين انكروا البعث يقول لا يعاجلهم الله بالعقوبة
ولكن يمهلهم حتى اذا جاء احدهم الموت اي عاين ملك الموت واعوانه قال رب ارجعون
يستغيث اولا بالله ثم يخاطب الملئكة يسئلهم الرجعة الى الدنيا ويقول لعلي اعمل صالحا اي
خالصا فيما تركت فيما سلف في دار الدنيا وفيما ترك فيها من طاعة الله تعالى وقد يخاطب العرب
الرجل الواحد بخطاب الجمع على التعظيم كما يقول الرجل للحر انتم تفعلون كذا ونحن نفعل كذا
وقال عز من قايل قرة عين لي ولك لا تقتلوه ولا يجوز ان يكون لعل في هذه الاية للشك لانه لا
معنى لذلك مع حرصه على الرجعة وعلى النجاة من الموت والعذاب وانما المعنى لكي اعمل صالحا فيما
تركت وقوله كلا كلمة ردع وتنبيه اي لا يكون له ذلك ان مسئلة الرجوع الى الدنيا كلمة هو قايلها

عند موته ومن ورائهم برزخ اى من قدامهم الحاجز بينهم وبين الحيوة الى يوم القيمة والقبر حاجز
وكل فصل بين شيئين برزخ وفي الاية دلالة ان احداً لا يموت حتى يعرف اضطراراً منزلته عند الله عز وجل
وانه من اهل الثواب او العقاب قوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم اى اذا نفخ فيه علامة
لوقت اعادة الخلق كما يعرفه الناس من بوق الرحيل والقدوم فلا انساب بينهم قال الحسن والله
ان انسابهم لقايمة بينهم كما قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولكنهم لا ينتفعون بانسابهم
ولا يتعاطفون عليها وذلك هو المقصود من النسب فكانهم لا انساب بينهم وقوله ولا يتسائلون اى
لا يسال البعض بعضا عن خبره وحاله كما كانوا في الدنيا لشغل كل واحد منهم بنفسه ولا يسال العظيم
بعضا اى يحمل من ذنوبه وقوله فمن ثقلت موازينه اى ثقلت بالطاعات عن عباده ان
الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وضعت السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع
وما فيهن وفوقهما وتحتهما في كفة وكلمة لا اله الا الله في كفة لرجحت جميع ذلك وقيل من ثقلت
موازينه بكلمة التوحيد فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه بكلمة الشرك قال الحسن هو ميزان له
كفتان ولسان وقال قتادة هو معادلة الاعمال بالحق وكلا القولين حسن يقال بهما جميعا وقد تقدم الكلام في هاتين
الايتين وقوله تلفح وجوههم النار اى تنفخ وتضرب النار في وجوههم واللفح ضرب السموم الوجه والنفخ
ضرب الريح الوجه فتاثير اللفح اعظم من تاثير النفخ والنفخ مذكور في قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك
واما الكالح فهو تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الحسن رضي الله عنه تغلظ شفاههم
فترتفع الشفاه العليا وتنزل الشفاه السفلى فتظهر الاسنان فهي اقبح ما يكون وفي الخبر ان رجلا مر برؤس
قد نضدت بعضها على بعض وصاحبها يشويها فنظر الرجل اليها فذكر هذه الاية فخر مغشيا عليه
وقوله الم تكن اياتي تتلى عليكم اى يقال لهم الم تكن اياتي تقرأ عليكم فكنتم تجحدون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا بكثرة معاصينا وكنا قوما ضالين في الدنيا والشقوة هي المضرة
اللاحقة في العاقبة والسعادة هي المنفعة التي تكون في العاقبة وتسمى المعاصي شقاوة وشقوة
لتاديتها الى العقوبة والشقوة بفتح الشين بمنزلة الفعلة الواحدة واما كسر فا الفعل من هذا الباب
فهي دالة على الكثرة واللزوم وقوله ربنا اخرجنا منها ظاهر المراد قوله عز وجل
قال اخسئوا فيها كلمة اهانة ومذلة وهي في الاصل لطرد الكلاب تقول العرب خساء الكلب
اذا طردته خسا اى تباعد وقوله ولا تكلمون اى لا تسالوني الخروج من النار فاني لا
ادفع العذاب ولا اهونه عليكم قال الحسن ختم عند ذلك على افواههم فلا يتكلمون بعد ذلك ابدا
ويكون لهم زفير كزفير الحمير وشهيق كشهيق البغال وقوله تعالى انه كان فريق من عبادي
اى يقال لهم انه كان طايفة من عبادي يقولون ربنا امنا وهم الانبياء والمؤمنون وهذا تعليل لاستحقاقهم
العذاب بما عاملوا الانبياء والمؤمنين باتخاذهم سخريا والفرق بين السخري والسخري ان الضم معناه التسخير
ويقال كلاهما بمعنى الهزؤ والكسر احسن لما فيه من اتباع الكسرة الكسرة وقوله حتى انسوكم ذكري من
مستعار الكلام لان المؤمنين كرهوا ولم ينسوهم لكن شغلهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين حتى نسوا ذكر الله
فاضيف اللفظ الى المؤمنين لان ترك الذكر كان من اجلهم وهذا كما قال جل ذكره رب انهن اضللن كثيرا من الناس
وهن موات لا حركة لهن وانما معناه ضل بهن كثير من الناس وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذيتكم واستهزايكم انهم هم الفايزون في الجنة من قرا انهم بالكسر فمعناه الاخبار بذلك
ومن قرا بالفتح فهو بيان الجزاء اى جزيتهم بالفوز قوله قال كم لبثتم معناه قال الله تعالى كم
لبثتم قيل ان المراد به المكث في القبور وقيل المكث في الدنيا وقوله كم منصوب بقوله لبثتم وعدد سنين
منصوب بكم وقوله لبثنا يوما او بعض يوم استقلالا منهم لمدة اعمارهم في الدنيا في جنب

مدة العذاب في النار ويقال تلحقهم دهشة وحيرة فينسون ذلك بقوله فاسال العادين يعنون
به الحفظة الذين كانوا يحفظون عليهم اجالهم قال الله تعالى ان لبثتم اى ما لبثتم الا قليلا
في جنب لبثكم في العذاب قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا معناه افظننتم انما خلقناكم
للعبث تاكلون وتشربون وتتمتعون وتفعلون ما تريدون ثم تموتون فلا تحشرون للحساب ولا ترجعون
الى حال لا تملكون لانفسكم نفعا ولا امرا كما لبثتم في ابتدا خلقكم وفي هذا بيان انه تعالى لو خلقهم لهذه
الاشياء لكان عبثا فتعالى الله عما يصفه الجهال به وعن فعل العبث وقوله الملك الحق اى هو
الملك الذي يحق له الملك لانه ملك غير مملك وكل ملك غيره فملكه مستعار لانه لا يملك الا بتمليك الله اياه فكانه
لا يعتد بملكه في ملك الله عز وجل وقوله لا اله الا هو اى لا معبود للخلق سواه رب العرش
الكريم سمي العرش كريما لكثرة خيره لمن حوله يقال فلان كريم اى كثير الخير قوله ومن يدع
مع الله الها اخر اى الها غيره لا حجة له عليه فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
اى لا يامن ولا ينجو من عذاب الله الكافرون والحساب اظهار ما يستحقه العبد من عمله الحسنة
والسيئة وقوله وقل رب اغفر وارحم يحتمل ان يكون امرا للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار
لامته ويحتمل ان يكون امرا بالاستغفار لنفسه ليعلم غيره انه احوج الى الاستغفار كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ويروى مايه مرة
وكل ذلك تعبدا وشكرا كما روي عنه في الحديث افلا اكون عبدا شكورا وعن ابي بن كعب رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

سورة النور مدنية وهي اثنتان وستون عند الحجازيين واربع وستون عند غيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها
وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون معناه هذه سورة انزلنا
جبريل عليه السلام بها والسورة هي المنزلة الجامعة لجملة ايات بفاتحتها وخاتمتها على ما تقتضيه الحكمة
في طولها وقصرها مع ان القصار منها تسهل قراتها في الصلوة المفروضة على استكمال السورة ومن قرا سورة
بالنصب فهي قراة عيسى بن عمر والمعنى انزلنا سورة كما يقال زيدا ضربته بمعنى ضربت زيدا وقد يجوز ان يكون
نصبا على الاغراء وقوله وفرضناها اى فرضنا تلاوتها والعمل بما فيها ومن قرا بتشديد الراء فمعناه على
التكثير والمبالغة اى فصلنا احكامها وفرضنا فيها فروضا وانزلنا فيها ايات بينات اى دلالات واضحات
على وحدانيتنا واحكامنا وما تحتاجون اليه لكي تتعظوا فتعملوا بما فيها وقوله الزانية والزاني
ذهب سيبويه الى ان معناه وفيما فرض عليكم الزانية والزاني لانه لولا ذلك لنصب بالامر الذي في قوله
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والجلد في اللغة ضرب الجلد يقال راسته اذا ضربت
راسه وظهرته اذا ضربت ظهره وبطنته فقد يكون بمعنى علوته وكبدته اذا ضربت كبده فاقتضى
اللفظ ان يكون الضرب المشروع في هذه الاية من مائة جلدة حد الحر المكلف الذي لا يكون محصنا
فاما اذا كانا مملوكين فحد كل واحد منهما في الزنا خمسون جلدة لقوله تعالى فاذا احصن فان اتين
بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني اذا عقلن فعليهن نصف حد الحراير
واذا لم يكن الزاني مكلفا لم يكن فعله زنا فاذا كان محصنا فحده الرجم رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماعز بن مالك الاسلمي بزناه وكان قد احصن وكان عمر رضي الله عنه يقول اني لاخشى ان
طال بالناس زمان ان يقول قايل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة انزلها الله تعالى
وقد قرانا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده

ولولا ان الناس يقولون زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبت على حاشية الكتاب **واجمعت الامة**
على رجم المحصن اذا زنا الا الخوارج ٥ واما الاحصان في هذا فهو ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما قد تزوج
قبل ذلك نكاحا صحيحا ودخل بزوجته في وقت كانا جميعا فيه على صفة الاحصان وهذا قول ابي حنيفة
ومحمد رضي الله عنهما يعتبران هذه الشرايط السبعة في احصان الزناة واما ابو يوسف رحمه الله فلا يجعل
الاسلام من شرايط الاحصان ولا يشترط كونهما على صفة الاحصان وقت الدخول في النكاح الصحيح
فيجعل الرجل البالغ العاقل المسلم الحر محصنا بالدخول بزوجته الامة والصبية او الكتابية ويجعل الزوجين
الرقيقين محصنين بالدخول في النكاح الذي بينهما اذا اعتقا بعد ذلك وان لم يوجد الدخول في ذلك
النكاح بعد العتق الى ان زنا واحد منهما فهما غير محصنين عنده ٥ **قوله عز وجل** ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله اى رحمة تمنع من اقامة الحد وتخل بمقدار عدده او صفته فانه ليس من
صفة المومنين تضييع حدود الله تعالى وذلك معنى قوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
وليس المعنى ان لا يترحم عليهما لان ذلك لا يدخل في قدرتنا وكل ذي بلاء مرحوم **وقوله**
وليشهد عذابهما طايفة من المومنين اى لتكن اقامة الحد عليهما بحضرة جماعة من المومنين
فيستفيض الخبر بها ويشيع ويبلغ الشاهد الغايب فيرتدع الناس عن مثله ٥ ومن فوايد اقامة الحد
بمحضر الجماعة ان الامام اذا احتاج الى الاعانة اعانوه وان يستحيي المضروب فلا يعود لمثل ذلك الفعل
وان لا ينسب احد من الولاة الى تعطيل الحد بان يقول قد اقمت الحد عليه في السر ولم يكن اقامه فان قيل
لم بدا بذكر الزانية في هذه الاية وبدا بذكر السارق في اية السرقة قيل لان الرجل هو الذي يسرق غالبا
والمراة هي السبب في الزنا غالبا فاخرج الخطاب في الموضعين على الاعم الاغلب فان قيل كيف امر باقامة الحد
بمحضر الجماعة وقد ندب سبحانه الى ستر الفواحش قيل فايدة هذه الاية انه اذا اظهر ذلك الامام لم يعطل
الحد كما روي في الخبر لا ينبغي لوالي حد يوتى بحد من حدود الله الا اقامه **وقوله** الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في قوم من المهاجرين
دخلوا المدينة ولم يكن لهم مسكن فنزلوا صفة المسجد وكانوا يطلبون معايشهم بالنهار ويأوون
الى المسجد بالليل وكان في المدينة بغايا يضربن الرايات على ابوابهن كرايات البياطرة يكتسبن بذلك
فقصدوا ان يتزوجوهن وينزلوا منازلهن وياكلوا من كسبهن فشاوروا النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فنهوا ان يتزوجوهن على ان يخلوهن والزنا والمعنى لا
يرغب في نكاح الزانية الا زان مثلها ونظير هذا قوله تعالى الخبيثات للخبيثين وقد يقع الطيب
الى الخبث ولكن الاعم الاغلب ان يكون ميل الطيب الى الطيب وميل الخبيث الى الخبث **وقوله**
وحرم ذلك على المومنين بيان انه حرم نكاح الزناة بالزناة على المومنين فلا يتزوج بهن الا
زان او مشرك ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى الزنا وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان هذه الاية نزلت في مرثد بن ابي مرثد الغنوي كان قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
وكان يحمل ضعفة المسلمين من مكة الى المدينة خفية وكانت له صديقة في الجاهلية يقال لها
عناق فلقيته بمكة واستضافته فابى عليها وقال ان الاسلام قد حال دون ذلك فسعت به
الى المشركين فهرب الى المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم وشاوره في تزوجها فانزل الله تعالى
هذه الاية في الزانية المشركة وبين ان نكاح المشركة زنا اذ كانت لا تحل له وقرن بين الزنا وبين
الشرك على طريق المبالغة في الزجر عن الزنا حين كان القوم يالفون الزنا الفا شديدا ونظير هذه
الاية قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان وفي هذه اشارة الى ان رغبة
متبعي الهوى تكون في هذه الاشيا وكان يجب بظاهر هذه الاية ان يكون للزاني ان يتزوج المشركة وللمراة

الزانية

الزانية ان تتزوج مشركا ولا خلاف ان ذلك غير جائز وان نكاح المشركات والتزوج من المشركين
منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين **وذهب** بعض المفسرين
الى ان هذا كان حكما في كل زان وزانية حتى نسخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وذهب
الحسن رضي الله عنه الى ان المراد بالاية الزاني المجلود الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية لا ينكح الا زانية
مجلودة مثله وكذلك الزانية المجلودة لا ينكحها الا زانيا مجلودا مثلها ويروى ذلك عن امير المومنين علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه ويروى عنه ايضا ان المراة اذا زنت فرق بينها وبين زوجها **وذهب**
بعضهم الى ان المراد بالنكاح الوطي اي لا يزني الرجل حين يزني الا بزانية مثله وكذلك الزانية لا يزني بها
الا زان يعني اذا طاوع احدهما الاخر فهما سواء في استحقاق الحد وعقاب الاخرة **وقوله** والذين
يرمون المحصنات معناه والذين يقذفون الحراير المسلمات العاقلات البالغات اللواتي احصن فروجهن
بالعفة عن فعل الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء على صحة قذفهم اياهن بالزنا فاجلدوهم بالقذف ثمانين
جلدة وفي ذكر عدد الاربعة من الشهود دليل ان المراد بالاية القذف بصريح الزنا لان هذا العدد من الشهود
لا يشترط الا في الزنا ولا يقبل في ذلك قول النسا على ما روي عن الزهري انه قال مضت السنة من لدن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا تقبل شهادة النسا في الحدود والقصاص ولا خلاف ان الرجل المحصن اذا قذف
بالزنا كان وجوب الحد على قاذفه كوجوبه على قاذف المراة المحصنة **وشرايط** احصان المقذوف خمسة
اشيا في وجوب الحد على قاذفه على ما ذكرناه في معنى هذه الاية ٥ وفي الاية دليل ان من قذف جماعة من
المحصنات لم يضرب الا حدا واحدا واذا كان عبدا فحده النصف مما ذكر الله في هذه الاية كما بينا في حد الزنا
وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا اي ان شهدوا فلا تقبلوا لهم شهادة ابدا وفي نهيه جل
ذكره عن قبول شهادة القاذف بعد عجزه عن اقامة البينة على صحة قذفه دليل ان نفس القذف لا
يوجب بطلان شهادة القاذف حتى يعجز عن اقامة البينة على زنا المقذوف الا ترى ان من قال
لامراته انت طالق ان كلمت فلانا ثم ان لم تدخلي الدار فانها ان كلمت فلانا لم تطلق حتى تترك دخول الدار
الى ان تموت لان في هذا الحد الادبي يكون للمقذوف ان لا يرضى من القاذف بعد قذفه باقامة البينة
فيخرج من مجلس الحاكم **وقوله** فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة الله برميهم اياهن
زورا وكذبا ثم استثنى فقال عز من قائل الا الذين تابوا من بعد ذلك ومعناه الا الذين ندموا
على قذفهم وعزموا على ترك المعاودة واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم فان الله غفور
رحيم بمن مات على التوبة وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذا الاستثنا لا
يرجع الى الشهادة وانما يرجع الى الفسق وقال ان توبته فيما بينه وبين ربه مقبولة واما شهادته فلا تقبل
ابدا وهو قول شريح والحسن وابرهيم والى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله **وذهب** بعض العلما
الى ان هذا الاستثنا راجع الى الفسق والى رد الشهادة قالوا والفايدة في قوله ابدا ان ذكر الابد لكل
انسان مقدار مدته فيما يتصل بصفته كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا لا تقبل شهادته ما دام كافرا
واذا اسلم قبلت وكذلك لا تقبل شهادة القاذف ابدا لا تقبل شهادته ابدا كان معناه ما دام على
القذف واذا تاب عنه فقد زال عنه الابد **واجمعوا** جميعا ان هذا الاستثنا لا يرجع
الى الجلد وذلك يقتضي ان يكون مقصورا على ما يليه وهو الفسق واجمعوا ان المقذوفة
اذا ماتت ولم تطالب بحد القذف ولم يجلد القاذف حد القذف لم تبطل شهادته انه يجوز قبول شهادته
ان على اصلنا ان الحاكم اذا اقام الحد على القاذف فقد حكم بكذبه وابطل حينيذ شهادته في المسلمين
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قصة هلال بن امية حين قذف امراته بشريك بن سحما
الان يجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين وكان ذلك قبل نزول اية اللعان وفي الاية التي بعد نزول هذه

الايه ولم يجعل بطلان الشهاده حكما معلقا بسمة الفسق ولم يجعل حكما على حياله مرتبا على الجلد لبطلت فايدة
قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا من كتاب الله لان كل فاسق لا تقبل شهادته الا بعد توبته عن الفسق
وقوله وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وذلك ان الله
سبحانه وتعالى لما انزل الايه التي قبل هذه في قذف المحصنات وما شرع فيه من الحد على القاذف
جا عاصم بن عدي الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان دخل منا واحد
بيته فوجد رجلا على بطن امراته فان اراد ان يخرج من بيته فيجي باربعة رجال يشهدون
على ذلك قضى الرجل حاجته وخرج وان هو عجل فقتل قتلتموه وان تكلم بذلك جلد تموه وان سكت سكت
على غيظ شديد فقال صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا اراد ان يقول شاهدا فاشار عليه جبريل عليه السلام
بالسكوت فامسك مصلحة لان لا يتسارع احد من الرجال الى قتل ازواجهم فكانوا على هذا ما شا الله
الى ان ابتلي اول من ابتلي بهذه البليه عاصم بن عدي من بين ساير الناس وجا هلال بن امية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ايتني باربعة يشهدون والا فحد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني
لصادق ولينزلن الله في امري ما يبري ظهري عن الجلد فانزل الله تعالى هذه الايه حتى اذا اخبر
الازواج بذلك لم يجلدوا والمعنى والذين يقذفون نساءهم المحصنات بصريح الزنا ولم يكن للقاذفين
شهدا الا هم بانفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا
ويقول له القاضي قم فاشهد اربع شهادات بالله انك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا ويامر
بان يشير اليها بيده لينقطع الاحتمال في اللفظ ويقول له في المرة الخامسة قل ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين فيما قال عليها ويامره ان يشير الى نفسه ويقدم اليه قبل ان يامره بالخامسة ويعظه ويقول له
امسك فانها موجبة اللعنة ان كنت كاذبا فاذا فرغ الزوج من الشهادات الاربع والكلمة
الخامسة قال القاضي للمراة قومي فاشهدي اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما قال عليها ويامرها
ان تشير اليه بيدها ويعظها قبل الخامسة فيقول لها امسكي فانها موجبة فان لم تتعظ قال لها في
الخامسة قولي ان غضب الله عليها ان كان زوجها من الصادقين فيما قال عليها فاذا اتت بذلك
كله وفرغا من اللعان قال القاضي فرقت بينكما فان كان القذف بنفي الزوج ولدها الذي ولدته
عن نسبه امر القاضي الزوج ان يقول اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا في نفي
ولدها هذا وامر المراة ان تقول فيما رماني به من الزنا في نفي ولده هذا فاذا التعنا على هذا الوجه فرق
بينهما والزم الولد امه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في نفي ولد امراة هلال عن هلال والحقه بها
قال سهل بن سعد الساعدي فيما روي عنه شهدت لعان الزوجين عند النبي صلى الله عليه وسلم
فمضت السنة بعد في المتلاعنين ان يفرق بينهما ولا خلاف بين الفقها في ان حكم المتلاعنين ان يفرق
بينهما لكنهم اختلفوا في سبب الفرقة فاصحابنا رحمهم الله لا تقع الفرقة الا بتفريقه حتى اذا اكذب الزوج
نفسه او صدقته المراة رجحها قبل التفريق كان النكاح باقيا بينهما **وقال** زفر ومالك اذا فرغا
من اللعان وقعت الفرقة بينهما للحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا وفي الايه دلالة ان اللعان انما يجري بين الزوجين اذا كانا جميعا من اهل الشهادة
لان الله تعالى ذكر اية اللعان بلفظ الشهادة واستثنى الازواج من جملة الشهداء فاقتضى ان من لا يكون
من اهل الشهاده لا يكون من اهل اللعان الا ترى انه تعالى نفى شهادة المحدود في القذف قبل هذه الايه
فانتفى اللعان عن المحدود في القذف لظاهر القران فاذا صح هذا في المحدود في القذف صح في ساير من ليس
من اهل الشهادة والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لا لعان بين اهل الكفر وبين اهل الاسلام
ولا بين العبد وبين امراته ولا بين المحدود في قذف وبين امراته وعن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المراة

اذا

٣٢٤

165

اذا كانت كتابية او امة مدبرة او مكاتبة او ام ولد لرجل او كانت صبية لم يجب على الزوج بقذفها حد ولا
لعان لان صحة القذف باحصان المقذوف وان كان الزوج عبدا والمراة حرة محصنة لم يجر اللعان بينهما
لان العبد ليس من اهل الشهاده فان صح القذف فيحد حد العبيد في القذف اربعين جلدة لان اللعان تعذر
بمعنى من جهة الزوج فحد كما لو اكذب الزوج نفسه بعد اللعان او قبله لان فسخ شهادات اللعان باكذابه
نفسه وعلى هذا اذا كان الزوج محدودا في القذف والمراة محصنة حد حد القذف ثمانين جلدة وان كانت
المراة محصنة ولكنها محدودة في القذف لم يكن على الزوج حد ولا لعان لان الشهاده قد بطلت لمعنى من
جهة المراة وكانها صدقت زوجها في الزنا ووطيت حراما بعد القذف وان كانوا جميعا محدودين في القذف
فعلى الزوج الحد لان الزوج هو الذي بدايته في اللعان حكم الشرع كما ورد في الشرع واذا امتنع اللعان
بمعنى من جانب الزوج وجب الرجوع الى الاصل وهو الحد الذي شرعه الله تعالى قبل اللعان **وقال الشافعي**
رحمه الله كل من كان من اهل اليمين فهو في النكاح من اهل اللعان واللعان عنده ايمان لا شهادات وان كانت
مختصة بلفظ الشهادة عند الحكام **واما قوله** وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ
شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فمعناه ويدفع الحاكم عنها العذاب بان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماها به من الزنا ويحتمل ان يكون المعنى ان شهادتها تدرا العذاب عنها **ذهب**
الحسن رحمه الله الى ان العذاب هاهنا الحبس وذلك انها اذا امتنعت من اللعان اورث ذلك تهمة الزنا وموضع
التهمة الحبس وبهذا اخذ اصحابنا رحمهم الله فقالوا اي الزوجين امتنع من اللعان حبس حتى يلتعن
او يقر **وذهب بعض العلما** ان المراد بالعذاب في هذه الايه حد الزنا اما الجلد واما الرجم وان لم تحلف
وكانت محصنة رجمت والى هذا ذهب الشافعي فاوجب عليها الرجم بشهادة زوجها العبد او الحر وجعل
شهادات الزوج اربعا في النكاح قايمة مقام الشهود الاربعة في غير النكاح ولا شهادة للعبد في غير
النكاح بالاجماع بينا وبينه والعجب منه انه لا يوجب على المراة حد الزنا بشهادة الزوج الحر مع ثلاثة نفر
من الشهود ثم يوجب عليها الحد بقوله وحده وقال اذا امتنع الزوج من اللعان حد حد القذف
ومن قرا فشهادة احدهم اربع شهادات بنصب العين فمعناه ان يشهد احدهم اربع شهادات بالله ثم قال
والخامسة على معنى والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ومن نصب الخامسة فعلى معنى وان يشهد الخامسة
وقوله وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ محذوف الجواب ومعناه ولولا
فضل الله عليكم لفضحكم بما ترتكبون من الفواحش ولعاجلكم بالعقوبة من غير امهال التوبة ولبين الصادق
من الكاذب وفي الايه دلالة على بطلان قول من يكفر بالذنب لانه لا بد من ان يكون احد المتلاعنين زانيا او كاذبا
فلو كان الذنب يوجب التكفير لكان لصاحبه حكم المرتد وفيها دلالة على ان الزاني والكاذب يستحقان اللعن
قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج بعايشة رضي الله عنها معه في سفره وهي غزوة بني المصطلق فخرجت من الهودج لحاجة لها
فابطات في طلب العقد الذي ضاع عنها فلما رجعت الى الموضع وجدت القوم قد ارتحلوا عنه وكانوا قد حملوا هودجها
على بعيرها على توهم انها فيه وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فمر بها فلما عرفها اناخ لها بعيره حتى
ركبته وقت الظهيرة وجعل يقود البعير حتى لحق الجيش فخاض عبد الله بن ابي وحسان بن ثابت ومسطح
بن اثاثة وحمنة بنت جحش لاسد به في ذلك فانزل الله تعالى هذه الايات في براءة ساحتها مما قذفت به
ومعنى الافك في اللغة هو الكذب سمي بهذا الاسم لكونه مصروفا عن الحق ومنه قوله يوفك عنه من افك وقوله
وقوله لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولابي بكر
لنا فكنا عن الهينا والعصبة الجماعة
ولعايشة رضي الله عنها فيما لحقهم من الحزن والغم الشديد بما اوقعه اهل النفاق في الناس من امر عايشة رضي الله
عنها وصفوان بلغنا كذا وسمعنا كذا وكذا اتقول لا تظنوا هذا الامر شرا لكم بل هو خير لكم بما يكتب لكم من الاجر الذي

في الاخرة على الصبر على هذا الحزن وبما شاء الله من طهارة عايشه رضي الله عنها وبراءتها بايات تتلى في المحاريب
الى يوم القيمه وقوله لكل امرئ منهم اي لكل امرئ من الخايضين في هذا الامر جزاء ما اكتسب من
الاثم والذي تولى كبره اي معظمه وهو عبد الله بن ابي هو الذي بالغ في اشاعة ذلك الحديث وكان
اهل النفاق يجتمعون عنده ويشيعون ذلك بامره له عذاب عظيم يصغر في مقابلته كل عذاب يكون في الدنيا
ومن قرا بضم الكاف فمعناه معنى الاول والكبر والعظم واحد وكان ابو عمرو بن العلا رحمه الله يقول ان
الكبر خطا في هذا الباب وانما يستعمل ذلك في الولا والنسب قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن
المومنون والمومنات بانفسهم خيرا معناه هلا اذ سمعتموه ظن المومنون الذين هم كنفس واحدة
فيما جرى عليها من الامور بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين اي كذب ظاهر بين ونظير هذا قوله
تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وفي الحديث مثل المومنين في تواصلهم وتراحمهم
فيما بينهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى ساير الاعضا بالحمى والسهر وانما ذكر بلفظ الظن وامر
بظن الخير لانه لا يجوز ان يظن باهل الخير الا الخير كما قال سبحانه في سورة الحجرات ان بعض الظن اثم
مع ان الذين كانوا يخوضون في امر عايشه رضي الله عنها لم يكونوا يخبرون عن معاينه ولم يكن قولهم الا
انكالا انها بقيت متخلفة من الجيش وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اكذب
الحديث الظن ثم علم الله المومنين وجه الحكم في القذف فقال جل ذكره لولا جاوا عليه باربعة
شهدا اي هلا جاوا على صدقهم باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله اي في حكم
الله وما جاء من عند الله هم الكاذبون وهذا القول سبب لمن اجرموا صغار عند الله اي ان
عند الله ولو لم يكن في قصة الافك الا معرفة المسلمين باحكام القذف لكان خيرا للمسلمين
ويجوز ان يكون قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون خبرا عن كونهم كاذبين في الباطن والظاهر
ولهذا قيل ان من جوز صدق اوليك في امر عايشه رضي الله عنها صار كافرا بالله تعالى لكونه رادا شهادة الله تعالى
لها بالبراة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا منة الله وانعامه عليكم في
الدنيا والاخرة بتاخير العذاب عنكم وقبول التوبه لمن تاب لمسكم فيما افضتم فيه عذاب فظيع هايل
اذ تلقونه بالسنتكم اي اذ تلقى يرويه بعضكم عن بعض ليشيعه وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم بيان ولا حجة ومن قرا تلقونه بالتخفيف فهو من ولق الكذب يلق اذا استمر على الكذب
وولق فلان في السير اذا استمر فيه وقوله وتحسبونه هينا اي يظنون ذلك امرا هينا وهو
عند الله عظيم في الوزر والعقوبه وقوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا اي هلا قلتم حين سمعتم ذلك لا يحل لنا ان نتكلم بهذا سبحانك اي نبرئها الله تعالى
من ان تكون امراة نبي زانيه هذا بهتان عظيم اي كذب يتحير في عظمه لبطلانه يقال
بهته بهتا وبهتانا اذا اخبر بالكذب عليه والعظيم هو الذي يضعف مقدار غيره عنه
وانما امرهم بالتكذيب لاحد معنيين اما لوجوب حسن الظن بالمسلمين واما لان مثل هذا القول
يزري بالنبي صلى الله عليه وسلم وينفر الناس عن اتباعه وقبول قوله وفي قوله تعالى
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا بيان ان مثل هذا البهتان وقذف المحصنات لا يكون من
صفات المومنين وقوله ويبين الله لكم الايات اي الدلالات الواضحات والله عليم
بمقالة الكاذبين حكيم فيما شرع من الاحكام قوله عز وجل ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا فيه بيان ان العزم على الفسق فسق وان على الانسان ان يحب
للناس ما يحب لنفسه وان يكون في قلبه سلامة للمومنين كما يكون مامورا بكف اللسان والجوارح
ونظير هذا قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا والعذاب الاليم في

في الدنيا هو الحد وفي الاخرة النار ويروى ان مسطحا احد من حده النبي صلى الله عليه وسلم
في قذف الافك وقيل حدوا جميعا يعني قاذفي عايشه رضي الله عنها وقوله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم محذوف الجواب تقديره لعجل لكم العذاب
الذي تستحقونه بمحبتكم اشاعة الفاحشة لان فيما تقدم دليلا على هذا المعنى قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طرق الشياطين ولا تعملوا بنزغه ووسوسته
والاتباع اقتفاء اثر الداعي الى الجهة التي يذهب فيها والفحشاء القبيح من القول والعمل والمنكر الفساد الذي
ينكره العقل لصحته ويزجر عنه ولولا فضل الله عليكم بامره اياكم بما تصيرون به ازكيا ما صار احد منكم زكيا
ولكن الله يطهر وينسب الى الزكا من يشا والله سميع لمقالة الخايضين في امر عايشه وصفوان عليم
ببراءتهما مما قيل عليهما قوله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة اي لا يحلف
ذووا الغنى والسعة منكم ان لا يعطوا ذوي القرابه والمساكين والمهاجرين من مكة الى المدينة نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه حين بلغته مقالة مسطح واصحابه وخوضهم في امر عايشه رضي الله عنها حلف
هو ان لا ينفق عليه دعاه وقال له اغذوك بمالي وتوذيني في ولدي والله لا انفق عليك ابدا وكان
مسطح ابن خالته وكان ممن يتبل في نفقته وكان من المهاجرين البدريين فلما نزلت هذه الايه قراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رضي الله عنه بلى احب ان يغفر لي ربي اطيع ربي وارغم انفي
واحب ان يغفر لي فرد النفقه عليه والايتلا افتعال من الالية وهي اليمين ويقرا ولا يتال من الفعل
قوله عز وجل ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات اي يقذفون العفايف
الغافلات عما قذفن به المصدقات بالله ورسوله عذبوا في الدنيا بالحدود وفي الاخرة بالنار وسميت
عايشه غافلة لانها قذفت بامر لم يخطر ببالها واصابت كل واحد من قاذفيها داهية في الدنيا
اما ابن ابي فقد مات في كفره ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوة عليه واما حسان بن
ثابت فقد دخل على عايشه رضي الله عنها بعد ما ذهب بصره في اخر عمره وانشدها في بيتها
حصان رزان ما تزن بريبة ۞ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ۞ فقالت له انك لست
كذلك فلما خرج من عندها قيل لعايشه رضي الله عنها ان الله تعالى وعدهم بعذاب الدنيا والاخرة
فقالت عايشه رضي الله عنها اليس هو عذاب يتعجز ها بصره وقوله ولهم عذاب عظيم
يوم تشهد عليهم السنتهم وعيد عام في القاذفين تضمن بيان ان جحودهم يوم القيمه
فيما كان منهم في الدنيا لا ينفعهم وانهم اذا جحدوا ختم الله على افواههم وانطق ايديهم
وارجلهم واذا علموا ان الجحود لا ينفعهم رفع الله الختم عن افواههم فيشهدون بجميع ما عملوا
وهذا هو وجه التوفيق بين هذه الايه وبين قوله تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
ويجوز ان تخرج الالسنه ثم يختم على الافواه وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
اي جزاء اعمالهم الواجب ويعلمون يومئذ ان الله هو الحق المبين يقضي بحق وياخذ بحق
ويعطي بحق قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين فيه اقوال احدها ان معناه
الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات
اي لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنسا ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنسا
والثاني ان الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال وان الخبيثين من الرجال للخبيثات من النسا
للمشاكلة التي بينهما كما قلنا في قوله الزاني لا ينكح الا زانيه او مشركة وعلى هذا قيل في الاستنان الزواني
للزناة على التعبد للاول ثم نسخ وفي الايه دليل براءة عايشه رضي الله عنها لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان من اطيب الطيبين فلا تكون له امراة فاجرة بغي قوله عز وجل اولئك مبرؤن مما يقولون

اى الطيبون مبراون مما يقول الخبيثون والمبرا هو المنفى عنه صفة العيب وذكره بلفظ الجمع والمراد
به عائشة وصفوان كما فى قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس **وقوله** لهم مغفرة
اى مغفرة لذنوبهم وثواب حسن فى الجنة بما لحقهم من الاذية **قوله عز وجل** يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم فيه امر بالتحفظ عن الهجوم على ما لا يؤمن من العورات
والى هذا اشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال للرجل الذى قال انى استاذن على اختى قال
ان لم تستاذن رايت منها ما تكره اى ربما تدخل عليها وهى منكشفة فترى منها ما تكره والاستيناس
هو الاستعلام ليعلم من فى الدار وذلك يكون بقرع الباب او التنحنح وخفق النعل تقول العرب اذهب
فاستانس هل ترى احدا ويقول استانست فما رايت احدا ويجوز ان يكون معنى الاستيناس الاستيذان
وقد مضت السنة بالجمع بين الاستيذان والسلام **وروى** ان اعرابيا جاء الى باب دار النبى صلى الله
عليه وسلم فقال ابلج فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه اذهبى فقولى له فليقل السلام عليكم ادخل
فقال ذلك فاذن له فى الدخول **قوله** ذلكم اى الاستيذان خير لكم من الدخول بغير اذن لعلكم
تذكرون لكى تتعظوا فان لم تجدوا فيها احدا يعنى من سكانها فلا تدخلوها الا
ان ياذن صاحبها فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا لعل صاحب الدار لا يرضى ان يقع بصر المستاذن
على احد من حرمه او يخرج اليه احد من قومه فان لم يقل صاحب الدار له ارجع ولكن وجد منه ما
يدل على ذلك وجب الرجوع عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الاستيذان ثلاث فان اذن
والا فليرجع وروى الاستيذان ثلث مرة تستنصتون ومرة تستصلحون ومرة تاذنون او تردون
وقوله هو ازكى لكم اى الرجوع اطهر وانفع لدينكم من الجلوس على ابواب الناس **قوله
عز وجل** ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيه اذن فى الدخول فى المواضع
التى لا يختص بسكناها احد دون احد مثل الخانات والرباطات التى تتخذ للمسافرين يستظلون فيها
من الحر والبرد ويدخل فى هذا احد ما جرت العادة باباحته مثل النوى والخرق الملقاة فى الطريق
ويجوز ان يكون المراد بالبيوت فى هذه الاية حوانيت التجار وقيل المراد بها الخربات يدخلها الرجل لقضا
الحاجة فيفرح بها ماته **قوله** والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اى اعلموا عمل من يعلم
ان الله يعلم ما تبديه وتخفيه فانه يحاسبه على ذلك ويجازيه **قوله** قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم يجوز ان يكون من ها هنا لابتدا الغاية ويجوز ان تكون زائدة معناها التوكيد
اى قل لهم يغضوا ابصارهم عن النظر الى ما لا يحل لهم ويحفظوا فروجهم عن الحرام ذلك ازكى لهم
اى اطهر لهم ان الله خبير اى عالم بما يصنعه العباد **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعلى كرم الله وجهه انى احب لك ما احب لنفسى واكره لك ما اكره لنفسى لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى وعليك الثانية وكان عليه السلام يقول لاصحابه اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة
وكفى بها لصاحبها فتنة **قوله عز وجل** وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن معناه
وقل للمصدقات بالله يغضضن ابصارهن ويحفظن فروجهن عن الحرام ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها اى لا يظهرن مواضع زينتهن الا ما ظهر من مواضع الزينة والزينة
زينتان ظاهرة وباطنة فالباطنة هى المخانق والمعاضد والقلادة والخلخال والسوار والقرط ه
واما الزينة الظاهرة فعلى قول ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب ليس على المراة بحكم هذه الاية
ستر وجهها وكفيها فى الصلوة وفى غير الصلوة ويجوز للاجانب من الرجال النظر الى وجهها وكفيها
لغير الشهوة واما النظرة مع الشهوة فلا يجوز الا فى اربعة مواضع اذا اراد ان يتزوج امراة او يشترى
جارية او يتحمل الشهادة لها او عليها والقاضى يقضى لها او عليها **وعن** ابن مسعود رضى الله عنه ان

الزينة

الزينة الظاهرة هى الجلباب والملاءة وانما ابيح النظر للاجنبى الى وجهها وكفيها وظاهر ثيابها لانها تضطر
الى الخروج فى حوائجها والى الاخذ والاعطاء وربما يكون الشى الذى تاخذ بحيث لا يمكن تناوله بالكمين
وعن الحسن وابن سيرين انهما قالا كن النساء يخرجن متنقبات لا يرى منهن الا نصف عين واحدة
فاذا انتهين الى الرجال وقفن **وقوله** وليضربن بخمرهن على جيوبهن امرهن بتخمير صدورهن
بالخمر المعطوفة على الرؤوس المراد به الاعناق والنحور كيلا يطلع عليهن الرجال فيفتتنوا بهن لان المراة
اذا اسدلت خمارها انكشف ما قدامها وما خلفها فيقع الاطلاع عليها **وقوله** ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن اراد به مواضع الزينة الباطنة لا نفس الزينة لان نفس الزينة حلى وثياب ابريسم يتناولها
الرجال فى ايديهم فالمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة التى تكون تحت خمرهن الا لازواجهن او ابائهن او اباء
ازواجهن او ابنائهن او ابناء ازواجهن او اخوانهن فى النسب او الرضاع او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن
وكل ذى رحم محرم منها او نسائهن قيل ان المراد نساء اهل دينهن وهن المسلمات ولا يحل لمسلمة ان تنكشف
ليهودية او نصرانية او مجوسية وحرمة الدين كحرمة النسب وقيل ان المراد به العفائف الحرائر اللواتى
يكن اشكالهن لا ينبغى للمراة الصالحة ان تنظر اليها المراة الفاجرة لانها تصفها عند الرجال **قوله عز
وجل** او ما ملكت ايمانهن فقد ذهبت فيه عائشة رضى الله عنها الى ان المراد به العبيد فجعلت
عبد المراة محرما لها وكان سعيد بن المسيب يقول لا يغرنكم قوله او ما ملكت ايمانهن فانها نزلت فى الاماء دون
العبيد وعن مجاهد مثل ذلك كانهما ذهبا الى ان المراد بقوله او نسائهن الحرائر كما فى قوله للذين
يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر والمراد بقوله او ما ملكت ايمانهن الاماء والولايد والصغار
من الذكور من المماليك وفى الاية ما يدل على هذا القول وهو قوله او التابعين غير اولى الاربة من الرجال
وهذا كقوله تعالى الا على ازواجهم وما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فانه مطلق اللفظ مخصوص
المعنى لان الامة التى تكون تحت مولاها من الرضاع لا تحل له ويحرم المراة من لا يحل له مناكحتها ابدا
وليس العبد كذلك فانه اذا اعتق حل له ان يتزوجها **فاما قوله تعالى** او التابعين غير
اولى الاربة من الرجال فهم الذين يتبعون الناس لاجل الطعام الذين لا حاجة لهم فى
النكاح وانما يخدمون القوم لينالوا من طعامهم والاربة فعلة من الارب وهو الحاجة كالمشية من
المشى والجلسة من الجلوس قال الحسن هم قوم طبعوا على غير شهوة اذ لا يشتهون ولا يعرفون
ما يشتهى من النساء ويقال اراد به الخصيان الذين جف ماؤهم والشيوخ الكبار والعنين
واما الخصى الذى لم يجف ماؤه فهو من اولى الاربة كما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت
ان الخصاء مثلة وانها لا تحل له ما حرم على غيره **وقوله** او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء اريد به الصغير الذى لا رغبة له فى النساء ولم يبلغ مبلغا يطيق اتيان النساء يقال ظهر
فلان على فلان اذا اقوى عليه وقد يذكر الطفل بمعنى الجماعة يقال صبى طفل وصبية طفل وصبيان طفل
واما الصبى الذى يكون له رغبة فى النساء فحكمه حكم البالغ فى هذا كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
فى الصبيان مروهم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم فى
المضاجع **وفى قوله** ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن روى عن الحسن انه
قال كانت المراة تمر على المجلس وعليها الخلخال فتضرب احدى رجليها الاخرى ليعلم القوم ان
عليها الخلخال فنهين عن ذلك لان ذلك مما يحرك الشهوة وهذا لان اسماع صوت الزينة بمنزلة ابداء
الزينة وفى هذا دليل ان صوت المراة عورة لان صوت خلخالها اقل من صوتها واما ما سوى مواضع
الزينة فلا يحل النظر اليه لغير الزوج بدلالة قوله الذين يظهرون منكم من نسائهم الاية فلو كان للابن
النظر الى موضع ظهر الام لكان التشبيه بظهر الام لا يوجب التحريم واذا ثبت هذا فى الظهر ثبت فى امثاله من البطن

والجب والجحد وغير ذلك **قوله عز وجل** وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا معناه وارجعوا الى الله بالتوبه من الخصال
المذمومة لتكونوا على رجا الفلاح وفي الايه دليل ان ارتكاب ما تضمنته الايه من المعاصي لا يوجب الكفر فلا
يزيل اسم الايمان **قوله عز وجل** وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ اى زوجوهم والايم اسم للمراه التي لا زوج لها
وللرجل الذي لا امراة له يقال رجل ايم وامراه ايم كما يقال رجل بكر وامراة بكر ورجل ثيب وامراة ثيب
قال الشاعر فان تنكحي انكح وان تتايمي مدا الدهر ما لم تنكحي اتايم ٥ فوصف نفسه بالتايم
ويقال الايم في النسا كالعزب في الرجال والامر في تزويج الايامى امر فرض ان اردن من اوليائهن تزويجهن
من الاكفا فان امتنع الاوليا بعد حضور الاكفا صاروا عاضلين وناب القاضي منابهم في التزويج ولا
خلاف بين اهل العلم ان المراة اذا امتنعت من التزويج لم يكن لوليها ان يجبرها عليه وانما قاله الشافعي في
البكر البالغة ان لابيها ثم لجدها اي ابيها ان يجبرها على النكاح وينفذ عقده عليها بغير رضاها **وقوله**
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ خطاب للموالي بتزويج العبيد والاما وهو امر ترغيب واستحباب
وفايدة ذكر الصالحين ان المقصود من النكاح العفاف والصالح هو الذي يتعفف دون المفسد وفي قوله
إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ حث على النكاح بان لا يمتنعوا منه بسبب الفقر فان الله هو المغني
والغني على وجهين غنى المال وغنى النفس وهذا الثاني انفع الحالين كما روي في الحديث الغنى غنى النفس
وقوله وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اى واسع الفضل والعطية عليم بمن هو اهل لذلك فانه جل ذكره
اعلم بمن يصلح له الغنى وهو اعلم بمن لا يصلح له الا الفقر **وقوله** وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ نِكَاحًا معناه وليتعفف الذين لا يجدون سعة النكاح ولا يجدون الشي الذي ينكحون به من
مهر ونفقه حتى يمكنهم الله من الوطء اما بملك اليمين او بملك النكاح وفي هذا بيان انه لا عذر لاحد في السفاح
ويقال للشي الذي ينكح به نكاح كما يقال لما يلتحف به لحاف ولما يلبس لباس **وقوله** وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ معناه الذين يطلبون الكتابه من عبيدكم وامايكم فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا رشدا
وصلاحا وقدرة على الكسب ورغبة في الكتابه وهذا امر استحباب في العبد الذي يقدر على الاكتساب ويرغب
في الكتابه واما من لا يقدر على الكسب او لا يرغب في الكتابه فلا تكون في كتابته الا قطع حق المولى عن نفسه من
غير نفع يرجع اليه والكتاب والكتابه والمكاتبه بمعنى واحد كالقتال والمقاتله ومعنى المكاتبه ان يكاتب
مملوكه على مال يسلمه المملوك اليه نجوما فيعتق باداية وولاوه لمولاه الذي كاتبه وان كانت الكتابة على مال
حال جاز عند اصحابنا رحمهم الله وان عجز المكاتب عن المال كله او بعضه بعد حلول ذلك عليه رده المولى
الى الرق **قوله تعالى** وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ اختلفوا في معناه روي عن علي رضي الله عنه
انه قال يحط عن المكاتب ربع مال الكتابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يحط عنه شي وعن
عبد الله بن زيد الانصاري انه قال هذا خطاب للايمه ان يسلموا الى المكاتبين ما فرض الله لهم في قوله
وفي الرقاب في ايه انما الصدقات وهذا اقرب الى ظاهر الايه لان في الايه اضافة المال الى الله تعالى والايتا
في اللغة هو الاعطا دون الحط وعن الحسن انه قال هذا خطاب للموالي ان يتصدقوا على المكاتب بصدقة التطوع
قبل ادا مال الكتابه وبالواجب بعد ادا مال الكتابة **قوله تعالى** وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الايه في عبد الله بن ابي ابن سلول كانت له جواري
حسان مسيكه واميمه ومعاذه كان يكرههن على الزنا ليكتسبن له بالفجور وكذلك كان اهل
الجاهليه يصنعون فاتت الجواري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون له ذلك ويشكون
اليه فانزل الله تعالى هذه الايه **وقوله** إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا كلام خرج على وفق الحال لا على
سبيل الشرط وهو يتضمن تغليظ الحال على معنى ان الاثم في اكراههن على الزنا اعظم ونظير هذا
قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ويجوز ان ينوي التمام عند قوله على البغا ثم يبتدي بالشرط

على طريق اضمار الجواب له من غير تعلق بما قبله اي ان اردن تحصنا فقد اصبن ومثله ما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشه رضي الله عنها اذ فيني فقالت اني حايض فقال صلى الله عليه وسلم
وان ولم يزد على ذلك واراد بذلك وان كنت حايضا فلا باس بذلك **وقوله** وَمَن يُكْرِههُّنَّ
معناه من يجبرهن على الزنا ولم تقدر المكرهة على الدفع عن نفسها بوجه من الوجوه لم تخرج بفعل
المكره وان كانت لو صبرت على الامتناع حتى قتلت كان اعظم لاجرها وان كانت لو قتلت المكرهة
دفعا عن نفسها كان لها ذلك ويجوز ان يكون التوبه مضمرة في هذه الايه على معنى فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن
تاب رَّحِيمٌ بمن مات على التوبه والاكراه على الزنا ومعنى الاكراه على كلمة الكفر يرخص للمكره على الكفر
اجرا كلمة الكفر على اللسان بعد ان يكون قلبه مطمينا بالايمان ولو قتل المكره دفعا كان له ان يدرا او لو صبر
اذا لم يقدر على دفعه حتى قتل كان اعظم لاجره والحق في كل واحد من هذين البابين لله تعالى على
الخلوص **قوله عز وجل** وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ اى انزلنا اليكم القران ايات
ظاهرات واضحات لتعملوا بها وانزلنا فيها مثلا من الذين خلوا من قبلكم اى خبرا من اخبار الذين مضوا
من قبلكم لتعتبروا وموعظة للمتقين عن الشرك والفواحش وحقيقة الموعظة الدعا الى الحسن
والزجر عن القبيح وفايده تخصيص المتقين بيان ان منفعة الموعظة راجعة اليهم **وقوله**
اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في معناه
الله هادي اهل السموات واهل الارض بالايات المبينات يعني انها يهتدى بها كما يهتدى بالنور
فكنى بالنور عن الهدى وانما قال ذلك لان العقول دالة على ان الله سبحانه لا يجوز ان يكون نورا
بل هو خالق الانوار وفي قوله مَثَلُ نُورِهِ باضافة النور اليه دليل ان المراد بالنور الهدى ولولا
ان النور غيره لما شبهه بالمصباح في المشكاه لانه تعالى ليس كمثله شي وهذا الوصف يمنع من ان يكون
بصفة النور الذي يكون في مكان واحد دون مكان ولو كان في الحقيقة نورا لعقول المشبهة لما جاز ان
توجد الارض مظلمة في حال من الاحوال لانه تعالى نورها وهو موجود على كل حال وقال الحسن رحمه الله في معنى
الايه الله نور السموات والارض بالشمس والقمر والنجوم وهذا كما يقال فلان رحمه وفلان سخطه اى منه
تكون الرحمة ومنه تكون السخطه ويقال في معنى الايه الله مدبر امور السموات والارض بالحكم البالغة والحجج النيرة
كما يقال للصدر العالم الذي يدور امر البلد عليه فلان نور البلد اى تجري امور البلد على بديه ولا
يفعل ما يفعل الا بالحكمة وفي قوله مثل نوره كَمِشْكَاةٍ تشبيه نور الهدى في قلب المومن بالنور
الذي يدرك بالابصار والمشكاه في لغة الحبشة كوة غير نافذة والمصباح هو السراج في القنديل
من الزجاجة الصافية التي تتضاعف فيها نور السراج حتى يظهر فيها ما يقابله **وقوله** الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تشبيه القنديل الذي يكون فيه السراج بالكوكب الذي يكون كالدرة البيضا
يقرا قوله دري بضم الدال وكسر الرا على النسبة الى الدر في صفايه وحسنه ويقرا بكسر الدال مع الهمز
وبغير الهمز فاذا لم يهمز فهو كذلك فاذا همزت وكسرت الدال فهو من النجوم الدراري من درا يدرا
اذا دفع فكانه من تلالوه يدرا ابصار الناظرين اليه ويقال كانه رجم به الشيطان فدرا اى دفعه
بسرعة الدفع في الانقضاض وذلك اضوا ما يكون واما من ضم قوله دري فهو غير معروف عند اهل
العربيه وليس في الكلام فعيل **قوله** يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ فيه ثلث قرات يوقد باليا وهو راجع
الى المصباح وتوقد بضم التا وهو راجع الى المشكاه وتوقد بفتح التا وضم الدال بمعنى تتوقد بمعنى
المستقبل وتوقد بفتح التا والواو والدال المشددا بمعنى الماضي من شجرة مُّبَارَكَةٍ اى من دهن شجرة
مباركة زَيْتُونَةٍ وهي شجرة الزيتون بورك لاهلها فيها وليس في الشجر شي يورق غصنه من اوله الى اخره
مثل الزيتون والرمان **وقوله** لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ اى ليست بشرقيه تشرق عليها الشمس فقط من

دون ان تغرب عليها ولا غربيه بغروبها عليها فقط بل هي شرقيه غربيه تاخذها حقها من الامرين
جميعا لخواني يكون على تل من الارض تقع عليها الشمس في جميع النهار واذا كانت الشجرة على هذه الصفة
كان انضر لها واجود لزيتها واتم لنباتها وانضح لثمرها وهذا كما يقال فلان لا مسافر ولا مقيم اذا كان
يسافر ويقيم جميعا وقال الحسن رحمه الله اريد بهذه الشجره شجرة في الجنه لان اشجار الدنيا لا تخلوا اما
ان تكون شرقيه او غربيه **وقوله** يكاد زيتها يضيء معناه يكاد زيت الشجره يشرق ويتلالا من ورا
القشر من صفوته وان لم تصبه نار فكيف اذا استصبح به **وقوله تعالى** نور على نور
يريد به نور السراج ونور الزجاج ونور الكوكب ونور الدهن فكما ان الزيت والسراج والزجاج والكوكب
نور على نور في مشكاه لا تستغرق شعاع السراج فيها فكذلك الايمان في قلب المومن نور على نور فان المعرفه في
قلبه نور وصدره نور وسمعه نور وبصره نور وكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور
اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا قال صدق واذا حكم عدل فهو يتقلب في الانوار ومصيره الى نور يوم
القيمة كما قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويقال المراد بالمشكاة قصبة القنديل وهي العمود
الذي تكون في وسطه وهي التي توضع فيها الفتيله المروّاه بالدهن يستصبح بها وتلك القصبة نظير
الكوة فيها المصباح وقيل في تشبيه القلب بالزجاجة ان ما في الزجاجة يرى من خارجها فكذلك ما في
القلوب يتبين في الظاهر ويتبين في الاعمال وكما ان الزجاجة اسرع الى الكسر بادنى افة تصيبها
كذلك القلب يفسد بادنى افة تدخله **وقوله** يهدي الله لنوره من يشاء دليل ان المراد بالنور
الادلة لان النور الذي يشاهد لا يحتاج فيه الى الهداية والمعنى يوفق الله للاسلام ويدل بادلته من يشاء
ليعرفوا بذلك امر دينهم **وقوله تعالى** ويضرب الله الامثال للناس اي يضرب الله الاشباه
للناس في القران كما شبه المعرفة في قلب المومن وصدره بالمصباح في الزجاجة في المشكاة والله بكل
شيء من مصالح العباد عليم وعن الضحاك في قوله مثل نوره تشبيه عبد المطلب جد نبينا
صلى الله عليه وسلم بالكوة فيها القنديل من الزجاج والقنديل هو عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم
وشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح يعني من اصلابهما فكانه كوكب دري توقد من شجرة مباركة
يعني ورث النبوة من ابرهيم عليه السلام وهو الشجرة المباركة وقوله زيتونه اي حنيفيه لا شرقية
ولا غربيه لا نصرانيه ولا يهوديه يكاد زيتها يضيء اي كاد ابرهيم عليه السلام يتكلم بالوحي قبل ان يوحى
اليه حيث راى الكوكب والشمس والقمر ومن استحسن هذا التاويل من استدل عليه بان الله تعالى
سمى النبي صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا **قوله عز وجل** في بيوت اذن الله ان ترفع
راجع الى المشكاه ويقال الى المصباح ويقال الى قوله توقد والبيوت ها هنا هي المساجد اذن الله في
رفع بنايها كما قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت ويستدل من هذه الايه انه
لا يرفع شي من الابنيه فوق الحاجة غير المساجد التي يصلي فيها المومنون ويستضي بنورها ذا يليها
العابدون وقال الحسن معنى ان ترفع تعظم وتصان عن الانجاس واللغو من الافعال كانه ذهب
الى ان هذا اللفظ اريد به الرفعة وفي الحديث المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جنبوا
مساجدكم صبيانكم وبيعكم وشراكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم وجمروها في الجمع وعلقوا على
ابوابها المطاهر **وقوله** يسبح له فيها اي يصلي له فيها بالغدو صلوات الغداة والاصال
يعني العشيات والاصيل ما بين العصر الى الليل وجمعه اصل ثم اصال ثم اصايل جمع الجمع وهو
اصل الليل ينشا عنه وتسمى الصلوات سبحا لاختصاصها بالتسبيح ويجوز ان يكون المراد
بالتسبيح في هذه الايه حقيقة التسبيح **وقوله** رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع اي يسبح
فيها رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن طاعة الله وعن اقامة الصلوات في تلك البيوت وعن اعطا

الزكوة ويخافون يوما اي يفعلون ذلك خوفا من يوم ترجف فيه القلوب وتدور الحدق
والابصار حالا بعد حال من الفزع والخوف رجاان يجزيهم الله باحسن ما عملوا في دار الدنيا
ويزيدهم من فضله بغير استحقاق والله يرزق من يشا بغير حصر ولا نهاية ويقرا
يسبح بفتح البا على ما لم يسم فاعله فيكون رفع رجال تفسيرا لما لم يسم فاعله كانه لما قيل
يسبح له فيها قيل من يسبح فقيل يسبح رجال **وقوله** والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة معناه والذين جحدوا توحيد الله والقران مثل اعمالهم التي تكون من
المومنين عبادة احبطوها بكفرهم كسراب بارض مستوية ملسا يظنه العطشان ما يرجو
به النجاه حتى اذا جا ذلك السراب ليشرب فيجيء ويبتغي لم يجده ما راى ارضا لا ما فيها فيياس
ويتحير كذلك الكافر عمله يياس في الاخرة من عمله الذي كان يعمله ويعتقده برا ينقطع عنه
طمعه عند شدة حاجته اليه ثم يجد ضد ذلك من العقاب كما قال جل ذكره ووجد الله عنده اي
وجد وجود من يستعد لحسابه فوفيه جزا عمله عنه وهذا كما يقال رايت الله يقول كذا وكما روي في
الحديث عن عمرو بن العاص حين تيمم للجنابة في السفر فقال كانت الغداة باردة فخشيت اني
لو اغتسلت لمت ووجدت الله تعالى يقول ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه فتيممت وصليت بالناس
وهذا هو معنى قوله ووجد الله عنده اي علم واستيقن بوجود جزا الله له فوفاه الله عنده
جزا عمله والحساب ان ياخذ مالك ويعطي ما عليك والسراب ما يتراءى للعين وقت الضحى في الفلوات
من سراب يشبه الما الجاري وليس بما لكن الذي يراه من بعيد يظنه ما جاريا وسمي بهذا
الاسم لانه ينسرب اي يجري كالما والقيعه جمع القاع نحو جار وجيرة وجيران **وقوله** والله
سريع الحساب اي اذا حاسب فحسابه سريع كلمح البصر او اقرب منه وذلك انه تعالى لا يتكلم بالة
حتى يشغله سمع عن سمع وسئل امير المومنين علي رضي الله عنه كيف تحاسبهم في حالة واحدة
فقال كما يرزقهم في حالة واحدة **وقوله** او كظلمات في بحر لجي تخيير في المثل والمعنى ان
مثل اعمالهم في الدنيا ومثل قلوبهم في حيرتهم في الدنيا كمثل ظلمات في بحر عميق كثير الماء
يعلوه موج من فوق ذلك الموج موج من فوق الموج الاعلى سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اراد به ظلمة البحر في موضع الخطر وظلمة الموج الادنا والاعلى وظلمة السحاب وظلمة الليل اذا
اخرج يده في هذه الظلمات لم يرها ولم يقارب ان يراها فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى
من سده ظلمة قلبه فقلبه ظلمة وما له في القيمة الى ظلمة كما قال تعالى ارجعوا وراكم
فالتمسوا نورا ومن لم يجعل الله له نورا في الدنيا والاخرة فما له من نور **قوله** الم تر ان الله
يسبح له من في السموات والارض من العقلا وغيرهم وكنى عن الجميع بكلمة من تغليبا
للعقلا على غيرهم ويقال اراد بالاية العقلا وهذا عموم اريد به الخصوص في اهل الارض وهم
المومنون **وقوله** والطير صافات معناه ويسبح له الطير باسطات اجنحتهن
في الهوا والصف في اللغة هو البسط وسمي القديد صفيفا لانه يبسط **وقوله** كل قد
علم صلوته وتسبيحه معناه كل من هولاء قد علم الله صلوته وتسبيحه ويجوز ان يكون
المعنى كل من هولا قد علم صلوة نفسه وتسبيح نفسه والله عليم بما يفعلون من الطاعة
وغيرها ولله ملك السموات والارض الملك القدير الواسع لمن يملك السياسه والتدبير
والملك التام لا يصح الا لله عز وجل **وقوله** الم تر ان الله يزجي سحابا اي ينشي ويسوق
سحابا قطعا قطعا والسحاب جمع واحده سحابه **وقوله** ثم يولف بينه اي يضم بعض
جميعه الى بعض وقد يقال بينه لكثرته كما يقال كنت ادور بين البلد **وقوله** ثم يجعله

اى متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ اى من وسطه واثنائه
والخلال جمع الخلل مثل الجبال والجبل وقوله تعالى وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا
مِنْ بَرَدٍ كان عمر رضى الله عنه يقول جبال السما اكثر من جبال الارض ويقال فى معناه منزل مثال
جبال من برد كقول العرب عند فلان جبال مال يريدون به كثرة المال وحرف من فى قوله من
السما لابتدا الغايه ومن الثانيه للتبعيض ومن الثالثه للتجنيس كما يقول عندى خاتم من حديد
اى حديد وقوله فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ اى يصيب بالبرد من يشا ويصرف ضرره عمن يشا
يكاد سنا البرق ولمعانه يذهب بالابصار لان من نظر الى البرق خيف عليه ذهاب البصر
وفى الايه دليل على فساد قول من يقول ان البرد يجمد فى الهوا فيصيب به من يشا قوله عز وجل
يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اى يقلبهما فى الذهاب والمجى والزياده والنقصان ان فى ذلك اي فيما ذكر
لعظة لذوى العقول من الناس يقال فلان صاحب بصر اى صاحب عقل وليس لفلان بصر بهذا الامر اى لا
علم له به وفى بعض التفاسير ان الله تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال ثم يصب الما
على السحاب صبا فينزل من السحاب قطره قطرة ليكون اقرب الى النفع وانفى للضرر قوله عز وجل
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ اى من النطفه من ما الذكر والانثى والخلق من الما اعجب لانه
ليس شى الا وهو اشد طوعا من الما لان الما لا يمكن امساكه بيد ولا ان يبنى عليه او يتخذ منه شى
والدابه اسم لكل حيوان من مميز وغيره ولذلك قال فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ لتغليب العقلا
ولو كان الاسم لما لا يميز لقيل فمنها ما يمشى على بطنه والذى يمشى على بطنه الحية والسمك والمشى
حركة انتقال من مرور وسعى ودبيب حتى يقال مشى الامر على كذا ومشت القضيه بكذا والذي
يمشى على رجلين الانسان وشبهه والذى يمشى على اربع البهايم والسباع يخلق الله ما يشا كما يشا ان الله
على كل شى من تخليق الخلايق وغير ذلك قادر خلق الما اولا ثم جعل بعضه طينا فخلق منه ادم عليه
السلام وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه نورا فخلق منه الملايكه واصل الجميع
يرجع الى الما وقوله لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ اى فى احكام الدين والدنيا والله يهدى اى
يرشد لمعرفته من يشا الى طريق قايم يرضاه الله وهو الاسلام يدل المكلفين على ذلك ويقال
يهدى الى الجنه والى الثواب من يشا ويقال يهدى الى هداه من يشا الهدى وقوله وَيَقُولُونَ
آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا روى فى سبب نزول هذه الايه ان عليا باع من عثمان رضى الله
عنهما ارضا بالمدينه كان لا ينالها الما فجا قوم عثمن فندموه على ما صنع وقالوا له لا تذهب فى
خصومتك مع على الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يحكم له فلم يقبل عثمن قولهم وتخاصما الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لعلى عليه وابى قوم عثمن الرضا بقضايه وفى قوله وما اولئك بالمومنين
بيان ان المنافق لا يكون مومنا وقوله وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
اى الى حكم الله وحكم رسوله اذا طايفه منهم معرضون عن الكتاب والسنه وان يكن لهم الحق
اى القضا على غيرهم ياتوا الى النبى صلى الله عليه وسلم مذعنين والاذعان الاقرار بالحق مع الانقياد
له وانما جا قوله أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ على لفظ الاستفهام لان ذلك يكون اشد من الذم
والتوبيخ كما جا فى المبالغه فى المدح ٥ الستم خير من ركب المطايا ٥ واندى العالمين بطون راح ٥
وفى قوله إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ الى اخر الايه ٥ مدحة عثمن
رضى الله عنه اذ قال لعلى بل انا اجى معك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قضى بيننا رضيت به
والفوز اخذ الحظ الجزيل من الخير وتسمى المهلكه مفازه على التفاول كانه قيل منجاة فلما نزلت هذه الايات
اقبل عثمن رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن

شئت لاخرجن من ارضى كلها ولا دفعتها اليه فانزل الله تعالى قوله وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ اى بالغوا فى القسم بالله لئن امرتهم ليخرجن من اموالهم كلها
قل لا تقسموا وقوله طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ خبر ابتدا محذوف المعنى هذا القول منكم بغير القسم
طاعه حسنه ومن ذهب الى ان هذه الايات كلها نزلت فى المنافقين قال انهم كانوا يحلفون لئن
امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج الى الجهاد ليخرجن ولم يكن فى عزمهم الخروج فقيل لهم لا تقسموا طاعه
معروفه امثل من قسمكم بما لا تصدقون ويجوز ان يكون معنى طاعه معروفه هذه طاعة معروفة منكم
بالقول دون الاعتقاد فانكم تكذبون واكد من ايد هذا القول بقوله فى اخر هذه الايه إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ فان هذا فى الظاهر جرى مجرى الوعيد وقوله قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ الى اخر الايه ظاهر المراد ومعنى فان تولوا تتولوا حذف احدى التايين وقوله
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ روى عن ابى العاليه انه قال نزلت هذه الايه
فى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اقاموا بمكة مدة قبل الهجره لم يمكنهم اظهار الاسلام ولا امكنهم القتال
ولا اذن لهم فيه وكذلك بعد ما هاجروا الى المدينه كانوا لا يظهرون الاسلام مدة حتى ان الرجل منهم
كان لا يمشى الا مع السلاح فجا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اما ياتى علينا
ابدا فانزل الله تعالى هذه الايه والمعنى ليورثنهم ارض المشركين من العرب والعجم كما استخلف
بنى اسرايل بارض مصر والشام بعد اهلاك الجبابره بان اورثهم ارضهم وديارهم وجعلهم سكانا
وملوكا وقوله تعالى يعبدوننى يجوز ان يكون خبرا مستانفا بانهم يعبدون الله ولا يشركون
به ويجوز ان يكون فى موضع نصب على الحال اى لافعلن ذلك فى حال عبادتهم ٥ وفى الايه دلالة صحة نبوة
النبى صلى الله عليه وسلم وامامة الخلفا الاربعه رضى الله عنهم لان الله تعالى قد استخلفهم فى الارض
ومكن لهم كما جا الوعد فعلوا كما اخبر الله عز وجل عنهم فالوا واما معويه فلم يكن من جمله المومنين
فى ذلك الوقت وقوله وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ وعيد لمن جحد الايمان بعد قيام الحجة عليه والفاسق
ها هنا هو الخارج الى اقبح وجوه الكفر قوله عز وجل وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ الى
اخر الايه ظاهر المراد لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ اى لا تظنهم يا محمد
فايتين من عذاب الله والاعجاز المنع من الفعل بالعجز وهو ها هنا ما ذكرناه ومن قرا لا يحسبن باليا
فهو على حذف المفعول الاول على معنى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين قوله يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ الايه روى فى سبب نزول هذه الايه
ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى
ظهيره ليدعوه اليه فانطلق الغلام اليه فوجده نايما قد اغلق عليه الباب فسال الغلام عنه فاخبر
انه فى هذا البيت ودفع الغلام الباب فاستيقظ عمر فوقع بصر الغلام على ما لا ينبغى ان يراه فخجل الغلام
وخجل عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه وددت ان الله تعالى ينهى عبيدنا وخدمنا ان يدخلوا
علينا فى هذه الاوقات الا باذن ثم ذهب الغلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد النبى صلى الله
عليه وسلم يقرا هذه الايه فجعل عمر رضى الله عنه يتعجب ويحمد الله تعالى على ذلك فقال صلى الله
عليه وسلم يا عمر وما ذاك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام عندك فاساله فساله كيف
اتاه فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل الغلام وقال له ممن انت يا غلام وما اسمك
فقال اسمى مدلج وانا من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت مدلج تلج فى طاعة الله
وطاعة رسوله وانت ممن يلج الجنة لئن كنت استحييت من عمر فانك لمن قوم شديد حياوهم رفقا فى
امرهم نسبق صغيرهم كبيرهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الله تعالى

يحب الحليم الحيي المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعنى الايه ليستاذنكم عبيدكم واماوكم والذين لم يبلغوا الحلم من صغار اولادكم من الاحرار في الدخول عليكم في ثلثه اوقات من الليل والنهار يكون الغالب فيها كشف العورات ثم بين الاوقات الثلثه فقال من قبل صلوة الفجر اي من قبل صلوة الغداة وهو وقت القيام من المضاجع والتهيؤ للصلوة بالطهارة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهو وقت القيلوله ومن بعد صلوة العشا اراد به بعد العشا الاخره وهذه الاوقات الثلثه ثلث عورات لكم لان الانسان يضع ثيابه فيها في العادة وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي لا حرج عليكم ولا عليهم في ان لا يستاذنوا في غير هذه الاوقات الثلاثه طوافون عليكم اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات الدلالات والاحكام في امر الاستيذان والله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم من الاستيذان في حجم البيت في هذه الاوقات الثلاثه وقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا معناه فاذا بلغ الاطفال من احراركم وعبيدكم اوان الحلم فليستاذنوا في عموم الاحوال كما استاذن المذكورون من قبلهم على ما بينه الله تعالى في كتابه حتى يستانسوا ويسلموا على اهلها فليس للعبد البالغ ان يدخل منزل مولاه ولا للولد البالغ ان يدخل على امه وعلى ذات محرم منه في كل وقت الا باذن كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم وقوله والقواعد من النسا اللاتي معناه والعجايز من النسا اللاتي قعدن عن الحيض ولا يردن النكاح لكبرهن فليس عليهن حرج في ان يضعن ثيابهن من غير ان يظهرن ما عليهن من الزينه اراد بالثياب الملاة وان يستعففن ولا يضعن الملاة خير لهن من ان يضعن والله سميع لمقالة العباد عليم باعمالهم يقال امراة قاعد اذا قعدت عن الحيض فاذا قيل قاعدة بالها اريد به جالسة والجمع فيهما جميعا قواعد وعلى الشابة من الستر اكثر مما على العجوز وان كان لا يجوز للعجوز ان تبدي عورة لغير محرم من نحو شعر او ساق او ذراع ويروى ان امراة مدت يدها الى ابرهيم النخعي فقال اكشفي عن وجهك فكشفت عن وجهها فاذا هي عجوز فصافحها قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج وذلك انه لما نزل قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم تحرج الناس عن مواكلة بعضهم بعضا مخافة الظلم وتحرجوا عن الاكل مع هولا الضعفا مخافة ان يزيدوا عليهم في الاكل وكان الضعفا يتحرجون عن الاكل مع غيرهم مخافة ان يوجد منهم ما ينفر غيرهم عنهم وكان الناس اذا خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو خلفوا في منازلهم اصحاب العذر ليحفظوا اموالهم فكان اصحاب العذر يتحرجون ان ياكلوا اما يحفظونه فاعلم الله تعالى انه ليس عليهم جناح في ذلك وذهب الحسن في معنى اول هذه الايه الى ان المراد به ليس على هولا حرج في ترك الخروج الى الجهاد قال وقوله عز وجل ولا على انفسكم اي ولا حرج عليكم في ان تاكلوا من بيوتكم قيل انما اراد بهذا بيوت ابنايهم ونسايهم وانما اضاف بيوت الابنا اليهم لانهم من انفسهم كما قال صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك ولهذا قابلها ببيوت الابا فقال عز من قايل او بيوت ابايكم او بيوت امهاتكم ولم يقل او بيوت ابنايكم وقوله او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم خرج على وفق العادة لان الغالب من حالهم انهم تطيب انفسهم بذلك فجاز الاكل من بيوت هولا بغير الاذن لدلالة الحال فاما اذا علم ان صاحب البيت لا تطيب نفسه بذلك لم يتناول من ماله وان اذن له في ذلك قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه اريد به الوكلا والامنا والعبيد من الذين يملكون امر الخزاين والذين يكون المفاتيح بايديهم وقوله او صديقكم

ادبر

اريد به صديق يسره ان ياكل من طعامه وانما اطلقه على عادة الصحابه كما روي في سبب نزول هذا ان مالك ابن زيد والحرث بن عمرو كانا صديقين فخرج الحارث غازيا وخلف مالكا في اهله وماله فلما رجع راى مالكا مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شي ولم يحل لي ان اكل من مالك فنزل قوله تعالى او صديقكم قوله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فقد روي في سبب نزوله ان بني كنانة وهم حي من العرب كان الواحد منهم يجوع اياما لا ياكل حتى يجد ضيفا ياكل معه فرفع الله الحرج عنهم في ان ياكلوا وحدهم ومع الضيف ويستدل من هذه الايه ان للجماعة في السفر ان يخلطوا طعامهم فياكلوا جميعا وياكل واحد منهم من زاده ولا حرج عليهم في ذلك والغرض من هذه الايات نفي الحرمة في كل ما تطيب به النفس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا هنيا فان ذلك لاهل الجنة حين امنوا الموت ورضوا بالثواب واستقرت بهم الدار ولعلهم ان ياكلوا حراما ولكن قولوا اطعمنا الله واياكم طيبا وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وانما قال على انفسكم لان المومنين كنفس واحده وهو نظير قوله تعالى انما المومنون اخوة ومن السنة اذا دخل الانسان بيتا ليس فيه احد ان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن السنة اذا دخل الرجل بيت نفسه ان يسلم على اهله يزيد ذلك في بركاته واما اذا دخل المسجد فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج من المسجد قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وقوله تحية من عند الله مباركة معناه افعلوا ذلك تحية امركم الله به لكم فيه البركة والمغفرة والثواب هكذا يبين الله لكم الدلالات والاحكام لكي تعقلوا فتعملوا بها قوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله فيه ثنا على المومنين في حال اجتماعهم للتعاون على امر ان لا ينصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد اذنه لهم في الانصراف وقوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله نزل في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجوع من غزوة تبوك الى المدينة لعلة كانت به وقوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قيل انه نسخ بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبقوله واستغفر لهم الله اي استغفر لهولا المستاذنين اذا استاذنوك لعذر لهم ان الله غفور رحيم للتايبين رحيم بهم وقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فيه قولان الاول احذروا دعاه عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب وليس كدعا غيره والثاني ادعوه بالخشوع والتعظيم وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله ولا تقولوا يا محمد ولا يا ابا القسم كما يدعو بعضكم بعضا باسمه وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اريد به المنافقون كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب الناس يوم الجمعة عابهم في خطبته وشتمهم فاذا سمعوا ذلك نظروا يمينا وشمالا فان لم يبصرهم احد ان قاموا فخرجوا من المسجد لئلا يحضروا صلوة الجمعة وان ابصرهم احد تسللوا وخرجوا من المسجد قبل ان يصلوا الجمعة فانزل الله تعالى هذه الايه ومعنى اللواذ الاستتار ببعض ... يقال لاوذ فلان ملاوذة ولواذا ... اللواذ الاعتصام بالشي ... وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره معناه ليحذر الذين يعرضون عن امر الله ويخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة بلية في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وفي هذا دليل ان ظاهر الامر على الوجوب قوله عز وجل الا ان لله ما في السموات والارض اي له كل ذلك ملكا وقدرة واحاطة قد يعلم ما انتم عليه ما يبدونه وما تخفيه ويوم يرجعون اليه اريد به الرجوع الى الموضع الذي لا يكون الحكم فيه الا لله تعالى فينبئهم اي فيخبرهم بما عملوا في دار الدنيا والله بكل شي عليم من اعمال العباد ... وعن ابي بن كعب رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات لعدد كل مؤمن ومؤمنة
فيما مضى وفيما بقي **سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية بلا خلاف**
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى تبارك انه
تفاعل من البركة اي عظمت وكثرت بركات الله تعالى والبركة في اللغة هي الخير الكثير ويجوز ان يكون معناه
جل وعلا فيما لم يزل ولا يزال يقول الرجل تبارك اي تعاليت واصل الصفة الثبوت من بروك الطين الى الماء
ومنه برك البعير يبرك بروكا ويقال للماء اذا حصل في الحوض بركة وللجماعة بركة وفلان ذو بركة اي ذو ابل كثيرة فصار ذلك املا في
كل خير كثير وقوله الذي نزل الفرقان اي نزل جبريل بالفرقان على عبده محمد صلى الله عليه وسلم والتنزيل ابلغ في
الافادة من الانزال والفرقان البيان الذي يفرق به بين الحق والباطل ويزجر عن القبائح ويدعو الى المحاسن
والنذير والمنذر واحد والانذار هو الاعلام بموضع المخافة ليتقى **وقوله** الذي له ملك السموات
والارض اي له خزائن السموات والارض والقدرة على اهلها ولم يتخذ ولدا كما قالت اليهود والنصارى
فيرثه ملكه ولم يكن له شريك في الملك كما قاله المشركون فيعاونه في ملكه وخلق كل شيء
فقدره تقديرا قال الحسن رضي الله عنه قدر طوله وعرضه ولونه ورزقه واجله ويقال
في معناه اثبت الله كل شيء في اللوح المحفوظ لطفا للملائكة وذلك انهم اذا نظروا اليه ثم ظهر
مخبر الله عز وجل على وفق خبره ازدادوا بذلك يقينا ويقال كانوا ينظرون فيه فيتصرفون
فيما وكلوا به على حسب ما يجدونه فيه والتقدير جعل الاشياء على ما تدعو اليه الحكمة والتقدير
ايضا تبيين مقادير الاشياء للعباد **قوله عز وجل** واتخذوا من دونه الهة معناه
واتخذ كفار مكة من دون الله الهة تعبدونها وهي الاصنام لا يقدرون ان يخلقوا شيا وهم
يخلقون ما من شيء يكون منها من ذهب وفضة او صفر او خشب الا والله خالقها ولا يملكون
لانفسهم اي لا يقدرون على دفع ضر عن انفسهم ولا على جر نفع الى انفسهم ولا الى غيرهم ولا
يملكون الاماتة والاحيا والاعادة فكيف ترك هولا الكفار عبادة الله الذي يملك هذه
الاشيا واشتغلوا بعبادة من لا يملك شيا منها يقال انشر الله الموتى فنشروا اي احياهم
فحيوا **وقوله** وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه معناه وقالوا ما هذا الا كذب
اختلقه محمد من تلقا نفسه واعانه عليه اي على اختلاقه قوم اخرون من اهل الكتاب
اراد به جبرا مولى لقريش ويسارا ابا فكيهة مولى لبني الحضرمي وعداسا مولى لحويطب
ابن عبد العزى كان هولا يقرؤن التوريه قبل ان يسلموا فلما اسلموا ارادوا التوريه تشبه
القران وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويتعاهدهم فمن ذلك قال الكفار واعانه
عليه قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا اي بظلم وزور فيما قالوا فلما سقطت البا افضى اليه الفعل فنصب
والزور وضع الباطل في موضع الحق وقالوا اساطير الاولين اي قال النضر بن الحرث واصحابه
هذا القران احاديث الاولين في دهرهم كما كانت احاديثكم عن الاعاجم اكتتبها محمد صلى الله
عليه وسلم فهي تقرا عليه غدوة وعشيا **وقوله** قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض اي انزله الله تعالى عليما بما تقتضيه العلم بباطن الامور لا على ما تقتضيه اهوا النفوس
والسر اخفا المعنى في القلب انه كان غفورا رحيما اي لمن تاب وامن وقوله
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام اي قالوا على وجه الذم والتعيير للنبي صلى الله عليه وسلم
اي شي لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الطريق كما نمشي والمراد فالتمسوا ان يكون
الرسول على غير بنية الادميين وقالوا لولا انزل عليه ملك اي هلا انزل عليه ملك فيكون معه

نذيرا شريكا في النبوة او يلقى اليه كنز ينتفع به او تكون له جنة ياكل من ثمارها فانه فقير
محتاج ويقرأ ناكل منها بالنون **وقوله** وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
اي قال الكافرون لغيرهم ما تتبعون الا رجلا قد سحر وازيل عنه التمييز يقول الله عز وجل
انظر كيف ضربوا لك الامثال اي كيف وصفوا لك الاشباه بانك ساحر وكاهن وكذاب وشاعر
ومجنون فضلوا عن الصواب والهدى واخطاوا في التشبيه فلا يجدون طريقا الى الزام
الحجة ولا مخرجا لانفسهم باثبات العذر في ترك الايمان به وذلك انهم جعلوا معاذيرهم في ذلك
اشيا ليست بعذر اما اكل الطعام فانه كان موجودا في الرسل قبله فلم يكن ذلك عذرا في ترك
الايمان بهم ومعلوم بان الحاجة الى الطعام كالحاجة الى غير ذلك ولو انزل ملكا لكان
يحتاج الى ان ينزل من السما ويتردد في الارض لتبليغ الرسالة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا ولو جعل الله الملك معاونا للنبي صلى الله عليه وسلم في الانذار لادى ذلك الى الاستصغار
كل واحد منهما في ان كل واحد منهما لا يكون قايما بنفسه في ادا الرسالة واما الكنز فانه قد
وجد مع كثير من الفراعنة ولم يوجب ذلك اتباعهم وعدم مع كثير من الانبيا الذين اقر الخلق
برسالتهم وكذلك الجنات ولان الانبيا صلوات الله عليهم انما يبعثون لتزهيد الناس في الكنوز
والجنات وترغيبهم في الاخرة فلا يجوز ان يمنعوا الناس من ذلك ثم يشتغلوا به **قوله عز وجل**
تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان ملكا نزل
من السما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك خزاين كل شي لم
يعطها احدا قبلك ولا يعطيها احدا بعدك من غير ان ينقصك شيا مما ذخر لك وبين ان يجمعهما
لك في الاخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل يجمعهما لي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
خيرني ربي بين ان اكون نبيا ملكا وبين ان اكون نبيا عبدا فقلت اخترت ان اكون نبيا
عبدا اشبع يوما واجوع يوما فاحمدك ربي اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت فكان النبي
صلى الله عليه وسلم ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع ثوبه ويركب
الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على بابه فيه التصاوير فيقول لاحدى ازواجه غيبيه
عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عنها بقلبه وامات ذكرها عن نفسه
وكان يقول يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور وفي هذا نزلت هذه الاية
والمعنى تبارك تعالى ان شا يجعل لك خيرا مما قالوه في دار الدنيا من جنات وقصور وان شا يجعل
لك قصورا في الدنيا هذا اذا قرات يجعل بجزم اللام وانما لم يجعل ذلك للحكمة التي اوجبت
ذلك ومن قرا يجعل برفع اللام فهو على الاستيناف بمعنى وسيجعل لك قصورا في الاخرة **وقوله**
بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا معناه لا يستطيعون سبيلا الى
الزام الحجة واثبات المعذرة ولكنهم كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بقيام الساعة نارا
مسعرة اذا راتهم من مكان بعيد من مسيرة خمسماية عام سمعوا لها للناد
غليانا تغيظا كغيظ بني ادم وزفيرا وصوتا كالزفير عند شدة اضطرابها والتهابها
وانما قال راتهم وهم يرونها على معنى انها كانها تراهم روية الغضبان الذي يزفر غيظا **وقوله**
واذا القوا منها مكانا ضيقا اي اذا طرحوا في مكان ضيق من النار مقرنين اي مغللين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الاغلال كما قال في اية اخرى مقرنين في الاصفاد ويجوز ان يكون
معناه مقرنين باقرانهم من الجن والانس يقولون وا ثبوراه وا هلاكاه وفي الخبر انهم اذا القوا في
باب من ابواب جهنم تضايق عليهم كتضايق الزج في الرمح ويزدحمون في تلك الابواب الضيقة يرفعهم

اللهب وتخفضهم مقامع ملئكة العذاب فعند ذلك يدعون بالويل والثبور يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فان سبب الثبور دايم لا ينقطع والثبور مصدر يوصف بالقلة والكثرة كما يقال ضربته ضربا كثيرا أذلك خير معناه اذلك العذاب الذي سبق ذكره خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون هذا على طريق التعجب والتبعيد لا على طريق الاستفهام وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا اى كانت الجنة للمتقين جزاء ومرجعا في الاخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا ابلغ صيغة من صفات الجنة والوعد المسئول لما ذكره الله تعالى في قوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله من الملئكة والاصنام فيقول الله تعالى للكفار اذا عبدتم غيري فيقولون لانهم يامرونا بعبادتهم فيقول الله تعالى للملئكة ولعيسى ولعزير عليهم السلام على وجه التبكيت والتقريع للكفار أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل بهوى انفسهم ونظير هذا قوله تعالى يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله مع علمه عز وجل بانه ما قال لهم ذلك وقوله قالوا سبحانك اى المعبودون ننزهك من ان يعبد احد دونك ما كان ينبغي لنا ولعابدينا ان نتخذ من دونك من اولياء فكيف جاز لنا ان نامرهم ان يعبدونا دونك ولكن متعتهم واباءهم اى طولت اعمارهم وامهلتهم في الكفر حتى اغتروا بذلك وتركوا التوحيد والطاعة ويقال حتى نسوا الذكر القران وكانوا قوما بورا اى هلكى فاسدة القلوب والبوار هو الهلاك والباير الفاسد والارض البايرة هي التي عطلت عن الزراعة وقوله فقد كذبوكم بما تقولون فيه بيان من الله ان المعبودين قد كذبوهم ومن قرا تقولون بالتا فالمعنى يقال لهم كذبوكم بقولكم وكذبكم ومن قرا بالياء فالمعنى كذبوكم بقولهم فكيف يظن بهم انهم دعوكم الى عبادتهم فما تستطيعون صرفا اى ما يقدرون على صرف العذاب عن انفسهم ولا على نصر انفسهم ودفع العذاب والبلا الذي هم فيه ولا ان ينتصروا من معبودهم وقوله ومن يظلم منكم قال الحسن اراد بالظلم الشرك واوعد عليه قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فيه بيان انه سبحانه لم يرسل رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق ثم لم يكن ذلك عذرا للخلايق في ترك الايمان بهم وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة معنى الفتنة التشديد في التعبد ليظهر ما في العبد من خير او شر يقال فتنت الذهب بالنار اذا خلصته من الغش باحراقه والفتنة هاهنا هي العداوة التي كانت بينهم في الدين وما كان المومنون يلقون من اذى الكفار أتصبرون ايها المومنون على اذاهم حتى تصلوا الى ثواب الصابرين فان بعضكم لبعض فتنة يقول الفقير لو شا الله لاغناني مثل فلان ويقول السقيم لو شا الله لاصحني مثل فلان ويقول الاعمى لو شا الله لجعل لي عينا مثل فلان وكان ربك بصيرا بالاغنيا والفقرا اغنى من وجبت الحكمة اغناه وافقر من اوجبت الحكمة افقاره وذهب بعض المفسرين الى ان الكفار لما راوا ظهور الاسلام وبدا لهم حقايقه هموا ان يدخلوا فيه فاتاهم الشيطان وقال لهم ان هولا الضعفا قد سبقوكم اليه فان دخلتم فيه كانوا اوفر حظا منكم فحملتهم الانفة على الامتناع فقيل لهم وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون على فضيلة السابقين حتى تكونوا مع فقرا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شرعا سوا وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا معناه وقال الذين لا يخافون البعث بعد الموت هلا انزل علينا الملئكة رسلا او نرى ربنا فيخبرنا انك رسوله لقد استكبروا تعظموا في انفسهم وجاوزوا الحد مجاوزة شديدة قوله عز وجل يوم يرون الملئكة اخبر الله عز وجل تعالى انه لا بشرى لهم يوم يرون

ملئكة

ملئكة العذاب بهم ويقول لهم الملئكة حرم عليكم سماع البشرى حراما محرما وكانت العرب اذا اراد الرجل ان يحرم الرجل شيا يسالها ويطمع فيه قال له حجرا محجورا ليعلم السايل بذلك انه لا يريد ان يفعل والحجر في اللغة هو المنع ومنه حجر القاضي ومنه الحجرة التي يقتضيها منع الغير من الدخول فيها ويجوز ان يكون حجرا محجورا من قول الكفار للملئكة على وجه التعوذ ونعوذ بينا وبينكم كان الرجل من العرب اذا سافر يخاف على نفسه العدو فقال حجرا محجورا اى حراما محرما عليك ان تتعرض لي بسوء قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل اى وقصدنا وتقدمنا الى اعمالهم التي كانوا يعتقدون انها تنفعهم فجعلناه هباء منثورا في الاخرة بمنزلة الهباء المنثور والهباء ما يقع في الكوة من شعاع الشمس فيقبض لا يقدرون عليه ولا يقدرون على شي ويقال هو التراب الذي يسطع من حوافر الدواب يرى ولكن لا يقدر عليه وقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اى انهم يومئذ خير منزلا واحسن موضعا عند القيلولة من منازل الكفار ومقيلهم قوله عز وجل ويوم تشقق السماء بالغمام معناه يوم تتصدع السماء لنزول الملئكة في الغمام بامر الله تعالى كما تقدم ذكره في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وقوله ونزل الملئكة تنزيلا اى تنزل اهل كل سماء على حدة منها الى الارض لاكرام المومنين واهانة الكفرين واهوال ذلك اليوم ويقال الغمام سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن لبني اسرائيل في تيههم فوق السموات السبع كما روى في الخبر ان دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن معناه الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة وكان ذلك اليوم يوما شديدا على الكفرين عسيرا والملك لله اوجه ملك عظمة وهو لله وحده وملك ديانة بتمليك الله اياه وملك جبرية بالغلبة وقوله ويوم يعض الظالم على يديه نزل في عقبة بن ابي معيط كان يريد ان يومن فقال له ابي بن خلف وكان صديقا له لين امنت لا اكلمك ابدا فامتنع من الايمان حتى قتل يوم بدر كافرا وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف بيده يوم احد ومعنى الاية واذكروا يوم يعض الظالم عقبة على يديه وقال الحسن رضي الله عنه والله ليعض على يديه حتى ياكلهما يقول على وجه التحسر يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اتبعت الرسول وسلكت طريقه يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا ابيا خليلا مصافيا لقد اضلني اى صرفني عن الذكر القران بعد اذ جاءني بعد ان دعاني محمد صلى الله عليه وسلم اليه وكان الشيطان للانسان خذولا كثير الخذلان وهذا اخبار من الله عز وجل التحذير من اتباع الشيطان والخذول فعول من الخذلان قوله عز وجل وقال الرسول يا رب ان قومي يعني قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا هجروا تلاوته والعمل به ويقال نسبوه الى الهجر وهو الهذيان فقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يهذي به وهو من اساطير الاولين وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الكفرين معناه ان عداوتهم اياك ليست ببدع فانا جعلنا لكل نبي عدوا وجعله اياهم عدوا للانبيا صلوات الله عليهم انه تعالى امر الانبيا صلوات الله عليهم ان يدعوهم الى الطاعة وتركوا ما هم عليه من دينهم ودين ابايهم وكانت هذه اسبابا داعية الى العداوة اذا امرهم الله تعالى باتباع الانبيا صلوات الله عليهم فلم يتبعوهم وقوله وكفى بربك هاديا معناه واكتف بربك هاديا للخلق الى الحق وناصرا لهم في الدنيا والاخرة قوله عز وجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تحدى هم بالقران وامرهم ان ياتوا بسورة مثله فعجزوا عن ذلك لزمتهم الحجة فجعلوا يطلبون الشبهة فقالوا لو كان حقا لانزل عليه القران جملة كما انزلت التورية على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام فبين الله تعالى ان ذلك ليس بشبهة كما قال تعالى كذلك لنثبت به فوادك اى هكذا انزلناه عليك متفرقا ليكون اسهل

عليك في حفظه وضبطه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرا ولا يكتب بخلاف موسى وعيسى عليهما السلام
ولو انزل عليه القران جملة واحدة لشق حكمه على المسلمين كما شق على بني اسرائيل ويقال كان الله يعلم ان
القوم يؤذونه ويسالونه عن اشيا فانزل الجواب عقيب السوال ليكون احسن موقعا وادعى الى الانقياد
وابلغ في الزام الحجة **وقوله عز وجل** وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا اى فرقناه تفريقا تفالا ولو نزل اذا
كان متفرقا غير منظوم واسنان مرتلة اذا كانت مفلجة ومنه قوله ورتل القران ترتيلا اى فرق الحروف
بعضها من بعض **وقوله** وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ معناه لا ياتونك بشبهة للاحتجاج بها في ابطال امرك
إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ الذى هو الحق وَ الذى هو أَحْسَنَ تَفْسِيرًا من مثلهم والتفسير كشف المعنى
المغطى والتفسير هو الدليل الذى ينظر اليه الطبيب **وقوله** الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
نعت للكفار على معنى يسحبون على وجوههم كما قال في اية اخرى يوم يسحبون في النار على وجوههم
وفي الحديث ان الناس يحشرون يوم القيمة على ثلثة اصناف فصنف على الدواب وصنف على اقدامهم
وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال ان الذي امشاهم على
اقدامهم لقادر ان يمشيهم على وجوههم **وقوله** أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا خبر عن الذين
يحشرون على وجوههم شر منزلا واضل طريقا عن الحق والصواب **وقوله** وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ معناه اعطينا موسى التورية وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا معينا
يعينه على تبليغ الوحي والوزير في اللغة هو الذي يرجع اليه ويتحصن برايه والوزر ما يلتجا اليه
فَقُلْنَا اى فقلنا لهما اذْهَبَا إِلَى فرعون وقومه باياتنا فادعوهم الى الايمان ففعلا ذلك فلم
يجيبوا فدمرناهم اى اهلكناهم اهلاكا بما كان فيه عبرة لمن اعتبر **قوله عز وجل**
وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ معناه واذكر قوم نوح حين كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل فاغرقناهم
وجعلنا اهلاكهم للناس عظة واعتدنا للظالمين للكفرين عذابا اليما اى وجيعا في الاخرة
قوله عز وجل وَعَادًا وَثَمُودَ معناه واهلكنا عادا وثمودا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ قال قتادة
الرس بير بني اليمامة ونبيهم حنظلة يقال ان البير التى لم تطو بالحجارة تسمى الرس وعن مجاهد
انه قال انما سموا اصحاب الرس لانهم قتلوا نبيهم ودسوه في بير لهم والرس والدس واحد
وقوله وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا اى واهلكنا قرونا كثيرة بين هولا منهم من لم نسمه لك
وكلا من هولا بينا لهم ما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم فلم يجيبوا وكلا تبرنا اى اهلكناهم
اهلاكا والتتبير تفعيل من التبار وهو الهلاك وكل شي كسرته فقد تبرته يقال لمكسر الزجاج تبر وكذلك
تبر الذهب **قوله عز وجل** وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ معناه ولقد اتى
مشركوا مكة على قريات قوم لوط التى امطرت عليهم الحجارة أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا حين مروا في ديارهم بل
كانوا لا يخافون النشور ويقال لا يرجون البعث والجزا **وقوله** وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
معناه واذا راك كفار مكة ما يتخذونك الا هزوا ويستهزون بك ويسخرون منك يقولون على وجه الاستهزا
اهذا الذى بعثه الله رسولا لقد كاد يصرفنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا على عبادتها وسوف يعلمون
يوم القيمة من اضل سبيلا عن الدين والحجة والهزو استصغار القدر على جهة اللهو **وقوله** أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ معناه ارايت من عبد الاصنام بهوا نفسه افانت تكون عليه حافظا اى
انك بعثت داعيا لا حافظا وهذا لان من جعل الالهة ما يهوى كان في نهاية الجهل اذ لم يتبع
دليل العقل وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول في هذه الاية الهوى اله يعبد من دون الله وقال
نزلت هذه الاية في حارث بن قيس السهمي كان يعبد ما يهواه فاذا راى شيا احسن منه عبده وترك الاول
وقوله أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ معناه اتظن يا محمد صلى الله عليه وسلم ان

الكرهم

اكثرهم يسمعون سماع تدبر وتفكر ويعقلون ما هم الا كالانعام يسمعون صوتا ولا يعقلون حقيقته
وهذا كقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء **وقوله** بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا
اى بل هم اضل من الانعام لان الانعام اذا زجرت انزجرت وهم لا ينزجرون ولان الانعام تفهم بعض
ما تسمع لانها تنادى على صفة فتقف وتنادى على صفة فتسير ولان الانعام لم ترزق الة التفهم وهولا
رزقوها ثم لم ينتفعوا بها **وقوله** أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ معناه الم تر الى صنع ربك كيف بسط
الظل من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الشمس من المشرق الى المغرب ولو شا لجعل الظل ساكنا
اى دايما لا يزول بقدرته على ان لا تطلع الشمس وهو نظير قوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة **وقوله** ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا اى جعلناها دليلا على الظل فان الظل
يتبع الشمس في طوله وقصره فان ارتفعت الشمس في اعلا ارتفاعها قصر الظل وذلك وقت صلوة الضحى
الى ان تبلغ الشمس في الارتفاع مبلغا تزول عنده الشمس ولا ينتقص الظل بعد ذلك بل ياخذ ظل كل شي
في الزيادة فيكون الوقت وقت صلوة الظهر الى ان يصير ظل كل شي مثله او مثليه على اختلاف المذاهب
في ذلك فيصير الوقت وقت العصر ما دامت الشمس تنحط يصير الظل يطول بحسب ذلك الانحطاط والظل
تابع للشمس التي هي دليله كما يتبع الساير في المفاوز الدليل واحكام الصلوة متعلقة بقصر الظل قبل الزوال
وبزيادة الظل بعد الزوال ويقال في معنى الاية جعلنا الشمس مع الظل دليلا على توحيد الله تعالى وكمال
قدرته **قوله** ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا اى قبضنا الظل الينا اذا علت الشمس على
الارض وارتفعت لان الظل لا يبقى بعد ذلك فجعل ازالة الظل قبضا له وبين ان ذلك كله يسير عليه
بقدرته وقوله الينا الى الموضع الذى حكمنا بكون الظل فيه ويقال في معنى قبضناه قبضا يسيرا اى نقصناه
شيا بعد شي نقصا خفيا لا يستدرك بالمشاهدة لان الظل لا يذهب جملة ولا يعود جملة وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا اى جعله يستر كل شي بظلمته كاللباس الذى يعم البدن بالستر **وقوله**
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا اى راحة لابدانكم يقال سبت اذا تمدد فاستراح ومن ذلك يوم السبت لان اليهود
كانوا يستريحون فيه بقطع اعمال الدنيا والسبات قطع العمل **قوله** وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا اى تنتشرون
فيه لمعايشكم وحوايجكم يقال انشر الله الموتى فنشروا قال الاعشى
حتى يقول الناس مما راوا ❊ يا عجبا للميت الناشر ❊
وقوله وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ معناه ارسل الرياح ينشر بها الغيم ويبسطه في السما قدام المطر
يقال جاز بين يدى عمرو اذا سبقه والنشر جمع النشور ومن اسكن الشين فهو على التخفيف كالرسل
والرسل ومن قرا نشرا بنصب النون فالمعنى احيى بنشر السحاب الذى فيه المطر الذى فيه حيوة لكل شي
ومن قرا بشرا بالبا والنون فهو جمع ريح بشورا اى يبشر بالغيث ومن قرا بشرا بغير تنوين فهو في معنى
البشارة وانما قيل في الرحمة رياح لانها جمع الجنوب والشمال والصبا وقيل في العذاب ريح لانها واحدة
وهي الدبور وهي عقيم لا تلقح **وقوله** وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا يعنى المطر ينزله من
السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض وهو في نفسه طاهر ومطهر من الانجاس والاحداث وما
من شي يطهرهما جميعا الا الما والفعول من ابنية المبالغة **وقوله** لِّنُحْيِيَ بِهِ اى لنحيى بذلك الما
بَلْدَةً مَّيْتًا ليس فيها اشجار ولا ثمار ولا مرعى ولا ينتفع بها كما لا ينتفع بالميتة والارض التى لا عمارة فيها
تسمى الموات **وقوله** وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا معناه ونسقى بذلك الما المنزل كثيرا
مما خلقنا من الانعام والاناسى جمع انسى مثل كرسى وكراسى ويقال هو جمع انسان واصله اناسين
كما يقال بستان وبساتين وسرحان وسراحين جعلت اليا عوضا من النون ويقرا اناسى بتخفيف
اليا فمن شدد اليا جعله افاعيل مثل اباطيل ومن خفف جعله افاعل اسقط احدى اليائين كما يقال مفاتح ومفاتيح

قوله عز وجل ولقد صرفناه بينهم معناه ولقد صرفنا المطر فقسمناه بينهم على ما توجبه الحكمة ليتذكروا نعم الله فيشكروها فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا به كلما انزل الله المطر يقولون مطرنا بنوء كذا وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن الله يقسمه على من يشا من عباده قوله عز وجل ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي لو شئنا لقسمنا النذر بينهم كما قسمنا الامطار بينهم زيادة في الانذار لكنا دبرنا بما هو اعود عليهم وليكون كل الثواب والكرامة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فلا تطع الكافرين فيما يطلبون منك وجاهدهم بالقران جهادا كبيرا قوله عز وجل وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات اي ارسلهما في مجاريهما يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا ارسلتها وهذا ملح اجاج يعني واراد بقوله هذا عذب فرات اي النيل والانهار العظام والفرات ما يكون في غاية العذوبة واراد بالملح الاجاج التي يكون ماؤها في غاية المرارة ويقال في غاية الحرارة من قولهم اججت النار اذا اوقدتها وتاججت النار اذا توقدت ويقول ما ملح ولا يقول مالح الا ما يلقى فيه الملح وقوله تعالى وجعل بينهما برزخا اراد بالبرزخ الحاجز الذي يمنع كل واحد منهما من تغير الاخر وهو ما بين العذب والملح من الاراضي هكذا روي عن الحسن رضي الله عنه ويقال اصل المرج الخلط ومن ذلك المرج لانه يكون فيه اخلاط من النبات ومنه في امر مريج اي مختلط فالملح والعذب في مراى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يغير احدهما طعم الاخر وجعل بينهما برزخا وحجرا اي مانعا يمنع من اختلاط احدهما بالاخر وفساده به في تسخيره هكذا حجرا محجورا اي ان يفسد احدهما الاخر قوله عز وجل وهو الذي خلق من الما بشرا اي خلق من ما الذكر والانثى خلقا كثيرا فجعل من هولا البشر نسبا واصهارا وانما ذكر النسب موحدا لانه ذكره على لفظ البشر ومعناه الجمع والنسب خلطة ترجع الى ولادة قريبة وهو الاصل الذي ينسب اليه الاولاد والصهر خلطة تشبه القرابة وهو اذا اطلق اريد به كل ذي رحم محرم من نسا من اضيف اليه ولهذا قالوا فيمن اوصى لاصهار فلان ان الوصية تكون لكل ذي رحم محرم من نسا فلان وقوله وكان ربك قديرا اي على ذلك وعلى جميع الاشيا قوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي تركوا عبادة الله بعد قيام الحجة واشتغلوا بعبادة ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر مظاهرا للشيطان على معصية ربه تقول فلان معين لي اذا كان ينصرك ومعين علي اذا كان ينصر غيرك عليك نظير هذا قوله تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اوليا الله ورسوله ويقال معنى الظهير المعين كالمطرح بظهر قوله عز وجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار وقوله تعالى قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا معنى الاستثنا في هذه الاية منقطع لانه صلى الله عليه وسلم لم يسال الاجر من اتخذ الى الله سبيلا وانما معناه لكن من شا ان يتخذ الى طاعة ربه طريقا فليفعل ولم يبعث الله نبيا الا وهو يبشر المطيعين بالجنة والعصاة المكذبين بالنار قوله عز وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت اي فوض امورك اليه فان من كان ميتا او كان بعرض ان يموت لا يستحق التوكل عليه وقوله وسبح بحمده اي احمده منزها له عما لا يجوز في صفاته وذلك نحو ان يقول الحمد لله رب العالمين او الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده ويجوز ان يكون معناه صل بامره وهو المحمود في توفيقه اياك كما يقال افعل هذا بحمد الله وكفى به بذنوب عباده خبيرا

اي كفاه

كفى هو عالما

اي كفاه علما بذنوب العباد وهو اولى ان يراقب من غيره قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام نعت لله وبيان لوجوب التوكل عليه وقوله ثم استوى على العرش الرحمن قد تقدم تفسيره في سورة طه وغيرها وقوله فاسال به خبيرا اي اسال بسوالك اياه خبيرا والخبير هاهنا هو الله عز وجل ويقال في معناه اذا سالت فاسال عالما بما تساله عنه ولا تسال غيره واذا سالت حاجتك فاسال عالما بما يصلحك فانك اذا سالته اخبرك بالحق في صفاته وفي كل ما سالت عنه فاعطاك ما يصلحك ويقال في معناه سله تكن خبيرا بمواضع السوال فان من سال غيره فليس بعالم وقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وذلك ان كفار مكة كانوا ينكرون الرحمن فقالوا انسجد للشي الذي تامرنا به وكانوا يزدادون نفورا عند دعائه اياهم كما قال الله عز وجل في قصة نوح عليه السلام فلم يزدهم دعاي الا فرارا قوله عز وجل تبارك الذي جعل في السما بروجا البروج منازل الكواكب السبعة الشمس والقمر والمشتري والمريخ وزحل وعطارد والزهرة وهي اثنى عشر برجا والبرج في اللغة هو القصر العالي وسميت هذه المنازل بروجا لظهورها وضوئها وارتفاعها والبرج هو تباعد ما بين الحاجبين وكل ما ظهر وارتفع فهو برج وقوله وجعل فيها سراجا اي جعل في السما شمسا تضي بالنهار وتقطع في كل شهر برجا من البروج الاثني عشر وجعل فيها قمرا ايضا بالليل ويقطع كل برج في يومين وثلث يوم ومن قرا وجعل فيها سرجا اراد بذلك ساير النجوم يهتدى بها كما يهتدى بضيا السراج قوله عز وجل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف كل واحد منهما صاحبه يذهب احدهما ويجي الاخر فهو عظة لمن اتعظ واراد ان يشكر انعام الله عز وجل وكان الحسن رحمه الله يفسر الخلفة بالعوض يقول من فاته العمل بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن نام عن العمل بالليل فليعمل بالنهار وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اي عباده الذين رضي عنهم واثنى عليهم الذين يمشون على الارض بالسكينة والوقار والهون من مخافة الله عز وجل حلما علما لا يجهلون وان جهل عليهم وان كلمهم الكفار والفساق بالسفه والفحش قالوا سدادا من القول به يسلمون ويردوا معروفا ويقال يقولون في جواب السفه سلام عليكم هذا نهارهم فاما ليلهم فكما قال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما اي يصلون بالليل ساجدين قايمين طلب الثواب يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من صلى بعد صلوة العشا ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقايما وقوله والذين يقولون اي يقولون بعد الفراغ من الصلوة ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما دايما والغرام اللزوم ويقال لصاحب الدين الغريم لانه يلازم المديون ويقال للمديون الغريم لان اللزوم يثبت عليه والمغرم بالنسا الملازم لهن انها يعني النار سات مستقرا ومقاما وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا والاسراف هو الانفاق في معصية الله والقتر منع حق الله والقوام هو الوسط بين الاسراف والتقتير وقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الذنب اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى هذه الاية وفي الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى خلال ثلث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وقوله ومن يفعل ذلك اي من يفعل شيا مما تقدم ذكره يرى جزا فعله ويقال الاثام واد في جهنم وقوله يضاعف تفسير لقي الاثام والمهان المتصغر

المستند وقوله إلا من تاب اى من تاب من الكفر والمعصية وآمن بالله وعمل عملا صالحا
بعد الايمان والتوبة ولا يكون العمل صالحا قبل الايمان فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اى يمحو بالتوبة
سيئاتهم ويثبت لهم مكانها حسنات وهذا هو معنى التبديل لا ان تصير السيئة بعينها حسنة وكان الله
غفورا اى لمن تاب رحيما بمن مات على التوبة وفى قوله ومن تاب وعمل صالحا
بيان انه ينبغى للتائب ان يتوب الى الله تعالى بان يطلب ثوابه ومرضاته وقوله والذين لا
يشهدون الزور يحتمل الامتناع عن شهادة الكذب ويحتمل ان لا يشهد مجلس الزور ويدخل فى
هذا مجلس اللهو واللعب والغنا وموضع عبادة الصنم واعياد اليهود والنصارى والمجوس وقوله
واذا مروا باللغو اى بالقول والفعل الذى لا فايدة فيه مروا كراما متكرمين صاينين انفسهم
عن الخوض فى ذلك آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر بما قدروا عليه من قول اذا عجزوا عن الفعل
ومن اظهار كراهة وتعبيس وجه اذا عجزوا عن القول وعن محمد بن المنكدر انه قال بلغنى
ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان
ادخلوهم رياض المسك ثم يقول للملئكة اسمعوا عبادى تحميدى وثنائى وتمجيدى واخبروهم ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا معاملة
الاصم الذى لا يسمع والاعمى الذى لا يبصر ولم يكونوا بمنزلة من يسقط الى موضع ولا يتفكر فيما يسمع
بل خروا ساجدين باكين سامعين مبصرين بما امروا به ونهوا عنه والخرور هو السقوط وقوله
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا اى يقولون فى دعايهم ربنا ارنا فى ازواجنا
وذرياتنا من الصلاح ما تقر به اعيننا فى الدنيا والاخرة قال الحسن ما من شئ اقر لعين المسلم من ان
يرى ولده ووالده او ولد ولده او اخاه وحميمه لله مطيعا لله عز وجل وقوله واجعلنا
للمتقين اماما اى اجعلنا صالحين نأتم بمن قبلنا من المتقين حتى يأتم بنا من بعدنا
ويقال ... من رزق ايمانا وحسن خلق فذلك امام المتقين وقوله اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا اى اهل هذه الخصال هم الذين يجزون الغرف فى الجنة بصبرهم
على الطاعة وعن المعصية وعلى مكاره الزمان ومحن الدنيا ويتلقاهم الملئكة فى تلك الغرف بالتحية
والسلام من الله وقد تذكر التحية بمعنى الملك والدوام ويذكر السلام بمعنى السلامة من كل الآفات
حسنت تلك الغرف فى المستقر والمقام وهذه على طريق المقابلة بما تقدم فى صفة اهل النار
قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربى معناه قل لهم ما يصنع بكم ربى وهو لا يحتاج
اليكم لولا دعاؤه اياكم الى طاعته لتنتفعوا انتم بذلك ويقال معناه اى وزن وقدر لكم عند ربى
لولا دعاؤكم وعبادتكم اياه واصل العبء فى اللغة الثقل ومن ذلك عبأت المتاع اذا جعلت بعضه
على بعض ويقال ما عبأت بفلان اى ما التفت اليه ولا كان له عندى وزن ولا قدر ويقال فى معنى
الاية ما نفعل بعذابكم يا اهل مكة لولا عبادتكم غير الله لقد كذبتم يا اهل مكة فسوف يكون جزا
تكذيبكم لزاما اى اسرا واخذا بالايدى وقتلا اريد به يوم بدر والملزام مصدر لازمته
ملازمة ولزاما واللزام بنصب اللام مصدر ايضا قال ابو عبيدة اللزام فعل يلزم كل عامل ما عمل من
خير او شر وعن ابى بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا
سورة الفرقان وهو مومن دخل الجنة بغير حساب وبالله التوفيق سورة الشعرا
مكية غير قوله والشعرا يتبعهم الغاوون
الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة وهى مايتان وست وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب

المبين قيل فى معنى الحروف المقطعة فى اول هذه السورة انها اسم السورة وقيل معنى هذه الحروف
اصل آيات القرآن وعن الحسن ان هذه الحروف متفرقة بمعنى اسم الله عز وجل فالطا طوله
والسين سناه والميم ملكه وقوله تلك آيات الكتاب المبين اى هذه ويجوز ان يكون بمعنى تلك
التى اخبرتكم بها وانزلتها على رسولى هى آيات الكتاب المبين قوله تعالى لعلك باخع نفسك اى
قاتل ومهلك نفسك بان لا يكونوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم
ونجاتهم من عذاب الله وربما كان يخطر بباله ان مقامهم على الكفر لعله لنقص ... فى الابلاغ
الرسالة فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له وقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية
فيه اعلام انه جل ذكره لو اراد ان ينزل آية تضطرهم الى طاعة الله لقدر على ذلك ولكنه لم يفعل لانه اراد
منهم ايمانا يستحقون عليه المدح والثواب فاذا جا الالجا ذهب المدح والثواب وقوله فظلت
اعناقهم لفظ الماضى ومعناه الاستقبال كما يقال ان تأتنى اكرمتك بمعنى اكرمك واعناقهم روساوهم
وكبراؤهم يقال هولاء اعناق قبيلة كذا ويقال قد جاءنى عنق من الناس اى جماعة ولهذا المعنى
قال فى جمع الاعناق خاضعين ولم يقل خاضعات والخاضع الذليل المنقاد الذى لا يلوى عنقه الى المعصية
ويكون خضع لازما ومتعديا يقال اخضعته فخضع اذا اسكنته فسكن وقوله وما يأتيهم من ذكر
من الرحمن محدث اى ما يأتى جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم بشئ بعد شئ من القرآن
الا كانوا معرضين عن ذلك فقد كذبوا بالقرآن فسيأتيهم خبر ذلك فى القيمة او لم يروا اهل مكة الى الارض
كم انبتنا فيها من كل صنف حسن فى المنظر من النبات والزوج الواحد الذى له قرين من ابيض
واسود واحمر واصفر واخضر وحلو وحامض ومن رايحة مسكية وكافورية والكريم فى اللغة هو
المحمود فيما يحتاج اليه فيه يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وكثر وناقة كريمة اذا كانت غزيرة
اللبن وقوله ان فى ذلك لآية اى فى اختلاف الوان النبات لدلالة على توحيد انبائه وكمال
قدرته وما كان اكثرهم مؤمنين اى كان فى سابق علم الله ان اكثرهم لا يومنون وان ربك لهو
العزيز اى القادر القاهر والمنعم على عباده الرحيم بهم وقوله واذ نادى ربك
موسى معناه واتل على قومك اذ كلم الله موسى عليه السلام كلاما سمعه وفهمه ان ائت القوم الظالمين
قوم فرعون الذين ظلموا انفسهم بالكفر وظلموا بنى اسرائيل بالتعذيب الا يتقون عذابى فى مقامهم
على الكفر وترك الايمان ومن الدليل على صحة هذا الاضمار الذى اضمرناه فى اول هذه الاية قوله سبحانه
واتل عليهم نبأ ابرهيم وقوله قال رب انى اخاف ان يكذبون معناه قال موسى يا رب
انى اخاف ان يكذبون فيما ادعوهم اليه ويضيق صدرى بسبب التكذيب ولا ينطلق لسانى للعقدة
التى فيه فارسل معى هرون فيعيننى ويوازرنى على اظهار الدعوة وتبليغ الرسالة ولهم على ذنب
يعنى دعوى ذنب يريد به الوكزة التى وكز القبطى فمات منها فاخاف ان يقتلون بسببه قال كلا
اى قال الله تعالى لموسى ارتدع عن هذا الظن وهذا الخوف فاذهبا بدلالاتنا انا معكم من
الشاهدين بالحفظ والنصرة نسمع ما يقال لكما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
اليك لتؤمن بالله وتطلق بنى اسرائيل عن الاستعباد وترسلهم معنا الى الارض المقدسة والرسول
يذكر ويراد به الجمع كما يقال ضيف وولى وعدو ونحو ذلك قال الشاعر
الكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر وقيل فى معنى انا رسول كل واحد منا رسول
رب العالمين قوله تعالى قال الم نربك فينا وليدا وذلك ان موسى عليه السلام لما انطلق الى
مصر وكان هرون بها التقى كل واحد منهما بصاحبه فانطلقا كلاهما الى فرعون وأديا جميعا الرسالة
فعرف فرعون موسى عليه السلام وقال له فرعون الم نربك فينا وليدا اى صبيا صغيرا ولبثت فينا اى مكثت

عند ناسنين من عمرك والعُمُر والعُمْر والعَمْر بمعنى واحد **وقوله** وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ اى قتلت القبطي والفعلة في اللغة اسم المرة الواحدة واما الفِعلة بكسر الفا فهي الهيئة والحالة يقال فلان حسن الجلسة واللبسة **وقوله** وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ اى من الجاحدين لانعامي عليك ولحق تربيتي اياك قال موسى عليه السلام فعلتها اذن وانا ضال عن العلم بان ذلك يودي الى الهلاك ومن يذهب عن معرفة الشي قد يوصف بالضلال اذا لم يكن متعمدا قاصدا كالضال عن الطريق ولا يجوز ان يكون المراد بالضال هنا الضال عن الهدى لان ذلك لا يجوز على الانبيا عليهم السلام **وقوله** فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ معناه هربت منكم لما خفتكم على نفسي ان تقتلون فوهب لي ربي علما وحكمة وجعلني من المرسلين اليك والى قومك لابلغكم التوحيد والشرايع **قوله عز وجل** وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ معناه واي نعمة لك ولو لم تستعبد قومي ولم تقتل ولدانهم لكفلني قومي ولم يلقوني في اليم وانما كانت نعمة لما فعلت بهم ويقال في معناه المن علي بذلك وانت استعبدت بني اسرايل وابطلت نعمتك علي باساتك اليهم باستعبادك اباهم وبان اخذت اموالهم وانفقت علي من شي منها وكانت امي هي التي تربيني فاي نعمة لك علي **قوله** قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ معناه قال له فرعون واي شي رب العالمين الذي تدعوني اليه كانه طلب لجهله ان يبين اى اجناس الاجسام هو فاجابه موسى عليه السلام بما دل على الله تعالى مما خلقه الله لانه تعالى لا يعرف الا بافعاله التي تدل عليه مما يعجز المخلوقون عن الاتيان بمثل ذلك فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين بان المستحق للربوبية من يكون بهذه الصفة وان هذه الاشيا التي ذكرت لستم تعلمون بان الجسم لا يفعل الجسم وفاعل الجسم ليس هو الا الله عز وجل قال فرعون لمن حوله من الجلسا الا تستمعون الى ما يقول موسى فجعل يعجبهم ويريهم انه لم يجبه لان فرعون اراد بقوله وما رب العالمين انه من اي الاجناس هو فظن ان الاله كاحد الاجناس ولم يعلم انه لو كان كذلك لكان فيه دلالة الحدث ولما صح ان يفعل الاجسام فاجاب موسى عليه السلام بتاييد جوابه الاول وقال ربكم ورب ابايكم الاولين بين ان المستحق للربوبية من هو رب اهل كل عصر وزمان وانه تعالى لا يصح ان يكون من جنس ما يشاهد ويستدرك بالحواس ولا يقاس بالناس ولو لا ذلك لما صح قدمه قال فرعون لجلسايه ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون لانه يجيبنا بخلاف ما نريد من صفة رب العالمين قال موسى عليه السلام لما تحيروا من رب المشرق والمغرب اى هو ربهما ومالكهما وخالقهما ورب ما بينهما وفيهما من انواع الاجناس ان كنتم تعقلون اى تفقهون معنى كلامي وما اردت بدلالتي لانه سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة الاجسام وانما يوصف بذكر افعاله فلم يقدر فرعون ان يجيبه بشي ينقض حجته فجعل يهدده كما قال تعالى **قوله** قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ اى المحبوسين ظن انه يخافه ويترك عبادة الله تعالى ويتخذ فرعون الها وهذا القول من فرعون دليل ان اهل مملكته كانوا يتخذونه الها وكان سجنه فيما روي اشد من القتل لانه كان اذا حبس الرجل طرحه في مكان وحده لا يسمع فيه شيا ولا يبصر فيه شيا وكان يهوي به في الارض قال له موسى عليه السلام أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ اى تحبسني ولو اتيتك بحجة ظاهرة قال فرعون على وجه التجربة فَأْتِ بِهِ يا موسى إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ انك رسول الي والى قومي فَأَلْقَى موسى عليه السلام عَصَاهُ من يده فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ حية صفرا ذكر عظيم اعظم ما يكون من الحيات قال فرعون هذه اية بينة فهل غيرها وَنَزَعَ موسى عليه السلام يَدَهُ من جيبه فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ بياضا نورانيا لِلنَّاظِرِينَ لها شعاع كشعاع الشمس غلبت ضوء الشمس يوميذ فان قال قايل كيف سمى العصا ثعبانا في هذه الاية وسماها جانا في اية اخرى حيث قال تهتز كانها جان والجان الحية الخفيفة قلنا انما سماه ثعبانا لعظم جثته وسماه جانا لسرعة مشيه وحركته وفي ذلك ما يدل على عظم الاية

فلم

فلم يكن عند فرعون دفع لما شاهد الا ان قال هذا سحر مموه فاوهم اصحابه ان لا صحة له وان كانوا شاهدوه كما شاهد ذلك **قوله عز وجل** قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يعني موسى عليه السلام حاذق بالسحر يريد ان يلقي الفرقة والعداوة بينكم لتتحاربوا فيخرجكم من بلادكم بسحره فماذا تامرون اى ماذا تشيرون علي في امره ولو تفكر هولا الجهال في قوله ذلك لعلموا انه ليس باله لافتقاره الى رايهم ولكنهم لفرط جهلهم ذوقح عليهم **وقوله** قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ اي قالوا له الملا اخر امره وامر اخيه لا تتنا طرهما الى ان تبعث الى المداين الشرط يحشرون السحرة ليشارا بما يصنعه موسى ولا يثبت له عليك حجة وكان له بكل مدينة حوله سحرة يعدهم للامور ذات الحرية والسحار فعال من السحر وهو الذي عادته وحرفته السحر **قوله** فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ اى لميعاد يوم زينتهم وهو يوم عيدهم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لتنظروا الى السحرة لعلنا نتبع السحرة اى نتبع دينهم ان كانوا هم الغالبين لموسى عليه السلام ويقال ارادوا بالسحرة موسى وهرون عليهما السلام ان كانا هما الغالبين على سحرتهم **وقوله** فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا وذلك ان موسى عليه السلام لما التقى بهم يوم الميعاد وقد ضرب لفرعون قبة لينظر الى صنيعهم قالت السحرة لفرعون اين لنا جعلا من المال ان كنا نحن الغالبين لموسى قال لهم فرعون نعم وانكم لما اعطيكم من الاموال لمن المقربين على جميع الناس في الرتبة والمنزلة والدخول علي قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى اطرحوا من ايديكم ما تريدون طرحه من الحبال والعصي وهذا امر تهديد لا امر تحقيق ونظير هذا قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك **وقوله** فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ اى طرحوا ما معهم من الحبال والعصي وقالوا بمنعة فرعون انا لنحن الغالبون لموسى فامتلا الوادي حيات فهابه ذلك وقيل لموسى عليه السلام الق ما في يمينك فالقى عصاه من يده فصارت حية عظيمة تلقف ما حوى لهم من السحر ثم دنا موسى عليه السلام منها فقبض عليها فعادت عصا كما كانت ولم يوجد لما تلقفته اثر فلما رات السحرة حبالهم وعصيهم قد ذهبت قالوا لفرعون قد كنا نساحر الناس فان غلبناهم بقيت حبالهم وعصيهم كما هي وان غلبونا كانت عصينا كذلك ولكن هذا حق من الله تعالى فسجدوا وعند ذلك قال الله تعالى **كما قال جل ذكره** فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم من سرعة سجودهم لله تعالى كانهم القوا حين علموا ان ذلك كله من الله تعالى وَقَالُوا آمَنَّا اى صدقنا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ قال لهم فرعون اياي تعنون قالوا رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فرعون آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ اى قال صدقتم به قبل ان امركم بذلك فاوهم قومه بهذا الكلام ان الاقدام عليه فعلوه بغير امره سوء ادب منهم واوهمهم بقوله إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ان التحري بين موسى عليه السلام وبين السحرة كان كله بمنزلة السحر وانه كان ذلك عن موافقة بينهم وبين موسى عليه السلام في السر وقصرت السحرة في السحر ليظهر امر موسى عليه السلام ثم خوف السحرة بالوعيد المطلق بقوله فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ثم فصل الوعيد وقال لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وكان فرعون اول من قطع وصلب **وقوله** قَالُوا لَا ضَيْرَ معناه لا ضرر علينا لانه يقربنا اما تصنع بنا في الدنيا في جنب ثواب الله في الاخرة انا الى ربنا منقلبون ليأخذ حقنا من الظالم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا شركنا وسحرنا ان كنا اول المومنين لموسى عليه السلام من اهل هذا الجمع اليوم وليس في القران ان فرعون فعل بهم ما توعدهم به ولانه لم يفعل الا انه روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه فعل بهم ما وعدهم قطعهم وصلبهم على شاطي نهر مصر فكانوا سحرة في اول النهار شهداء في اخره وعن الحسن رضي الله عنه انه لم يصل

الى قطعهم وقتلهم **قوله عز وجل** وأوحينا الى موسى ان اسر بعبادي معناه واوحينا
اليه ان اسر ببني اسرائيل ليلا واخبرهم ان فرعون وقومه سيتبعونهم وانه ينجيهم من ضررهم
فاسرى بهم موسى عليه السلام ليلا متوجها الى البحر فبلغ ذلك فرعون فارسل فرعون في المداين
جماعة يحشرون الناس ثم قال للقوم ان هولا يعني موسى عليه السلام واصحابه لشرذمة قليلون
اي انهم لفية قليلة والشرذمة في كلام العرب القليل من كل شي من الناس والاموال قال الراجز
جاء الشتاء وقميصي اخلاق ٥ شراذم يضحك منه التواق ٥ روي ان هولا
الذين استقلهم فرعون كانوا يوميذ ستمايه الف وسبعين الفا وكان هامان على مقدمة فرعون
ومعه الفا الف وفرعون في اكثر من خمسة الاف الف ويقال جمع قليل وقليلون وكثير وكثيرون
كما يقال حي واحد وواحدون قال الكميت فرد قواصي الاحيا منهم ٥ فقد رجعوا كحي واحدينا
قوله وانهم لنا لغايظون من كلام فرعون انهم لفاعلون ما يغيظنا لاظهارهم خلاف
ديننا يقال غاظني لشي ولا يقال اغاظني **وقوله** وانا لجميع حذرون اي شاكون
مردون اي ذووا سلاح وبنو اسرايل لا سلاح لهم ويقرا حاذرون والحاذر الذي يحذرك
الان والحذر الذي لا يلقاه الا حذرا **يقول الله تعالى** فاخرجناهم من جنات
وعيون اي من بساتين وعيون جاريه وخزاين مدخرة ومجالس رفيعه من مجالس الملوك
كذلك فعلنا بهم واورثنا ارضهم وديارهم واموالهم بني اسرايل روي ان بني اسرايل رجعوا بعد
هلاك فرعون وقومه الى مصر فسكنوا ديارهم واخذوا اموالهم **وقوله** فاتبعوهم مشرقين
راجع الى قوم فرعون انهم اتبعوا بني اسرايل في وقت شروق الشمس يقال اشرقنا اذا دخلنا في وقت الشروق
كما يقال اصبح اذا دخل في وقت الصباح وامسى اذا دخل في وقت المسا **قوله عز وجل** فلما تراى
الجمعان معناه فلما توافق الفريقان كل واحد منهما بمراى من صاحبه قال اصحاب موسى انا
لمدركون اي الملحقون لحقنا فرعون وقومه واصل الادراك اللحاق يقال ادرك فلان ايام فلان وادرك
الزرع وادرك الغلام وادرك القدر قال لهم موسى عليه السلام كلا ارتدعوا وانزجروا عن هذه المقا[لة]
ان معي ربي ناصري وحافظي سيهدين الى طريق النجاه منهم فالقى الله تعالى على فرعون ومن معه
ضبابة فكانوا في شبه الليل وقوم موسى عليه السلام في نهار مشرق ثم اوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام ان اضرب بعصاك البحر كما قال عز وجل فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضرب
فانفلق اي انشق فصار فيه اثني عشر طريقا لكل سبط طريق ووقف الما لا يجري وكان بين كل طريقين
قطعة من الما كالجبل العظيم وهذا البحر هو بحر قلزم تسلك الناس فيه من اليمن ومكة الى مصر
وقوله وازلفنا ثم الاخرين اي ادنينا بعضهم من بعض وقربناهم من البحر ويقال
جمعناهم فيه بما يسرنا لبني اسرايل من سلوك البحر فكان ذلك سبب غرقهم من البحر حين
اقتحموه وتسمى المزدلفه مزدلفه لاجتماع الناس فيها **قوله** وانجينا موسى ومن معه
اجمعين اي من الغرق ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه **قوله** ان في ذلك
لاية اي في الانفلاق الذي صار سبب نجاه بني اسرايل وفي الانطباق الذي كان سبب غرق
فرعون وقومه لانه على توحيد الله تعالى وصدق نبوة موسى عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين
اي لم يكن اكثر قوم فرعون مع وضوح الادلة لهم على وحدانية الله تعالى وصدق نبوة
موسى عليه السلام مومنين وان ربك لهو العزيز القاهر المنتقم من الكفار الرحيم بالعباد
قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابرهيم اي واقرا يا محمد صلى الله عليه وسلم
قومك خبر ابرهيم عليه السلام اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون قالوا

نعبد

نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي مقيمين على عبادتها قال هل يسمعونكم اذ تدعون
اي هل يسمعون دعاكم ان دعوتموهم او هل ينفعونكم ان عبدتموهم او هل يضرونكم
ان تركتم عبادتهم قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فنحن نقتدي بهم وكان هذا
القول منهم انقطاعا وتحيرا في بدءه قال افرايتم ما كنتم تعبدون اي قال لهم ابرهيم
عليه السلام ارايتم هذا الذي تعبدونه انتم واباوكم الاقدمون المتقدمون فان جميع
من تعبدونهم عدو لي الا رب العالمين وذلك انهم كانوا يعبدون مع الله الاصنام فتبرا ابرهيم
عليه السلام من جميع ما كانوا يعبدونه الا من عبادة الله عز وجل وسمى جميع ما كانوا يعبدونه من
الاصنام عدوا له على معنى انه لو عبدهم لكانوا اعداه يوم القيمة وكانوا كالعدو في الضرر به من جهة
عبادتها وذكر قوله عدو لي على التوحيد في موضع الجمع على معنى ان كل واحد منهم عدو لي
ويقال ان قوله عدو في موضع المصدر كانه قيل فانهم ذوو عداوة فوقعت الصفه موقع
المصدر كما يقع المصدر موقع الصفه في رجل عدل ويجوز ان يكون قوله الا رب العالمين
استثنا منقطعا ومعناه ولكن رب العالمين الذي خلقني ليس بعدو لي فهو يهدين
اي يرشدني الى الحق وذلك انهم كانوا يزعمون ان اصنامهم هي التي تهديهم فقال ابرهيم
عليه السلام ردا عليهم الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يشبعني اذا اجعت ويرويني
اذا عطشت واذا مرضت فهو الذي يشفيني من المرض وهو الذي يميتني في الدنيا ثم يحيين يوم
القيمه للجزا واضاف المرض الى نفسه لان اكثر ما يكون من المرض يكون بكسب العبد على نفسه
كما قال جل وعز وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فلذلك اضافه
الى نفسه وكان القوم يقولون ان المرض من الزمان والاغذيه والشفا من الاطعمة
والادوية **قوله** والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي اي اعلم ان يغفر لي يوم الحساب
وذكر بلفظ الطمع لان ذلك اقرب الى حسن الادب وقد يذكر الطمع بمعنى العلم كما يذكر الظن
بمعناه كما في قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمغفرة في يوم الحساب ابلغ في المنة من
الستر في الدنيا والانبيا عليهم السلام ليس يجوز ان يقع منهم الخطيه التي تكون من
الكبائر فهم معصومون منها لان كل نبي افضل من عالم اهل زمانه **وقوله** رب
هب لي حكما لم يرد به نبوة بعد نبوة وانما اراد زدني علما الى علمي وفقها الى فقهي والحقني
بالصالحين اي اجمع مع النبيين في الثواب وفيه دليل على عظم شان الصلاح الذي هو الاستقامة
على ما امر الله به **وقوله** واجعل لي لسان صدق في الاخرين اراد به الثناء الحسن
وقد استجاب الله دعاه حين تولاه اهل الاديان كلهم ويقال في معناه اجعل في ولدي من
يقوم بالحق ويدعو اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه فانهم هم الذين
اظهروا شرايعه وفضايله **وقوله** واجعلني من ورثة جنة النعيم اي ادخلني
الجنة وذكر بلفظ الارث لان الارث هو المال الذي يصل الى الوارث من غير كسب والله يعطي الجنة
كثيرا من الناس من غير كسب وهم الصبيان والمجانين واما من يعطيه الله الجنة بالكسب
فانه يعطيه اكثرها بسبب تحققه بكسبه **قوله** واغفر لابي اي اهده وانما دعا لابيه
للموعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه والضال هو الذاهب عن طريق الحق
وفي لفظ الضال دليل ان كفره جهل لا كفر عناد **وقوله** ولا تخزني يوم يبعثون
اي لا تفضحني ولا تهتك ستري يوم القيمة وانما قال ذلك مع علمه بانه لا يخزيه اما لطريق
التعبد واما ليكون قوله حثا للغير على الاقتداء به في مثل هذا الدعا **وقوله** يوم

لا ينفع مالٌ ولا بنون وصف من الله تعالى لذلك اليوم اى لا ينفع ذلك اليوم ذا مال ماله الذي
كان له في الدنيا ولا ينفعه بنوه ولا يواسوه بشي من طاعاتهم ولا يحملون عنه شيا من معاصيه
وقوله الا من اتى الله بقلب سليم معناه لكن من اتى الله بقلب سليم من الشرك والشك
فانه ينفعه سلامة قلبه والسليم فعيل بمعنى فاعل من السلامة وفي الحديث ان في الجسد لمضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ويقال القلب السليم هو
القلب اللديغ وهو القلب الذى فيه الوجل من خشية الله عز وجل وفي هذه الايات دليل ان
الذى يستحق الالوهية وان يعبده الناس هو الخالق الهادي المطعم المسقي النافع الضار
القادر على كل شي بعجز غيره عنه لا من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على كل شي قوله عز وجل
وازلفت الجنة للمتقين معناه وادنيت لهم زيادة في سرورهم واظهرت الجحيم للضالين
زيادة في عقوبتهم والتبريز تمكين الظهور بالخروج من الحجب وفي رؤية الانسان ما اعد له
من العذاب شدة المرقلبه وقوله وقيل لهم معناه وقيل للضالين اين الهتكم
التي كنتم تعبدونها من دون الله هل يدفعون عنكم العذاب او هل ينتصرون لانفسهم
وقوله فكبكبوا فيها معناه وجمعوا فيها بطرح بعضهم على بعض وهم كفار مكة
وكفار الانس والجن والهتهم وذرية ابليس وهم الشياطين حتى صار واكبة واحدة
ومن ذلك تسمى الكتيبة وفي الحديث نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملئكة اى جماعة
ويجوز ان يكون معنى كبكبوا اى القوا فيها على روسهم وحقيقته في اللغة تكرير الكب
على الوجه كانه اذا القي نكبت مرة بعد مرة حتى يستقر فيها كما قال بريح صرصر اى صر
وقوله قالوا وهم فيها يختصمون في النار مع الهتهم وروسايهم تالله ما كنا الا
في ذهاب عن الصواب بين اذ نسويكم بين رب العالمين في العباده والتسمية يقرون
على انفسهم بالخطا ويقولون وما اضلنا بالدعا الى الضلال الا المجرمون فما لنا من
شافعين اى ليس لنا من احد يشفع لنا ولا صديق ذى قرابة يهمه امرنا والصديق
الصاحب الذي يصدق في المودة والحميم القريب الذى يحمى بغضب صاحبه والحميم
هو الحامي ومنه الحمى وقوله فلو ان لنا كرة اخبار عن زعمهم انه لو وقعت لهم
كرة الى الدنيا كانوا مومنين وليس كما يقولون لاخبار الله عنهم انهم لو ردوا لعادوا
لما نهي الله عنه وقوله تعالى ان في ذلك لاية اى في محاجة ابرهيم عليه السلام
قومه في اخباره باختصام اهل النار وتبري بعضهم من بعض لعظة للعقلا ومع ذلك لم يومن
اكثر قومه ولم يعتبروا وان ربك لهو العزيز الرحيم اى الغالب على تعجيل الانتقام الرحيم
بالامهال الى ان يومنوا والمنعم عليهم بعد التوبة قوله عز وجل كذبت قوم نوح
المرسلين معناه كذبت جماعة قوم نوح نوحا عليه السلام ومن قبله من الرسل ومن يكون
بعده من الرسل وذلك انه كان يدعوهم الى التوحيد وخلع الانداد وبهذا بعثت الرسل
عليهم السلام ففي تكذيب الواحد تكذيب الاخرين قوله تعالى اذ قال لهم اخوهم
نوح معناه قال لهم اخوهم في النسب الا تتقون عبادة غير الله فتتركون ما انتم
عليه وانما ارسل الله الى كل قوم رسولا من نسبهم لان ذلك ادعى الى القبول من ان يبعث
اليهم من لا يعرفون صدقه وامانته ولسانه ولذلك قال نوح عليه السلام اني لكم رسول
امين اى كنت امينا فيكم قبل اليوم فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله فيما امركم به
واطيعون فيما ادعوكم اليه وما اسالكم على تبليغ الوحي والرساله ما لا فيصدكم ذلك

عن القبول

عن القبول مني وتعتقدون في الطمع ان اجري اى ما ثوابي الا على الذى ارسلني فاتقوا
عقاب الله واتبعوا امري وديني اذ الدلالة قد وضحت لكم وتكرير قوله فاتقوا الله واطيعون
لاني رسول امين واتقوا الله واطيعون لاني لا اسالكم عليه من اجر فتخافوا تلف اموالكم به فاحا
بوا قال الله عز وجل قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي قال له قومه
انقر بك ونصدقك وقد اتبعك سفلتنا وهم الارذلون الاقلون وكان امن بنوح عليه السلام
ضعفا قومه ونساوه وبنوه وكان اكثر من اتبعه يختصون بصناعات خسيسة مثل
الحوكة والاساكفة فلذلك قال اشراف قومه واتبعك الارذلون ويقرا واتباعك الارذلون اي اشياعك
واهل دينك قال لهم نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون اى لا اسال عما كانوا
يعملون ولا اطلب علم ذلك وانما العيب في المعاصي اذ في خسة الصاعة وفي هذا الجواب الذى
ذكره نوح عليه السلام ما يدل على ان قومه نسبوا اتباعه الذين امنوا به الى اعمال منكرة يريدون
بذلك اغراه عليهم واغراهم عليه وافساد ما بينهم وفي قوله ان حسابهم الا على ربي
لو تشعرون ما يدل على انهم نسبوهم الى النفاق واضمار الكفر فقال ان حسابهم اى
ما جزاوهم الا على ربي لو تعلمون ذلك وما انا بطارد المؤمنين اى لا اطردهم من عندي
مع اظهارهم الايمان بسبب فقرهم ولا بسبب طعنكم عليهم ان انا الا نذير مبين
اي معلم بموضع المخافة ليحذروها ممن قبل قرينته ومن رده باعدته لم اكلف علم ما
في الضماير روى انه لما قال لهم ذلك قصدوا الى من امن بنوح عليه السلام فوعظهم
وعاتبهم فقالوا كما قال الله عز وجل قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
معناه قالوا لئن لم تنته عن هذه المقالة لنقتلنك بالحجارة كما قتلنا كثيرا ممن امن بك قال رب
ان قومي كذبون فاحكم بيننا بالفصل الذى فيه نجاتنا وهلاك عدونا ومعاملة كل واحد منا
بما يستحق ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه اى خلصناه ومن معه من المومنين في السفينة
المملوة من الانس والبهايم والسباع والطيور ثم اغرقنا بعد ما ركبوا في السفينة من خارج السفينة
ان في اغراق الله تعالى القوم الكفرين وفي انجا المومنين في السفينة لاية تدل على وحدانية الله
تعالى وكمال قدرته وما كان اكثر قوم نوح عليه السلام مومنين مع قيام الحجة
وانتفا الشبهة وان ربك لهو العزيز اى القادر على اخذ الاعدا المنتقم منهم الرحيم
بالاوليا المنعم عليهم قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين معناه كذبت قوم
هود هودا عليه السلام وجماعة المرسلين اذ قال لهم اخوهم في النسب هود الا تتقون
عبادة غير الله كالرجل يريد ان يامر غيره بشي فيقول له الا تفعل كذا كان ذلك اللفظ الطف من
قوله له افعل كذا واما لفظ الاخوة في الايه فهو كالرجل يقول يا اخا تميم وقوله اني لكم
رسول امين اى ارسلني الله اليكم وايتمنني على الرسالة ومعلوم ان الذي يدعي الامانة
من غير ان يكون معروفا بالامانه يرجع قوله ذلك الى زيادة التنفير عنه وقوله فاتقوا الله
واطيعون اي في ترك تكذيبا لرسل قوله وما اسالكم عليه من اجر فيه بيان ان الذى
يدعو الى الله عز وجل لا ينبغي له ان يطمع فيمن يدعوه اليه بوجه من الوجوه وقوله
اتبنون بكل ريع اية تعبثون اى على كل طريق منظرا متميزا عن ساير الابنية تعبثون بذلك
و... الطريق ريعا من قولهم فلان يريع الى الحلم اى يرجع اليه ويقال الريع بكسر الرا عبارة
عن المكان العالي المشرف وجمعه ارياع وريعه وهو بفتح الرا المصدر من راع يريع ريعا
اذا زاد كما تقال طحن وطحن ومن هذا تسمى ارتفاع الارض ريعا وسمي بناوهم عبثا لانهم كانوا

يسرفون في البنا فيبنون فوق الحاجة يقصدون بذلك التفاخر والتكاثر والتوقي عن مكاره الزمان
وكل واحد من هذه الاشيا عبث فان كل لعب لا لذة فيه يسمى عبثا واما الذي يكون فيه لذة فهو
لعب **قوله عز وجل** وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ اى مجامع الما وهي الحياض وواحد المصانع مصنعة
ويقال اراد بالمصانع جميع المباني التي تصنعها الناس من البساتين وغيرها **وقوله** لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ اى تفعلون ذلك رجاان تخلدوا او ان تفعلوا فعل من يخلد ولا تخلدون **وقوله**
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ معناه واذا بطشتم بمن دونكم بطشتم متكبرين متجبرين ضربا
بالسوط والسيف تقتلون على الغضب والبطش هو الاخذ بالشدة والجبار هو العالي بالقدرة يقال
نخلة جبارة اذا كانت مرتفعة لا تنالها الايدي وهو صفة مدح لله تعالى لان هذا المعنى
حقيقة فيه وهو صفة ذم لغير الله تعالى لانه كذب فيه **وقوله** فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
اى اتقوا عقاب الله تعالى باصراركم على ما انتم عليه وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ من نعمه
وفي قوله أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ بيان بعض المنعم والامداد اعطا الشي واحدا بعد واحد
على وجه لا ينقطع **وقوله** إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اى اعلم انه سينزل بكم عذاب فظيع ان
لم تومنوا ولم تصدقوا قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا معناه مستو عندنا او عظتنا ام لم تعظنا
فلا نترك هذه العادة ما هذا الذي تقول الا خلق الاولين اى اختلاقهم وكذبهم ارادوا
بهذا من قبله من الرسل ويجوز ان يكون معنى خلق الاولين ما خلقنا الا كخلق الاولين نحيى
ونموت ولا نبعث ومن قرا خلق بضم الخا واللام فمعناه ما هذا الا عادة الاولين كانوا يدعون
الرسالة ولم يكونوا صادقين ويقال معناه ما هذا الذي نحن فيه من تشييد البنا والبطش على
التكبر الا عادة الاولين فلا نتركها بقولك وانكر بعضهم ان يكون معنى خلق الاولين كذب الاولين
وقال لانهم كانوا يقولون ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وليس الامر على ما توهم لانهم قد سمعوا
بالدعاة الى الدين وكانوا عندهم كذابين ولذلك قال جل وعز كذبت عاد المرسلين وقال
ان هذا الا اساطير الاولين ومعنى ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ما سمعنا انهم صدقوا بشي منه
او ذكروا انه حق وصواب بل قالوا باطل وخطا **وقوله** وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اى قالوا نحن لا نعذب
على اصرارنا على هذه الحالة فكذبوا هودا عليه السلام بعد وضوح الحجة وانتفا الشبهة فاهلكناهم
بريح صرصر عاتية ان في اهلاكنا اياهم مع شدة قوتهم وشوكتهم باضعف الاشيا وهو الريح
لدلالة على وحدانيتنا وصدق نبوته ولم يكن اكثرهم مصدقين بالله تعالى فانه لم يومن به
الا القليل منهم **وقوله** كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ معنى التكذيب الرد للخبر بانه كذب
وتكذيب النبي كفر لانه جحد لنعم الله تعالى في ارساله والمرسل المحمل للرسالة من الله تعالى
الى عباده والاجر الجزا على العمل بالخير والامين الذي تومن منه الخيانة **قوله عز وجل**
أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ اى قال لهم صالح عليه السلام اتتركون في الدنيا امنين من الموت
والعذاب تاكلون وتشربون وتتمتعون ولا تكلفون ولا تبعثون **وقوله** فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
اى تظنون انكم تتركون في بساتين ومياه ظاهرة وحروث ونخل ثمرها مدرك ناعم نضج
ينضم بعضه الى بعض وينهشم في الفم وَتَنْحِتُونَ اى تنقبون في الجبال اسرابا أَشِرِينَ بطرين
فرهين ومن قرا فارهين بالالف فمعناه حاذقين في نحتها ويقال الفره والفاره بمعنى واحد
وقوله وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ اى امر روسايكم وكبرايكم الذين يفرطون في المعاصي
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ اى قال له قومه انما انت ممن سحر مرة بعد مرة فلا نومن بك
ويقال معنى المسحر المعلل بالطعام والشراب والسحر مجرى الطعام يقال انتفخ سحره اى ريته **وقوله**

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا اي لست بملك ولا نبي ولا فضل لك علينا فات بعلامة لنبوتك ان كنت
من الصادقين في مقالتك فسالوه ان يخرج لهم ناقة عشرا من صخرة ملسا يجمعهم وحملهم
الى تلك الصخرة التي سالوه ان يخرج الناقة منها ثم دعا الله تعالى فتمخضت تلك الصخرة
كما تتمخض المراة الحامل عند الولادة فخرجت عنها ناقة على الصفة التي سالوها لا نظير لها
في النوق وكان يسد جنباها ما بين الجبلين لعظمها فقال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم اى اجعلوا الشرب بينكم وبينها نصفا بينكم لها نوبة يوم
لا تحضرون معها ولكم نوبة يوم لا تحضر هي معكم فكانت تستنفد المياه في يوم نوبتها ولا
يزاحمونها فيه وكانوا ينتفعون بشربهم في يوم نوبتهم ولا تزاحمهم فيه والشرب في اللغة
هو النصيب من الما والشرب بضم الشين المصدر والشرب بنصب الشين جماعة الشراب **وقوله**
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ اى تصيبوها بعقرها ولا اذى ذروها تاكل وترتع في ارض الله تعالى فانكم
ان تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها روي انهم جرحوها يوم الاربعا فقتلوها
واقتسموا لحمها فبلغ الفا وثماني مائة منزل ثم اصبحوا نادمين على قتلها فاخذهم العذاب
في اليوم الثالث وهو يوم السبت صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا اجمعين ان في ذلك
لاية اى في اخراج الناقة من الصخرة على تلك الصفة وفي اهلاكهم عند العقر لعلامة وعبرة
لمن بعدهم ولم يكن اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز اي المنتقم من الكفار المنعم على
العباد **قوله عز وجل** كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ فيه بيان قول لوط عليه السلام
لقومه كقول الانبيا قبله من الدعا الى تقوى الله وانه امين على وحي الله تلزمهم طاعته
بامر الله تعالى وان اجره على الله لا عليهم **وقوله** أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ
معناه اتصيبون الذكور حراما في ادبارهم وتتركون ما احل لكم ربكم من فروج نسائكم
بل انتم قوم عادون اى متجاوزون عن الحد في الظلم باختيار الحرام على الحلال قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان لم تمتنع عن تقبيح فعلنا والانكار علينا
لنخرجنك من ارضنا قال لهم لوط عليه السلام اني لعملكم من القالين اى من المبغضين
والقالي هو التارك للشي الكاره له غاية الكراهة **وقوله** رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ
اى خلصني واهلي من اعمالهم القبيحة حتى لا نراهم ولا نرى عملهم واذا نجاهم من نفس عملهم
دخل فيه النجاة من عاقبة عملهم فنجيناه واهله اى خلصناه وخلصنا بناته ومن امن به
اجمعين من العذاب الذي وقع بهم **وقوله عز وجل** إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ
اراد به امراته واهله بقيت فيمن بقي في موضع العذاب فهلكت معهم وكانت تدل المشركين
على ضيافه والغابر الباقي في قلة ومنه الغبار وهو ما بقي من التراب بعد الكنس والعجوز
المراة التي عجزها سنها عن كثير من الامور **وقوله** ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ اى اهلكنا
الاخرين بعذاب الاستيصال كما تقدم ذكره ان جبريل عليه السلام رفعهم ببلادهم حتى
بلغ بهم الى السما ثم قلبهم كما قال جل وعز فجعلنا عاليها سافلها **قوله** وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا اى امطرنا على شذاذهم ومسافريهم حجارة من سجيل فساء مطر
القوم المنذرين الذين انذرهم لوط عليه السلام فلم يومنوا ان في اهلاكنا اياهم لدلالة
وعبرة لمن بعدهم وان ربك هو المنيع بالنقمة المنعم بالامهال **قوله عز وجل**
كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ اختلفوا في ليكة قال بعضهم هو اسم مدين وهما شي
واحد الا انه تعالى سمى شعيبا اخاهم في قوله والى مدين اخاهم ولم يذكرها هنا انه

كان اخاهم وقال بعضهم ان ليكة اسم لمدينة اخرى غير مدين وكان هو مبعوثا الى كل واحدة من المدينتين
عز انه كان اخا مدين ولم يكن اخا ليكة ومن قرا اصحاب الايكة فالايكة هي الغيضة ذات الشجر الملتف وجمعه ايك
ويقرا ليكة بغير الف وكسر الهاء ومعناه الايكة كما تقول جاني الاحمر وجاني لحمر قوله اوفوا الكيل معناه اتموا
الكيل اذا كلتم ولا تكونوا من الذين يخسون حقوق الناس في الكيل والوزن والاخسار هو المعرض للخسران
ونقيضه الارباح وقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم فيه قراتان كسر القاف وضمها واختلفوا
فيه قال بعضهم هو القبان ويقال هو الميزان ويقال هو العدل وقوله ولا تبخسوا الناس
اشياءهم اى لا تنقصوا حقوق الناس بدفع النقصان واخذ الزيادة ولا تعثوا في الارض مفسدين اى
لا تعملوا في الارض بالمعاصي والفساد واتقوا الذي خلقكم اى اخشوا فيما تفعلون عقاب الذي خلقكم
وخلق الخلق الذين من قبلكم والجبلة بكسر الجيم والباء وبضمهما الخلق الكثير وقوله انما انت
من المسحرين اى قالوا له انما انت من المجوفين مثلنا ممن له سحر ويقال انما انت ممن سحر به
مرة بعد اخرى وما انت الا ادمي مثلنا وان نظنك اى وما نظنك الا لمن الكاذبين فيما تقول وتدعى
انك نبي مبعوث الينا
فاسقط علينا كسفا اى جانبا من السما ان كنت من الصادقين في انك نبي مبعوث الينا وان هذا
العذاب نازل بنا وهذا اذا قرات كسفا بفتح السين فاما اذا قرات كسفا بفتح السين فهو جمع الكسفة
وهي القطعة مثل كسرة وكسر وقوله قال ربي اعلم بما تعملون اى هو اعلم بعملكم وبما
تستحقون من العذاب وبوقت الاستحقاق فينزل بكم العذاب على ما توجبه الحكمة وقوله فكذبوه
اى كذبوا شعيبا بعد ظهور الحجة عليهم فاخذهم عذاب يوم الظلة انشا الله سحابة عليهم حتى
اظلتهم في يوم حر شديد فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فاطبقت عليهم
فامطرت عليهم نارا فاهلكتهم وقوله وانه لتنزيل رب العالمين معناه وان القران
لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام وقد اختلفوا في تسميته روحا قيل لانه انما سمي
روحا لان حيوة الاديان وبقاها وحيوة الارواح بما ينزل هو به من البركات وقيل لانه جسم
روحاني خلق من الهوا لان الحيوة اغلب عليه فكانه روح كله واما تسميته امينا فلانه لم
يخن في شي قط مما امر به كما قال تعالى مطاع ثم امين ومن قرا نزل به الروح بتشديد الزاي ونصب
الحا فمعناه نزل الله تعالى جبريل عليه السلام ومعنى على قلبك نزل به فاوعاه قلبك كي لا تنساه كما
قال جل ذكره سنقرئك فلا تنسى ويجوز ان يكون معنى على قلبك على قدر حفظ قلبك لتكون من المنذرين
اى من المعلمين بموضع المخافة وقوله بلسان عربي مبين اى لتنذر العرب بلغتهم فيكون
ذلك اقرب الى فهمهم واقطع لعذرهم وفي الاية تشريف لغة العرب على سائر اللغات ولذلك
جعلت هذه اللغة لاهل الجنة ولغة العجم لاهل النار وقوله وانه لفي زبر الاولين
اراد به ان ذكر القران مذكور في كتب الاولين ولم يرد به عين القران لانه تعالى خص محمدا صلى الله
عليه وسلم بانزال القران عليه وبكون القران معجزا له فلو كان مذكورا بعينه في الكتب الماضية
لبطل التخصيص ولكنه سبحانه ذكر في الكتب المتقدمة انه سيبعث نبيا في اخر الزمان صفته
كذا وسينزل عليه كتابا صفته كذا كما قال جل وعلا يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وهذا هو معنى قوله ان هذا لفي الصحف الاولى اى مذكور في الصحف الاولى ان الناس في الغالب
يوثرون الحيوة الدنيا على الاخرة وان الاخرة خير وابقى قوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه
علماء بني اسرائيل وروي في سبب نزوله ان اهل مكة بعثوا الى اهل الكتاب يستخبرونهم عن
محمد صلى الله عليه وسلم وعن ما يدعي من الرسالة وصدقوهم في نعته وصفته فاخبرهم اهل الكتاب
ان ذكره عندنا وانه نبي مبعوث فاتبعوه والمعنى اولم يكن لاهل مكة علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

ان

ان يعلمه علماء بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن قرا اية بالنصب فالمعنى او لم يكن علم
علماء بني اسرائيل بصدقه وصحة نبوته دلالة لغيرهم على ذلك وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين
اى ولو نزلنا القران على رجل اعجم لا يفصح ولا يقدر على العربية فقراه عليهم لم يكونوا مؤمنين به
وفي هذا بيان معاندتهم والاعجم والاعجمي بمعنى واحد وهو الذي في لسانه عجمة ومنه العجما وهي
الدابة فاما العجمي فهو منسوب الى العجم افصح او لم يفصح وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه انه سيل عن هذه الاية وهو راكب ناقة فاشار اليها وقال هذه من الاعجمين كانه ذهب الى ان
معنى الاية لو نزلنا هذا القران على البهايم فانطقناها به فقراته عليهم ما امنوا به وفي الشواذ على
بعض الاعجميين بالياء والتشديد وقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اى كذلك
ادخلنا التكذيب في قلوب الكافرين اذ قراه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم قيل ان معنى الادخال
ها هنا هو الاخطار بقلوبهم ما لهم ليتفكروا فيه فتقوم الحجة عليهم لان التكذيب لا يكون الا بعد ان
يقرا عليهم وكان ذلك هو السبب كما في قوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس وهذا هو معنى
الطبع الذي تقدم ذكره في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وفي قوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم وقوله لا يؤمنون به اى لا يؤمنون بالقران حتى يروا عذابا يلجيهم الى الايمان
ويجوز ان يكون المراد بالعذاب قيام الساعة ولذلك قال فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون
اى لا يعلمون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون اى لنومن ونصدق وقوله تعالى افبعذابنا
يستعجلون اى يستعجلون بعذاب لو اتاهم طلبوا الانظار ثم لا ينظرون قوله تعالى افرايت
ان متعناهم سنين معناه افرايت يا محمد صلى الله عليه وسلم ان امهلناهم في كفرهم سنين
ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون ما اغنى عنهم من عذاب الله تعالى ما كانوا يمتعون تلك
السنين وهذه موعظة ما ابلغها حكي ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله
كان اذا قعد للقضا كل يوم ابتدا بهذه الاية يوعظ بها نفسه ثم ذكر هذه الابيات

نسر بما يفنى وتفرح بالمنى ۵ كما اغتر باللذات في النوم حالم ۵
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ۵ وليلك نوم والردى لك لازم ۵
وتطمع فيما سوف تكره غبه ۵ كذلك في الدنيا تعيش البهايم ۵

قوله تعالى وما اهلكنا من قرية معناه وما اهلكنا اهل قرية الا لها منذرون قبل
الاهلاك ونظير هذا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال الحسن ولو اهلكهم قبل
بعث الرسل كان ذلك عدلا وذلك اشارة الى ان الله تعالى قد اقام عليهم حجة العقل ولكن
بعث الرسول وانزل الكتاب مظاهرة في العدل الا ترى انه لو ارسل رسولا واحدا وانزل كتابا
واحدا لكان كافيا ولكنه ارسل الرسل وانزل الكتب مرة بعد اخرى مبالغة في الزام الحجة وقطعا
للمعذرة وقوله ذكرى يجوز ان يكون نصبا على معنى الا لها منذرون ذكرى ويجوز ان يكون
في موضع رفع على معنى ذلك عظة لهم وفي قوله وما كنا ظالمين بيان ان اهلاكهم لم يكن
الا بعدل من الله عز وجل من بعد اخذ الحجة عليهم وقوله وما تنزلت به الشياطين معناه
لم تنزل الشياطين بالقران كما يزعم الكفار وانما هو تنزيل رب العالمين وهذا كالمتصل بما قبله
وقوله وما ينبغي لهم معناه وما ينبغي للشياطين ان ينزلوا بالقران وما يقدرون على
ذلك انهم عن السمع لمعزولون اى لفي عزلة عن سماع الوحي والعزل التنحية عن الموضع الى
خلافه وذلك ان الشياطين لما رموا بالنجم منعوا من السمع بحراسة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك قالوا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الى اخر الاية قوله ولا تدع مع الله الها اخر

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره والمعنى كل من دعى مع الله الها اخر كان من المعذبين **وقوله** وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ روى انه لما نزلت هذه الاية نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا آل غالب يا آل لؤى بن كعب يا آل مرة يا آل كلاب يا آل قصى يا آل بنى عبد مناف فاتوه فقالوا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو حدثتكم ان جيشا اظلكم هل انتم تصدقونى قالوا نعم فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وانى لا املك لكم من الله تعالى شيا الا ان تقولوا لا اله الا الله فانذرهم وكان يقول يا عباس ويا صفية يخاطب عمته ويا فلان ويا فلان انقذوا انفسكم من النار ومعنى الاية عرف قرابتك يا محمد صلى الله عليه وسلم انك لا تغنى عنهم من الله شيا ان عصوه والفايدة فى تخصيص الاقربين بالانذار انهم كانوا اقرب اليه كما قال الله عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وكما ان الاولى بالانسان فى البر والصلة ان يبدا بالاقرب فالاقرب وفى هذا التخصيص تنبيه على انه اذا كان مامورا بانذار الاقربين كان اولى بانذار الناس **وقوله عز وجل** وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اى الن جانبك لهم بان تتواضع لهم ولا تتكبر عليهم **وقوله** فَإِنْ عَصَوْكَ اى ان عصاك الاقربون من عشيرتك فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ مما تدينون به من الشرك وعبادة الاصنام وَتَوَكَّلْ اى فوض امرك الى الله **وفى قوله** عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ اشارة الى ان الله هو الغالب القادر على ان يكفيك كيد اعدائك وهو الرحيم بالمومنين خاصة فى العقبى والدنيا فكيف لا تفوض امورك اليه وهو الذى يراك حين تقوم الى الصلوة ويرى قيامك وركوعك وسجودك وتضرعك مع المصلين انه هو السميع لما تتلو فى صلوتك العليم بما تضمر فيها ويجوز ان يكون المعنى يراك حين تقوم من قبرك وتلتمس الشفاعة للمومنين ويقال فى معنى وتقلبك فى الساجدين تقلبك فى اصلاب اباءك الاولين المومنين من صلب نبى الى صلب نبى **قوله عز وجل** هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم هل اخبركم على من تنزل الشياطين وهو راجع الى قوله وما تنزلت به الشياطين **قوله** تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ اى على كل كذاب كثير الاثم مثل مسيلمة وغيره من الكهنة يلقون السمع اى الشياطين يصغون ويستمعون الى كلام الملئكة ثم يضيفون الكذب الى ذلك فيخبرون به الكهنة ويجوز ان يكون معناه يلقون ما يسمعون باستراق السمع الى كل افاك والافاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق الى جهة الكذب والموتفكات المنقلبات **قوله** وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ فيه بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعرا وان الغالب على الشعرا الغى باتباع الهوى لان الذى يثير الشعر فى الاكثر العشق ولهذا يصدر بالتشبيب مع ان الشاعر يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك الى الكذب وصفة الانسان بما ليس فيه من الفضايل والرذايل ويقال اريد بهذه الاية شعرا الجاهلية الذين كانوا يهجون الاسلام والمسلمين وهم عبد الله بن الزبعرى وامية بن ابى الصلت وابو سفين بن الحرث وكان يتبعهم الرواة وعن مجاهد رضى الله عنه انه قال هما الشاعران يتهاجيان فيكون لهما اتباع من الغواة وفى الحديث لان يمتلى جوف احدكم قيحا حتى يريه احب الى من ان يمتلى شعرا واراد به الشعر المذموم **وقوله عز وجل** أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ اى انهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهايم على وجهه فى كل واد بغزله يخوضون فى طريق من الكلام من غير تذكر ولا تفكر فى صحة ولا فساد ولا فى عاقبة يغلون فى المدح والذم **وقوله** وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ اى يصفون انفسهم بمدحة ما ليس فيها وينزهون انفسهم عن معايب فيها **قوله تعالى** إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثنا الشعرا المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك كانوا يذكرون الله كثيرا فى شعرهم ويناضلون عن النبى صلى الله عليه وسلم بالسنتهم وايديهم من بعد ما هجاهم الكفار والانتصار بالشعر جايز فى الشريعة

مما يجوز ذكره منها كما قال الله تعالى فى اية اخرى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لحسان اهجهم ومعك روح القدس وعن ابى بن كعب وابن مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا **قوله تعالى** وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وعيد للكفار معناه سيعلمون مصيرهم الى اى مصير يصيرون اليه وهو النار يخلدون فيها وتعلق هذا بكون قوله اى منقلب منصوبا بدلا من المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله سيعلم لان ايا لا يعمل فيه ما قبله لانه من حروف الاستفهام وموضع حروف الاستفهام صدر الكلام فكان انتصاب قوله اى منقلب على معنى المصدر او بقوله ينقلبون **وعن ابى** بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ولوط واسحق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام وبعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية كلها وهى ثلث وتسعون اية عند الكوفيين واربع وتسعون عند البصريين

بسم الله الرحمن الرحيم طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ قال ابن عباس رضى الله عنهما طس اسم من اسما الله اقسم به ان هذا القران تلك الايات التى وعدتم بها وقال قتادة رحمه الله هو اسم من اسما القران ويقال هو اسم السورة اى هذه السوره تلك الايات التى وعدتم بها وقوله وكتاب مبين معناه وايات الكتاب المبين بالحلال والحرام وفى الاية جمع بين صفتى القران لبيان انه يقرا ويكتب وانه مولف من هذه الحروف التى هى من اصل كلامهم فلما عجزوا عن الاتيان بمثله دل على انه معجز من الله تعالى **وقوله** هُدًى وَبُشْرَىٰ يجوز ان يكون فى موضع نصب على الحال اى جعلناها هادية مبشرة لِلْمُؤْمِنِينَ وتخصيص المومنين لان منفعة الهداية راجعة اليهم ويجوز ان يكون قوله هدى فى موضع رفع على اضمار هو هدى **وقوله تعالى** الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ نعت للمومنين الذين يصلون الصلوات الخمس بشرايطها فى مواقيتها ويعطون الزكوة المفروضة من اموالهم وهم بالاخرة وما فيها من البعث والحساب والجنة والنار يوقنون اى يقرون ويصدقون **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ اى لا يصدقون بالاخرة زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ التى يلزمهم ان يعملوها زيناها لهم بذكر ثوابها فَهُمْ يَعْمَهُونَ يتحيرون بالذهاب عنها هكذا روى عن الحسن رضى الله عنه يقال فلان يعمل عمله وفلان لا يعمل عمله والمراد به العمل الذى يلزمه ويقول الرجل لغيره وهو ينصحه اعمل عملك اى العمل الذى يليق بك والذى امرت به ويقال فى معناه زينا لهم اعمالهم التى كانوا يعملونها بخلق الشهوة فيهم والتمكين منها والاقتدار عليها ليتجنبوا ما يشتهى من القبايح فيستحقوا الثواب فهم يعمهون عن هذا المعنى **قوله تعالى** أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ اى اشد العذاب وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ اى المغبونون بذهاب الجنة عنهم ودخولهم النار والاخسر افعل من الخسران **قوله تعالى** وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ لتلقن القران وتعطى وحيا من عند الله تعالى نزله بعلمه وحكمته **وقوله تعالى** إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ معناه واذكر اذ قال موسى عليه السلام لقومه المختصين به وكانت حينئذ ابنة شعيب عليه السلام فى نكاحه قال لهم حين ضل الطريق انى آنست نارا اى رايتها وابصرتها فامكثوا ههنا حتى اتيكم منها اى من عند النار بخبر الما والطريق وذلك لان النار فى المفاوز قل ما يخلو ان يكون عندها من يعرف الما والطريق **وقوله** أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ اى بالشعلة المقتبسة من النار لكى تدفؤا من البرد وفى هذا دليل ان ذلك كان فى الشدة من البرد

في الشتا وكانوا محتاجين الى الصلاء والشهاب هو النور المستطيل ومنه قوله فاتبعه شهاب ثاقب وذلك ان النجم يسير فيستطيل والقبس والجذوة كل عود اشعلت في طرفه نارًا فمن قراها بشهاب قبس بتنوينهما جعل القبس نعتا للشهاب ومن قرا بشهاب بغير تنوين اضاف الشهاب الى القبس وقوله فلما جاءها نودي معناه فلما جا موسى عليه السلام النار التي راها نودي نداء الوحي ان بورك من في النار اي من في طلب النار ومن حولها من الملئكة ويقال انه لما دنا من النار اضات له البقعة واحاط به النور من جوانبه فنودي ان بورك من في النار والنار ههنا نور ومن في النار هو موسى عليه السلام ويقال كان من في النار ومن حولها مليكة واهل اللغة يقولون بورك فلان وبورك فيه وبورك له وعليه بمعنى واحد والمراد بالبركة ههنا ما نال موسى عليه السلام من الكرامة ومن النبوة ونظير هذا قوله تعالى في اضياف ابرهيم اذ قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ويجوز ان يكون المعنى من في النار من على النار او عند النار كما يقال فلان على الماء اذا كان قريبا منه شرفا عليه وقوله وسبحان الله رب العالمين كلمة تنزيه تدل على ان تاويل الاية ما ذكرناه ولو كان الامر على ما يظن المشبهة ان الله تعالى كان في تلك النار لكانت النار تحويه وعباد الصنم اعذر ممن عبد شيا تحويه النار وقوله يا موسى انه اى ان الداعي الذي يدعوك انا الله العزيز في ملكي الحكيم في امري وقضائي فان قال قايل بماذا عرف موسى عليه السلام ان ذلك النداء من الله عز وجل حتى جعل يدعوا الناس الى نبوة نفسه قلنا انما عرف نبوة نفسه بالمعجز وذلك انه راى شجرة اخضر ما يكون وانضر ما يكون لها شعاع يرتفع الى السما في الهوا والنار تلتهب في اوراقها واغصانها فلا النار تحرق الاوراق ولا الاغصان ولا رطوبة الشجر تطفي النار فلما راى ذلك خلاف العادة علم انه ليس الا من صنع الله تعالى وقيل انه سمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجميع الجوارح قوله تعالى والق عصاك اى وقيل له الق عصاك من يدك فالقاها فاهتزت فلما راها تهتز اى تتحرك وتضطرب كانها جان والجان الحية الخفيفة السريعة السير الشديدة الاضطراب يقال لها الضئيلة وتسمى جانا لسرعة استتارها عن الاعين فشبهت العصا بعد ان صارت حية بالجان لشبهها به في الخفة لا في القدر والعظم فانها كانت ثعبانا في العظم وقوله عز وجل ولى مدبرا اى اعرض موسى عليه السلام هاربا ولم يعقب اى لم يلتفت الى شيء وراه فنودي يا موسى لا تخف اى لا تخف من ضررها اني لا يخاف لدي المرسلون اى لا يخاف في حكمي المرسلون الا من ظلم من المرسلين بارتكاب الصغيرة ثم تاب من بعد ذلك فاني غفور له رحيم به وكان السبب في هذا الاستثنا ان موسى عليه السلام كان مستشعرا خيفة لما كان منه من قتل القبطي فامنه الله تعالى بهذا الكلام والصغاير والكباير من الذنوب تسمى ظلما ولهذا قال موسى عليه السلام اني ظلمت نفسي ويقال ان قوله الا من ظلم استثنا منقطع ومعناه لكن من ظلم فانه يخاف في الا ان يتوب ويعمل صالحا فاني اغفر له وارحمه وقوله تعالى وادخل يدك في جيبك فيه بيان ان الله تعالى اعطاه اية اخرى في ذلك المكان ومعنى تخرج بيضا من غير سوء اى بيضا لها شعاع من غير برص في تسع ايات اظهر هاتين الايتين في تسع ايات كما يقال اعطى فلان عشرا من الابل فيها فحلان والايات التسع قلب العصى حية وجعل يده بيضا وما اصاب فرعون من الجدب في بواديهم ونقص الثمرات من مزارعهم وارسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم عليهم فهذه الايات التسع قوله عز وجل فلما جاءتهم اياتنا مبصرة معناه فلما جاءت فرعون وقومه الايات التسع مبصرة اى بينة واضحة قالوا

هذا

هذا سحر مبين اي كذبوا بكل اية من الايات ونسبوا موسى عليه السلام الى السحر قوله عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم اى جحدوا بالسنتهم وعلموا بقلوبهم ان تلك الايات ليست من جنس افعال السحرة وانها من الله تعالى وكانوا يسالون موسى عليه السلام في كل اية من تلك الايات ان يكشفها عنهم وكان يكشفها عنهم عند سوالهم فعلموا يقينا انها من عند الله تعالى لكن جحدوا بها ظلما وعلوا تجبرا وتكبرا فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين كيف كانت خاتمة امرهم وكيف اهلكهم الله تعالى في اليم قوله عز وجل ولقد اتينا داود وسليمن علما اى اعطيناهما معرفة الدين واحكام الشريعة فقابلا تلك النعمة بالشكر وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وذلك انه لا يبلغ علم احد من الناس علم احد من الانبيا صلوات الله عليهم قوله عز وجل وورث سليمن داود وذلك انه كان لداود تسعة عشر ابنا الا ان سليمن عليه السلام هو الذي ورث مجلسه ومقامه في امر الملك والنبوة والدعا الى عبادة الله تعالى وسياسة الناس والرياسة عليهم كما يقال العلما ورثة الانبيا ولا يجوز ان يكون المراد به ارث النبوة لان النبوة لا تورث ولا يجوز ان يكون المراد به ارث المال على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة وقوله وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير فيه دليل ان المراد بقوله من قبل وورث سليمن المقام مقام ابيه في العلم ولذلك جعل علم منطق الطير داخلا في جملة ما ورثه ومنطق الطير صوت منه على صيغة واحدة لا يمكن فهم معناه الا بوحي من الله تعالى او بدلالة تدل عليه كما يعلم بكا الغم من بكا الفرح بالدلالة قال الشاعر عجبت لها اني يكون دعاوها فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما ومن الطير ما له كلام كالطوطي وغيره الا ان المنطق والكلام اذا اطلق كل واحد منهما اريد به الصوت الذي يكون له حروف تكون على صيغ مختلفة يفهم معناها ولما كان سليمن عليه السلام يفهم منطق الطير وهو على صيغة واحدة كان ذلك كالمعجز له كما حكي انه عليه السلام كان جالسا في اصحابه اذ مر به طير يصوت فقال لجلسايه اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول ليت الخلق لم يخلقوا واذا خلقوا ليتهم علموا لماذا خلقوا ثم صاح عنده ديك فقال هل تدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول اذكروا الله يا غافلين وقوله واوتينا من كل شيء يعطاه مثلنا من علم وتسخير كما يقال ان فلانا يقصده كل احد اى كثير من الناس ان هذا لهو الفضل المبين اى هو البين الظاهر قوله عز وجل وحشر لسليمن جنوده اى جمع له من كل جهة جموعه من الجن والانس والطير والحشر جمع الخلق من موضع الى موضع ومنه المحشر لعرصات القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان معسكر سليمن عليه السلام مايه فرسخ خمسة وعشرون فرسخا للانس وخمسة وعشرون فرسخا للجن وخمسة وعشرون فرسخا للسباع وخمسة وعشرون فرسخا للطير ووجه تسخير الطير له ان الله تعالى زاد في عقولها حتى كانت تفهم ما يقال لها ويراد منها وتقبل الادب وتخاف وتحذر وقوله فهم يوزعون اى كان يحبس اولهم على اخرهم ليلاحقوا وكانوا يجتمعون ويتفرقون ويقومون في مسيرهم على مراتبهم والايزاع هو المنع من الذهاب والوازع هو القيم بامر الجيش ومن ذلك قول الحسن رضي الله عنه لا بد للناس من وزعة اى من سلطان يكفهم ويقال لا بد للسلطان من وزعة اى ممن يمنع الناس عنه قوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل معناه ساروا جميعا حتى اذا جاوا الى واد كثير النمل قالت نملة لاصحابها على وجه التحذير يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم اى منازلكم لا يحطمنكم لا يكسرنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون بذلك فابلت عذر سليمن في ذلك وعذر جنوده

واخبرت انهم لا يطؤونهم عن علم منهم فسمع سليمن عليه السلام كلامها ولم يسمعها غيره لان الريح كانت مسخرة له فطارت بكلامها فادخلته في اذن سليمن عليه السلام فضحك فرحًا بظهور عدله في الخلق حتى عرفته النمل فاخبرت انهم لا يطؤونهم عن علم منهم وذلك قوله فتبسم ضاحكا من قولها اي تعجبا من قول تلك النملة وقال رب اوزعني اي الهمني بما يمنع ذهاب الشكر عني ووفقني لشكر نعمتك التي مننت بها علي وعلى والدي ووفقني لان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين في الاخرة فان قال قايل بماذا عرفت النملة سليمن عليه السلام وعلى اي سبيل كانت معرفتها به قلنا كانت مامورة بطاعته فلا بد من ان تعرف من امرت بطاعته ولا يمتنع ان تعرف الدواب والبهايم هذا الضرب كما تعرف كثيرا مما فيه نفعها وضررها والنملة من الطفهم فوق هذا فانا نشاهد كثيرا صنيعها في ادخار رزقها وحفظه وتعهده حتى انها تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين لئلا ينبت الا الكزبرة فانها تكسرها باربع قطع لانها اذا كسرت بنصفين تنبت ونحن نشاهد اهتدايها في قطارها حتى تذهب الى الموضع الذي تريد ثم تهتدي الرجوع الى منزلها فمن هداها الى هذه الاشيا فهو الذي يهديها الى ما يحطمها مما لا يحطمها ولا يستنكر ان يكون للنمل احوال خافية من الادميين يطلع الله تعالى عليها من يشا من انبيايه صلوات الله عليهم معجزة له **قوله تعالى** وتفقد الطير اي تعرف عن احوال الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد اعيناي تخطيه فلم تره بين الطير ام كان من الغايبين عند ارتحالنا ام غاب بعد ما حضر **واختلفوا** في سبب تفقده عن حال الهدهد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الهدهد يرى الما من تحت الارض كما نراه من الزجاج وكان سليمن عليه السلام اذا احتاج الى الما في مسيره امر الهدهد حتى ينظر الى اقرب موضع من الما فيخبره به فيامر الشياطين بحفر ذلك الموضع لاظهار الما فاحتاج ذلك اليوم الى الما فلذلك تعرف عن حال الهدهد قال عكرمة قلت لابن عباس رضي الله عنهما كيف هو يرى الما من تحت الارض وان صبياننا لياخذونه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة قال ابن عباس رضي الله عنهما القى هذه الكلمة على لسانك الا الشيطان اما تعلم انه اذا جا القدر ذهب البصر وقال وهب بن منبه كان تفقده اياه لاخلاله بنوبته كما يتعرف الوالي عن رعيته ويقال كانت الطير تظله من الشمس كانت تقف في الهوا مصطفة موصولة الاجنحة ومتقاربة فلما اخل الهدهد بمكانه بان ذلك بوقوع الشمس عليه فلذلك تعرف عن حاله **وقوله** لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه وتعذيبه بنتف ريشه والقاوه في الشمس على تلك الحالة ويقال هو قص جناحه ويجوز ان يعاقب من لا يجري عليه القلم على وجه التاديب على الذنب الذي يكون منه كما يودب الاب ولده الصغير واما الذبح فهو في الاوداج مما يجري روح الحيوان وذلك جايز من غير ذنب منه **وقوله** او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة توجب عذره في غيبته واخلاله بمكانه فلما رجع بعد مكثه غير وقت بعيد فقال لسليمن احطت بما لم تحط به وجيتك من سبا بخبر صدق لا شك فيه فذكر خبرا يحتاج الى معرفته لما فيه من اصلاح قوم تلاعب بهم الشيطان عذره سليمن في ذلك ه من قرا سبا من غير ان يصرفه جعله اسما للبقعة وهي مدينة باليمن تعرف الان بمارب وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاثة ايام ومن قرا سبا بالتنوين فصرفه جعله اسما للمكان بعينه كما تقدم الكلام في قوله اهبطوا مصرا ومصره والاحاطة هي علم الاشيا بتمامها وجهاتها حتى ان العلم بها يكون كالسور المحيط بها فان قيل كيف يجوز ان يخفى على سليمن

عليه السلام

عليه السلام امر الملوك على هذا القدر من المسافة مع عظم امر سليمن عليه السلام حتى يكون الهدهد هو الذي يخبره فيقول اني وجدت امراة تملكهم قيل لا يمتنع ان يكون ذلك في بدء امر سليمن عليه السلام ولا يمتنع ان يكون عالما بامر سبا على الجملة ولم يكن يعلمه مفصلا حتى جاه الهدهد ببيان تفصيل امرها واراد بالمراة بلقيس بنت شراحيل الحميرية كانت تملك الولاية عليهم ولم يرد بهذا ملك الرقبة **وقوله** واوتيت من كل شي اي اعطيت من كل نعمة حظا وافرا لا يعطاه مثلها ولها عرش عظيم اي سرير عظيم اعظم من سريرك روي انه كان سريرها ثمانين ذراعا من ذهب قوايمه من اللالي والجواهر وعليه من الفرش ما يليق به **وقوله** وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال الحسن رضي الله عنه كان القوم مجوسا وكانوا يسقطون على وجوههم مواجهين للشمس وقال الكلبي كان لها من قومها اثنا عشر الف مقاتل كل رجل منهم على مايه الف سوى نسايهم وذراريهم وكان السبب في رواح الهدهد الى ذلك الجانب على ما روي في بعض التفاسير انه راى هدهدا من هداهد سبا فقال له ذلك الهدهد اين انت من ملك صاحبتنا فقال له من صاحبتكم فوصف الهدهد له ملك بلقيس وقال له ان جيت معي اريتك ملكها فقال اخاف سليمن عليه السلام ان اغيب دون اذنه فقال ومتى يحتاج اليك حتى يطلبك وترجع عن قريب فذهب معه فلما رجع اخبر سليمن بهذا الخبر الذي كان يحبه هو لما كان فيه من الاخذ باصلاح الملك الذي وهبه الله تعالى له **قوله** وزين لهم الشيطان اعمالهم اي حسن لهم قبح اعمالهم فصدهم عن السبيل الطريق فهم لا يهتدون الى طريق الحق وفي هذا بيان ان الهدهد كان كالكيس الصبيان في العلم بالقبح وبما يوجب الاصلاح والتقديم **وقوله** الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض يجوز ان يكون ابتدا خطاب من الله تعالى ويجوز ان يكون من قول الهدهد او من قول سليمن عليه السلام والمعنى في ذلك ان الا لتحقيق ابتدا الكلام والتنبيه على ما ذكر بعده من ان العبادة انما تحق لله تعالى لا للشمس والقمر فكانه قال الا يا هولا اسجدوا لله او قلت لهم يا هولا اسجدوا لله وهذا كما قال ذو الرمة ه الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ه ولا زال منهلا بجرعائك القطر لحن في الحق التي خاطبها بهذه الكلام عليه واراد بالهدهد ه قال العجاج ه يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي عن سمسم او عن يمين سمسم ه وحرف ابي بن كعب الا يسجدون بالنون على معنى لم لا يسجدون ومن قرا الا يسجدوا بالتشديد فهو من قول الهدهد على معنى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا قال الفرا من قراه بالتخفيف فهو موضع سجدة ومن ثقل فليس بموضع سجدة ويجوز ان يكون معنى ان لا يسجدوا لا يسجدوا لله واما الخبء فهو كل ما غاب عن الادراك وهو بمعنى المخبوء مصدر وقع موقع المفعول كالخلق بمعنى المخلوق والعلم بمعنى المعلوم وخبء السموات الامطار وخبء الارض النبات **قوله تعالى** الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اراد بالعرش في هذه الاية سرير الملك الذي عظمه الله ورفعه فوق السموات السبع وجعله اعظم من السموات والارض وما كلامه وجعل الملايكة عليهم السلام يحفون به وترفع اعمال العباد اليه وتنشا البركات من جهته وهو عظيم الشان كما وصفه الله تعالى **قوله عز وجل** قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين فتعذبك اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم قريبا منهم الى حيث لا يرونك فانظر ماذا يرجعون اي بما يقولون ويردون ويجيبون عن هذا الكتاب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره فذهب به اليهم فلما اغلقت المراة الابواب ودونها نامت على سريرها ووضعت المفاتيح تحت وسادتها وكان الهدهد في الكوة فالقى الكتاب على وجهها ونبهها بمنقاره وصوته فقرات الكتاب ودعت ذوي الراي من قومها كما قال جل ذكره قالت يا ايها الملا

إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ والكريم الحقيق بان يؤمل الخير العظيم من جهته فلما رات اثار ذلك في كتاب سليمن وصفته بانه كريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان الكتاب مختوما ومن كرامة الكتاب ختمه ويقال ارادت بالكريم انه كريم تطيعه الانس والجن **وقوله** إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ كناية عن الكتاب كان عنوانه من سليمن الى بلقيس **وقوله** وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كناية عما في الكتاب وقوله أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ بدل من كتاب وموضعه على هذا القول رفع ويجوز ان يكون موضعه نصبا على معنى بان لاتعلوا علي والعلو على القادر طلب القهر لما يكون به تحت سلطانه اى لاتطلبوا تلك الحالة فانكم وان كنتم ملوكا لاتنالونها مني وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اي مومنين بالله ورسله من الاسلام الذي هو دين الله عز وجل ويقال مستسلمين لامري فيما ادعوكم اليه فاني لاادعوا الا الى حق فاطيعوني قبل ان اكرهكم على ذلك وكتب الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم تكون على الايجاز فان قيل لم قال وانه بسم الله الرحمن الرحيم على فاتحة العربية ولم تكن لغتهم العربية قيل لانه حكاية على المعنى فقط كما يحكى الانسان شيا لايعلم معناه والحكاية على اللفظ والمعنى وهو الاصل في الحكاية لان الحكاية هي اقرب الى المماثلة الممكنة **قوله تعالى** قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي اي بينوا لي ما اعمل به في امري مما هو الصواب بدلا من الخطا ماكنت فيما مضى قاطعة امرا من الامور حتى تشهدون تحضرون فتشاوروني فاشيروا علي في هذا الكتاب ماذا اصنع من الملاطفة والمخاشنة قالوا نحن اولوا قوة اى ذوا قوة وعدة في القتال لم يغلبنا عدو قط والامر اليك ان امرتنا بالقتال قاتلناه وان امرتنا بغير ذلك فعلنا ماتريدين وتامرين قال الزجاج كان معها الف قيل والقيل الملك مع كل قيل الف رجل ويقال مايه الف رجل **قوله تعالى** قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وذلك انها لما تدبرت في امرها وشاورت قوت امر الملاطفة بالهدايا وكانت من اولاد الملوك تعرف عادتهم وحسن مواقع الهدايا عندهم وان ذلك هو الاولى اذا كان الملك القاصد اولى من المقصود اليه فحذرتهم عاقبة القتال وقالت ان من عادة الملوك اذا دخلوا مدينة عنوة افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاستعباد واخذ المال قال الله تعالى وكذلك يفعلون تصديقا لهذا القول المحكي قال الحسن وهذا اللفظ ايضا من قولها ذكرته على وجه التاكيد وقالت واني مرسلة اليهم بهدية اى مدبرة في هذا الامر بهدية ارسلها لانظر ما عند القوم فيما يلتمسون من خير او شر فهيات الهدايا من المسك والعنبر والعود وغير ذلك ودعت بوصايف وغلمان وجعلتهم على زي واحد وكان في كلام الغلمان تليين وفي كلام الوصايف بعض الغلظ وقالت ان ميز بينهم ورد الهدية وابى الا ان نتابعه على دينه فهو نبي وان قبل الهدية فانما هو من الملوك وعندنا مايرضيه **قوله تعالى** فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ معناه فلما جا رسولها الى سليمن بالهدية قال سليمن عليه السلام اتمدونني بمال وانا اكثر اهل الدنيا مالا ولست ممن يرغب في المال ولا ممن يغتر به فما اتاني الله من النبوة والعلم والملك خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم مما يهدى اليكم من المال تفرحون لانكم اهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا والامداد في اللغة هو الحاق الثاني والثالث بالاول والهدية هي التي تساق الى صاحبها على هداية الى رشد **وفي الخبر** ان سليمن عليه السلام لما علم بالهدايا قبل وصول رسول لها اليه امر ان تضرب لبنات من الذهب احسن واجود مما كان مع رسولها من لبنة الذهب وامر ان تلقى تلك اللبنات بين قوايم الدواب حتى تروث وتبول عليها فلما راى الرسول ذلك استحقر الهدايا التي كانت معه وميز سليمن عليه السلام بين الجواري والغلمان

فان

بان امرهم بالتوضؤ فكان كل من كان من الغلمان يحدر الماء حدرا على يديه واما الجواري فكن يصببن الماء صبا فلما عزل الغلمان من الجواري قال لرسولها ارجع اليهم بهديتهم فلناتينهم بجنود اي بعسكر لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم من تلك البلاد اذلة مغلولة ايديهم الى اعناقهم وهم صاغرون اى مهانون والذليل هو الذي لايمكنه ان يمتنع من تصريف غيره وهو نقيض العزيز والصاغر الصغير القدر هينا فرجع رسولها اليها فاخبرها بما راى من العجايب فقالت ان هذا امر سماوي لاينبغي لنا منابذته ومخالفته ثم عمدت الى سريرها فوضعته في اقصى سبعة ابيات مغلقة الابواب وجعلت الجيوش حوله ثم اقبلت الى سليمن عليه السلام فرجع الهدهد الى سليمن واخبره انها اقبلت وقال سليمن عليه السلام لاصحابه حين عرف صدق الهدهد **كما قال الله عز وجل** قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا اى قال لهم ايكم ياتيني بسرير ملكها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اى مومنين ويقال منقادين مستسلمين وانما خص العرش بالطلب لانه اعجبه بصفته فاحب ان يراه واحب ان يعاتبها به ويختبر عقلها اذا رأته اتثبته ام تنكره واحب ان يريها قدرة الله عز وجل في معجزة ياتي بها في عرشها قال عفريت من الجن كان يعرف بعمرو الجني والعفريت في كل شي المبالغ الحاذق فيه يقال رجل عفري وعفريت وعفرية ونفرية وعفارية بمعنى واحد والجمع عفاريت وعفارى قال لسليمن عليه السلام انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اى مجلس القضاء كان سليمن عليه السلام يجلس للقضاء من الغداة الى انتصاف النهار قال الجني واني عليه لقوي اي قوي على حمله امين على ما فيه من الجواهر واللولؤ والذهب والفضة وكانت قوته انه يضع قدمه الى حيث ينتهي بصره فقال سليمن عليه السلام اريد اعجل من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب قيل ان المراد به اصف بن برخيا كان عنده علم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب من دعاه **واختلفوا في ذلك الاسم** قال بعضهم هو يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا انت وقال الحسن رحمه الله اسم الله الاعظم يا الله يا رحمن وذلك لانه لايسمى احد بهذين الاسمين على الاطلاق غير الله عز وجل قال اصف لسليمن عليه السلام انا اتيك بسريرها قبل ان يرتد اليك طرفك وهذا اللفظ عبارة عن المبالغة في السرعة كانه قال بعد ما تفتح عينك ثم تفتح او قال في معناه قبل ان يبلغ اليك الشي الذي يراه طرفك من بعيد وذلك ان طرف الانسان لايرتد عن تامل المنظور اليه الا عند حصوله بين يديه ويقال ارتداد الطرف هو ان يكون على مقدار ما يرى الناظر ببصره الى شي حتى اذا عرفه رد بصره عنه كما قال الله عز وجل ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر فلما راى سليمن عليه السلام بدعا اصف عرشها مستقرا عنده عرشه في مقدار رجع البصر بان جا سريرها في الهوا من مارب الى الشام ويقال انشقت عنه الارض فظهر والله عز وجل قادر على ذلك بان يعدمه في مكان ثم يوجده في مكان اخر بلا فصل بدعا من كان مستجابا بالدعوة الا ان المعجزة كانت في ذلك لسليمن عليه السلام **وذهب** بعض المفسرين الى ان عنده علم من الكتاب كان ملكا بعثه الله تعالى بطاعة سليمن عليه السلام **وذهب** بعضهم الى انه هو سليمن عليه السلام نفسه قال ذلك للعفريت لبريه نعمة الله تعالى عليه واستدل هذا القايل بالقول الاخير بقوله قال هذا من فضل ربي ليبلوني اى ليمتحنني على هذه النعمة اشكر ام اترك شكرها وانكر هذا القايل ان يكون في امة نبي من هو اعلم منه ولا يمتنع ان يكون لاحد من الخصوصية في زمن نبي من الانبيا عليهم السلام بشي دون شي وقوله ومن شكر اى من شكر نعمة ربه فانما منفعة شكره راجعة الى نفسه ومن ترك شكر نعمته فان ربي غني كريم اى غني عنه وعن شكره كريم يقبل الشكر ويزيد في النعمة في الدنيا ويثيب عليه في العقبى

قوله عز وجل قال نكروا لها عرشها معناه قال سليمن عليه السلام غيّروا سريرها زيدوا فيه وانقصوا منه حتى ننظر اتهتدى الى معرفة سريرها وبقال الى وحدانية الله تعالى وصحة نبوتي ام تكون من الذين لا يهتدون وقوله فلما جاءت يعني بلقيس الى سليمن عليه السلام قيل لها اهكذا عرشك اي مثل هذا عرشك فشبهوه عليها قالت كانه هو ولم تقل نعم ولا لا لانه كان يشبه سريرها وشكت في تحول سريرها بعد ان وضعته في احصن المواضع وجعلت الحرس حوله وشكت ايضا لما احدثوا في ذلك السرير من التغيير قوله واوتينا العلم من قبلها من قول سليمن عليه السلام وقومه اي قالوا واعطينا العلم بها وبملكها وسريرها من قبل مجيئها وهو ما اخبره الهدهد من شانها وقصتها وقالوا وكنا مسلمين لحمد الله عز وجل من قبل مشاهدة هذه المعجزات وقوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله معناه وصرفها عن الايمان بالله عز وجل والتفكر والتفطن لذلك العادة التي نشات عليها لانها نشات في قوم لم يكونوا يعرفون الا عبادة الشمس لانها كانت من المجوس وقوله قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان بلقيس لما لم تسلم بما رات من الايات اراد سليمن عليه السلام ان يريها اية اخرى لتسلم فامر الجن ان يجعلوا قصرا صحنها من زجاج مملس وان يجروا تحته الما ويجعلوا فيه السمك والامرد الاملس وشجرة مردا اي ملساء ورق لها ففعلوا ذلك وكان هو عليه السلام اخبر ان رجليها شعر او ان فاراد مع ذلك ان يتبينها فقال لها ادخلي صحن القصر والصرح في اللغة هو البسيط المنكشف من غير سقف ومنه صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه والتصريح خلاف التضمين وصحن الدار وصرحتها وساحتها وباحتها وقارعتها وقاعتها بمعنى واحد فلما رات بلقيس الصرح على تلك الصفة حسبته لجة واللجة معظم الما وهو الما الغمر الكثير وكشفت عن ساقيها حتى لا تبتل ثيابها على ما هو العادة في من قصد ان يخوض الما فقال لها سليمن عليه السلام وقيل قال لها قايل ليس هذا بحر وانما هو قصر ممرد من قوارير اي مملس من زجاج فلا تخافي واعبري عليه قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس اي استدلت بما شاهدت على وحدانية الله تعالى وعلى صحة نبوة سليمن عليه السلام لما رات ملكه وسعة علمه وبسطة قومه وما كان من ترسل الطير له واحضار عرشها في اسرع المدة على بعد المسافة وبنا الصرح من القوارير على وجه الما فلذلك قالت ظلمت نفسي واسلمت مع سليمن لله رب العالمين اذ كانت هذه الاسباب داعية الى الاسلام فتزوجها سليمن عليه السلام قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا اي ارسلنا اليهم اخاهم في النسب صالحا ليدعوهم الى توحيد الله تعالى وعبادته فامن به فريق وكفر به فريق فجعل الفريقان يختصمون كما قال الله جل ذكره في سورة الاعراف قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم الاية قوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لا بد فيه من اضمار قبله والمضمر فيه ان المومنين اوعدوا الكفرين على تكذيبهم وكفرهم فاستعجل الكفرون العذاب فقال لهم صالح لم تستعجلون بالعذاب الموعود على الكفر ولا تستعجلون الثواب الموعود على الايمان لولا تستغفرون الله اي هلا تستغفرون الله عن كفركم وتكذيبكم رجاء ان ترحموا والاستعجال هو طلب التعجيل بالامر قبل وقته وقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي قالوا له تشامنا بكم بما لحقنا من نقصان الزروع والثمار والمياه والتطير هو التشام وذلك نسبة الشام الى الشي على ما ياتي به الطير من ناحية اليد الشوما وهو البارح واما السانح فهو ان ياتي الطير من جهة اليد اليمنى واطير وتطير بمعنى واحد كما قيل في

قوله اثاقلتم الى الارض وقوله قال طائركم عند الله اي قال لهم صالح عليه السلام ردا عليهم ما طائركم من القسمة في الشدة والرخا فهو في علم الله عز وجل ومن عنده بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون في الدنيا باختلاف الاحوال وقد تقدم ان اصل الفتنة من الاختبار يقال فتنت الذهب بالنار اي ادخلته فيها لينظر جودته ويجوز ان يكون معنى تفتنون تعذبون كما في قوله ذوقوا فتنتكم اي عقوبتكم وقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون معناه وكان في مدينة صالح عليه السلام وهي الحجر تسعة رهط من الفساق من ابناء روسايهم يفسدون في الارض بالمعاصي ولا يعملون بالصلاح ولا يامرون به والرهط والنفر واحد واذا اطلق كان عبارة عن القوم والاهل كما قال الله تعالى مخبرا عن قوم شعيب عليه السلام ولولا رهطك لرجمناك واذا ذكر الرهط بمعنى العدد كان عبارة عن عدد مخصوص من ثلثة الى عشرة قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله فيه وجهان احدهما بمعنى متقاسمين بالله الا انه حذف منه قد والاخر الامر اي تحالفوا بالله لندخلن عليه وعلى اهله الذين امنوا به ليلا فلنقتلنهم ثم لنقولن لوليه ان اتهمونا بقتله ما شهدنا اهلاك صالح واهله وانا لصادقون فيما نقول لكم هذا اذا قرات مهلك بضم الميم ونصب اللام وهو مصدر وان قرات بفتح الميم وكسر اللام فهو موضع الهلاك ويقرا لنبيتنه واهله بالنا وضمها على معنى احلفوا بالله لنبيتنه واهله ثم لتقولن لوليه بالتا ايضا وهذا مكر عزموا عليه كما قال تعالى ومكروا مكرا اي دبروا في قتل صالح واهله من حيث لم يشعر بهم صالح ولا اهله ومكرنا مكرا اي دبرنا نحن في اهلاكهم مجازاة لهم على مكرهم وهم لا يشعرون بما اردناه بهم فانظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان عاقبة مكرهم اي كيف كان اخر مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم بالحجارة واهلكنا قومهم اجمعين وذلك ان الملئكة دمغتهم بالحجارة واستاصلتهم عن اخرهم والتدمير هو الاهلاك على وجه عظيم فظيع فتلك بيوتهم تراها خالية عن الاهل والخير والنعمة بسبب ظلمهم لم يبق فيها منهم ديار ان في ذلك في اهلاكنا اياهم لدلالة ظاهرة لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا بصالح عليه السلام وكانوا يتقون عقاب الله تعالى قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة يعني اللواطة وسماها فاحشة لعظم شانها في القبح وقوله وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وذلك ان فعل القبيح ممن يعلم قبحه اقبح من فعله ممن لا يعلم قبحه وقوله ائنكم لتاتون الرجال فيه بيان الفاحشة وقوله بل انتم قوم تجهلون اي تجهلون العذاب الموعود على هذه الفاحشة وتجهلون عاقبة الامر قوله تعالى فما كان جواب قومه اي لم يكن جواب قوم لوط عليه السلام الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم اي من مدينتكم انهم اناس يتطهرون عن ادبار الرجال فاخرجوهم من بينكم ويجوز ان يكونوا قالوا هذا على وجه الهزء بهم وقوله فانجيناه واهله اي خلصناه واهله الا امراته قدرنا عليها ان تكون من المتخلفين فتهلك فيمن هلك وامطرنا على شذاذهم ومسافريهم حجارة فبيس المطر مطر قوم انذرهم لوط عليه السلام فلم يومنوا به قوله تعالى قل الحمد لله معناه احمد الله يا محمد صلى الله عليه وسلم وسلام على عباده الانبيا عليهم السلام الذين اختارهم الله للرسالة وقوله الله خير اما تشركون اي قل لاهل مكة اعبادة الله افضل ام عبادة من تشركون به من دونه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية قال الله تعالى خير وابقى واجل واكرم مما يشركون فان قيل الخير انما يستعمل في شيين فيهما خير ولاحدهما مزية ولا خير في الاصنام قلنا ان لفظ الخير في مثل

هذا الموضع اذا اطلق كان تنبيهًا على ان الذى فى مقابلته لاخير فيه ونظير هذا قوله تعالى اصحاب
الجنه يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا **قوله تعالى** أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ معناه
الذى تشركونه بالله تعالى خيرا والذين تعبدون من دونه خير ام من خلق السموات والارض وما فيهما
من العجايب والبدايع وانزل لكم من السماء يعنى المطر فانبتنا بالمطر حدايق اى بساتين ذات بهجة
اى منظر حسن وانوار والحديقه هى البستان الذى يحاط عليه بما فيه من النخل والشجر **وقوله**
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا اى ما كان لكم قدرة ان تنبتوا شجرها ويقال فى تقديره ما كنتم
لتنبتوا شجرها فتصير اللام متصلة بالفعل معنى وان اتصلت بالاسم لفظا لانه لو لم يجعل كذلك وحمل
على ظاهره لكان نهيا ولا يصح النهى عن ما لا يدخل تحت قدرة البشر ونظيره قوله ما كان لله ان
يتخذ من ولد اى ما كان الله ليتخذ ولدا **وقوله** أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ استفهام بمعنى الانكار معناه
أمع الله اله يشاركه فى خلق هذه الاشيا تشركوا بينه وبين الله تعالى فى العباده بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ الاصنام بالله لفهم جهلهم ويقال يميلون عن الطريق وعن النظر فى الدلايل
الموديه الى العلم بوحدانية الله تعالى وانه هو المستحق للعباده **وقوله تعالى** أَمَّنْ
جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا معناه ام من جعل الارض سكنا يستقرون عليها ويتصرفون فيها فلا هى
تضطرب بهم ولا هى حزنة غليظة مثل رؤس الجبال وجعل خلالها انهارا اى جعل وسط الارض
من الاوديه والعيون والقنى انهارا تنتفعون بها وجعل على الارض رواسى اى جبالا ثوابتا وتدا
لها وجعل بين البحرين حاجزا اى بين العذب والمالح مانعا بلطيف قدرته لا يبتنا هدو لا يعاين يمنع
اختلاط احدهما بالاخر أإله مع الله يفعل شيا من هذه الاشيا بل اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يتدبرون ولا
يتفكرون **قوله تعالى** أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ معناه ام من يجيب المدفوع
الى ضيق من الامور من غرق ينقذه ومن مرض يشفيه او بلا يعافيه او حبس يطلقه او كرب يفرج
عنه وَيَكْشِفُ السُّوءَ يعنى الشدايد وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ يأتى بقوم بعد قوم وقرن بعد
قرن وكل قرن خلفا لمن قبلهم أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اى سوى الله فعل ذلك ما اقل ما
تتعظون **قوله تعالى** أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ معناه ام من يرشدكم الى الطريق فِي
ظُلُمَاتِ الليل فى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بما خلق لكم من النجوم والقمر والمسالك والرياح
ويجوز ان يكون المراد بالظلمات الشدايد **قوله تعالى** وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ اراد بالرحمة المطر والنشر جمع النشور وهى الريح التى تاتى بالسحاب يقال
نشرت اذا اجتمعت ونشرت اذا فرقت واللفظ من الاضداد **قوله تعالى** تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
اى جل وعز عن ان يكون له شريك **وقوله** أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ معناه ام من خلق
الخلق ابتدا من النطفه ثم يميته ثم يعيده للبعث والنشور وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
بانزال المطر من السما واخراج الزرع والنبات من الارض قل هاتوا برهانكم اى حجتكم فيما تدعونه من
اله سواه ان كنتم صادقين ان مع الله الهة اخرى **قوله تعالى** قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلم من فى السموات شيا من
الغيب من وقت نزول العذاب وقيام الساعه وغير ذلك الا الله وما يشعرون ايان يبعثون
اى لا يدرون متى يبعثون من القبور والاصل فى ايان اي اوان ضمنا وجعلنا اداة واحدة
وفى قوله تعالى بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ قرآتان من قرا بل ادرك فالمعنى سيدرك اى سيلحق
الحال التى يظهر فيها معلومهم بحقايق هذه الاشيا فى الاخرة حين لا ينفعهم ومن قرا بل ادارك
معناه تدارك اى تتابع وتلاحق حتى كمل علمهم فى الاخرة ويجوز ان يكون هذا على وجه الاستفهام

كانه

كانه قيل بل ادرك علمهم فى الاخرة اى لم يدرك ولم يقفوا على حقيقتها فى الدنيا ولو ادرك علمهم
لا منوا به **وقوله** بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا اي فى الدنيا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ اي متحيرون
بترك التامل يقال رجل عمه وعامه وعم اذا كان متحيرا وقوم عمون اي متحيرون ويجوز ان يكون
معنى ادرك علمهم لحق علمهم ذلك بما نصب عليه من الادلة بل هم فى شك منها بترك التامل **وذهب**
القتيبى الى معنى بل ادارك الا انهم تتابعت ظنونهم فى الاخرة انها لا تكون وقال الضحاك استوى
علمهم **قوله تعالى** وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا معناه وقال كفار مكة اذا صرنا ترابا وآباونا
اينا لمخرجون من القبور لقد وعدنا هذا الذى تخوفنا به من البعث والنشور وعد اباونا من قبلنا
فما وجدنا لذلك حقيقة وما هذا الذى تعدنا يا محمد الا اساطير الاولين قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
سيروا اى سافروا وترددوا فانظروا كيف كان اخر امر المكذبين بالرسل كيف اهلكهم الله تعالى بانواع
العقوبات وتلك الادلة على صحة خبر الرسل بالبعث فلذلك احتج الله تعالى بها عليهم **وقوله** وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ اى لا تحزن على تكذيبهم اياك ولا على هلاكهم ان لم يومنوا وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان حريصا على ايمانهم ونجاتهم **وقوله** وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ اى لا يضيق صدرك يا محمد
صلى الله عليه وسلم بما يمكرون وسيظهرك الله عليهم **وقوله** وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا
الْوَعْدُ اى يقولون على وجه التكذيب متى هذا الوعد الذى تعدنا به فى الدنيا والاخرة إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى ذلك قُلْ لهم عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ دنا لكم وركبكم بعض ما تستعجلون
به من العذاب لا يجوز ان تكون عسى فى هذا الموضع بمعنى الشك وانما هو بمعنى الايجاب على وجه
التخويف واراد بقرب بعض الذى كانوا يستعجلون القحط الذى سلط الله عليهم عقيب هذه
الاية حتى اكلوا الجيف ويقال اراد به عذاب السيف يوم بدر وفى ردف لكم قولان احدهما انه من
الفعل الذى يتعدى بحرف وبغير حرف كما قال الشاعر فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى
وهم تعنانى معنى ركابيه والثانى ان اللام دخله لما دخله معنى يقرب والعنى ولذلك
وحد قوله ردف لكم بمعنى دنا لكم **قوله تعالى** وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ اى لذو من على الناس
بامهالهم والانعام عليهم وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ فضله عليهم وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا
تُكِنُّ صُدُورُهُمْ اى ما تضمر قلوبهم من البغض والعداوة وَمَا يُعْلِنُونَ اي وما يظهرون من الكفر والتكذيب
وقوله وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الا معناه وما من خافية على اهل السما والارض الا
وهو مكتوب فى اللوح المحفوظ كتبه الله لتعرف الملئكة بذلك اذا احدث المكتوب انه تعالى عالم بكل ما
سيكون **قوله تعالى** إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ اي يبين لبنى اسرايل اكثر
الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ كاختلاف اليهود والنصارى فى المسيح وفى غيره من الانبيا عليهم السلام
وكاختلافهم فى جواز نسخ الشريعة وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم المبشر به فى التوريه حتى قال بعضهم
هو يوشع بن نون عليه السلام وقال بعضهم بل هو منتظر لم يات بعد **قوله** وَإِنَّهُ لَهُدًى
اى دلالة الى طريق الحق وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فى نجاتهم الى رضى رب العالمين إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
اى بعض بين المومنين والكفار بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ بالانتقام من الكفار الْعَلِيمُ بهم وبعقوبتهم
وقوله فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اى ثق به يا محمد صلى الله عليه وسلم وفوض امورك اليه إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ اى على طريق الاسلام وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمحقين بان
امورهم ستؤل الى ان يحكم الله تعالى بينهم وبين المبطلين **قوله عز وجل** إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
الْمَوْتَىٰ معناه انك لا تقدر ان تسمع الكفار الذين لا يسمعون ولا يتفكرون فيما يسمعون كما لا يمكنك ان
تسمع الموتى الذين ليس لهم الة السماع وكما لا يمكنك ان تسمع الصم دعاءك اياهم الى الحق **وفى قوله** إِذَا

ولو اندبروا مدبرين بيان انه اراد بالموتى الكفار كانوا لا يسمعون القران سماع قبول فشبههم بالموتى
والصم ثم شبههم بالعمى لمعاندتهم فقال الله تعالى وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم اي
كما لا يمكن ارشاد الاعمى الى قصد الطريق بالامارات الداله على الطريق كذلك لا يمكن هداية القوم الذين
عميت بصايرهم عن ايات الله وليس على الرسل عليهم السلام الا الدعا الى الله **وقوله** ان تسمع الا
من يؤمن باياتنا معناه ما تسمع دعوتك سماع القبول الا من يطلب الحق بالنظر في ايات الله تعالى فلا يلبث
ان يسلم مع ظهور الدلايل ولان عقله يخاصمه حتى ينزل بالحق ويعتقده **قوله عز وجل** واذا وقع
القول عليهم معناه واذا وجب القول عليهم بالسخط والعذاب عند قرب الساعه اخرجنا لهم دابة
من الارض روى انها تخرج بين الصفا والمروة ولا تخرج الا راسها وعنقها فيبلغ راسها السحاب فيراها
اهل المشرق والمغرب فيسمعون كلامها بالسان تقبل على الكفار فتقول لهم ايها الكفار مصيركم الى النار
ثم تقبل على المومنين فتقول ايها المومنون مصيركم الى الجنه فيتميز عند ذلك اهل الجنه من اهل النار وهي
اول اية من ايات القيمه التي عندها تغلق باب التوبة ويجوز ان يكون قوله تكلمهم من الكلم وهو
الجراحة كما يروى في قراة ابن عباس رضي الله عنهما تكلمهم بنصب التا وكسر اللام اي تسمهم وتكتب
على جبين الكافر انه كافر وعلى جبين المومن انه مومن قال ابو هريرة رضي الله عنه انها تخرج
ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمن عليه السلام ٥ وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال
تنكت على وجه الكافر نكته سودا فتفشو في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت في وجه المومن
نكته بيضا فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيعرف المومن من الكافر بعد ذلك ٥ وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اذا ترك الناس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
كان ذلك الوقت وقت اشراط الساعه وخروج الدابة ومن قرا ان الناس بالكسر فعلى معنى
الابتدا فاما قراه النصب فعلى وجه الحكاية عن قول الدابة وعلى معنى اخرجنا الدابة بان
الناس كانوا باياتنا لا يوقنون **قوله تعالى** ويوم نحشر من كل امة فوجا اي نجمع
من كل امة جماعه من المكذبين بالرسل فهم يوزعون اي يحبسون ليتلاحقوا فيساقون الى
الموقف اذا اجتمعوا حتى اذا جاوا موقف المحاسبة قال الله تعالى اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها
علما اي جهلا بغير علم ام ماذا كنتم تعملون اذ لم يتدبروا ولم يتفكروا فيها وهذا اللفظ لفظ
السوال ومعناه التوبيخ ووقع القول عليهم اي وقع العذاب عليهم بظلمهم فهم لا ينطقون اي
ختم على افواههم ويقال لا ينطقون نطقا ينفعهم ولا يتكلمون من الهيبة **قوله تعالى**
اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه اي ليستقروا فيه وليستريحوا من تعب النهار
وجعلنا النهار مبصرا اي مضيا لطلب المعاش وسمي النهار مبصرا لانه يرى الاشيا كما يراها
من يبصرها والابصار والبصير بمعنى واحد ويجوز ان يكون معنى المبصر اي ذا ابصار كعيشة راضية
اي ذات رضى **قوله** ان في ذلك اي فيما ذكرناه من اختلاف الليل والنهار لايات اي دلالات
للمومنين والكفرين لكن خص المومنين في اخر الاية لانهم هم الذين ينتفعون بالذكر **قوله تعالى**
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض اختلفوا في هذه الاية قال بعضهم
اراد به يوم القيمه ينفخ في الصور يوم القيمه للاجتماع على المسير الى ارض الجزا كبوق الرحل في الدنيا
وقوله ففزع اي خاف اهل السموات واهل الارض من ذلك الا من شا الله ان لا يخاف
بل اراد به بعضا من الملكه وقيل هم الانبيا صلوات الله عليهم والشهدا استثناهم الله تعالى
من الذين يفزعون في تلك الساعة **وقوله** وكل اتوه داخرين اي كل الخلايق ياتونه الى موضع
الجزا اذلا صاغرين اراد بهذه النفخة النفخة الاولى وهي نفخة الصعق واما النفخة الثانية فهي

نفخة البعث كما قال الله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله
ثم نفخ فيه اخرى قال ابن عباس رضي الله عنه بين النفختين اربعون سنه ويقال ان النفخة الاولى
نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق وهو الموت والثالثة نفخة القيام لرب العالمين **قوله** وترى الجبال
تحسبها جامدة اي ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم الجبال تظنها ساكنة لا تتحرك في راي العين وهي
تسير في الهوا سيرا سريعا كراكب السفينه يحسبها واقفة وهي سايرة وقوله صنع الله نصب على المصدر اي
كانه قال صنع الله ذلك صنعا على الاتقان والاحكام انه خبير بما تفعلون من الخير والشر **قوله تعالى**
من جا بالحسنة معناه من وافى عرصات القيمه بالحسنات فله ثواب انفع له منها ويقال في معناه
فله خير اي حظ وافر وهم امنون يومئذ من الفزع والعذاب ومن جا بالسيئة اي وافى بالشرك
والكباير فكبت وجوههم في النار اي القوا على وجوههم في النار وقيل لهم هل تجزون اليوم الا
بما كنتم تعملون في الدنيا **قوله تعالى** انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اي قل لهم
انما امرت ان اعبد رب مكة الذي حرمها اي حرم فيها ما احل في غيرها من الاصطياد والاختلا
والقتل وان يهاج فيها احد حتى يخرج منها ويجوز ان يكون معنى حرمها عظم حرمتها
بجعل لها من الامن ما لم يجعل لغيرها كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما امنا **وقوله**
وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فيه تعظيم لامر الاسلام وتلاوة القران
فمن اهتدى فانما منفعة اهتدايه راجعة الى نفسه ومن ضل فاني لم اومر بالاجبار على الهدى
وليس بيدي الا الانذار **قوله تعالى** وقل الحمد لله اي احمد الله تعالى على نعمه
سيريكم اياته دلايل توحيده في جميع ما خلق وفي انفسكم فتعلمون ان ذلك حق فتعرفونها
وما ربك بغافل عما تعملون من المكر والكفر والفساد ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النمل كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق وكذب بموسى وهود وشعيب وصالح ولوط وابرهيم واسحق ويعقوب وسليمن عليهم السلام
وخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله وبالله التوفيق ٥ وله الحمد والمنة على نعمه وافضاله

تم الثلث الثاني من تفسير القران العظيم
للشيخ الامام العالم المحقق عبد الصمد
الغزنوي رحمه الله تعالى ونفع بعلومه

وكان الفراغ من زبر هذا الثلث المبارك يوم الاحد الثاني من شهر شعبان الكريم وذلك
بعد صلوة العصر في سنه خمس وثلاثين وتسعمايه من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة
والسلام ٥ يتلوه في الثلث الثالث الذي يليه من اول سورة القصص والحمد لله ختم
الى اخر القران العظيم

وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

Süleym[illegible] [illegible]hanesi
Mihri Şah
V.
Eski [illegible] 25